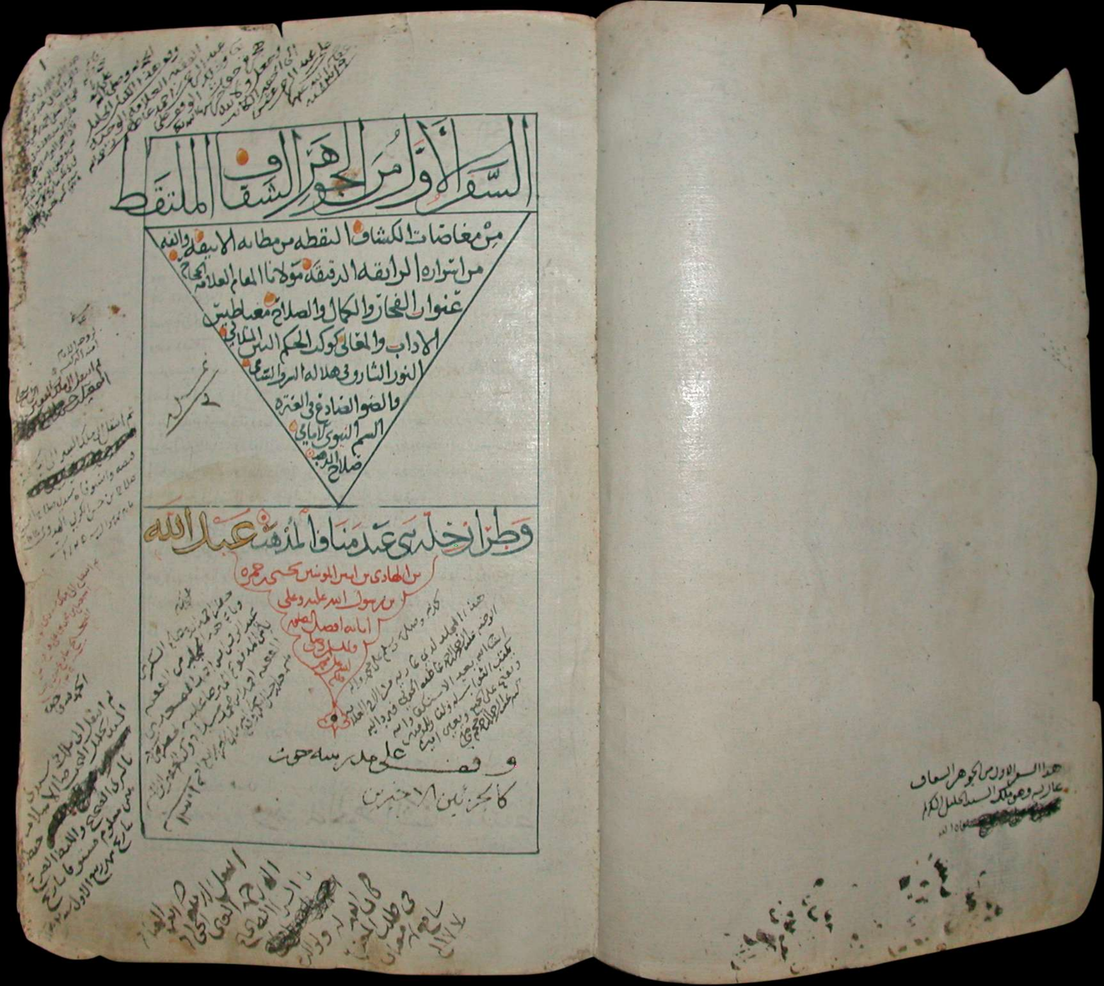




السفر الأول من الجوهر الشفاف الملتقط

من مغاصات الكشاف الملتقطة من مطانه الأنيقة والتقطه
من أسراره الرائقة الدقيقة مولانا المقام العلامة الحجاج
عنوان الفخار والكمال والصلاح مغناطيس
الآداب والمعالي كوكب الحكم النبي المتلالي
النور الشارق في هالة السرو الشامخ
والضوء الصادع في العترة
السم النبوي لامامي
صلاح الدين

وطراز حلة بني عبد مناف المذهب عبد الله
بن الهادي بن أمير المؤمنين يحيى بن حمزة
بن رسول الله عليه وعلى
آبائه افضل الصلوة والسلام

هذا السفر الأول من الجوهر الشفاف
عارية وهو ملك السيد الجليل الكريم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي نور بصائرنا بمعرفة كتابه وطهر

حمانا بتلاوة خطابه ✦ وهدانا للهدى وما كنا لنهتدي لولا ان هدانا الله ✦ ان افضل الهدى
هدى الله وان خير الكلام كلام الله وان سيد البشر رسول الله ✦ تحمل الاعبا وبلغ الانبا وختم النبا
وجانا بالقران الذي ادعى لا يجاره مثالق العرب العربا ✦ وانقطعت في اثاره شقاشق شماشق الخطبا
كلام لا يعلو على فنا العباد ✦ ولا يمل على كثرة الترداد رياضه انيقة ✦ وبحاره عميقة ✦ انقذنا
الله به من الجهالة وتداركنا به من الضلالة ✦ فنحن لله على النعمة به حامدون ولمجاد وعز بما نعتقد بنا(?)
له عابدون ✦ **والصلوة** على سفير القران والتجيل الذي يجدونه عندهم مكتوبا في التورية والانجيل
صلوة تستغرق الامد وتستنفد الابد وعلى آله الاطهار واصحابه الابرار من المهاجرين والانصار آناء
الليل واطراف النهار ✦ **وبعد** فان اولى ما صرفت اليه العناية من تفاسير القران المجيد
ما يسلم منه من رثاثة الحشو وغثاثة التقليد ✦ وتبرهنت في اثنا عطائه حجج الوعد والوعيد ✦ وطاب بحره
من اجن الجبر والتشبيه وطلع انفه بانوار العدل والتنزيه ✦ لا جرم هذه صفة الكشاف عن ابكار التنزيل
الكامل لمن اتقنه سلوك غايات التحصيل ✦ وما احقه بقول صاحبه رضي الله عنه ✦

ان التفاسير في الدنيا بلا عدد ✦ وليس فيها لعمري مثل كشافي ✦
ان كنت تبغي الهدى فالزم قراءته ✦ فالجهل كالداء والكشاف كالشافي ✦

لولا ان فيه من علوم لا يدركها شعر الافكار ✦ واكتنز في اصدافه من درر لا يبلغها مغاصات الانظار
حتى كادت تصرف الراغب عن مطالعته دقايقه ✦ وتشوبا لطالب الملفات(?) شقاشقه ✦ وتدفع في صدر
العاصر(?) اطار امواجه ✦ وتعتبر في وجه المقبل عليه مهامه فجاجه ✦ ورايت نفوس الراغبين
في العشر تمل الى التيسير ✦ والطالبين لعلمه الغزير تسمع بالجلي اليسير ✦ **فالتقطت**
من مغاصات تبيانه وتيارات عقيانه ما يحلى منها اللعان(?) ✦ واخترت من فرائد جمانه ولآلي مرجانه
ما لا يستغني عنه بيان ✦ ولم آل جهدا في تسهيله وتقريبه وتيسيره على الطالب وتهذيبه فتفصل عقود
السؤالات وحل نظام تعقيد الجوابات ✦ واطراح جميع ما ورد من عامة القراءات ✦ ولم اخل عن بيت الكشاف(?)
الا بما يتعلق بالقران ✦ ولا حذفت من فوائده الا ما استعجم على العامة من علم المعاني والبيان مع
زيادات حسنت في التنبيه مواقعها ✦ وملتقطات في اثنائه لا تنفد(?) مواضعها ✦ والحقت عقيب كلامه
في المسائل الفقهية نبذا شافية من مذاهب العترة النبوية ✦ لتكون درة في وشاحه ✦ وياقوتة
متوقدة في ابن مضاحه ✦ **وسميته الجوهر الشفاف الملتقط**
من مغاصات الكشاف ✦ وارجوا ان يسعى به نفوس الطالبين وتهتز الى قراءته واستماعه قلوب الراغبين

وما اعرفني بقصور باعي في هذا الباب ✦ وضيق رباعي عن هذا الاسهاب ✦ لكن تعاميت عن قولهم لست
بعشك فادرجي ✦ وتطوحت الى قولهم اكل من طيرانه فانطقي ✦ خلت الديار فسدت غير مسود ✦
ومن الشقا تفردي بالسودد ✦ **وانا ارغب الى الله تعالى ان يجعل سعيي**
فيه خالصا لوجهه الكريم وان يتقبله ويجعله ذخرة لي عنده يجزيني بها في الآخرة دار النعيم ✦ هو
العالم بمودعات السرائر وخفيات الضمائر وان يسعد بي بفضله ورحمته ويجاورني بسعة جوده
ومغفرته انه سميع قريب وعليه اتوكل واليه انيب ✦

باب فضل قراءة القران

ان الله تعالى اهلين من الناس قيل من هم يا رسول الله قال اهل القران اهل الله وخاصته رواه ابن
ماجه **وعن** ابي امامة رضه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول اقرأوا القران فانه
ياتي يوم القيمة شفيعا لاصحابه رواه مسلم **وعن** النواس بن سمعان رضه قال سمعت رسول الله صلى
الله عليه وآله وسلم يقول يؤتى يوم القيمة بالقران واهله الذين كانوا يعملون به في دار الدنيا تقدمهم
سورة البقرة وآل عمران يحاجان عن صاحبهما رواه مسلم **وعن** عثمن بن عفان رضه قال قال رسول
الله صلى الله عليه وآله خيركم من تعلم القران وعلمه رواه البخاري **وعن** عائشة رضه قالت قال
رسول الله صلى الله عليه وآله الذي يقرأ القران وهو ماهر به مع السفرة الكرام البررة والذي يقرأ
القران وهو يتتعتع فيه وهو عليه شاق له اجران متفق عليه **وعن** عمر بن الخطاب رضه ان النبي
صلى الله عليه وآله وسلم قال ان الله يرفع بهذا الكتاب اقواما ويضع به آخرين رواه مسلم **وعن**
ابن عمر رضه ان النبي صلى الله عليه وآله قال لا حسد الا في اثنين رجل آتاه الله القران فهو يقوم به آناء الليل
وآناء النهار ورجل آتاه الله مالا فهو ينفقه آناء الليل وآناء النهار متفق عليه **وعن** ابي سعيد
بن رافع بن المعلى قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وآله الا اعلمك اعظم سورة في القران قبل
ان تخرج من المسجد فاخذ بيدي فلما اردنا ان نخرج قلت يا رسول الله انك قلت الا اعلمك اعظم سورة
من القران قال الحمد لله هي السبع المثاني والقران العظيم الذي اوتيته رواه البخاري **وعن**
ابي مسعود البدري عن النبي صلى الله عليه وآله قال من قرأ بالآيتين من آخر سورة البقرة في ليلة كفتاه
متفق عليه قيل كفتاه المكروه تلك الليلة وقيل كفتاه عن قيام الليل **وعن** ابي هريرة ان رسول
الله صلى الله عليه وآله قال لا تجعلوا بيوتكم مقابر ان الشيطان ينفر من البيت الذي يقرأ فيه سورة
البقرة رواه مسلم **وعن** ابي هريرة قال وكلني رسول الله صلى الله عليه وآله بحفظ زكوة رمضان
فاتاني آت فجعل يحثو من الطعام فاخذته فقلت لارفعنك الى رسول الله صلى الله عليه وآله قال اني
محتاج وعلي عيال ولي حاجة شديدة فخليت عنه فاصبحت فقال رسول الله صلى الله عليه وآله يا ابا هريرة
ما فعل اسيرك البارحة فقلت يا رسول الله شكى حاجة وعيالا فرحمته فخليت سبيله قال اما

انه قد كذبك وسيعود فعرفت انه سيعود لقول رسول الله صلى الله عليه وآله فرصدته فجاء
يحثو من الطعام فقلت لارفعنك الى رسول الله صلى الله عليه وآله فقال دعني فاني محتاج وعلي عيال
لا اعود فرحمته فخليت سبيله فقال صلى الله عليه وآله وقد كذبك وسيعود فرصدته الثالثة فجاء
يحثو من الطعام فاخذته فقلت لارفعنك الى رسول الله صلى الله عليه وآله وهذه آخر ثلاث مرات
انك تزعم لا تعود ثم تعود فقال دعني فاني اعلمك كلمات ينفعك الله بها قلت ما هن قال اذا اويت
الى فراشك فاقرأ آية الكرسي فانه لن يزال عليك من الله حافظ ولا يقربك شيطان حتى تصبح فخليت
سبيله فاصبحت فقال لي رسول الله صلى الله عليه وآله ما فعل اسيرك البارحة فقلت يا رسول الله
زعم انه يعلمني كلمات ينفعني الله بها فخليت سبيله قال ما هي قلت قال لي اذا اويت الى فراشك فاقرأ
آية الكرسي من اولها حتى تختم الآية الله لا اله الا هو الحي القيوم وقال لا يزال عليك من الله حافظ
ولا يقربك شيطان حتى تصبح فقال رسول الله صلى الله عليه وآله اما انه قد صدقك وهو كذوب
تعلم من تخاطب منذ ثلاث يا ابا هريرة قلت لا قال ذاك شيطان رواه البخاري **وعن** ابي
الدرداء ان رسول الله صلى الله عليه وآله قال من حفظ عشر آيات من اول سورة الكهف عصم من
الدجال وفي رواية من آخر سورة الكهف رواهما مسلم **وعن** ابن عباس قال بينما جبريل عليه السلام
قاعد عند النبي صلى الله عليه وآله سمع نقيضا من فوقه فرفع رأسه فقال هذا باب من السماء فتح اليوم
ولم يفتح قط الا اليوم فنزل منه ملك فقال هذا ملك نزل الى الارض لم ينزل قط الا اليوم فسلم
وقال ابشر بنورين اوتيتهما لم يؤتهما نبي قبلك فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة لن تقرأ
بحرف منهما الا اعطيته رواه مسلم والنقيض الصوت **وعن** ابي موسى الاشعري قال
قال رسول الله صلى الله عليه وآله مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن مثل الاترجة ريحها طيب وطعمها
طيب ومثل المؤمن الذي لا يقرأ القرآن كمثل التمرة لا ريح لها وطعمها طيب حلو ومثل المنافق
الذي يقرأ القرآن كمثل الريحانة ريحها طيب وطعمها مر ومثل المنافق الذي لا يقرأ القرآن
كمثل الحنظلة ليس لها ريح وطعمها مر متفق عليه **وعن** البراء رضي قال كان رجل يقرأ سورة
الكهف وعنده فرس مربوط بشطنين فتغشته سحابة فجعلت تدنو وجعل فرسه ينفر عنها فلما اصبح
اتى النبي صلى الله عليه وآله فذكر له ذلك فقال تلك السكينة تنزلت للقرآن متفق عليه الشطن
الحبل **وعن** ابن مسعود رضي قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله
من قرأ حرفا من كتاب الله عز وجل فله حسنة والحسنة بعشر امثالها لا اقول الم حرف ولام
حرف وميم حرف رواه الترمذي وقال هذا حديث حسن صحيح **وعن** ابن عباس رضي الله عنه قال قال رسول
الله صلى الله عليه وآله ان الذي ليس في جوفه شيء من القرآن كالبيت الخراب رواه الترمذي وقال
حديث صحيح **وعن** عبد الله بن عمرو بن العاص عن النبي صلى الله عليه وآله قال يقال لصاحب القرآن

اقرأ وارتق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا فان منزلك عند آخر آية تقرؤها رواه ابو داود والترمذي
وقال حسن صحيح **وعن** ابي موسى ان النبي صلى الله عليه وآله قال تعاهدوا هذا القرآن فوالذي نفس محمد
بيده لهو اشد تفلتا من الابل في عقلها متفق عليه **وعن** ابن عمر رضي قال انما مثل صاحب القرآن
كمثل صاحب الابل المعقلة ان عاهد عليها امسكها وان اطلقها ذهبت متفق عليه **وعن** ابي سعيد
الخدري ان رسول الله صلى الله عليه وآله قال في قل هو الله احد والذي نفسي بيده انها لتعدل ثلث القرآن
وفي رواية ان رسول الله صلى الله عليه وآله قال لاصحابه ايعجز احدكم ان يقرأ ثلث القرآن في ليلة فشق ذلك
عليهم وقالوا اينا يطيق ذلك يا رسول الله قال قل هو الله احد ثلث القرآن رواه البخاري **وعنه** ان
رجلا سمع رجلا يقرأ قل هو الله احد يرددها فلما اصبح جاء الى رسول الله صلى الله عليه وآله فذكر ذلك له
وكان الرجل يتقالها فقال رسول الله صلى الله عليه وآله والذي نفسي بيده انها لتعدل ثلث القرآن
رواه البخاري **وعن** انس ان رجلا قال يا رسول الله اني احب هذه السورة قل هو الله احد قال
ان حبها ادخلك الجنة رواه الترمذي وقال حديث حسن وروى البخاري في صحيحه **وعن** عقبة
بن عامر ان رسول الله صلى الله عليه وآله قال الم تر آيات انزلت هذه الليلة لم ير مثلهن قط قل اعوذ
برب الفلق وقل اعوذ برب الناس رواه مسلم **وعن** ابي سعيد الخدري قال كان رسول الله
صلى الله عليه وآله يتعوذ من الجان وعين الانسان حتى نزلت المعوذتان فلما نزلتا اخذ بهما وترك ما سواهما
رواه الترمذي وقال حديث حسن **وعن** ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وآله قال ان من القرآن
سورة ثلاثون آية شفعت لرجل حتى غفر له وهي تبارك الذي بيده الملك رواه ابو داود والترمذي وقال
حديث حسن **وعن** ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله ما اجتمع قوم في بيت من بيوت
الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم الا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم
الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده رواه مسلم

باب استحباب تحسين الصوت بالقرآن

وطلب القراءة من حسن الصوت والاستماع لها **عن** ابي هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله
يقول ما اذن الله لشيء ما اذن لنبي حسن الصوت يتغنى بالقرآن يجهر به متفق عليه معنى اذن الله اي
سمع الله وهو اشارة الى الرضى والقبول **وعن** ابي موسى الاشعري ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
قال له لقد اوتيت مزمارا من مزامير آل داود متفق عليه وفي رواية لمسلم ان رسول الله صلى الله
عليه وآله قال له لو رأيتني وانا استمع لقراءتك البارحة **وعن** البراء قال سمعت رسول الله
صلى الله عليه وآله قرأ في العشاء بالتين والزيتون فما سمعت احدا احسن صوتا منه متفق عليه
وعن ابي لبابة ان رسول الله صلى الله عليه وآله قال من لم يتغن بالقرآن فليس منا رواه ابو داود
باسناد جيد معنى يتغنى يحسن صوته بالقرآن **وعن** ابن مسعود قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وآله

وفي رواية له ما اذن الله لشيء كاذنه لنبي يتغنى بالقرآن

اقرا علي القران فقلت يا رسول الله اقرا عليك وعليك انزل قال اني احب ان اسمعه من غيري فقرات
عليه سورة النساء حتى بلغت هذه الاية فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا
قال حسبك الان فالتفت اليه فاذا عيناه تذرفان متفق عليه

باب في فضل التفسير عن ابن مسعود رضي الله عنه

قال كنا نتعلم من رسول الله صلى الله عليه وسلم العشر الايات فلا نتجاوزها الى العشر الاخرى حتى
نعلم ما فيها من العلم والعمل وروى قتادة عن الحسن انه قال ما انزل الله اية الا احب ان يعلم فيما
انزلت وما ذا عنى بها وقال اياس بن معاوية مثل من يقرا القران وهو يعلم تفسيره او لا يعلم مثل قوم
جاءهم كتاب من صاحب لهم ليلا وليس عندهم مصباح فداخلهم لمجيء الكتاب روعة لا يدرون ما فيه
فاذا جاءهم المصباح عرفوا ما فيه

باب الاستعاذة

قال الله تعالى فاذا قرات القران فاستعذ بالله معناه اذا اردت قراءة القران فاستعذ مثل قوله
اذا قمتم الى الصلوة فاغسلوا وجوهكم والاية تدل على التعبد بالتعوذ عند قراءة القران وهو سنة
مشروعة في الصلوة وعند قراءة القران قبل القراءة عندنا وهو قول اكثر العلماء وذهب ابو هريرة
ومالك وداود بن جرير الطبري الى انه بعد القراءة كانهم يحملون في الاية تقديما وتاخيرا فيقولون
المعنى استعذ بالله ان قرات القران والصحيح هو الاول وعليه الجمهور لما رواه ابو سعيد الخدري
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان اذا قام الى الصلوة استفتح ثم يقول اعوذ بالله السميع العليم من
الشيطان الرجيم من همزه ونفخه ونفثه رواه احمد والترمذي وقال ابن المنذر جاء عن النبي صلى
الله عليه وسلم انه كان يقول قبل القراءة اعوذ بالله من الشيطان الرجيم وقال الاسود رايت
عمر حين يفتتح الصلوة يقول سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك ولا اله غيرك
ثم يتعوذ رواه الدارقطني وعن عائشة قالت كان النبي صلى الله عليه وآله اذا استفتح الصلوة
قال سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك ولا اله غيرك رواه ابو داود والدارقطني
مثله من رواية انس والخمسة مثله من حديث ابي سعيد والمختار في لفظ الاستعاذة
عند علماء الحديث واكثر القراء اعوذ بالله من الشيطان الرجيم وهو مذهب عاصم وابي عمرو وهو المذكور
في الاية فيكون هو الاقوى لموافقة القران وهو مروي عن ابن مسعود ووكيع بن الجراح وسفيان
الثوري قال الحاكم في تفسير المعوذتين ان التعوذ في امر الدين والدنيا واجب ومن
الفريقين الجن والانس فيدخل فيه رؤساء الضلالة وعلماء السوء واهل البدع اذ الاضرار اعظم من ضررهم

باب في مدة نزول القران

روى عكرمة عن ابن عباس قال انزل القران جملة واحدة من اللوح المحفوظ في ليلة القدر الى سماء الدنيا
ثم انزل بعد ذلك في عشرين سنة وقال الشعبي فرق تنزيل القران فكان بين اوله واخره عشرون سنة

وقال الحسن ذكر لنا انه كان بين اوله واخره ثماني عشرة سنة انزل عليه بمكة ثماني سنين وبالمدينة
عشر

باب واختلفوا في اول ما نزل من القران

فروى عكرمة عن ابن عباس وعروة عن عائشة ان اول ما نزل اقرا باسم ربك ونحوه قال قتادة وابو صالح
وروي عن جابر ان اول ما نزل يا ايها المدثر والصحيح انه لما نزل عليه اقرا باسم ربك رجع فتدثر فنزل
يا ايها المدثر يدل عليه ما روي في الصحيحين من حديث جابر قال سمعت النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقول
وهو يحدث عن فترة الوحي فقال في حديثه فبينما انا امشي سمعت صوتا من السماء فرفعت راسي فاذا الملك
الذي جاءني بحراء جالسا على كرسي بين السماء والارض فجئثت منه رعبا فرجعت فقلت زملوني زملوني فدثروني
فانزل الله تعالى يا ايها المدثر ومعنى جئثت ذعرت وخفت

باب واختلفوا في

اخر ما نزل فروى البخاري من حديث ابن عباس ان اخر اية انزلت اذا جاء نصر الله والفتح وفي اخر
الصحاح عن ابن عباس ان اخر اية انزلت اية الربا وفي افراد مسلم ان اخر اية نزلت اذا جاء نصر الله
والفتح وروى الضحاك عن ابن عباس ان اخر اية انزلت واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله وقيل اخر
اية انزلت اية الكلالة واخر سورة انزلت سورة براءة وروى ابي بن كعب ان اخر اية انزلت لقد جاءكم
رسول من انفسكم عزيز عليه الى اخر السورة

باب التسمية

لا اختلاف بين القراء في قراءة بسم الله الرحمن الرحيم في اول الحمد وفي تركها في اول براءة واختلفوا
فيما عداهما من السور فحمزة وابو عمرو وورش وحمزة بغير فصل بين السورتين ببسم الله الرحمن الرحيم
في جميع القران والباقون بالفصل بينهما في القران كله

سورة فاتحة الكتاب مكية

وقيل مكية ومدنية لانها نزلت بمكة مرة وبالمدينة اخرى وتسمى ام القران لاشتمالها على المعاني
التي في القران من الثناء على الله بما هو اهله ومن التعبد بالامر والنهي والوعد والوعيد وفي
تفسير الثعلبي انزل الله مائة كتاب واربعة كتب اودع علومها اربعة منها التوراة والانجيل
والزبور والفرقان وروى ابو مجلز في تفسيره ثم اودع علوم هذه الاربعة الفرقان ثم اودع علوم
الفرقان المفصل ثم اودع علوم المفصل فاتحة الكتاب فمن علم تفسيرها كان كمن علم تفسير كتب الله
المنزلة ومن قراها فكانما قرا التوراة والانجيل والزبور والفرقان وروى ابو مجلز في تفسيره
ان ابليس رن اربع رنات حين لعن وحين اهبط وحين ولد رسول الله صلى الله عليه وآله وحين انزلت
فاتحة الكتاب وسمي فاتحة الكتاب لانها يستفتح بها الكتاب تلاوة وكتابة ومن اسمائها ام القران
وام الكتاب لانها امت الكتاب بالتقديم وسورة الكنز والوافية وسورة الحمد والمثاني لانها تثنى
في كل صلوة وسورة الصلوة لانها تكون فاضلة او مجزية بقراءتها فيها على ما روي عن زيد بن علي

والناصر عليهما السلام ان الواجب قراءتها في الركعتين الاوليين وهو قول ابي حنيفة وعند
قراءة الفاتحة وغيرها شرط في جميع الركعات وقال ك يجب في اكثر الركعات واكثر مذهب الائمة عليهم السلام
انه لا بد من قراءتها معها او شيء من السور او الايات المتصلة لقوله صلى الله عليه واله فاتحة الكتاب شفاء من
السم ويروى انها شفاء من كل داء الا السام والهرم • وعنه صلى الله عليه واله وسلم فاتحة الكتاب
رقية من كل شيء ومن اسمائها الصلوة لما رواه ابو هريرة عن النبي صلى الله عليه واله وسلم قال قال
الله تعالى قسمت الصلوة بيني وبين عبدي فاذا قال العبد الحمد لله رب العالمين قال حمدني عبدي
واذا قال الرحمن الرحيم قال مجدني عبدي واذا قال مالك يوم الدين قال فوض الي عبدي واذا
قال اياك نعبد واياك نستعين قال الله هذه بيني وبين عبدي ولعبدي ما سأل • واذا قال اهدنا
الصراط المستقيم صراط الذين انعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين قال هذه لك رواه مسلم
وعنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه واله يقول قال الله سبحانه قسمت الصلوة بيني وبين عبدي
نصفين نصفها له يقول عبدي اذا افتتح الصلوة بسم الله الرحمن الرحيم فاقول ذكرني عبدي
ثم يقول الحمد لله رب العالمين فاقول حمدني عبدي ثم يقول الرحمن الرحيم فاقول اثنى علي عبدي ثم يقول
مالك يوم الدين فاقول مجدني عبدي ثم يقول اياك نعبد واياك نستعين فهذه الاية بيني وبين
عبدي نصفين واخر السورة لعبدي ولعبدي ما سأل وما اشتملت هذه الفضيلة اذ لم ترد في شيء من
القران هذه المقاسمة التي وردت في الفاتحة بين الله تعالى وبين العبد وهي سبع ايات بالاتفاق

بسم الله الرحمن الرحيم

قرا المدينة والبصرة والشام وفقهاؤها على ان التسمية ليست باية من الفاتحة ولا من غيرها
من السور وانما كتبت للفصل والتبرك بالابتداء بها كما تذكر في كل شيء وهو مذهب ح ومن تابعه
ولذلك لا يجهر بها عندهم في الصلوة قال الامام مالك رحمه الله لا تقرا بها في صلوة الفريضة سرا ولا
جهرا وان قراها النافلة جاز وحجتهم ما رواه انس بن مالك رحمه الله قال صليت مع النبي صلى الله عليه وسلم
وابي بكر وعمر وعثمن فلم اسمع احدا منهم يقرا بسم الله الرحمن الرحيم رواه احمد ومسلم وفي لفظ صليت
خلف النبي صلى الله عليه واله وخلف ابي بكر وعمر وعثمن فكانوا لا يجهرون ببسم الله الرحمن الرحيم
رواه احمد والنسائي باسناد شرط الصحيح ولاحمد ومسلم صليت خلف النبي صلى الله عليه واله وسلم
وابي بكر وعمر وعثمن وكانوا يستفتحون بالحمد لله رب العالمين ولا يذكرون بسم الله الرحمن الرحيم
في اول قراءة ولا في اخرها ولعبد الله بن احمد في مسند ابيه عن شعبة عن قتادة عن انس بن مالك قال صليت
خلف النبي صلى الله عليه واله وخلف ابي بكر وعمر وعثمن فلم يكونوا يستفتحون القراءة ببسم الله الرحمن الرحيم
قال شعبة قلت لقتادة انت سمعته من انس قال نعم نحن سالناه عنه وللنسائي عن منصور بن زاذان

عن انس قال صلى بنا رسول الله صلى الله عليه واله وسلم فلم يسمعنا قراءة بسم الله الرحمن الرحيم وصلى
بنا ابو بكر وعمر فلم نسمعها منهما وعن عبد الله بن مغفل قال سمعني ابي وانا اقول بسم الله الرحمن الرحيم
فقال يا بني اياك والحدث قال ولم ار من اصحاب رسول الله صلى الله عليه واله رجلا كان ابغض اليه
حدثا في الاسلام منه فاني صليت مع رسول الله صلى الله عليه واله ومع ابي بكر وعمر ومع عثمن فلم اسمع احدا
منهم يقولها فلا تقلها اذا انت قرات فقل الحمد لله رب العالمين رواه الخمسة الا ابا داود ومعنى قوله
لا يقرؤونها وقوله لا يقرؤون بها او لا يذكرونها او لا يستفتحون بها اي جهرا بدليل قوله في رواية لا يجهرون
بها وذلك يدل على قراءتهم لها سرا وقرا مكة والكوفة وفقهاؤهما على انها اية من الفاتحة وغيرها
وفائدته ان تبطل الصلوة لاجل ترك الفاتحة من دون تسميتها وعليه ش واص ولذلك يجهرون بها وقالوا
قد اثبتها السلف في المصحف مع توصيتهم بتجريد القران ولم يثبتوا امين فلولا انها من القران لما
اثبتوها وعن ابن عباس من تركها فقد ترك مائة واربع عشرة اية من كتاب الله وهو مذهب ائمة
العترة عليهم السلام لا يختلفون فيه وحجتهم ما رواه جعفر الصادق عن ابيه عن جده عن علي عليهم السلام
قال قال رسول الله صلى الله عليه واله كل صلوة لم يجهر فيها ببسم الله الرحمن الرحيم فهي اية اختلسها
الشيطان وعن عمار بن ياسر قال كان رسول الله صلى الله عليه واله يجهر في المكتوبات ببسم الله الرحمن الرحيم
وعن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه واله لم يزل يجهر ببسم الله الرحمن الرحيم حتى قبض وعن ابن عمر رضي
صليت خلف رسول الله صلى الله عليه واله فجهر ببسم الله الرحمن الرحيم في كلتا السورتين حتى قبض وصليت
خلف ابي بكر فلم يزل يجهر بها في كلتا السورتين حتى هلك وصليت خلف عمر فلم يزل يجهر بها في كلتا السورتين
حتى هلك وانا اجهر بها ولن ادعه حتى اموت • قال م بالله عليه فان ترك الجهر ببسم الله الرحمن الرحيم
وبغيرها من الايات والسورة لم تبطل الصلوة مع انه واجب وهو قول ح وش والباء متعلقة بمحذوف
تقديره بسم الله اقرا او اتلو كما ان المسافر اذا حل او ارتحل فقال بسم الله فمعناه باسم الله احل
وباسمه ارتحل وتعلق الاسم بالقراءة تعلق القلم بالكتبة في قولك كتبت بالقلم على معنى ان المؤمن لما اعتقد
ان فعله لا يكون معتدا به في الشرع واقعا على السنة حتى يصدر بذكر الله والا كان فعلا كلا فعل
جعل فعله مفعولا باسم الله كما يفعل الكتب بالقلم ومعناه من الله تعليم عباده كيف يتبركون باسمه وكيف
يحمدونه ويمجدونه ويعظمونه والله اسم يفرد به الباري سبحانه واصله الاله حذفت الهمزة وعوض
منها حرف التعريف والاله اسم جنس يقع على كل معبود حقا او باطلا ثم غلب على المعبود بحق واما الله
مختص بالمعبود بالحق لم يطلق على غيره وهو اسم غير صفة والرحمن الرحيم صفتان مشتقتان معناهما
ذو الرحمة ولا فرق بينهما مثل ندمان ونديم قال رضي الله عنه وفي الرحمن من المبالغة ما ليس في الرحيم
ولذلك قالوا رحمن الدنيا والاخرة ورحيم الدنيا ويقولون الزيادة في البناء لزيادة المعنى وهو صفة عامة
لم يستعمل في غير الله عز وجل ومعنى وصف الله بالرحمة وهي العطف والحنو مجاز عن انعامه على عباده

لان الملك اذا عطف على رعيته ورق لهم اصابهم بمعروفه وانعامه كما انه اذا ادركته الفظاظة
والقسوة عنف بهم ومنعهم خيره ومعروفه وقدم الرحمن على الرحيم لانه لما قال الرحمن تناول جلائل
النعم وعظائمها اردفه الرحيم ليتناول ما دق منها ولطف **الحمد لله** الحمد والمدح اخوان وهو الثناء
الجميل من نعمة وغيرها والشكر على النعمة خاصة وهو بالقلب واللسان والجوارح والحمد باللسان وحده
فهو احدى شعب الشكر ومنه قوله عليه السلام الحمد راس الشكر ما شكر الله عبد لم يحمده وانما جعل راس الشكر
لان ذكر النعمة باللسان والثناء على موليها اشيع لها وادل على مكانها من الاعتقاد وخفاء عمل القلب
رب العالمين اي المالك والرب المالك ولم يطلقوه الا في الله وحده وفي غيره مقيدا مضافا والعالمين
اسم لذوي العلم من الملائكة والثقلين وقيل كلما علم به الخالق من الاجسام والاعراض واطلق
ليشمل كل جنس مما سمي به **الرحمن الرحيم** معناهما الوصف بعظيم الرحمة كما تقدم **ملك يوم الدين**
اي مالك يوم الجزاء والحساب لانه ينفرد في ذلك اليوم بالحكم وخصه بالذكر تعظيما لشانه ولان املاك
الملوك زائلة فيه وقرا عاصم والكسائي مالك وملك اعم في الوصف وهو الاختيار لانه قراءة اهل
الحرمين ولان الملك يعم والملك يخص وقال القرطبي احتج بعضهم على ان مالك ابلغ من ملك لان فيه
زيادة حرف فلقارئه زيادة عشر حسنات زيادة على من قرا ملك بغير الف **اياك نعبد** اي نخصك
بالعبادة **واياك نستعين** اي نطلب منك المعونة والعبادة اقصى غاية الخضوع والتذلل
ولا يستعمل الا في الله لانه المولى لعظائم النعم فكان حقيقا باقصى غاية الخضوع والعدول من لفظ
الغيبة الى الخطاب يسمى الالتفات في علم البيان وجيء به هاهنا جريا على عادة العرب في الكلام
وتصرفهم فيه لانه اذا نقل من اسلوب الى اسلوب كان ابلغ تطرية لنشاط السامع وايقاظا للاصغاء
اليه من اجرائه على اسلوب واحد مع ما فيه من اظهار التمكن من التصرف في الكلام والتوسع
فيه وقرنت الاستعانة بالعبادة ليجمع بين ما يتقرب به العباد الى ربهم وبين ما يطلبونه ويحتاجون
اليه من جهته وقدمت العبادة على الاستعانة لان تقديم الوسيلة قبل طلب الحاجة يوجب الاجابة
واطلقت الاستعانة ليتناول كل مستعان فيه **اهدنا الصراط المستقيم** الصراط الطريق
اي دلنا عليه واسلك بنا فيه او ثبتنا عليه والمراد طريق الحق وملة الاسلام ومعنى طلب الهداية
وهم مهتدون التطلب لزيادة الهدى بمنح الالطاف وقيل انما طلبوا الهداية مع وجودها لان السؤال
عبادة **صراط الذين انعمت عليهم** بالهداية وهم قوم موسى وعيسى قبل ان يغيروا وانعم الله عز وجل
وقيل هم الذين ذكرهم الله تعالى في قوله واولئك مع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين
والشهداء والصالحين واطلق الانعام ليشمل كل انعام لان من انعم الله عليه بنعمة الاسلام
لم يبق نعمة الا اصابته واشتملت عليه **غير المغضوب عليهم** اي غير الذين غضب عليهم وهم
اليهود ومعنى الغضب من الله عز وجل ارادة الانتقام من العصاة وانزال العقوبة بهم **ولا الضالين**

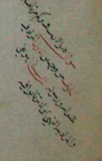
اي ولا الذين ضلوا وهم النصارى رواه عدي بن حاتم عن النبي صلى الله عليه وآله وقال ابن قتيبة والضلال
الحيرة والعدول عن الحق قال رضي الله عنه كان المسلمين سألوا الله ان يهديهم طريق الذين انعم الله عليهم
بالهداية وان لا يغضب عليهم كما غضب على اليهود وان لا يضلوا عن الحق كما ضلت النصارى ودخلت
لا هاهنا لما في غير من معنى النفي كانه قال لا المغضوب عليهم ولا الضالين **آمين** بمعنى اسمع واستجب
قال رضي الله عنه هو صوت سمي به الفعل الذي هو استجب وهو مبني وعن ابن عباس سالت رسول
الله صلى الله عليه وآله عن معنى آمين فقال معناه افعل وعنه صلى الله عليه وآله لقنني جبريل آمين
عند فراغي من قراءة الفاتحة وقال انها كالختم على الكتاب وليس من القرآن لانه لم يثبت في المصاحف
وعن الحسن لا يقولها الامام لانه الداعي وعن ابي حنيفة مثله والمشهور عنه وعن اصحابه انه يخفيها
وعن الشافعي يجهر بها وهي عندهم سنة مؤكدة واختلف ائمتنا عليهم السلام فيها فالذي ذكره السيد وط المذهب
الهادي عليه السلام انها تفسد الصلاة واليه اشار في الاحكام وحجتهم انها ليست من القرآن وانها غير مشروعة
والذي ذهب اليه الباقر عليه السلام وولده الصادق واخوه زيد بن علي ومن تابعه واحمد بن عيسى والناصر للحق
في احدى الروايتين عنه انها لا تفسد وقواه حي والدنا يحيى بن حمزة والامام محمد بن مطهر وقال احمد بن عيسى علم
في العلوم ان شاء قال آمين وان شاء ترك وكل ذلك واسع لا حرج فيه وحجتهم ما رواه ابو هريرة ان النبي صلى
الله عليه وآله قال اذا امن الامام فامنوا فان من وافق تامينه تامين الملائكة غفر له ما تقدم من
ذنبه رواه الجماعة البخاري ومسلم والترمذي وابو داود والنسائي وابن ماجة وفي رواية اذا قال
الامام غير المغضوب عليهم ولا الضالين فقولوا آمين فان الملائكة تقول آمين وان الامام يقول آمين
فمن وافق تامينه تامين الملائكة غفر الله ما تقدم من ذنبه رواه احمد والنسائي وعن ابي هريرة
قال كان رسول الله صلى الله عليه وآله اذا تلا غير المغضوب عليهم ولا الضالين قال آمين حتى يسمع
من يليه من الصف الاول رواه ابو داود وابن ماجه وقال حتى يسمعها اهل الصف الاول فيرتج بها
المسجد وعن وائل بن حجر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قرا غير المغضوب عليهم ولا الضالين
فقال آمين مد بها صوته رواه احمد وابو داود والترمذي **سورة البقرة مدنية وهي**

مائتان وسبع وثمانون آية

بسم الله الرحمن الرحيم الم

قال رضي الله عنه اعلم انك اذا تاملت ما اورده الله عز سلطانه في الفواتح من هذه الاسماء وجدتها
نصفا لاسامي حروف المعجم اربعة عشر سواء وهي الالف واللام والميم والصاد والراء والكاف والهاء
والياء والعين والطاء والسين والحاء والقاف والنون في تسع وعشرين سورة على عدد حروف المعجم
ثم اذا نظرت في هذه الاربعة عشر وجدتها مشتملة على انصاف اجناس الحروف ثم اذا استقريت الكلم
وتراكيبها رايت الحروف التي القى الله ذكرها مكثورة بالمذكورة منها فسبحان الذي دقت في كل

في حكمه وقد علمت ان معظم الشي وجله ينزل منزلة كله وفي وقوعها على هذه الصوره فواتح للسور
اوائل السور ولها وعليه الاكثر انها اسماء للسور كان المعنى تسميه السور بهذه الالفاظ خاصه الاعلام
بان القران ليس الا كلما عربيه معروفه التراكيب من مسميات هذه الالفاظ وبانها ان يكون ورود
هذه الاسماء مسروده على نمط التعديد كالايقاظ وقرع العصا لمن تحدى بالقران وبغرابه نظمه
وكالتحريك للنظر في ان ما تلي عليهم وقد عجزوا عن معارضته كلام من جنس ما ينطقون منه كلامهم ليؤديهم النظر
الى سقوط مقدرتهم دونه وظهور عجزهم ان ياتوا بمثله بعد المراجعات الطويله وهم امرا الكلام
وزعما الحوار والحراص على التساجل في الخطب والمتهالكون على الافتنان في القصيد والرجز ولم
يبلغ من الجزاله وحسن النظم المبالغ التي بزت بلاغه كل ناطق وشقت غبار كل سابق ولم يتجاوز الحد
الخارج من قوى الفصحا ولم يقع مطامح اعين البصرا الا لانه ليس بكلام البشر وانه كلام خالق
القوى والقدر وبالتنبيه ان يرد القران مصدره بذلك ليكون اول ما يقرع الاسماع مستقلا بنوع
من الاغراب وتقدمه من دلايل الاعجاز وذلك ان النطق بالحروف انفسها كانت العرب فيه مستويه
الاقدام الاميون منهم واهل الكتاب بخلاف النطق باسامي الحروف فانه كان مختصا بمن خط وقرا
وخالط اهل الكتاب وتعلم منهم وكان مستغربا مستبعدا من الامي التكلم بها وكان حكم النطق بذلك
مع اشتهار انه صلى الله عليه واله لم يكن ممن اقتبس شيا من اهله حكم الاقاصيص المذكوره في القران
التي لم تكن قريش ومن دان بدينها في شي من الاحاطه بها ولم يعرفوا ان ذلك ليس الا من جهه الوحي المشاهد
لصحه نبوته وعن ابن عباس اقسم الله بهذه الحروف ولم يفرد بجمعها في اول القران وانما جاءت
متفرقه على السور لان اعادته من التنبيه بها وتجديده في مواضع كثيره اوصل الى الغرض واقر له في
الاسماع والقلوب من ان يذكر مره واحده وهذا حكم كل تكرير جاء في القران مطلوبا به تمكين
المكرر في النفوس وتقريره ولم يجي على طريقه واحده بل اختلفت اعداد حروفها على عاده العرب في
التفنن في الكلام وتصرفهم فيه على طرق شتى ومذاهب مختلفه فتلك هذه الفواتح ذكر المسلك
ولا وجه لاختصاص كل سوره بالفاتحه التي اختصت بها لان الغرض هو التنبيه والاوايل كلها
في اداء هذا الغرض سواء لا مفاضله بينها فتطلب وجه الاختصاص ساقط كما اذا سمى الرجل بعض
اولاده زيدا والاخر عمرا لم يقل له لم خصصت هذا بزيد وذاك بعمرو وعدو بعض هذه الفواتح
ايه دون بعض لانه علم توقيفي لا مجال للقياس فيه كما عدوا الرحمن وحده ايه ومدهامتان ايه
على طريق التوقيف **ذَلِكَ الْكِتَابُ** الكامل القران او السوره وصحه الاشاره الى ما ليس ببعيد
لانه لما تقول التكلم به وتقضى صار في حكم المتباعد ولانه لما وصل من المرسل الى المرسل اليه وقع
في حد الساعد **لَا رَيْبَ فِيهِ** الريب الشك اي لا شك في انه حق وصدق لا باطل ولا كذب وليس
المعنى ان احدا لا يرتاب فيه فكم من مرتاب فيه وانما المعنى كونه بعيدا للريب ومظنه له لانه



من وضوح الدلاله وسطوع البرهان بحيث لا ينبغي لمرتاب ان يقع فيه والوقف على فيه هو المشهور
وعن نافع وعاصم انهما وقفا على لا ريب والتقدير لا ريب فيه فيه **هُدًى لِلْمُتَّقِينَ** الهدى الدلاله الموصله
الى البغيه وهو معنى البيان والارشاد والمتقي في الشريعه الذي يقي نفسه تعاطي ما يستحق به العقوبه
من فعل او ترك واختلف في الصغاير والاصح انه لا تتناولها لانها تقع مكفره عن مجتنب الكباير ويطلق
على الرجل اسم المومن لظاهر الحال والمتقي لا يطلق الا عن خبره كما لا يجوز اطلاق اسم العدل الا على المختبر
وخص المتقين لما كانوا هم الذين انتفعوا به دون غيرهم **الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ** اي يصدقون
به ويثقون بانه حق والمومن من امن نفسه او غيره مما يخاف والغيب ما غاب عنا والمراد به الخفي الذي
لا ينفذ فيه ابتداء الا علم اللطيف الخبير وانما نعلم منه ما علمناه او نصب لنا دليلا عليه والمعنى
وصفهم بتصديق ما تضمنه القران من الاخبار عن الغيوب والبعث والنشور وساير ما لا علم لهم به
لما روي ان اصحاب ابن مسعود ذكروا اصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وايمانهم فقال عبد الله ان امر
محمد كان بينا لمن راه والذي لا اله غيره ما امن مومن افضل من ايمان بغيب ثم قرا هذه الايه والايمان
الصحيح ان يعتقد الحق ويعرب عنه بلسانه ويصدقه بعمله فمن اخل بالاعتقاد وان شهد وعمل فهو
منافق ومن اخل بالشهاده فهو كافر ومن اخل بالعمل فهو فاسق **وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ** اقامتها تعديل
اركانها وحفظها من ان يقع زيغ في فرايضها وسننها وادابها والصلوه في اللغه الدعاء ومن الهيا
في الشرع هيات واركان واذكار وقيل يقيمونها بالمحافظه على اوقاتها ووضوها وركوعها وسجودها
وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ اي اعطيناهم **يُنْفِقُونَ** يخرجون واصل الانفاق الاخراج قال رضي الله عنه
اسند الرزق الى نفسه للاعلام بانهم ينفقون الحلال الخالص الذي يستحق ان يضاف الى الله تعالى
وسمي رزقا منه وادخل من التبعيضيه صيانه لهم عن الاسراف وكفا عن التبذير المنهي عنه ويحتمل
ان يراد الزكوه المفروضه لاقترانها باختها وهي الصلوه وان يراد هي وغيرها من النفقات في سبل الخير
المحبه مطلقا والصلوه والصدقه اما العبادات البدنيه والماليه ولذلك سمى رسول الله صلى الله عليه
واله الصلوه عماد الدين وجعل الفاصل بين الاسلام والكفر تركها وسمى الزكوه قنطره الاسلام
وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ من القران والشريعه **وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ** من الكتب
المتقدمه كالتوريه والانجيل وغيرهما يحتمل ان يراد بهم مومنو اهل الكتاب كعبد الله بن سلام
واضرابه من الذين امنوا فاشتمل ايمانهم على كل وحي انزل من عند الله **وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ** يعني وايقانهم
بالاخره ايقانا زال معه ما كانوا عليه من انه لا يدخل الجنه الا من كان هودا او نصارى وان النار لن تمسهم
الا اياما معدودات **أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ** اي على رشاد ونور واستقامه هذه اشاره الى ان
الذين هذه عقايدهم واعمالهم احقاء ان يهديهم الله تعالى ويعطيهم الفلاح خلاف اليهود الذين لم
يومنوا بك **وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ** اي الظافرون بنعيم الاخره لضرهم على هذه الامور وتكثير

الهدى مفيد لتعظيمه وتعريف المفلحون دليل على ان المتقين هم الناس الذين يفلحون في الآخرة
قال رضي الله عنه ولما قدم الله ذكر اوليائه وخالصة عباده بصفاتهم التي اهلتهم لاصابة الزلفى
عنده وبين ان الكتاب هدى ولطف لهم خاصة قفى على اثره بذكر اضدادهم العتاة المردة من الكفار
الذين لا ينفع فيهم الهدى ولا يجري عليهم اللطف وسواء عليهم وجود الكتاب وعدمه وانذار الرسول
وسكوته فقال **إن الذين كفروا** اي ستروا ما انعم الله عليهم من الهدى والآيات وجحدوها وتركوا
توحيد الله **سواء عليهم** اي مستو عندهم **ءأنذرتهم** يعني اعلمتهم وخوفتهم **أم لم تنذرهم**
اي مستو عليهم انذارك وعدمه لهم **لا يؤمنون** نزلت هذه الآية في ابي جهل وابي لهب والوليد بن المغيرة
واضرابهم من مشاهير قريش الذين لم ينفع فيهم الموعظة ولا ردعهم الانذار ثم ذكر سبب تركهم للايمان فقال
ختم الله على قلوبهم اي طبع عليها واستوثق منها حتى لا يدخلها الايمان ولا يتوصل اليها **وعلى**
سمعهم اي مسامعهم حتى لا يسمعوا ما يسمعون **وعلى أبصارهم غشاوة** اي غطاء لا يبصرون الحق ولا
يهتدون اليه غشاه اذا غطاه قال رضي الله عنه وردت هذه الآية ناعية على الكفار شناعة صفتهم
وشناعة حالهم وتنبيه بذلك الوعيد بقوله **ولهم عذاب عظيم** اي نوع من لا يعلم كنهه الا الله عز وجل
قال رضي الله عنه والختم على القلوب والاسماع وتغشية الابصار من باب المجاز والتمثيل اذ لا ختم ولا تغشية
على الحقيقة لكن لما اعرضت قلوبهم عن الحق ولم يتعدوا فيها ولا تخلص الى ضمائرهم لاعراضهم واستكبارهم عن قبوله
واسماعهم لما مجته وعافته نماعة وابصارهم لانها لم تجتلي آيات الله المعروضة ودلائله المنصوبة جعلت
كانما استوثق منها بالختم وكانما غطي عليها وحجبت وحيل بينها وبين الادراك شبهت بما لم تسمعوا
بها في الاعراض بابنيته التي كلفوها وخلقوا من اجلها باشياء ضرب حجاب بينها وبين الاستماع بها بالختم
والتغطية واسناد الختم الى الله تعالى لينبه على ان هذه الصفة في تمكنها وثباتها كالشيء المخلوق غير
العارض كانهم خلقوا عليها ويجوز ان يستعار الاسناد في نفسه من غير الله على سبيل المجاز والشيطان
هو الخاتم وانه رأى على ذلك ومكنه اسناد محنه **ومن الناس من يقول آمنا بالله** نزلت هذه في المنافقين
وهم رأس النفاق عبد الله بن ابي واصحابه من اهل التصميم على النفاق وهم اخبث الكفرة وابغضهم الى
الله لانهم خلطوا بالكفر تمويها وتدليسا وبالشرك استهزاء وخداعا ولذلك انزل الله فيهم ان المنافقين
في الدرك الاسفل من النار ووصف حال الذين كفروا في آيتين وحالهم في ثلاث عشرة آية نعى عليهم فيها
خبثهم ومكرهم وفضحهم وسفههم واستجهلهم واستهزأ بهم وتهكم بفعلهم ودعاهم صما وبكما وضرب لهم الامثال
الشنيعة **وباليوم الآخر** وهو الابد الدائم الذي لا ينقطع وقيل هو الوقت المحدود من النشور الى
ان يدخل اهل الجنة الجنة واهل النار النار وخص بالذكر الايمان بالله واليوم الآخر كشفا لافراطهم
في الخبث وتماديهم فيه لان القوم كانوا يهودا وايمان اليهود بالله ليس بايمان لقولهم عزير ابن الله وكذلك
ايمانهم باليوم الآخر لانهم يعتقدونه على خلاف صفته فكان قولهم آمنا بالله وباليوم الآخر خبثا مضاعفا

وكفرا موجها حين اظهروا كلمة الايمان واسروا الكفر فنفى الله عنهم الايمان بقوله **وما هم بمؤمنين**
لان قولهم هذا لو صدر لا على وجه النفاق لكان كفرا فاذا قالوه على وجه النفاق خديعة للمسلمين
وازدراء بهم كان خبثا الى خبث وكفرا الى كفر **يخادعون الله والذين آمنوا** الخداع
ان يوهم الانسان صاحبه خلاف ما يريد من المكروه ولا يجوز على الله ان يخدع لانه عالم ولا ان يخدع لانه
يصح والمؤمنون وان جاز ان يخدعوا لم يجز ان يخدعوا فصورة صنيعهم مع الله تعالى حيث يظاهرون
بالايمان وهم كافرون صورة الخادع وصورة صنيع الله معهم حيث امر باجراء احكام المسلمين عليهم وهم كفرة
صورة الخادع ويحتمل ان هذا اخبار من الله بطيتهم الفاسد واعتقادهم ان الله تعالى ممن يصح خداعه
لجهلهم به **وما يخادعون إلا أنفسهم** لان ضرر الخداع وعقابه يعود عليهم باطلاع الله نبيه صلى
الله عليه وآله والمؤمنون على اسرارهم وافتضاحهم **وما يشعرون** اي وما يعلمون ذلك **في قلوبهم مرض**
يجوز ان يريد حقيقة المرض لان صدورهم كانت تغلي على رسول الله صلى الله عليه وآله وعلى المؤمنين
حنقا وغيظا ويتحرقون عليهم حسدا اشد الغضا ويجوز ان يستعار المرض لما كانوا عليه من سوء الاعتقاد
فزادهم الله مرضا لانه كلما انزل عليه الوحي فسمعوه وكفروا به فازدادوا كفرا الى كفرهم فكان الله هو
الذي زادهم ما ازدادوه وكلما ازداد رسوله نصره وتسلطا في البلاد ونقصا من اطراف البلاد
ازدادوا حسدا وبغضا **ولهم عذاب أليم بما كانوا يكذبون** اي بكذبهم آمنا بالله وفيه وجه
رمزا الى قبح الكذب وسماجته وتخييل ان العذاب لاحق بهم من اجل كذبهم والكذب الاخبار عن الشيء
على خلاف ما هو به وهو قبيح كله وفي الحديث اياكم والكذب فانه مجانب للايمان **وإذا قيل لهم** اي لهؤلاء
المنافقين **لا تفسدوا في الأرض** الفساد فيها هيج الحروب والفتن لان في ذلك فساد ما فيها وانتفاء
الاستقامة على احوال الناس والزروع والمنافع الدينية والدنيوية وكان فساد المنافقين انهم كانوا
يوالون الكفار على المسلمين بافشاء اسرارهم اليهم ويعوقون الناس عن الايمان **قالوا إنما نحن مصلحون**
اي ما شأننا الا الصلاح قالوا ذلك كذبا ونفاقا مع الانطواء على خلافه فرد الله عليهم ذلك ابلغ
رد وادله على سخط عظيم فقال **ألا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون** اي لا يعلمون ما هم عليه من الفساد
وان بينهم وبين الصلاح مسافات ومراحل **وإذا قيل لهم آمنوا كما آمن الناس** اي كما آمن محمد ومن معه او كما
آمن عبد الله بن سلام واشياعه لانهم من جلدتهم وابناء جنسهم اي كما آمن اصحابكم واخوانكم **قالوا أنؤمن**
كما آمن السفهاء يعنون ابن سلام واشياعه اي لا نفعل كما فعلوا وذلك انه غاظهم اسلامهم وفت في اعضادهم
فقالوا ذلك على سبيل الالتجاء توقيا من الشماتة مع علمهم انه من السفه بمعزل والسفه خفة العقل
وخفة الحلم وقيل كان اكثر المؤمنين فقراء ومنهم موال كصهيب وبلال وخباب وسلمان فدعوهم
سفهاء تحقيرا لشأنهم ولانهم كانوا اهل رياسة ويسار واعتقدوا ان ما هم فيه هو الحق وما عداه
باطل ومن ركب متن الباطل كان سفيها **ألا إنهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون** ما عليهم قال

فُصلت هذه الاية بلا يعلمون والتي قبلها بلا يشعرون لان امور الديانة ومعرفة ان المومنين على الحق
وما عداه باطل يحتاج الى نظر واستدلال واما النفاق وما فيه من البغي المودي الى الفتنة والفساد
في الارض فامر دنيوي مبني على العادات معلوم عند الناس خصوصا عند العرب في جاهليتهم وما
كانوا عليه من التغاور والتناحر والتجارب فهو كالمحسوس المشاهد ولانه قد ذكر السفه وهو جهل
فكان ذكر العلم معه احسن طباقا قال الله **وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا** اي اذا اجتمعوا مع المومنين ورأوهم
نزلت هذه الاية في رأس النفاق عبد الله بن ابي واصحابه خرجوا
قَالُوا آمَنَّا اي صدقنا بما انزل عليكم فقال ابن ابي انظروا كيف ارد هولاء السفهاء عنكم فاخذ بيد علي
ذات يوم فاستقبلهم نفر من الصحابة فقال مرحبا بالصديق سيد بني تيم وشيخ الاسلام وثاني رسول الله في الغار الباذل نفسه وماله لرسول الله ثم اخذ بيد ابي بكر فقال
مرحبا بالصديق سيد بني تيم وشيخ الاسلام وثاني رسول الله في الغار الباذل نفسه وماله لرسول الله فقال له علي
عمر فقال مرحبا بسيد بني عدي الفاروق القوي في دين الله الباذل نفسه وماله لرسول الله ثم اخذ بيد
علي فقال مرحبا بابن عم رسول الله وختنه سيد بني هاشم ما خلا رسول الله فقال له علي
يا عبد الله اتق الله ولا تنافق فان المنافق من خليقة الله فقال مهلا يا ابا الحسن ألي تقول هذا
والله ان ايماننا كايمانكم ثم افترقوا فقال لاصحابه كيف رأيتموني فعلت فاثنوا عليه خيرا فنزل **وَإِذَا**
لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا **وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ** اي اذا خلوا من المومنين وانصرفوا الى كبرائهم
وقادتهم الذين ماثلوا الشياطين في تمردهم **قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ** اي مصاحبوكم وموافقوكم على دينكم
وثابتون على اليهودية وقارون على اعتقاد الكفر **إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ** بالاسلام واهله وظهروا
خلاف ما نضمر والاستهزاء السخرية والاستخفاف **اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ** اي يجازيهم جزاء استهزائهم
ومعنى استهزائه انزال الحقارة والهوان بهم لان غرض المستهزئ طلب الزراية بمن يهزأ به وادخال
الهوان عليه والاستهزاء لا يجوز على الله تعالى لانه عبث قبيح لكنه مجاز في حقه تعالى **وَيَمُدُّهُمْ** اي يمهلهم
ويطول اعمارهم ويواصلهم بالوسواس حتى يزدادوا في العمى والضلال **فِي طُغْيَانِهِمْ** في اثرائهم وغلوهم
ومجاوزة الحد فيه **يَعْمَهُونَ** اي يترددون متحيرين **أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ** اي اخذوا الضلالة
وتركوا الهدى ومعنى اشترائها اختيارها عليه واستبدالها به على سبيل المجاز والاستعارة
لان الاشتراء فيه اعطاء بدل واخذ آخر وعن وهب قال الله عز وجل فيما يعتب بني اسرائيل يتفقهون لغير
الدين ويتعلمون لغير العمل ويبتاعون الدنيا بعمل الآخرة **قال رضي الله عنه**
ومعنى اشترائهم الضلالة بالهدى ولم يكونوا على هدى انهم جعلوا لتمكنهم منه واعراضهم عنه كانه
في ايديهم فاذا تركوه الى الضلالة فقد عطلوه واستبدلوها به ولان الدين القيم هو فطرة الله
التي فطر الناس عليها فكل من ضل فهو مستبدل خلاف الفطرة **فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ** الربح الفضل
على رأس المال والتجارة صناعة التاجر وهو الذي يبيع ويشتري للربح والمعنى الذي يطلبه التجار
في متصرفاتهم شيئان سلامة رأس المال والربح وهولاء اضاعوا الطلبتين معا لان رأس مالهم هو الهدى

فلم يبق لهم مع الضلالة وحين لم يبق في ايديهم الا هي لم يوصفوا باصابة ربح وان ظفروا بما
ظفروا من الاغراض الدنيوية ولا يقال لمن لم يسلم له رأس ماله قد ربح **وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ** فيما
فعلوا كما يكون التجار العالمون بما يربح فيه ويخسر **قال رضي الله عنه** ولما جاء بحقيقة
صفتهم عقبها بضرب المثل زيادة في الكشف وتتميما للبيان وفي ضرب المثل تبكيت للخصم وقمع
لشغبه فقال **مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا** اي حالهم في نفاقهم وابطانهم الكفر كحال
من اوقد نارا فاستضاء بها واضاءت النار ما حوله وامن مما يخاف ويحذر فبينا هو كذلك اذ
طفئت ناره فبقي مظلما خائفا متحيرا فذلك قوله **فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ**
لَا يُبْصِرُونَ كذلك حال المنافقين لما اظهروا كلمة الايمان واسروا الكفر اغتروا بها وامنوا فلما
ماتوا عادوا الى الخوف والعذاب **صُمٌّ** لتركهم قبول ما يسمعون **بُكْمٌ** لتركهم القول بالخير **عُمْيٌ** لتركهم
ما يبصرون من الهداية **فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ** عن الجهل والعمى الى الاسلام ثم ذكر تمثيلا آخر فقال
أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ السَّمَاءِ الصيب المطر الشديد الذي يصوب اي ينزل والسماء هي هذه المظلة وعن
الحسن انها موج مكفوف وقيل السماء السحاب **فِيهِ** اي في ذلك السحاب **ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ**
ظلمة السحاب وظلمة المطر لانه لا يخلو من ظلمة وظلمة الغيم وظلمة الليل والرعد الصوت
الذي يسمع من السحاب كان اجرامه يضطرب وينتقض اذا حركتها الريح فيصوت عند ذلك والبرق
هو النار التي تخرج منه **وفي الحديث وعن علي عليه السلام** الرعد ملك موكل بالسحاب معه مخاريق من نار
يسوق بها السحاب والبرق مخاريق الملائكة يسوقون بها السحاب
يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ يعني من شدة صوت الرعد يسدون آذانهم باصابعهم
كيلا يموتوا لشدة ما يسمعون من الصوت والصواعق جمع صاعقة وهي قصفة الرعد ينقض
معها شعلة من نار يقدح من اجرامها اذا اصطكت نار لطيفة حديدة لا تمر بشيء الا اهلكته الا
انها مع حدتها سريعة الخمود يحكى انها سقطت على نخلة فاحرقت نصفها ثم طفئت فالمطر مثل للقرآن
لما فيه من حياة القلوب والظلمات لما فيه من ذكر الكفر والشرك وبيان الفتن والاهوال
والرعد مثل لما خوفوا به من الوعيد وذكر النار والبرق مثل لحجج القرآن وما فيه من البيان وجعل
الاصابع في الآذان **حَذَرَ الْمَوْتِ** مثل لجعل المنافقين اصابعهم في آذانهم كيلا يسمعوا القرآن
مخافة ميل القلب اليه فيودي ذلك الى الايمان بمحمد صلى الله عليه وآله وذلك عندهم كفر والكفر موت
وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ اي مهلكهم وجامعهم في النار **يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ** هذا
مثل والمعنى يكاد ما في القرآن من الحجج يخطف قلوبهم من شدة ازعاجها الى النظر في امر دينهم
والخطف الاخذ بسرعة وشدة **كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا** يعني كلما
سمعوا شيئا مما يحبون صدقوا واذا سمعوا ما يكرهون وقفوا في مكانهم متحيرين وهذا مثل لشدة الامر

على المنافقين لما هم عليه من غاية التحير والجهل وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ اى باسماعهم
الظاهرة كما اذهب باسماعهم وابصارهم الباطنة حتى صاروا [illegible] فليحذروا
الظاهرة وَأَبْصَارِهِمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ لا يعجزه شيء يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ
عاجل عقوبة الله واجلها امروا بالعبادة والازدياد منها
قال رضي الله عنه
اى اخضعوا له بالطاعة لان كل ما نادى الله له
على هذه الطريقة فى كتابه تعالى ابتدا والناس عليها وقد كثر الله تعالى
من اخبار الامم الدارجة مما انطوت به عبادة من اوامره ونواهيه وعظاته وزواجره واقتصاص
كتابه امور عظام وخطوب جسام ومعان عليهم ان يتيقظوا لها ويميلوا بقلوبهم وبصائرهم
اليها وهم عنها غافلون فاقتضى الحال ان ينادوا بما فيه تأكيد وبلاغ الَّذِي خَلَقَكُمْ اى
انشاكم ولم تكونوا شيئا وقدر صوركم وسواكم وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ اى وانشأ الذين من قبلكم
من الامم السالفة لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ وهو الحم بعبادة المخلوق يعني ان عبادة الخالق اولى من عبادة المخلوق
اى لكى تتقوا بعبادته عقوبته ان تحل بكم ولعل ههنا بمعنى الترجي ومعناها واعبدوا الله
راجين للتقوى ولان تقوا انفسكم بالعبادة من عذاب ربكم وهو قول سيبويه الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ
فِرَاشًا اى بساطا ولم يجعلها حزنة غليظة لا يمكن الاستقرار عليها بل جعلها وطيئة تقعدون
عليها وتنامون وتتقلبون كما يتقلب احدكم على بساطه وفراشه وَالسَّمَاءَ بِنَاءً اى سقفا مبنيا
مرفوعا على وجه لا يسقط عليكم وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً وهو المطر فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ
يعني جميع الاشجار وجميع ما ينتفع به مما يخرج من الارض ومعنى اخراج الثمرات بالماء انه قادر على
اخراجها بغيره انه جعل الماء سببا لخروجها ومادة لها كما ان الرجل سبب لخلق الولد وهو قادر على
انشاء الاجناس بلا اسباب ولا مواد لكن له تعالى فى انشائها مدرجة من حال الى حال ونقولها
من مرتبة الى مرتبة حكما ودواعي يجددونها للملائكة والنظار من عباده عبرا وافكارا صالحة
وزيادة طمأنينة وسكونا الى عظم قدرته وباهر حكمته وغريب صنعته ليس ذلك فى انشائها
دفعة واحدة من غير تدرج وترتيب فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا اى امثالا من الاصنام التى تعبدونها
لان اصل العبادة التوحيد ولم يكونوا يعبدون ان اصنامهم تخالق الله تعالى لكن لما عظموها وسموها
آلهة قيل لهم ذلك على سبيل التهكم وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ اى انتم من اهل العلم والدراية والمعرفة
بانهم لا يخلقون قال رضي الله عنه فى هذه الآية قدم الله سبحانه من موجبات
عبادته وملزمات حق الشكر لهم خلقهم احياء قادرين اولا لانه سابقة اصول النعم ومقدمتها
والسبب فى التمكن من العبادة والشكر وغيرهما ثم خلق الارض التى هى مكانهم ومستقرهم الذى لا بد لهم
منه وهى بمنزلة عرصة المسكن ومتقلبه ومفترشه ثم خلق السماء التى هى كالقبة المضروبة والخيمة
المطنبة على هذا القرار ثم ما سواه عز وجل من شبه عقد النكاح بين المقلة والمظلة بانزال

الماء منها عليها والاخراج به من بطنها اشباه النسل المنتج من الحيوان من الوان الثمار رزقا
لبني آدم ليكون لهم ذلك معتبرا ومتسلقا الى النظر الموصل الى التوحيد والاعتراف ونعمة يعرفونها
ويقابلونها بلازم الشكر ويتفكرون فى خلق انفسهم وخلق ما فوقهم وتحتهم وان شيئا من هذه
المخلوقات كلها لا يقدر على ايجاد شي منها فيتيقنوا عند ذلك ان لا بد لها من خالق ليس كمثلها حتى
لا يجعلوا المخلوقات لها آلهة اندادا وهم يعلمون انها لا تقدر على نحو ما هو عليه قادر قال رضي الله عنه
فى هذه الآية قدم الله سبحانه من موجبات عبادته وهكذا كانت العرب خاصة سيما المغرم
من قريش وكنانة فانهم كانوا الا اصطلى بنارهم فى استحكام المعرفة بالامور وحسن الاحاطة بها
ولهم معرفة بدقائق الامور وفطنة زائدة فى تدبير دنياهم ولما احتج الله عليهم بما يثبت الوحدانية ويحققها
ويبطل الشرك ويهدمه وعرفهم ان من اشرك فقد كابر عقله وغطى ما انعم الله به عليه من معرفة
عطف على ذلك الحجة على اثبات نبوة محمد صلى الله عليه وآله وسلم وما يدحض الشبهة فى كون القرآن
معجزة واراهم كيف يتعرفون اهو من عند الله كما يدعي محمد ام هو من عنده نفسه كما يدعون وامرهم ان
يروضوا انفسهم ويذوقوا طباعهم وهم ابناء جنسه واهل بلدته فقال وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا
عَلَى عَبْدِنَا اى فى شك من صدق هذا الكتاب الذى انزلناه على محمد وقلتم لا ندري هل هو من
عند الله ام لا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ فى الاعجاز وحسن النظم والاخبار عما كان وما يكون وهذا
غاية التبكيت وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ اى واستعينوا بآلهتكم التى تدعونها من دون الله
وزعمتم انهم يشهدون لكم يوم القيامة انكم على الحق اوانكم اتيتم بمثله وهذا من المساهلة وارخاء العنان
إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ان محمدا تقوله من نفسه فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا هذا فيما مضى وَلَنْ تَفْعَلُوا
اى فيما يستقبل ابدا فَاتَّقُوا النَّارَ اى فاتركوا المعاندة وقبول الحق بعد وضوحه واحذروا
ان تصلوا النار الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ يعني حجارة الكبريت وهي اشد لاتقادها وقيل
المعنى وقودها الناس والحجارة انها نار متميزة عن غيرها من النيران بانها لا تتقد الا بالناس
والحجارة لشدة حرها ونار الجحيم اعاذ الله منها بان شيا منها نار يوقد بالناس والحجارة ولعل للكفار
الجن وشياطينهم نارا وقودها الشياطين كما ان لكفرة الانس نارا وقودها هم قال رضي الله عنه
وجعلت الحجارة معهم وقودا لانهم قرنوا بها انفسهم فى الدنيا حيث نحتوها اصناما وعبدوها
ومعنى اعدت أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ اى هيئت جزاء لهم بتكذيبهم قال رضي الله عنه
ومن عادة الله فى كتابه ان يذكر الترغيب والترهيب ويشفع البشارة بالانذار ارادة التنشيط
لاكتساب ما يزلف والتثبيط عن اقتراف ما يتلف فلما ذكر الكفار واعمالهم واوعدهم بالعقاب
قفاه ببشارة عباده الصالحين فقال وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ البشارة
الاخبار بما يظهر سرور المخبر به فان كان خيرا اثر المسرة والنشاط وان كان شرا اثر المساءة والغم

اى اخبرهم بخبر يظهر به اثر السرور على بشرتهم أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ اى حدائق ذات اشجار تَجْرِي مِنْ
تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ اى من تحت اشجارها ومنازلها والجنة اسم لدار الثواب وهي مشتملة على جنات كثيرة
مرتبة مراتب على حسب استحقاقات العاملين لكل طبقات منهم جنات وصورة جري الانهار من
تحتها كما ترى الاشجار النابتة على شواطئ الانهار الجارية وعن مسروق انهار الجنة تجري في غير اخدود
وانزه البساتين واكرمها منظرا ما كانت اشجاره مظللة والانهار في خلالها مطردة وفي خلق
الجنة خلاف نقل الحسن انها مخلوقة واستدل بسكنى ادم وحوى ومجيئها في القرآن وعن الشعبي
اى على وابي هاشم انها لم تخلق ولو كانت مخلوقة لفنيت ولكل حجة كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا
اى كلما اطعموا من الجنات من اى ثمرة كانت من تفاحها او رمانها او عنبها شيئا قَالُوا هَذَا الَّذِي
رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ اى مثل الذي رزقناه في الدنيا لتشابه ما يؤتون به او ارادوا هذا من نوع ما
رزقنا من قبل مثل اجناسها متشابهة وان تفاوتت الى غاية لا يعلمها الا الله وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا يعني
في اللون والصورة مختلفا في الطعم وذلك ابلغ في الاعجاب وادخل في باب الاعجاب قال رضي
الله عنه والغرض بمشابهة ثمر الدنيا وثمر الجنة ان الانسان بالمالوف آنس والى المعهود اميل واذا
راى ما لم يالفه نفر عنه طبعه وعافته نفسه ولانه اذا ظفر بشيء من جنس ما الفه وراى
له مزية ظاهرة وفضله بينة وتفاوتا بينه وبين ما عهده افرط ابتهاجه واغتباطه وطال
استغرابه واستعرابه وتبين غاية النعمة فيه وكمال مقدار الغبطة به ولو كان جنسا لم يعهد
وان كان فاحشا انه ذلك الجنس لا يكون الا كذلك فلا يتبينوا موقع النعمة فحين
ابصروا رمانة الدنيا وسلعتها في الحجم ثم يبصرون رمانة الجنة تشبع السكن والنبقة من نبق
الدنيا في حجم القلة ثم يرون نبق الجنة كقلال هجر وظل الشجرة من شجر الدنيا وقدر امتداده
ثم يرون الشجرة في الجنة يسير الراكب في ظلها مائة سنة لا يقطعه كان ذلك ابين للفضل
واهلها للتنزه وارغب في النعمة وعن مسروق نخل الجنة نضيد من اصلها الى فرعها وثمرها
امثال القلال كلما نزعت ثمرة عادت مكانها اخرى والعنقود اثنى عشر ذراعا وعن الحسن
يؤتى احدهم بالصحفة فيأكل منها ثم يؤتى باخرى فيقول هذا الذي اتينا به من قبل فيقول
الملك كل فاللون واحد والطعم مختلف وعنه صلى الله عليه وآله
والذي نفس محمد بيده ان الرجل من اهل الجنة ليتناول الثمرة ليأكلها فما هي واصلة الى
فيه حتى يبدل الله مكانها مثلها فاذا ابصروها والهيئة الاولى قالوا ذلك وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ من
الحور العين مُطَهَّرَةٌ مطهرة من كل اذى وقذر مما في نساء الدنيا من مساوي الاخلاق
وآفات السن والهرم والحبس والكبد وقيل مطهرات في الخلق بانهن لا يحضن ولا يبلن ولا
ياتين الخلا وفي الخلق بانهن لا يحسدن ولا يغرن ولا ينظرن الى غير ازواجهن ومطهرة ابلغ

من طاهرة لانه للتكثير وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ لان تمام النعمة بالخلود والخلود البقاء الذي لا انقطاع
له إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا لما ضرب الله المثل للمشركين بالذباب والعنكبوت
في كتابه ضحكت اليهود وقالوا ما يشبه هذا كلام الله فانزل الله تعالى ان الله لا يستحيي
اى لا يترك ولا يخشى ان يضرب مثلا اى ان يبين شبها مَا بَعُوضَةً ما زائدة مؤكدة والبعوض
صغار البق الواحدة بعوضة والمعنى ان الله لا يترك ضرب المثل بالبعوضة ترك من يستحيي ان يتمثل
بها لحقارتها فَمَا فَوْقَهَا اى فما زاد عليها في العلة والحقارة والذي دونها في الصغر جناحها
قال رضي الله عنه وفي خلق الله حيوان اصغر منها ومن جناحها رعارات في تضاعيف
الكتب القديمة دويبة لا تكاد يحلها البصر الحاد الا بحركها فاذا سكنت فالسكون يواريها ثم اذا
لوحت بها يدرك ما لت عنها وحنثت مضرتها فسبحان من يدرك صورتها واعضاءها الظاهرة
والباطنة وتفاصيل خلقتها ويبصر بصرها ويطلع على ضميرها ولعل في خلقه ما هو اصغر منها
واصغر سبحان الذي خلق الازواج كلها مما تنبت الارض ومن انفسهم ومما لا يعلمون

يا من يرى مد البعوض جناحها ۞ في ظلمة الليل البهيم الاليل
ويرى عروق نياطها في نحرها ۞ والمخ في تلك العظام النحل
اغفر لعبد تاب من فرطاته ۞ ما كان منه في الزمان الاول

فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ اى ان المثل وقع في حقه والمعنى انهم اذا سمعوا
هذا التمثيل علموا انه الحق وان الله لا يترك ضرب المثل ببعوضة فما فوقها اذا علم ان فيه
عبرة لمن اعتبر وحجة على من جحد وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا
استرذالا منهم واستحقارا والمعنى انهم يقولون اى فائدة في ضرب المثل بهذا فاجابهم الله سبحانه فقال
يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا اى اراد بهذا المثل ان يضل به كثيرا من الكافرين وذلك انهم كانوا ينكرونه
ويكذبونه ولما كانت حال الجهال الذين جعلوها انداد الله لا حال احقر منها ولا اهون جعلت
اقل من الذباب والعنكبوت واحقر قدرا وضربت لها البعوضة فدونها وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا
من المؤمنين لانهم يعرفونه ويصدقون به واسناد الاضلال الى الله مجاز لانه لما ضرب المثل
ضل به قوم واهتدى به آخرون وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ اى الكافرين الخارجين عن طاعة
الله تعالى والفاسق في الشريعة الخارج عن امر الله بارتكاب الكبيرة الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ
بَعْدِ مِيثَاقِهِ النقض الفسخ واستعمل في ابطال العهد من حيث تسميتهم العهد بالحبل استعارة
وهم احبار اليهود المتعنتون او منافقون وعهد الله وصيته وامره في الكتب المتقدمة بالا
بمحمد صلى الله عليه وآله وما ركز في عقولهم من الحجة على التوحيد كانه امرهم ووصاهم به ووثقه
عليهم باجابته وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ هو قطعهم الارحام وموالاة المؤمنين

ويفسدون في الارض بالمعاصي وتعويق الناس عن الايمان بمحمد صلى الله عليه واله وقيل وقطعهم ما بين الانسان لوصله والاجتماع على الحق في ايمانهم ببعض وكفرهم ببعض اولئك هم الخاسرون بفوت المثوبة والمصير الى العقوبة لانهم استبدلوا النقض بالوفا والقطع بالوصل والفساد بالصلاح وعقابها بثوابها كيف تكفرون بالله وكنتم امواتا فاحياكم معنى الاستفهام الانكار والمعنى كيف تكفرون بالله وحالكم انكم كنتم امواتا نطفا في اصلاب ابائكم فجعلكم احيا ثم يميتكم بعد هذه الحيوة في الدنيا ثم يحييكم بعد الموت للبعث ثم اليه ترجعون اي يردون لمحاسبتكم عند المصير اليه ويفعل ما يشا ولما استعظم الكفار امر البعث والاعادة احتج الله عليهم بخلق السموات والارض فقال هو الذي خلق لكم اي لاجلكم ما في الارض جميعا بعضها للانتفاع وبعضها للاعتبار لما فيه من العجائب الدالة على الحكمة الظاهرة والقدرة الباهرة وعلى التذكر بالاخرة وثوابها وعقابها لاشتماله على اسباب اللذة من فنون المطاعم والمشارب والفواكه والمناكح والمراكب والمناظر الحسنة البهيجة وعلى اسباب الوحشة والمشقة من انواع المكاره كالنيران والصواعق والسباع والاحناش والسموم والغموم والمخاوف قال رضي الله عنه وقد استدل به على ان الاشيا التي ينتفع بها خلقت في الاصل مباحة مطلقا لكل احد ان يتناولها وينتفع بها ما لم يحظره العقل وفي الحيوان بين الائمة خلاف وظاهر كلام الهادي عليه السلام ان اكل الحيوان على الحظر حتى يقوم دليل الاباحة لان ايلام الحيوان قبيح من جهة العقل لولا ورود الشرع بذبحه والاباحة ومذهب الناس عليهم السلام الاصل الاباحة حتى يقوم دليل التحريم ثم استوى الى السما اي اقبل عليها وقصد اليها بعد خلق ما في الارض قال مجاهد خلق الارض كان قبل السما وقال مقاتل السما واختلفوا في كيفية تكميل خلق الارض وما فيها فقال ابن عباس بدا بخلق الارض يومين ثم خلق السموات في يومين ثم دحا الارض وبث فيها الجبال وقدر فيها اقواتها في يومين وقال الحسن ومجاهد خلق الارض وما فيها في اربعة ايام متوالية ثم خلق السما في يومين والمراد بالسما السبع السموات بدليل قوله فسواهن سبع سموات معنى سواهن عدلهن خلقهن وسلامته من الخلل والفطور وقد دل على ما بين الخلقين من التفاوت وعلى فضل خلق السموات على خلق الارض وهذا لا يناقض قوله والارض بعد ذلك دحاها لان جرم الارض تقدم خلقه خلق السما واما دحوها فمتاخر وعن الحسن خلق الله الارض في موضع بيت المقدس كهيئة الفهر وهو حجر مل الكف عليها دخان ملتزق بها ثم اصعد الدخان فخلق منه السموات وامسك الفهر في موضعه وبسط منه الارض فذلك قوله كانتا رتقا ففتقناهما وهو بكل شيء عليم لا يعزب عن علمه شي ولا يخفى عليه وجه حسن لانه بالعلم يصح الفعل المحكم واذ قال ربك للملائكة اي واذكر لهم يا محمد حين قال

ربك للملائكة اني جاعل في الارض خليفة اي مصيرا فيها وهو من يخلف غيره يعني ادم عليه السلام جعله خليفة عن الملائكة الذين كانوا سكان الارض بعد الجن والمراد بذكر هذه القصة تذكير بخلق الناس واخبر الله الملائكة بذلك ليسالوا ذلك السوال ويجابوا بما اجيبوا به فيعرفوا حكمته في استخلافهم قبل كونهم صيانة لهم عن اعتراض الشبهة في وقت استخلافهم وقيل ليعلم عباده المشاورة في امورهم قبل ان يقدموا عليها وعرضها على ثقاتهم ونصحائهم وان كان هو بعلمه وحكمته البالغة غنيا عن المشاورة وقيل انهم قالوا ربنا وما يكون ذلك الخليفة قال يكون له ذرية يفسدون في الارض ويتحاسدون ويقتل بعضهم بعضا قالوا اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدما كما فعل بنو الجان وهذا منهم تعجب من ان يستخلف مكان اهل الطاعة اهل المعصية وهو الحكيم الذي لا يفعل الا الخير ولا يريد الا الحسن وعرفوا ذلك وهو غيب باخبار من الله تعالى او قاسوا احد الثقلين على الاخر حيث اسكنوا الارض فافسدوا فيها قبل سكنى الملائكة ونحن نسبح بحمدك اي نبعدك من السو ونقول سبحان الله وبحمده ونقدس لك اي ننزهك عما لا يليق بك قال اني اعلم ما لا تعلمون اي اعلم من المصالح ما هو خفي عنكم ثم بين لهم تلك المصالح لكي يكفي العباد ان يعلموا ان افعال الله كلها حسنة وحكمة وان خفي عنهم وجه الحسن والحكمة وفي هذا اشارة الى خلق ادم عليه السلام وروى ابو موسى عن النبي صلى الله عليه واله انه قال ان الله تعالى خلق ادم من قبضة قبضها من جميع الارض فجا بنو ادم على قدر الارض منهم الاحمر والاسود وبين ذلك والسهل والحزن وبين ذلك والخبيث والطيب قال الترمذي هذا حديث صحيح وقد اخرج البخاري ومسلم في الصحيحين من حديث ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه واله انه قال خلق الله ادم طوله ستون ذراعا واخرج مسلم في افراده من حديث ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه واله خلق الله ادم بعد العصر اخر ساعة من ساعات الجمعة ما بين العصر الى الليل قال ابن عباس لما نفخ فيه الروح اتته النفخة من قبل راسه فجعلت لا تجري منه في شي الا صار لحما ودما وفي تسميته ادم اما لانه خلق من اديم الارض او من الادمة في اللون وعلم ادم الاسما كلها اي خلق في قلبه علما بالاسما على سبيل الابتدا وقيل اراه اجناس الاشيا التي خلقها وعلمه ان هذا اسمه فرس وهذا بعير وهذا اسمه كذا وهذا اسمه كذا وعلمه احوالها وما يتعلق بها من المنافع والخواص الدينية والدنيوية ثم عرضهم اي عرض المسميات بالاسما من الحيوانات والجمادات وغير ذلك على الملائكة وذكر الضمير في عرضهم لان في المسميات عقلا فغلبهم فقال انبئوني اي اخبروني باسما هؤلا وهذا امر تعجيز اراد الله ان يبين عجزهم عن علم ما يرون ويعاينون على سبيل التبكيت ان كنتم صادقين في زعمكم اني استخلف في الارض مفسدين سفاكين للدما وهذا رد عليهم واعلام لهم ان في من يستخلفه من الفوائد العلمية التي هي اصول الفوائد ما يستاهلون لاجله

علم

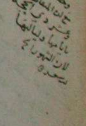
ان تستعملوا فاراهم بذلك وبين لهم بعض ما اجمل من ذكر المصالح في استخلافهم حين عابوا
ذلك قالوا اي فقالت الملائكة اقرارا بالعجز واعتذارا سبحانك اي ننزهك عن الاعتراض
عليك في حكمك لا علم لنا بشيء من الغيوب ووجوه المصالح الا ما علمتنا اعترفوا بالعجز عن علم ما
لم يعلموه ونزهوه بالتسبيح عما استنكروه وشنعوه ووصفوه بالعلم بوجه الحكمة فيما تفعل وقالوا انك
انت العليم الحكيم اي العالم الحاكم يحكم بالحق ويقضي به فلما ظهر عجز الملائكة قال الله
تعالى يا ادم انبئهم باسمائهم اي اخبرهم فسمّ كل شيء باسمه والحق كل شيء بجنسه فلما انباهم باسمائهم
اي اخبرهم بتسميتها قال الله للملائكة الم اقل لكم وهذا استفهام يتضمن التوبيخ لهم
على توهمهم انه يجعل فيها من يفسد فيها اني اعلم غيب السموات والارض اي ما غاب فيهما عنكم واعلم ما
تبدون اي ما تظهرون من علانيتكم وما كنتم تكتمون من سركم لا يخفى علي شيء من اموركم
ولما اظهر الله تعالى فضل ادم على الملائكة في العلم بما علمه امرهم سبحانه بالسجود له فقال
واذ قلنا للملائكة اسجدوا لادم سجود تعظيم وتسليم وتحية وكان ذلك ايماء يدل على
التواضع ولم يكن وضع الارض والسجود لله على وجه العبادة ولغيره على وجه التكرمة كسجود
الملائكة وابو يوسف واخوته له ويجوز ان يختلف الاحوال والاوقات فيه فسجدوا الا
ابليس ابى اي امتنع واستكبر عن السجود فلم يسجد لانه كان جنيا واحدا بين اظهر الالوف
من الملائكة مغمورا بينهم وغلبوا عليه في قوله فسجدوا ثم استثني منهم استثناء واحدا منهم وكان
من الكافرين اي من جنس كفرة الجن وشياطينهم وقلنا يا ادم اسكن انت وزوجك الجنة
اي اتخذاها مأوى ومنزلا وكلا منها رغدا اي اكلا واسعا رافها ما شئتما اذ شئتما حيث شئتما
اي من اي مكان شئتما منها على وجه التوسعة البالغة حتى لم يحظر عليهما بعض الاكل ولا بعض
المواضع الجامعة للماكولات من الجنة حتى لا يبقى لهما عذر في التناول من شجرة واحدة من بين
اشجارها الكثيرة ولا تقربا هذه الشجرة اي لا تتعرضا لها بالاكل منها وهي الحنطة وقيل
الكرم وقيل التينة فتكونا من الظالمين اي فتصيرا من العاصين الذين وضعوا امر الله
في غير موضعه وظلموا انفسهم بمعصيته فازلهما الشيطان عنها يعني الشجرة حملهما الشيطان
على الزلة بسببها وقيل ازلهما عن الجنة بمعنى اذهبهما واذهبهما عنها وابعدهما فاخرجهما مما
كانا فيه من النعم والكرامة ولين العيش وتوصل الى ازلالهما بوسوسته لهما بعد خروجه لانه
لا يمكن ان يدخلها بعد خروجه على وجه الوسوسة ابتلاء لادم وحواء وقيل كان يدنو من السماء
فيكلمهما وقيل قام عند الباب فنادى وروي انه اراد الدخول فمنعته الخزنة فدخل في فم الحية
حتى دخلت به وهم لا يشعرون وقلنا لادم وحواء وابليس والحية اهبطوا اي انزلوا الى الارض
بعضكم لبعض عدو يعني العداوة التي بين ادم وحواء والحية وبين ذرية ادم من المؤمنين

وابليس او يعني ما عليه الناس من التعادي والتباغي وتضليل بعضهم لبعض ولكم في الارض
مستقر اي مواضع قرار ومتاع الى حين اي ما تتمتعون به مما تنبته الى حين الموت فتلقى ادم
اي اخذ وتلقن من ربه كلمات وهي قوله ربنا ظلمنا انفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن
من الخاسرين وعن ابن مسعود ان احب الكلام الى الله ما قاله ابونا ادم حين اقترف الخطيئة
سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك لا اله الا انت ظلمت نفسي فاغفر لي انه لا يغفر
الذنوب الا انت والمعنى ان الله تعالى الهم ادم حين اعترف بذنبه وقال هذا فتاب عليه اي
فعاد عليه بالمغفرة حين اعترف بالذنب واعتذر انه هو التواب الرحيم يعود على عبده
اذا اناب اليه بفضله من ذنبه لانه عظيم التوبة واسع الرحمة لا يعظم عليه ذنب قلنا اهبطوا
منها جميعا كرر الامر بالهبوط للتاكيد ولما علق به من زيادة قوله فاما ياتينكم مني هدى
اي فان ياتكم مني شريعة ورسول ودعوة وبيان برسول ابعثه اليكم وكتاب انزله عليكم فمن تبع
هداي اي قبل امري واتبع ما امرته فلا خوف عليهم في الاخرة ولا هم يحزنون والخطاب لادم عليه السلام
وحوى وذريتهما اعلمهم الله انه يبتليهم بالطاعة ويجازيهم الجنة عليها ويعاقبهم النار على
تركها وهو قوله والذين كفروا وكذبوا باياتنا اي بادلتنا وكتبنا اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون
ربع
اي دائمون فيها قال رضي الله عنه ما كانت خطيئة ادم الا صغيرة مغمورة باعمال
قلبه من الاخلاص والافكار الصالحة التي هي اجل الاعمال واعظم الطاعات وانما جرى عليه
ما جرى من نزع اللباس والاخراج من الجنة والاهباط من السماء كما فعل بابليس تعظيما للخطيئة
وتفظيعا لشانها وتهويلا لمكانها لتكون ذكرا لاطفاله ولذريته في اجتناب الخطايا واتقاء المآثم
والتنبيه على انه اذا اخرج من الجنة بخطيئة واحدة فكيف يدخلها ذو خطايا جمة واكتفى
بذكر توبة ادم دون توبة حوى لانها كانت تبعا له وقد ذكرها في قوله قالا ربنا ظلمنا انفسنا
يا بني اسرائيل اسرائيل هو يعقوب عليه السلام واسرائيل لقب له ومعناه صفوة الله وقيل معناه عبد الله
والمعنى يا اولاد يعقوب اذكروا نعمتي اي اشكروها وذكر النعمة شكرها نعمتي يعني التي انعمت
عليكم وهو فلق البحر والانجاء من فرعون ومن الغرق ومن العفو عن اتخاذ العجل والتوبة عليهم
وتظليل الغمام الى سائر ما انعم الله عليهم والمراد بقوله عليكم اي على ابائكم والنعمة على ابائكم
نعمة عليهم او ما انعم به عليهم من ادراك زمن محمد صلى الله عليه وآله المبشر به في التوراة والانجيل
وشكر هذه النعمة طاعته في الايمان بمحمد صلى الله عليه وآله ثم صرح بذلك فقال واوفوا بعهدي
اي ادوا ما عاهدتموني من الايمان بي والطاعة لي والتصديق بنبي الرحمة والكتاب المعجز
اوف بعهدكم اي بما عاهدتكم عليه من حسن الثواب وادخال الجنة واياي فارهبون
ولا تنقضوا عهدي وخافوا عذابي وحلول نقمتي وسلب نعمتي وآمنوا بما انزلت وهو القرآن

مصدقا لما معكم ای موافقا للتوریه فی التوحید والنبوه والمعنی صدقوا بالقران المنزل
ولا تکونوا اول کافر به ای اول من یکفر به من
معجزه فی حال تصدیقه للتوریه التی معکم فتکونوا ائمه فی الضلاله والخطاب لعلما
اهل الکتاب لانکم اذا کفرتم کفر اتباعکم ولا تشتروا
الیهود وهو تعریض لهم بانهم کانوا احقا بالسبق الی الایمان به لعلمهم به فی کتابهم
ولا تستبدلوا بایاتی ای ببیان صفه محمد صلی الله علیه واله ونعته ثمنا قلیلا ای عوضا
یسیرا من الدنیا وهو الریاسه التی کانت لهم فی قومهم او ما کانوا یصیبونه من سفلتهم فخافوا
انهم لو بینوا صفه محمد صلی الله علیه واله ان یفوتهم ذلک المآکل والریاسه ونصحوا اتباعا لرسول
الله صلی الله علیه واله وسلم فاستبدلوها وهی بدل قلیل ومتاع یسیر بایات الله وبالحق الذی
کل کثیر الیه قلیل وکل کبیر الیه صغیر وکل عظیم الیه حقیر وایای فاتقون ای
خصونی بالتقوی واخشونی فی امر محمد صلی الله علیه واله وسلم لا ما یفوتکم من الریاسه لئلا تستحقوا
عذابی ولا تلبسوا الحق بالباطل ای لا تخلطوا الحق الذی انزل من صفه محمد صلی الله علیه
واله بالباطل الذی تکتبونه بایدیکم من تبدیل صفته وتغییر نعته وتکتموا الحق ای
ولا تکتموا الحق وهو عطف علی النهی وکتمانهم الحق انهم یقولون لا نجد فی التوریه صفه محمد صلی
الله علیه واله او نجد ذلک ونکتمه علی خلاف ما هو علیه وانتم تعلمون انه نبی مرسل
قد انزل علیکم ذکره فی کتابکم فتجحدون نبوته مع العلم به وهذا اقبح الجهل لان الجاهل
بالقبیح ربما عذر راکبه واقیموا الصلوه المفروضه واتوا الزکوه الواجبه فی المال
یعنی صلوه المسلمین وزکوتهم وارکعوا مع الراکعین ای وصلوا مع المصلین وهم محمد صلی
الله علیه واله واصحابه فی جماعه لا منفردین وقیل الرکوع الخضوع والانقیاد لما الزمهم
فی دین الله اتامرون الناس بالبر کانت الیهود یقولون لاقربائهم من المسلمین اذا نصحوا
فی السر اثبتوا علی ما انتم علیه ولم یومنوا فانزل الله تعالی توبیخا لهم وتعجیبا من حالهم اتامرون
الناس بالبر ای بالایمان بمحمد صلی الله علیه واله وتنسون انفسکم ای تترکونها من البر
کالمنسیات ولا تامرونها بذلک وانتم تتلون الکتاب ای تقرؤون التوریه وفیها صفه محمد صلی
الله علیه واله ونعته والرغبه فی الطاعه وترک البر ومخالفه القول العمل افلا تعقلون
انه حق فتتبعوه وهذا توبیخ عظیم بمعنی افلا تفطنون لقبح ما اقدمتم علیه حتی کانکم لا عقول
لکم لان العقول تابی ذلک وتدفعه ثم امرهم الله بالصوم والصلوه لانهم انما کان یمنعهم
الریاسه عن الاسلام الشره وخوف ذهاب ماکلهم وحب الریاسه فامروا بالصوم الذی یذهب
الشره وبالصلوه التی تورث الخشوع وتنفی الکبر وارید بالصلوه الصلوه التی معها الایمان
بمحمد صلی الله علیه واله وسلم فقال واستعینوا بالصبر وهو الصوم والصلوه لانها تنهی عن الفحشاء

والمنکر وانها لکبیره ای وان الاستعانه بالصبر لکبیره ای ثقیله الا علی الخاشعین ای
الساکنین الی الطاعه وقیل معناه استعینوا علی حوائجکم الی الله بالصبر والصلوه ای بالجمع بینهما
بان تصلوا صابرین علی تکالیف الصلوه محتملین لمشاقها وما یجب فیها من اخلاص القلب وحفظ
النیات ودفع الوساوس ومراعاه الادب والاحتراز من المکاره مع الخشیه والخشوع واستحضار
العلم بانه انتصاب بین یدی جبار السموات والارض او معناه استعینوا علی البلایا والنوائب
بالصبر علیها والالتجا الی الصلوه عند وقوعها فقد کان رسول الله صلی الله علیه واله اذا حزبه
امر فزع الی الصلوه وعن ابن عباس انه نعی الیه اخوه قثم وهو فی سفر فاسترجع وتنحی عن الطریق
فصلی رکعتین وصلی رکعتین اطال فیهما الجلوس ثم قام الی راحلته وهو یقرا واستعینوا بالصبر
والصلوه وانها یعنی الصلوه لکبیره ای لشاقه ثقیله الا علی الخاشعین فانها لا تثقل علیهم لانهم
یتوقعون ما ادخر للصابرین علی متاعبها فتهون علیهم لان من یتوقع حصول الثواب وطن نفسه
علی تحمل المشاق وسهلت علیه الامور ومن لم یوقن بالجزا ولم یرج الثواب کانت علیه مشقه خالصه
ومن ثم قال صلی الله علیه واله وجعلت قره عینی فی الصلوه وکان یقول یا بلال روحنا الذین یظنون
ای یعلمون ویستیقنون انهم ملاقوا ربهم ای انهم مبعوثون وانهم محاسبون وانهم الیه راجعون
ای الی ثوابه وجزائه بهم مصدقون بالبعث والحساب یا بنی اسرائیل اذکروا نعمتی التی انعمت
علیکم وانی فضلتکم علی العالمین ای اعطیتکم الزیاده علی عالمی زمانکم وجعلت اکثر الانبیاء منکم مع کثره النعم علیکم
وقال فضلتکم ولم یکن التفضیل الا للاباء لان فیما اعطی الاباء شرفا للابناء وذلک مشهور فی
العاده والمراد تفضیلهم علی عالمی زمانهم فقط لان امه محمد صلی الله علیه واله افضل الامم
واتقوا یوما ای احذروا واخشوا عقاب یوم لا تجزی نفس عن نفس شیئا ای لا تقضی عنها
شیئا من الحقوق ومن قرا لا تجزی بالضم فمعناه لا تغنی عنها شیئا ومعنی التنکیر ان نفسا من الانفس
لا تجزی عن نفس منها شیئا من الاشیاء قال رضی الله عنه وهذا هو الاقناط
الکلی القطاع للمطامع ولا یقبل منها شفاعه ای لا یکون شفاعه فتکون لها قبول او ان
جاءت شفاعه شفیع لم تقبل وذلک لان الیهود کانوا یقولون ان اباءهم الانبیاء یشفعون لهم فایسهم
الله عن ذلک ولا یوخذ منها عدل ای فدا لانه معادل المفدی ولا هم ینصرون ای لا
یا نصرهم یمنعهم من عذاب الله قال رضی الله عنه وفی هذا دلیل علی ان الشفاعه
لا تقبل للعصاه واذ نجیناکم ای واذکروا وقت نجیناکم من ال فرعون وهم اهله واتباعه
یسومونکم ای یکلفونکم سوء العذاب ای اشده وافظعه وهو قوله یذبحون ابناءکم
ای یقتلونهم وذلک ان الکهنه انذروا فرعون بانه یولد مولود یکون علی یدیه هلاکه کما انذر
نمرود فلم یغن عنهما اجتهادهما وحفظهما وکان من امر الله ما کان روی انه ذبح فی طلب موسی علیه السلم

تسعون الف وليد ويستحيون نساءكم اى يستبقونهن احيا لتستخدموهن في اشق الاعمال وفي ذلكم
الذى كانوا يفعلونه بكم بلاء اى اختبار وامتحان من ربكم عظيم وقيل في نجاتكم من هذه المحن
نعمة عظيمة والبلاء النعمة والبلاء الشدة لان النعمة اختبار لتسمع عليه في الشكر كما ان المحنة اختبار
في الصبر واذ فرقنا بكم البحر اى فصلنا بين بعضه وبعض حتى صارت فيه مسالك لكم وكانت اثنى
عشر طريقا على عدد الاسباط ومعنى بكم انهم كانوا يسلكونه ويتفرق الماء عند سلوكهم فكانما
فرق بهم او اراد فرقناه بسببكم وبسبب انجائكم روى ان بني اسرائيل قالوا لموسى اين اصحابنا
لا نراهم قال سيروا فانهم على طريق مثل طريقكم قالوا لا نرضى حتى نراهم فقال اللهم اعنى على
اخلاقهم السيئة فاوحى الله ان قل بعصاك هكذا فقال بها على الحيطان فصارت فيها كوا فتراءوا
وتسامعوا فانجيناكم من الغرق واغرقنا عدوكم آل فرعون وانتم تنظرون اى تشاهدون
انطباق البحر عليهم لا تشكون فيه واعماكم سببهم روى انه لما دنى هلاك فرعون امر الله موسى عليه
ان يسري ببني اسرائيل من مصر فساروا الى البحر فخرج فرعون في طلبهم فلما راوا فرعون وقومه خلفهم
وذلك حين شرقت الشمس قالوا يا موسى ما الحيلة فرعون خلفنا والبحر امامنا فقال كلا ان معي
ربي سيهدين فاوحى الله اليه ان اضرب بعصاك البحر فضربه فلم يطعه فاوحى الله اليه ان كنه
فضربه موسى بعصاه فقال انفلق يا ابا خالد باذن الله فانفلق وكان كل فرق كالطود العظيم
فظهر فيه اثنى عشر طريقا لكل سبط طريق ولما راى فرعون البحر منفلقا قال لقومه انظروا
كيف انفلق من هيبتي حتى ادرك اعدائي وعبيدي الذين ابقوا دخلوا البحر فتقدمهم وخاض
البحر فانطبق عليهم وغرقهم اجمعين واذ واعدنا موسى اربعين ليلة اى انقضاءها
وتمامها للتكلم معه روى انه لما دخل بنو اسرائيل مصر بعد هلاك فرعون ولم يكن لهم كتاب ينتهون
اليه وعد الله موسى ان ينزل عليه التورية وضرب له ميقاتا ذا القعدة وعشر ذي الحجة وانما قال
اربعين ليلة لان الشهور غررها بالليالي ومعنى واعدنا ان الله وعده الوحي وموسى وعد المجيء للميقات
الى الطور ثم اتخذتم العجل معبودا والها من بعده اى من بعد خروجه عنكم الى الميقات
وانتم ظالمون اى واضعون العبادة في غير موضعها وهذا تنبيه على ان كفرهم بمحمد صلى الله عليه
وآله ليس بامر منكر فهم وعادتهم العجل في زمن موسى عليه السلام ثم عفونا عنكم اى محونا
ذنوبكم حين تبتم من بعد ذلك اى من بعد ارتكابكم الامر العظيم وهو عبادة العجل لعلكم
تشكرون اى لكي تشكروا النعمة بالعفو عنكم واذ آتينا موسى الكتاب والفرقان يعني التورية
لانها جامعة بين كونها كتابا منزلا وفرقانا يفرق بين الحق والباطل وقيل الفرقان انفراق البحر
لعلكم تهتدون اى لكي تهتدوا واذ ذكر الكتاب والفارق بين الحلال والحرام واذ قال
موسى لقومه الذين عبدوا العجل يا قوم انكم ظلمتم انفسكم باتخاذكم العجل الها فتوبوا الى بارئكم



اى خالقكم قالوا كيف نتوب قال فاقتلوا انفسكم اى ليعقبوا العزم على التوبة بقتلها وهو
قتل انفسكم لان الله تعالى جعل توبتهم قتل انفسهم والمعنى ليقتل واحد منكم نفسه وقيل امر من
لم يعبد العجل ان يقتلوا العبدة وروى ان الرجل كان يبصر ولده ووالده وجاره وقريبه
فلم يمكنهم المضي لامر الله فارسل الله تعالى ضبابة سوداء لا يتباصرون تحتها وامروا ان يحتبوا
بافنية بيوتهم ويأخذ الذين لم يعبدوا العجل سيوفهم وقيل لهم اصبروا فلعن الله من مد طرفه
او حل حبوته او اتقاه بيد او رجل فيقولون آمين فقتلوهم الى المساء حتى دعا موسى وهرون وقالا يا رب
هلكت بنو اسرائيل البقية البقية فكشفت السحابة ونزلت التوبة فسقطت الشفار من ايديهم
وكانت القتلى سبعين الفا ذلكم القتل والتوبة خير لكم عند بارئكم من اقامتكم على
عبادة العجل ثم تعلم ما امرتم به فتاب عليكم ورحمكم بقبول توبتكم انه هو التواب الرحيم
اى عظيم التوبة وواسع الرحمة واذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك يعني الذين اختارهم موسى عليه
ليعتذروا الى الله من عبادة العجل وهم السبعون فلما سمعوا كلام الله تعالى وفرغ موسى من مناجاته
الله تعالى قالوا لن نصدقك حتى نرى الله جهرة اى عيانا ومقابلة لا ستره عنا
وفي هذا الكلام دليل ان موسى عليه قد زادهم القول وعرفهم ان رؤيته ما لا يجوز ان يكون في جهة
محال وانهم استعار على الله الرؤية فقد جعله من جملة الاجسام او الاعراض فرادوه بعد بيان
الحجة ووضوح البرهان والحق وكانوا في الكفر كعبدة العجل فاخذتكم الصاعقة يعني
فسلط الله عليهم الصاعقة كما سلط على اولئك القتل بتسوية بين الكفرين ودلالة على عظمهما
بعظم المحنة والصاعقة ما صعقهم اى اماتهم وهي نار جاءت من السماء فاحرقتهم جميعا وانتم
تنظرون اى ينظر بعضكم الى بعض وتنظرون اليها حين نزلت وانما اخذتهم الصاعقة لانهم
امتنعوا من الايمان لموسى عليه السلام بعد ظهور معجزته حتى يروا ربهم جهرة والايمان
بالانبياء واجب بعد ظهور معجزتهم ولا يجوز لهم اقتراح المعجزات فلهذا عاقبهم الله تعالى وهذه
الآية توبيخ لهم على مخالفة الرسول مع قيام معجزته كما خالف اسلافهم موسى مع ما اتى به من
المعجزات الباهرة ثم بعثناكم اى نشرناكم واعدناكم احيا من بعد موتكم بالصاعقة
لعلكم تشكرون اى لكي تشكروا نعمة البعث او نعمة الله بعد ما كفرتموها اذ رأيتم عذابه
بالصاعقة وشدة الموت بها وظللنا عليكم الغمام اى سترناكم به من حر الشمس وذلك في
التيه سخر الله لهم السحاب يسير بسيرهم يظلهم من الشمس وينزل بالليل عمود من نار يسيرون
في ضوئه وثيابهم لا تتسخ ولا تبلى وانزلنا عليكم المن وهو الترنجبين مثل الثلج ينزل من
طلوع الفجر الى طلوع الشمس لكل انسان صاع والسلوى وهي طير السماني يبعث الله



الحبوب فكانت تجمعها اليهم وتدع الرجل منها ما يكفيه وقلنا لهم كلوا من طيبات ما رزقناكم اى من حلالها ومستلذاته وما ظلمونا بكفرهم هذه النعم وبابائهم على موسى دخول قرية الجبارين حتى تركوا امرنا فحبسناهم فى التيه ولكن كانوا انفسهم يظلمون اى ولكنهم ظلموا انفسهم واذ قلنا ادخلوا هذه القرية وهى فلما انقضت مدة حبسهم وخرجوا من التيه قال الله لهم واذ قلنا ادخلوا هذه القرية وهى بيت المقدس وقيل اريحا من قرى الشام امروا بدخولها بعد التيه فكلوا منها اى من طيبات ثمارها واطعمتها حيث شئتم اى من اى مكان شئتم رغدا اى واسعا نا عما لا فيها وادخلوا الباب سجدا هو احد ابواب القرية وقيل باب القبة التى كانوا يصلون اليها وهم لم يدخلوا بيت المقدس فى حياة موسى وامروا بالسجود عند الباب شكرا لله وتواضعا واريد بالسجود ان يخروا فى حال دخولهم بخشوع وتواضع وقيل طوطئ لهم الباب ليخفضوا رؤسهم فلم يخفضوها ودخلوا مترحفين على اوراكهم وقولوا حطة نغفر لكم خطاياكم من الحط بمعنى حط عنا ذنوبنا وذلك بانهم اصابوا خطية بابائهم على موسى دخول القرية فاراد الله تعالى ان يغفر لهم فقال لهم قولوا حطة اى مسئلتنا حطة وهو ان تحط عنا ذنوبنا وسنزيد المحسنين اى من كان محسنا منكم كانت تلك الكلمة سببا فى زيادة ثوابه ومن كان مسيئا كانت له توبة ومغفرة فبدل الذين ظلموا قولا غير الذى قيل لهم اى غيروا تلك الكلمة التى امروا بها والمعنى انهم امروا بقول معناه التوبة والاستغفار فخالفوه الى غيره ولم يمتثلوا امر الله ولم يكن الغرض انهم امروا باللفظ بعينه وهو لفظ الحطة مجازا والملفظ اخر لانهم لو جاءوا بالمعنى مستعمل بغير ما امروا به لم يواخذوا به كما لو قالوا مكان حطة نستغفرك وتتوب اليك او اللهم اعف عنا وقيل قالوا مكان حطة حنطة وقيل قالوا بالنبطية حطا سمقاثا اى حنطة حمراء استهزاء منهم وعدولا عن طلب ما عند الله الى طلب ما يشتهون من اعراض الدنيا فانزلنا على الذين ظلموا رجزا اى ظلمة وطاعونا فهلك منهم فى ساعة واحدة سبعون الفا بما كانوا يفسقون اى جزاء لفسقهم بتبديل ما امروا به من الكلمة وتكرار الذين ظلموا زيادة فى تقبيح امرهم وايذان بان انزال الرجز عليهم لظلمهم واذ استسقى موسى لقومه فى التيه فقلنا اضرب بعصاك الحجر روى انهم عطشوا فى التيه فدعا لهم موسى بالسقيا فقيل له اضرب بعصاك الحجر اشارة الى حجر كان معه من جبل الطور وكان حجرا مربعا له اربعة اوجه كان ينبع من كل وجه ثلاث اعين لكل سبط عين تسيل فى جدول الى السبط الذى امران يسقيهم وكانوا ستمائة الف وسعة المعسكر اثنا عشر ميلا وقيل اهبطه ادم من الجنة فتوارثوه حتى وقع الى شعيب عليه السلام فدفعه اليه مع العصا وقيل هو الحجر الذى وضع عليه ثوبه حين اغتسل اذ رموه

ادرموه بالادرة ففر به فقال له جبريل يقول الله تعالى ارفع هذا الحجر فان فيه لى قدرة ولك معجزة فحمله فى مخلاته وعن الحسن لم يامره ان يضرب حجرا بعينه قال وهذا اظهر فى الحجة وابين فى القدرة وروى انهم قالوا كيف بنا لو افضينا الى ارض ليس فيها حجارة فحمل حجرا فى مخلاته فحيث ما نزلوا القاه وكان يضربه بعصاه فيتفجر ويضربه بها فييبس فقالوا ان فقد موسى عصاه متنا عطشا فاوحى الله اليه لا تقرع الحجارة وكلمها تطعك لعلهم يعتبرون وقيل كان من رخام وكان ذراعا فى ذراع وقيل مثل راس الانسان فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا اى فضرب فانفجرت قد علم كل اناس مشربهم اى كل سبط عينهم التى يشربون منها وقيل لهم كلوا من المن والسلوى واشربوا من الماء فهذا كله من رزق الله ولا تعثوا فى الارض مفسدين العثى اشد الفساد اى لا تسعوا فيها بالفساد فملوا ذلك العيش وذكروا عيشا لهم كان بمصر فقالوا يا موسى لن نصبر على طعام واحد يعنى المن والسلوى قال رضى الله عنه كانوا زراعا فكرهوا ما هم فيه من النعمة وطلبت نفسهم الشقا واراد بالطعام الواحد ما رزقوا فى التيه من المن والسلوى وكان طعاما واحدا كانوا يجمعون المن والسلوى فيصير طعاما واحدا فياكلونه وقال طعام واحد وهما طعامان لانهم ارادوا انهما ضرب واحد لانهما من طعام اهل التلذذ والترف ونحن قوم فلاحة اهل زراعات فما نريد الا ما الفناه وضرينا به من الاشيا المتفاوتة كالبقول والحبوب فادع لنا ربك اى سله وقل له يخرج لنا مما تنبت الارض من بقلها وقثائها وفومها وعدسها وبصلها البقل ما انبتته الارض من الخضراوات وهو كل نبات لا ينبت له ساق واراد والله اطايب البقول التى ياكلها الناس كالنعناع والكرفس والكراث واشباهها والقثاء نوع من الخضراوات واكثر ما يكون فى ارض المغارب والفوم الحنطة وقيل الثوم لان ابن مسعود قرا وثومها وهو العدس والبصل اوفق قال لهم موسى اتستبدلون الذى هو ادنى اى اخس واوضع بالذى هو خير اى ارفع واجل اى اتتركون من الطعام ما هو خير وتاخذون الذى هو اقرب منزلة وادون مقدارا واسهل منالا فدعا موسى فاستجاب الله وقلنا لهم اهبطوا مصرا اى انزلوا بلدا من البلدان فان لكم ما سالتم اى ما طلبتم من البقول ومن استبدال الادنى بالذى هو خير فان الذى سالتم لا يكون الا فى القرى والامصار وقيل اراد مصر المعروفة وبلاد التيه ما بين بيت المقدس الى قنسرين وهو اثنا عشر فرسخا فى ثمانية فراسخ وروى انهم لبثوا اربعين سنة فى ستة فراسخ يسيرون فى كل يوم جادين مجتهدين حتى اذا سئموا وامسوا اذا هم بحيث ارتحلوا منه وضربت عليهم اى على اليهود الذين كانوا فى عصر النبى صلى الله عليه واله وسلم الذلة يعنى الجزية وزى اليهودية ومعنى ضرب الذلة الزامهم اياها الزاما لا يبرح والمسكنة زى الفقر واثر البوس فاليهود صاغرون اذلاء اهل مسكنة ومدقعة وباؤا اى احتملوا وانصرفوا

بغضب من الله اي رجعوا به وصار عليهم ذلك اي ذلك الضرب والغضب بانهم كانوا يكفرون
ويقتلون النبيين اي يقتلون اولئك
بآيات الله التي انزلت على محمد صلى الله عليه وآله وقد قتلت اليهود لعنهم الله
الذين فعلوا ذلك بغير الحق اي قتلا بغير الحق واعانا الظلم

قال رضي الله عنه وقتل الانبياء لا يكون الا بغير حق

شعيا وزكريا ويحيى وغيرهم ولا افسدوا في الارض فيقتلوا وانما قتلوهم
معناه انهم قتلوهم بغير جرم عندهم لانهم لم يقتلوا ولو سئلوا وانصفوا لما ذكروا وجها يستحقون به القتل عندهم
ودعوهم الى ما ينفعهم فقتلوهم ذلك الكفر والقتل بما عصوا وكانوا يعتدون اي بشوم ركوبهم المعاصي وتجاوزهم امر
الله واعتدائهم حدوده وقيل هو اعتداؤهم في السبت ان الذين آمنوا بالسنتهم من غير
مواطاة قلوبهم وهم المنافقون او الذين آمنوا بالانبياء الماضين ولم يؤمنوا بك والذين هادوا
اي دخلوا في اليهودية والنصارى سموا بذلك لانهم نصروا المسيح والصابئين هم قوم عدلوا عن
اليهودية والنصرانية وعبدوا الملائكة واشتقاقهم من صبا اذا خرج من دين الى دين وقيل هم
قوم يعبدون النجوم من آمن من هؤلاء المذكورين بالله واليوم الآخر وعمل صالحا يعني من كان
بالايمان بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم لان الدليل قد قام ان من لم يؤمن به لا يكون عمله صالحا فلهم
اجرهم عند ربهم الذي يستوجبونه بايمانهم وعملهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون
اي لا يلحقهم في الآخرة غم واذ اخذنا ميثاقكم بطاعة الله تعالى والايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم
والعمل على ما في التورية ورفعنا فوقكم الطور حتى قبلتم واعطيتم الميثاق والطور
هو الجبل وذلك ان موسى عليه السلام جاءهم بالالواح فرأوا ما فيها من التكاليف الشاقة فكبرت عليهم
وابوا قبولها فامر جبرئيل عليه السلام فقلع الطور من اصله ورفعه فظلله فوقهم وقال لهم
موسى ان قبلتم والا القي عليكم فقبلوا خوفا من ان يرضخوا بالجبل وقلنا لهم خذوا ما آتيناكم
بقوة اي اعملوا بما امرتم فيه بقوة اي بجد ومواظبة على طاعة الله تعالى واذكروا ما
فيه من الثواب والعقاب واحفظوه وادرسوه ولا تنسوه ولا تغفلوا عنه لعلكم تتقون
اي رجاء ان تكونوا متقين ثم توليتم اي اعرضتم عن امر الله وطاعته من بعد ذلك اي
من بعد اخذ الميثاق فلولا فضل الله عليكم ورحمته بتأخير العذاب لكنتم من الخاسرين
اي الهالكين في العذاب ولقد علمتم اي عرفتم الذين اعتدوا منكم في السبت اي جاوزوا
ما حد لهم من التجرد للعبادة وتعظيمه واشتغلوا بالصيد وذلك ان الله ابتلاهم فما كان يبقى
حوت في البحر الا اخرج خرطومه يوم السبت فاذا مضى تفرقت فحفروا حياضا عند البحر وشرعوا
اليها الجداول فكانت الحيتان تدخلها فيصطادونها يوم الاحد فحبسها في الحياض هو
اعتداؤهم فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين اي مطرودين مبعدين بمنزلة القردة

والحيتو

والحيتو وهذا الصغار لان الله مسخهم وجعلهم قردة تعاوي ولم يلبثوا بعد ذلك سوى ثلثة ايام
ولم ياكلوا ولم يشربوا فارسل الله عليهم ريحا فرمتهم في البحر فهلكوا فجعلناها يعني تلك العقوبة
والمسخة نكالا اي عبرة تنكل من اعتبر بها اي تمنعه لما بين يديها اي الامم التي تروي تلك العقوبة
الممسوخة وما خلفها اي الامم التي بعدها لان مسخهم ذكرت في كتب الاولين فاعتبروا بها واعتبر
بها من بلغهم من الآخرين وموعظة اي عبرة للمتقين اي المؤمنين من هذه الامة او الذين نهوهم عن
الاعتداء من صالحي قومهم او لكل متق سمعها واذ قال موسى لقومه ان الله يأمركم ان تذبحوا بقرة
روي انه كان في بني اسرائيل شيخ موسر فقتله بنو اخيه لميراثه وطرحوه على باب مدينة ثم جاؤوا
يطلبون بدمه فقالوا لموسى ان يدعو الله تعالى ليبين لهم فسأل موسى عليه السلام ربه فامرهم بذبح بقرة فقال
لهم موسى ان الله يأمركم ان تذبحوا بقرة وتضربوه ببعضها ليحيى ويخبركم بقاتله قالوا اتتخذنا
هزوا اي اتستهزئ بنا حين نسألك عن القتيل وتأمرنا بذبح البقرة قال اعوذ بالله اي امتنع
به واعتصم ان اكون من الجاهلين اي المستهزئين بالمؤمنين لان الهزء في مثل هذا من باب الجهل والسفه
فلما علموا ان ذلك عزم من الله تعالى سألوه الوصف قالوا ادع لنا ربك اي سله بدعائك
اياه يبين لنا ما هي اي ما تلك البقرة وكيف هي وكم سنها وذلك انهم تعجبوا من بقرة
ميتة يضرب ببعضها ميت فيحيى فسألوا عن صفة هذه البقرة العجيبة الشأن الخارجة عما عليه البقر
وهذا سبيله منهم على التعسف قال انه يقول انها بقرة لا فارض ولا بكر

الفارض

هي الكبيرة المسنة سميت فارضا لانها فرضت سنها اي قطعتها وبلغت آخرها والبكر الصغيرة
الفتية عوان بين ذلك العوان النصف اي متوسطة في السن فافعلوا ما تؤمرون اي
اذبحوا ما امرتم به ولا ترجعوا قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما لونها اي لون من الالوان
قال انه يقول انها بقرة صفراء فاقع لونها اي هي صفراء شديدة الصفرة وعن وهب اذا نظرت اليها خيل اليك ان
شعاع الشمس يخرج من جلدها تسر الناظرين اي يعجبهم حسنها والسرور لذة عند حصول
نفع او توقعه **قال رضي الله عنه** من لبس نعلا صفراء قل همه لقوله تسر الناظرين
ومن الحسن صفراء فاقع لونها سوداء شديدة السواد قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي اسائمة
ام عاملة ان البقر يعني جنس البقر تشابه علينا اي اشتبه واشكل علينا او ان البقرة الموصوفة
بالعوان والصفرة كثيرة متشابهة فاشتبه علينا ايها نذبح وانا ان شاء الله لمهتدون
الى وصفها او الى ما خفي علينا من امر القاتل **قال رضي الله عنه** كرروا السؤال
عن حالها وصفتها ليزدادوا بيانا وعن النبي صلى الله عليه وآله لو اعترضوا ادنى بقرة فذبحوها لكفتهم
ولكن شددوا فشدد الله عليهم والاستقصاء شوم وفي الحديث اعظم الناس جرما من سأل عن شيء
لم يحرم فحرم لاجل مسألته قال صلى الله عليه وآله وايم الله لو لم يستثنوا لما بينت لهم آخر الابد اي لو لم

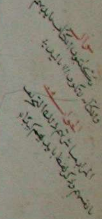
لا ذلول اى مذللة بالعمل تثير الارض

يقولوا ان شاء الله قال انه يقول انها بقرة لا ذلول تقلب لانها ليست ذلولا ولا تسقي الحرث
اى يعملها للزراعة اعنى لم تذلل للحرث ولسقي الحرث من العيوب او معفاة من العمل
يعنى ولا هي من النواضح التي يسنا عليها للسقي مسلمة سلمها الله من العيوب او اعفاها من العمل
اهلها منه او مخلصة اللون لم يشب صفرتها شيء من الالوان لا شية فيها اى لا لون فيها
يخالف سائر لونها سوى الصفرة فهي صفراء كلها حتى قرنها وظلفها قالوا الان جئت بالحق
اى بحقيقة وصف البقرة التام الذي يميزها من بين اجناسها وما في اشكالها فطلبوها
فوجدوها فذبحوها وقوله وما كادوا يفعلون استثقال لاستقصائهم واستبطاء لهم
وانهم لتطويلهم المفرط وكثرة سؤالهم ما كادوا ان يذبحوها وما كادت ينقطع تعنتهم وقيل وما
كادوا يفعلون لغلاء ثمنها وقيل لخوف الفضيحة في ظهور القاتل روي انه كان في بني اسرائيل
شيخ صالح له عجلة فاتى بها الغيضة وهي موضع الاشجار وقال اللهم انى استودعكها لولدي
حتى يكبر وكان برا بوالديه فشبت وكانت من احسن البقر واسمنها فساوموها اليتيم وامه حتى
اشتروها بملء مسكها ذهبا وكانت البقر في ذلك الوقت بثلاثة دنانير وكانوا طلبوا البقرة
الموصوفة اربعين سنة هذا اول القصة لكنه موخر في الكلام واذ قتلتم نفسا
خطاب للجمع لوجود القتل فيهم فادارأتم فيها اى فاختلفتم في القتل واختصمتم في شانه لان
المتخاصمين يدرأ بعضهم بعضا اى يدفعه والله مخرج ما كنتم تكتمون اى مظهر ما كتمتم
من امر القتيل لا تتركه مكتوما فقلنا اضربوه ببعضها اى اضربوا القتيل ببعض البقرة
واختلف في البعض الذي ضرب به فقيل لسانها وقيل فخذها اليمنى وقيل عجبها وهو عظم
الذنب الذي هو اصل الاذنب وهو اول ما يخلق وآخر ما يبلى وقيل العظم الذي يلي الغضروف
روي انهم لما ضربوه قام باذن الله واوداجه تشخب دما وقال قتلني فلان وفلان لابني عمه ثم سقط
ميتا وقتلا ولم يورث قاتل بعد ذلك كذلك يحيي الله الموتى اى كاحيا هذا القتيل
يحييهم يوم القيمة ويريكم آياته اى دلائله وعلامات قدرته في حلول الحيوة في الاموات
وانه قادر على كل شيء والخطاب لمن حضر حيوة القتيل او لمنكري البعث في زمن النبي صلى
الله عليه وآله لعلكم تعقلون اى يعملون على قضية عقولكم وان من قدر على احيا نفس واحدة
قدر على احيا الانفس كلها قال رضي الله عنه وكان الله تعالى قادرا
على احيا هذا القتيل بغير سبب لكن في الاسباب والشرط حكم وفوايد منها حسن تقديم القربة
على الطلب والتشديد عليهم لتشددهم ليكون ذلك لطفا لهم ولغيرهم في ترك التشديد
والمسارعة الى امتثال امر الله من غير تكثير سؤال ومنها نفع اليتيم والدلالة على بركة البر بالوالدين
والشفقة على الاولاد والحث على اختيار ما يتقرب به من صحيحة وغيرها كما روي عن عمر رضي

انه ضحى بنجيبة سلمها بدنانير وان تجارة صاحبه فيما لنس حسن اللون والزيادة في
الخطاب نسخ له وان النسخ قبل الفعل جائز بشرط ان يمضي وقت يمكن فيه الفعل لئلا يودي الى البدا
وغيره لكن من الفوايد الدينية المرغبة قال رضي الله عنه وكان حق القصة
في الترتيب ان يقدم ذكر القتيل اولا والضرب بعض البقرة على الامر بذبحها وان يقال واذ قتلتم
نفسا فادارأتم فيها فقلنا اذبحوا بقرة واضربوه ببعضها لكن المراد تعديد جناياتهم وتوبيخهم
بتكثيرها وهاتان قصتان كل واحدة منهما مستقلة بنوع من التقريع وان كانا في حكم قصة واحدة
فالاولى لتوبيخهم على الاستهزاء وترك المسارعة الى الامتثال والثانية لتوبيخهم على قتل النفس المحرمة
وما تبع الاية العظيمة وقدمت قصة الامر بالذبح على ذكر القتل لانه لو عكس لكانت قصة
واحدة ولذهب الغرض في تثنية توبيخهم ثم قست قلوبكم يا معشر اليهود اى اشتدت وصلبت
من بعد ذلك اى بعد هذه الآيات التي بعدت من المسخ ورفع الجبل فوقهم وانبجاس الماء من
الحجر واحيا الميت بضرب عضو وهذه الآيات مما تتصدع منها فهي كالحجارة في القسوة وعدم
المنفعة وفي ان المواعظ لا تؤثر فيها لغلظها ونبوها عن الاعتبار فهي في قسوتها مثل الحجارة
او اشد قسوة يعني بل اشد قسوة والمعنى ان من عرفها شبهها بالحجارة او بشيء اقسى منها وعنى
بهذه القسوة تركهم الايمان بمحمد صلى الله عليه وآله بعد ما عرفوا صدقه وقدرة الله على عقابهم
بتكذيبهم اياه ثم عذر الحجارة وفضلها على قلوبهم فقال وان من الحجارة لما يتفجر منه
الانهار اى يتفتح بكثرة الماء وان منها لما يشقق فيخرج منه الماء اى من الحجارة ما فيه خروق
واسعة يتدفق منها الماء الكثير ومنها ما يتشقق انشقاقا بالطول او بالعرض فينبع منه الماء
وان منها لما يهبط اى ينزل من علو الى سفل من خشية الله قال مجاهد كل حجر يتفجر منه الماء
او يتشقق عن ماء او يتردى من راس جبل فهو من خشية الله نزل به القرآن قال رضي الله عنه
وخشية الحجارة مجاز عن انقيادها لامر الله وانها لا تمتنع على ما يريد منها وقلوبهم لا تنقاد
ولا تفعل ما امرت به ثم اوعدهم فقال وما الله بغافل عما تعملون يعني انه حافظ لاعمالهم ومحص
عليها صغيرها وكبيرها ونقيرها وقطميرها ثم خاطب النبي صلى الله عليه وآله والمؤمنين وقطع
طمعهم عن ايمانهم فقال افتطمعون ان يؤمنوا لكم لاجل دعوتكم وقد كان فريق منهم يسمعون
اى وحالهم ان طائفة منهم كانوا يسمعون كلام الله يعني التورية وما يتلى فيها من الاحكام
ثم يحرفونه عن وجهه يعني الذين غيروا احكام التورية وغيروا آية الرجم وصفة محمد صلى الله عليه
وآله وسلم وقيل هم قوم من السبعين المختارين سمعوا كلام الله حين كلم موسى بالطور وما
امر به ونهى فقالوا سمعنا الله يقول في آخره ان استطعتم ان تفعلوا هذه الاشياء فافعلوا وان
شئتم لا تفعلوا فلا باس من بعد ما عقلوه اى من بعد ما فهموه وضبطوه بعقولهم يعني لم

يفعلوا ذلك عن نسيان وخطا بل يفعلوا عن قصد وتعمد **وهم يعلمون** ان ذلك مكتسب للاوزار والمعنى ان هولاء وان كفروا وحرفوا فلهم سابقة في ذلك من اسلافهم وانهم كاذبون مفترون واياهم **واذا لقوا الذين آمنوا** يعني منافقي اليهود **قالوا آمنا** بانكم على الحق وان محمدا هو الرسول المبشر به وانه نبي صادق نجده في كتابنا **واذا خلا بعضهم الى بعض** يعني اذا رجع هولاء المنافقون الى رؤسائهم لاموهم **قالوا** عاتبين عليهم **اتحدثونهم** اي تخبرون اصحاب محمد **بما فتح الله عليكم** اي بما بين لكم في التوريه من صفة النبي صلى الله عليه واله المبشر به **ليحاجوكم به** اي ليجادلونكم ويخاصموكم به اي بما قلتم لهم **عند ربكم** في الاخره يقولون كفرتم به بعد ان وقفتم على صدقه **افلا تعقلون** يعني افليس لكم ذهن الاساسه تفهمون ان هذا حجه عليكم كانكم لا تعقلون فقال الله تعالى **اولا يعلمون ان الله يعلم ما يسرون** من التكذيب يعني هولاء المنافقين **وما يعلنون** من التصديق وهذا توبيخ لهم وتنبيه انه لا يخفى عليه خافيه **ومنهم اميون** اي من قوم اليهود اي لا يكتبون ولا يقرؤن فيطالعون التوريه ويتحققوا ما فيها **لا يعلمون الكتاب الا اماني** اي الا اكاذيب واحاديث مفتعله سمعوها من كبرائهم او الا ما هم عليه من امانيهم وان الله يعفو عنهم ولا يؤاخذهم بخطاياهم وان اباهم الانبياء يشفعون لهم وما تمنيهم احبارهم من ان النار لا تمسهم الا اياما معدوده **وان هم الا يظنون** اي وما الذي هم فيه الا ظن فاسد باطل فيجحدون نبوته بالظن **فويل** اي حسره وعذاب **للذين يكتبون الكتاب بايديهم** اي من قبل انفسهم من غير ان يكون انزل عليهم **ثم يقولون هذا من عند الله** تكذيبا على الله **ليشتروا به** اي ليستبدلوا بالتحريف **ثمنا قليلا** وهو الرشا والرياسه في قومهم ووصفوا بالقله لان كل فان وان كثر قليل لا اوليته في جنب عذاب الاخره الباقي **فويل لهم مما كتبت ايديهم** من التحريف والتبديل وهو يعني اليهود لانهم عمدوا الى صفة محمد صلى الله عليه واله وكتبوا صفته على غير ما كانت في التوريه واخذوا عليها الرشا والاموال فذلك قوله **وويل لهم مما يكسبون** فلما اوعدهم رسول الله صلى الله عليه واله وسلم بالنار عند تكذيبهم **وقالوا لن تمسنا النار الا اياما معدودة** اي قليله يعنون الايام التي عبدوا فيها العجل وهي اربعون يوما وعن مجاهد كانوا يقولون مده الدنيا سبعة الاف سنه وانما نعذب مكان كل الف سنه يوما فكذبهم الله فقال **قل** يا محمد **اتخذتم عند الله عهدا** اي اخذتم بما تقولون من الله ميثاقا **فلن يخلف الله عهده** اي فان الله لا ينقض ميثاقه **ام تقولون على الله ما لا تعلمون** اي ما لا علم لكم بصحته وانما تقولون الباطل جهلا منكم والمعنى سلهم يا محمد اي هذين الامرين اعتمدوا عليه ثم رد عليهم قولهم لن تمسنا النار الا اياما معدوده فقال **بلى** اعذب **من كسب سيئة** يعني الشرك او كبيره من الكبائر **واحاطت به خطيئته** اي سدت عليه مسالك النجاه وهو ان يموت





على الشرك او لم يخلص عن الكبائر بالتوبه **فاولئك اصحاب النار هم فيها خالدون** اي فاولئك الذين يخلدون في النار **والذين آمنوا وعملوا الصالحات اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون** الايمان في الاصل التصديق ثم صار مقصورا على التصديق بالله ورسوله وقوله وعملوا الصالحات يعني اعمال الطاعه ثم مع التصديق بالله ورسوله ممتثلون للاوامر اولئك يعني من تقدم ذكره اصحاب الجنه يعني يصحبونها ويلازمونها لسكونهم فيها هم فيها خالدون اي دائمون ثم اخبر عن اخذ الميثاق عليهم بتبيين نعت محمد صلى الله عليه واله فقال **واذ اخذنا ميثاق بني اسرائيل** في التوريه وهو معاهدتهم على فعل هذه الامور **لا تعبدون** اي بان لا تعبدون **الا الله وبالوالدين احسانا** اي وصيناهم بالوالدين احسانا في برهما وتوقيرهما **وذي القربى** اي القرابه ذوي الرحم **واليتامى والمساكين** اي واحسنوا الى الايتام والمساكين واوصلوا اليهم الاحسان **وقولوا للناس حسنا** اي صدقا وحقا في شان محمد صلى الله عليه واله او قولوا لهم قولا هو حسن في نفسه لافراطه في حسنه **واقيموا الصلوة وآتوا الزكوة** المراد باقامه الصلوه فعلها كامله وبايتاء الزكوه صرفها في مستحقيها من الحلال الطيب اخلاصا لله **ثم توليتم** اي اعرضتم عن العهد والميثاق ورفضتموه يعني اوائلهم **الا قليلا منكم** يعني من كان ثابتا على دينه ثم امن بمحمد صلى الله عليه واله **وانتم معرضون** عما عهدنا لكم كاوائلكم عادتكم الاعراض عن المواثيق **واذ اخذنا ميثاقكم لا تسفكون دماءكم** سفك الدم اراقته اي اكدنا عليكم ان لا يقتل بعضكم بعضا وجعل غير الرجل نفسه اذا اتصل به اصلا ودينا وقيل اذا قتل غيره فكانما قتل نفسه لانه يقتص منه **ولا تخرجون انفسكم من دياركم** اي لا يخرج بعضكم بعضا من داره فيغلبه عليها **ثم اقررتم** اي قبلتم واعترفتم يا بني اسرائيل على انفسكم بلزوم الميثاق لكم **وانتم** اليوم **تشهدون** على اقرار اوائلكم وعلى انفسكم بلزومه ثم اخبر انهم نقضوا هذا الميثاق فقال **ثم انتم هولاء** الخطاب لعرفيضه والنظير اي انتم بعد ذلك هولاء الفاعلون لهذه الافعال **تقتلون انفسكم** اي يقتل بعضكم بعضا **وتخرجون فريقا منكم من ديارهم** اي تجلونهم عنها **تظاهرون عليهم** اي تتعاونون على اهل ملتكم **بالاثم والعدوان** اي بالمعصيه والظلم وقيل الاثم والكفر والعدوان القتال والاجلاء من الديار **وان ياتوكم اسارى** اي مأسورين **تفادوهم** اي تخلصوهم من الاسر بالمال وقد نهيتم عن اخذ الفدا كما نهيتم عن القتل **وهو محرم عليكم اخراجهم** لانهم منكم **افتؤمنون ببعض الكتاب** يعني فداء الاسير **وتكفرون ببعض** يعني القتل والاخراج والمظاهره قال السدي اخذ الله تعالى على بني اسرائيل اربعة عهود ترك القتل وترك الاخراج وترك المظاهره وفداء اسرائهم فاعرضوا عن كل ما امروا به الا الفداء **فما جزاء من يفعل ذلك منكم الا خزي** اي فضيحه وهوان **في الحيوة الدنيا** قيل هو قتل بني قريظه واسرهم واجلاء بني النضير

سؤال [illegible]

جواب [illegible]

وقيل الجزيه هذا في الدنيا ويوم القيمه يردون الى اشد العذاب يعني عذاب الاخره وما الله بغافل عما يعملون وعيد لهم بحفظ اعمالهم للجزا عليها اولئك الذين اشتروا الحيوة الدنيا بالاخره اي استبدلوا هذه بهذه ورضوا بها نقضا واختاروا اثارها وعمارتها بخراب الاخره فلا يخفف عنهم العذاب في الدنيا بنقصان الجزيه ولا هم ينصرون في الاخره بدفع العذاب عنهم ولقد اتينا موسى الكتاب وهو التوريه اتاه اياها جمله واحده وقفينا من بعده بالرسل اي اتبعنا على اثره الكثير من الرسل يوشع واشمويل وشمعون وداود وسليمن وشعيا وارميا وعزير وحزقيل والياس واليسع ويونس وزكريا ويحيى وغيرهم واتينا عيسى ابن مريم البينات اي المعجزات الواضحات كاحيا الموتى وابرا الاكمه والابرص وعيسى بالسريانيه ايشوع ومريم بمعنى الخادم وايدناه اي قويناه بروح القدس وهو جبريل عليه السلم وذلك انه كان قرينه يسير معه حيث سار وقيل بالروح المقدسه وهي المطهره لانه لم تضمه الاصلاب ولا الارحام يقول فعلنا كل هذا فاستقمتم لحكم (?) افكلما جاءكم رسول بما لا تهوى انفسكم استكبرتم اي تعظمتم عن الايمان به ففريقا كذبتم مثل عيسى ومحمد وفريقا تقتلون مثل زكريا ويحيى او اراد انكم تريدون قتل محمد لولا اني عاصم له منكم وقد سحرتموه وسممتم له الشاه وقالوا قلوبنا غلف اي معنى ان اليهود قالوا استهزا وانكارا لما اتى به محمد صلى الله عليه واله قالوا قلوبنا عليها غشاوه فهي لا تعي ولا تفقه ما تقول وكل ذي غلاف فهو اغلف وجمعه غلف فاكذبهم الله تعالى فقال بل لعنهم الله بكفرهم اي ابعدهم من رحمته وطردهم فهم الذين غلفوا قلوبهم بكفرهم فقليلا ما يؤمنون اي فقليلا يؤمنون بما في ايديهم وقال قتاده فقليلا ما يؤمنون اي ما يؤمن منهم الا قليل كعبد الله بن سلام او فايمانا قليلا يؤمنون وما مزيده لا يخالفه ولما جاءهم كتاب من عند الله وهو القران مصدق اي موافق لما معهم من كتابهم وكانوا يعني اليهود من قبل نزول هذا الكتاب يستفتحون اي يستنصرون على الذين كفروا بمحمد وكتابه ويقولون اللهم انصرنا بالنبي المبعوث في اخر الزمان الذي نجد صفته في التوريه وكانوا يقولون لاعدائهم من المشركين قد اظل زمان نبي يخرج بتصديق ما قلنا فنقتلكم معه قتل عاد وارم فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به بغيا وحسدا او حرصا على الرياسه فلعنة الله اي غضب الله وعقابه والبعد من رحمته على الكافرين اي الجاحدين كذلك بئسما اشتروا به انفسهم اشتروا والمعنى باعوا والمعنى بئس ما باعوا به انفسهم ان يكفروا بما انزل الله من الوحي بغيا اي حسدا وطلبا لما ليس لهم ان ينزل الله من فضله اي حسدوه على ان ينزل من فضله الذي هو الوحي على من يشاء من عباده اي على من يقتضي الحكمه ارساله فباءوا بغضب على غضب اي فصاروا احقا بغضب مترادف لانهم كفروا بالنبي الحق

وبغوا عليه وللكافرين عذاب مهين بسبب كفرهم بمحمد بعد كفرهم بعيسى والمهين المذل لهم في الاخره بعدما اهانهم في الدنيا واذا قيل لهم امنوا بما انزل الله من كل كتاب مع كل رسول قالوا نؤمن بما انزل علينا من التوريه فقط ويكفرون بما وراءه اي بما عداه ومما انزل بعده يعنون القران وهو الحق مصدقا لما معهم اي موافق لما معهم من التوريه غير مخالف وفي هذا رد لمقالتهم لانهم اذا كفروا بما يوافق التوريه فقد كفروا بها قل فلم تقتلون انبياء الله من قبل اي قل يا محمد معترضا عليهم بقتلهم الانبيا مع ادعائهم الايمان بالتوريه وهي لا تسوغ قتل الانبيا ان كنتم مؤمنين اي صادقين في دعواكم الايمان بالتوريه ولقد جاءكم موسى بالبينات وهي المعجزات التي لا عذر لكم في الكفر معها ثم اتخذتم العجل من بعده ربا ومعبودا من دون الله وانتم ظالمون اي واضعون العباده في غير موضعها واذ اخذنا ميثاقكم على العمل بما في التوريه ورفعنا فوقكم الطور لامتناعكم من الامتثال بما واعدناكم عليه وكرر رفع الطور لما تعلق به من زياده فايده ليست في الايه الاولى خذوا ما اتيناكم بقوه اي بجد وعزيمه واسمعوا ما امرتم به في التوريه سماع قبول وطاعه قالوا سمعنا القول وعصينا الامر واشربوا في قلوبهم العجل اي تداخل حبه والحرص على عبادته كما يتداخل الصبغ في الثوب بكفرهم اي بسبب كفرهم قل يا محمد بئسما يامركم به ايمانكم بالتوريه لانه ليس فيها عباده العجاجيل واضافه الامر الى ايمانهم تهكم كما قال قوم شعيب له اصلواتك تامرك ان كنتم مؤمنين اي مصدقين بالتوريه وهذا تشكيك في ايمانهم وقدح في صحه دعواهم قل ان كانت لكم الدار الاخره عند الله خالصه من دون الناس اي قل لهم يا محمد تبكيتا لهم ان صح قولكم لن يدخل الجنه الا من كان هودا او كانت الدار الاخره وهي الجنه لكم خالصه اي سالمه من الشوائب ليس لاحد فيها سواكم حق فتمنوا الموت لان من يعتقد انه من اهل الجنه اشتاق اليها وتمنى سرعه الوصول الى النعيم والتخلص من دار الشوايب كما روي عن المبشرين بالجنه ما روي كان علي عليه السلم يطوف بين الصفين في غلاله فقال له ابنه الحسن ما هذا بزي المحاربين فقال يا بني لا يبالي ابوك على الموت سقط ام عليه سقط الموت وعن حذيفه انه كان يتمنى الموت فلما احتضر قال حبيب جاء على فاقه لا افلح من ندم يعني على تمني الموت وقال عمار بصفين الان الاقي الاحبه محمدا وحزبه وكان كل واحد من العشره يحب الموت ويحن اليه وعن النبي صلى الله عليه واله وسلم ان اليهود لو تمنوا الموت لغص كل انسان بريقه فمات مكانه وما بقي على وجه الارض يهودي ان كنتم صادقين في دعواكم ان الجنه لكم خالصه دون المسلمين ولن يتمنوه ابدا التمني ليس من اعمال القلوب وانما هو قول الانسان بلسانه ليت لي كذا فنفى الله عنهم النطق بذلك نفيا مؤبدا وهو من المعجزات الباهره لانه اخبار بالغيب وكان كما اخبر لانهم لو نطقوا به لنقل

عنهم ولكان ما قلوه من أهل الكتاب وأهل المطاعن في الإسلام أكثر من الذر ولسن أحدًا
منهم نقل ذلك بما قدمت أيديهم أي بما أسلفوا من موجبات النار من الكفر بمحمد صلى الله عليه وآله
وما جاء به وتحريف كتاب الله تهديد لهم تعالى والله عليم بالظالمين ولتجدنهم يعني
اليهود أحرص الناس على حياة أي هم أحرص الناس للحيوة المتطاولة ومن الذين أشركوا أي
وهم أحرص من الذين أشركوا قال رضي الله عنه وقد دخلوا في جملة الناس ولكن
أفردوا بالذكر لأن حرصهم على الحيوة أشد لأنهم لا يؤمنون بعاقبة ولا يعرفون إلا الحيوة
الدنيا فحرصهم عليها لا يستبعد لأنها جنتهم وفيه توبيخ عظيم لليهود يود أحدهم لو يعمر ألف سنة
هذا بيان لزيادة حرصهم أي يتمنى من غاية الحرص وما هو بمزحزحه من العذاب أن يعمر
الزحزحة التبعيد والإنحاء وما أحدهم بمنجيه يبعده من النار والله بصير بما يعملون ۝
أي خبير بعلمهم فمجازيهم عليه وهو تهديد لهم قل من كان عدوا لجبريل ۝ روي
أن عبد الله بن صوريا من أحبار فدك حاج رسول الله صلى الله عليه وآله وسأله عمن يهبط
عليه بالوحي فقال جبريل فقال ذاك عدونا ولو كان غيره لآمنا بك وقد عادانا مرارًا
وأشدها أنه أنزل على نبينا أن بيت المقدس سيخربه بخت نصر فبعثنا من يقتله فلقيه ببابل
غلامًا مسكينًا فدفع عنه جبريل وقال إن كان ربكم أمره بهلاككم فإنه لا يسلطكم عليه
وإن لم يكن إياه فعلى أي حق تقتلونه وقيل أمره الله بجعل النبوة فينا فجعلها في غيرنا
وروي أنه كان لعمر رضي الله عنه أرض بأعلى المدينة وكان ممره على مدارس اليهود فكان يجلس إليهم ويسمع
كلامهم فقالوا يا عمر قد أحببناك وإنا لنطمع فيك فقال والله ما أجيئكم لحبكم ولا أسألكم
لأني شاك في ديني وإنما أدخل عليكم لأزداد بصيرة في أمر محمد صلى الله عليه وآله وسلم وأرى
آثاره في كتابكم ثم سألهم عن جبريل فقالوا ذاك عدونا يطلع محمدًا على أسرارنا وهو صاحب
كل خسف وعذاب وإن ميكائيل يجيء بالخصب والسلام فقال لهم وما منزلتهما من الله قالوا أقرب
منزلة جبريل عن يمينه وميكائيل عن يساره وميكائيل عدو لجبريل فقال عمر إن كان كما تقولون فما هما
بعدوين ولأنتم أكفر من الحمير ومن كان عدوًا لأحدهما كان عدوًا للآخر ثم رجع عمر فوجد جبريل
قد سبقه بالوحي فقال النبي صلى الله عليه وآله لقد وافقك ربك يا عمر فقال عمر لقد رأيتني بعد ذلك
أصلب من الحجر فإنه يعني جبريل نزله يعني القرآن على قلبك أي حفظك إياه وفهمك بإذن
الله أي بتيسيره وتسهيله مصدقًا لما بين يديه أي موافقًا لما قبله من الكتب فلو أنصفوا
لأحبوه وشكروا له صنيعه في إنزاله ما ينفعهم ويصحح المنزل عليهم وهدى وبشرى للمؤمنين
أي زيادة هدى وبشارة لهم من كان عدوًا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكائيل فإن الله
عدو للكافرين لأن عداوة الملائكة كفر وإذا كانت عداوة الأنبياء كفرًا فما بال الملائكة وهم أشرف

وأوصل والمعنى أن من عاداهم عاداه الله وأفرد جبريل وميكائيل بالذكر لفضلهما كأنهما من جنس آخر
وقيل خصهما بالذكر لما ذكرتهما اليهود حين قالوا جبريل عدونا وميكائيل ولينا ولقد أنزلنا إليك
آيات بينات أي معجزات واضحات في الدلالة في صدقك وما يكفر بها إلا الفاسقون أي
المتمردون من الكفرة وعن الحسن إذا استعمل الفسق في نوع من المعاصي وقع على أعظم ذلك النوع
من كفر وغيره وعن ابن عباس أن ابن صوريا قال لرسول الله صلى الله عليه وآله ما جئتنا بشيء نعرفه
وما أنزل عليك من آية فنتبعك لها فنزلت هذه الآية أوكلما عاهدوا عهدًا نبذه فريق منهم
الواو للعطف على محذوف تقديره أكفروا بالآيات البينات وكلما عاهدوا والنبذ الرمي بالذمام
ورفضه وقال فريق منهم لأن منهم من لم ينقض بل أكثرهم لا يؤمنون أي لا يصدقون بالتوراة وليسوا
من الدين في شيء فلا يعدون نقض المواثيق ذنبًا ولا يبالون به ولما جاءهم رسول من عند الله
وهو محمد صلى الله عليه وآله الذي صفته في كتابهم مصدق لما معهم من التوراة نبذ فريق
من الذين أوتوا الكتاب كتاب الله يعني التوراة لأنهم بكفرهم برسول الله المصدق لما معهم
كافرون بها نابذون لها وقيل كتاب الله القرآن نبذوه بعدما لزمهم تلقيه بالقبول وراء
ظهورهم مثل لتركهم وإعراضهم عنه مثل بما يرمى به وراء الظهر استغناء عنه وقلة التفات
إليه وعن الشعبي هو بين أيديهم يقرؤونه ولكنهم نبذوا العمل به وعن سفيان الثوري أدرجوه
في الديباج والحرير وحلوه بالذهب ولم يحلوا حلاله ولم يحرموا حرامه كأنهم لا يعلمون ۝ أي
أنه كتاب الله لا يداخلهم فيه شك وإن علمهم بذلك رصين ولكنهم كابروا وعاندوا واتبعوا
أي نبذوا كتاب الله واتبعوا ما تتلوا الشياطين أي اتبعوا كتب السحر والشعوذة التي كانوا
يقرؤونها على ملك سليمان أي على عهد ملكه وفي زمانه وذلك أن الشياطين كانوا يسترقون
السمع ثم يضمون إلى ما سمعوا أكاذيب يلقونها إلى الكهنة ويدونونها في كتب يقرؤونها ويعلمونها
الناس وفشا ذلك في زمن سليمان حتى قالوا إن الجن تعلم الغيب وكانوا يقولون هذا علم سليمان وما
تم ملكه إلا بهذا وبه سخر الجن والإنس والريح التي تجري بأمره وما كفر سليمان تكذيب للشياطين
ودفع لما بهتت به سليمان من اعتقاد السحر والعمل به وسماه كفرًا ولكن الشياطين كفروا
باستعمال السحر وتدوينه يعلمون الناس السحر ويقصدون به إغواءهم وإضلالهم وما أنزل
على الملكين ببابل أي واتبعوا ما أنزل على الملكين هاروت وماروت بيان للملكين
وبابل اسم قرية بالعراق وقال قتادة هي الكوفة وسوادها والذي أنزل عليهما هو علم السحر ابتلاء
من الله للناس من تعلمه منهم وعمل به كان كافرًا ومن تجنبه أو تعلمه ليتوقاه ولا ليغتر به كان مؤمنًا
كما ابتلي قوم طالوت بالنهر وما يعلمان من أحد يعني الملكين حتى يقولا إنما نحن فتنة أي ابتلاء
واختبار من الله فلا تكفر أي لا تتعلم معتقدًا أنه حق فتكفر وذلك أن الله عز وجل امتحن الناس

بالملكين في ذلك الوقت وجعل المحنة في الكفر والايمان ان يقبل القابل تعلم السحر فيكفر بتعلمه
ويؤمن بترك التعلم ولله ان يمتحن عباده بما يشاء وهذا معنى قوله انما نحن فتنة فلا تكفر اي محنة من
الله نخبرك ان علم السحر كفر بالله وننهاك عنه فان اطعتنا نجوت وان عصيتنا هلكت وقوله
فيتعلمون اي فيأتون ويتعلمون منهما اي من الملكين ما يفرقون به بين المرء وزوجه ۞
وهو علم السحر الذي يكون سببا في التفريق بين الزوجين من حيلة وتمويه كالنفث في العقد ونحوه
ما يحدث الله عنده الفرك والنشوز والخلاف ابتلاء منه تعالى لا ان السحر له اثر في نفسه بدليل
قوله وما هم يعني السحرة الذين يتعلمون السحر بضارين به اي بالسحر من احد الا باذن الله
اي بارادة الله كون ذلك اي لا يضرون بالسحر الا من اراد الله ان يلحقه ذلك الضرر لانه ربما احدث
الله عنده فعلا من افعاله فضر وربما لم يحدث فلم يضر ويتعلمون ما يضرهم في الآخرة ولا ينفعهم
لانهم يقصدون به الشر وفي هذا تنبيه على ان اجتنابه اصلح واسلم كتعلم الفلسفة التي تجر الى
الغواية ولقد علموا يعني اليهود لمن اشتراه اي اختار السحر واستبدل ما تتلو الشياطين
على كتاب الله ما له في الآخرة من خلاق اي من نصيب ثم ذمهم وقال ولبئس ما
شروا به انفسهم اي بئس شيئا باعوا به حظ انفسهم حيث اختاروا السحر ونبذوا كتاب الله
لو كانوا يعلمون كنه ما يصيرون اليه من حرمان الآخرة والعقاب **قال رضي الله عنه**
اثبت لهم العلم اولا في قوله ولقد علموا ثم نفاه عنهم في قوله لو كانوا يعلمون لان المعنى لو كانوا
يعملون بعلمهم لكن جعلهم حين لم يعملوا به كأنهم منسلخون عنه ولو انهم آمنوا واتقوا بمحمد والقرآن
والتقوى اليهودية والسحر وتركوا ما هم عليه لمثوبة من عند الله خير لو كانوا يعلمون اي لاثيبوا
ما هو خير لهم من الكسب بالسحر وقد علموا لكنه جهلهم لترك العمل بالعلم يا ايها الذين آمنوا
لا تقولوا راعنا وقولوا كان المسلمون يقولون للنبي صلى الله عليه واله اذا القى عليهم شيئا
من العلم راعنا يا رسول الله اي راقبنا وانتظرنا حتى نفهمه ونحفظه وكانت هذه اللفظة شيئا
بلسان اليهود فلما سمعوا هذه الكلمة يقولونها لرسول الله صلى الله عليه واله افترصوها وكانوا يأتونه
صلى الله عليه واله ويقولون ذلك ويضحكون فيما بينهم فنهى الله المؤمنين عن ذلك وانزل هذه الآية
وامرهم ان يقولوا بدل راعنا انظرنا اي انظر الينا حتى نسمع ما تقول واسمعوا اي واسمعوا
واتركوا هذه الكلمة او واحسنوا سماع ما يكلمكم به رسول الله صلى الله عليه واله وما يلقي عليكم
من الوحي باذان واعية واذهان حاضرة حتى لا تحتاجوا الى الاستعادة وطلب المراعاة او واسمعوا
سماع قبول وطاعة ولا يكن سماعكم مثل سماع اليهود حيث قالوا سمعنا وعصينا وروي ان سعد بن معاذ
رضي الله عنه سمعها منهم فقال يا اعداء الله عليكم لعنة الله والذي نفسي بيده لئن سمعتها من رجل
منكم يقولها لرسول الله صلى الله عليه واله لاضربن عنقه فقالوا اولستم تقولونها فنزلت هذه الآية

واسهوا

واسمعوا وللكافرين عذاب اليم يعني اليهود والذين تهاونوا برسول الله صلى الله عليه واله وسبوه ما يود
الذين كفروا من اهل الكتاب ولا المشركين ان ينزل عليكم من خير من ربكم اي ما يحبون ان ينزل عليكم خير من ربكم من
الاولى للبيان لان الذين كفروا نوعان اهل الكتاب والمشركون والثانية مزيدة لاستغراق الخير
والثالثة لابتداء الغاية والخير الوحي والمعنى انهم يرون انفسهم احق بان يوحى اليهم فيحسدونكم
وما يحبون ان ينزل عليكم شيء من الوحي والله يختص برحمته وهي النبوة والوحي من يشاء ولا يشاء الا ما تقتضيه
الحكمة والله ذو الفضل العظيم فيخص به من يشاء ولا اعتراض عليه ما ننسخ من آية او ننسها
روي انهم اعترضوا في النسخ فقالوا الا ترون الى محمد يأمر اصحابه بامر ثم ينهاهم عنه ويأمرهم
ويقول اليوم قولا ويرجع عنه غدا فنزلت ونسخ الآية ازالتها بابدال اخرى مكانها وانساخها الامر
بنسخها وهو ان يأمر جبرئيل بان يجعلها منسوخة بالاعلام بنسخها ونسؤها تأخيرها واذهابها لا الى
بدل وانساؤها اذهاب حفظها عن القلوب ومعناه ان كل آية نذهب بها على ما توجبه المصلحة
نأت بخير منها اي بآية خير منها للعباد بكون العمل بها اكثر للثواب وانفع لهم واسهل عليهم
او مثلها في المنفعة والثواب الم تعلم ان الله على كل شيء قدير من النسخ والتبديل وغيرهما قدير
يقدر على الخير وما هو خير منه وعلى مثله في الخير الم تعلم ان الله له ملك السموات والارض يفعل
فيهما ما يشاء وهو اعلم بوجه الصلاح فيما يتعبدهم به من ناسخ ومنسوخ فهو يملك الامور ويدبرها ويجريها
على حسب ما يصلحكم وما لكم من دون الله من ولي اي من وال يلي امركم ويقوم به ولا نصير
ينصركم ويدفع المضار عنكم ويحصل المنافع وفي هذا تحذير من عذابه اذ لا مانع منه ام تريدون
اي بل اتريدون ان تسألوا رسولكم محمدا كما سئل موسى من قبل **ورد** ان قريشا قالوا
يا محمد اجعل لنا الصفا ذهبا ووسع لنا ارض مكة فنهوا ان يقترحوا عليه الآيات كما اقترح
قوم موسى عليه السلام حين قالوا ارنا الله جهرة وذلك ان السؤال بعد قيام البراهين كفر ولذلك قال تعالى
ومن يتبدل الكفر بالايمان اي ومن ترك الثقة بالآيات المنزلة وشك فيها وطلب غيرها فقد ضل
سواء السبيل اي عدل قصده ووسطه والمراد طريق الحق ود كثير من اهل الكتاب لو يردونكم من بعد
ايمانكم كفارا **روي** ان فنحاص بن عازورا وزيد بن قيس ونفرا من اليهود قالوا لحذيفة بن اليمان
وعمار بن ياسر بعد وقعة احد الم تروا ما اصابكم ولو كنتم على الحق ما هزمتم فارجعوا الى ديننا فهو
خير لكم وافضل ونحن اهدى منكم سبيلا فقال عمار كيف نقض العهد فيكم قالوا شديد قال فاني
قد عاهدت ان لا اكفر بمحمد ما عشت فقالت اليهود اما هذا فقد صبأ وقال حذيفة واما انا فقد رضيت
بالله ربا وبمحمد نبيا وبالاسلام دينا وبالقرآن اماما وبالكعبة قبلة وبالمؤمنين اخوانا ثم اتيا
رسول الله صلى الله عليه واله واخبراه فقال اصبتما خيرا وافلحتما ونزلت اي تمنى كثير من اليهود
ارتدادكم عن دينه حسدا من عند انفسهم اي حسدا منبعثا من اصل انفسهم من بعد

ما تبين لهم الحق في التوريه ان قول محمدا صلى الله عليه وآله الحق ودينه حق فاعفوا واصفحوا اى
اعرضوا عن مساوي اخلاقهم وكلامهم وعلى قلوبهم واسلكوا معهم سبيل العفو والصفح عما يكون منهم من
الجهل والعداوه حتى ياتي الله بامره وهو قتل بني قريظه واجلاء بني النضير واذلالهم بضرب الجزيه
عليهم ان الله على كل شيء قدير فهو يقدر على الانتقام منهم واقيموا الصلوه اى اديموها
كامله الاركان تامه السنن وآتوا الزكوه اى اعطوها مستحقيها خالصه لله وما تقدموا لانفسكم
من الدنيا الى الاخره من خير اى من حسنه صلوه او صدقه او غيرهما تجدوه عند الله محفوظا
موفرا ان الله بما تعملون بصير اى عالم لا يضيع عنده عمل عامل ۝ وقالوا لن يدخل الجنه
الا من كان هودا او نصارى اى قالت اليهود لن يدخل الجنه الا من كان يهودا وقالت النصارى
لن يدخلها الا النصارى فلف بين القولين ثقه بان السامع يرد الى كل فريق قوله لما علم من التعادي
بين الفريقين وتضليل كل واحد منهما لصاحبه تلك امانيهم التي تمنوها على الله ان لا يدخل
الجنه غيرهم وهي اماني باطله مضمحله قل هاتوا برهانكم اى هاتوا حجتكم على ما تقولون من
اختصاصكم بدخول الجنه ان كنتم صادقين في دعواكم وهذا اهدم شي لمذهب المقلدين
وان كل قول لا دليل عليه فهو باطل غير ثابت ثم بين تعالى من يدخلها وقال بلى من اسلم وجهه
لله اى من اخلص نفسه له وانقاد لامره وبذل له وجهه في السجود وهو محسن في عمله مصدق
بالقران فله اجره الذي يستوجبه عند ربه اى جزاء عمله الذي وعده الله به في الجنه ولا خوف
عليهم ولا هم يحزنون ۝ يعني انهم على يقين من ذلك وليس حاله كحال اهل العقاب في
الخوف والحزن والخوف غم يلحق الانسان لامر متوقع والحزن غم يلحقه لامر واقع وقالت اليهود
ليست النصارى على شيء وقالت النصارى ليست اليهود على شيء اى على شيء يعتد به وهذه
مبالغه عظيمه لان المحال والمعدوم يقع عليها اسم الشيء فاذا نفي اطلاق اسم الشي عليه فقد بولغ في
ترك الاعتداد به وسبب هذه الايه ان وفد نجران قدموا فسارعوا احبار اليهود وكفر كل واحد من
مع الدين الاخر وقوله وهم يتلون الكتاب يعني ان الفريقين يتلون التوراه والانجيل
وقد وقع بينهم هذا الاختلاف وكتابهم واحد فدل هذا على ضلالهم كذلك قال الذين لا
يعلمون يعني كفار الامم الماضيه وكفار هذه الامه مثل قولهم في تكذيب الانبياء والاختلاف
عليهم فسبيل هولاء الذين يتلون الكتاب كسبيل من لا يعلم الكتاب من المشركين في الانكار لدين الله فالله
يحكم بينهم يوم القيمه اى يريهم عيانا من يدخل الجنه ومن يدخل النار فيما كانوا فيه يختلفون
من الاديان وعن الحسن حكم الله بينهم ان يكذبهم ويدخلهم النار ومن اظلم ممن منع مساجد الله
ان يذكر فيها اسمه اى من اشد ظلما ممن منع الناس مساجد الله كراهة ذكر اسمه فيها وهو يعني بيت
المقدس ومحاربيه نزلت في الروم خربوا بيت المقدس وقيل هو حكم عام لجنس مساجد الله وان

مانعها

مانعها مفرط في الظلم والسبب فيه ان اليهود كانوا يطرحون في بيت المقدس الاذى ويمنعون
الناس ان يصلوا فيه وغزاهم الروم واخربوه واحرقوا التوريه وقتلوا وسبوا وقيل اريد به منع
قريش رسول الله صلى الله عليه وآله ان يدخل مكه عام الحديبيه وسعى في خرابها بانقطاع الذكر
او بتخريب البنيان اولئك المانعون ما كان لهم ان يدخلوها الا خائفين على حال التهيب وارتعاد
الفرائص من المؤمنين ان يبطشوا بهم فضلا ان يستولوا عليها ويلوها ويمنعوا المؤمنين منها وقد
روي انه لا يدخل بيت المقدس احد من النصارى الا متنكرا مسارقه خوفا من الضرب والعقوبه ولو
علم به قتل لهم في الدنيا خزي يعني القتل للحربي والجزيه للذمي وقيل فتح مدائنهم وهي
قسطنطنيه ورومه وعموريه ولهم في الاخره عذاب عظيم اى اعظم منه ولله المشرق والمغرب
اى هو خالقهما والارض كلها لله هو مالكها ومتوليها فاينما تولوا اى في اى مكان فعلتم التوليه
بوجوهكم فثم وجه الله اى هناك وجه الله اى قبلته وجهته التي امر بها ورضيها والمعنى
انكم اذا منعتم ان تصلوا في المسجد الحرام وفي بيت المقدس فقد جعلت لكم الارض مسجدا فصلوا
في اى بقعه شئتم من بقاعها فان التوليه ممكنه في كل مكان لا يختص امكانها بمسجد دون مسجد
ولا في مكان دون مكان وروي ان هذه الايه نزلت في قوم من الصحابه سافروا وعميت عليهم القبله
فتحروا وصلوا الى انحاء مختلفه فلما اصبحوا تبينوا خطأهم فلما قدموا سألوا النبي صلى الله عليه
وآله عن ذلك فنزلت ان الله واسع عليم اى واسع الشريعه يوسع على عباده في دينهم عليم
بمصالحهم وعن ابن عمر نزلت هذه الايه في صلوه المسافر على الراحله اينما توجهت وقالوا اتخذ الله
ولدا يعني اليهود في قولهم عزير ابن الله والنصارى في قولهم المسيح ابن الله والمشركين في قولهم
الملائكه بنات الله ثم نزه نفسه عن الولد فقال سبحانه بل له اى ليس الامر كذلك بل له ما في
السموات والارض خلقا وملكا وعبيدا ومن جملتهم الملائكه وعزير والمسيح كل له قانتون
اى مطيعون منقادون لا يمتنع شي منهم على تكوينه وتقديره ومن كان بهذه الصفه لم يجانس ومن
حق الولد ان يكون من جنس الوالد وكيف يكون ولد من جعلوه لله ولدا كلهم قانتون مطيعون
عابدون معترفون بالربوبيه منكرون لما اضافوا اليهم بديع السموات والارض اى مخترعهما
وخالقهما ابتداء على غير مثال سبق واذا قضى امرا اى قدره واراد خلقه فانما يقول له كن
فيكون اى احدث فيحدث قال رضي الله عنه وهذا مجاز من القول وتمثيل
ولا قول ثم وانما المعنى ان ما قضاه من الامور واراد كونه فانما يتكون ويدخل تحت الوجود من
غير امتناع ولا توقف قال رضي الله عنه اكد سبحانه بهذا استبعاد الولادة
لان من كان بهذه الصفه من القدره كانت حاله مباينه لاحوال الاجسام في توالدها وقال الذين
لا يعلمون يعني مشركي العرب قالوا للنبي صلى الله عليه وآله لن نؤمن لك حتى يكلمنا الله انك رسول

لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض
او ياتينا آية يعني بما سالوه من الآيات الاربع وهو قوله وقالوا
لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ اي هلا يكلمنا الله انك رسوله او هلا انك كلمنا
ينبوعا الآيات ومعنى قوله **أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ** هذا جحود منهم لان يكون ما
كما نكلم الملائكة وكلم موسى استكبارا منهم وعتوا **قَالَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم**
كَذَٰلِكَ اي مثل ذلك القول **تَشَابَهَتْ**
اتاهم الله من آياته آيات واستهانة بها كفروا في التعنت وطلب الآيات كهؤلاء
يعني كفار الامم الخالية **مِّثْلَ قَوْلِهِمْ** ومسألة المحال **قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ**
قُلُوبُهُمْ اي اشبه بعضها بعضا في الكفر والقسوة وقد اتته الآيات لان القرآن برهان شاف كاف
اي يصدقون ويوقنون اي من ابتغى وطلب الحق **بَشِيرًا** اي مبشرا للمؤمنين **وَنَذِيرًا** اي مخوفا ومحذرا
إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ اي بالقرآن والاسلام لانه كان يغتم ويضيق
للكافرين لا لتجبر على الايمان وهذه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وآله
صدره لاصرارهم على الكفر وتصميمهم عليه **وَلَا تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ** اي لست بمسؤول عنهم
او لا تسال عنهم ما لهم لم يؤمنوا بعد ان بلغت وبلغت جهدك في دعوتهم وذلك ان النبي صلى الله
عليه وآله قال لو ان الله انزل بهم باسه اي اليهود لآمنوا فانزل الله هذه الآية اي ليس عليك
من باسهم عهدة ولا تبعة وروي انه قال ليت شعري ما فعل ابواي فنهي عن السؤال عن احوال
الكفرة والاهتمام باعداء الله وقيل معناه تعظيم ما وقع فيه الكفار من العذاب كما تقول كيف
فلان سائلا عمن وقع في بلية فيقال لك لا تسال عنه **وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ**
الآية نزلت في تحويل القبلة وذلك ان اليهود والنصارى كانوا يرجون ان يرجع النبي صلى الله عليه
وآله الى دينهم فلما صرف الله القبلة الى الكعبة شق ذلك عليهم وايسوا منه ان يوافقهم على
دينهم فانزل الله تعالى ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى **حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ** وتصلي الى قبلتهم
كانهم قالوا لن نرضى عنك وان ابلغت في طلب رضانا كل غاية حتى تتبع ملتنا اقناطا منهم
لرسول الله صلى الله عليه وآله عن دخولهم في الاسلام فحكى الله عز وجل كلامهم **قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ**
هُوَ الْهُدَىٰ اي الصراط الذي دعا اليه وهذا هو طريق الحق وهو الهدى كله ليس وراءه هدى
والذي يدعون اليه انما هو هوى ولذلك قال **وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم** اي اقوالهم وما كانوا
يدعونه اليه من المداهنة والامهال **بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ** اي البيان بان دين الله هو الاسلام
وانهم على الضلالة **مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ** اي حامٍ يتولى القيام عنك الحكم **وَلَا نَصِيرٍ**
ينصرك من الله **الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ** يعني مؤمني اليهود **يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ** اي يقراونه
كما انزل ولا يحرفونه ولا يغيرون ما فيه نعت رسول الله صلى الله عليه وآله **أُولَٰئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ**
اي بكتابهم دون المحرفين له **وَمَن يَكْفُرْ بِهِ** من المحرفين **فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ** حيث اشتروا
الضلالة بالهدى **يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ**

ذكر النعمة

ذكر النعمة شكرها وهي انجاؤهم من فرعون **وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ** بما اوليتكم من النعم واشرفت
عليكم من الكرامات **وَاتَّقُوا يَوْمًا** اي اتقوا انفسكم عذاب يوم **لَّا تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئًا**
اي لا تقضي فيه نفس عن نفس شيئا من الحقوق **وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ** اي فدية تفتدي بها **وَلَا تَنفَعُهَا**
شَفَاعَةٌ اي من اي شفيع كان **وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ** اي لا ينصرهم احد بدفع عنهم ما نزل بهم من العذاب
وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ اي اختبره وعامله معاملة المختبر **بِكَلِمَاتٍ** هي عشر خصال خمس في الراس
وهي الفرق والمضمضة والاستنشاق والسواك وقص الشارب وخمس في الجسد وهي تقليم الاظفار
والاستنجاء والختان والاستحداد ونتف الابط واختبار الله مجاز عن تمكينه من اختيار احد الامرين
ما يريده الله وما يشتهيه العبد كانه يمتحنه ما يكون منه حتى يجازيه على حسب ذلك والمعنى
انه دعاه بكلمات من الدعاء فعل المختبر هل يجيبه اليهن ام لا **فَأَتَمَّهُنَّ** اي فاداهن تامات غير
ناقصات وقام بهن حق القيام واداهن احسن التادية من غير تفريط ولا توان **قَالَ** الله له
إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا تقتدي بك الخلق في دينهم **قَالَ** ابرهيم **وَمِن ذُرِّيَّتِي** اي ومن اولادي ايضا
فاجعل ائمة يقتدى بهم **قَالَ** الله تعالى مجيبا له **لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ** يريد من كان
من ولدك ظالما لا يكون اماما ولا ينال له استحقاقا في عهدي اليه بالامامة وانما ينالها من كان عادلا
بريا من الظلم **قال رضي الله عنه** وفي هذا دليل على ان الفاسق لا يصلح للامامة
وكيف يصلح لها من لا يجوز حكمه ولا تقبل شهادته ولا تجب طاعته ولا يقبل خبره ولا يقدم للصلاة
وكان ابو حنيفة رحمه الله يفتي سرا بوجوب نصرة زيد بن علي عليهما السلام وحمل المال اليه والخروج
معه على اللص المتغلب المتسمي بالامام والخليفة كالمنصور الدوانيقي واشباهه وقالت له
امراة اشرت على ابني بالخروج مع ابرهيم ومحمد ابني عبد الله بن الحسن حتى قتل فقال لها ليتني مكان ابنك
وكان يقول في المنصور واشياعه لو ارادوا بناء مسجد وارادوني على عد آجره ما فعلت وعن ابن
عيينة لا يكون الظالم اماما قط وكيف يجوز نصب الظالم للامامة والامام انما هو لكف الظلمة
فاذا نصب من كان ظالما في نفسه فقد جاء المثل السائر من استرعى الذئب فقد ظلم **وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ**
يعني الكعبة **مَثَابَةً لِّلنَّاسِ** اي معاذا يعودون اليه لا ينصرفون منه وطرا كلما انصرفوا عنه
اشتاقوا اليه **وَأَمْنًا** اي مامنا وموضع امن لان الخائف ياوي اليه فلا يتعرض له حتى يخرج
وكانت العرب يرى الرجل منهم قاتل ابيه في الحرم فلا يتعرض له واما اليوم فلا يهاج الجاني اذا
التجا اليه عند ابي حنيفة وهو مذهب اهل البيت عليهم السلام وعند الشافعي [illegible]
فان احتج باقامة الحد عليه جاز صلبه قال الكثير من المفسرين من شاء آمن ومن شاء لم يؤمن كانه لما
جعله مثابة من شاء ثاب ومن شاء لم يثب **وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ** وهو الحجر الذي فيه اثر قدمي
ابرهيم وهو موضع قدميه **مُصَلًّى** اي وقلنا اتخذوا منه موضع صلاة تصلون فيه وهو على

وجه الاختيار والاستحباب دون الوجوب والمعنى انه يسن بها الصلوة خلف المقام وعن النبي صلى الله عليه وآله انه اخذ بيد عمر وقال هذا مقام ابرهيم فقال عمر افلا نتخذه مصلى فقال صلى الله عليه وآله وسلم لم اومر بذلك فلم تغب الشمس حتى نزلت واتخذوا من مقام ابرهيم مصلى افلا نؤثره لفضله بالصلوة فيه تبركا به وتيمنا بموطئ قدم ابرهيم وعن جابر ان رسول الله صلى الله عليه وآله استلم الحجر ورمل ثلاثة اشواط ومشى اربعة حتى اذا فرغ عمد الى مقام ابرهيم فصلى خلفه ركعتين وقرأ واتخذوا من مقام ابرهيم مصلى وعن عمر انه سأل المطلب بن ابي وداعة هل يدري اين كان موضعه الاول قال نعم فأراه موضعه اليوم **وعهدنا الى ابرهيم واسمعيل** اى امرناهما واوصينا اليهما **ان طهرا بيتي** من الاوثان والانجاس وطواف الجنب والحائض والخبائث كلها **للطائفين** حوله وهم النزاع اليه من آفاق الارض **والعاكفين** اى المقيمين فيه وهم سكان الحرم او الذين عكفوا عنده اى اقاموا لا يبرحون **والركع** جمع راكع **السجود** جمع ساجد مثل قاعد وقعود ويجوز ان يريد بالعاكفين العاكفين في الصلوة كما قال للطائفين والركع السجود والمعنى للطائفين والمصلين لان القيام والركوع والسجود هيئات المصلي وروى ابن عباس عن رسول الله صلى الله عليه وآله انه قال ينزل الله على هذا البيت في كل يوم مائة وعشرين رحمة ستون للطائفين واربعون للمصلين وعشرون للناظرين وفي الخبر استكثروا من الطواف بهذا البيت فانه من اقل شيء تجدونه في صحفكم يوم القيمة واغبط عمل تجدونه ولهذا استحب الطواف ابتداء من غير حج ولا عمرة وفي الخبر من طاف اسبوعا حافيا حاسرا كان له كعتق رقبة ومن طاف اسبوعا في المطر غفر له ما سلف من ذنوبه ويقال ان الله عز وجل اذا غفر ذنبا للعبد في الموقف غفر ذلك الذنب لكل من اصابه في ذلك الموقف وفي حديث مسند اعظم الناس ذنبا من وقف بعرفة فظن ان الله لم يغفر له وقال مجاهد وغيره من العلماء ان الحاج اذا قدموا مكة تلقتهم الملائكة فسلموا على ركبان الابل وصافحوا ركبان الحمر واعتنقوا المشاة اعتناقا ويروى ان علي بن الموفق قال حججت سنة فلما كان ليلة عرفة بت بمنى في مسجد الخيف فرأيت في المنام كأن ملكين قد نزلا من السماء عليهما ثياب خضر فنادى احدهما صاحبه يا عبد الله فقال الآخر لبيك يا عبد الله قال اتدري كم حج بيت ربنا في هذه السنة قال لا ادري قال حج بيت ربنا ستمائة الف فتدري كم قبل منهم قال لا قال قبل منهم ستة انفس قال ثم ارتفعا في الهواء فغابا عني فانتبهت فزعا واغتممت غما شديدا واهمني امري فقلت اذا قبل ستة انفس فاين اكون انا في ستة انفس فلما افضت من عرفة قمت عند المشعر الحرام فجعلت افكر في كثرة الخلق وفي قلة من قبل منهم فحملني النوم فاذا انا بالشخصين قد نزلا على هيئتهما فنادى احدهما صاحبه واعاد ذلك الكلام بعينه ثم قال اتدري ماذا حكم به ربنا في هذه الليلة قال لا قال فانه وهب لكل واحد من الستة الانفس مائة الف قال فانتبهت وبي من

السرور

السرور ما يجل به الوصف **واذ قال ابرهيم رب اجعل هذا بلدا** اى هذا المكان وهذا الموضع **بلدا** اى مسكنا **آمنا** اى ذا امن لا ينفر صيده ولا يقطع شجره **وارزق اهله من الثمرات** اى من ثمرات الاشجار **من آمن منهم بالله واليوم الآخر** هذا بدل من اهله يعني وارزق المؤمنين من اهله خاصة قاس الرزق على الامامة فخص ابرهيم بطلب الرزق للمؤمنين **قال الله ومن كفر فامتعه قليلا** اى فارزقه الى منتهى اجله لان الرزق قد يكون استدراجا للمرزوق والزاما للحجة **ثم اضطره** اى الجئه في الآخرة **الى عذاب النار وبئس المصير** هي **واذ يرفع ابرهيم القواعد من البيت واسمعيل** القواعد هي الاساس والاصل لما فوقه ومعنى رفع القواعد رفعها بالبناء لانه اذا وضع سافا فوق ساف فقد رفع الساقات ويجوز ان يريد واذ يرفع ابرهيم ما قعد من البيت اى استوطأ يعني جعل هيئته القاعدة المستوطئة مرتفعة عالية بالبناء وروي انه كان موسسا قبل ابرهيم فبنى على الاساس وروي ان الله تعالى انزل البيت ياقوتة من يواقيت الجنة له بابان من زمرد شرقي وغربي وقال لادم اهبطت لك ما يطاف به كما يطاف حول عرشي فتوجه آدم من ارض الهند ماشيا وتلقته الملائكة فقالوا بر حجك يا آدم لقد حججنا هذا البيت قبلك بالفي عام وحج آدم عليه السلام اربعين حجة من ارض الهند الى مكة على رجليه فكان على ذلك الى ان رفعه الله ايام الطوفان الى السماء الرابعة فهو البيت المعمور ثم ان الله تعالى امر ابرهيم ببنائه وعرفه جبريل مكانه وقيل بعث الله تعالى سحابة اظلته ونودي ان ابن على ظلها لا تزد ولا تنقص وقيل بناه من خمسة اجبل طور سينا وطور زيتا ولبنان والجودي واسسه من حرا وجاء جبريل بالحجر الاسود من الجنة وقيل تمخض ابو قبيس فانشق عنه وقد كان خبئ فيه في ايام الطوفان وكان ياقوتة بيضاء من الجنة فلما لمسته الحيض في الجاهلية اسود وكان ابرهيم يبني واسمعيل يناوله الحجارة وهما يقولان **ربنا تقبل منا** يعني ربنا تقبل منا بناءنا هذا البيت **انك انت السميع** لدعائنا **العليم** بما في قلوبنا وضمائرنا ونياتنا **ربنا واجعلنا مسلمين لك** اى مطيعين منقادين لحكمك مستسلمين لامرك **ومن ذريتنا** اى واجعل من ذريتنا **امة مسلمة لك** اى جماعة مخلصة لك وخصا ذريتهما بالدعاء لانهم احق بالشفقة والنصيحة ولان اولاد الانبياء اذا صلحوا صلح بهم غيرهم وتابعوهم على الخير الا ترى ان المتقدمين من العلماء والكبراء اذا كانوا على السداد كيف يتسببون لسداد من وراءهم **وارنا مناسكنا** اى عرفنا متعبداتنا **وتب علينا انك انت التواب الرحيم** اى عظيم التوبة واسع الرحمة فاقبل توبتنا **ربنا وابعث فيهم** اى في الامة المسلمة من ذريتنا **رسولا منهم** اى من انفسهم **روي** انه قيل لابرهيم عليه السلام عند دعائه بهذا الدعاء قد استجيب لك وهو يكون في آخر الزمان فبعث الله محمدا صلى الله عليه وآله وقال انا دعوة ابي ابرهيم وبشرى اخي عيسى ورؤيا امي **يتلو عليهم آياتك** اى يقرأ عليهم ما يوحى اليك من دلائل الوحدانية وصدق النبوة

ويعلمهم الكتاب وهو القرآن والحكمة وهي الشريعة والسنة ويزكيهم أي يطهرهم من الشرك
وسائر الأرجاس إنك أنت العزيز الحكيم أي الغالب القوي الذي لا يعجزه شيء الذي لا يفعل إلا
الحكمة والصواب **وهاهنا أحاديث** في فضيلة البيت ومكة [illegible]
قال رسول الله صلى الله عليه وآله إن الله وعد هذا البيت أن يحجه في كل سنة ستمائة ألف فإن نقصوا
كملهم الله بالملائكة وإن الكعبة تحشر كالعروس المزفوفة وكل من حجها يتعلق بأستارها يسعون حولها
حتى تدخل الجنة فيدخلون معها وفي الخبر أن الحجر ياقوتة من يواقيت الجنة وإنه يبعث يوم القيامة وله
عينان ولسان ينطق به يشهد لمن استلمه بحق وصدق وكان رسول الله صلى الله عليه وآله يقبله كثيرا
وروي أنه صلى الله عليه وآله سجد عليه وكان يطوف على الراحلة فيضع المحجن عليه ثم يقبل المحجن
وقبله عمر بن الخطاب رضي الله عنه ثم قال والله إني لأعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع ولولا أني رأيت رسول الله
صلى الله عليه وآله يقبلك لما قبلتك ثم بكى حتى علا نشيجه فالتفت إلى ورائه فرأى عليا عليه السلام
فقال يا أبا الحسن هاهنا تسكب العبرات فقال علي كرم الله وجهه يا أمير المؤمنين بل هو يضر وينفع
قال وكيف قال إن الله تعالى لما أخذ الميثاق على الذرية كتب عليهم كتابا ثم ألقمه هذا الحجر فهو يشهد
للمؤمن بالوفاء وعلى الكافرين بالجحود قيل فذلك معنى قول الناس عند الاستلام اللهم إيمانا
بك وتصديقا بكتابك ووفاء بعهدك وروي عن الحسن البصري أن صوم يوم في مكة بمائة ألف وصدقة
درهم فيها بمائة ألف وكذلك كل حسنة بمائة ألف ويقال طواف سبعة أسابيع تعدل عمرة وثلاث عمر تعدل
حجة وفي الخبر الصحيح عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال عمرة في رمضان كحجة معي وقال صلى الله
عليه وآله أنا أول من تنشق عنه الأرض ثم آتي أهل مكة فأحشر بين الحرمين **وفي تفسير الثعلبي**
قال وهب مكتوب في التوراة أن الله تعالى يبعث سبعمائة ألف ملك من الملائكة بيد كل ملك منهم سلسلة
من ذهب إلى البيت فيقول الله تبارك وتعالى اذهبوا إلى البيت فزموه بهذه السلاسل فيفعلون ذلك
وملك ينادي يا كعبة الله سيري فتقول لست سائرة حتى أعطى سؤلي فينادي ملك من جو السماء سلي تعطي
يا رب شفعني في جيراني الذين دفنوا حولي فيقول الله تعالى قد أعطيناك سؤلك فيحشر موتى مكة من قبورهم
بيض الوجوه كلهم محرمون فيجتمعون حول الكعبة يلبون ثم تقول الملائكة يا كعبة الله سيري فتقول
لست سائرة حتى أعطى سؤلي فينادي ملك يا كعبة الله سلي فتقول يا رب عبادك المذنبون الذين وفدوا
إلي من كل فج عميق ومكان سحيق شعثا غبرا تركوا الأهلين والأولاد والأحباب وخرجوا شوقا إلي زائرين
مسلمين طائعين حتى قضوا مناسكهم كما أمرتهم فأسألك أن تؤمنهم من الفزع الأكبر وتشفعني فيهم وتجمعهم
حولي فينادي الملك ويقول إن منهم من ارتكب الذنوب والكبائر وأصر عليها حتى وجبت له النار فتقول
الكعبة رب إنما أسألك الشفاعة لأهل الذنوب العظيمة فيقول الله تبارك وتعالى قد شفعتك فيهم
فينادي مناد من السماء ألا من كان من زوار الكعبة فليعتزل فيعتزلون فيجمعهم الله تعالى حول الكعبة

بيض الوجوه آمنين من النار يطوفون ويلبون ثم ينادي ملك من السماء ألا يا كعبة الله سيري
فتقول الكعبة لبيك اللهم لبيك لا شريك لك لبيك إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك
ثم يمرون بها المحشر إلى الجنة **وجاء في الأثر** أن الله تعالى ينظر في كل ليلة إلى أهل
الأرض فأول من ينظر الله أهل الحرم وأول من ينظر إليه من أهل الحرم أهل المسجد الحرام
فمن رآه طائفا غفر له ومن رآه مصليا غفر له ومن رآه قائما مستقبل الكعبة غفر له
ويقال لا تغرب الشمس من يوم إلا ويطوف بهذا البيت رجل من الأبدال ولا يطلع الفجر من
ليلة إلا طاف به واحد من الأوتاد وإذا انقطع ذلك كان سبب رفعه من الأرض ثم يرفع القرآن
من المصاحف فيصبح فإذا الورق أبيض يلوح ليس فيه حرف ثم ينسخ القرآن من القلوب فلا يدرك
منه كلمة ثم يرجع الناس إلى الأشعار والأغاني وأخبار الجاهلية ثم يخرج الدجال وينزل عيسى
ابن مريم صلوات الله عليه فيقتل الدجال والساعة عند ذلك بمنزلة الحامل المقرب يتوقع ولادها
وفي الحديث استكثروا من الطواف بهذا البيت قبل أن يرفع **ويروى عن علي**
كرم الله وجهه عن النبي صلى الله عليه وآله قال قال الله تعالى إذا أردت أن أخرب الدنيا
بدأت ببيتي فخربته ثم أخرب الدنيا على إثره **قال الغزالي** رحمه الله تعالى وقد كره الخائفون
المحتاطون من العلماء المقام بمكة لمعان ثلاثة **الأول** خوف التبرم بالمقام والأنس بالبيت
ولهذا كان عمر رضي الله عنه يضرب الحاج إذا حجوا ويقول يا أهل اليمن يمنكم ويا أهل الشام شامكم ويا
أهل العراق عراقكم وكذلك أيضا هم عمر بمنع الناس من كثرة الطواف وقال خشيت أن يأنس
الناس بهذا البيت **الثاني** تهييج الشوق بالمفارقة لتنبعث داعية العود فإن الله تعالى
جعل البيت مثابة للناس أي يثوبون ويترددون إليه مرة بعد أخرى ولا يقضون منه وطرا
وقال بعضهم لأن تكون في بلد وقلبك مشتاق إلى مكة متعلق بهذا البيت خير لك من أن تكون فيه
متبرما بالمقام وقلبك في بلد آخر **وقال** بعض السلف كم من رجل بخراسان وهو
أقرب إلى هذا البيت ممن يطوف به **الثالث** الخوف من ركوب الخطايا والذنوب بها فإن
ذلك محظور وبالحري أن ذلك يورث مقت الله تعالى لشرف الموضع **روي** عن وهيب بن الورد
المكي قال كنت ذات ليلة في الحجر أصلي فسمعت كلاما بين الكعبة والأستار يقول إلى الله تعالى أشكو
ثم إليك يا جبريل ما ألقى من الطائفين حولي من تفكههم في الحديث ولغوهم لئن لم ينتهوا عن
ذلك لأنتفضن انتفاضة يرجع كل حجر مني إلى الجبل الذي قطع منه **وقال** ابن مسعود
ما من بلد يؤاخذ العبد فيه بالهمة قبل العمل إلا مكة وتلا قوله عز وجل ومن يرد فيه بإلحاد
بظلم نذقه من عذاب أليم أي إنه على مجرد الإرادة والسيئات تضاعف كما تضاعف الحسنات
ويقول الاحتكار بمكة من الإلحاد في الحرم وقال ابن عباس لأن أذنب سبعين ذنبا بركبة أحب إلي من أن أذنب

وكان [illegible]

للخوف انها الحال بعض المعتمرين الى
دنيا واحدا بمكة وركبه من ابى مكه والطائف ولذلك الخوف وبعضهم ايام شهرا او مع جنبه
ان لم تقض حاجته في الحرم بل كان يخرج الى الحل عند قضاء الحاجة ولا يظن ان كراهة المقام
على الارض والمنع من الاقامة حرم اكرا لهما احوز دون مكة قال العراقي ولا يظن ان كراهة المقام بمكة يعني الموضع
ناقض فضل البقعة لان هذه كراهة علتها ضعف الخلق وقصورهم عن القيام بحق الموضع والتبرم فلما ان يكون افضل
قولنا ان ترك المقام بها افضل اي بالاضافة الى المقام مع التقصير والتبرم فلما ان يكون افضل
من المقام مع الوفا بحق البقعة فهيهات وكيف لا ولما عاد رسول الله صلى الله عليه وآله الى مكة
استقبل الكعبة وقال انك لخير ارض الله واحب ارض الله الى الله ولولا اني اخرجت منك ما
خرجت رواه احمد وابن ماجه والترمذي وصححه وكيف لا والنظر الى البيت عبادة والحسنات
فيها مضاعفة وعن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله لمكة ما اطيبك من بلد واحبك
الي ولولا ان قومي اخرجوني منك ما سكنت غيرك رواه الترمذي وصححه وعن ابن عمر ان النبي صلى الله
عليه وآله وسلم قال ان مسح الركن اليماني والركن الاسود يحط الخطايا رواه احمد والنسائي وعن
ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال وكل به سبعون ملكا فمن قال اللهم اني اسألك
العفو والعافية في الدنيا والاخرة ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الاخرة حسنة وقنا عذاب النار
قالوا آمين رواه ابن ماجه **ومن يرغب عن ملة ابرهيم** اي وما يرغب عنها وما يتركها **الا من سفه**
نفسه اي جهلها بانه لم يعلم بانها مخلوقة لله يجب عليها عبادة خالقها وهذا انكار واستبعاد ان
يكون من العقلاء من يرغب عن الحق الواضح الذي هو ملة ابرهيم **ولقد اصطفيناه في الدنيا** اي اخترناه
للرسالة **وانه في الآخرة لمن الصالحين** اي من الانبياء واهل التقوى لان من جمع الكرامة في الدارين
بان كان صفوة الله وخيرته في الدنيا وكان مشهودا له بالاستقامة على الخير في الآخرة حقيق
بالنظر ولا يرغب عن ملته **اذ قال له ربه اسلم** اي اخلص دينك لله بالتوحيد واخطر بالك النظر
في الدلائل المؤدية الى المعرفة والاسلام وقيل اسلم نفسك الى الله **قال اسلمت** بقلبي ولساني
لرب العالمين ووصى بها ابرهيم بنيه ويعقوب اي امرهم بالكلمة وهي قوله اسلمت
لرب العالمين والمعنى وصى بها ابرهيم بنيه وكذلك يعقوب وهو ابن ابنه **يا بني ان الله**
اصطفى لكم الدين اي اعطاكم واختار لكم الدين الذي هو صفوة الاديان وهو دين الاسلام ووفقكم
للاخذ به **فلا تموتن الا وانتم مسلمون** اي الزموا الاسلام حتى اذا ادرككم الموت صادفكم عليه
ام كنتم شهداء ترك الكلام الاول وعاد الى مخاطبة اليهود بل ام كنتم شهداء اي حضورا **اذ حضر**
يعقوب الموت وذلك ان الله تعالى لم يقبض نبيا حتى يخيره بين الموت والحياة فلما حضر يعقوب
قال انظرني حتى اسأل ولدي واوصيهم فجمعهم وقال لهم قد حضرت وفاتي واني اريد ان اسألكم **ما تعبدون**
من بعدي قالوا نعبد الهك الذي لا اله غيره **واله آبائك ابرهيم واسمعيل** جعل اسمعيل

من جملة آبائه وهو عمه لان العم اب والخال والد ومنه قوله صلى الله عليه وآله وسلم في العباس هذا
بقية آبائي وقال رد وا علي ابي يعني العباس **الها واحدا** لا شريك له ولا ضد له **ونحن له**
مسلمون اي مخلصون موحدون **تلك امة** يعني ابرهيم وبنيه ويعقوب وبنيه **قد خلت** اي
مضت وتقدمت **لها ما كسبت** من العمل **ولكم** معشر اليهود **ما كسبتم ولا تسألون عما كانوا يعملون**
اي حسابهم عليهم وانما تسألون عن اعمالكم والمعنى ان احدا لا ينفعه كسب غيره متقدما كان او متاخرا
فكما ان اولئك لا ينفعهم الا ما اكتسبوا وكذلكم لا ينفعكم الا ما كسبتم وذلك انهم افتخروا بآبائهم
ومثل هذا قول النبي صلى الله عليه وآله يا بني هاشم لا ياتيني الناس باعمالهم وتاتوني بانسابكم **وقالوا كونوا**
هودا او نصارى تهتدوا نزلت في يهود المدينة ونصارى نجران قال كل واحد من الفريقين للمؤمنين كونوا
على ديننا ولا دين الا ذلك فقال الله **قل** لهم يا محمد **بل** نتبع **ملة ابرهيم حنيفا** اي مائلا عن
الاديان كلها الى دين الاسلام ثم امر المؤمنين ان يقولوا **وما كان من المشركين قولوا آمنا بالله وما**
انزل الينا يعني القرآن **وما انزل الى ابرهيم واسمعيل واسحق ويعقوب** اي صدقنا بما انزل عليهم
وانه حق وبما انزل على هؤلاء الانبياء من الكتب والمعجزات **والاسباط** وهم اولاد يعقوب **وما**
اوتي موسى وعيسى من الآيات والكتب **وما اوتي النبيون من ربهم** من المعجزات وغيرها **لا نفرق**
بين احد منهم اي لا نكفر ببعض ونؤمن ببعض كما فعل اليهود والنصارى **ونحن له مسلمون** اي
مخلصون منقادون **فان آمنوا بمثل ما آمنتم به** اي ان اتوا بتصديق مثل تصديقكم فان ايمانهم
كايمانكم **فقد اهتدوا** اي فقد صاروا مسلمين **وان تولوا** اي اعرضوا **فانما هم في شقاق**
اي في خلاف وعداوة وليسوا من طلب الحق في شيء **فسيكفيكهم الله** هذا ضمان من الله لاظهار
رسوله عليهم وقد فعل وانجز وعده وكفاه امر اليهود بالقتل والسبي في قريظة والجلاء
والنفي في بني النضير والجزية والذلة في نصارى نجران **وهو السميع العليم** اي يسمع ما ينطقون
به ويعلم ما يضمرون من الحسد والغل فيعاقبهم عليه او هو وعد لرسول الله صلى الله عليه
وآله يعني يسمع سائر دعواتك ويعلم نيتك وما تريده من اظهار الحق وهو مستجيب لك وموصلك الى
مرادك **صبغة الله** اي الزموا دين الله ومعنى الصبغة تطهير الله القلوب بالايمان لان الايمان
يطهر النفوس والاصل فيه ان النصارى كانوا يغمسون اولادهم في ماء اصفر يسمونه المعمودية
ويقولون هو تطهير لهم واذا فعل احدهم بولده ذلك قال الان صار نصرانيا حقا فامر المسلمين
بان يقولوا لهم قولوا آمنا وصبغنا الله بالايمان صبغة لا مثل صبغتكم وطهرنا به تطهيرا لا مثل
تطهيركم او يقول المسلمون صبغنا الله بالايمان صبغة ولم نصبغ صبغتكم **ومن احسن من الله**
صبغة اي دينا يعني انه يصبغ عباده بالايمان ويطهرهم به فلا صبغة احسن من صبغته **ونحن له**
مخلصون اي نؤمن به ونخصه بالعبادة **قل** يا محمد لليهود والنصارى **اتحاجوننا** اي تخاصموننا

وذلك انهم قالوا ان ديننا هو الاقدم وكتابنا هو الاسبق
في الله اي في دين الله وهو ربنا وربكم ولنا اعمالنا ولكم اعمالكم اي واسم في اعمالكم
ولو كنتم سا لكنتم مثلنا ولكم اعمالكم تجازى عنها وسيئتها وكما ان لكم اعمالا لا يعتبرها الله
على سبيل مثلنا والمعنى ان العمل هو اساس الامر وبه العبره وقال ونحن له مخلصون اي
في اعطا الكرامه ومنعها فعن كذلكم ثم جا بما هو سبب الكرامه لكرامته بالنبوه وكانوا يقولون
موحدون مخلصون بالعباده فلا تستبعدوا ان يوهل اهل اخلاصه ام يقولون ان ابرهيم واسمعيل
نحن احق بان يكون النبوه فينا لانا اهل كتاب والعرب عبده اوثان والانجيل والفرقان كانوا
واسحق ويعقوب والاسباط ان الانبيا من قبل ان ينزل التوريه ان الانبيا كان دينهم الاسلام فلا
هودا او نصارى قل يا محمد أأنتم اعلم ام الله اي قد اخبر الله ابرهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان
احدا اعلم منه بذلك حيث شهد لهم بملة الاسلام في قوله ما كان ومن اظلم ممن كتم شهادة عنده من الله هذا توبيخ لهم
حنيفا مسلما فكيف تقولون ذلك وتطهرونه فيهم محمد صلى الله عليه واله من ذريه ابرهيم واخر مواثيقهم
وهو ان الله اشهدهم في التوريه والانجيل انه باعث فيهم كانوا على دينهم قد
اريتموه وما الله بغافل عما تعملون تلك امة يعني الانبيا الذين ادعوا انهم والمعنى انكم لا ينفعون بعملهم
خلت اي مضت وتقدمت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم من العمل لان كلا يجزى بما كسبت رهينه ثم ذكر قصه
عملهم ولا هم يعملكم ولا تسئلون عما كانوا يعملون يعني مشركي مكه واليهود المدينه
تحويل القبله فقال سيقول السفهاء من الناس ما ولاهم اي ما صرفهم يعني النبي والمؤمنين عن قبلتهم التي كانوا عليها قل لله وهي صخره بيت
المقدس قل لله المشرق والمغرب يامر بالتوجه الى اي جهة شا يهدي من يشاء الى صراط
مستقيم يريد اي رضيت هذه القبله لمحمد صلى الله عليه واله والايه نزلت في تحويل القبله
الى الكعبه وذلك انهم قالوا الما يسمع القبله ان محمدا اشتاق الى بلده ومولده ولو ثبت على
قبلتنا لرجوناه وان السفها الحفاو الاحلام وهم اليهود لكراهتهم التوجه الى الكعبه وانهم لا
يرون النسخ وقيل هم المشركون قالوا رغب عن قبله ابائه ثم رجع اليها والله ليرجعن الى دينكم
قال رضي الله عنه وفائده الاخبار بقولهم قبل وقوعه ان العلم بالمكروه قبل وقوعه
ابعد من الاضطراب لما يتقدمه من توطين النفس عليه ولان الجواب المعد قبل الحاجه اليه
اقطع للخصم وقبل الرمي يراش السهم ثم مدح امه محمد صلى الله عليه واله فقال وكذلك اي كما هديناكم
صراطا مستقيما جعلناكم امه وسطا اي عدولا خيارا وصفهم بوسط الشي وهو خياره لان
وصف الاطراف يسارع اليها الفساد والاوساط محميه محوطه لتكونوا شهدا على الناس
اي لتشهدوا على الامم بتبليغ الانبيا ويكون الرسول عليكم اي على صدقكم شهيدا وذلك ان
الله تعالى يسال الامم يوم القيمه يقول هل بلغكم الرسل فيقولوا ما بلغنا احد عنك شيا فيسال

الرسل فيقولون بلغناهم ربنا لكنهم عصوا فيقول هل لكم شهدا فيقولون نعم امه محمد صلى الله عليه
واله وسلم فيشهدون لهم بالتبليغ وتكذيب قومهم اياهم فيقول الامم يا رب من عرفوا ذلك وكانوا بعدنا
فيقولون اخبر بذلك نبينا في كتابه ثم يزكيهم محمد صلى الله عليه واله ويشهد بعدالتهم وما جعلنا
القبلة التي كنت عليها اي التي عليها اليوم وهي الكعبه قبله الا لنعلم اي لنرى من يتبع
الرسول في تصديقه نسخ القبله ممن ينقلب على عقبيه يعني يرتد فيرجع الى الكفر يعني وما رددناك
اليها الا امتحانا للناس وابتلا لنعلم الثابت على الاسلام الصادق فيه ممن هو على حرف ينكص
على عقبيه لقلقه وعدم ثبوته فيرتد وذلك ان الله تعالى جعل نسخ القبله عن الصخره الى الكعبه
ابتلا لعباده المومنين فمن عصمه صدق الرسول في ذلك ومن لم يعصمه شك في دينه وتردد عليه امره
وظن ان محمدا في حيره من امره فارتد عن الاسلام وهذا معنى قوله وان كانت لكبيرة اي وان كانت
التوليه الى الكعبه لثقيله الا على الذين هدى الله اي عصمهم بالهدايه ولما حولت القبله قالت
اليهود فكيف من مات منكم وهو يصلي الى القبله الاولى فقد مات على الضلاله فانزل الله وما كان
الله ليضيع ايمانكم اي تصديقكم بالقبله الاولى وثباتكم على الايمان وانكم لم تزولوا ولم ترتابوا
بل نشكر صنيعكم واعد لكم الثواب العظيم ان الله بالناس يعني بالمومنين لرؤوف رحيم لا يضيع اجورهم
ولا يترك ما يصلحهم والرافه اشد من الرحمه قد نرى تقلب وجهك في السماء كان رسول الله صلى
الله عليه واله يصلي بمكه الى الكعبه ثم امر بالصلوه الى صخره بيت المقدس تالفا لليهود وكان النبي
صلى الله عليه واله يتوقع من ربه ان يحوله الى الكعبه لانها قبله ابيه ابرهيم وكانت احب القبلتين
الى الله صلى الله عليه واله ورأى ان الصلوه اليها ادعى للقومه الى الاسلام لانها مفخرهم ومزارهم ومطافهم
ولمخالفه اليهود وكان عليه السلام مده اقامته بمكه اذا صلى الى بيت المقدس استقبل طرفا من الكعبه
فهان عليه الامر وخفف الوجد فلما امر بالهجره وهاجر الى المدينه واستقبل بيت المقدس استدبر الكعبه
وجعلها خلفه شق عليه ذلك والهجره فلم يزل كذلك قدر سبعه عشر شهرا او سته عشر فقال لجبرئيل عليه
وددت ان الله صرفني عن قبله اليهود الى غيرها فقال له جبرئيل انما انا عبد مثلك وانت كريم على ربك
فاساله ثم ارتفع جبرئيل وجعل رسول الله صلى الله عليه واله يديم النظر الى السما رجا ان ياتيه جبرئيل بالذي
سال فانزل الله تعالى قد نرى تقلب وجهك في السما فلنولينك قبلة ترضاها اي فلنصيرنك مستقبلا
قبله ترضاها اي تحبها وتهواها وهي الكعبه فول وجهك شطر المسجد الحرام اي نحوه وتلقاه
وعن البراء بن عازب قدم رسول الله صلى الله عليه واله فصلى نحو بيت المقدس سته عشر شهرا ثم وجه الى
الكعبه وكان ذلك في رجب بعد زوال الشمس قبل قتال بدر بشهرين ورسول الله صلى الله عليه واله في مسجد
بني سلمه وقد صلى باصحابه ركعتين من الظهر فتحول في الصلوه واستقبل الميزاب وحول الرجال
مكان النسا والنسا مكان الرجال فسمي المسجد مسجد القبلتين والمعنى اجعل توليه الوجه جهه المسجد

وسمه لان استقبال عين القبلة فيه حرج عظيم على البعيد وذكر المسجد الحرام دون الكعبة دليل على ان الواجب مراعاة الجهة دون العين **وحيث ما كنتم** في بر او بحر فاردتم الصلوة **فولوا وجوهكم شطره** اي نحوه وجهته ولما حولت القبلة الى الكعبة قالت اليهود يا محمد ما امرت بهذا وانما هو شي ابتدعته من نفسك فانزل الله تعالى **وان الذين اوتوا الكتاب** وهم اليهود **ليعلمون انه الحق من ربهم** اي ان المسجد الحرام قبلة ابرهيم وانه حق مذكور لانه كان في بشارة انبيائهم برسول الله صلى الله عليه واله انه يصلي الى القبلتين **وما الله بغافل عما يعملون** اي لا يغفل شيئا من اعمالهم بل يجازيهم عليها **ولئن اتيت** يا محمد **الذين اوتوا الكتاب** وهم اليهود والنصارى **بكل اية** اي بكل برهان قاطع ان التوجه الى الكعبة هو الحق **ما تبعوا قبلتك** لانهم معاندون يجحدون لان تركهم اتباعك ليس عن شبهة تزيلها بايراد الحجة وانما هو عن مكابرة وعناد مع علمهم بما في كتبهم من انك على الحق **وما انت بتابع قبلتهم** حسم هذا اطماع اليهود في رجوع النبي صلى الله عليه واله الى قبلتهم لانهم كانوا يطمعون في ذلك ورد عليهم حين قالوا لو ثبت على قبلتنا لكنا نرجو ان يكون صاحبنا الذي ننتظره **وما بعضهم بتابع قبلة بعض** اخبر انهم وان اتفقوا في الظاهر على النبي صلى الله عليه واله مختلفون فيما بينهم فلا اليهود تتبع قبلة النصارى ولا النصارى تتبع قبلة اليهود لان اليهود تستقبل بيت المقدس والنصارى مطلع الشمس فاخبر سبحانه عن تصلب كل حزب فيما هو فيه وثباته عليه فالمحق منهم لا يزل عن مذهبه لتمسكه بالبرهان والمبطل لا يقلع عن باطله لشدة شكيمته في عناده **ولئن اتبعت اهواءهم** اي صليت الى قبلتهم **من بعد ما جاءك من العلم** اي علمك الله ان قبلة الله هي الكعبة وان الذي انت عليه هو الحق والذي هم عليه هو الباطل **انك اذا لمن الظالمين** اي انك اذا مثلهم والخطاب للنبي صلى الله عليه واله في الظاهر وهو في المعنى لامته وفيه لطف للسامعين وزيادة تحذير **الذين اتيناهم الكتاب يعرفونه** اي يعرفون محمدا صلى الله عليه واله بنعته وصفته **كما يعرفون ابناءهم** لا تشتبه عليهم ابناؤهم واما غيرهم وعن عمر رضي الله عنه انه سال عبد الله بن سلام عن رسول الله صلى الله عليه واله فقال انا اعلم به مني بابني قال ولم قال لاني لست اشك في محمد انه نبي فاما ولدي فلعل امه قد خانت فقبل عمر راسه **وان فريقا منهم ليكتمون الحق** من صفته في التورية **وهم يعلمون** لان الله بين ذلك في كتابهم **الحق من ربك** اي هذا الحق من ربك **فلا تكونن من الممترين** اي من الشاكين في الجملة التي اخبرناك بها من امر القبلة وعناد اليهود وامتناعهم عن الايمان بك **ولكل وجهة** اي ولكل اهل دين وجهة اي قبلة ومتوجه متوجه في الصلوة اليها **هو موليها** وجهه اي مستقبلها **فاستبقوا الخيرات** اي فبادروا الى القبول من امر الله عز وجل واستبقوا الى الخيرات عن كم من امر القبلة وغيره وولوا وجوهكم حيث امركم الله **اينما تكونوا يات بكم الله جميعا** اي يجمعكم للحساب من موافق ومخالف لا يعجزونه فيجازيكم

ما عالكم ويجوز ان يكون المعنى فاستبقوا الفاضلات من الجهات المقابلة للكعبة وان اختلفوا اينما تكونوا من الجهات المختلفة يات بكم الله جميعا يجمعكم ويجعل صلواتكم كانها الى جهة واحدة وكانكم تصلون حاضري المسجد الحرام **ان الله على كل شي قدير** لا يعجزه شي ثم اكد عليه استقبال القبلة بالسير وهاقوله **ومن حيث خرجت** اي من اي بلد خرجت للسفر **فول وجهك شطر المسجد الحرام** اذا صليت **وانه** اي وان هذا المامور به **للحق من ربك** يعني امر القبلة وصرفها **وما الله بغافل عما تعملون** من التكذيب والمعاندة فيجازيكم عليه **ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره** قال رضي الله عنه هذا التاكيد لتاكيد امر القبلة وتشديده لان النسخ موضع فتنة وموقع شبهة ولذلك اكره اليهود وكثر عليهم ليسبوا ويعرفوا ويحذروا ولانه علق بكل اية ما لم يعلق بالاخرى فالاول مقيد لنسخ غيره والثاني مقيد لقوله وانه للحق من ربك فافاد انه لا يعقبه نسخ بعده والثالث مقيد انه لا حجة عليهم ولذلك قال **لئلا يكون للناس عليكم حجة** اراد بالناس اليهود اي لئلا يكون للمحق منهم عليكم حجة وهي ان يقول ما له لا يحول الى قبلة ابيه ابرهيم كما هو في صفته في التورية **الا الذين ظلموا منهم** اي من اليهود فانهم كابروا الحجة باطلة وقالوا لو كان على الحق للزم قبلتنا قبلة الانبيا لكن عدل عنها حبا لبلده وميلا الى دين قومه ويجوز ان يكون المعنى لئلا يكون للعرب عليكم حجة في ترككم التوجه الى الكعبة التي هي قبلة ابرهيم واسمعيل ابي العرب الا الذين ظلموا منهم وهم اهل مكة الذين قالوا ارجع الى قبلة ابائك وهو يرجع الى دينهم **فلا تخشوهم** يعني اليهود والمشركين فيظاهرهم عليكم في المحاجة والمحاربة **واخشوني** في ترك القبلة ومخالفتها ولا تخالفوا امري وما رايته مصلحة لكم **ولاتم نعمتي عليكم** بهدايتي اياكم الى قبلة ابرهيم ومنتم لكم الملة الحنيفية **ولعلكم تهتدون** اي لكي تهتدوا الى قبلة ابرهيم قال رضي الله عنه قوله ولاتم معطوف على تعليل مقدر كانه قيل واخشوني لاوفقكم ولاتم وقيل هو عطف على قوله لئلا يكون وفي الحديث تمام النعمة دخول الجنة وعن علي عليه السلام تمام النعمة الموت على الاسلام **كما ارسلنا فيكم** والمعنى ولاتم نعمتي كارسالنا اليكم رسولا اي اتم هذه كما اتممت ارسالي **رسولا منكم** يعرفون صدقه ونسبه **يتلوا عليكم اياتنا** اي يقرا عليكم اياتنا الناطقة بما ينفعكم يعني القران وهذا احتجاج عليهم لانهم عرفوا انه امي لا يقرا ولا يكتب فلما قرا عليهم القران تبين صدقه في النبوة **ويزكيكم** اي يطهركم من درن الكفر ويعرفكم بما تكونون به ازكيا من الامر بطاعة الله **ويعلمكم الكتاب** وهو القران **والحكمة** وهي الشريعة والسنة **ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون** من العلوم **فاذكروني** بالطاعة **اذكركم** بالمغفرة **واشكروا لي** ما انعمت به عليكم **ولا تكفرون** ولا تكفروا نعمتي

على الفرائض وبالصلوات الخمس على

يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلوة أي بالصبر على الفرائض وبالصلوات الخمس ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله
تمحيص الذنوب إنّ الله مع الصابرين أي معينهم وناصرهم
أموات نزلت في قتلى بدر من المسلمين وذلك أنهم كانوا يقولون لمن يقتل في سبيل الله مات فلان وذهب
عنه نعيم الدنيا فقال الله لا تقولوا للمقتولين في سبيل هم أموات بل أحياء لأن أرواح الشهداء
في أجواف طير خضر تسرح وتروح في الجنة ولكن لا تشعرون لا تعلمون ما هم فيه من النعيم وعن الحسن
أن الشهداء أحياء عند الله تعرض أرزاقهم على أرواحهم فيصل إليهم الروح والفرح ولنبلونكم
أي ولنعاملنكم معاملة المبتلي لأحوالكم بشيء من الخوف يعني خوف العدو والجوع
يعني القحط ونقص من الأموال والأنفس والثمرات النقص في الأموال الزكوات والصدقات
ومن الأنفس الأمراض ومن الثمرات موت الأولاد لأن ولد
الرجل هو ثمرته وقيل هو الخسران في المال وهلاك المواشي ومن الأنفس الأمراض ولد عبدي فيقولون
النبي صلى الله عليه وآله وسلم إذا مات ولد العبد قال الله تعالى للملائكة أقبضتم ولد عبدي فيقولون
نعم فيقول أقبضتم ثمرة فؤاده فيقولون نعم فيقول الله تعالى فماذا قال عبدي فيقولون حمدك
واسترجع فيقول الله تعالى ابنوا لعبدي بيتاً في الجنة وسموه بيت الحمد انتهى وقيل بعض الله في
الأموال ما يحدث فيها من الآفات فلما الريع والبركة والمحق كالغرق في البحر والجراد فمن صبر
على هذه الأشياء استحق الثواب ومن لم يصبر لم يستحق ثم دل على هذا قوله وبشر الصابرين الذين
إذا أصابتهم ما ذكر مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون أي أمر الله نبيه وحمّد عبيده تصبّع
بما يأتيهم ما وعدهم على هذا القول المغفرة والرحمة أولئك عليهم صلوات من ربهم أي مغفرة
ورحمة أي ونعمة وأولئك هم المهتدون إلى الجنة والثواب والحق والصواب قال
رضي الله عنه المصيبة عام في كل ما يؤذي قل أو عظم روي أنه طفي سراج رسول الله صلى الله عليه وآله
فاسترجع فقيل أمصيبة هي قال نعم كل ما يؤذي المؤمن فهو له مصيبة وفي الترمذي قالت
أم سلمة قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم من أصيب بمصيبة فقال كما أمره الله إنا لله وإنا إليه
راجعون اللهم أجرني في مصيبتي وأبدلني ما هو خير منها إلا فعل الله ذلك به قالت أم سلمة
فلما مات زوجي أبو سلمة قلتها ثم قلت ومن خير من أبي سلمة فأبدلني الله منه رسول الله صلى الله
عليه وآله إن الصفا والمروة هما جبلان معروفان بمكة وهما جبلا المسعى من شعائر الله
أي معبدات الله وأعلام مناسكه فمن حج البيت أي زاره وقصده معظماً له أو اعتمر أو
قصد البيت للزيارة قال رضي الله عنه الحج القصد والاعتمار الزيارة وهما
على قصد البيت وزيارته للعبادتين المعروفتين وهما الحج والزيارة فلا جناح عليه ومن تطوع خيراً أي فلا
إثم عليه أن يطّوف بهما أي بالجبلين قال رضي الله عنه سبب الإعلام برفع
الجناح أن الجاهلية كانوا يطوفون بينهما وعليهما صنمان أحدهما على الصفا واسمه إساف

والآخر على المروة واسمه نائلة يروى أنهما كانا رجلاً وامرأة زنيا في جوف الكعبة فمسخا حجرين
فوضعا عليهما ليعتبر بهما فلما طالت المدة عبدا من دون الله فكان أهل الجاهلية إذا سعوا مسحوهما
فلما جاء الإسلام وكسرت الأوثان كره المسلمون الطواف بينهما لأجل فعل الجاهلية مخافة
الإثم ورفعه الله عنهم واختلف العلماء في السعي بينهما فقال أنس وابن الزبير هو تطوع بدليل رفع
الجناح وما فيه من التخيير بين الفعل والترك وقراءة ابن مسعود فلا جناح عليه أن لا يطوف بهما
وعند أبي حنيفة أنه واجب وليس بركن وعلى تاركه دم وهذا مذهب أئمتنا عليهم السلام وعند
كثير هو ركن لقوله صلى الله عليه وآله اسعوا فإن الله كتب عليكم السعي ومن تطوع خيراً
أي فعل غير المفترض عليه من الطواف والصلوة والزكوة والطاعة فإن الله شاكر أي مجازيه
بعمله عليم بنيته وسريرته إن الذين يكتمون ما أنزلنا يعني علماء اليهود من البينات من الرجم
والحدود والأحكام والهدى وهو أمر محمد صلى الله عليه وآله وبعثه من بعد ما بيناه للناس أي لبني
إسرائيل في الكتاب يعني في التوراة فلم يبق فيه شك لأحد فكتموه ولبسوه على الناس أولئك
يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون أي يطردهم من رحمته ويبعدهم عنها وكل شيء من الجن والإنس إلا
الذين تابوا أي رجعوا من بعد الكتمان وأصلحوا السريرة وما أفسدوا من أحوالهم وبيّنوا ما
بيّنه الله من صفة محمد صلى الله عليه وآله فأولئك أتوب عليهم أي أعود عليهم بالمغفرة والتجاوز
وأنا التواب على من تاب الرحيم الذي من رحمتي قبول التوبة إن الذين كفروا وماتوا وهم كفار
يعني الذين ما تواص هؤلاء الكاتمين ولم يتوبوا أولئك عليهم لعنة الله ذكر لعنهم أحياء ثم
لعنهم أمواتاً والملائكة والناس أجمعين أراد بالناس من يعتد بلعنه وهم المؤمنون خالدين فيها
أي في اللعنة وقيل في النار وأضمرت تعظيماً لشأنها لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون
من الإنظار وهو الإمهال أي لا يمهلون ولا يؤجلون أو لا ينظر إليهم نظر رحمة وإلهكم إله واحد
أي ليس له في الإلهية شريك ولا له في ذاته نظير لا إله إلا هو الرحمن الرحيم
أي المولى لجميع النعم أصولها وفروعها ولا شيء سواه بهذه الصفة ذكر بهم الله تعالى في إلههم
إشراكهم معه آلهة فعجب المشركون من ذلك وقالوا إن محمداً يقول إلهكم إله واحد فليأتنا
بآية أي بعلامة لنكاثر الصادقين فأنزل الله تعالى إن في خلق السموات والأرض أي
في حسنه وإحكامه وتناسبه على حسب الحكمة والمصلحة مع عظمها وكثرة أجزائها واختلاف الليل
والنهار أي ذهابهما ومجيئهما وتعاقبهما والفلك وهي السفن التي تجري في البحر بما ينفع الناس
بما يحمل فيها من التجارات وما أنزل الله من السماء من ماء وهو المطر فأحيا به الأرض بعد موتها أي
أخصبها بعد جدوبها وبث فيها أي نشر وفرق فيها في الأرض من كل دابة تدب عليها
من آدمي وغيره لأنهم ينمون بالخصب ويعيشون بالمطر وتصريف الرياح أي تقليبها في مهب

مرة جنوبا ومرة شمالا ومارة قبولا ومارة دبورا وفي احوالها حارة باردة وعاصفة ولينة وعقيما ولواقح ومارة بالرحمة ومارة بالعذاب **وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ** اى المذلل لامر الله **بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ** بغير علاقة تمسكه للرياح تقلبه في الجو بمشية الله يمطر حيث شاء **لَآيَاتٍ** اى لدلائل على وحدانية الله وعلى عظيم قدرته وباهر حكمته **لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ** اى ينظرون بعيون عقولهم ويعتبرون

وعن النبي صلى الله عليه واله ويل لمن قرا هذه

الاية فمج بها اى لم يتفكر فيها ولم يعتبر بها فعلم الله بهذه الاية كيفية الاستدلال على الصانع وعلى توحيده وردهم الى التفكر في اياته والنظر في مصنوعاته ثم اعلم ان قوما من الناس بعد هذه الدلالات والبيان يتخذون الانداد مع علمهم انهم لا يأتون بشي مما ذكر فقال **وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا** يعني الاصنام التي هي انداد بعضها لبعض اى اشباه لا **يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ** اى كحب المؤمنين الله **وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ** لان الكافر يعرض عن معبوده في وقت البلا والمؤمن لا يعرض عن الله في السرا والضرا والشدة والرخا **وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا** وهم الذين اتخذوا الانداد **إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ** اى حين يرونه **أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا** اى ان القوة كلها لله على كل شي من العقاب والثواب **وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ** للظالمين منهم المعنى لو يرى الذين ظلموا انفسهم بارتكاب الشرك شدة عذاب الله وقوته لعلموا مضرة الانداد ولكان منهم ما لا يدخل تحت الوصف من الندم والحسرة وجواب لو محذوف للعلم به **إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا** وهم الاتباع **وَرَأَوُا الْعَذَابَ** هذه الاية متصلة بما قبلها لان المعنى وان الله شديد العذاب حين يتبرأ المتبوعون في الشرك من اتباعهم عند رؤية العذاب يقولون لم ندعكم الى الضلالة والى ما كنتم عليه **وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ** اى الوصلات التي كانت بينهم في الدنيا من الارحام والمودة وصارت صداقاتهم عداوة **وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا** وهم الاتباع **لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ** اى رجعة الى الدنيا فنتبرأ منهم **كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّا** اى مثل تبريهم منا في الاخرة بعد ما اضلونا **كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ** اى مثل ذلك الاراء الفظيع يريهم الله **أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ** يعني عبادتهم الاوثان رجاء ان تقربهم الى الله فلما عذبوا على ما كانوا يرجون ثوابه ومنفعته تحسروا **وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا** اى طاهرا من التحريم وكل شبهة نزلت الاية في الذين حرموا على انفسهم السوائب والوصايل والبحائر اعلم الله تعالى انها حلال اكلها وانها من عمل الشيطان ثم قال **وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ** اى سبله وطرقه ثم بين عداوة الشيطان فقال **إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ** لا يامركم الا بالشر فاحذروه **إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ** وهو المعاصي **وَالْفَحْشَاءِ** ما يجاوز الحد في القبح من العظائم وقيل هو العمل وقيل السوء ما لا حد فيه والفحشاء ما يجب فيه الحد **وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا**

تَعْلَمُونَ من تحريم الحرث والانعام وقولكم هذا حلال وهذا حرام بغير علم ويدخل فيه كل ما يضاف الى الله مما لا يجوز عليه **وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ** اى لهولاء الذين حرموا من الحرث والانعام اشيا **اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ** من التحليل والتحريم واستمروا عليه **قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا** اى ما وجدنا عليه وانهم كانوا خيرا منا واعلم فقال الله تعالى منكرا عليهم **أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ** اى يتبعون اباهم وان كانوا جهالا ثم ضرب للكفار مثلا فقال **وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا** لا بد من مضاف محذوف تقديره ومثل داعي الذين كفروا الى الله عز وجل **كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ** اى كمثل الراعي الذي يصيح بالغنم وهي لا تعقل شيا ومعنى ينعق يصيح واراد **بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً** البهائم التي لا تعقل ولا تفهم ما يقول الراعي انما تسمع صوتا ولا تدري ما تحته والمعنى ان مثل داعيهم الى الايمان في انهم لا يسمعون من الدعا الا جرس النغمة ودوي الصوت من غير القا اذهان ولا استبصار كمثل الناعق بالبهائم التي لا تسمع الا ظاهر الصوت والنداء من غير فهم للحروف ثم ذمهم فوصفهم بانهم **صُمٌّ** عن سماع الحق **بُكْمٌ** عن النطق به **عُمْيٌ** عن النظر اليه فلا يبصرونه فعوتهم **فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ** لعدم استبصارهم ونظرهم الى الحق ثم ذكر ما حرمه المشركون حلال فقال **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ** من الحرث والنعم وما حرمه المشركون على انفسهم منهما لان كل ما رزقه الله لا يكون الا حلالا **وَاشْكُرُوا لِلَّهِ** الذي رزقكموها **إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ** اى ان كانت العبادة لله واجبة عليكم لانه الهكم فالشكر له واجب لانه محسن اليكم ثم بين المحرم ما هو فقال **إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ** وهي كل ما مات حتف انفه وفارقته الحيوة من غير ذكاة مما يوكل لحمه ومن غيره وان ذكي **وَالدَّمَ** يعني المسفوح لانهم كانوا ياكلونه **وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ** يعني الخنزير بجميع اجزائه وخص اللحم لانه المقصود بالاكل والخنزير شر من الحيوانات على صفة ولذا الايمان يكون بالشام **وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ** يعني ما ذبح للاصنام فذكر عليه غير اسم الله اى ما رفع به الصوت للصنم نحو قولهم عند الذبح باسم اللات والعزى **فَمَنِ اضْطُرَّ** اى احوج والجي في حال الضرورة يخشى على نفسه التلف فتناول من هذه ما يمسك به روحه **غَيْرَ بَاغٍ** على مضطر اخر بالاستيثار عليه **وَلَا عَادٍ** سد الجوعة وقدر ما يمسك الروح **فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ** في اكله لذلك القدر وهذا هو مذهب ائمتنا عليهم السلم ومن الى جميعه ما ورد لا الاضطرار وحل له ان يشبع وقال مسروق بلغني ان من اضطر الى اكل الميتة ولم ياكل منها فمات دخل النار وقيل معنى غير باغ غير قاطع للطريق ومفارق للائمة مشاق للامة ولا عاد اى ولا ظالم متعديا بالاكل فلا اثم عليه وهذا يدل على ان العاصي بسفره لا يستبيح اكل الميتة عند الضرورة **إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ** للمعصية فلا يواخذ بما جعل فيه الرخصة **رَحِيمٌ** حيث رخص للمضطر واباح له المحرم صيانة لنفسه واقامة لروحه **إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا**

من صفته محمد فى التوريه ويشترون به اى عا
من الكتاب يعنى رؤسا اليهود حين كتموا ما انزل الله فى كتابهم ثمنا قليلا يعنى ما ياخذونه من المرؤسا على
انزل الله من بعث محمد صلى الله عليه وآله لانه اذا اكل ما عاقبته تؤدى الى النار فكانه اكل
كتمانه صفته اولئك ما ياكلون فى بطونهم الا النار ولا يكلمهم الله يوم القيمة اى كلاما
النار ونحوه قولهم اكل فلان الدم اذا اكل الدية التى هى بدل منه وهذا تعريض بحرمانهم وهوانهم ولهم عذاب
يسرهم ولا يزكيهم اى ولا يطهرهم من دنس ذنوبهم اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى اى استبدلوا الكفر بالايمان والعذاب
اليم اى شديد موجع حين جحدوا محمدا صلى الله عليه وآله وكتموا صفته
بالمغفرة اى عوض الله برضوانه وعذابه بثوابه حين تركوا الحق واتبعوا الباطل وهذا
ودفعه فما اصبرهم على النار اى فاى شى صبرهم عليها
استفهام معناه التوبيخ لهم وقيل هو تعجيب من حالهم فى التماسهم موجبات النار من غير مبالاة منهم
كقولك لمن يتعرض لغضب السلطان ما اصبرك على القيد والسجن يريد انه لا يتعرض لذلك الا من هو
شديد الصبر على العذاب ذلك اى ذلك العذاب لهم بان الله نزل الكتاب بالحق يعنى القران
فاختلفوا فيه وان الذين اختلفوا فى الكتاب اى فى كتاب الله فقالوا فى بعضه حق وبعضه باطل
وهم اهل الكتاب او قالوا انه شعر وكهانة وسحر لفى شقاق بعيد اى لفى خلاف للحق طويل
ليس البر ان تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب الخطاب لليهود والنصارى لان اليهود تصلى الى
الغرب الى بيت المقدس والنصارى قبل المشرق وذلك انهم اكثروا الخوض فى امر القبلة حين حول
رسول الله صلى الله عليه وآله الى الكعبة وزعم كل واحد من الفريقين ان البر التوجه الى قبلته فانزل
الله تعالى هذه الاية ورد عليهم فقال ليس البر كله ان تصلوا ولا تعملوا غير ذلك او ليس البر
مما انتم عليه فانه منسوخ خارج من البر ولكن البر الذى يجب الاهتمام به وصرف الهمة اليه
من آمن بالله واليوم الآخر يعنى بر من آمن بهذه الاشيا وقام بهذه الاعمال فالايمان بالله ان لا يشرك
به وباليوم الآخر وهو يوم القيمة بما فيه من البعث والنشور وبالملئكة انهم عباد الله ورسله
والملئكة
والكتاب يعنى به جنس كتب الله او القران والنبيين انهم رسل الله وان ما جاءوا به من الشرايع
حق وصواب وآتى المال اى اعطاه وتصدق به على حبه اى حب المال والشح به كما قال
ابن مسعود ان تؤتيه وانت صحيح شحيح تامل العيش وتخشى الفقر ولا تمهل حتى اذا بلغت النفس الحلقوم
قلت لفلان كذا ولفلان كذا وقيل على حب الله والمعنى ان تعطيه وهو طيب النفس باعطايه ذوى
القربى قدم القرابة لانهم احق قال صلى الله عليه وآله صدقتك على المسلمين صدقة وعلى ذى رحمك اثنتان
صدقة وصلة وقال افضل الصدقة على ذى الرحم الكاشح واليتامى والمساكين اطلق ذوى
القربى واليتامى والمراد الفقراء منهم لعدم الالتباس والمسكين الدائم السكون الى الناس لانه لا شى
له وابن السبيل هو المسافر المنقطع عن بلده وقيل هو الضيف ينزل بك وجعل ابنا للسبيل

وهو الطريق لملازمته له والسائلين وهم المستطعمون وفى الرقاب اى وفى عتقها يعنى فى
معاونة المكاتبين حتى يفكوا رقابهم وقيل فى ابتياع الرقاب واعتاقها لما روى ابو هريرة عن النبى صلى
الله عليه وآله انه قال من اعتق رقبة مسلمة اعتق الله بكل عضو منه عضوا من النار حتى فرجه بفرجه
رواه البخارى ومسلم وعن النبى صلى الله عليه وآله انه قال ايما امرء مسلم اعتق امرأ مسلما كان فكاكه من
النار يجزى عضو منه عضوا منه رواه الترمذى وصححه وايما امرء مسلم اعتق امرأتين مسلمتين كانتا
فكاكه من النار يجزى كل عضو منهما عضوا منه رواه الترمذى وصححه وعن ابى ذر قال قلت يا رسول الله
اى الاعمال افضل قال الايمان بالله والجهاد فى سبيله قال قلت اى الرقاب افضل قال انفسها
عند اهلها واكثرها ثمنا واقام الصلوة اى اكملها بشرائطها وفرائضها وسننها وآتى الزكوة
يعنى الواجبة عليه ووضعها فى هذه المصارف وذكر ايتاء المال فى هذه الوجوه واتباعه
بذكر ايتاء الزكوة يحتمل ان فى المال حقا سوى الزكوة ذكره الزمخشرى والثعلبى واحتجا بالاية ويحتمل
ان يكون حثا على النوافل والمبادرة الى ما ورد فى الحديث نسخ الزكوة كل صدقة وليس فى المال حق سوى
الزكوة والموفون بعهدهم اذا عاهدوا الله او الناس لان من جملة البر الوفا بالعهد وحث
النبى عليه فى الحديث حسن العهد من الايمان والصابرين فى البأساء وهو الفقر والضراء وهو
المرض وحين البأس وهو وقت القتال فى سبيل الله ونصب الصابرين على المدح اظهارا لفضل
الصبر فى الشدائد ومواطن القتال وملازم الحروب وعلى سائر الاعمال اولئك الذين صدقوا
اى اهل هذه الصفات هم الذين صدقوا فى ايمانهم وثبتوا عليه واولئك هم المتقون ما يجب ابعاده
مما نهوا عنه يا ايها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص فى
القتلى نزلت هذه الاية فى حيين من العرب وكان لاحدهما شرف على الاخر وطول فاقسم الاشرف
قتلا فقال الاشرف لنقتلن الحر منكم بالعبد والذكر منكم بالانثى والاثنين بالواحد ولنضاعفن
الجراح فانزل الله هذه الاية ومعنى كتب فرض واوجب عليكم القصاص اعتبارا للمماثلة والتسا
بين القتلى حتى لا يكون ان يقتل حر بعبد او مسلم بكافر فاعتبار المماثلة واجب وهو قوله الحر بالحر
والعبد بالعبد والانثى بالانثى اى لا يقتل هذا بهذا ولاجل هذه الاية ذهب [illegible] والحسن
البصرى الى ان الحر لا يقتل بالعبد ولا الذكر بالانثى وهو مذهب ائمتنا عليهم السلام ويقولون
ان هذه مفسرة لما ابهم فى قوله ان النفس بالنفس وعن [illegible] والشعبى والنخعى والثورى
انها منسوخة باية المائدة والقصاص ثابت بين الحر والعبد والذكر والانثى ويستدلون بقوله
صلى الله عليه وآله المسلمون تتكافأ دماؤهم وبان التفاضل غير معتبر فى الانفس بدليل ان جماعة
لو قتلوا واحدا قتلوا به قال بعض اصحابنا وآية المائدة وان اقتضت دخول القصاص بين كل
حرين وعبدين وانثيين عرفنا النسبة فقد خصت وكذلك الاجماع والمسلم لا يقتل بالكافر ذميا

وكذلك الاب لا يقتل بابنه ولا الام بابنها وكذلك لو قتل الحر
كان او عبد ذمي وانما تجب الدية نص عليه الهادي عليه السلام في الاحكام وقال في المنتخب
عبدا لم يقتل به وانما يجب عليه قيمته بالغة ما بلغت ولم يجب على سيده ضمان ذلك والرجل اذا قتل المراة
لا يتعادوا بها الدية وان قتل عبد حرا اسلم به في جميع الاحكام ثم اختلفوا بعد ذلك هل يلزم اوليا
وجب عليه القصاص لا خلاف فيه لاستوائهما وكثير من الائمة انه يلزمهم نصف الدية الى الجاني
المقتولة نصف ديتها للرجل ام لا فعند الهادي عليه السلام والعترة لا يلزمهم شي اذا اختاروا القتل وان قتلت
القتل ولا اختيار والنصف الدية عند من ياخذه ... فيما دون النفس كان
امراة رجلا قتلت المراة ولا يستوفى على ورثتها شي بلا خلاف فان جنى عليه فيما دون النفس كان
بالخيار ان شاء اخذ الدية وان شاء اقتص منها من غير زيادة وان قتل الرجل جماعة لم يكن لاولياهم
الا قتله فقط ولا يجب عليه شي اخر واذا قتل جماعة رجلا كان لوليه قتلهم جميعا او واحد من كل
واحد دية كاملة عند الهادي عليه السلام قال م بالله عليه السلام اذا اختار العدول الى الدية لم يجب له الا دية
واحدة وان جنى الرجل على المراة فيما دونا النفس فالمذهب ان حكم الجناية على اطرافها على النصف
من اطراف الرجل لديتها وهو قول ناصر وبه قال الحسن وغيره من اهل العلم ان المراة
تعاقل الرجل الى ثلث الدية اصبعها كاصبعه وسنها كسنه وموضحتها كموضحته ومنقلتها
كمنقلته وهو قول ش في القديم فاذا بلغت ثلث الدية كانت على النصف من دية الرجل ومعنى
تعاقله اي تساويه في العقل الى حد ثلث الدية لما روي عن عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده قال قال
رسول الله صلى الله عليه واله وسلم عقل المراة مثل عقل الرجل حتى يبلغ الثلث من ديتها رواه النسائي
والدارقطني وعن ربيعة بن ابي عبد الرحمن انه قال سالت سعيد بن المسيب كم في اصبع المراة قال عشر
من الابل قلت كم في اصبعين قال عشرون من الابل قلت كم في ثلاث اصابع قال ثلاثون قلت كم في اربع
اصابع فقال عشرون من الابل قلت حين عظم جرحها واشتد مصيبتها نقص عقلها فقال سعيد
اعراقي انت قلت بل عالم متثبت او جاهل متعلم قال هي السنة يا ابن اخي رواه مالك في الموطا وهذا
مخالف للاصول اعلم انما **فمن عفي له من اخيه شيء** اي من ترك له من دم اخيه المقتول شي وهو ان
يعفو بعض الاولياء ويسقط القود **فاتباع بالمعروف** اي فعلى العافي الذي هو ولي الدم ان
يتبع القاتل بالمعروف اي بالحسن والرفق وهذه توصية للمعفو عنه والعافي جميعا والمعنى فليتبع
الولي القاتل بالمعروف وهو ان لا يعنف به ولا يطالبه الا مطالبة جميلة **واداء اليه باحسان** اي
وليؤد القاتل الى الولي بدل الدم اداء باحسان بان لا يمطله ولا يبخسه **قال رضي الله عنه**
وذكر الولي بلفظ الاخوة ليعطف احدهما على صاحبه بذكر ما هو ثابت بينهما من الجنسية والاسلام
عبارة عن ترك المشهور في قوله من العفو اشعار بان العفو عن بعض الدم ومن بعض الورثة يسقط
القصاص ولا يجب الا الدية والعفو عن القود لا يسقط الدية على الاصح من مذهب ائمتنا عليهم السلام

ذلك الحكم المذكور من العفو والدية **تخفيف من ربكم ورحمة** لان اهل التوراة كتب عليهم
القصاص البتة وحرم العفو واخذ الدية وكتب على اهل الانجيل العفو وحرم القصاص والدية
وخيرت هذه الامة بين الثلاث القصاص والدية والعفو توسعة عليهم وتيسيرا **فمن اعتدى
بعد ذلك** التخفيف فتجاوز ما شرع له من قتل غير القاتل او القتل بعد اخذ الدية لان الرجل كان
في الجاهلية يؤمن القاتل بقبول الدية ثم يظفر به فيقتله **فله عذاب اليم** اي نوع من العذاب
شديد الالم في الاخرة وعن قتادة هو ان يقتل البتة ولا يقبل منه دية لقوله صلى الله عليه واله وسلم
لا اعافي احدا قتل بعد اخذ الدية **ولكم في القصاص حياة** اي اسباب حياة لكم وذلك ان القاتل
اذا علم انه اذا اقتل قتل ارتدع عن القتل فكان سببا لحياة نفسين وكان القصاص سببا لحياة
الذي هم بقتله ولحياة الهام ايضا لانه ان قتل قتل **يا اولي الالباب** يا ذوي العقول **لعلكم
تتقون** اي تعملون عمل اهل التقوى في المحافظة على القصاص والكف عن اراقة الدما **قال
رضي الله عنه** وهذا كلام فصيح لما فيه من الغرابة وهو ان القصاص قتل وتفويت للحياة
وقد جعل مكانا للحياة ومن اصابة البلاغة بتعريف القصاص وتنكير الحياة لان المعنى ولكم
في هذا الجنس الذي هو القصاص حياة عظيمة وذلك انهم كانوا يقتلون بالواحد الجماعة وكم
قتل مهلهل باخيه كليب حتى كاد يفني بكر بن وائل وكان يقتل بالمقتول غير قاتله فتثور
الفتنة فلما جاء الاسلام وشرع القصاص كانت فيه حياة اي حياة لان من علم بالاقتصاص منه
ارتدع عن القتل واذا ارتدع سلم منه صاحبه من القتل وسلم هو من القود فكان القصاص
سبب حياة نفسين **قال رضي الله عنه** وهذا الخطاب له فصل اختصاص
بالائمة **كتب عليكم اذا حضر احدكم الموت** روي ان اهل الجاهلية كانوا يوصون باموالهم
للبعداء رياء وسمعة ويتركون اقاربهم فانزل الله هذه الاية كتب عليكم اي فرض واوجب اذا
حضر احدكم الموت اي اسبابه ومقدماته **ان ترك خيرا** اي مالا كثيرا **الوصية للوالدين والاقربين
بالمعروف** اي بالعدل وهو ان لا يوصي للغني ويدع الفقير ولا يتجاوز الثلث وعن عائشة رض ان
رجلا اراد الوصية وله عيال واربع مائة دينار فقالت ما ارى فيه فضلا واراد اخر ان يوصي
فسالته كم مالك فقال ثلاثة الاف فقالت انما قال الله تعالى ان ترك خيرا وان هذا الشي يسير
فاتركه لعيالك **وعن علي عليه السلام** ان مولى له اراد ان يوصي
وله سبع مائة فمنعه وقال قال الله تعالى ان ترك خيرا والخير هو المال الكثير وليس لك مال
قال رضي الله عنه والوصية للوارث كانت ثابتة في بدء الاسلام ثم نسخت باية المواريث
وبقوله صلى الله عليه واله وسلم ان الله قد اعطى كل ذي حق حقه فلا وصية لوارث رواه النسائي وابن ماجه
وابن حنبل والدارقطني وصححه الترمذي وقيل لم تنسخ والوارث يجمع له بين الوصية والميراث بحكم

الاسلام ومذهبنا ان الوصية للوارث ممنوعة واختلف اباونا عليهم السلام هل يصح ام لا فعن
الهادي عليلم يصح ولا يجب وقال ابنه الناصر الوجوب الى الجوار وعندنا بانه لا يجوز ولا خلاف انها لا تجوز على وفق
للحديث المذكور واما الاما فقد ولا خلاف في جواز الوصية لهم **على المتقين** الذين يتقون الشرك واذا لم يكن
الثلث الا ان يجيز الورثة **حقا** اي حق ذلك حقا وهو قول واصل ومن وحكي عن بعض العترة وجوبها وحسنا
عليه حق فالوصية غير واجبة عندنا وهو قول ... صلى الله عليه وآله دينارا ولا درهما ولا بعيرا ولا شاة
ما روت عائشة قالت ما ترك رسول الله **فمن بدله** اي بدل الايصاء وغيره من وصي
ولا اوصى بشيء ولو كانت الوصية واجبة لما تركها **فانما اثمه على الذين يبدلونه**
ودلي وشاهد وحاكم من **بعد ما سمعه** من الميت وكيفيته وحجته وهذا وعيد للمبدلين
دون غيرهم ويرى الميت **ان الله سميع عليم** لما قاله الموصي **عليم** بنيته وهذا وعد
دون غيرهم وبرئ الميت بعد نزول هذه الاية وان اشتغل ما المال فانزل الله
عظم وكانت الاوصيا يمضون وصية الميت بعد نزول هذه الاية وان اوصى لبعض
تعالى **فمن خاف** اي علم **من موص جنفا** اي خطا في الوصية من غير عمد وهو ان يوصي لبعض
ورثته او يوصي بما له كله خطا **او اثما** اي عمدا وقصدا للميل لحاق في الوصية وفعل ما لا
يجوز **فاصلح بينهم** اي فاصلح بعد موته بين ورثته وبين الموصى لهم **فلا اثم عليه** اي
ليس بمبدل ياثم بل هو متوسط للاصلاح وليس عليه اثم **ان الله غفور رحيم** يعفو للمصلح بينهم
ورحمه **يا ايها الذين امنوا كتب عليكم الصيام** يعني صيام شهر رمضان **كما كتب** اي كما اوجب
على الذين من قبلكم من الانبيا والامم من لدن ادم الى عهدكم اي انكم متعبدون بالصيام
كما تعبد به من كان قبلكم يعني ان الصوم عبادة قديمة اصلية ما اخلى الله امة من افتراضها عليهم
لم يفرضها عليكم وحدكم **لعلكم تتقون** اي لكي تتقوا الاكل والشرب والجماع في وقت
وجوبه لان الصائم امنع لنفسه واردع لها من مواقعة السو **اياما معدودات** يعني شهر
رمضان وقيل هي ما شرعه ادلا به ايام من كل شهر كتب على رسول الله صلى الله عليه واله والصيام
حين هاجر ثم نسخت برمضان ومعنى معدودات موقتات بعدد معلوم **فمن كان منكم مريضا** *
او على سفر فافطر **فعدة** اي فعليه عدة اي صوم عدة يعني عدد ما افطر **من ايام اخر**
واختلف العلما في المرض المبيح للافطار فقيل
سوا ايام مرضه وسفره
كل مرض لظاهر الاية لان الله تعالى لم يخص مرضا دون مرض كما لم يخص سفرا دون سفر وعن
ابن سيرين انه دخل عليه في رمضان وهو ياكل فاعتل بوجع اصبعه وسئل مالك عن الرجل
تصيبه الرمد الشديد والصداع المضر وليس به مرض يضجعه فقال انه في سعة من الافطار
وعن ... لا يفطر حتى يجهده الجهد غير المحتمل ومذهبنا انا نعلم ان حد العذر المبيح هو ان
يخشى حدوث علة او زيادتها او استمرارها به واختلف في وجوب تتابع القضا فمذهبنا وعامة

العلما على التخيير وعن ابي عبيدة بن الجراح ان الله لم يرخص لكم في فطره وهو يريد ان يشق عليكم
في قضائه ان شئت فواتر وان شئت ففرق **وعن علي عليه السلم** وابن عمر والشعبي وغيرهم انه يقضي
كما فات متتابعا وفي قراءة ابي فعدة من ايام اخر متتابعات **وعلى الذين يطيقونه** ان افطروا ولا عذر بهم
فدية طعام مساكين وهذا كان في ابتداء الاسلام فرض عليهم الصوم جاز له ان يفطر ويطعم لكل يوم
مسكينا مدا من طعام فنسخ ذلك بقوله فمن شهد منكم الشهر فليصمه **قال رضي الله عنه**
والفدية عن كل يوم نصف صاع من بر او صاع من غيره عند اهل العراق وعند اهل الحجاز مدا
وهو ربع صاع ومذهبنا انا نعلم انها نصف صاع من اي حب كان والفدية لا تجزي الا من بعد عليه
الصوم كالشيوخ والعجائز فيفطرون بالفدية المذكورة وفي الاية عن ابن عباس قرا الذين يطوقونه
يكلفونه ويطوقونه اي يكلفونه على جهد منهم ومشقة وهم الشيوخ والعجائز فحكم هولا الا
الفدية وهو على هذا الوجه ثابت غير منسوخ **فمن تطوع خيرا** فزاد على مقدار الفدية **فهو**
خير له وان تصوموا ايها المطيقون او المطوقون ومتكلفيه **خير لكم** من الافطار والفدية وهذا
انما كان قبل النسخ ويجوز ان ينتظم الخطاب المريض والمسافر فيكون صومهم افضل وهو المذهب
خاصة في المسافر حيث لا يخشى الضرر او التلف **ان كنتم تعلمون** انه خير لكم فتعملون بعلمكم
شهر رمضان اي هو شهر رمضان يعني تلك الايام المعدودات شهر رمضان **الذي انزل فيه**
القران اي ابتدى فيه انزاله وكان ذلك في ليلة القدر وقيل انزل جملة واحدة من اللوح
المحفوظ الى سما الدنيا ثم نزل به جبريل عليه السلام على محمد صلى الله عليه واله نجوما عشرين سنة
وعن النبي صلى الله عليه واله وسلم نزلت صحف ابراهيم اول ليلة من رمضان وانزلت التوراة لست مضين منه
والانجيل لثلاث عشرة والزبور لثماني عشرة والقران لاربع وعشرين **هدى للناس وبينات** اي
ودلالة لهم الى الحق وايات واضحات **من الهدى والفرقان** اي من الحلال والحرام والحدود والا
والزيادات الفرق بين الحق والباطل **فمن شهد منكم الشهر** اي من حضر منكم بلده في الشهر **فليصمه**
يعني من كان مقيما غير مسافر في الشهر فليصم فيه ولا يفطر **ومن كان مريضا او على سفر** فافطر
مترخصا **فعدة من ايام اخر** اي فعليه قضا عدد الفائت سوا ايام مرضه وسفره كما تقدم اعاده
لعذر المريض والمسافر ليعلم انه باق على ما كان **يريد الله بكم اليسر** بالرخصة للمريض والمسافر
ولا يريد بكم العسر اي الضيق والمشقة لانه لم يشدد ولم يضيق عليكم في الدين وامركم
بالحنيفية السمحة التي لا ضرر فيها ولا مشقة ليسهل عليكم **ولتكملوا العدة** اي عدة ما افطرتم
للعذر اذا اقمتم في بيوتكم وبرئتم من مرضكم **ولتكبروا الله على ما هداكم** اي لتعظموه على ما
ارشدكم اليه من شرائع الدين وقيل هو التكبير ليلة الفطر اذا راى هلال شوال **ولعلكم تشكرون**
اي ولكي تشكروه على النعمة بالرخصة **واذا سالك عبادي عني** روي ان اعرابيا قال للنبي

قوله

وطاك

حكام

اقريب ربنا فنناجيه ام بعيد فنناديه فانزل الله تعالى هذه الاية واذا سألك عبادي عني فاني قريب أجيب دعوة الداع اذا دعان قال رضي الله عنه مثل حاله سبحانه في سهولة اجابته لمن دعاه وسرعة انجاحه حاجة من سأله بحال من قرب مكانه فاذا دعي اسرعت تلبيته ونحوه ونحن اقرب اليه من حبل الوريد وقوله صلى الله عليه وآله هو بينكم وبين اعناق رواحلكم فليستجيبوا لي اذا دعوتهم للايمان والطاعة كما اني اجيبهم اذا دعوني لمهماتهم وحوائجهم وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون اي ليكونوا على رجاء من اصابة الرشد أحل لكم ليلة الصيام الرفث الى نسائكم كان الرجل في ابتداء الاسلام اذا امسى حل له الاكل والشرب والجماع الى ان يصلي العشاء الآخرة او يرقد فاذا صلاها او رقد ولم يفطر حرم عليه الطعام والشراب والنساء الى القابلة ثم ان عمر رضي الله عنه واقع اهله بعد صلوة العشاء الآخرة فلما اغتسل اخذ يبكي ويلوم نفسه فاتى النبي صلى الله عليه وآله وقال يا رسول الله اني اعتذر الى الله ثم اليك من نفسي هذه الخاطئة واخبره بما فعل فقال صلى الله عليه وآله ما كنت جديرا بذلك يا عمر فقام رجال فاعترفوا بمثل ذلك فنزلت هذه واحل الله ذلك كله الى طلوع الفجر والرفث الجماع وكني عنه بلفظ الرفث الدال على معنى القبح استهجانا لما وجد منهم قبل الاباحة هن لباس لكم اي فراش وانتم لباس لهن قال رضي الله عنه وهذا من المجاز بان سمى المرأة لباسا اي لحافا لهن عند الجماع حتى يصير كل واحد لصاحبه كاللحاف الذي يلبسه علم الله انكم كنتم تختانون انفسكم اي تخونونها بالجماع في ليالي رمضان قال رضي الله عنه وهذا بيان لسبب الاحلال وهو انه اذا كانت بينكم وبينهن هذه المخالطة والملابسة قل صبركم عنهن وصعب عليكم اجتنابهن فلذلك رخص لكم في مباشرتهن فتاب عليكم اي عاد عليكم بالترخيص تخفيفا لما ارتكبتم من المحظور وعفا عنكم اي اسقط عنكم ما استحققتم من العقاب قبل الرخصة فالآن باشروهن اي جامعوهن بعد الرخصة وهو امر اباحة وابتغوا ما كتب الله لكم اي اطلبوا بالجماع ما قضى الله لكم من الولد ولا تباشروا لقضاء الشهوة وحدها ولكن لابتغاء ما وضع الله له النكاح من التناسل وقيل هو نهي عن العزل وقيل ابتغوا المحل الذي كتبه الله لكم وحلله دون المحل المحرم وكلوا واشربوا في الليل كله حتى يتبين لكم الخيط الابيض وهو بياض الصبح اول ما يبدو من الفجر المعترض في الافق كالخيط الممدود من الخيط الاسود وهو سواد الليل الذي يبقى معه من غبش الليل وقوله من الفجر بيان ان هذا الخيط الابيض من الفجر لا من غيره قال رضي الله عنه ولما نزلت هذه الآية اشتبه على عدي بن حاتم معناها حتى قال عمدت الى عقالين ابيض واسود فجعلتهما تحت وسادتي وكنت اقوم من الليل فانظر اليهما فلا

يتبين لي الابيض من الاسود فلما اصبحت غدوت الى رسول الله صلى الله عليه وآله فاخبرته فضحك وقال ان كان وسادك لعريضا وروي انك لعريض القفا انما ذلك بياض النهار وسواد الليل قال رضي الله عنه انما نزلت ولم ينزل من الفجر فكان رجال اذا ارادوا الصوم ربط احدهم في رجله الخيط الابيض والخيط الاسود ولا يزال يأكل ويشرب حتى يتبين له فنزل بعد ذلك قوله من الفجر فعلموا انه انما يعني بذلك الليل والنهار ثم اتموا الصيام الى الليل بالامساك عن هذه الاشياء والواو في هذا دليل على جواز النية بالنهار في صوم رمضان وعلى جواز تأخير الغسل الى الفجر وعلى نفي الوصال وهذا حجة لانا نافي الوصال ولا تباشروهن اي تجامعوهن وانتم عاكفون في المساجد الاعتكاف حبس النفس في المسجد للتعبد فيه مع الصوم على الاصح من المذهب ولا يخرج المعتكف الا لحاجة لا بد منها فيقضيها قائما من غير قعود ثم يعود والجماع يفسده وكذلك اذا لمس او قبل او انزل وكان الرجل يعتكف فيخرج فيباشر امرأته ثم يرجع الى المسجد فانزل الله هذه الاية ونهاهم عن ذلك والآية دليل على ان الاعتكاف لا يكون الا في مسجد ولا يختص بمسجد دون مسجد وقيل لا يجوز الا في مسجد نبي وهو احد الثلاثة وقيل في مسجد جامع والمذهب هو الاول تلك الاحكام التي ذكرت حدود الله اي ممنوعاته فلا تقربوها اي لا تأتوها ولا تغشوها وهو نهي عن قرب الحد الحاجز بين الحق والباطل فضلا ان يتخطاه كذلك اي مثل ذلك البيان يبين الله آياته للناس لعلهم يتقون اي لكي يتقوا ما حرم الله ومنع منه ولا تأكلوا اموالكم بينكم بالباطل اي لا يأكل بعضكم مال بعض بالوجه الذي لا يحل في الشرع من الخيانة والغصب والنهب والقمار وغير ذلك وتدلوا بها الى الحكام اي ولا تلقوا امرها والحكومة فيها اليهم وقيل معناه ولا تصانعوا بها الحكام لتقتطعوا حقا لغيركم لتأكلوا بالحاكم فريقا اي طائفة من اموال الناس بالاثم اي بان ترشوا الحاكم ليقضي لكم وانتم تعلمون انكم مبطلون وانه لا يحل لكم وروي عن النبي صلى الله عليه وآله انه قال للخصمين انما انا بشر مثلكم وانتم تختصمون الي ولعل بعضكم الحن بحجته من بعض فاقضي له على نحو ما اسمع فمن قضيت له بشيء من حق اخيه فلا يأخذن منه شيئا فانما اقضي له قطعة من النار فبكيا وقال كل واحد منهما حقي لصاحبي فقال اذهبا فتوخيا ثم استهما ثم ليحلل كل واحد منكما صاحبه يسألونك عن الاهلة روي ان معاذ بن جبل وثعلبة بن غنم الانصاري قالا يا رسول الله صلى الله عليه وآله ما بال الهلال يبدو دقيقا مثل الخيط ثم يزيد حتى يمتلئ ثم لا يزال ينقص حتى يعود كما بدا لا يكون على حالة واحدة فانزل الله تعالى يسألونك عن الاهلة وهو جمع هلال قل هي مواقيت للناس والحج اي معالم يوقتون بها اخبر سبحانه ان الحكمة في زيادة القمر ونقصانه زوال الالتباس عن اوقات الناس في حجهم وحل ديونهم وعدة نسائهم واجور اجرائهم ومدد حواملهم وغير ذلك وليس البر بان تأتوا البيوت من ظهورها كان الرجل من الجاهلية اذا احرم لم يدخل

وانما عرض صلى الله عليه وآله وسلم بقفا عدي لانه مما يستدل به على بلاهة الرجل وقلة فطنته وروي عن سهل بن سعد الساعدي

لكم

ثم

سؤال [illegible]

الجواب [illegible]

دارا ولا خباء من باب فان كان من اهل المدر نقب نقبا في ظهر بيته منه يخرج ويدخل او يتخذ سلما فيصعد فيه وان كان من اهل الوبر خرج من خلف الخباء فامرهم الله بترك السنة الجاهلية واعلمهم ان ذلك ليس ببر **ولكن البر من اتقى** ما حرم الله عليه **وأتوا البيوت من أبوابها** المشروعة لها والمعنى باشروا الامور من وجوهها التي يجب ان يباشر عليها ولا تعكسوا والمراد وجوب توطين النفوس وربط القلوب على ان جميع افعال الله حكمة وصواب **واتقوا الله** باجتناب محارمه **لعلكم تفلحون** اي تظفروا بمطلوبكم **وقاتلوا في سبيل الله** نزلت هذه الآية في صلح الحديبية وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وآله لما انصرف من الحديبية الى المدينة حين صده المشركون عن البيت صالحهم على ان يرجع عامه القابل ويخلوا له مكة ثلاثة ايام فلما كان العام القابل تجهز رسول الله صلى الله عليه وآله واصحابه لعمرة القضاء وخافوا ان لا تفي لهم قريش وان يصدوهم عن البيت ويقاتلوهم وكره اصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله قتالهم في الشهر الحرام وفي الحرم فانزل الله تعالى وقاتلوا في سبيل الله اي في دينه وطاعته **الذين يقاتلونكم** يعني قريشا **ولا تعتدوا** اي لا تبدؤوا بالقتال في الحرم **إن الله لا يحب المعتدين** **واقتلوهم حيث ثقفتموهم** اي حيث وجدتموهم **وأخرجوهم من حيث أخرجوكم** يعني مكة وقد فعل رسول الله صلى الله عليه وآله بمن لم يسلم منهم يوم الفتح **والفتنة أشد من القتل** الفتنة الشرك يعني شركهم بالله اعظم من قتلكم اياهم في الحرم **ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام** وهو مكة **حتى يقاتلوكم فيه** اي يبدؤوكم بالقتال فهو نهي عن ابتدائهم بقتل حتى يبدأ المشركون **فإن قاتلوكم** اي بدؤوكم فيه بالقتال **فاقتلوهم كذلك جزاء الكافرين** اي مثل ذلك **فإن انتهوا فإن الله غفور رحيم وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة** اي شرك يعني قاتلوهم حتى يسلموا ولا يقبل من المشركين الا الاسلام **ويكون الدين لله** اي الطاعة والعبادة لله وحده خالصا ليس للشيطان فيه نصيب **فإن انتهوا** عن الشرك **فلا عدوان** اي لا قتل ولا نهب **إلا على الظالمين** اي على المشركين لان مقاتلة المنتهي عدوان **الشهر الحرام بالشهر الحرام** اي ان قاتلوكم في الشهر الحرام فقاتلوهم في مثله ولما قاتلهم المشركون عام الحديبية في الشهر الحرام وهو ذو القعدة قيل لهم عند خروجهم لعمرة القضاء وكراهتهم القتال وذلك في ذي القعدة الشهر الحرام بالشهر الحرام اي هذا الشهر بذلك الشهر وهتكه بهتكه يعني تهتكون حرمته عليهم كما هتكوا حرمته عليكم **والحرمات قصاص** اي وكل حرمة يجري فيها القصاص من هتك حرمة اي حرمة كانت اقتص منه بان يهتك له حرمة فحين هتكوا حرمة شهركم فافعلوا بهم مثل ذلك ولا تبالوا واكد ذلك بقوله **فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم واتقوا الله** في حال كونكم منتصرين ممن اعتدى عليكم ولا تعتدوا الى ما لا يحل لكم **واعلموا أن الله مع المتقين** ۝ ينصرهم ويعينهم لا تبعة عليهم بنصره **وأنفقوا في سبيل الله** في الجهاد وجميع انواع البر

والصدقات **ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة** الباء في بايديكم زائدة والمعنى ولا تقبضوا التهلكة ايديكم اي لا تجعلوها آخذة بايديكم مالكة لكم وقيل بايديكم بانفسكم ومعناه النهي عن ترك الانفاق في سبيل الله لانه سبب الهلاك او عن الاسراف في النفقة حتى يفقر نفسه ويضيع عياله او عن الاقتحام والاخطار بالنفس وتعريضها للهلاك **وأحسنوا** في العمل والقيام بما كلفتم **إن الله يحب المحسنين** يريد اثابتهم ومن احبه الله فقد سعد **وأتموا الحج والعمرة لله** ائتوا بهما تامين كاملين بشرائطهما ومناسكهما خالصة لوجه الله من غير توان ولا نقصان يقع منكم فيهما وقيل اتمامهما ان تحرم بهما من دويرة اهلك روي ذلك عن علي عليه السلام وابن عباس وابن مسعود وقيل ان تفرد لكل واحد منهما سفرا وقيل ان تكون النفقة حلالا وقيل ان تخلصوهما للعبادة ولا تشوبوهما بشيء من التجارة والاغراض الدنيوية ولا حجة فيه على وجوب العمرة لانه ليس الا امرا باتمامهما ولا دليل على الوجوب لانه قد يؤمر باتمام الواجب والتطوع وهو مذهب ائمتنا عليهم السلام وقال بعضهم بوجوبها ولكل وجه **فإن أحصرتم** منعكم امر من خوف او مرض او عجز **فما استيسر من الهدي** فما استيسر منه يقال يسر الامر واستيسر كما يقال صعب واستصعب والمعنى فان منعتم من المضي الى البيت وانتم محرمون بحج او عمرة فعليكم اذا اردتم التحلل ما استيسر من الهدي من بعير او بقرة او شاة والمعتبر في الاحصار مختلف فيه فمذهبنا ان كل منع من عدو او مرض او غيرهما معتبر في الاحصار من غير تخصيص لعموم الآية وهو قول ح وعند ش المحصر منع العدو وحده وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم من كسر او عرج فقد حل وعليه الحج من قابل ويجب بعث هدي الاحصار ان كان عن الحج يعني في ايام النحر وان كان عن العمرة فيمكث في اي وقت شاء لان النبي صلى الله عليه وآله نحر هديه بمنى يوم النحر **ولا تحلقوا رؤوسكم** الخطاب للمحصرين اي لا تحلوا **حتى يبلغ الهدي محله** اي حتى تعلموا ان الهدي الذي بعثتموه الى الحرم بلغ مكانه الذي يجب نحره فيه ومحل الدين وقت وجوب قضائه **فمن كان منكم مريضا** اي مرضا يحوجه الى الحلق **أو به أذى من رأسه** وهو القمل او الجراحة فاذا احتلق **ففدية من صيام** ثلاثة ايام **أو صدقة** على ستة مساكين لكل مسكين نصف صاع من بر او غيره **أو نسك** وهو شاة وعن كعب بن عجرة ان رسول الله صلى الله عليه وآله قال له لعلك آذاك هوام رأسك قال نعم يا رسول الله قال احلق رأسك وصم ثلاثة ايام او اطعم ستة مساكين او انسك شاة وكان كعب يقول فيّ نزلت هذه الآية وروي انه مر به وقد قرح رأسه فقال كفى بهذا اذى وامره ان يحلق ويطعم او يصوم او ينسك **فإذا أمنتم** الاحصار يعني فاذا لم تحصروا وكنتم في امن وسعة **فمن تمتع** اي استمتع **بالعمرة إلى الحج** واستمتاعه بها الى وقت الحج انتفاعه بالتقرب بها الى الله تعالى قبل الانتفاع بتقربه بالحج وقيل اذا احل من عمرته انتفع باستباحة ما كان محرما عليه الى ان يحرم بالحج **فما استيسر من الهدي** هو هدي المتعة يجوز الاكل

سد لصاحبه والاطعام لمن شا على مذهبنا ومن بين لا يجوز **فمن لم يجد** الهدي **فصيام ثلاثة**
ايام في الحج اي في وقته وهو اشهره والافضل ان يصوم يوم التروية وعرفة ويوما قبلهما
فان لم يصمها حتى خرجت فعليه دم جبرا للتاخيره ۞
فان لم يصم قبل يوم النحر فليصم ايام التشريق وان شا المتمتع صامها في طريقه او عند اهله
وسبعة اذا رجعتم اي اذا نفرتم وفرغتم من اعمال الحج الايام والسبعة **عشرة كاملة** هذا تاكيد
وسمي بولاه صيامها **تلك** يعني الثلاثة الايام والسبعة كاملة في وقوعها بدلا لاصل الهدي
وفيه زيادة وصية بان لا يبعض منها ولا يتهاونون بها وما امرته من الهدي او الصيام **لمن لم**
ذلك اشارة الى التمتع اي ذلك الفرض الذي هو التمتع عن اهل مكة واللام في قوله لمن بمعنى على
يكن اهله حاضري المسجد الحرام يعني لمن كان من الغرباء لكن لما كان الغالب على الرجل ان
يسكن حيث اهله ذكر الاهل والمراد حضور الحرم نفسه لا حضور الاهل وذكر الله تعالى حضور الاهل ومن كانت داره على مسافة لا تقصر اليها الصلاة من مكة فهو من
حاضري المسجد الحرام وكذلك كل من كان موضع اقامته داره **واتقوا الله** في المحافظة على
حدوده وما امركم به وما نهاكم عنه في الحج وغيره **واعلموا ان الله شديد العقاب** لمن خالف
ليكون علمكم بشدة عقابه لطفا لكم في التقوى **الحج اشهر معلومات** معروفات عند الناس
لا يشكل عليهم وهو شوال وذو القعدة وعشر ذي الحجة وهو مذهب اصحابنا عليهم السلام وعند
الشافعي تسع ذي الحجة وليلة يوم النحر دون يومه وعند مالك شهر الحج كله **فمن فرض فيهن الحج** اي الزمه
نفسه بالنية والاحرام والتلبية **فلا رفث** اي فلا جماع لانه يفسد او الفحش من الكلام لانه يكره
ولا فسوق اي ولا خروج عن حدود الشريعة وقيل هو السباب والتنابز بالالقاب **ولا جدال في الحج**
اي ولا مراء مع الرفقاء والمكارين وانما امر باجتناب ذلك وهو واجب الاجتناب في كل حال لانه مع
الحج اسمج كلبس الحرير في الصلاة والتطريب في قراءة القران والمراد بالنفي وجوب انتفائها وانها
حقيقة بان لا تكون وقرا ابو عمرو وابن كثير الاولين بالرفع والاخر بالنصب لانهما حملا الاولين
على معنى النهي كانه قيل فلا يكونن رفث ولا فسوق والثالث على معنى الاخبار بانتفاء الجدال
كانه قيل ولا شك ولا خلاف في الحج وذلك ان قريشا كانت تخالف سائر العرب فتقف بالمشعر الحرام
وسائر العرب يقفون بعرفة وكانوا يقدمون الحج سنة ويؤخرونه سنة وهو النسي فرد الى وقت واحد
ورد الوقوف الى عرفة فاخبر الله تعالى انه قد ارتفع الخلاف في الحج واستدل على ان المنهي عنه هو الرفث
والفسوق دون الجدال بقوله عليه السلام من حج فلم يرفث ولم يفسق خرج كهيئة يوم ولدته امه ولم
يذكر الجدال **وما تفعلوا من خير يعلمه الله** حث على الخير عقيب النهي عن الشر وان يستعملوا مكان
القبيح من الكلام الحسن ومكان الفسوق البر والتقوى ومكان الجدال الوفاق والاخلاق الجميلة
وتزودوا فان خير الزاد التقوى اي اجعلوا زادكم الى الاخرة اتقاء القبائح فان خير الزاد اتقاؤها

وقيل كان اهل اليمن لا يتزودون ويقولون نحن متوكلون ونحن نحج بيت الله افلا يطعمنا فيكونون
كلا على الناس فنزلت فيهم ومعناه وتزودوا واتقوا الاستطعام وابرام الناس والتثقيل عليهم
واتقون وخافوا عقابي **يا اولي الالباب** يعني ان قضية اللب تقوى الله ومن لم يتقه من
الالبا فكانه لا لب له **ليس عليكم جناح** اي اثم **ان تبتغوا** تطلبوا **فضلا من ربكم** عطاء منه
وتفضلا وهو النفع والربح بالتجارة وكان ناس من العرب يتاثمون ان يتجروا ايام العشر واذا دخل
العشر كفوا عن البيع والشرا فلم تقم لهم سوق ويسمون من يخرج بالتجارة الداج ويقولون هولا الداج
وليسوا بالحاج فنزلت وعن عمر رضي الله عنه انه قيل له هل كنتم تكرهون التجارة في الحج فقال وهل
كانت معايشنا الا من التجارة في الحج **فاذا افضتم** دفعتم بكثرة **من عرفات** علم للموقف سمي
بذلك لانها وصفت لابراهيم عليه السلام فلما ابصرها عرفها وقيل التقى فيها ادم وحوى فتعارفا وفيه
دليل على وجوب الوقوف بعرفة لان الافاضة لا تكون الا بعده **فاذكروا الله** بالتلبية والتهليل
والتكبير والثنا والدعوات **عند المشعر الحرام** هو قزح وهو الجبل الذي يقف عليه الامام
وقيل المشعر الحرام ما بين جبلي المزدلفة من مازمي عرفة الى وادي محسر والصحيح انه الجبل لما روى
جابر ان النبي صلى الله عليه وآله لما صلى الفجر بالمزدلفة بغلس ركب ناقته حتى اتى المشعر فدعا
وكبر وهلل ولم يزل واقفا حتى اسفر وقوله تعالى عند المشعر الحرام معناه مما يلي المشعر الحرام
قريبا منه وذلك للفضل كالقرب من جبل الرحمة والا فالمزدلفة كلها موقف الا وادي محسر وعن
ابن عباس انه نظر الى الناس ليلة جمع فقال لقد ادركت الناس هذه الليلة لا ينامون وسميت المزدلفة
وجمعا لان ادم اجتمع فيها مع حوى وازدلف اليها اي دنا منها ويجوز ان يقال وصفت بفعل اهلها
لانهم يزدلفون الى الله تعالى اي يتقربون بالوقوف فيها **واذكروه كما هداكم** اي اذكروه
ذكرا حسنا كما هداكم هداية حسنة **وان كنتم من قبله** من قبل الهدى **لمن الضالين** الجاهلين
لا تعرفون كيف تذكرونه وتعبدونه **ثم افيضوا** اي لتكن افاضتكم **من حيث افاض الناس** ولا
تكن من المزدلفة وذلك لما كان عليه الحمس من الترفع على الناس والتعالي عليهم وتوهم عن اهل الله
وقطان حرمه فلا نخرج منه فيقفون بجمع وسائر الناس بعرفات وقيل من حيث افاض الناس وهو ادم
يعني ان الافاضة من عرفات شرع قديم فلا تخالفوه **واستغفروا الله** من مخالفتكم في الموقف
ونحو ذلك من جاهليتكم **ان الله غفور رحيم** يغفر لكم اذا استغفرتموه ويرحمكم **فاذا قضيتم مناسككم**
اي فرغتم من عباداتكم الحجية ونفرتم **فاذكروا الله كذكركم اباءكم** اي اكثروا ذكر الله [illegible] واد
الله وبالغوا فيه كما تفعلون في ذكر اباءكم ومفاخرهم وايامهم وكانوا اذا قضوا مناسكهم
وقفوا بين المسجد بمنى وبين الجبل فيعددون فضائل ابائهم ويذكرون محاسن ايامهم **او اشد ذكرا**
يعني ابلغ مما تذكرون به اباءكم وامر **فمن الناس من يقول** معناه اكثروا ذكر الله ودعاءه فان

وهو عرفة صح

الناس من مقل لا يطلب بذكر الله الا اعراض الدنيا ومكثر يطلب خير الدارين وكونوا من المكثرين
ربنا آتنا في الدنيا اي اجعل عطايانا في الدنيا خاصة وما له في الآخرة من
خلاق اي من نصيب لان همه مقصور على الدنيا ومنهم من يقول ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة
حسنة وقنا عذاب النار الحسنتان ما طلبه الصالحون في الدنيا من النعمة والكفاف والتوفيق
في الخير وطلبهم في الآخرة من الثواب وعن علي عليه السلام الحسنة في الدنيا
المرأة الصالحة وفي الآخرة الحوراء وعذاب النار امرأة السوء اولئك الداعون بالحسنيين
لهم نصيب مما كسبوا اي نصيب من جنس ما عملوا من الاعمال الحسنة وهو الثواب والله سريع الحساب
والاكثار للذكر وطلب الآخرة وصف نفسه بسرعة
يوشك ان يقيم القيامة ويحاسب العباد مبادرة واعمالهم لتدل على كمال قدرته ووجوب الحذر منه روي
بسرعة حساب الخلائق على كثرة عددهم في مقدار فواق ناقة وروي في مقدار لمحة واذكروا
انه يحاسب الخلق في قدر حلب شاة وروي وذكر الله فيها بالتكبير في ادبار الصلوات وعند الجمار
الله في ايام معدودات هي ايام التشريق
وعن عمر رضي الله عنه انه كان يكبر في فسطاطه بمنى فيكبر من حوله حتى يكبر الناس في الطريق
وفي الطواف فمن تعجل اي عجل النفر او استعجله في يومين بعد يوم النحر يوم القر وهو
الذي يسميه اهل مكة يوم الرؤوس واليوم بعده ينفر اذا فرغ من رمي الجمار كما يفعل الناس اليوم
فلا اثم عليه ومن تاخر حتى رمى في اليوم الثالث والرمي فيه يكون بعد الزوال
عندنا فلا اثم عليه في التعجيل والتاخير لانه مخير فيهما كانه قيل فتعجلوا او تاخروا
والتاخير افضل لكنه كون التخيير بين الفاضل والافضل كما خير المسافر بين الصوم
والافطار وان كان الصوم افضل وقيل ان اهل الجاهلية اختلفوا فمنهم من جعل المتعجل
آثما ومنهم من جعل المتاخر آثما فورد القرآن بنفي المأثم عنهما جميعا لمن اتقى اي ذلك
التخيير ونفي الاثم عن المتعجل والمتاخر لاجل الحاج المتقي لئلا يتخالج في قلبه شيء منهما
لاحدهما يرهق صاحبه آثام في الاقدام عليه لان ذا التقوى حذر متحرز من كل ما يريبه
ولانه هو الحاج على الحقيقة عند الله ثم قال واتقوا الله في مجامع اموركم ليعبأ بكم واعلموا
انكم اليه تحشرون تجمعون اليه يوم القيامة فيجازيكم بحسناتكم وسيئاتكم ومن الناس
من يعجبك قوله اي يروقك ويعظم في قلبك ويحسن عندك وهو الاخنس بن شريق كان رجلا
حلو المنطق اذا لقي رسول الله صلى الله عليه وآله الان له القول وادعى انه يحبه وانه مسلم وقال
يعلم الله اني صادق يحلو في لسانه وقلبه امر من الصبر في الحياة الدنيا اي يعجبك
ما يقوله في معنى الدنيا لان ادعاء المحبة بالباطل يطلب به حظا من حظوظ الدنيا ولا يريد
به الآخرة او يعجبك قوله لانه يخلو فصيح في الدنيا ولا يعجبك في الآخرة لما يرهقه في الموقف

من الحبسة واللكنة او لانه لا يؤذن له في الكلام فلا يتكلم حتى يعجبك كلامه ويشهد الله
على ما في قلبه اي يحلف ويقول الله شاهد على ما في قلبي من محبتك ومن الاسلام وهو ألد الخصام
شديد الجدال والعداوة للمسلمين وقيل كان بينه وبين ثقيف خصومة فبيتهم ليلا واحرق
زروعهم واهلك مواشيهم واذا تولى اي ذهب عنك بعد الانة القول واحلاء المنطق سعى في
الارض ليفسد فيها كما فعل بثقيف وقيل اذا تولى اي صار واليا فعل ما يفعله ولاة السوء من
الفساد في الارض وقيل يظهر الظلم حتى يمنع الله بشؤم ظلمه القطر ويهلك الحرث والنسل
الزروع وسائر ما يعمله الناس لمنافعهم والاولاد بقتل الرجال فيعدم نسلهم او انهم نسل الا ما
والله لا يحب الفساد بل يكرهه ويكره من فعله واذا قيل له اتق الله اي اخشه وا
منه اخذته العزة بالاثم اي حملته العزة التي فيه على ارتكاب الاثم الذي نهي عنه والزمته
ارتكابه ضرارا ولجاجا او على رد قول الواعظ فحسبه جهنم اي هي كافيه في جزائه على
عتوه وكفره ولبئس المهاد هو الفراش اي لبئس الفراش المعد له في النار ومن الناس من
يشري نفسه يبيعها اي يبذلها في الجهاد وقيل يامر بالمعروف وينهى عن المنكر حتى يقتل وقيل
نزلت في صهيب بن سنان اراده المشركون على ترك الاسلام وقتلوا نفرا كانوا معه فقال لهم انا شيخ
كبير ان كنت معكم لم انفعكم وان كنت عليكم لم اضركم فخلوني وما انا عليه وخذوا مالي فقبلوا
منه ماله واتى المدينة ابتغاء مرضات الله اي طلبا لرضوان الله عليه والله رؤوف بالعباد
حيث كلفهم الجهاد فعرضهم لثواب الشهداء يا ايها الذين آمنوا الخطاب لاهل الكتاب لانهم
آمنوا بنبيهم وكتابهم او للمنافقين لانهم آمنوا بالسنتهم ادخلوا في السلم كافة هو الاستسلام
والطاعة اي استسلموا لله واطيعوه كافة لا يخرج واحد منكم يده من طاعته وقيل هو الاسلام امروا
بان يدخلوا في الطاعات كلها وفي شعب الاسلام وشرائعه وان لا يخلوا بشيء منها وعن عبد الله بن سلام
انه استاذن رسول الله صلى الله عليه وآله ان يقيم على السبت وان يقرأ من التوراة في صلاته من الليل
وكافة من الكف كانهم كفوا ان يخرج منهم احد باجتماعهم ولا تتبعوا خطوات الشيطان جمع خطوة
والمعنى لا تفسدوا ولا تدخلوا في شيء مما حرم عليكم وعلل النهي بقوله انه لكم عدو مبين لا
يامر الا بالشر ولتحذروه فان زللتم عن الدخول في السلم من بعد ما جاءتكم البينات اي الحجج
والشواهد على ان ما دعيتم اليه هو الحق فاعلموا ان الله عزيز غالب لا يعجزه الانتقام منكم حكيم
لا ينتقم الا بالحق وروي ان قارئا قرأ غفور رحيم فسمعه اعرابي فانكره ولم يقرأ القرآن وقال
ان كان هذا كلام الله فلا يقول كذا الحكيم لا يذكر الغفران عند الزلل لانه اغراء عليه هل ينظرون
الا ان ياتيهم الله معنى اتيان الله اتيان امره وباسه في ظلل جمع ظلة وهي ما اظلك
من الغمام والملائكة وهو السحاب لان الغمام مظنة الرحمة فاذا نزل منه العذاب كان الامر افظع

واهول لان الشر اذا جاء من حيث لا يحتسب كان اعظم اثما كما ان الخير اذا جاء من حيث لا يحتسب كان اسر

فكيف اذا جاء الشر من حيث يحتسب الخير كالصاعقة مع المطر ومن ثم اشتد على المتفكرين (المتفكرين) في كتاب

الله قوله تعالى وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون **وَقُضِيَ الْأَمْرُ** اى اتم امر اهلاكهم وفرغ منه **وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ** امورهم وامور غيرهم لا ترجع الا الى الله اى الى جزائه في الآخرة

سَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ امر للرسول وهو سؤال توبيخ وتقريع كما تسأل الكفرة يوم القيمة والمراد بهذا السؤال تقريعهم على

اليه صغارهم وهذا وعيدهم **كَمْ آتَيْنَاهُمْ مِنْ آيَةٍ بَيِّنَةٍ** على ايدى انبيائهم وهي معجزاتهم او آيات في الكتب شاهدة على

نعمة دين الاسلام **وَمَنْ يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللَّهِ** وهي آياته وهي اجل نعمة منه لانها اسباب الهدى وطريق

النجاة من الضلالة وتبديلهم اياها ان الله اظهرها لتكون اسباب هداهم فجعلوها اسباب ضلالهم

مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ اى من بعد ما تمكن من معرفتها او لم يعرفها فكانها غائبة عنه **فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ**

ادحضوا آيات الكتب الدالة على دين محمد صلى الله عليه واله

الْعِقَابِ فيعاقبه اشد عقوبة لانه ارتكب اشد جريمة **زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا** المزين هو الشيطان حسن لهم الدنيا

وحسنها في اعينهم بوساوسه وحببها اليهم فلا يريدون غيرها ويجوز ان يكون الله قد زينها لهم

بان خذلهم حتى استحسنوها واحبوها او جعل امهال المزين تزيينا **وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا**

كان الكفرة يسخرون من المؤمنين الذين لا حظ لهم في الدنيا كابن مسعود وعمار وصهيب وغيرهم

او يسخرون منهم لطلب غير الدنيا **وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ** لانهم في عليين من السماء

وهم في سجين من الارض او حالهم عالية لحالهم لانهم في كرامة وهم في هوان **وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ**

بِغَيْرِ حِسَابٍ بغير تقدير يعني انه يوسع على من توجب الحكمة التوسعة عليه كما وسع على قارون وغيره

فهذه التوسعة عليكم من جهة الله لما فيها من الحكمة وهي استدراجكم بالنعمة ولو كانت كرامة

لكان اولياؤه المؤمنون احق بها منكم وفيه ... من الذين آمنوا ثم قال والذين اتقوا ليدل على انه لا

يسعد عنده الا المؤمن المتقي ولتكون بعثا للمؤمنين على التقوى اذا سمعوا ذلك **كَانَ النَّاسُ**

أُمَّةً وَاحِدَةً متفقين على دين الاسلام فاختلفوا **فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ** روى عن ابن عباس انه كان

بين آدم ونوح عشرة قرون على شريعة من الحق فاختلفوا وقيل الناس نوح ومن كان معه في السفينة

فجعلنا النبيين لاجل اختلافهم **مُبَشِّرِينَ** المطيع المحق بالجنة **وَمُنْذِرِينَ** العاصي المبطل

من النار **وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ** يريد الجنس او مع كل واحد منهم كتابه **لِيَحْكُمَ** الله او الكتاب

او النبي المنزل عليه **بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ** اى في الحق ودين الاسلام الذي اختلفوا فيه بعد

الاتفاق **وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ** اى في الحق **إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ** اى الا الذين اوتوا الكتاب المنزل

لازالة الاختلاف اى عكسوا نزول الكتاب لازالة الاختلاف سببا في زيادته واستحكامه

مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ اى من بعد ما تمكنوا من معرفة الآيات الموجبة لزوال الاختلاف اى

بعد ما تمكنوا من معرفتها او عرفوها لانه اذا لم يمكن من معرفتها او لم يعرفها فكانت غائبة عنه

وفيه تشنيع عليهم في ارتكابهم القبيح مع علمهم بقبحه مع علمهم بقبحه **بَغْيًا بَيْنَهُمْ** اى حسدا بينهم

وظلما لحرصهم على الدنيا وقلة انصاف منهم **فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ** اى

هدى الله الذين آمنوا للحق الذي اختلف فيه من اختلف **بِإِذْنِهِ** اى بعلمه وارادته **وَاللَّهُ يَهْدِي**

اى يلطف ويوفق **مَنْ يَشَاءُ** هدايته واقتضت حكمته **إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ** ثابت والمراد طريق الحق ودين

الاسلام **أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ** لما ذكر الله ما كانت عليه الامم من الاختلاف على الانبياء بعد مجيء البينات

تشجيعا للرسول الله صلى الله عليه واله والمؤمنين على الثبات والصبر مع الذين اختلفوا فيه من المشركين

واهل الكتاب وانكارهم لآياته وعداوتهم له قال لهم على طريقة الالتفات التي هي ابلغ ام حسبتم ان

تدخلوا الجنة **وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ** اى حالهم التي هي مثل في الشدة **مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ**

وَالضَّرَّاءُ اى شدة الفقر والمرض وتشبيههم بان للمثل كان قائلا قال كيف مثلهم فقيل مستهم البأساء

وَزُلْزِلُوا اى ازعجوا ازعاجا شديدا شبيها بالزلزلة بما اصابهم من الافزاع والاهوال **حَتَّى يَقُولَ**

الرَّسُولُ اى الى الغاية التي قال الرسول **وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ** فيها **مَتَى نَصْرُ اللَّهِ** اى بلغ بهم

الضجر ولم يبق لهم صبر حتى قالوا ذلك ومعناه طلب النصر وتمنيه واستطالة زمان الشدة وفي هذه

الغاية دليل على تناهي الامر في الشدة وتمادية في العظم لان الرسل لا يوصف ثباتهم ولا اصطبارهم

اصطبارهم وضبطهم لانفسهم فاذا لم يبق لهم صبر حتى ضجوا كان ذلك الغاية في الشدة التي لا مطمح

وراءها **أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ** يعني فقيل لهم ذلك اجابة لهم الى طلبتهم من عاجل النصر

يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ عن ابن عباس انه جاء عمرو بن الجموح وهو شيخ هم الى رسول الله صلى الله عليه واله

وله مال عظيم فقال ماذا ننفق من اموالنا واين نضعها فنزلت **قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ**

سأل عن بيان ما ينفقون واجيبوا ببيان المصرف وبني الكلام على ما هو اهم وهو بيان المصرف لان

النفقة لا يعتد بها الا ان تقع موقعها ● ان الصيغة لا تكون صنيعة ● حتى يصاب بها طريق المصنع ●

فاذا صنعت صنيعة فاعمد بها ● لله او لذوي القرابة او دع ● وعن الحسن والسدي هي منسوخة

بفرض الزكوة وعن الحسن هي في التطوع اى فاجعلوه للوالدين والاقربين **وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ** المحتاجين

الى الناس **وَابْنِ السَّبِيلِ** هو المسافر المنقطع او الضيف **وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ** اى خير كان

من مواساة او ايثار وسعة يرجع الشرور على صاحبها **فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ** فيجازيكم به احسن

الجزاء ويحفظه لكم ليوم الحاجة اليه **كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ** اى فرض عليكم الجهاد ومقاتلة اعداء الله

وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ من الكراهة اى شق عليكم وتكرهونه كراهة طباع بدليل قوله **وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا**

شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ يعني الجهاد لما فيه من المشقة وكراهة جميع ما كلفتموه فان النفوس تكرهه وتنفر

عنه وتحب خلافه **وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ** لان فيه احدى الحسنيين اما الظفر والغنيمة واما الشهادة والجنة

وعسى أن تحبوا شيئا وهو ترك القتال وسائر ما كلفتم ولا مصلحة لكم فيه **وهو شر لكم** لما فيه من الذل والفقر وحرمان الغنيمة والأجر فاتقوا الله وكفوا أنفسكم عن اتباع الهوى والمحبوب الذي يعود ضرا عليكم واكرهوها على القتال بما أمرتم **والله يعلم** ما يصلحكم وما هو خير لكم **وأنتم لا تعلمون** ذلك فلا يحملكم عنه كرهكم **يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه** روي أنه بعث رسول الله صلى الله عليه وآله عبد الله بن جحش على سرية في جمادى الآخرة قبل بدر بشهرين ليترصد عيرا لقريش فيها عمرو الحضرمي وثلاثة معه فقتلوه وأسروا اثنين واستاقوا العير وفيها من تجارة الطائف وكان ذلك أول يوم من رجب وهم يظنونه من جمادى الآخرة فقالت قريش قد استحل محمد الشهر الحرام شهرا يأمن فيه الخائف ويتفرق فيه الناس إلى معايشهم فوقف رسول الله صلى الله عليه وآله العير وعظم ذلك على أهل السرية وقالوا ما نبرح حتى تنزل توبتنا ورد رسول الله صلى الله عليه وآله العير والأسارى وعن ابن عباس لما نزلت أخذ رسول الله صلى الله عليه وآله الغنيمة والمعنى يسألك الكفار والمسلمون عن القتال في الشهر الحرام **قل قتال فيه كبير** أي إثم كبير وعن عطاء أنه كان يحلف بالله ما يحل للناس أن يغزوا في الحرم ولا في الشهر الحرام إلا أن يقاتلوا عن القتال في الشهر الحرام فحلف بالله ما يحل للناس وأكثر الأقاويل أنها منسوخة بقوله اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم **وصد عن سبيل الله** وما يتبعه وكان من قريش من صدهم عن سبيل الله وعن المسجد الحرام **وكفر به** يعني وكفر بالله **والمسجد الحرام** يعني الصد المنع **وإخراج أهله منه** أي وإخراج أهل المسجد منه وهم رسول الله صلى الله عليه وآله والمؤمنون **أكبر عند الله** مما فعلته السرية من القتال في الشهر الحرام **والفتنة** هي الإخراج والشرك **أكبر من القتل** يعني أعظم عند الله والمنع ثم أخبر تعالى بعد ذلك بدوام عداوة الكفار للمسلمين فقال **ولا يزالون يقاتلونكم** أي لا ينفكون عن عداوتكم وقتالكم **حتى يردوكم عن دينكم** أي لكي يردوكم عنه **إن استطاعوا** استبعاد لاستطاعتهم **ومن يرتدد منكم عن دينه** أي ومن يرجع عن دينه إلى دينهم ويطاوعهم على الردة **فيمت وهو كافر** يعني على الردة **فأولئك** المرتدون **حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة** لما يفوتهم من ثمرات الإسلام في الدنيا وما يستحقونه بالموت عليها من ثواب الآخرة وهذه الآية احتج بها على أن الردة لا تحبط الأعمال إلا أن يموت عليها ويصح أنها تحبط وإن رجع مسلما وهو مذهب علمائنا **وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون** دائمون لا خروج لهم منها **إن الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله** نزلت هذه الآية في أصحاب السرية روي أن عبد الله بن جحش وأصحابه حين قتلوا الحضرمي ظن قوم أنهم إن سلموا من الإثم فليس لهم أجر فنزلت **أولئك يرجون رحمة الله** ثم جعلهم أهل رجاء والمعنى أن الذين صدقوا الله بالإيمان والمهاجرة والمجاهدة في سبيله وطريق مرضاته خالصا لوجهه **والله غفور لهم رحيم** بهم **يسألونك عن الخمر** قال رضي الله

عنه نزلت في الخمر أربع آيات نزلت بمكة ومن ثمرات النخيل والأعناب تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا فكان المسلمون يشربونها وهي لهم حلال ثم إن عمر ومعاذا ونفرا من الصحابة قالوا يا رسول الله أفتنا في الخمر فإنها مذهبة للعقل مسلبة للمال فنزلت هذه فشربها قوم وتركها آخرون ثم دعا عبد الرحمن بن عوف ناسا منهم فشربوا وسكروا فصلى بهم بعضهم فقرأ قل يا أيها الكافرون أعبد ما تعبدون فنزلت لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى فقل من يشربها ثم دعا عتبان بن مالك قوما فيهم سعد بن أبي وقاص فلما سكروا افتخروا وتناشدوا فأنشد سعد شعرا فيه هجاء الأنصار فضربه أنصاري بلحي جمل فشجه فشكا إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فقال عمر اللهم بين لنا في الخمر بيانا شافيا فنزلت إنما الخمر والميسر إلى قوله فهل أنتم منتهون فقال عمر انتهينا يا رب. **وعن علي عليه السلام** لو وقعت قطرة في بئر فبنيت مكانها منارة لم أؤذن عليها ولو وقعت في بحر ثم جف ونبت فيه الكلأ لم أرعه وعن ابن عمر لو أدخلت أصبعي فيه لم تتبعني وهذا هو الإيمان حقا وهم الذين اتقوا الله حق تقاته والخمر ما غلا واشتد وقذف بالزبد من عصير العنب وهو حرام وتسمى خمرا لتغطيتها العقل والتمييز من خمره خمرا إذا ستره **والميسر** هو القمار يقال يسرته إذا قمرته واشتقاقه من اليسر لأنه أخذ مال الرجل بيسر وسهولة من غير كد ولا تعب وعن ابن عباس كان الرجل في الجاهلية يخاطر على أهله وماله وصفته أنها كانت لهم عشرة أقداح وهي الأزلام والأقلام وأسماؤها الفذ والتوأم والرقيب والحلس والنافس والمسبل والمعلى والمنيح والسفيح والوغد لكل واحد منها نصيب معلوم من جزور ينحرونها ويجزئونها عشرة أجزاء وقيل ثمانية وعشرين إلا الثلاثة وهي المنيح والسفيح والوغد للفذ سهم وللتوأم سهمان وللرقيب ثلاثة وللحلس أربعة وللنافس خمسة وللمسبل ستة وللمعلى سبعة يجعلونها في خريطة ويضعونها على يدي عدل ثم يجلجلها ويدخل يده فيخرج باسم رجل رجل قدحا منها فمن خرج له قدح من ذوات الأنصباء أخذ النصيب الموسوم به ذلك القدح ومن خرج له قدح مما لا نصيب له لم يأخذ شيئا وغرم ثمن الجزور كله وكانوا يدفعون تلك الأنصباء إلى الفقراء ولا يأكلون منها ويفتخرون بذلك ويذمون من لم يدخل فيه ويسمونه البرم **وفي** حكم الميسر أنواع القمار كلها من النرد والشطرنج وغيرهما وعن النبي صلى الله عليه وآله إياكم وهاتين اللعبتين المشؤومتين فإنهما من ميسر العجم. **وعن علي عليه السلام** أن النرد والشطرنج من الميسر وعن ابن سيرين كل شيء فيه خطر فهو من الميسر **والمعنى** يسألونك عما في تعاطيهما وارتكاب فعلهما **قل فيهما إثم كبير** هو ما ينفع بسببهما من المخاصمة والمشاتمة وقول الفحش والزور وزوال العقل والمنع من الصلاة والقمار يورث العداوة ونشر البغضاء بأن يصير مال الإنسان إلى غيره بغير جزاء يأخذه عليه وأكثر القراء على القراءة بالباء ومعناه عظيم وقرأ حمزة والكسائي بالثاء المثلثة وهو من الكثرة مما يجري بسبب الخمر من الآثام الكثيرة مما يريد الشيطان أن يوقع من

ومنافع للناس منافع الخمر ثمنها والربح فيها والسعي
العداوه والبغضا والصد عن ذكر الله ومنافع الميسر ما يصيبون به من
المال بغير كد وما يحصل لهم من السرور بسببها وهو التلذذ بشرب الخمر والقمار
بها وما ينالون من اللذه بشربها **اكبر من نفعهما** اي عقاب الاثم في تعاطيهما
واثمهما والسلب من طاعتهم ومشاركتهم واعطا
المال بغير كد ومعاداتهم العصيان ومصادمات الفسان اي يسالونك يا محمد ماذا
والطرب فيهما والتوصل الى مصادفات الفسان ومعارادتهم **ويسالونك ماذا ينفقون** اي يسالونك يا محمد ماذا
وسلب الاموال بالقمار والافتخار على الاكرام ابن عباس هو ما فضل من المال عن العيش
ينفقون من اموالهم **قل العفو** اي ينفقوا العفو قال ابن عباس هو ما فضل من المال عن العيش
والعيال ليكون عن ظهر غنا والايه نزلت في سوال عمرو بن الجموح وذلك لما امر الله تعالى صرف
والعيال ليكون عن ظهر غنا واصله في اللغه الزياده اي ما زاد
الصدق اعاد السوال عن مقدار ما ينفق فنزل العفو واصله في اللغه الزياده اي ما زاد
الصدقه اعاد السوال عن مقدار ما ينفق وحمل شكه مثل الناس اعما الصدقه
وعن النبي صلى الله عليه واله يجي احدكم بماله كله يتصدق به ويجلس يتكفف الناس انما الصدقه
عن ظهر غنا **كذلك يبين الله لكم الايات** الناطقه بمقتضى الحكم **لعلكم تتفكرون في الدنيا**
عن ظهر غنا كما بين لكم ان العفو اصلح من الجهد في النفقه واراد لعلكم
والاخرة فتاخذوا بما هو اصلح لكم كما بينه لكم ما فيهما من المنافع **ويسالونك** يا محمد **عن اليتامى** لما نزل ان
تتفكرون في الدارين فتوثرون انفعهما ولا كرهها سافع **ويسالونك** يا محمد **عن اليتامى** لما نزل ان
الذين ياكلون اموال اليتامى ظلما اعتزلوا اليتامى وتحاموهم وتركوا مخالطتهم والقيام باموالهم
والاصلاح لاموالهم والاهتمام بمصالحهم فشق ذلك عليهم وكاد يوقعهم في الضيق والحرج فقيل
قل اصلاح لهم خير اي مداخلتهم على وجه الاصلاح لهم ولاموالهم خير من مجانبتهم **وان تخالطوهم**
فاخوانكم اي فهم **باخوانكم** في الدين ومن حق الاخ ان يخالط اخاه وقد حملت المخالطه على
المصاهره **والله يعلم المفسد من المصلح** اي لا يخفى على الله من داخلهم بافساد واصلاح فيجازيه على
حسب مداخلته فاحذروه ولا تتحروا غير الاصلاح **ولو شاء الله لاعنتكم** لحملكم على العنت وهو
المشقه واحرجكم فلم يطلق لكم مداخلتهم ومخالطتهم وفرطا دون اصلاح اليهم ومعناه ايصال الصلاح اليهم
ان الله عزيز غالب يقدر على ان يعنت عباده ويحرجهم لكنه **حكيم** لا يكلف الا ما يتسع فيه طاقتهم
ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن اي لا تتزوجوهن والمشركات الحربيات والايه ثابته وقيل المشركات
الحربيات والكتابيات جميعا لان اهل الكتاب من اهل الشرك لقوله تعالى وقالت اليهود عزير ابن الله
وقالت النصارى المسيح ابن الله وهي منسوخه بقوله والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم والمشهور
كلها ثابته لم ينسخ منها شي قط وهو قول ابن عباس وروي ان رسول الله صلى الله عليه واله بعث
مرثد بن ابي مرثد الغنوي الى مكه ليخرج منها ناسا من المسلمين وكان يهوى امراه في الجاهليه اسمها
عناق فاتته وقالت الا نخلو فقال ويحك ان الاسلام حال بيننا فقالت فهل لك ان تتزوج بي قال نعم
ولكن ارجع الى رسول الله صلى الله عليه واله فاستامره فاستامره فنزلت **ولامة مؤمنة** اي ولامرأة
مؤمنة حرة كانت او مملوكة **خير من مشركة ولو اعجبتكم** يعني المشركة بمالها وجمالها

ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا يعني لا يجوز تزويج المسلمة من المشرك بحال **ولعبد مؤمن** اي
حرا ومملوكا لان الناس كلهم عبيد الله واماؤه **خير من مشرك ولو اعجبكم** يعني ولو كان الحال ان
المشرك يعجبكم وتحبونه فان المؤمن خير منه مع ذلك **اولئك** يعني المشركات والمشركين **يدعون**
الى النار اي الى الكفر الموجب للنار فحقهم ان لا يوالوا ولا يصاهروا ولا يكون بينهم وبين المؤمنين
الا المناصبه والمحاربه **والله يدعو الى الجنة** يعني واولياء الله وهم المؤمنون يدعون الى الجنه
والمغفرة وما يوصل اليهما فهم الذين تجب موالاتهم ومصاهرتهم وان يؤثروا على غيرهم **باذنه**
بتيسير الله وتوفيقه للعمل الذي يستحق به الجنه والمغفره **ويبين اياته للناس لعلهم يتذكرون**
اي اراده ان يتذكروا ويتفكروا **ويسالونك عن المحيض** هو حيض المراه **قل هو اذى** اي
شي يستقذر ويؤذي من يقربه كراهة له **فاعتزلوا النساء في المحيض** فاجتنبوهن والمعنى فاجتنبوا
مجامعتهن روي ان اهل الجاهليه كانوا اذا حاضت المراه لم يواكلوها ولم يشاربوها ولم يجالسوها
على فراش ولم يساكنوها في بيت كفعل اليهود والمجوس فلما نزلت اخذ المسلمون بظاهر اعتزالهن
فاخرجوهن من بيوتهن فقال ناس من الاعراب يا رسول الله البرد شديد والثياب قليله فان اثرنا
بالثياب هلك سائر اهل البيت وان استاثرنا بها هلكت الحيض فقال عليه السلام انما امرتم ان
تعتزلوا مجامعتهن اذا حضن ولم يامركم باخراجهن من البيوت كفعل الاعاجم **وقيل** ان النصارى
كانوا يجامعوهن ولا يبالون بالحيض واليهود كانوا يعتزلوهن في كل شي فامره الله بالاقتصاد
بين الامرين وبين الفقها في الاعتزال خلاف فابو حنيفه وابو يوسف يوجبان اعتزال ما اشتمل
عليه الازار ومحمد بن الحسن لا يوجب الا اعتزال الفرج وهو مذهب ايمتنا عليهم السلام وعن عايشه
انها قالت يجتنب شعار الدم اي الفرج وله ما سوى ذلك **ولا تقربوهن حتى يطهرن** الطهر
انقطاع دم الحيض ومن قرى يتطهرن فالتطهر الاغتسال وكلتا القرايتين معمول عليه فرخص
ابو حنيفه ان يقربها في اكثر الحيض بعد انقطاع الدم وان لم تغتسل وفي اقله لا يقربها حتى تغتسل
او يمضي عليها وقت صلوه وذهب الشافعي انه لا يقربها حتى تطهر وتتطهر فيجمع بين الامرين وهو الذي
اختاره ايمتنا عليهم السلام وهو قول واضح ويعضده قوله تعالى **فاذا تطهرن فاتوهن من حيث**
امركم الله من الماتى الذي امركم به وحلله لكم وهو القبل **ان الله يحب التوابين** مما
عسى يندر منهم من ارتكاب ما نهوا عنه من ذلك **ويحب المتطهرين** المتنزهين من الفواحش وان
الله يحب التوابين الذين يطهرون نفوسهم بطهره التوبه من كل ذنب ويحب المتطهرين من جميع الاقذار
كمجامعه الحايض والطاهر قبل الغسل واتيان ما ليس بمباح وغيره لذلك **نساؤكم حرث لكم** اي
موضع حرث لكم وهذا مجاز لطيف شبههن بالمحارث مما يلقى في ارحامهن من النطف التي منها النسل
بالبذور وقوله **فاتوا حرثكم انى شئتم** تمثيل اي فاتوهن كما تاتون ارضكم التي تريدون ان

جهة دون جهة فالمعنى جامعوهن من اى شق اردتم اذا
تحرثوها من اى جهة شئتم لا يحظر عليكم جهة دون جهة وقوله هو اذى فاعتزلوا النسا ومن حيث امركم الله فاتوا حرثكم
كان المأتى واحدا وهو المثل وقوله هو اذى المستحسنة وهذه واشباهها في كلام الله اداب
انى شئتم من الكنايات اللطيفة والتعريضات المستحسنة ويتكلفوا مثلها في محاوراتهم ومكاتباتهم تادبا بادابه
حسنة على المؤمنين ان يتعلموها ويتادبوا بها وروى ان اليهود كانوا يقولون من جامع امراته وهي مجبية من دبرها في قبلها كان ولدها احول
فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال كذب اليهود ونزلت **وقدموا لانفسكم**
ما يجب تقديمه من الاعمال الصالحة وهو خلاف ما نهيتم عنه وقيل هو طلب الولد وقيل التسمية
على الوطء **واتقوا الله** فلا تجترئوا على المناهي **واعلموا انكم ملاقوه** فتزودوا ما لا تفتضحون
به **وبشر المؤمنين** المستوجبين للمدح والتعظيم بترك القبائح وفعل الحسنات فان قلت ما بال يسالونك جاء بغير الواو ثلاثا ثم مع الواو ثلاثا قلت كان سؤالهم عن ذلك
يسالونك في هذه الاي بغير واو فلم يؤت بحرف العطف لان كل واحد من السؤالات
الحوادث المتقدمة وقع في احوال متفرقة وقع في وقت واحد فجيء بحرف الجمع لذلك كانه قيل
سؤال مبتدا وسؤالهم عن الحوادث الباقية وقع والسؤال عن الانفاق والسؤال عن كذا وكذا **ولا تجعلوا**
يجمعون لك بين السؤال عن الخمر والميسر والسؤال تقول فلان عرضة دون الخير والعرضة
الله عرضة لايمانكم العرضة المانع من الشيء والحاجز عنه والمعنى ان الرجل كان يحلف على بعض الخيرات من صلة رحم او صلاح ذات بين
ايضا المعرض للامر والمعنى ان الرجل كان يحلف على بعض الخيرات ثم يقول اخاف الله ان احنث في يميني فيترك البر ارادة البر في يمينه
او احسان الى احد او عبادة ثم يقول اخاف الله ان احنث وقيل نزلت في عبد الله بن رواحة
فقيل لهم ولا تجعلوا الله عرضة لايمانكم اى حاجزا لما حلفتم عليه وان لا يكلمه وان لا يدخل بينه وبين خصمه
حلف ان لا يدخل على ختنه على زوجها بشير بن النعمان فنهاه الله عن هذا معناه
حين كان بينهما خصومة فجعل يقول قد حلفت بالله ان لا افعل فلا يحل لي ذلك **ان تبروا وتتقوا**
فلا تجعلوا اليمين بالله علة مانعة من البر والتقوى من حيث تتعمدون اليمين **وتصلحوا** لان الحلاف مجترئ على الله غير
وتصلحوا بين الناس اى ارادة ان تبروا وتتقوا وتصلحوا ولا يثقون به الناس فلا يدخلونه في وساطتهم واصلاح ذات بينهم
معظم له فلا يكون برا متقيا **والله سميع** لايمانكم **عليم** بنياتكم وضمائركم **لا يؤاخذكم الله باللغو**
في ايمانكم اللغو الساقط الذى لا يعتد به من كلام وغيره اى لا يحاسبكم على اللغو من ايمانكم
هو الساقط الذى لا يعتد به من الفقهاء فعند ح هو ان يحلف على الشيء يظنه على ما حلف عليه ثم يظهر خلافه وهو مذهب
اصحابنا عليهم السلام ويؤيده قوله في المائدة ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الايمان وعند ش ان ساالله
وعنده هو قول العرب لا والله وبلى والله مما يؤكدون به كلامهم ولا يخطر ببالهم الحلف
ولو قيل لواحد منهم سمعتك اليوم تحلف في المسجد الحرام لانكر ذلك ولعله قال لا والله الف مرة

والمعنى لا يعاقبكم بلغو اليمين الذى يحلفه احدكم بالظن **ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم**
اى ولكن يعاقبكم بما اقترفته من اثم القصد الى الكذب في اليمين الغموس والمعنى لا يؤاخذكم
اى لا يلزمكم الكفارة بلغو اليمين الذى لا قصد معه ولكن يلزمكم الكفارة بما كسبت قلوبكم اى بما نوت
قلوبكم وقصدت من الايمان **والله غفور حليم** حيث لم يؤاخذكم باللغو في ايمانكم **للذين يؤلون من**
نسائهم تربص اربعة اشهر الايلاء من المراة ان يقول والله لا اقربك اربعة اشهر فصاعدا
على التقييد بالاشهر وهو مذهب ابائنا واختلفوا في المطلق ولا يكون فيما دون اربعة اشهر الا ما
حكي عن النخعي والتربص الانتظار **فان فاؤا** الفيء الرجوع اليهن وحكمه انه اذا فاء اليها في هذه
المدة بالوطء ان امكنه او بالقول ان عجز عنه حنث القادر ولزمته كفارة يمين ولا كفارة على
العاجز وان مضت الاربعة بانت بتطليقة عند ح وعند ش لا يصح الايلاء الا في اكثر من اربعة ثم
يوقف المولى فاما ان يفيء واما ان يطلق وان ابى طلق عليه الحاكم ومعنى فان فاؤا فان فاؤا في الاشهر
فان الله غفور رحيم يغفر للمولين ما اقدموا عليه من طلب ضرار النسا بالايلاء وهو الغالب وان
جاز ان يكون على رضا منهن اشفاقا منهن على الولد من الغيل او لبعض الاسباب ولاجل التوبة عن
الايلاء وفى الاية ما يؤذن بان الايلاء غير جائز ولا فرق على المذهب بين ان يقصد المضارة ام لا في صحة
الايلاء **وان عزموا الطلاق** اى وان اختاروه وعزموا عليه وجعلوه معزوما اى مقطوعا فتر[بصوا]
الى مضي المدة **فان الله سميع عليم** وعيد لهم على اصرارهم وتركهم الفيئة هذا مذهب ابى حنيفة
لانه يقول ان فاؤا في الاربعة وان عزموا فيها حنثت بانت بتطليقة وظاهره يعم طلاقا ومعنى الاية
على مذهبنا ومذهب ش فان فاؤا وان عزموا بعد مضي المدة لانهما ومذهبنا لا تطلق بمجرد مضي المدة
بل لا بد من تطليق من زوجها **والمطلقات يتربصن بانفسهن** اراد المدخول بهن من ذوات الاقراء
يتربصن اى ينتظرن وهذا الخبر في معنى الامر واصل الكلام وليتربص المطلقات واخراج الامر في
صورة الخبر تاكيد للامر واشعار بانه مما يجب ان يتلقى بالمسارعة الى امتثاله وقال هنا يتربصن بانفسهن
وفي اية الايلاء يتربص اربعة اشهر ولم يذكر الانفس لان الانفس ههنا تهيج لهن على التربص وزيادة
بعث لان فيه ما يستنكفن منه فيحملهن على ان يتربصن وذلك ان انفس النساء طوامح الى الرجال فامرن
ان يقمعن انفسهن ويغلبنها على الطموح ويجبرنها على التربص **ثلاثة قروء** القروء جمع قرء
وهو قرء الحيض لقوله عليه السلام دعي الصلوة ايام اقرائك ولان الغرض في العدة استبراء الرحم
الحيض وذلك اذا ارادت المراة فراق زوجها فكتمت حملها لئلا تنتظر بطلاقها ان تضع ولئلا
يشفق على الولد فيترك تسريحها او كتمت حيضها وقالت وهي حائض قد طهرت استعجالا للطلاق
ويجوز ان يراد اللاتي يبغين اسقاط ما في بطونهن من الاجنة فلا يعترفن به ويجحدنه لذلك فجعل كتمان
ما في ارحامهن كناية عن اسقاطه **ولا يحل لهن ان يكتمن ما خلق الله في ارحامهن** تعظيم لفعلهن وان من

والحيض هو الذى يستبرا به الارحام دون الطهر **ولا يحل لهن ان يكتمن ما خلق الله في ارحامهن** من الولد او من دم الحيض

٥٦

امن بالله واليوم الاخر وبعقابه لا يجترئ على مثله من العظائم **وبعولتهن** جمع بعل وهو الزوج وهو
من بولهم حسن البعولة مناولة واهل بعولتهن **احق بردهن في ذلك** اي في حال مدة ذلك التربص
والمعنى ان الرجل اذا اراد الرجعة وابتها المراة وجب ايثار قوله على قولها وكان هو احق منها
لا ان لها حقا في الرجعة **ان ارادوا** اي الرجال بالرجعة **اصلاحا** لما بينهم وبينهن واحسانا
اليهن ولم يريدوا مضارتهن **ولهن مثل الذي عليهن** اي ويجب لهن من الحق على الرجال مثل الذي
يجب لهم عليهن **بالمعروف** بالوجه الذي لا ينكر في الشرع وعادات الناس فلا يكلفنهم ما ليس
لهم ولا يعنف احد الزوجين صاحبه والمراد بالمماثلة مماثلة الواجب الواجب في كونه حسنا لا في جنس الفعل
فلا يجب عليه اذا غسلت ثيابه او خبزت له ان يفعل نحو ذلك ولكن يقابلها بما يليق بالرجال **وللرجال**
عليهن درجة اي زيادة في الحق وفضيلة تنال المراة من اللذة مثل ما ينال الرجل وله
الفضيلة عليها بقيامه عليها وانفاقه في مصالحها **والله عزيز حكيم** يقدر على الانتقام من المقصر
من الزوجين لصاحبه **الطلاق مرتان** يعني الطلاق التطليق اي التطليق الشرعي تطليقة
بعد تطليقة على التفريق دون الجمع والارسال دفعة واحدة ولم يرد بالمرتين التثنية ولكن
التكرير كقوله **فامساك بمعروف او تسريح باحسان** يخيرهم بعد ان علمهم كيف يطلقون
بين ان يمسكوا النساء بحسن العشرة والقيام بمواجبهن وبين ان يسرحوهن السراح الجميل الذي علمهم
وقيل معناه الطلاق الرجعي مرتان لانه لا رجعة بعد الثلاث فامساك بمعروف اي برجعة او تسريح
باحسان اي بان لا يراجعها حتى تبين بالعدة او بان لا يراجعها مراجعة يريد بها تطويل العدة عليها وضرارها
ولا يحل لكم ان تاخذوا مما اتيتموهن شيئا روي ان جميلة بنت عبد الله بن ابي كانت تحت ثابت بن قيس
بن شماس وكانت تبغضه وهو يحبها فاتت رسول الله صلى الله عليه واله فقالت يا رسول الله لا انا ولا
ثابت لا يجمع راسي وراسه شيء والله ما اعيب عليه في دين ولا خلق ولكني اكره الكفر في الاسلام ما
اطيقه بغضا اني رفعت جانب الخباء فرايته اقبل في عدة فاذا هو اشدهم سوادا واقصرهم قامة
واقبحهم وجها فنزلت وكان قد اصدقها حديقة فاختلعت منه بها وهو اول خلع كان في الاسلام
والخطاب للازواج والحق للائمة والحكام لانهم الذين يامرون بالاخذ والايتاء عند
الترافع اليهم فكانهم الاخذون والمؤتون والمعنى لا تاخذوا مما اعطيتموهن من الصدقات
الا ان يخافا الا يقيما حدود الله اي الا ان يخاف الزوجان ترك اقامة حدود الله فيما يلزمهما
من الزوجية لما يحدث من نشوز الزوجة وسوء خلقها **فان خفتم الا يقيما حدود الله** اي
ان علمتم ايها الائمة والحكام او غلب على ظنكم ان الزوجين لا يقيمان حدود الله في حسن العشرة
وجميل الصحبة **فلا جناح عليهما** اي فلا اثم على الرجل فيما اخذ ولا عليها فيما اعطت **فيما**
افتدت به اي فيما افتدت به نفسها واختلعت به من بذل المال او ما بقي من المهر وكان

رضي الله عنه والخلع بالزيادة على المهر مكروه وهو جائز في الحكم روي ان امراة نشزت على زوجها
فرفعها الى عمر رض ثم دعاها فقال كيف وجدت مبيتك فقالت ما بت منذ كنت عنده اقر لعيني منهن
فقال لزوجها اخلعها ولو بقرطها قال قتادة يعني بما لها كله هذا اذا كان النشوز منها فان كان
منه كره ان ياخذ منها شيئا **تلك** الموجب **حدود الله** فلا يجوز تعديها الى ما حرم الله ولذلك قال
فلا تعتدوها اي لا تتجاوزوها الى ما حرم **ومن يتعد حدود الله** يتجاوزها بارتكاب المحارم في حقوق
الزوجية وغيرها **فاولئك** المعتدون **هم الظالمون** لانفسهم بتعريضها العقاب **فان طلقها**
يعني مرة ثالثة بعد المرتين ~~يعني مرة ثالثة بعد المرتين~~ **فلا تحل له من بعد** ذلك التطليق **حتى تنكح**
زوجا غيره يعني حتى تتزوج غيره والنكاح يسند الى المراة كما يسند الى الرجل ولا يكفي عقد النكاح
بل لا بد من الاصابة للزوجة على مذهبنا وعليه الجمهور لما روي ان امراة رفاعة قالت للنبي صلى الله
عليه واله ان رفاعة طلقني فبت طلاقي وان عبد الله بن الزبير تزوجني وان ما معه مثل هدبة الثوب
فقال رسول الله صلى الله عليه واله اتريدين ان ترجعي الى رفاعة لا حتى تذوقي عسيلته ويذوق عسيلتك
والنكاح المعقود بشرط التحليل جائز عند ابي حنيفة مع الكراهة وعندنا انهما ان اضمرا
التحليل ولم يصرحا به فلا كراهة وعن عمر رض لا اوتى بمحلل ولا محلل له الا رجمتهما وعن عثمان
لا الا نكاح رغبة غير مدالسة **فان طلقها** يعني الزوج الثاني **فلا جناح عليهما ان يتراجعا**
ان يرجع كل واحد منهما الى صاحبه بالزواج **ان ظنا** ان كان في ظنهما **ان يقيما حدود الله** في
حقوق الزوجية ولم يقل ان علما انهما يقيمان لان اليقين مغيب عنهما لا يعلمه الا الله ومن فسر
الظن هاهنا بالعلم فقد وهم من طريق اللفظ والمعنى **وتلك** الاحكام المذكورة **حدود الله** التي
لا يجوز تعديها **يبينها** الله **لقوم يعلمون** يعملون بعلمهم **واذا طلقتم النساء فبلغن**
اجلهن اي اخر عدتهن وشارفن منتهاها والاجل يقع على المدة كلها وعلى اخرها ولذلك يقال للموت
اجل لانه اخر العمر ويتسع في البلوغ ايضا فيقال لمن يبلغ البلد اذا قاربه ودانا منه وعلى هذا جاء قوله
فبلغن اجلهن **فامسكوهن بمعروف** الامساك بالمعروف ان يراجعها من غير طلب ضرار بالمراجعة
او سرحوهن بمعروف هو ان يخليها حتى تنقضي عدتها وتبين من غير ضرار **ولا تمسكوهن ضرارا**
كان الرجل يطلق المراة ويتركها حتى يقرب انقضاء عدتها ثم يراجعها لا عن حاجة ولكن لتطويل العدة
عليها فهو الامساك ضرارا **لتعتدوا** لتظلموهن او لتلجئوهن الى الافتداء **ومن يفعل ذلك**
اي الاعتداء والضرار **فقد ظلم نفسه** بتعريضها لعقاب الله **ولا تتخذوا ايات الله هزوا**
اي جدوا في الاخذ بها والعمل بما فيها وارعوها حق رعايتها ~~حق رعايتها~~ وان لم تفعلوا
فقد اتخذتموها هزوا ولعبا ويقال لمن لم يجد في الامر انما انت لاعب وهازئ ويقال كن
يهوديا والا فلا تلعب بالتوراة وعن النبي صلى الله عليه واله ثلاث جدهن جد وهزلهن جد الطلاق

والنكاح والرجعة **واذكروا نعمت الله عليكم** بالاسلام ونبوة محمد صلى الله عليه واله **وما انزل عليكم من الكتاب** اى القران **والحكمة** العلوم والشرائع وذكر النعمة مقابلتها بالشكر والقيام بها
يعظكم به اى يزجركم ويخوفكم بما انزل عليكم **واتقوا الله** بامتثال اوامره **واعلموا ان الله بكل شيء عليم** لا يخفى عليه فعلكم فيجازيكم به **واذا طلقتم النساء فبلغن اجلهن** اى اخر عدتهن **فلا تعضلوهن** قال الشافعي دل سياق الكلام على افتراق البلوغين
حقيقة لا على المجاز كما في الاية المتقدمة قيل الخطاب للازواج الذين يعضلون نساءهم بعد انقضاء العدة ظلما
العضل الحبس والتضييق وهو خطاب للازواج ان ينكحن من شئن من الازواج او للاولياء في عضلهم لهن ان
وقيل لحمية الجاهلية لا يتركوهن حتى عضل اخته ان ترجع الى الزوج الاول
يرجعن الى ازواجهن روي انها نزلت في معقل بن يسار ويكون خطابا للناس فيما سمي عضلا لانه اذا
وقيل في جابر بن عبد الله حين عضل بنت عم له والوجه **ان ينكحن ازواجهن اذا تراضوا** اى الخطاب
وهم راضون كانوا في حكم العاضلين
والنساء **بينهم بالمعروف** بما يحسن في الدين والمروءة من الشرائط وقيل بمهر المثل **ذلك** المذكور
يوعظ به اى يزجر به ويكلف به **من كان منكم يؤمن بالله واليوم الاخر** اى بما امر الله واليوم الاخر
هو يوم البعث والجزاء على الاعمال **ذلكم ازكى لكم واطهر** من ادناس الاثام وقيل ازكى واطهر فصل
والطيب **والله يعلم** ما في ذلك من الزكى والطهر **وانتم لا تعلمون** اى والله يعلم ما يصلحكن
هذا اخبر في معنى **والوالدات يرضعن اولادهن**
الامر من الاحكام والشرائع والاسم كهلونه
الامر الا انه اكد منه كانهن قد امتثلن فاخبر ما امتثلن وفيه زيادة حث لهن **حولين كاملين**
الحول السنة وكاملين تاكيد لانه مما يتسامح به **لمن اراد ان يتم الرضاعة** اى هذا الحكم
لمن اراد ان يتم الرضاع وعن قتادة حولين كاملين ثم انزل الله اليسر والتخفيف فقال لمن اراد ان
يتم الرضاعة اراد انه يكون النقصان وغير الحنث ليس في ذلك بوقت لا ينقص منه بعد ان لا يكون
في الفطام ضرر وهو قريب على مذهب ائمتنا عليهم السلام وقيل المعنى يرضعن حولين لمن اراد ان يتم
الرضاعة من الاباء لان الاب يجب عليه ارضاع الولد وهي مندوبة الى ذلك ولا تجبر عليه ولا يجوز
استيجار الام عند ابي حنيفة ما دامت زوجة او معتدة من نكاح وعندنا يجوز فاذا انقضت عدتها
جاز بالاتفاق وهو مذهب ائمتنا عليهم السلام وقيل المعنى يرضعن ان الام يجب عليها ارضاع الولد
من يوم الى ثلاثة ايام ولا تستحق اجرة فيها وبعد الثلاث الوجوب على الاب ان يستاجر له ظئرا الا
ان لا يقبل الولد الا امراته وجب عليها باجرة وكانت اولى واما استيجارها في حال الزوجية
ففيه خلاف من ائمتنا عليهم السلام والاظهر من مذهبهم صحته لظاهر الاية والوالدات يامرن
بان يرضعن اولادهن اما على وجه الندب واما على وجه الوجوب اذا لم يقبل الصبي الا ثدي
امه او لم يوجد ظئر او كان الاب عاجزا عن الاستيجار وقيل اراد الوالدات المطلقات وايجاب

واعلم ان النفقة والكسوة لاجل الرضاع **وعلى المولود له** اى انما قيل المولود له دون الوالد ليعلم
ان الوالدات انما ولدن لهم لان الاولاد للاباء ولذلك ينسبون اليهم لا الى الامهات **رزقهن**
وكسوتهن يعني يكون عليهم ان يرزقوهن ويكسوهن اذا ارضعن ولدهم **بالمعروف** بقدر طاقته
وهو **لا تكلف نفس الا وسعها** اى لا يكلف واحد منهما ما ليس في وسعه وطاقته **لا تضار**
والدة زوجها **بولدها** وهو ان تعنف به وتطلب منه ما ليس بعدل من الرزق والكسوة وان تشغل
قلبه بالتفريط في شان الولد وان تقول بعد ما الفها الصبي اطلب له ظئرا وما اشبه ذلك **ولا**
مولود له بولده اى ولا يضار مولود له امراته بسبب ولده بان يمنعها شيئا مما وجب عليه من رزقها
وكسوتها ولا ياخذه منها وهي تريد ارضاعه ولا يكرهها على الارضاع وقال بولدها وبولده لان
الام لما نهيت عن المضارة اضيف اليها الولد استعطافا لها عليه وانه ليس باجنبي منها فمن حقها
ان تشفق عليه وكذلك الوالد **وعلى الوارث مثل ذلك** هو عطف على قوله وعلى
المولود له رزقهن وكسوتهن اي على وارث المولود له مثل ما وجب عليه من الرزق والكسوة اى
ان مات المولود له لزم من يرثه ان يقوم مقامه في ان يرزقها ويكسوها بالشرط
الذي ذكر من المعروف وتجنب الضرار وقيل هو وارث الصبي الذي لو مات الصبي لورثه وقيل
المراد وارث الاب وهو الصبي نفسه وانه ان مات ابوه وورثه وجبت عليه اجرة رضاعه في ماله
ان كان له مال فان لم يكن له مال اجبرت الام على ارضاعه **فان ارادا** يعني الوالدين **فصالا**
اى فطاما للولد صادرا **عن تراض منهما وتشاور** يعني يرضى كل واحد منهما صاحبه ويستخرج رايه
لان التشاور استخراج الراي **فلا جناح عليهما** زادا على الحولين او نقصا قال رضي الله عنه
وهذه توسعة بعد التحديد وانما اعتبر مراضيهما في الفطام وتشاورهما اما الاب فلا كلام
فيه لانه الولي واما الام فلانها احق بالتربية وتعلم من احوال الصبي ما لا يعلمه الاب **وان اردتم**
ان تسترضعوا اولادكم اى يطلبوا لهم المراضع غير الامهات **فلا جناح عليكم** اى لا حرج ولا اثم
اذا سلمتم الى المراضع **ما اتيتم** ما اعطيتموهن **بالمعروف** وليس التسليم شرط الجواز والصحة
وانما هو ندب الى الاولى ويجوز ان يكون بعثا على ان يكون الشيء الذي تعطاه المرضع من اهنا ما يكون
ليكون طيبة النفس راضية فيعود ذلك اصلاحا لشان الصبي واحتياطا في امره فامر بان يؤتيه ناجزا
يدا بيد قال رضي الله عنه امروا ان يكونوا عند تسليم الاجرة مستبشري الوجوه
ناطقين بالقول الجميل مطيبين لانفس المراضع بما امكن حتى يؤمن تفريطهن بقطع معاذيرهن
واتقوا الله بعد ما امركم به من هذه الاحكام وغيرها **واعلموا ان الله بما تعملون بصير**
عليم ولا يترك شيء من اعمالكم **والذين يتوفون منكم** اى يستوفون اجالهم فيموتون **ويذرون**
ازواجا يعني يخلفونها بعدهم **يتربصن** اى ينتظرن **بانفسهن** مدة معلومة **اربعة**

أشهر وعشرا اى يعتددن بهذه المده وهى اربعه اشهر وعشره ايام وقيل عشرا ذهابا الى الليالى
والايام داخله معها لان المعتبر والمستعمل فى لسان العرب عدد الليالى دون الايام فاذا بلغن
أجلهن فاذا انقضت عدتهن فلا جناح عليكم ايها الائمه وجماعه المسلمين فيما فعلن
فى انفسهن من التعرض للخطاب بالمعروف بالوجه الذى لا ينكره الشرع ومعناه انهن لو
فعلن منكرا كان على الائمه ان يكفوهن وان فرطوا كان عليهم الجناح والله بما تعملون خبير
ولا جناح عليكم فيما عرضتم به من خطبه النساء التعريض هو ان يقول لها انك لجميله او صالحه
عالم بعدها ربكم ونحو ذلك من الكلام الموهم انه
او نافعه ومن غرضى ان اتزوج وعسى الله ان ييسر لى امراه صالحه ولا يصرح بالنكاح فلا يقول انى اريد ان انكحك
مريد لنكاحها حتى تحبس نفسها عليه ان رغبت فيه
او اتزوجك او اخطبك **وروى ان محمد بن على** الباقر عليهما السلام دخل على
امراه فى عدتها فقال قد علمت قرابتى من رسول الله صلى الله عليه واله وحق جدى على وقدمى فى الاسلام
فقالت غفر الله لك اتخطبنى فى عدتى وانت يؤخذ عنك فقال او قد فعلت انما اخبرتك بقرابتى
وقد دخل رسول الله صلى الله عليه واله على ام سلمه وكانت
من رسول الله صلى الله عليه واله وموضعه ولم يزل يذكر لها منزلته من الله عز وجل وهو متحامل على يده
عند ابن عمها ابى سلمه فتوفى عنها فما كانت تلك خطبه والتعريض لا يكون الا فى المتوفى
حتى اثر الحصير فى يده من شده تحامله عليها فاما المعتده من الطلاق الرجعى او طلاق الخلع فلا يجوز
عنها زوجها او المطلقه ثلاثا
التعريض ولا التصريح او اكننتم فى انفسكم اى سترتم واضمرتم فى قلوبكم فلم تذكروه علم
الله انكم ستذكرونهن لا محاله ولا تنفكون عن النطق برغبتكم فيهن ولا تصبرون عنه وفيه
طرف من التوبيخ لهم كقوله علم الله انكم كنتم تختانون انفسكم ولكن لا تواعدوهن سرا لكن
تتعلق بمحذوف قد دل عليه قوله ستذكرونهن تقديره علم الله انكم ستذكرونهن فاذكروهن ولكن لا
تواعدوهن سرا والسر كنايه عن النكاح الذى هو الوطء لانه مما يسر ثم عبر به عن النكاح الذى هو العقد
لانه سبب فيه وقيل معناه لا تواعدوهن جماعا وهو ان يقول لها انى نكاح كثير الجماع كيسه وكيس ربما
يجرى بينهما من الحديث وقيل لا تواعدوهن فى السر لان الغالب فى مشاوره النساء انها مما يستحيى
ويستحيا من المجاهره به الا ان تقولوا قولا معروفا اى لا تواعدوهن مواعده قط الا
مواعده معروفه غير منكره ولا تواعدوهن الا بالتعريض من غير رفث وافحاش فى الكلام
وعن ابن عباس القول المعروف هو ان يقول انها لا تتزوج غيره ولا تعزموا عقده النكاح
العزم القطع بدليل قوله عليه السلام لا صيام لمن لم يعزم الصيام من الليل ومعناه النهى عن عقد النكاح
فى العده لان العزم على الفعل يتقدمه فاذا نهى عنه كان النهى عن الفعل انهى حتى يبلغ الكتاب اجله
يعنى ما كتب وفرض من العده واعلموا ان الله يعلم ما فى انفسكم من العزم على ما لا يجوز فاحذروه

ولا

ولا تعزموا عليه واعلموا ان الله غفور حليم لا يعاجلكم بالعقوبه لا جناح عليكم اى لا تبعه عليكم
من ايجاب مهر ان طلقتم النساء ما لم تمسوهن اى ما لم تجامعوهن او تفرضوا لهن فريضه معناه ان لا تفرضوا
لهن فريضه او حتى تفرضوا لهن وفرض الفريضه تسميه المهر وذلك ان المطلقه غير المدخول بها ان سمى
لها مهر فلها نصف المسمى وان لم يسم لها فليس لها نصف مهر المثل ولكن المتعه وهى درع وملحفه وخمار
على حسب الحال عند ابى حنيفه الا ان يكون مهر مثلها اقل من ذلك فلها الاقل من نصف مهر المثل ومن
المتعه ولا ينقص من خمسه دراهم لان اقل المهر عشره دراهم فلا ينقص من نصفها ومذهب ائمتنا
عليهم السلام ان المتعه كسوه مثلها من مثله ومتعوهن اى اعطوهن ما يتمتعن به ولا خلاف بين العلماء
انه لا يجب لها سوى ذلك فاما اذا مات عنها فانها تستحق الميراث ولا تستحق مهرا ولا متعه على الموسع
قدره وعلى المقتر قدره الموسع الذى له سعه والمقتر الضيق الحال وقدره مقداره الذى يطيقه
وعن النبى صلى الله عليه واله انه قال لرجل من الانصار تزوج امراه لم يسم لها
مهرا ثم طلقها قبل ان يمسها قال امتعتها قال لم يكن عندى شى قال امتعها بقلنسوتك **قال رضى الله عنه**
وعند اصحابنا رحمهم الله تعالى لا تجب المتعه الا لهذه وحدها وتستحب لسائر المطلقات ولا تجب قلت
وهو مطابق لمذهب ائمتنا عليهم السلام متاعا تاكيد لمتعوهن يعنى تمتيعا بالمعروف بالوجه
الذى يحسن فى الشرع والمروه حقا صفه لمتاعا اى متاعا واجبا عليهم او حق ذلك حقا على المحسنين
اى على الذين يحسنون الى المطلقات بالتمتيع وسماهم قبل الفعل محسنين تسميه للشى بما يصير اليه
وان طلقتموهن يعنى الزوجات من قبل ان تمسوهن اى تجامعوهن وقد فرضتم لهن فريضه اى
سميتم لهن مهرا فنصف ما فرضتم اى فالواجب عليكم لهن نصف ما سميتم وهذا اثبات للجناح المنفى فى قوله
لا جناح عليكم ان طلقتم النساء لانه ههنا اثبت المسمى لها وهناك لم يسم لها الا ان يعفون يريد المطلقات
يسقطن الواجب عليهم لعدم الاستمتاع بهن فلا يطالبنهم بنصف المهر وتقول المراه ما رانى ولا
خدمته ولا استمتع بى فكيف اخذ منه شيئا او يعفو الذى بيده عقده النكاح هو الولى الذى يلى
عقد نكاحهن عند الشافعى والظاهر معه وقيل هو الزوج وعفوه ان يسوق اليها المهر كاملا وهو راى
ابى حنيفه قلت وهو مذهب ائمتنا عليهم السلام وعن جبير بن مطعم انه تزوج امراه وطلقها قبل الدخول
فاكمل لها الصداق وقال انا احق بالعفو وان تعفوا اقرب للتقوى خطاب للزوج والنساء
والرجال ومعناه ان عفو بعضكم عن بعض ادعى الى اتقاء معاصى الله وامر الى رضاه ولا تنسوا الفضل
بينكم الفضل التفضل اى ولا تنسوا ان يتفضل بعضكم على بعض ولا تستقصوا وعن جبير بن
مطعم انه دخل على سعد بن ابى وقاص فعرض عليه بنتا له فتزوجها فلما خرج طلقها وبعث اليها بالصداق
كاملا فقيل له لم تزوجتها قال عرضها على فكرهت ان ارده قيل فلم بعثت بالصداق قال فاين الفضل
ان الله بما تعملون بصير حافظوا على الصلوات المحافظه عليها ادائها كامله بشرائطها

لم
خول
الصداق
بشرائطها

واتمام اركانها وقيل الحفاظ على اوقاتها وعن ابن مسعود بركعة من سنة ان يلقى الله عنه اسلما
فليحافظ على هذه الصلوات المكتوبات حيث ينادى بهن **والصلوة الوسطى** عطفها على الصلوة
وافردها بالذكر لانفرادها بالفضل وهي صلوة العصر **وعن النبي صلى الله عليه**
واله انه قال يوم الاحزاب شغلونا عن الصلوة الوسطى صلوة العصر ملأ الله بيوتهم نارا وقال
محمد بن داود عليهما السلام وعن حفصة انها قالت لمن كتب لها المصحف
اذا بلغت هذه الاية فلا تكتبها حتى امليها عليك كما سمعت من رسول الله صلى الله عليه واله يقرأها فاملت
عليه والصلوة الوسطى صلوة العصر وهو مذهبهم من ابائنا وقيل فضلها لما في وقتها من اشتغال
الناس بتجاراتهم ومعايشهم وعن ابن عمر هي صلوة الظهر لانها في وسط النهار وكان رسول الله صلى الله
عليه واله يصليها بالهاجرة ولم تكن صلوة اشد على اصحابه منها وهو مذهب الهادي عليه السلام وعن
مجاهد هي صلوة الفجر لانها بين صلوتي النهار وصلوة الليل وعن قبيصة بن ذؤيب هي المغرب لانها
وتر النهار ولا تنقص في السفر وقيل هي العشاء الاخرة وعن الربيع بن خثيم انها واحدة منهن لا
بعينها ليحافظ عليهن اجمع بعد حافظ عليها وهو قول حسن **وقوموا لله قانتين** ذاكرين
الله في قيامكم والقنوت ان تذكروا الله قائما وعن عكرمة كانوا يتكلمون في الصلوة فنهوا وعن
مجاهد هو السكون وكف الايدي والبصر **فان خفتم** فان كان بكم خوف من عدو او غيره **فرجالا**
اي فصلوا راجلين وهو جمع راجل **او ركبانا** جمع راكب اي راكبون وعن ابي حنيفة
لا يصلون في حال المشي والمسايفة ما لم يمكن الوقوف وعند ش يصلوا في كل حال والراكب يومي
ويسقط عنه التوجه الى القبلة ومذهب ائمتنا عليهم السلام ان الخائف ان امكنه الاتيان بما يسمى
صلوة من النية والتكبير والقراءة والايماء للركوع والسجود والواجب من التشهد والتسليم وجب عليه
فعل ذلك واجزاه وان لم يمكنه ذكر ذكر الله بما امكن في اخر الوقت وعليه القضاء وقال البعض ابانا عليهم
لا قضاء عليه **فاذا امنتم** اي زال خوفكم **فاذكروا الله كما علمكم ما لم تكونوا تعلمون**
من صلوة الامن او فاذا امنتم فاشكروا الله على الامن واذكروه بالعبادة كما احسن اليكم بما علمكم من
الشرائع وكيف تصلون في حال الخوف والامن **والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا وصية**
لازواجهم متاعا الى الحول **المعنى** ان حق الذين يتوفون عن ازواجهم ان يوصوا قبل ان
يحتضروا بان تمتع ازواجهم بعدهم حولا كاملا اي ينفق عليهن من تركته ولا يخرجن من مساكنهن
وكان ذلك في اول الاسلام اذا مات الرجل لم يكن لامرأته من الميراث شيء الا السكنى والنفقة سنة
ما لم تخرج من بيت زوجها وكان المتوفى يوصي لها بذلك فان خرجت من سنة لم يكن لها نفقة ثم نسخت الوصية
بالميراث الذي هو الربع او الثمن ونسخ المدة السنة باربعة اشهر وعشرا واختلف في السكنى فعند
ح واصحابه لا سكنى لها وهو مذهب ائمتنا واختلف اهل مذهبنا في وجوب نفقتها

العدة

المعتدة عدة الوفاة **غير اخراج** اي غير مخرجات من مساكنهن في شيء من اول الحول وهو السنة
فان خرجن من مساكنهن **فلا جناح عليكم** اي لا اثم ولا حرج **فيما فعلن في انفسهن** من التزين
والتعرض للخطاب **من معروف** اي مما ليس بمنكر شرعا **والله عزيز** غالب يقدر على الانتقام ممن
خالف **حكيم** لا يشرع الا الحق ولا يأمر الا بما هو اصلح **وللمطلقات متاع بالمعروف** عم المطلقات
بايجاب المتعة لهن بعدما اوجبها لواحدة منهن وهي غير المدخول بها وعن سعيد بن جبير وابي العالية
والزهري انها واجبة لكل مطلقة وقيل قد يتناول التمتع الواجب والمستحب جميعا وقيل المراد بالمتاع
نفقة العدة **حقا على المتقين** معناه حق ذلك حقا اي وجب على الذين يتقون الله بفعل ما اوجب
عليهم **كذلك يبين الله لكم اياته** اي مثل ذلك البيان الذي تقدم فيما ذكر من الاحكام يبين اياته من اوامره
ونواهيه حتى تعلموا بها **لعلكم تعقلون** اي لتعقلوا بالايات فيثبت لكم صفة العقلاء باستعمال
ما يهديه لكم **الم تر** تقرير لمن سمع بقصتهم من اهل الكتاب واخبار الاولين وتعجيب من شأنهم ويجوز
ان يخاطب به من لم ير ولم يسمع لان هذا الكلام جرى مجرى المثل في التعجيب **الى الذين خرجوا من**
ديارهم روي انهم اهل داوردان قرية قبل واسط وقع فيهم الطاعون فخرجوا هاربين فاماتهم
الله ثم احياهم ليعتبروا ويعلموا انه لا مفر لهم من حكم الله وقضائه وقيل مر عليهم حزقيل بعد
زمان طويل وقد عريت عظامهم وتفرقت اوصالهم فلوى شدقه واصابعه تعجبا منهم ومما رأى فاوحى
الله اليه ناد فيهم ان قوموا باذن الله فنادى فنظر اليهم قياما يقولون سبحانك اللهم وبحمدك وقيل
هم قوم من بني اسرائيل دعاهم ملكهم الى الجهاد فهربوا حذرا من الموت فاماتهم الله ثمانية ايام ثم احياهم
وهم الوف فيه دليل على كثرتهم واختلف في ذلك فقيل عشرة الاف وقيل ثلثون الفا وقيل سبعون
الفا **حذر الموت** اي لاجل محاذرة الموت وخوفه فقيل فروا من الطاعون وقيل من الجهاد
فقال لهم الله موتوا معناه اماتهم وجيء به على هذه العبارة للدلالة على انهم ماتوا ميتة رجل
واحد بامر الله ومشيئته وتلك ميتة خارجة عن العادة كانهم امروا بالموت فامتثلوا من غير اباء ولا
توقف وهذا تشجيع للمسلمين على الجهاد والتعرض للشهادة وان الموت اذا لم يكن منه بد ولم ينفع منه
مفر فاولى ان يكون في سبيل الله **ثم احياهم** ليستوفوا بقية اجالهم وقيل خرج حزقيل في طلبهم
فوجدهم فبكى ودعا الله تعالى فاحياهم **ان الله لذو فضل على الناس** حيث بصرهم ما يعتبرون
به ويستبصرون او لذو فضل على الناس حيث احياهم ليعتبروا ويفوزوا ولو شاء لتركهم موتى
الى يوم البعث **ولكن اكثر الناس لا يشكرون** لا يعرفون لهذه النعم ولا يشكرونها **وقاتلوا**
في سبيل الله اراد به القتال للجهاد **واعلموا ان الله سميع عليم** يسمع ما يقوله المتخلفون
عليم بما يضمرونه وهو من وراء الجزاء **قال** رضي الله عنه والدليل على انه ساق
هذه القصة بعثا على الجهاد ما اتبعه من الامر في القتال في سبيل الله **من ذا الذي**

ثوابه والقرض الحسن اما المجاهدة
حسنا
يقرض الله قرضا اقراض الله مثل لتقديم العمل الذي يطلب به ثوابه فيضاعفه له اضعافا كثيرة مثل الواحد بسبع مائة او عن
في نفسها واما النفقة في سبيل الله والله يقبض ويبسط يوسع على عباده ويقتر فلا تبخلوا عليه بما
الذي كره لا يعلم كنهها الا الله وإليه ترجعون فيجازيكم على ما قدمتم ألم تر إلى الملإ
اوسع عليكم لا تبدلكم الضيقة بالسعة والملأ الاشراف والرؤسا من بعد موسى اي بعد
من بني إسرائيل نعت للنبي صلى الله عليه وآله والملأ من ولد هرون صلى الله عليه وسلم
وهو يوشع او شمعون او اشمويل من ولد هرون
عهده وبعد موته اذ قالوا لنبي لهم اميرا نصدر في تدبير الحروب عن رأيه وينتهي الى امره
ابعث لنا ملكا اي انهض للقتال معنا اميرا والله من التأمير على الجيوش التي كان يجهزها
طلبوا منه كما كان يفعل رسول الله صلى الله عليه وآله وروي انه امر الناس اذا سافروا ان يجعلوا احدهم اميرا
ومن امرهم بطاعته وامتثال اوامره وروي بالياء والجزم على الجواب وبالرفع على انه صفة لملكا
عليهم نقاتل في سبيل الله اي في دينه بدين موسى قال يعني النبي لهم هل عسيتم ان كتب عليكم القتال اي
اي نقاتل مع الملك في الجهاد لوجه الله ألا تقاتلوا بان تجبنوا عنه ولا تفوا بما تقولون قالوا
لعلكم ان فرض عليكم القتال مع ذلك الملك وما لنا ألا نقاتل في سبيل الله اي واي داع لنا الى ترك القتال واي غرض لنا
اذ لك الملأ لذلك النبي اي من اوطاننا واهلينا وذلك ان قوم جالوت كانوا يسكنون
فيه وقد اخرجنا من ديارنا وأبنائنا فاسروا من ابناء ملوكهم اربع مائة واربعين فلما كتب عليهم القتال
عن الروم بين مصر وفلسطين فاسروا من ابناء ملوكهم وتخلفوا إلا قليلا منهم
اي فرض عليهم القتال وامروا به بعد ان طلبوه تولوا اي اعرضوا عنه وتخلفوا
قليلا كان القليل منهم ثلاثمائة وثلاثة عشر على عدد اهل بدر وهم عابروا النهر والله عليم
بالظالمين وعيد لهم على ظلمهم في القعود عن القتال وترك الجهاد وقال لهم نبيهم لما سألوه ان يبعث
لهم ملكا فسأل الله بعثه له فبعث طالوت ففعل ما سألهم إن الله قد بعث لكم طالوت ملكا طالوت
اسم عجمي كجالوت لا ينصرف وهو من ولد بنيامين بن يعقوب وسمي طالوت لطوله قالوا أنى يكون
له الملك علينا هذا انكار لتمليكه عليهم واستبعاد له والمعنى كيف يملك علينا والحال انه لا يستحق
التملك وكيف يكون ملكا ونحن احق بالملك منه لوجود من هو احق بالملك منه نسبا ولم يؤت سعة
من المال لانه فقير ولا بد للملك من مال يعتضد به وانما قالوا ذلك لان النبوة كانت في سبط
لاوي بن يعقوب والملك في سبط يهوذا ولم يكن طالوت من احد السبطين ولانه كان رجلا سقاء او
دباغا فقيرا وروي ان نبيهم دعا الله حين طلبوا منه ملكا فاتي بعصا يقاس بها من يملك عليهم فلم
يساوها الا طالوت قال إن الله اصطفاه عليكم يريد ان الله اختاره عليكم وهو اعلم
بالمصالح منكم ولا اعتراض على حكم الله تعالى ثم ذكر مصلحتين انفع مما ذكروا

النسب والمال وهما العلم المبسوط والجسامة وقال وزاده بسطة في العلم والجسم
البسطة السعة والامتداد والظاهر ان المراد بالعلم المعرفة بما طلبوه لاجله من امر الحروب
ويجوز ان يكون عالما بالديانات وبغيرها وذلك ان الملك لا بد ان يكون من اهل العلم فان الجاهل
مزدرى غير منتفع به وان يكون جسيما يملأ العين جهارة لانه اعظم في النفوس واهيب في القلوب
روي انه كان الرجل القائم يمد يده فينال رأسه والله يؤتي ملكه من يشاء اي الملك له غير منازع فيه
فهو يؤتيه من يشاء ممن يستصلحه للملك وليس الملك بالوراثة والله واسع الفضل والعطا
يوسع على من ليس له سعة من المال ويغنيه بعد الفقر عليم بمن يصطفيه للملك وقال لهم نبيهم
إن آية ملكه أن يأتيكم التابوت اي علامة ملكه مجيء التابوت اليكم ونزوله عليكم من
السماء والتابوت صندوق التوراة وكان موسى عليه السلام اذا قاتل قدمه فكانت تسكن نفوس بني اسرائيل
ولا يفرون فيه سكينة من ربكم هو السكون والطمأنينة وقيل هي صورة كانت فيه من زبرجد او ياقوت
لها رأس كرأس الهر وذنب كذنبه وجناحان فتئن فيزف التابوت نحو العدو وهم يمضون معه فاذا
استقر ثبتوا وسكنوا ونزل النصر وعن علي عليه السلام كان لها وجه كوجه الانسان
ولها ريح هفافة وبقية مما ترك آل موسى وآل هرون تحمله الملائكة هي رضاض الالواح
وعصى موسى وشيء من ثيابه وشيء من التوراة وكان رفعه الله بعد موسى فنزلت به الملائكة تحمله
وهم ينظرون اليه وقيل كان مع موسى ومع انبياء بني اسرائيل بعده يستفتحون به فلما غيرت بنو
اسرائيل غلبهم عليه الكفار فكان في ارض جالوت فلما اراد الله ان يملك طالوت اصابهم بلاء
حتى هلكت خمس مداين فقالوا هذا بسبب التابوت بين اظهرنا فوضعوه على ثورين فساقتهما الملائكة
الى طالوت وقيل كان من خشب الشمشاد مموها بالذهب نحوا من ثلاثة اذرع في ذراعين إن في
ذلك يعني في رجوع التابوت اليكم لآية اي لعلامة لكم إن كنتم مؤمنين اي مصدقين
بتمليكه عليكم فلما فصل طالوت بالجنود يعني انفصل من بلده وخرج روي انه قال
لقومه لا يخرج معي رجل بنى بناء لم يفرغ منه ولا تاجر مشغول بالتجارة ولا متزوج بامرأة لم يبن عليها
ولا ابتغي الا الشاب النشيط الفارغ فاجتمع اليه ممن اختار ثمانون الفا وكان الوقت قيظا وسلكوا
مفازة فسألوا ان يجري الله لهم نهرا فقال قال إن الله مبتليكم بنهر قيل هو نهر فلسطين اي
مختبركم بما اقترحتم فمن شرب منه فليس مني اي فليس بمتصل بي ومتحد معي وانما عرف ذلك طالوت
بالاخبار من النبي وان كان نبيا كما روي عن بعضهم فبالوحي ومن لم يطعمه اي من لم يذقه وطعم
كل شيء ذوقه فانه مني إلا من اغترف غرفة بيده استثناء من قوله فمن شرب منه ومعناه الرخصة
في اغتراف الغرفة باليد دون الكرع اي دون الشرب بالفم فشربوا منه اي كرعوا فيه
إلا قليلا منهم قرأ الحسن والاعمش الا قليل بالرفع كما قيل بمعنى فلم يشربوا منهم

زوي أن من أكثر منه عطش ومن اغترف وسلا
مع طالوت إلا ثلاثمائة وثلاثة عشر وهم المؤمنون
روي أن من اغترف منه عطش وسلم ... هو والذين آمنوا معه يعني القليل الذين
مع طالوت إلا ثلاثمائة وثلاثة عشر وهم المؤمنون **فلما جاوزه** أي جاوز طالوت النهر **هو والذين آمنوا معه** يعني القليل الذين
لم يشربوا **قالوا لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده** القائلون هذا هم عن الخلص من المؤمنين
قال الذين يظنون أنهم ملاقوا الله الكثير الذين انعزلوا عنه أو الذين سقوا أنهم يستشهدون عما
الذين آمنوا معه وقيل هم الكثير الذين اغترفوا... لقاء الله... أو الذين سبقوا أنهم يستشهدون عما
هم الخلص منهم الذين يصوبون أعينهم لقاء الله... وخلوص البصيرة **كم من فئة قليلة**
قريب ويعلمون أنه والمؤمنون مختلفون في قوة اليقين وخلوص البصيرة... **بإذن الله** بمشيئته ومعونته **والله مع**
أي جماعة قليلة **غلبت فئة كثيرة** جماعة كثيرة ولا نصرته روى أنا الغرفة
الصابرين بالنصر والحفظ والعلم والإعانة لا يضيع عنهم معونته وغلبهم العطش وجالوت
كانت تكفي الرجل لشربه ولدوابه والذين شربوا اسودت شفاههم **ولما برزوا لجالوت**
جبار من العمالقة من أولاد عمليق بن عاد وكانت بيضته ثلاثمائة رطل
وجنوده أي ظهروا لقتاله **قالوا** يعني المؤمنين **ربنا أفرغ علينا صبرا** الإفراغ الصب
ومعناه صب علينا الصبر ووفقنا للصبر على الجهاد **وثبت أقدامنا** هب لنا ما نثبت به في
مداحض الحرب من قوة القلوب وإلقاء الرعب في قلوب العدو ونحو ذلك من الأسباب حتى لا نفر
وانصرنا على القوم الكافرين وهم جالوت وجنوده **فهزموهم بإذن الله** أي بنصر الله وعلمه
وقتل داود جالوت روي أن إيشا أبا داود كان في
عسكر طالوت مع ستة من بنيه وكان داود سابعهم وهو صغير يرعى الغنم فأوحي إلى اشموئيل أن
داود بن إيشا هو الذي يقتل جالوت فطلبه من أبيه فجاء وقد مر في طريقه بثلاثة أحجار دعا
كل واحد منها أن يحمله وقالت له إنك تقتل بها جالوت فحملها في مخلاته ورمى بها جالوت فقتله
وزوجه طالوت بنته وروي أنه حسده وأراد قتله ثم تاب **وآتاه الله الملك** في مشارق الأرض
المقدسة ومغاربها وما اجتمعت بنو إسرائيل على ملك قط قبل داود **والحكمة** هي النبوة وقيل
العلم والفقه **وعلمه مما يشاء** من صنعة الدروع وكلام الطير والدواب وغير ذلك **ولولا دفع
الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض** معناه ولولا أن الله يدفع بعض الناس ببعض ويكف بهم فسادهم
لفسدت الأرض يعني لغلب المفسدون وفسدت الأرض وبطلت منافعها وتعطلت مصالحها من
الحرث والنسل وسائر ما يعمر الأرض وقيل لولا أن الله ينصر المسلمين على الكفار لفسدت الأرض
بعيث الكفار فيها وقتل المسلمين أو لو لم يدفعهم لعم الكفر ونزلت السخطة فاستؤصل أهل الأرض
ولكن الله ذو فضل أي نعمة في الدنيا والآخرة **على العالمين** بالمدافعة عنهم **تلك آيات
الله** يعني القصص التي اقتصها من حديث الألوف وإماتتهم وإحيائهم وتمليك طالوت وإظهاره
بالآية التي هي نزول التابوت من السماء وغلبة الجبابرة على يد صبي **نتلوها عليك بالحق**

اول الجزء الثالث

أي نقرؤها عليك باليقين الذي لا شك فيه أهل الكتاب لأنه في كتبهم كذلك **وإنك لمن
المرسلين** حيث تخبر بها من غير أن تعرف بقراءة كتاب ولا سماع أخبار **تلك الرسل**
إشارة إلى جماعة الرسل التي ذكرت قصصها في السورة أو التي ثبت علمها عند رسول الله صلى الله عليه وآله
فضلنا بعضهم على بعض لما أوجب ذلك من تفاضلهم في الحسنات **منهم من كلم الله**
منهم من فضله الله بأن كلمه من غير سفير وهو موسى عليه السلام **ورفع بعضهم درجات** أي ومنهم
من رفعه على سائر الأنبياء وكان بعد تفاوتهم في الفضل أفضل منهم بدرجات كثيرة **قال
رضي الله عنه** والظاهر أنه أراد محمدا صلى الله عليه وآله وسلم لأنه هو المفضل عليهم
حيث أوتي ما لم يؤته أحد من الآيات المتكاثرة المرتقية إلى ألف آية أو أكثر ولو لم يؤت إلا
القرآن وحده لكفى به فضلا منيفا على سائر ما أوتي الأنبياء لأنه المعجزة الباقية على وجه الدهر أبدا
دون سائر المعجزات وفي هذا الإبهام من تفخيم فضله وإعلاء قدره ما لا يخفى لما فيه من الشهادة على أنه
العلم الذي لا يشتبه والمتميز الذي لا يلتبس ونحوه أن يقال من فعل هذا فيقال أحدكم وعن ابن عباس أراد ابن العرم
من الرسل وعن ابن عباس كنا في المسجد نتذاكر فضل الأنبياء فذكرنا نوحا بطول عبادته وإبراهيم
بخلته وموسى بتكليمه وعيسى برفعه إلى السماء وقلنا رسول الله صلى الله عليه وآله أفضل منهم بعث
إلى الناس كافة وغفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وهو خاتم الأنبياء فدخل عليه السلام فقال
فيما أنتم فذكرنا له فقال لا ينبغي لأحد أن يكون خيرا من يحيى بن زكريا فذكر أنه لم يعمل سيئة قط ولم
يهم بها **وآتينا عيسى ابن مريم البينات** يعني الحجج والمعجزات **وأيدناه** قويناه **بروح القدس**
يعني جبرئيل وخصه به دون غيره لأنه كان مختصا به من ولادته إلى رفعه وخص موسى وعيسى من
بين الأنبياء بالذكر لما أوتيا من الآيات العظيمة والمعجزات الباهرة **قال رضي الله عنه**
ولقد بين الله وجه التفضيل حيث جعل التكليم من الفضل وهذا دليل بين أن من فضل
بالآيات منهم فقد فضل على غيره ولما كان نبينا صلى الله عليه وآله هو الذي أوتي منها ما لم يؤت
أحد في كثرتها وعظمها كان هو المشهود له بإحراز قصبات الفضل غير مدافع **اللهم**
ولو شاء الله مشيئة إلجاء وقسر **ما اقتتل الذين من بعدهم من بعد ما** من بعد الرسل
لاختلافهم في الدين وتشعب مذاهبهم وتكفير بعضهم بعضا **من بعد ما جاءتهم البينات**
الحجج والآيات **ولكن اختلفوا فمنهم من آمن** لالتزامه دين الأنبياء **ومنهم من كفر** لإعراضه
عنه **ولو شاء الله ما اقتتلوا** كرره للتأكيد **ولكن الله يفعل ما يريد** من الخذلان والعصمة
بما توجبه الحكمة **يا أيها الذين آمنوا أنفقوا** أراد ما لا يتفق الواجب لاتصال الوعيد به وقيل
النفقة في الجهاد ومعونة النبي صلى الله عليه وآله **من قبل أن يأتي يوم** لا تقدرون

اللهم ارزقنا شفاعته

نفسه على تدارك ما فاتكم من الانفاق وهو يوم القيمة لانه **لا بيع فيه** حتى تبتاعوا ما تنفقونه
ولا خلة اي صداقة حتى يسامحكم اخلاؤكم به **ولا شفاعة** يعني وان اردتم ان تحط عنكم ما في ذمتكم
من الواجب لم تجدوا شفيعا يشفع لكم في حط الواجبات لان الشفاعة ثم في زيادة الفضل لا غير
والكافرون هم الظالمون اراد والتاركون الزكوة هم الظالمون فقال والكافرون للتغليظ
اي جعل ترك الزكوة من صفات الكفار **الله لا اله الا هو** اي لا معبود بحق الا هو
الحي هو الباقي الذي لا يستحيل عليه الفناء وهو على اصطلاح المتكلمين الذي يصح ان يقدر ويعلم
القيوم الدائم القائم بتدبير الخلق وحفظه **لا تأخذه سنة** هي ما يتقدم النوم من الفتور الذي
يسمى النعاس **ولا نوم** النوم الثقيل **له ما في السموات وما في الارض**
والمعنى لا يأخذه نعاس ولا نوم وهو تاكيد للقيوم لان من جاز عليه ذلك استحال ان يكون قيوما ومنه حديث موسى علم انه سال الملائكة
وكان ذلك من قومه كطلب الرؤية اينام ربنا فاوحى الله اليهم ان يوقظوه ثلاثا ولا يتركوه ينام ثم
قال خذ بيدك قارورتين مملوتين فاخذهما والقى الله عليه النعاس فضرب احداهما على الاخرى فانكسرتا
ثم اوحى الله قل لهؤلاء اني امسك السموات بقدرتي فلو اخذني نوم او نعاس لزالتا **من ذا الذي**
يشفع عنده الا باذنه بيان لملكوته وكبريائه وان احدا لا يتمالك ان يتكلم يوم القيمة الا باذنه
اي الا اذا اذن له في الكلام **يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم** يعني ما كان قبلهم وما يكون
بعدهم **ولا يحيطون** اي لا يعلمون **بشيء من علمه** اي معلوماته **الا بما شاء** اي الا ما علم **وسع**
كرسيه السموات والارض الكرسي ما يجلس عليه ولا يفضل عن مقعد القاعد وفي قوله وسع
كرسيه اربعة اوجه احدها ان كرسيه لم يضق عن السموات والارض لبسطته وسعته وما هو
الا تصوير لعظمته وتخييل فقط ولا كرسي ثم ولا قعود ولا قاعد والثاني وسع كرسيه اي علمه
وسمي العلم كرسيا تسمية بمكانه الذي هو كرسي العالم والرابع ما روي انه خلق كرسيا هو بين يدي العرش
دونه السموات والارض وهو الى العرش كاصغر شيء من الحس الكرسي هو العرش **ولا يؤوده** اي لا
يثقله ولا يشق عليه **حفظهما** حفظ السموات والارض **وهو العلي** الشان والامر **العظيم** الملك
والقدرة وترتيب الجمل في اية الكرسي من غير حرف عطف لانها ما منها جملة الا وهي واردة على سبيل
البيان لما ترتبت عليه والبيان متحد بالمبين فلو توسط بينهما عاطف لكان كالاجنبي يدخل بين صديقين
فالاولى بيان لقيامه بتدبير الخلق وكونه مهيمنا عليه غير ساه عنه والثانية لكونه مالكا لما يدبره
والثالثة لكبرياء شانه والرابعة لاحاطته باحوال الخلق وعلمه بالمرتضى منهم المستوجب للشفاعة وغير
المرتضى والخامسة لسعة علمه وتعلقه بالمعلومات كلها او لجلاله وعظم قدره **قال رضي الله عنه**
وفضلت هذه الاية كما فضلت سورة الاخلاص لاشتمالها على توحيد الله وتعظيمه وتمجيده وصفاته
العظمى ولا مذكور اعظم من رب العزة فما كان ذكرا له كان افضل من سائر الاذكار وبهذا يعلم

ان اشرف العلوم علم اهل العدل والتوحيد **وقد ورد في فضلها ما ورد**
منه قوله عليه السلام ما قرئت هذه الاية في دار الا اهجرتها الشياطين ثلاثين يوما ولا يدخلها ساحر
ولا ساحرة اربعين ليلة يا علي علمها ولدك واهلك وجيرانك فما نزلت اية اعظم منها **وعن علي** عليه السلام
سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وهو يقول من قرا اية الكرسي في دبر كل صلوة مكتوبة
لم يمنعه من دخول الجنة الا الموت ولا يواظب عليها الا صديق او عابد ومن قراها اذا
اخذ مضجعه امنه الله على نفسه وجاره وجار جاره والابيات حوله **وتذاكر**
الصحابة افضل ما في القرآن فقال لهم علي عليه السلام اين انتم عن اية الكرسي ثم قال قال لي رسول
الله صلى الله عليه وآله يا علي سيد البشر آدم وسيد العرب محمد ولا فخر وسيد الفرس سلمان وسيد
الروم صهيب وسيد الحبشة بلال وسيد الجبال الطور وسيد الايام يوم الجمعة وسيد الكلام القرآن
وسيد القرآن البقرة وسيد البقرة اية الكرسي **لا اكراه في الدين** اي لم يجر الله امر الايمان على
الاجبار والقسر ولكن على التمكين والاختيار **قد تبين الرشد من الغي** قد تميز الايمان من الكفر
بالدلائل الواضحة **فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله** يعني فمن اختار الكفر بالشيطان او الاصنام
والايمان بالله **فقد استمسك بالعروة الوثقى** العروة واحدة العرى الحبل الوثيق المحكم **لا**
انفصام لها اي لا انقطاع لهذه العروة المأمون انقطاعها وهذا تمثيل للمعلوم بالنظر والاستدلال
والاختيار على الكفر بالحبل المحكم المشاهد المبين الذي يتصوره السامع كانه ينظر اليه بعينه
فيحكم اعتقاده والتيقن به وقيل هو اخبار في معنى النهي اي لا تكرهوا في الدين ثم قال بعضهم هو
منسوخ بقوله جاهد الكفار وقيل هو في اهل الكتاب خاصة لانهم حصنوا انفسهم باداء الجزية
وروي انه كان لانصاري من بني سالم بن عوف ابنان فتنصرا قبل ان يبعث رسول الله صلى الله عليه وآله
ثم قدما المدينة فلزمهما ابوهما وقال والله لا ادعكما حتى تسلما فابيا فاختصموا الى رسول الله صلى
الله عليه وآله فقال الانصاري يا رسول الله ايدخل بعضي النار وانا انظر فنزلت فخلاهما **والله**
سميع عليم سميع لكل مسموع عليم بكل معلوم فهو يسمع ويعلم ايمان من امن وكفر من كفر **الله ولي**
الذين امنوا معناه ان الله معين للذين ارادوا الايمان فهو يتولاهم ويلطف بهم فهو **يخرجهم من**
الظلمات الى النور يعني يخرجهم بلطفه وتاييده من الكفر الى الايمان **والذين كفروا** اي صمموا على الكفر
وعزموا على الاسم **اولياؤهم الطاغوت** اي الشياطين **يخرجونهم من النور الى الظلمات** اي من
البينات الظاهرة لهم الى الظلمات من الشك والشبهة **اولئك** يعني الكفار المختارين لموالاة
الشياطين على موالاة الله **اصحاب النار** اهلها لانها دار اوليائهم **هم فيها خالدون** دائمون
لا خروج لهم منها **الم تر الى الذي حاج ابراهيم في ربه** هذا تعجيب للنبي صلى الله عليه وآله من محاجة
نمرود في الله وكفره به **ان اتاه الله الملك** معناه ان نمرود جادل ابراهيم في ربه لاجل ان

الله اياه الملك على معنى ان ايتا الملك ابطره واورثه الكبر والعتو فحاج لذلك اى جادل
او معناه انه وضع المحاجة في ربه موضع الشكر على ان اتاه الملك فكان المحاجة كانت لذلك
كما يقال عادى فلان لاني احسنت اليه يريد انه عكس ما كان يجب عليه من الموالاة لاجل الاحسان
ونحوه قوله تعالى وتجعلون رزقكم انكم تكذبون اذ قال ابرهيم ربي الذي يحيي ويميت اى يحيي
الموتى ويميت الاحياء قال يعني نمرود انا احيي واميت معناه اعفو عن القتل واقتل من شئت
وكان الاعتراض عليه من ابرهيم حاضرا ولكن ابرهيم صلى الله عليه وآله لما سمع جوابه الاحمق لم يحاجه
ولكن انتقل الى ما لا يقدر فيه على نحو ذلك الجواب لشبهه اولى وهذا دليل على جواز الانتقال
للمجادل من حجة الى حجة قال ابرهيم فان الله يأتي بالشمس من المشرق وقت طلوعها فأت بها
من المغرب ان كنت ربا فبهت الذي كفر اى بعلت ابرهيم الكافر وتحير وسكت وانقطعت حجته وقيل
كانت هذه المحاجة حين كسر الاصنام وحبسه نمرود ثم اخرجه من السجن ليحرقه فقال له من ربك
الذي تدعوا اليه فقال ربي الذي يحيي ويميت والله لا يهدي القوم الظالمين اى لا يجعل جزاءهم
على ظلمهم ان يهديهم او لا يرشدهم على ظلمهم ولذلك غلب نمرود ولم يهتد لجواب او كالذي مر
على قرية معناه او رايت مثل الذي فحذف لدلالة قوله الم تر لان كلتيهما كلمة تعجب ويجوز
ان يحمل على المعنى دون اللفظ كانه قيل ارايت يا محمد كالذي حاج ابرهيم او كالذي مر على قرية
والمار كان كافرا بالبعث وهو الظاهر لانتظامه مع نمرود في سلك التعجب وقيل هو عزير
او الخضر اراد ان يعاين احياء الموتى ليزداد بصيرة كما طلبه ابرهيم والقرية بيت المقدس حين
خربه بخت نصر وقيل هي التي خرج منها الالوف وهي خاوية على عروشها اى ساقطة على سقوفها
وذلك ان الحيطان كانت قائمة وقد تهدمت سقوفها ثم انقلعت الحيطان فسقطت على السقوف
قال يعني المار على القرية وهو عزير مر على بيت المقدس بعد ما اخربه بخت نصر فقال انى يحيي
هذه الله بعد موتها قوله هذا اعتراف بالعجز عن معرفة طريقة الاحيا واستعظام لقدرة المحيي واراه
الله الدليل على ذلك فاماته الله مائة عام وذلك انه نام فنزع الله منه الروح في هذه المدة
ثم بعثه اى احياه وقال له كم لبثت اى كم المدة ميتا قال لبثت يوما او بعض يوم بنا
على الظن روى انه مات ضحى وبعث بعد مائة سنة قبل غروب الشمس فقال قبل النظر الى
الشمس يوما ثم التفت فراى بقية من الشمس فقال او بعض يوم قال بل لبثت مائة عام اى
قال الله له ذلك ثم امره بالنظر الى ما كان معه والمعرفة له ليعتبر ويستدل لقدرة العظمة
فانظر الى طعامك وشرابك روى ان طعامه كان تينا وعنبا وشرابه عصيرا او لبنا فوجد
التين والعنب كما جنيا والشراب على حاله لم يتسنه لم يتغير وذلك ان الشيء يتغير بمرور الزمان ويجوز
ان يكون معنى لم يتسنه لم تمر عليه السنون التي مرت عليه يعني هو بحاله كما كان كانه لم يلبث مائة سنة

وانظر الى حمارك كيف تفرقت عظامه ونخرت وكان له حمار قد ربطه وقيل اماتا الله حماره ايضا
فلما مضت مائة سنة احيا الله منه عينيه وسائر جسده ميت ثم احيا جسده وهو ينظر ثم نظر الى
حماره فاذا عظامه بيض تلوح فامر الله العظام ان تكتسي لحما وجلدا فكان ذلك وقام باذن الله ونهق
ويجوز ان يراد وانظر اليه سالما في مكانه كما ربطته وذلك من اعظم الآيات ان يعيشه مائة عام
من غير علف ولا ماء كما حفظ طعامه وشرابه من التغير ولنجعلك آية للناس اى فعلنا ذلك من
احيائه بعد الموت وحفظ ما معه قيل جعله الله آية بان بعثه شابا اسود الراس واللحية
وبنو بنيه شيب وقيل اتى قومه راكبا حماره وقال انا عزير فكذبوه فقال هاتوا التورية فاخذ
يهذها هذا عن ظهر قلبه وهم ينظرون في الكتاب فما اخرم حرفا فقالوا هو ابن الله ولم يقرا التورية
ظاهرا احد قبل عزير فذلك كونه آية وقيل رجع الى منزله فراى اولاده شيوخا وهو شاب
فاذا حدثهم بحديث قالوا حديث مائة سنة وانظر الى العظام هي عظام الحمار او عظام الموتى الذين
تعجب من احيائهم كيف ننشرها كيف نحييها من نشرها الله الموتى يعني انشرهم فنشروا وقرئ بالزاي
يعني نحركها ونرفع بعضها الى بعض للتركيب ثم نكسوها لحما اى نغطيها باللحم كما نغطي بالكسوة
فلما تبين له ان الله على كل شيء قدير قال اعلم ان الله على كل شيء قدير وهذا على ان المار
كان كافرا وحذف الاول لدلالة الثاني عليه وعلى ان المار عزير او الخضر يكون معناه فلما تبين له
ما اشكل عليه من كيفية احياء الموتى قال اعلم ان الله على كل شيء قدير وان معرفة طريق الاحياء
والبعث في الآخرة كمعرفة طريقة الاحياء هذه وساغ تكليم الله للكافر لان الكلام كان بعد البعث
ولم يكن اذ ذاك كافرا واذ قال ابرهيم رب ارني اى بصرني كيف تحيي الموتى قيل راى ابرهيم
جيفة بساحل البحر يتناولها السباع والطير ودواب البحر فتفكر كيف يجمع ما تفرق منها
وتطلعت نفسه الى مشاهدة ميت يحييه الله فقال يا رب قد علمت انك تجمعها من بطون السباع وحواصل
الطير فارني كيف تحييها لاعاين ذلك فقال له ربه تبارك وتعالى قال اولم تؤمن بقدرتي
على ذلك قال بلى معناه بلى آمنت ولكن ليطمئن قلبي ليزيد سكونا وطمانينة بانضمام
علم الضرورة الى علم الاستدلال وتظاهر الادلة اسكن للقلوب وازيد للبصيرة واليقين ولان
علم الاستدلال يجوز معه التشكيك بخلاف العلم الضروري فاراد بطمانينة القلب العلم الذي لا
مجال فيه للتشكيك قال رضي الله عنه وانما قال له اولم تؤمن وقد علم انه
اثبت الناس ايمانا ليجيب بما اجاب به لما فيه من الفائدة الجليلة للسامعين وهو ان يعلموا
ان طلبه ذلك انما كان للطمانينة وازدياد السكون لا لانه لم يؤمن قال فخذ اربعة من الطير
قيل طاوسا وديكا وغرابا وحمامة فصرهن اليك يعني اقطعهن واضممهن اليك ثم اجعل
على كل جبل منهن جزءا يريد ثم جزئهن وفرق اجزاءهن على الجبال ومعناه على كل جبل من الجبال

ثم ادعهن

الى بحضرتك في ارضك قيل كانت اربعه اجبل وعن السدي سبعه **ثم ادعهن** اي قل لهن تعالين باذن الله **يأتينك سعيا** ساعيات مسرعات في طيرانهن او في مشيهن على ارجلهن ومعناه امره ان يضمها الى نفسه بعد ان ياخذها ليتأملها ويعرف اشكالها وهيئاتها وحلاها لئلا تلتبس عليه بعد الاحياء ولا يتوهم انها غير تلك ولذلك قال يأتينك سعيا روي انه امر ان يذبحها وينتف ريشها ويقطعها ويفرق اجزاءها ويخلط ريشها ودماءها ولحومها بعضها ببعض وان يمسك رؤوسها عنده ثم امر ان يجعل اجزاءها على الجبال على كل جبل ربعا من كل طائر ثم يصيح بها تعالين باذن الله فجعل كل جزء يطير الى الآخر حتى صارت جثثا ثم اقبلن فانضممن الى رؤوسهن كل جثة الى رأسها **واعلم ان الله عزيز** لا يعجز عما يريد **حكيم** عالم باحياء الميت واحكام صنعه **مثل الذين ينفقون اموالهم في سبيل الله** اي مثل نفقة الذين ينفقون في طريق دينه وطلب رضاه **كمثل حبة انبتت سبع سنابل** المنبت هو الله تعالى ولكن اسند الانبات الى الحبة لما كان سببا له كما اسند الى الارض والى الماء ومعنى انباتها سبع سنابل ان تخرج ساقا تتشعب منها سبع شعب لكل واحدة سنبلة وهذا التمثيل تصوير للمضاعفة لانها ماثلة بين عيني الناظر وقد يوجد هذا في الذرة والدخن وغيرهما وربما فرخت ساق البرة في الاراضي القوية المغلة فيبلغ حبها هذا المبلغ ولو لم يوجد لكان صحيحا على سبيل الفرض والتقدير والمعنى ان النفقة في سبيل الله تبلغ سبعمائة ضعف فاما سائر الطاعات فالحسنة بعشر **في كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء** اي يضاعف تلك المضاعفة لمن يشاء لكل منفق لتفاوت احوال المنفقين في الفضل والاخلاص او يضاعف سبع المائة ويزيد عليها اضعافها لمن يستوجب ذلك **والله واسع** العطاء فلا يضيقه مضاعفة الثواب **عليم** بتفاوت احوال المنفقين **الذين ينفقون اموالهم في سبيل الله** سبيله عام متفاضل بينهم في العطاء على حسب الاستحقاق **ثم لا يتبعون ما انفقوا منا ولا اذى** ۞ المن هو ان يعتد على من احسن اليه باحسانه ويريه انه اصطنعه واوجب عليه حقا وكانوا يقولون اذا صنعتم صنيعة فانسوها ولقد احسن من قال ۞ وان امرأ اسدى الي صنيعة ۞ وذكرنيها مرة للئيم ۞ والاذى ان يتطاول عليه بسبب ما اسدى اليه ومعنى ثم اظهار التفاوت بين الانفاق وترك المن والاذى وان تركهما خير من نفس الانفاق كما جعل الله تعالى الاستقامة على الايمان خيرا من الدخول فيه بقوله تعالى ثم استقاموا **لهم اجرهم** اي ثوابهم العظيم الذي استحقوه **عند ربهم** محفوظ حتى يوفى اليهم **ولا خوف عليهم** يعني انهم لا يتوقعون محذورا في الآخرة **ولا هم يحزنون** اي ولا هم يغتمون لامر نزل بهم **قول معروف** اي رد جميل **ومغفرة** اعني عفوا عن السائل اذا وجد منه ما يثقل على المسؤول او نيل مغفرة من الله تعالى بسبب الرد الجميل او عفو من جهة السائل

لانه اذا رده ردا جميلا عذره **خير من صدقة يتبعها اذى** من المتصدق للمتصدق عليه **والله غني** لحاجته الى منفق يمن ويؤذي عليها ثم بالغ في ذلك بما اتبعه من تكرير القول في ابطال الصدقة بالمن والاذى فقال **يا ايها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى** اي لا تبطلوا اجر صدقاتكم بالمن والاذى **كالذي ينفق ماله رئاء الناس** اي كابطال المنافق الذي ينفق ماله رئاء الناس لا يريد بانفاقه رضا الله عنه ولا ثواب الآخرة **ولا يؤمن بالله واليوم الآخر** يعني لا يؤمن بثواب الله وعقابه ولا باليوم الآخر وهو يوم البعث والجزاء فلذلك لم يقصد الا رئاء الناس واستجلاب مدحهم **فمثله كمثل صفوان** مثله وحاله في نفقته التي لا ينتفع بها صفوان وهو الحجر الاملس **عليه تراب فاصابه وابل** اي مطر عظيم القطر **فتركه صلدا** اجرد نقيا من التراب الذي كان عليه ومنه صلد جبين الاصلع اذا برق **لا يقدرون على شيء مما كسبوا** اراد بالذي ينفق ماله لان معناه الجمع كانه قال لا تبطلوا صدقاتكم كابطال المرائين الذين ينفقون وهم المنافقون **والله لا يهدي القوم الكافرين** لانهم لا يقبلون الهدى وهو اللطف والتوفيق ولا يهديهم لعمل يستحقون عليه الثواب **ومثل الذين ينفقون اموالهم ابتغاء مرضات الله** اي طلبا منهم لرضوان الله عليهم **وتثبيتا من انفسهم** اي وليثبتوا انفسهم على الايمان والعبادات الشاقة ببذل المال الذي هو شقيق الروح وبذله اشق شيء على النفس لان النفس اذا ريضت بالتحامل عليها وتكليفها ما يصعب عليها ذلت خاضعة لصاحبها وقل طمعها في اتباع شهواتها وبالعكس ولو لم يروضها لم تنقد لاقامة سائر الطاعات فكان انفاق المال تثبيتا لها على الايمان واليقين ويجوز ان يراد وتصديقا للاسلام وتحقيقا للجزاء من اصل انفسهم لانه اذا انفق المسلم ماله في سبيل الله علم ان تصديقه وايمانه بالثواب من اصل نفسه واخلاص قلبه ومعنى من التبعيض ان من بذل ماله لوجه الله فقد ثبت بعض نفسه ومن بذل ماله وروحه معا فهو الذي ثبتها كلها والمعنى ومثل نفقة هؤلاء في زكائها عند الله **كمثل جنة** وهو البستان **بربوة** بمكان مرتفع وخصها لان الشجر فيها ازكى واحسن ثمرا **اصابها وابل** مطر عظيم القطر **فآتت اكلها** ثمرها **ضعفين** اي مثلي ما كانت تثمر بسبب الوابل **فان لم يصبها وابل فطل** اي فمطر صغير القطر يكفيها لكرم منبتها او مثل حالهم عند الله بالجنة على الربوة ونفقتهم الكثيرة والقليلة بالوابل والطل وكما ان كل واحد من المطرين يضعف اكل الجنة فكذلك نفقتهم كثيرة كانت او قليلة بعد ان يطلب بها وجه الله ويبذل فيها الوسع زاكية عند الله زائدة في حسن حالهم عنده **والله بما تعملون بصير** خبير باعمالكم فهو يضاعف بعضكم الكثير والقليل اذا طلب بها وجهه ومرضاته لا غير **ايود احدكم** اي ايحب وهذا انكار لتشبيههم **ان تكون له جنة من نخيل واعناب** اي بستان هذه

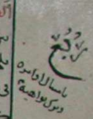
يريد بالثمرات المنافع التي تحصل
تجري من تحتها الأنهار له فيها من كل الثمرات لما كان النخيل والأعناب
الفاكهة ثم قال له فيها من كل الثمرات وإن كانت محتوية على سائر الأشجار
له فيها وقال جنة من نخيل وأعناب وجعل الجنة منهما الواو للحال ومعناه أن تكون له
أكرم الشجر وأكثرها منافع خصهما بالذكر وأصابه الكبر وله ذرية ضعفاء أي أطفال
تغليبا لهما على غيرهما ثم أردفهما ذكر الثمرات والضعف بعجز عن الكسب
جنة وقد أصابه الكبر وهو الشيب وما فيها فأصابها إعصار فيه نار الإعصار الريح التي
صغار لا يسقونه فأصابها يعني الجنة وهذا مثل لمن يعمل الأعمال الحسنة لا يبتغي بها
تستدير في الأرض ثم تسطع نحو السماء كالعمود وهذا مثل لمن كانت له جنة من أبهى
وجه الله فإذا كان يوم القيامة وجدها محبطة فيتحسر عند ذلك حسرة من كانت له فاحترقت
الجنان وأجمعها للثمار فبلغ الكبر وله ذرية ضعاف والجنة معاشهم ومنعشهم
فهلكت بالصاعقة واحترقت وهو أحوج ما كان إليها عند كبر السن وضعف الحيلة وكثرة
العيال فبقي هو وأولاده عجزة متحيرين لا يقدرون على شيء وعن عمر رضي الله عنه أنه سأل عن هذه
الآية الصحابة فقالوا الله أعلم فغضب وقال قولوا نعلم أو لا نعلم فقال ابن عباس في نفسي
منها شيء يا أمير المؤمنين قال قل يا ابن أخي ولا تحقر نفسك قال ضرب مثلا للعمل قال لأي عمل
قال لرجل غني يعمل الحسنات ثم بعث الله له الشيطان فعمل بالمعاصي حتى أغرق أعماله كلها
وعن الحسن هذا مثل قل والله من يعقله من الناس شيخ كبير ضعف جسمه وكثر صبيانه أفقر ما كان
إلى جنته وإن أحدكم والله أفقر ما يكون إلى عمله إذا انقطعت عنه الدنيا كذلك أي مثل ذلك
البيان كذلك يبين الله لكم الآيات الدالة على مصالحكم لعلكم تتفكرون أي إرادة أن تتفكروا
فتعملوا بمقتضى تفكركم في إخلاص الأعمال لوجهه وحفظها من فسادها وضياعها من إبطالها
يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم يعني من جياد مكسوباتكم وكان الرجل يتصدق بشرار
ماله ورذاله ثماره ونزل الخبيث لعنه فنزلت وقال مجاهد يعني التجارة وطيبها وحلالها
ومما أخرجنا لكم من الأرض يعني من الحب والثمر والمعادن وغيرها ومعناه من طيبات ما
أخرجنا لكم لكن حذف لذكر الطيبات أولا ولا تيمموا الخبيث أي ولا تقصدوا المال الرديء
منه تنفقون تخصونه بالإنفاق وعن ابن عباس كانوا يتصدقون بحشف التمر وشراره
فنهوا عنه ولستم بآخذيه أي وحالكم أنكم لا تأخذونه في حقوقكم إلا أن تغمضوا فيه إلا
أن تتسامحوا في أخذه وتترخصوا من قولهم أغمض فلان عن بعض حقه إذا غض بصره ويقال
للبائع أغمض أي لا تستقص كأنك لا تبصر وعن الحسن لو وجدتموه في السوق يباع ما أخذتموه
حتى يهضم لكم من ثمنه واعلموا أن الله غني حميد الشيطان يعدكم الفقر أي يعدكم في الإنفاق الفقر
ويقول لكم إن عاقبة إنفاقكم أن تفتقروا والوعد يستعمل في الخير والشر ويأمركم بالفحشاء

ويأمركم بالفحشاء أي ويغريكم على البخل ومنع الصدقات والفاحش عند العرب البخيل
والفحشاء هاهنا البخل ومنع الزكاة عند الأكثر من المفسرين والله يعدكم في الإنفاق والتصدق
مغفرة منه لذنوبكم وكفارة لها وفضلا يعني وأن يخلف عليكم أفضل مما أنفقتم أو تثابوا
عليه في الآخرة والله واسع عليم أي واسع العطاء والخلف في الإنفاق عليم بمن يثق بوعده ويكذب
وعد الشيطان يؤتي الحكمة من يشاء الحكمة العلم والعمل به ومعناه يوفق للعلم والحكيم عند الله
هو العالم العامل ومن يؤت الحكمة التي هي العلم والعمل به فقد أوتي خيرا كثيرا أي فقد
أوتي أي خير كثير وما يذكر إلا أولوا الألباب يريد الحكماء العلماء العمال كأن من عداهم لا لب له
والمراد به الحث على العمل بما تضمنت الآي في معنى الإنفاق وما أنفقتم من نفقة أي ما تصدقتم
من صدقة في سبيل الله أو في سبيل الشيطان أو نذرتم من نذر في طاعة الله أو في معصيته فإن
الله يعلمه لا يخفى عليه وهو مجازيكم عليه وما للظالمين الذين يمنعون الصدقات أو ينفقون
أموالهم في المعاصي ولا يوفون بالنذر أو ينذرون في المعاصي من أنصار ممن ينصرهم من الله أو
يمنعهم من عقابه إن تبدوا الصدقات أي تظهروها وتعلنوها فنعما هي أي فنعم شيئا
إبداؤها وإن تخفوها يعني الصدقات وتؤتوها الفقراء أي تصيبوا بها مصارفها مع الإخفاء
فهو خير لكم أي فالإخفاء خير لكم والمراد الصدقات المتطوع بها لأن الأفضل في الفرائض أن
يجاهر بها وعن ابن عباس صدقات السر في التطوع تفضل علانيتها بسبعين ضعفا وصدقة
الفريضة علانيتها أفضل من سرها بخمسة وعشرين ضعفا وإنما
كانت المجاهرة بالفرائض أفضل لنفي التهمة حتى إذا كان المزكي ممن لا يعرف باليسار كان
إخفاؤه أفضل والمتطوع إن أراد أن يقتدى به كان إظهاره أفضل ونكفر عنكم من سيئاتكم
التكفير التغطية أي يغطي سيئاتكم ويسترها بالمغفرة والله بما تعملون خبير أي عليم بما تجارون
فيجزيكم عنه ليس عليك هداهم أي لا يجب عليك أن تجعلهم مهتدين إلى الانتهاء عما نهوا عنه
من المن والأذى والإنفاق من الخبيث وغير ذلك وما عليك إلا أن تبلغهم النواهي فحسب ولكن
الله يهدي من يشاء أي يلطف بمن يعلم أن اللطف ينفع فيه فينتهي عما نهي عنه وما تنفقوا من خير من مال
فلأنفسكم فهو لأنفسكم لا ينتفع به غيركم فلا تمنوا به على الناس ولا تؤذوهم بالتطاول عليهم
وما تنفقون إلا ابتغاء وجه الله أي وليست نفقتكم إلا لابتغاء وجه الله ولطلب ما عنده فما لكم تمنون بها وتنفقون
الخبيث الرديء الذي لا يوجه مثله إلى الله وما تنفقوا من خير يوف إليكم ثوابه أضعافا
مضاعفة فلا عذر لكم في كراهة إنفاقه وأن يكون على أحسن الوجوه وأجملها وقيل حجت أسماء بنت
أبي بكر فأتتها أمها تسألها وهي مشركة فأبت أن تعطيها فنزلت وعن سعيد بن جبير كانوا يتقون أن يرضخوا
لقراباتهم من المشركين أي يكرهون مواساتهم وعن بعض العلماء لو كان شر خلق الله لكان لك ثواب نفقتك

واختلف في الواجب فجوز ابو حنيفة صرف صدقة الفطر الواجب الى اهل الذمة ومذهبنا ما عليه الكل خلافه **وانتم لا تظلمون** اي لا تنقصون شيئا من نوال الانفاق **للفقراء** اي المعنى اجعلوا ما تنفقونه للفقراء او صدقاتكم للفقراء **الذين احصروا في سبيل الله** هم الذين حصرهم الجهاد اي منعهم **لا يستطيعون** لاشتغالهم به **ضربا في الارض** اي سيرا او سفرا يكسبون فيه لاشتغالهم بالجهاد وقيل هم اصحاب الصفة وهم نحو من اربعمائة رجل من مهاجري قريش لم يكن لهم مساكن في المدينة ولا عشائر فكانوا في صفة المسجد وهي سقيفته يتعلمون القرآن بالليل ويرضخون النوى بالنهار وكانوا يخرجون في كل سرية بعثها رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن كان عنده فضل اتاهم به اذا امسى وعن ابن عباس وقف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوما على اهل الصفة فرأى فقرهم وجهدهم وطيب قلوبهم فقال ابشروا يا اصحاب الصفة فمن بقي من امتي على النعت الذي انتم عليه راضيا بما فيه فانه من رفقائي **يحسبهم الجاهل اغنياء من التعفف** اي متعففين من اجل تعففهم عن المسألة **تعرفهم بسيماهم** اي تعلمهم من صفرة الوجوه ورثاثة الحال **لا يسألون الناس الحافا** الالحاف الالحاح وهو اللزوم وان لا يفارق الا بشيء يعطاه من قولهم لحفني من فضل لحافه اي اعطاني من فضل ما عنده وفي الحديث ان الله يحب الحليم المتعفف ويبغض البذي السائل الملحف والمعنى انهم ان سألوا سألوا بلطف ولم يلحفوا وقيل هو نفي للسؤال والالحاح جميعا ويدل عليه قوله تعالى تعرفهم بسيماهم اذ لو كانوا يسألون لم يكن بالنبي صلى الله عليه وسلم حاجة الى تعرف فقرهم بالعلامة وفي الحديث من سأل وله اوقية فقد سأل الحافا **وما تنفقوا من خير** اي من مال او معروف **فان الله به عليم** فيجازيكم عليه **الذين ينفقون اموالهم** اي يتصدقون بها **بالليل والنهار سرا وعلانية** خفاء وجهرا وظاهرا وباطنا والمعنى انهم يعمون الاوقات والاحوال بالصدقة لحرصهم على الخير والمبادرة الى الله فكلما نزلت بهم حاجة محتاج عجلوا قضاءها ولم يؤخروها ولم يتعللوا بوقت ولا حال وعن ابن عباس نزلت في علي عليه السلام لم يملك الا اربعة دراهم فتصدق بدرهم ليلا وبدرهم نهارا وبدرهم سرا وبدرهم علانية وقيل نزلت في علف الخيل وارتباطها في سبيل الله عن ابي هريرة وقيل نزلت في ابي بكر تصدق باربعين الف دينار عشرة بالليل وعشرة بالنهار وعشرة في السر وعشرة في العلانية **فلهم اجرهم** اي ثوابهم على النفقة **عند ربهم** محفوظ حتى يوصله اليهم **ولا خوف عليهم** اي لا غم يلحقهم في الآخرة **ولا هم يحزنون** فيها **الذين ياكلون الربا** اي يتعاملون به فخصه بالاكل لانه معظم المقصود والربا في اللغة الزيادة وفي الشرع اسم للزيادة على اصل المال على وجه مخصوص محصور في الشرع **لا يقومون** يعني اذا بعثوا من قبورهم **الا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان** اي المصروع وتخبط الشيطان من زعمات العرب يزعمون ان الشيطان يخبط الانسان فيصرع والخبط

الضرب على غير استواء كخبط العشواء وورد على ما كانوا يعتقدون **من المس** يعني الجنون ورجل ممسوس وهذا ايضا من زعماتهم ان الجني يمسه فيختلط عقله فسمي الجنون مسا على زعمهم واذا تخبطه برجله ايضا او وطئه جن فالتخبط بالرجل والمس باليد ذكره الواحدي والرازي **قال رضي الله عنه** ورأيت لهم في الجن قصص واخبار وعجائب وانكار ذلك عندهم كانكار المشاهدات والمعنى انهم يقومون يوم القيامة مخبلين كالمصروعين لانهم اكلوا الربا وتلك علامتهم يعرفون بها عند اهل الموقف وقيل الذين يخرجون من القبور يسرعون الا اكلة الربا فانهم ينهضون ويسقطون كالمصروعين لانهم اكلوا الربا فارباه الله في بطونهم حتى اثقلهم فلا يقدرون على المشي **ذلك** يعني ذلك العقاب **بانهم قالوا** اي بسبب قولهم **انما البيع مثل الربا** كان مقتضى التشبيه ان يقولوا انما الربا مثل البيع لان الكلام في الربا لا في البيع فوجب ان يشبهوا الربا بالبيع لان شبهتهم في استحلاله انهم قالوا لو اشترى الرجل ما لا يساوي درهما بدرهمين جاز فكذلك اذا باع درهما بدرهمين لكن جيء به على طريق المبالغة كما تقول القمر كوجه فلان وهو ابلغ من اعتقادهم في حل الربا انهم جعلوه اصلا في الحل حتى شبهوا به البيع وقوله **واحل الله البيع وحرم الربا** انكار لتسويتهم بينهما ودلالة على ان القياس يهدمه النص لانه جعل الدليل على بطلان قياسهم احلال الله وتحريمه **فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى** اي فمن بلغه وعظ من الله وزجر بالنهي عن الربا وذكر فعل الموعظة لان تانيثها غير حقيقي ولانها في معنى الوعظ **فانتهى** اي فتبع النهي وامتنع **فله ما سلف** فلا يؤاخذ بما مضى منه لانه اخذ قبل نزول التحريم **وامره الى الله** يحكم في شانه يوم القيامة وليس من امره اليكم شيء فلا تطالبوه به **ومن عاد** يعني الى الربا واكله والمعاملة به **فاولئك اصحاب النار هم فيها خالدون** وهذا دليل على تخليد الفساق وان الربا من كبائر المعاصي ومما يخلد به في النار وفي الحديث الربا سبعون بابا اهونها عند الله كناكح امه وفيه لعن الله اكل الربا وموكله وشاهديه وكاتبه وفيه اذا اراد الله بقرية هلاكا اكثر فيهم الربا وفيه ما تعامل قوم بالربا الا منع الله منهم البركات وفيه درهم ربا اعظم عند الله من سبعين زنية وفي حديث آخر الدرهم يصيبه الرجل من الربا اعظم عند الله من ست وثلاثين زنية يزنيها والاخذ والمعطي سواء في الربا **يمحق الله الربا** يذهب بركته ويهلك المال الذي يدخل فيه وعن ابن مسعود الربا وان كثر الى قل **ويربي الصدقات** اي يكثر ما يتصدق به بان يضاعف عليه الثواب ويزيد في المال الذي اخرجت منه الصدقة ويبارك فيه وفي الحديث ما نقصت زكاة من مال قط **والله لا يحب** بل يبغض اشد البغض **كل كفار اثيم** هذا تغليظ في امر الربا واعلام بانه من فعل الكفار لا من فعل المسلمين

إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يعني جمعوا بين الايمان والاعمال التي يرضى الله تعالى وَأَقَامُوا
الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ خصهما بالذكر بعد دخولهما في الصالحات لفضلهما لانهما العلم الفارق
بين الكفر والايمان لَهُمْ أَجْرُهُمْ ثوابهم عِنْدَ رَبِّهِمْ محفوظ لهم وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ اي لا
يلحقهم غم في الآخرة يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا نزلت هذه الآية
في ثقيف وكان لهم على قوم من قريش مال فطالبوهم عند حلول اجل الدين بالمال والربا وقيل قد
كانوا اخذوا ما شرطوا على الناس من الربا وبقيت لهم بقايا فامروا ان يتركوها ولا يطالبوا بها
إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ انفع ايمانكم يعني ان دليل صحة الايمان وشانه امتثال ما امرتم به من ذلك وان ابيتم
لم تكونوا مؤمنين فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا يعني ما امرتم به من ترك الربا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ
اي فاعلموا انها من اذن بالشيء اذا اعلم به والمعنى فاعلموا بنوع من الحرب عظيم من عند الله ورسوله وروي
انها لما نزلت قالت ثقيف لا طاقة لنا بحرب الله ورسوله وَإِنْ تُبْتُمْ من الارتباء فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ
لَا تَظْلِمُونَ المديونين بطلب الزيادة عليها وَلَا تُظْلَمُونَ بالنقصان منها وهذا حكمهم ان
تابوا فان لم يتوبوا كان مالهم فيئا للمسلمين وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ معناه وان وقع غريم من غرمائكم ذو
عسرة اي ذو اعسار وهو عدم المال في الحال فَنَظِرَةٌ اي فالحكم الواجب عليكم او فالامر لكم هو انظاره
وامهاله إِلَى مَيْسَرَةٍ اي الى يسار وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَكُمْ اي تصدقكم برؤوس اموالكم او بعضها
على من اعسر من غرمائكم خير لكم عند الله وافضل من المطالبة بها وقيل اريد بالتصدق والانظار
للحديث لا يحل دين رجل مسلم فيؤخره الا كان له بكل يوم صدقة إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ انه خير لكم
فعلموا انه جعل من لا يعمل به وان علمه كانه لا يعلمه وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ قرأ ابن
مسعود يردون وقرأ ابي يصيرون وعن ابن عباس انها آخر آية نزل بها جبرئيل وقال يا محمد ضعها في رأس
المائتين والثمانين من البقرة وعاش رسول الله صلى الله عليه وآله بعدها احدى وعشرين يوما وقيل
احدى وثمانين وقيل سبعة ايام وقيل ثلاث ساعات والمعنى اتقوا اهوال هذا اليوم بما تقدمون من العمل
الصالح ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ اي جزاء ما عملت من الاعمال ان خيرا فخير وان شرا فشر وَهُمْ لَا
يُظْلَمُونَ اي لا ينقصون لا اهل الثواب ولا اهل العقاب يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدَيْنٍ
اي اذا داين بعضكم بعضا وعامله بالدين إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَاكْتُبُوهُ المعنى اذا تعاملتم بدين مؤجل
فاكتبوه وفائدة مسمى ليعلم ان من حق الاجل ان يكون معلوما كالتوقيت بالسنة والاشهر والايام
ولو قال الى الحصاد او رجوع الحاج لم يجز لعدم التسمية وانما امر بكتبة الدين لان ذلك اوثق
وآمن من النسيان والجحود والامر للندب وعن ابن عباس ان المراد به السلم وقال لما حرم الله
الربا اباح السلف وعنه اشهد ان الله اباح السلف المضمون الى اجل معلوم في كتابه وانزل
فيه اطول آية وَلْيَكْتُبْ بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ اي كاتب مامون فليكتب بالسوية والاحتياط



لا يزيد على ما يجب ان يكتب ولا ينقص وفيه ان يكون الكاتب فقيها عالما بالشروط حتى يجي مكتوبه
معدلا بالشرع وهذا امر للمتداينين بتخير الكاتب والا يستكتبوا الا فقيها دينا وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ
اي ولا يمتنع احد من الكتاب أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ اي مثل ما علمه الله كتابة الوثائق لا يغير
ولا يبدل وينفع الناس بكتابته كما نفعه الله بتعليمها وعن الشعبي هي فرض كفاية وهو قريب من
مذهب ائمتنا بشرط ان يسلم المكتوب من الربا وان يخاف ذهاب المال ان لم يكتب لا سيما مال
المسلم واجب فَلْيَكْتُبْ تاكيد يعني فليكتب تلك الكتابة لا يعدل عنها وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ
يعني لا يكون المملي الا من وجب عليه الحق لانه هو المشهود عليه وعلى بيانه في ذمته واقراره
والاملاء والاملال لغتان قد نطق بهما القرآن وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ يعني الذي عليه الحق
فلا يجحد وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ يعني من الحق والبخس النقص اي لا ينقص من الذي وجب عليه
شَيْئًا ولو قل فَإِنْ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا محجورا عليه لتبذيره وجهله بالتصرف
أَوْ ضَعِيفًا صبيا او شيخا مختل العقل أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُمِلَّ هُوَ يعني او هو غير مستطيع
للاملاء لعي به او خرس فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ يعني الذي يلي امره من وصي ان كان صبيا او وكيل
ان كان غير مستطيع او ترجمان يمل عنه وهو يصدقه وقوله ان يمل هو دليل على انه غير مستطيع
بنفسه ولكن بغيره بِالْعَدْلِ اي لا يحيف في اقراره عليه ولا يزيد وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ
اي واطلبوا ان يشهد لكم شاهدان على الدين مِنْ رِجَالِكُمْ يعني من رجال المؤمنين وشرطه
الاسلام والعدالة والبلوغ على مذهب ائمتنا عليهم السلام واما الحرية فلا تجوز شهادة العبد
لمولاه عندنا وتجوز لغيره وعن علي عليه السلام لا تجوز شهادة العبد في شيء وعن شريح
وابن سيرين والبتي انها جائزة وتجوز عندنا شهادة الكفار بعضهم على بعض على اختلاف الملل
فَإِنْ لَمْ يَكُونَا يعني الشهيدين رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ اي فليشهد رجل وامرأتان
وشهادة النساء مع الرجال مقبولة عندنا فيما عدا الحدود والقصاص وهو مذهب ائمتنا عليهم
السلام بشرط العدالة وان يكون معهن رجل مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ اي ممن تعرفون
عدالتهم أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا يعني المرأتين اي مخافة ان لا تهتدي احداهما للشهادة بان تنسى
من قولهم ضل عن الطريق اذا لم يهتد له فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى ان نسيت الشهادة وغفلت
عنها وَلَا يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا يعني ولا يمتنع الشهداء اذا ما دعوا للتحمل والشهادة
الى الحاكم وهذا واجب على مذهبنا [illegible] وقيل دعوا للتشهد واو قيل لهم شهداء قبل
التحمل تنزيلا لما شارف منزلة الكائن وعن قتادة كان الرجل يطوف في الحوا العظيم فيه
القوم فلا يتبعه منهم احد فنزلت وَلَا تَسْأَمُوا اي لا تكسلوا كنى بالسأم عن الكسل لانه صفة

المنافق ومنه الحديث لا يقول المؤمن كسلت لئلا يتشبه بهم أن تكتبوه صغيرا أو كبيرا
الضمير في تكتبوه للدين أو الحق أي لا تسأموا من كتابة الدين أو الحق صغيرا كان الحق المكتوب
أو كبيرا على حال كان من صغر أو كبر ويجوز أن يكون الضمير للكتاب وأراد أن تكتبوه مختصرا
أو مشبعا ولا تخلوا بكتابته إلى أجله إلى وقت الدين الذي أقر به المديون على نفسه ذلكم
أي ذلك الكتب أقسط عند الله أعدل من القسط وهو العدل وأقوم للشهادة أي أعون على إقامة
الشهادة وأدنى ألا ترتابوا أي وأدنى من أن لا تشكوا بتذكر الشاهد بمعونة الكتب في جنس الدين وقدره وأجله
إلا أن تكون تجارة حاضرة تديرونها بينكم إلا أن تتبايعوا بيعا ناجزا حاضرا يدا بيد فليس عليكم جناح
ألا تكتبوها لأنه لا يتوهم فيه ما يتوهم في التداين من النسيان والجحود والمعنى لا إثم عليكم
في عدم الكتابة في الحاضرة وأشهدوا إذا تبايعتم أمر بالإشهاد على التبايع مطلقا حاضرا كان
أو غائبا لأنه أحوط وأبعد من وقوع الاختلاف في البيع وقيل المراد أشهدوا وإذا تبايعتم في
التجارة الحاضرة واكتفوا به عن الكتابة والإشهاد على البيع واجب قال به بعض الصحابة
والصحيح من مذهبهم أنه مستحب غير واجب لأن لصاحب الحق أن يسقطه فلأن لا يجب عليه الاحتياط
بأن يكتبه ولا يحتاج إلى الإشهاد على المذهب في عقد إلا في النكاح وعن الضحاك هي عزيمة من الله ولو على
باقة بقل ولا يضار كاتب ولا شهيد المعنى نهى الكاتب والشهيد عن ترك الإجابة إلى ما يطلب
منهما وعن التحريف والزيادة والنقصان أو النهي عن الضرار بهما بأن يعجلا عن مهم ويكلفا الخروج عما حد لهما ولا يعطى
الكاتب حقه من الجعل ويحمل الشهيد مؤنة مجيئه من بلد إلى بلد ومذهبنا أنا إن علمنا أن
الشاهد يحتاج إلى دابة ليركبها أو ما يأكل فعليه مؤنته بنفسه إذا طلب بأداء الشهادة إلى الحاكم فيما دون البريد ولا يجب فيما
فوق ذلك وأما الجعل على الكتابة فيجوز أخذه لا يجب وحيث يخاف ذهاب المال لا يأخذ ولكن
قد اختلف في جواز أخذ الأجرة على فروض الكفايات وصححوا المذهب أنه لا يجوز أخذها ولا يعطى
جوازه لأنه واجب بالأجرة والله أعلم وإن تفعلوا أي وإن تضاروا وما نهيتم عنه فإنه يعني الضرار
فسوق بكم خروج منكم عن حدود الشريعة واتقوا الله بترك الضرار وترك ما نهيتم عنه ويعلمكم
الله هذه الأحكام التي فيها مصالح الحكم قد علم مصالح الحكم وأمركم بالقيام بها والله بكل شيء عليم
فاسألوا وإن كنتم على سفر يعني مسافرين ولم تجدوا كاتبا يعني وتعذر عليكم حفظ الدين
بالكتابة فرهان مقبوضة أي فالذي يستوثق به الرهن ومعنى مقبوضة قبضها المرتهن ولا
يكون الرهن رهنا على المذهب إلا بالقبض والسفر ليس بشرط في جواز الرهن لأن الرسول صلى
الله عليه وسلم رهن درعه في غير سفر لكن خصه بالذكر لما كان مظنة لإعواز الكتب والإشهاد
أمر الله تعالى على سبيل الإرشاد إلى حفظ المال من كان على سفر بأن يقيم التوثق بالارتهان مقام

التوثق بالكتب والإشهاد وعن مجاهد والضحاك أنهما لم يجوزاه إلا في حال السفر أخذا بظاهرها وعند
كثير من العلماء يجوز الارتهان بالإيجاب والقبول دون القبض فإن أمن بعضكم بعضا أي فإن أمن بعض
الدائنين بعض المديونين بحسن ظنه ووصف المديون بالأمانة والوفاء فليؤد الذي اؤتمن أمانته
هذا حث للمديون على أن يكون عند ظن الدائن به وأمنه منه وائتمانه له وأن يؤدي إليه الحق الذي
ائتمنه عليه فلم يرتهن منه وسمى الدين أمانة وهو مضمون لائتمانه عليه بترك الارتهان منه وليتق
الله ربه أمر للمديون بتقوى الله ساديه الدين الذي اؤتمن عليه ولا تكتموا الشهادة بكتمانها
أن لا تنطق بها ومن يكتمها فإنه آثم قلبه أسند الإثم إلى القلب والجملة هي الآثمة لا القلب وحده
لأن الكتمان من عمل القلب ولأنه رئيس الأعضاء والمضغة التي إن صلحت صلح الجسد وإن فسدت فسد
الجسد كله فكأنه قيل فقد تمكن الإثم في أصل نفسه وملك أشرف مكان فيه ولئلا يظن أن كتمان
الشهادة من الآثام المتعلقة باللسان فقط وليعلم أن القلب أصل متعلقه ومعدن اقترافه
واللسان ترجمان عنه ولأن أفعال القلوب أعظم من أفعال سائر الجوارح وهي لها كالأصول التي تنشعب
منها ألا ترى أن أصل الحسنات والسيئات الإيمان والكفر وهما من أفعال القلوب فإذا جعل كتمان
الشهادة من آثام القلوب فقد شهد له بأنه من معاظم الذنوب وعن ابن عباس أكبر الكبائر
الإشراك بالله وشهادة الزور وكتمان الشهادة والله بما تعملون عليم من أداء الأمانة
والخيانة فيها وكتمان الشهادة فهو مجازيكم على ذلك كله لله ما في السماوات وما في الأرض
من العقلاء وغيرهم لا يخفى عليه أمرهم وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يعني من السوء يحاسبكم به
الله يوم القيامة فيغفر لمن يشاء أي لمن يستوجب المغفرة بالتوبة مما أظهر منه وأضمر ويعذب
من يشاء أي بمن استوجب العقوبة بالإصرار ولا يدخل فيما يخفيه الإنسان من الوساوس وحديث النفس
لأن ذلك مما ليس في وسعه الخلو منه ولكن ما اعتقده وعزم عليه وعن عبد الله بن عمر أنه تلاها
فقال ولأن أخذنا بهذا لنهلكن ثم بكى حتى سمع نشيجه فذكر لابن عباس فقال يغفر الله لأبي عبد الرحمن
قد وجد المسلمون منها مثل ما وجد فنزل لا يكلف الله والله على كل شيء قدير فيقدر على الغفران
للتائب آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه هو محمد صلى الله عليه وآله أي صدق بجميع ما أنزل الله
من الوحي والقرآن والمؤمنون عطف على الرسول ومبتدأ أي آمنوا بما أمر به وبما أنزل إليه كل
يعني من الرسول والمؤمنين آمن بالله بوحدانيته وعدله ووعده ووعيده وملائكته وكتبه ورسله
يعني بجميع كتبه المنزلة وبالرسل أجمعين لا نفرق أي يقولون لا نفرق بين أحد من رسله كما
فرقت اليهود والنصارى في إيمان كل فريق بكتابهم ورسولهم لا غير وقالوا سمعنا أي أجبنا وأطعنا
امتثلنا غفرانك أي فنستغفر غفرانك أي فنتعرف ولا نكفرك ربنا أي مالكنا وإليك المصير
أي وإلى حكمك المرجع لا يكلف الله نفسا إلا وسعها الوسع ما يسع الإنسان ولا يضيق

عليه ولا حرج فيه اى لا يكلفها الا ما يسع فيه طوقه ويتسهل على الانسان فعله لانه دون مدى طاقته ومجهوده وهذا اخبار بعدل الله ورحمته لانه كان فى امكان الانسان ان يصلى اكثر من الخمس ويصوم اكثر من الشهر ويحج اكثر من حجة لها ما كسبت من خير سعيها وعليها ما اكتسبت من شر بعضها لا يؤاخذ بذنبها غيرها ولا يثاب غيرها بطاعتها وخص الخير بالكسب والشر بالاكتساب لان فى الاكتساب زيادة اعتمال من حيث ان الشر مما تشتهيه النفس وتأمر به وهى فى تحصيله اعمل واجد فجعلت لذلك مكتسبة ولما لم يكن فى الخير كذلك وصفت بما لا دلالة فيه على الاعتمال ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا او اخطأنا اى لا تؤاخذنا بالنسيان او الخطأ ان فرطنا والمؤاخذة كالشيء المطالبة به والنسيان والخطأ معفو عنهما لكن المراد لا تؤاخذنا بالتفريط والاغفال الذى حصلا بسببه والشيطان لا يعفى عن فعل النسيان وانما يوسوس فيكون وسوسته سببا للتفريط الذى منه النسيان ولانهم كانوا على وجه النسيان والخطأ فكانوا يضعفهم بالدعاء مع ان الله حق يقاته ما كانت تغرط منهم فرطة الا على وجه النسيان والخطأ مما يوجد به فانهم يذكرا علانا بان ذكاهم عما يؤاخذون به كانه قيل ان كان النسيان والخطأ مما يؤاخذ به فما فيهم سبب مؤاخذة الا الخطأ والنسيان ويجوز ان يدعو الانسان بما علم انه حاصل له قبل الدعاء من فضل الله طلبا لاستدامته واعترافا بالنعمة فيه ربنا ولا تحمل علينا اصرا كما حملته على الذين من قبلنا الامر الثقيل الذى يأصر حامله اى يحبسه مكانه لثقله استعير للتكليف الشاق من نحو قتل النفس وقطع موضع النجاسة من الجلد والثوب وهذه كانت تكليف بنى اسرائيل الذين ازادهم ونعوذ بالله من العقوبات النازلة بمن قبلنا طلبوا الاعفاء عن التكاليف الشاقة التى كلفها من قبلهم ثم عما نزل عليهم من العقوبات على تفريطهم فى المحافظة عليها واعف عنا امحنا واسقط عنا واغفر لنا اى استر لنا ذنوبنا وارحمنا تتجاوز عنا انت مولانا اى سيدنا ونحن عبيدك او ناصرنا او متولى امورنا فانصرنا فمن حق المولى ان ينصر عبيده وعن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه واله لما دعا بهذه الدعوات قيل له عند كل كلمة قد فعلت على القوم الكافرين يعنى باقامة الحجة عليهم حتى يظهر ديننا على الدين كله كما وعدتنا

وعن على عليه السلام من قرأ الايتين من اخر سورة البقرة فى كل ليلة كفتاه قيل من المكروه وقيل من قيام الليل قال النووى والاولى من كلاهما خبر وعنه عليه السلام ايضا انه قال اعطيت خواتيم سورة البقرة من كنز تحت العرش لم يؤتهن نبى قبلى وعنه ان الله كتب كتابا قبل ان يخلق الخلق بالفى سنة انزل منه ايتين ختم بهما سورة البقرة من قرأهما بعد العشاء الاخرة اجزتاه عن قيام الليل ويجوز ان يقال قرأت سورة البقرة وقرأت البقرة وعن ابن مسعود انه رمى الجمرة ثم قال من ههنا والذى لا اله غيره رمى الذى انزلت عليه سورة البقرة واذا اطلقت قرأت البقرة لم يشكل ان المراد سورة البقرة ومن بعضهم انه كره ذلك وقال انما يقال قرأت السورة التى يذكر فيها البقرة

وفى الحديث تعلموا البقرة وال عمران فانهما الزهراوان وانهما تظلان صاحبهما يوم القيمة كانهما غمامتان او غيايتان او فرقان من طير صواف

سورة ال عمران مدنية وهى مائتا اية

بسم الله الرحمن الرحيم الم الله لا اله الا هو اى لا معبود بحق الا هو الحى القيوم الدائم الباقى القائم بتدبير الخلق وحفظه نزل عليك الكتاب هو القرآن اى نزله عليك منجما فى ثلاث وعشرين سنة بالحق بالغرض الصحيح وهداية المكلفين او نزله نزولا ملتبسا بالحق مصدقا لما بين يديه اى مطابقا بتصديقه لما تقدمه من الكتب والرسل وانزل التورية والانجيل من قبل هما اسمان اعجميان وقال نزل الكتاب وانزل التورية والانجيل لان القرآن نزل منجما مفرقا ونزل الكتابان جملة هدى للناس اى لقوم موسى وعيسى ومن قال نحن متعبدون بشرائع من قبلنا فسره بالناس كافة على العموم ومذهب ائمتنا عليهم السلام انا متعبدون بما حكى فى كتابنا ولم ينسخ عنا وانزل الفرقان اى اراد جنس الكتب السماوية لان كلها فرقان يفرق بين الحق والباطل وكرر ذكر القرآن بما هو صفة له ومدح من كونه فارقا بين الحق والباطل بعد ما ذكره باسم الجنس تعظيما لشانه واظهارا لفضله ان الذين كفروا بايات الله يعنى كتبه المنزلة وغيرها لهم عذاب شديد على كفرهم ولا اشد من عذاب النار والله عزيز غالب قاهر ذو انتقام اى له انتقام شديد لا يقدر على مثله منتقم والانتقام هو الانتصار منهم لرسله بعقابهم وعدائهم ان الله لا يخفى عليه شىء فى الارض ولا فى السماء اى لا يخفى عليه شىء فى العالم فعبر عنه بالسماء والارض فهو مطلع على كفر من كفر وايمان من امن وهو مجازيهم عليه هو الذى يصوركم فى الارحام كيف يشاء من الصور المختلفة المتفاوتة وعن سعيد بن جبير هذا احتجاج على من زعم ان عيسى كان ربا كانه نبه بكونه مصورا فى الرحم على انه عبد كغيره وكان يخفى عليه ما لا يخفى على الله لا اله الا هو اى لا معبود بحق الا هو العزيز الغالب الحكيم العادل هو الذى انزل عليك الكتاب هو القرآن منه ايات محكمات احكمت عبارتها بان حفظت من الاحتمال والاشتباه هن ام الكتاب اى اصل القرآن يحمل المتشابهات عليها وترد اليها واخر متشابهات محتملات مثال ذلك لا تدركه الابصار مع قوله الى ربها ناظرة وقوله لا يأمر بالفحشاء مع قوله امرنا مترفيها فاما الذين فى قلوبهم زيغ ولم يكن القرآن كله محكما لانه لو كان محكما لتعلق الناس به لسهولة مأخذه ولاعرضوا عما يحتاجون فيه من الفحص والتأمل من النظر والاستدلال ولو فعلوا ذلك لعطلوا الطريق الذى لا يتوصل الى معرفة الله وتوحيده الا به ولما فى المتشابه من الابتلاء والتمييز بين الثابت على الحق والمتزلزل فيه ولما فى تقادح العلماء واتعابهم القرائح فى استخراج

معانيه ورده الى المحكم من الفوائد الجليله والعلوم الجمه ونيل الدرجات عند الله ولان المومن
المعتقد ان لا تناقض في كلام الله ولا اختلاف اذا راى فيه ما يتناقض في ظاهره واهمه طلب ما
يوفقه واجراه على سنن واحد ففكر وراجع نفسه وغيره ففتح الله عليه وتبين مطابقه المتشابه المحكم
ازداد طمانينه الى معتقده وقوه في ايقانه فاما الذين في قلوبهم زيغ هم اهل البدع فيتبعون
ما تشابه منه اى فيتعلقون بالمتشابه الذى يحتمل ما يذهب اليه المبتدع مما لا يطابق به المحكم ويحتمل
ما طابقه من قول اهل الحق ابتغاء الفتنه اى طلب ان يفتنوا الناس عن دينهم ويضلوهم
وابتغاء تاويله اى وطلب ان يؤولوه التاويل الذى يشتهونه وما يعلم تاويله الا الله والراسخون
في العلم اى لا يهتدى الى تاويله الحق الذى يجب ان يحمل عليه الا الله وعباده الذين رسخوا في العلم اى
ثبتوا فيه وتمكنوا وعضوا فيه بضرس قاطع ومنهم من يقف على قوله الا الله ويبتدى والراسخون
يقولون ويفسرون المتشابه بما استاثر الله بعلمه وبمعرفه الحكمه فيه من اياته والاول هو الوجه
قوله يقولون كلام مستانف موضح لحال الراسخين بمعنى هولاء العالمون بالتاويل يقولون امنا به
اى بالمتشابه كل من عند ربنا اى كل واحد منه ومن المحكم من عنده او بالكتاب كل
من متشابهه ومحكمه من عند الله الحكيم الذى لا يتناقض كلامه ولا يختلف كتابه وما يذكر الا
اولوا الالباب هذا مدح للراسخين بالقاء الذهن وحسن التامل ربنا لا تزغ قلوبنا
اى لا تبلنا ببلايا تزيغ فيها قلوبنا بعد اذ هديتنا ارشدتنا لدينك او لا تمنعنا الطافك
بعد اذ لطفت بنا وهب لنا من لدنك رحمه اى من عندك نعمه بالتوفيق والمعونه انك
انت الوهاب كثير المواهب لعباده ربنا انك جامع الناس ليوم اى تجمعهم لحساب
يوم الجزاء يوم لا ريب فيه لا شك في حصوله ان الله لا يخلف الميعاد معناه ان الالهيه
تنافى خلف الميعاد كقولك ان الجواد لا يخيب سائله والميعاد الوعد ان الذين كفروا لن تغنى عنهم
اموالهم ولا اولادهم المراد بهم من كفر برسول الله صلى الله عليه واله وعن ابن عباس هم قريظه والنضير
والمعنى لن تغنى عنهم من الله اى من رحمه الله او من طاعه الله شيئا اى بدل رحمته وطاعته وبدل الحق
واولئك هم وقود النار يعنى حطبها كداب ال فرعون يقال داب في العمل اذا اجهد نفسه ثم وضع
موضع ما عليه الانسان من حاله وشانه وعادته ومعناه ان عاده هولاء الكفار الذين كفروا
بالنبى صلى الله عليه واله كعاده ال فرعون وحالهم في الكفر والتكذيب ومنه قولهم انك لتظلم الناس كداب
ابيك اى كظلم ابيك ومثل ما كان يظلمهم وان فلانا محارف كداب ابيه والذين من قبلهم
هم قوم نوح وهود وصالح كذبوا باياتنا تفسير لدابهم ما فعلوا وفعل بهم كانه قيل ما دابهم
فقيل كذبوا فاخذهم الله بذنوبهم اى عاقبهم بسبب ذنوبهم والله شديد العقاب

للكفار المكذبين قل للذين كفروا اى قل يا محمد لمشركى مكه ستغلبون يعنى يوم بدر وقيل هم اليهود
لما غلب رسول الله صلى الله عليه واله يوم بدر قالوا هذا والله النبى الامى الذى بشرنا به موسى وهموا
باتباعه فقال بعضهم لا تعجلوا حتى تنظروا الى واقعه اخرى فلما كان يوم احد شكوا وقيل جمعهم
رسول الله صلى الله عليه واله بعد وقعه بدر في سوق بنى قينقاع فقال يا معشر اليهود احذروا مثل
ما نزل بقريش واسلموا قبل ان ينزل بكم ما نزل بهم فقد عرفتم انى نبى مرسل فقالوا لا يغرنك انك لقيت قوما
اغمارا لا علم لهم بالحرب فاصبت منهم فرصه لئن قاتلتنا لعلمت انا نحن الناس فنزلت وتحشرون الى
جهنم وبئس المهاد اى يجمعون اليها في الاخره وبئس ما مهد لكم او ما مهدتم لانفسكم والمهاد الفراش
قد كان لكم ايه اى علامه تدل على صدق محمد صلى الله عليه واله والخطاب لمشركى قريش في فئتين
يعنى المسلمين والمشركين التقتا اى اجتمعا يوم بدر للقتال فئه تقاتل في سبيل الله وهم المسلمون
واخرى كافره وهم المشركون يرونهم مثليهم اى يرى المشركون المسلمين مثلى عدد المشركين
قريبا من الفين او مثلى عدد المسلمين ستمائه ونيفا وعشرين اراهم الله اياهم مع قلتهم اضعافهم
ليهابوهم ويجبنوا عن قتالهم وكان ذلك مددا لهم من الله كما امدهم بالملئكه والدليل عليه قراءه نافع
ترونهم بالتاء اى ترون يا مشركى قريش المسلمين مثلى فئتكم الكافره او مثلى انفسكم وهذا لا يناقض
قوله في سوره الانفال ويقللكم في اعينهم لانهم قللوا اولا في اعينهم حتى اجترؤا عليهم فلما لاقوهم
كثروا في اعينهم حتى غلبوا فكان التقليل والتكثير في حالين مختلفين ونظيره تقليلهم تاره وتكثيرهم اخرى
ابلغ في القدره واظهار الايه وقيل يرى المسلمون المشركين مثليهم وهم كانوا ثلاثه امثالهم ولكن
الله قللهم في اعينهم على قدر ما اعلمهم انهم يغلبونهم لتقوى قلوبهم وذلك ان الله قد اعلم المسلمين ان
المائه منهم تغلب المائتين من الكفار وقراءه نافع لا تساعد عليه لانها بالتاء خطاب لاهل مكه رأى العين
اى رؤيه معاينه ومشاهده كسائر المعاينات التى لا لبس فيها والله يؤيد بنصره من يشاء اى يقوى
بنصره من اراد كما ايد اهل بدر بتكثيرهم في عين العدو ان في ذلك لعبره اى لموعظه واعتبارا
يدل على قدره الله لاولى الابصار لذوى التفكر المبصرين بعقولهم زين للناس
المزين هو الله سبحانه للابتلاء وعن الحسن الشيطان والله زينها لهم لانا لا نعلم احدا ذم لها من خالقها
حب الشهوات من النساء والبنين جعل الاعيان التى ذكرها شهوات مبالغه في كونها
مشتهاه محروصا على الاستمتاع بها والحرص ايه اراد تحقيرها فسماها شهوات لان الشهوه مسترذله
عند الحكماء مذموم من اتبعها شاهد على نفسه بالبهيميه وقال زين للناس حب الشهوات ثم جاء بالتفسير
ليعلم اولا ان المزين لهم حبه ما هو الا شهوات لا غير ثم يفسره بهذه الاجناس فيكون
اقوى لتخسيسها وادل على ذم من يستعظمها ويتهالك عليها ويرجح طلبها على طلب ما عند الله
والقناطير المقنطره القناطير جمع قنطار وهو المال الكثير قيل ملء مسك ثور وقيل مائه الف دينار

من سعد بن جبير قال رضي الله عنه ولقد جاء الاسلام يوم جاء وعنده مائة رجل
قد قنطروا والمقنطرة مأخوذة من لفظ القنطار تأكيد لقولهم ألف مؤلفة وبدرة مبدرة
من الذهب والفضة والخيل المسومة اي المعلمة من السومة وهي العلامة او المرعية من اسام الدابة
وسومها اذا ارعاها والانعام هي الازواج الثمانية والحرث يعني الزراعة وصلاح الارض
المهيأة لها ذلك المذكور متاع الحياة الدنيا يعني جميع ما يتمتع به فيها مما يزول ولا يبقى والله
عنده حسن المآب المرجع الحسن وفي هذا تنبيه على ذم من يستعظم الدنيا ويتبع شهواته حيث
على طلب ما عند الله من الزهد والاعراض عن الشهوات قل أؤنبئكم اي اعلمكم واخبركم بخير من
ذلكم المذكور من الشهوات للذين اتقوا عند ربهم جنات هذا كلام مستأنف فيه دلالة
على بيان ما هو خير من ذلكم وخص المتقين لانهم المنتفعون به فهم معرضون عن الهوى والشهوات تجري
من تحتها الانهار خالدين فيها اي لا خروج لهم منها وازواج مطهرة من الحيض وسائر الاقذار
ورضوان من الله يعني مع ذلك لان اكرم العطاء للعبد واشرفه ما كان مع رضا مولاه والله
بصير بالعباد شهيد بعباده على الاستحقاق او بصير بالذين اتقوا وباحوالهم فلذلك اعد لهم
الجنات الذين يقولون ربنا اننا آمنا اي صدقنا بك اي صدقنا بك وبرسولك فاغفر لنا ذنوبنا
اي استرها بعفوك وعفوك وقنا عذاب النار ارفعه عنا واحرسنا منه الصابرين اراد
عن المعاصي وعلى الطاعات والبلايا والصادقين في النية والقول والعمل والقانتين العابدين
بالطاعة الدائمين عليها والمنفقين المتصدقين بالنفقة في سبيل الله او غيرها مما يرضي الله تعالى
والمستغفرين بالاسحار وهي اعجاز الليل وخصها لانهم كانوا يقومون قيام الليل فيحيون ظلام الليل
بعده وعن الحسن كانوا يصلون في اول الليل حتى اذا كان السحر اخذوا في الدعاء والاستغفار هذا
ليلهم وهذا نهارهم شهد الله انه لا اله الا هو والملائكة واولوا العلم
شهدت دلالة الله على وحدانيته بافعاله الخاصة التي لا يقدر عليها غيره وبما اوحى من آياته الناطقة
بالتوحيد كسورة الاخلاص وآية الكرسي وغيرهما شهادة الشاهد في البيان والكشف وكذلك اقرار
الملائكة واولي العلم بذلك واحتجاجهم عليه قائما بالقسط اي مقيما للعدل فيما يقسم
من الارزاق والآجال ويثيب ويعاقب وما يأمر به عباده من انصاف بعضهم لبعض والعمل على
التسوية فيما بينهم لا اله الا هو العزيز الحكيم صفتان مقررتان لما وصف به ذاته من
الوحدانية والعدل يعني انه العزيز الذي لا يغالبه اله آخر الحكيم الذي لا يعدل عن العدل في
افعاله والمراد باولي العلم الذين عظمهم الله هذا التعظيم حيث جمعهم معه ومع الملائكة في الشهادة
على وحدانيته وعدله هم الذين يثبتون وحدانيته وعدله بالحجج الساطعة والبراهين القاطعة
وهم علماء العدل والتوحيد ان الدين عند الله الاسلام اي الدين المرضي الواجب اتباعه المعتد به

هو دين الاسلام وهو العدل والتوحيد وما عداه فليس عنده في شيء من الدين وفيه ان من ذهب
الى تشبيه او ما يؤدي اليه كاجازة الرؤية او ذهب الى الجبر الذي هو محض الجور لم يكن على دين الله
الذي هو الاسلام وما اختلف الذين اوتوا الكتاب من اليهود والنصارى واختلافهم
انهم تركوا دين الاسلام وهو العدل والتوحيد الا من بعد ما جاءهم العلم انه الحق الذي لا محيد عنه
فثلثت النصارى وقالت اليهود عزير ابن الله وقالوا كنا احق بان تكون النبوة فينا من قريش لانهم
اميون وكنا اهل الكتاب وهذا نحو من الجحود به بغيا بينهم اي ما كان ذلك الاختلاف وتظاهر
هؤلاء بمذهب وهؤلاء بمذهب الا حسدا بينهم وطلبا منهم للرياسة وحظوظ الدنيا واستتباع كل فريق
ناسا يطؤون اعقابهم لا شبهة في الاسلام وقيل هم اليهود واختلافهم ان موسى حين احتضر استودع
التوراة سبعين حبرا من بني اسرائيل وجعلهم امناء عليها واستخلف يوشع فلما مضى قرن بعد قرن اختلف
ابناء السبعين بعدما جاءهم علم التوراة بغيا بينهم وتحاسدا على حظوظ الدنيا والرياسة ومن يكفر
بآيات الله بحججه على نبوة محمد صلى الله عليه وآله وسلم فان الله سريع الحساب لا يعوقه شيء عن اعمال
كل شيء جرائمهم فان حاجوك اي جادلوك في الدين فقل اسلمت وجهي لله اي اخلصت
نفسي وجملتي لله وحده لم اجعل فيها لغيره شركا بان اعبده وادعو الها معه يعني ان ديني دين الحق
الذي ثبت عندكم صحته وما جئت بشيء بديع حتى تجادلوني فيه ومن اتبعني اي واسلم من المؤمنين
مخلصون لله ولا يشركون به شيئا وقل للذين اوتوا الكتاب من اليهود والنصارى والاميين الذين
لا كتاب لهم من مشركي العرب أأسلمتم يعني انه قد اتاكم من البينات ما يوجب الاسلام ويقتضي
حصوله لا محالة فهل اسلمتم ام انتم على كفركم فان اسلموا فقد اهتدوا فقد نفعوا انفسهم
حيث خرجوا من الضلال الى الهدى ومن الظلمة الى النور وان تولوا لم يضروك فانك رسول منبه
فانما عليك البلاغ يعني ان تبلغ الرسالة وتنبه على طريق الهدى والله بصير بالعباد
عليم باسلامهم وشركهم فيجازيهم ان الذين يكفرون بآيات الله هم اهل الكتاب ويقتلون
النبيين بغير حق قتل اولوهم الانبياء وقتلوا اتباعهم وهم راضون بما فعلوا وكانوا يريدون قتل
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والمؤمنين لولا عصمة الله وعن ابي عبيدة بن الجراح قلت يا رسول الله اي
الناس اشد عذابا يوم القيامة قال رجل قتل نبيا او رجلا امر بمعروف ونهى عن منكر ثم قرأها
قال يا ابا عبيدة قتلت بنو اسرائيل ثلاثة واربعين نبيا من اول النهار في ساعة واحدة فقام مائة واثنا
عشر رجلا من عباد بني اسرائيل فامروا قتلتهم بالمعروف ونهوهم عن المنكر فقتلوهم جميعا من آخر النهار
وهو معنى قوله ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس وقوله تعريض [illegible]
عليهم بانهم قتلوا الانبياء مع علمهم انه لم يعرض لان الاسلام حرم لهم الا النصيحة والدعاء
الى الخير فبشرهم بعذاب اليم هي بشارة توبيخ واستهزاء اولئك يعني اهل الكتاب الذين حبطت

هم

الحق

أعمالهم أي بطلت فائدة أعمالهم التي هي عندهم مستحسنة في الدنيا والآخرة فبطلانها في الدنيا
أنهم يلعنون فيها وفي الآخرة بما أعد لهم فيها من العذاب الشديد وما لهم من ناصرين ينصرونهم
بدفع العذاب عنهم ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب هم أحبار اليهود
حصلوا نصيبا وافرا من التوراة علموا به أن هذا الدعاء حق وأن الإجابة واجبة عليهم
يدعون إلى كتاب الله يعني التوراة ليحكم بينهم وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وآله دخل
مدارسهم فدعاهم فقال له نعيم بن عمرو والحارث بن زيد على أي دين أنت قال على ملة إبراهيم
فقالا إن إبراهيم كان يهوديا فقال لهما إن بيننا وبينكم التوراة فهلموا إليها فأبيا وقيل نزلت
في الرجم وقد اختلفوا فيه وعن الحسن وقتادة كتاب الله القرآن لأنهم قد علموا أنه كتاب الله
لم يشكوا فيه ثم يتولى فريق منهم أي يعرض وهذا استبعاد لتوليهم عن الإجابة مع علمهم بوجوب
الرجوع إلى كتاب الله وهم معرضون أي وهم قوم عادتهم الإعراض ذلك بأنهم قالوا لن تمسنا
النار إلا أياما معدودات أي ذلك التولي والإعراض بسبب تسهيلهم على أنفسهم أمر العقاب وطمعهم في الخروج
من النار بعد أيام قلائل كأطماع الجبرية والحشوية وغرهم في دينهم ما كانوا يفترون أي يكذبون
من أن آباءهم الأنبياء يشفعون لهم كما غرت أولئك شفاعة رسول الله في كبائرهم التي ارتكبوها
وتمنوا على الله شفاعة رسوله فيها فكيف إذا جمعناهم معناه فكيف يصنعون وكيف يكون
حالهم هو استعظام لما أعد لهم وتهويل لهم وأنهم يقعون فيما لا حيلة في دفعه والمخلص منه
وإنما غرهم أنفسهم وتسهيلهم عليها تعلل بباطل وتطمع بما لا يكون وروي أن أول راية
ترفع لأهل الموقف من رايات الكفار راية اليهود فيفضحهم الله على رؤوس الأشهاد ثم يأمر بهم إلى النار
ليوم لا ريب فيه أي لجزاء يوم لا شك فيه ووفيت كل نفس ما كسبت أي جزاء ما عملت من خير وشر
أي أعطيت ذلك كاملا وهم لا يظلمون أي لا ينقص من ثوابهم ولا يزداد في عقابهم والمعنى
أنه يرجع إلى كل نفس قل اللهم مالك الملك أي يملك جنس الملك يتصرف فيه تؤتي
الملك من تشاء تعطي من تشاء النصيب الذي قسمت له واقتضته حكمتك وتنزع الملك ممن تشاء
أي النصيب الذي أعطيته منه فالملك الأول عام والملكان الآخران خاصان بعضان من كله
روي أن رسول الله صلى الله عليه وآله حين فتح مكة وعد أمته ملك فارس والروم
فقال المنافقون واليهود هيهات هيهات من أين لمحمد ملك فارس والروم هم أعز وأمنع من
ذلك وروي أن رسول الله صلى الله عليه وآله لما خط الخندق عام الأحزاب وقطع لكل
عشرة أربعين ذراعا وأخذوا يحفرون خرج من بطن الخندق صخرة كالجبل العظيم لم تعمل فيها
المعاول فوجهوا سلمان إلى رسول الله صلى الله عليه وآله يخبره فأخذ رسول الله صلى الله عليه وآله
المعول من يد سلمان فضربها ضربة صدعتها وبرق منها برق أضاء ما بين لابتيها لكأن مصباحا

في جوف بيت مظلم وكبر وكبر المسلمون وقال أضاءت لي منها قصور الحيرة كأنها أنياب الكلاب
ثم ضرب الثانية فقال أضاءت منها القصور الحمر من أرض الروم ثم ضرب الثالثة فقال أضاءت
لي قصور صنعاء فأخبرني جبريل أن أمتي ظاهرة على كلها فأبشروا فقال المنافقون ألا تعجبون
يمنيكم ويعدكم الباطل ويخبركم أنه يبصر من يثرب قصور الحيرة ومدائن كسرى وأنها تفتح لكم
وأنتم إنما تحفرون الخندق من الخوف لا تستطيعون أن تبرزوا فنزلت وتعز من تشاء يريد من
المهاجرين والأنصار قاله ابن عباس وتذل من تشاء يريد فارسا والروم بيدك الخير إنك على
كل شيء قدير من الإعزاز والإذلال وذكر الخير دون الشر لأن الكلام إنما وقع في الخير
الذي يسوقه إلى المؤمنين وهو الذي أنكرته الكفرة فقال بيدك الخير تؤتيه أولياءك على رغم أعدائك
ولأن كل أفعال الله من نافع وضار صادر عن الحكمة والمصلحة فهو خير كله كإيتاء الملك
ونزعه تولج الليل في النهار وتولج النهار في الليل أي تحصل ظلمة الليل في
مكان ضياء النهار بتغييبه الشمس وضياء النهار في مكان ظلمة الليل بطلوعها والإيلاج الإدخال
وتخرج الحي من الميت أي الحيوان من النطفة وتخرج الميت من الحي هو النطفة من الحيوان وترزق
من تشاء بغير حساب يعني بغير تضييق ولا تقتير قال رحمه الله عقبه ذكر الله تعالى قدرته الباهرة
بذكر حال الليل والنهار في المعاقبة بينهما وحال الحي والميت في إخراج أحدهما من الآخر
وعطف عليه رزقه بغير حساب دلالة على أن من قدر على تلك الأفعال العظيمة المحيرة للأفهام
ثم قدر على أن يرزق بغير حساب فهو قادر على أن ينزع الملك من العجم ويذلهم ويؤتيه العرب
ويعزهم وفي بعض الكتب أنا الله ملك الملوك قلوب الملوك ونواصيهم بيدي فإن العباد
أطاعوني جعلتهم عليهم رحمة وإن العباد عصوني جعلتهم عليهم عقوبة فلا تشتغلوا بسب
الملوك ولكن توبوا إلي أعطفهم عليكم ومعنى قوله عليه السلام أعمالكم عمالكم كما تكونون يولى عليكم
لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء نهوا أن يوالوا الكافرين لقرابة بينهم أو صداقة قبل الإسلام
أو غير ذلك من الأسباب التي يتصادق بها ويتعاشر وقد كرر ذلك في القرآن والمحبة في الله
والبغض في الله باب عظيم وأصل من أصول الإيمان من دون المؤمنين يعني أن لكم في موالاة
المؤمنين مندوحة عن موالاة الكافرين فلا تؤثروهم عليهم ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء
أي ومن يوالي الكفرة فليس من ولاية الله في شيء يقع عليه اسم الولاية يعني أنه منسلخ من
ولاية الله رأسا وهذا أمر معقول فإن موالاة الولي وموالاة عدوه متنافيان إلا أن تتقوا منهم
تقاة يعني إلا أن تخافوا من جهتهم أمرا يجب اتقاؤه رخص لهم في موالاتهم إذا خافوهم والمراد بالموالاة
المرخص فيها موالاة في ظاهر الأمر ومعاشرة مع انطواء القلب على العداوة لهم والبغضاء وانتظار
زوال المانع من إظهار العداوة كقول عيسى عليه السلام كن وسطا وامش جانبا أي ليكون حسن ذلك مع

ويحذركم الله نفسه فلا تعرضوا لسخطه بموالاة اعدائه
الناس وبينك مع الله وإلى الله المصير المرجع يوم القيمة فيعاقبكم على موالاة اعدائه
وهذا وعيد شديد على الموالاة الكفار او غيرها يعلمه الله ولم يخف
قل إن تخفوا ما في صدوركم أو تبدوه نعني من ولاية لا يخفى عليه منه شيء قط فلا يخفى عليه سركم
عليه وهو الذي يعلم ما في السموات وما في الأرض وهذا بيان لقوله ويحذركم الله نفسه
وعلنكم والله على كل شيء قدير فهو قادر على عقوبتكم
لان نفسه وهي ذاته المتميزة من سائر الذوات متصفة بعلم ذاتي لا يختص بمعلوم دون معلوم
فهي متعلقة بالمعلومات كلها وبقدرة ذاتية لا يختص بمقدور دون مقدور فهي قادرة على
المقدورات كلها فكان حقها ان تحذر وتتقى فلا يجسر احد على قبيح ولا يقصر عن واجب
فان ذلك مطلع عليه لا محالة فلاحق به العقاب ولو علم بعض عبيد السلطان انه اراد الاطلاع
على احواله فوكل همه بما يورد ويصدر ونصب عليه عيونا وبث من يتجسس عن بواطن اموره
لاخذ حذره وتيقظ في امره واتقى كل ما يتوقع فيه الاسترابة فما بال من علم ان العالم
الذات الذي يعلم السر واخفى مهيمن عليه وهو آمن اللهم انا نعوذ بك
من الاغترار بسترك يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا اي مكتوبا
في صحيفتها تقرؤه مسرورة به وتكرى به وما عملت من سوء اي والذي عملته من السوء والمعاصي
تود اي تتمنى لو ان بينها وبينه امدا بعيدا مسافة بعيدة ويحذركم الله نفسه كرر التحذير
ليكون على بال منهم لا يغفلون عنه والله رءوف بالعباد يعني ان تحذيره نفسه وتعريفه
حالها من العلم والقدرة من الرأفة العظيمة بالعباد لانهم اذا عرفوه حق المعرفة وحذروه
دعاهم ذلك الى طلب رضاه واجتناب سخطه وعن الحسن من رأفته بهم ان حذرهم نفسه ويجوز
ان يريد انه مع كونه محذورا لعلمه وقدرته مرجو لسعة رحمته قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني
يحببكم الله محبة الله للعباد مجاز عن ارادة ثوابهم اختصاصه بالعبادة دون غيره
ورغبتهم فيها ومحبة الله عباده ان يرضى عنهم ويحمد فعلهم والمعنى ان كنتم مريدين لعبادة
الله على الحقيقة فاتبعوني حتى يصح ما تدعونه من ارادة عبادته يرضى عنكم ويغفر لكم
ذنوبكم وعن الحسن زعم اقوام على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله انهم يحبون الله فاراد
ان يجعل لقولهم تصديقا من عمل فمن ادعى محبته وخالف سنة رسول الله صلى الله عليه وآله فهو كذاب
وكتاب الله يكذبه قال رضي الله عنه واذا رأيت من يذكر محبة الله تعالى
ويصفق بيديه مع ذكرها ويطرب وينعر ويصعق فلا تشك في انه لا يعرف ما الله ولا يدري
محبة الله وما تصفيقه وطربه ونعرته وصعقته الا لانه تصور في نفسه الخبيثة صورة
مستملحة معشقة فسماها الله بجهله ودعارته ثم صفق وطرب على تصورها وربما رأيت المني قد

ملأ ازاره لك المني عند صعقته وجهال العامة حواليه قد ملأوا اردانهم بالدموع
لما رققهم من حاله وترى يحبون ويحبكم من حبه بحبه قال احب ابا ثروان من حب تمره
واعلم ان الرفق بالجار ارفق ووالله لولا تمره ما حببته ولا كان ادنى من عبيد ومشرق
والله غفور رحيم قل اطيعوا الله والرسول يعني محمدا صلى الله عليه وآله فان طاعتكم
له طاعة لي فان تولوا اي اعرضوا عن طاعتك فان الله لا يحب الكافرين لا يغفر لهم ولا
يثني عليهم ان الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابراهيم وآل عمران اصطفى اختار وآل ابراهيم هم اسمعيل
واسحاق واولادهما وقد دخل في آل ابراهيم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وآل عمران
موسى وهرون ابنا عمران بن يصهر وقيل عيسى ومريم بنت عمران بن ماثان والمقدم منهما ابو
وهرون وبين العمرانين الف سنة وثمانمائة سنة على العالمين على جميع الناس ذرية بعضها
من بعض يعني ان الآلين ذرية واحدة اي ولاد متسلسلون بعضهم متشعب من بعض فموسى وهرون
من عمران وعمران من يصهر ويصهر من قاهث وقاهث من لاوي ولاوي من يعقوب ويعقوب من
اسحاق وكذلك عيسى بن مريم بنت عمران بن ماثان بن سليمان بن داود بن ايشا من ولد يعقوب بن
اسحاق فثبت ان الذرية بعضها من بعض وانه يجمعها اب واحد وهو يعقوب وقيل بعضها من
بعض في الدين والله سميع عليم يعلم من يصلح للاصطفاء او يعلم ان بعضهم من بعض في الدين
اذ قالت امرأة عمران هي امرأة عمران بن ماثان ام مريم البتول جدة عيسى عليهم السلم وهي حنة بنت فاقوذ
وقوله اذ قالت امرأة عمران على اثر قوله وآل عمران مما يرجح ان عمران هو عمران بن ماثان جد عيسى والقول الآخر
يرجحه ان موسى يقرن بابراهيم كثيرا في الذكر وروي انها كانت عاقرا لم تلد الى ان
عجزت فبينما هي في ظل شجرة بصرت بطائر يطعم فرخا له فتحركت نفسها للولد وتمنته وقالت اللهم
ان لك علي نذرا ان رزقتني ولدا ان اتصدق به على بيت المقدس فيكون من سدنته فحملت بمريم وهلك
عمران وهي حامل رب اني نذرت لك ما في بطني محررا اي معتقا لخدمة بيت المقدس لا اشغله بشيء
وكان هذا النوع من النذر مشروعا عندهم وروي انهم كانوا ينذرون هذا النذر
فاذا بلغ الغلام خير بين ان يفعل وان لا يفعل وعن الشعبي محررا مخلصا للعبادة وما كان
التحرير الا للغلمان وانما بنت الامر على التقدير او طلبت ان يرزقها ذكرا فتقبل مني اي اقبل يدي
قبول رضا انك انت السميع العليم سمع قولي وتعلم ضميري فلما وضعتها اي النسمة قالت رب
اني وضعتها انثى بيان لحال الموضوعة اي وضعت النسمة انثى لا ذكرا قالته تحسرا على
خيبة رجائها وعكس تقديرها فتحزنت الى ربها لانها كانت ترجو وتقدر ان تلد ذكرا ولذلك نذرته
محررا للخدمة وتكريرها وحسرتها قال الله تعالى والله اعلم بما وضعت تعظيما للموضوع وتجهيلا
لها بقدر ما وهب لها منه ومعناه والله اعلم بالشيء الذي وضعت وما علق به من عظائم الامور

وان كفلها وولدها آية للعالمين وهي جاهلة بذلك لا تعلم منه شيئا فلذلك تحسرت وفي قراءة ابن عباس والله اعلم بما وضعت على خطاب الله لها اي انك لا تعلمين قدر هذا الموهوب وما علم الله من عظم شانه وعلو قدره ولعل لله فيه سرا وحكمة ولعل هذه الانثى خير من الذكر تسلية لنفسها **وليس الذكر** الذي طلبت **كالانثى** التي وهبت لها بل هي اعظم وابلغ مما طلبت **واني سميتها مريم** عطف على ما قبلها اي وضعتها انثى وذكرت تسميتها مريم لربها لان مريم في لغتهم بمعنى العابدة فارادت بذلك التقرب الى الله والطلب له ان يعصمها حتى يكون فعلها مطابقا لاسمها وان يصدق فيها ظنها بدليل طلب الاعاذة لها ولولدها من الشيطان حين قالت **واني اعيذها بك** اي اجيرها بك يا رب **وذريتها** ان كان لها ذرية **من الشيطان الرجيم** اي من اغوائه وهو بمعنى مرجوم لانه يرجم بالشهب **قال رضي الله عنه** وما روي في الحديث ما من مولود يولد الا والشيطان يمسه حين يولد فيستهل صارخا من مس الشيطان اياه الا مريم وابنها والله اعلم بصحته فان صح فمعناه ان كل مولود يطمع الشيطان في اغوائه الا مريم وابنها فانهما كانا معصومين **فتقبلها ربها بقبول حسن** بتسلمها رضي بها في النذر مكان الذكر والقبول الحسن هو اختصاصه لها بان اقامها مقام الذكر في النذر ولم يقبل قبلها انثى في ذلك او اراد انه تسلمها من امها عقيب الولادة قبل ان تنشا وتصلح للخدمة **روي** ان حنة حين ولدت مريم لفتها في خرقة وحملتها الى المسجد ووضعتها عند الاحبار ابناء هرون وهم في بيت المقدس كالحجبة في الكعبة فقال لهم دونكم هذه النذيرة فتنافسوا فيها لانها كانت بنت امامهم وصاحب قربانهم وكان [illegible] من بني اسرائيل وملوكهم فقال لهم زكريا انا احق بها عندي اختها فقالوا لا حتى نقترع عليها فانطلقوا وكانوا تسعة وعشرين الى نهر فالقوا فيه اقلامهم فارتفع قلم زكريا دون الماء ورسبت اقلامهم فكفلها **وانبتها نباتا حسنا** مجاز عن التربية الحسنة العائدة عليها بما يصلحها في جميع احوالها فكانت تنبت في اليوم كما ينبت المولود في السنة **وكفلها زكريا** معناه وجعل الله زكريا كافلا لها وضامنا لمصالحها **قيل** بنى لها زكريا عليه السلام محرابا في المسجد اي غرفة يصعد اليها بسلم وقيل المحراب اشرف المجالس واشرفها كانها وضعت في اشرف موضع من بيت المقدس **روي** انه كان لا يدخل عليها الا هو وحده وكان اذا خرج غلق عليها سبعة ابواب **كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا** كان رزقها ينزل عليها من الجنة ولم ترضع ثديا قط فكان يجد عندها فاكهة الشتاء في الصيف وفاكهة الصيف في الشتاء **قال يا مريم انى لك هذا** اي من اين لك هذا الرزق الذي لا يشبه ارزاق الدنيا وهو آت في غير حينه والابواب مغلقة عليك **قالت هو من عند الله** اتى به من الجنة وهو القادر على ذلك ولا تستبعد قيل تكلمت وهي صغيرة كما تكلم عيسى في المهد وعن النبي صلى الله عليه وآله انه جاع في زمن

قحط فاهدت له فاطمة رضي الله عنها رغيفين وبضعة لحم آثرته بها فرجع بها اليها وقال هلمي يا بنية فكشفت عن الطبق فاذا هو مملوء خبزا ولحما فبهتت وعلمت انها نزلت من عند الله فقال لها صلى الله عليه وآله انى لك هذا قالت هو من عند الله ان الله يرزق من يشاء بغير حساب فقال الحمد لله الذي جعلك شبيهة سيدة نساء بني اسرائيل ثم جمع رسول الله صلى الله عليه وآله عليا والحسنين وجميع اهل بيته فاكلوا حتى شبعوا وبقي الطعام كما هو فاوسعت فاطمة على جيرانها **ان الله يرزق من يشاء** من جملة كلام مريم عليها السلام او من كلام رب العزة عز من قائل **بغير حساب** بغير تقدير لكثرته او تفضلا بغير محاسبة ومجازاة على عمل **هنالك دعا زكريا ربه** في ذلك المكان حيث هو قاعد عند مريم لما راى من كرامة مريم على الله ومنزلتها عنده رغب ان يكون له من ايشاع ولد مثل ولد اختها حنة في النجابة والكرامة على الله وان كانت عاقرا عجوزا فقد كانت اختها كذلك وقيل لما راى الفاكهة في غير وقتها نبه على جواز ولادة العاقر **قال رب هب لي من لدنك ذرية طيبة** اي ولدا والذرية يقع على الواحد والجمع والمعنى نسلا صالحا كالطيب **انك سميع الدعاء** مجيبه **فنادته الملائكة** قيل ناداه جبريل وانما قيل الملائكة لانه من عظمائهم وكان يناديه هو وهم **وهو قائم يصلي في المحراب** في المسجد **ان الله يبشرك** من البشارة وهي الاخبار عما يسر **بيحيى مصدقا بكلمة من الله** يعني يصدق بعيسى مؤمنا به قيل هو اول من آمن به وسمي عيسى كلمة لانه لم يوجد الا بكلمة الله وحدها وهي قوله كن من غير سبب **وسيدا** السيد الذي يسود قومه اي يفوقهم في الشرف وكان يحيى فائقا لقومه وفائقا للناس كلهم في انه لم يركب سيئة قط ويا لها من سيادة **وحصورا** الحصور الذي لا يقرب النساء حصرا لنفسه اي منعا لها من الشهوات وقيل هو الذي لا يدخل في اللعب واللهو ومنه روي انه مر وهو طفل بصبيان فدعوه الى اللعب فقال ما للعب خلقت **ونبيا من الصالحين** اي ناشئا من الصالحين لانه كان من اصلاب الانبياء وكائنا من جملة الصالحين **قال رب انى يكون لي غلام** استبعاد من حيث العادة لما هو عليه من الكبر يعني انى ذلك وقد بلغني الكبر وادركني الضعف وكان له تسع وتسعون سنة **وامراتي عاقر** لا تلد مثلها في العادة وكان لها ثمان وتسعون سنة **قال كذلك الله يفعل ما يشاء** اي يفعل ما يشاء من الافعال العجيبة مثل ذلك الفعل وهو خلق الولد من الشيخ الفاني والعجوز العاقر ويفعل ما يريد من الافاعيل الخارقة للعادات **قال رب اجعل لي آية** اي علامة اعرف بها الحمل لاتلقى النعمة اذا جاءت بالشكر **قال آيتك الا تكلم الناس** اي لا تقدر على تكليمهم **ثلاثة ايام** وانما خص تكليم الناس ليعلمه انه يحبس لسانه عن القدرة على تكليمهم خاصة مع ابقاء قدرته على التكلم بذكر الله **الا رمزا** الا اشارة بيد او راس او غيرهما **واذكر ربك كثيرا وسبح بالعشي والابكار** يعني في ايام

سؤال نادته الملائكة وهو قائم يصلي فكيف نادته وهو يصلي في الصلاة **الجواب** المراد من الصلاة الدعاء وكذا اورده في العابدين

تحرك عن تكلم الناس لعلمه انه وهي من الآيات الباهرة وحبس لسانه عن كلام الناس
ليخلص المدة لذكر الله لا يشغل لسانه بغيره توفرا منه على قضاء حق تلك النعمة الجسيمة
وشكرها الذي طلب الآية من اجله كأنه لما طلب الآية من اجل الشكر قيل له آيتك ان يحبس لسانك
الا عن الشكر وفي الآية دليل على نسخ الصمت الا من ذكر الله **وإذ قالت الملائكة يا مريم** روي
انهم كلموها شفاها معجزة لزكريا عليه السلام او ارهاصا لنبوة عيسى **إن الله اصطفاك** يعني
اختارك اولا حين تقبلك من امك ورباك واختصك بالكرامة السنية **وطهرك** مما يستقذر
من الافعال ومما قذفك به اليهود **واصطفاك** آخرا **على نساء العالمين** بان وهب لك عيسى من
غير اب ولم يكن ذلك لاحد من النساء **يا مريم اقنتي لربك واسجدي** امرت بالصلاة بذكر القنوت والسجود
لكونهما من هيئات الصلاة واركانها ثم قيل لها **واركعي مع الراكعين** يعني ولتكن صلاتك
مع المصلين اي في الجماعة او وانظمي نفسك في جملة المصلين وكوني معهم في عدادهم ولا تكوني في
عداد غيرهم ويحتمل ان يكون في دينها من يقوم ويسجد في صلاته ولا يركع ومن يركع فامرت ان تركع
مع الراكعين **ذلك من انباء الغيب** اشارة الى ما سبق من نبأ زكريا ويحيى ومريم وعيسى يعني ان ذلك
من الغيوب التي لم تعرفها الا بالوحي **نوحيه اليك** نعلمك به ونطلعك عليه **وما كنت**
لديهم اي عند الاحبار حين اقترعوا ايهم يكفلها **إذ يلقون اقلامهم** ازلامهم وهي قداحهم التي
طرحوها في النهر مقترعين وقيل هي الاقلام التي كانوا يكتبون بها التوراة واختاروها للقرعة
تبركا بها **ايهم يكفل مريم** اي يربيها ويقوم بها **وما كنت لديهم إذ يختصمون** في شأنها تنافسا
في التكفل بها **إذ قالت الملائكة يا مريم إن الله يبشرك بكلمة منه** اي بعيسى لانه حدث بكلمة الله
اسمه المسيح المسيح لقب من الالقاب المشرفة ومعناه المبارك **عيسى ابن مريم** نسبه
الى امه والخطاب لها لتعلمها انه يولد من غير اب فلا ينسب الا الى امه وبذلك فضلت واصطفيت
على نساء العالمين **وجيها في الدنيا والآخرة** الوجاهة الشرف والقدر فوجاهته في الدنيا
النبوة والتقدم على الناس وفي الآخرة الشفاعة وعلو الدرجة في الجنة وكونه من المقربين رفعه
الى السماء وصحبته للملائكة **ومن المقربين** الى الكرامة **ويكلم الناس في المهد** هو ما يمهد
للصبي من مضجعه والمعنى يكلم الناس في حال الطفولية **وكهلا** عطف عليه يعني ويكلم الناس
في هاتين الحالتين كلام الانبياء من غير تفاوت بين حال الطفولية وحال الكهولة التي يستحكم
فيها العقل ويتنبأ فيها الانبياء **ومن الصالحين** يعني من جملتهم في الآخرة **قالت رب انى**
يكون لي ولد ولم يمسسني بشر تعجبت من ان يكون لها ولد ولم يمسها بشر والمس عبارة عن النكاح **قال**
كذلك اي مثل ذلك الخلق العجيب وهو خلق الولد من غير اب **الله يخلق ما يشاء** فلا يستبعد هذا
من القادر على كل شيء **إذا قضى امرا** اي اذا اراد وجود شيء من افعاله **فإنما يقول له كن**

فيكون اي احدث فيحدث من غير توقف وهذا مجاز ولا قول ثم لكن المعنى انه لا يمتنع عليه شيء مما
اراد **ويعلمه الكتاب** جنس الكتب **والحكمة** جنس الحكمة وهي السنة **والتوراة والإنجيل** خصهما
بالذكر لفضلهما وقيل الكتاب الخط والحكمة العلم قيل ان الله تعالى قسم الخط عشرة اجزاء جعل
للناس جزءا ولعيسى تسعة **ورسولا الى بني اسرائيل** لانه كان آخر انبيائهم **اني قد جئتكم بآية من ربكم**
اي بمعجزة وعلامة تدل على صدقي **اني اخلق لكم** اي اقدر لكم **من الطين كهيئة الطير** اي مثل
صورة الطير **فانفخ فيه** اي في ذلك الشيء المماثل لصورة الطير **فيكون طيرا** يضطرب
كسائر الطيور حيا طيارا **بإذن الله** بتسهيله ومشيئته قيل لم يخلق غير الخفاش **وابرئ**
الأكمه هو الذي ولد اعمى وقيل هو الممسوح العين ويقال لم يكن في هذه الامة اكمه غير قتادة
بن دعامة السدوسي صاحب التفسير **والأبرص** الذي به وضح وبياض **وأحيي الموتى بإذن الله** كرر
بإذن الله دفعا لوهم من توهم فيه اللاهوتية وروي انه احيى سام بن نوح وهم ينظرون فقالوا هذا
سحر وروي انه ربما اجتمع عليه خمسون الفا من المرضى من اطاق منهم اتاه ومن لم يطق منهم اتاه عيسى
وما كانت مداواته الا بالدعاء وحده **وانبئكم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم** اي اخبركم
قال مجاهد كان يخبرهم بما اكلوا وما خبأوا وامنه وقيل بما تأكلون من المائدة وما تدخرون
منها **إن في ذلك** الذي جئتكم به من المعجزات والاخبار عن الغيوب **لآية لكم** اي علامة
لكم ودلالة على صدقي **إن كنتم مؤمنين** اي انصفتم واسعفتم **ومصدقا لما بين يدي من التوراة**
اي بما انزل قبلي وهي التوراة **ولأحل لكم بعض الذي حرم عليكم** الذي حرم عليهم في شريعة
موسى الشحوم والثروب ولحوم الابل والسمك وكل ذي ظفر فاحل لهم عيسى بعض ذلك قيل احل لهم
من الطير والسمك ما لا صيصية له وهي التي تكون في مخلب الديك فوق اصابعه وقيل احل لهم عيسى
لحوم الابل والثروب واحلوا في احلال عيسى لهم السبت **وجئتكم بآية من ربكم** مما ذكرتكم من
خلق الطير وابراء الاكمه والابرص والاحياء والاخبار بالخفيات وبغيره من ولادتي بغير اب ومن
كلامي في المهد **فاتقوا الله** لما جئتكم به من الآيات **وأطيعون** فيما ادعوكم اليه **إن الله ربي وربكم**
يعني حالي مع حالكم فلا يستوي الله فانما انا عبد له كما انتم عبيد له **فاعبدوه** وحدوه بالعبادة
واخلصوها له **هذا صراط مستقيم** اي طريق ثابت فاسلكوه **فلما احس عيسى منهم الكفر**
يعني فلما علم منهم الكفر علما لا شبهة فيه كالذي يدرك بالحواس **قال من انصاري الى الله** اي
من الذين يضيفون انفسهم الى الله ينصرونني كما ينصرني **قال الحواريون نحن انصار الله** اي انصار
دينه ورسوله وحواري الرجل صفوته وخالصته ومنه قيل للنساء الحضريات الحواريات
لخلوص الوانهن ونظافتهن **آمنا بالله** اي صدقنا بوحدانيته **واشهد بانا مسلمون**
منقادون مطيعون وانما طلبوا شهادته باسلامهم تأكيدا لايمانهم لان الرسل يشهدون يوم القيامة

لعونهم وعليهم ربنا آمنا اي صدقنا بما أنزلت من الكتب والوحي واتبعنا الرسول
عيسى فيما ارسلته الينا فاكتبنا في اللوح المحفوظ او في صحائفنا مع الشاهدين مع الانبيا الذين
يشهدون لاممهم او مع الذين يشهدون بالوحدانية وقيل ارادوا امة محمد صلى الله عليه واله لانهم
شهدا على الناس ومكروا يعني كفار بني اسرائيل ومكرهم انهم وكلوا من يقتله غيلة ومكر الله
بان رفع عيسى الى السما والقى شبهه على من اراد اغتياله حتى قتل والله خير الماكرين اقواهم
مكرا وانفذهم كيدا واقدرهم على العقاب من حيث لا يشعر المعاقب إذ قال الله يا عيسى اني متوفيك
اي مستوفي اجلك في دمشق بعد النزول من السما ومعناه اي عاصمك من ان يقتلك كفار بني اسرائيل
ومؤخرك الى اجل كتبته لك ورافعك الي الى سماي ومقر ملائكتي ومطهرك من الذين كفروا
يعني من سوء جوارهم وخبث صحبتهم وقيل متوفيك قابضك من الارض وقيل متوفي نفسك بالنوم
ورافعك وانت نايم حتى لا يلحقك خوف وتستيقظ وانت في السما آمن مقرب وجاعل الذين اتبعوك
هم المسلمون لانهم متبعوه وان اختلفت الشرايع فوق الذين كفروا الى يوم القيمة يعلونهم بالحجة
وفي اكثر الاحوال بها وبالسيف والذين كفروا هم اليهود والنصارى الذين كذبوه وكذبوا عليه
بانه لغير رشده ثم الي مرجعكم يعني الى حكمي وجزائي مصيركم فاحكم بينكم يا مسلمون وبين
الكفرين فيما كنتم فيه تختلفون من امر الدين فاما الذين كفروا فاعذبهم عذابا شديدا في الدنيا
والآخرة عذابهم في الدنيا ما انزل الله بهم من العقوبات وتسلط المسلمين عليهم وفي الآخرة بنار جهنم
وما يليها من الاهوال وما لهم من ناصرين ينصرونهم بدفع العذاب عنهم واما الذين آمنوا
وعملوا الصالحات مما رضي الله فيوفيهم اجورهم اي يوفر عليهم ثواب اعمالهم ويحبهم ويرضى
عنهم والله لا يحب الظالمين لا يرضى بظلمهم ولا اثابهم بل يبغضهم فيصب عليهم مصيبات
العذاب الشديد وغضب الله ذلك اشارة الى ما سبق من نبا عيسى وغيره نتلوه عليك اي يقرؤه
جبريل عليك من الآيات والذكر الحكيم اي من المعجزات لكن من حيث علمته بالوحي والذكر الحكيم
هو القرآن إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم اي ان حال عيسى وشانه ووجوده من غير اب كحال آدم
في وجوده من غير اب لان المشابهة مما يكفي في بعض الاوصاف لا في جميعها خلقه من تراب اي جعله جسدا
من طين والمعنى انه خلق آدم من تراب ولم يكن له اب ولا ام وكذلك حال عيسى ثم قال له كن فيكون
هذا مجاز عن حصول ما اراده الله اي احدث فحدث من غير توقف وشبه عيسى في وجوده بغير اب بآدم
بغير اب وام لانه مثله في احد الطرفين ولا يمنع اختصاصه دونه بالطرف الآخر من تشبيهه به لان
المماثلة مشاركة في بعض الاوصاف لا في جميعها ولانه شبه به في انه وجد وجودا خارجا عن العادة
وهما في ذلك نظيران ولان الوجود من غير اب وام اغرب واخرق للعادة من الوجود من غير اب فشبه
الغريب بالاغرب ليكون اقطع للخصم اذا نظر فيما هو اغرب مما استغربه وعن بعض العلما انه اسر

بالولد وقال لهم لم تعبدون عيسى قالوا لانه لا اب له قال فآدم اولى لانه لا ابوين له قالوا كان
يحيي الموتى قال فحزقيل اولى لان عيسى احيا اربعة وحزقيل احيا ثمانية الاف فقالوا كان يبرئ
الاكمه والابرص قال فجرجيس اولى لانه طبخ واحرق ثم قام سالما الحق من ربك اي هذا الحق
من ربك يا محمد فلا تكن من الممترين الشاكين في كونه حقا قال رضي الله عنه
والنهي عن الامترا داخل بقوله عن ان يكون ممترا من باب التهييج لزيادة الثبات والطمانينة وان
يكون لطفا لغيره فمن حاجك من النصارى فيه في عيسى بن مريم من بعد ما جاءك من العلم اي من البينات
الموجبة للعلم فقل تعالوا اي هلموا والمراد المجي بالراي والعزم ندع ابناءنا وابناءكم اي يدع
كل منا ومنكم ابناءه ونساءنا ونساءكم وانفسنا وانفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين
اي نتباهل بان نقول بهلة الله على الكاذب منا ومنكم والبهلة بالفتح والضم اللعنة روي
دعاهم رسول الله صلى الله عليه واله الى المباهلة قالوا حتى نرجع وننظر
فلما خلوا قالوا للعاقب وكان صاحب رايهم يا عبد المسيح ما ترى فقال والله لقد عرفتم يا معشر النصارى
ان محمدا نبي مرسل ولقد جاءكم بالفصل من امر صاحبكم والله ما باهل قوم نبيا قط فعاش كبيرهم
ولا نبت صغيرهم ولئن فعلتم لتهلكن فان ابيتم الا الف دينكم والاقامة على ما انتم عليه فوادعوا الرجل
وانصرفوا الى بلادكم فاتوا رسول الله صلى الله عليه واله وقد غدا محتضنا الحسين آخذا بيد الحسن
وفاطمة تمشي خلفه وعلي خلفها وهو يقول اذا انا دعوت فامنوا فقال اسقف نجران يا معشر النصارى
اني لارى وجوها لو شاء الله ان يزيل جبلا من مكانه لازاله بها فلا تباهلوا فتهلكوا ولا يبقى على وجه
الارض نصراني الى يوم القيمة فقالوا يا ابا القسم راينا ان لا نباهلك وان نقرك على دينك ونثبت على
ديننا قال فاذا ابيتم المباهلة فاسلموا يكن لكم ما للمسلمين وعليكم ما عليهم فابوا فقال اني اناجزكم
فقالوا ما لنا بحرب العرب طاقة ولكن نصالحك على ان لا تغزونا ولا تخيفنا ولا تردنا عن ديننا على
ان نؤدي اليك كل عام الفي حلة الف في صفر والف في رجب وثلثين درعا عادية من حديد فصالحهم
على ذلك وقال والذي نفسي بيده ان الهلاك قد تدلى على اهل نجران ولو لاعنوا لمسخوا قردة وخنازير
ولاضطرم عليهم الوادي نارا ولاستاصل الله نجران واهله حتى الطير على رؤوس الشجر ولما حال
الحول على النصارى كلهم حتى هلكوا ۞ وعن عائشة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج وعليه مرط
مرحل فجاء الحسن فادخله ثم الحسين فادخله ثم فاطمة ثم علي ثم قال انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس
اهل البيت قال رضي الله عنه ولم يكن الداعي الى المباهلة الا ليتبين الكا
ذب منه ومن خصمه وذلك امر يختص به وبمن يكاذبه قال رضي الله عنه ومعنى ضم
الابناء والنساء للتاكيد الدلالة على ثقته بحاله واستيقانه بصدقه حتى استجرا على تعريض اعزته
وافلاذ كبده واحب الناس اليه لذلك ولم يقتصر على تعريض نفسه له وعلى ثقته بكذب خصمه

حتى يهلك خصمه مع احبته واعزته هلاك الاستيصال ان تمت المباهله وخص الابنا والنسا لانهم اعز الاهل والصقهم بالقلوب وربما فداهم الرجل بنفسه وحارب دونهم حتى يقتل وقدمهم بالذكر على الانفس لينبه على لطف مكانهم وقرب منزلتهم وليوذن بانهم مقدمون على الانفس مفدون بها وفيه برهان واضح على صحة نبوة محمد صلى الله عليه واله لانه لم يرو احد من الموافق والمخالف انهم اجابوا الى ذلك وفيه دليل لا اقوى منه على فضل اصحاب الكسا عليهم السلام وفيه حجة قاطعة على تقدم امير المومنين عليه السلام وانافة محله على من عداه لانه صلى الله عليه واله قصده بقوله انفسنا مع نفسه **إن هذا** اي هذا الذي قص عليك يا محمد من حديث عيسى **لهو القصص الحق** اي هو الخبر الصحيح الذي لا شك فيه **وما من اله الا الله** المراد الرد على النصارى في تثليثهم **وان الله لهو العزيز** الغالب لهم **الحكيم** العادل ولا يعاقب الا بحق **فان تولوا** اي اعرضوا عنك [وعنهم] وعن اجابتك الى الابتهال نجران وقيل ~~يهود المدينه~~ **فان الله عليم بالمفسدين قل يا اهل الكتاب** اراد اهل الكتابين وقيل وفد نجران وقيل يهود المدينه **تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم** اي مستوية لا يختلف فيها القران والتورية والانجيل **الا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا** هذه الكلمة هي التي امر ان ندعوهم اليها **ولا يتخذ بعضنا بعضا اربابا من دون الله** يعني تعالوا اليها حتى لا نقول عزير ابن الله ولا المسيح ابن الله لان كل واحد منهما بعضنا وبشر مثلنا ولا نطيع احبارنا فيما احدثوا من التحريم والتحليل من غير رجوع الى ما شرع الله وعن عدي بن حاتم ما كنا نعبدهم يا رسول الله قال اليس كانوا يحلون لكم ويحرمون فتاخذون بقولهم فقال نعم فقال هو ذاك وعن الفضيل لا ابالي اطعت مخلوقا في معصية الخالق او صليت لغير القبلة **فان تولوا** عن التوحيد **فقولوا اشهدوا بانا مسلمون** اي لزمتكم الحجة فوجب عليكم ان تعترفوا وتسلموا بانا مسلمون دونكم ويجوز ان يكون من باب التعريض ومعناه اشهدوا واعترفوا بانكم كافرون حيث توليتم عن الحق بعد ظهوره **يا اهل الكتاب لم تحاجون في ابرهيم وما انزلت التورية والانجيل الا من بعده** زعم كل فريق من اليهود والنصارى ان ابرهيم كان منهم وجادلوا رسول الله صلى الله عليه واله والمومنين فيه فقيل لهم ان اليهودية انما حدثت بعد نزول التورية والنصرانية بعد نزول الانجيل وبين ابرهيم وموسى الف سنة وبينه وبين عيسى الفان فكيف يكون ابرهيم على دين لم يحدث الا بعد عهده بازمنة متطاولة **افلا تعقلون** فساد هذه الدعوى **ها انتم هؤلاء** يعني انتم هؤلاء الاشخاص الحمقى وبيان حماقتكم وقلة عقولكم انكم **حاججتم** جادلتم وخاصمتم **فيما لكم به علم** يعني ما وجدوه في كتبهم وانزل عليهم **فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم** من شان ابرهيم وليس في كتابكم ولا ذكر لكم انه كان يهوديا او نصرانيا **والله يعلم** شان ابرهيم وما جادلتم فيه **وانتم لا تعلمون** ثم بين حال ابرهيم وانه بري مما قالوه فقال **ما كان ابرهيم يهوديا ولا نصرانيا** كذبهم الله وبرا ابرهيم من دينهم **ولكن كان حنيفا** مائلا

عن كل دين الى دين الاسلام **مسلما** مخلصا نفسه من الشرك **وما كان من المشركين** اي من اليهود والنصارى ثم جعل احق الناس به المسلمين فقال **ان اولى الناس بابرهيم** اي اقربهم اليه واحقهم به **للذين اتبعوه** على دينه وملته **وهذا النبي** خصوصا **والذين امنوا** من امته اي هم الذين ينبغي ان يقولوا انا على دين ابرهيم **والله ولي المومنين** ناصرهم ومعينهم **ودت طائفة من اهل الكتاب لو يضلونكم** ارادت اليهود ان يستزلوا المسلمين عن دينهم فيردوهم الى الكفر فنزلت هذه الاية **وما يضلون الا انفسهم** اي وما يعود وبال الاضلال الا عليهم لان المومنين لا يقبلون قولهم فيحصل الاثم عليهم بقصدهم اضلال المومنين **وما يشعرون** ان هذا يضرهم ولا يضر المومنين **يا اهل الكتاب لم تكفرون بايات الله** اي بالقران والتورية والانجيل **وانتم تشهدون** تعترفون بما يدل على صحته من كتابكم ان فيه نعت محمد وذكره **يا اهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل** اي لاي شي تخلطون الحق الذي في التورية من صفة محمد بالباطل الذي هو الكتمان والتحريف **وتكتمون الحق** اي تجحدون الحق الذي لا يوافق اهواكم بتنزيلكم امر الله على مرادكم **وانتم تعلمون** بكتمانكم واثم القبيح بما ارتكبتم مع العلم بقبحه **وقالت طائفة** [من اهل الكتاب] **امنوا بالذي انزل على الذين امنوا وجه النهار واكفروا اخره** روي ان جماعة من اليهود قال بعضهم لبعض اظهروا الايمان بمحمد والقران في اول النهار وارجعوا عنه في اخر النهار وقولوا انا نظرنا في كتبنا فوجدنا محمدا ليس بذلك المنعوت وظهر لنا كذبه وبطلان دينه **لعلهم يرجعون** اي يشكون في دينهم ويعدلوا عنه فاطلع الله رسوله على سر اليهود ومكرهم بهذه الاية **ولا تومنوا** هذا من كلام اليهود بعضهم لبعض قالوا الا تصدقوا ولا تقروا بان يوتى احد مثل ما اوتيتم من العلم والحكمة والكتاب والحجة والفضائل والكرامات **الا لمن تبع دينكم** اليهودية وقام بشرايعكم دون غيرهم وقوله **قل ان الهدى هدى الله** اعتراض فاصل بين المعمول وعامله وهو من كلام الله ولكن يتصل بكلام اليهود **ان يوتى احد مثل ما اوتيتم** اي ولا تظهروا ايمانكم بان يوتى احد مثل ما اوتيتم الا لاهل دينكم دون غيرهم والمعنى اسروا تصديقكم بان المسلمين قد اوتوا مثل ما اوتيتم من كتب الله مثل ما اوتيتم ولا تفشوه الا الى اشياعكم وحدهم دون المسلمين لئلا يزيدهم ثباتا ودون المشركين لئلا يدعوهم ذلك الى الاسلام وقوله **او يحاجوكم عند ربكم** عطف على قوله ان يوتى بمعنى ولا تومنوا لغير اتباعكم ان المسلمين يحاجوكم يوم القيمة بالحق ويغالبوكم عند الله بالحجة ومعنى الاعتراض ان الهدى هدى الله من يشا ان يلطف به حتى يسلم او يزيد ثباته على الاسلام كان ذلك ولم ينفع كيدكم وحيلكم ومنعكم تصديقكم عن المسلمين والمشركين وكذلك قوله **قل ان الفضل بيد الله** يريد الهداية والتوفيق وما يفضل به عليك وعلى امتك والمعنى ان اسباب الفضل والعلم والنبوة بيده موقوف على ارادته **يوتيه من يشاء** ممن يستحقه حسبما ادكرهم **والله واسع** كثير

اي بالنبوة واسع العطاء يختص برحمته من يشاء بعضه به وان احد عوه
العطا والفضل عليم بمن يستحقه والله ذو الفضل العظيم على اوليائه لانه لا
من يشاء من هو اهل لها وعن صفته في كتابكم ثم اخبر تعالى عن اصلان احوالهم في الامانة والخيانة بقوله ومن اهل
الكتاب من ان تأمنه بقنطار يؤده اليك هو عبد الله بن سلام رحمه الله استودعه رجل من قريش
اعظم عنده من الاسلام من احد تعالى عن [illegible]
الكتاب من ان تأمنه بقنطار يؤده اليك ومنهم من ان تأمنه بدينار لا يؤده اليك
الف اوقية ومائتي اوقية ذهبا فادى الامانة الى من ائتمنه ومنهم من ان تأمنه بدينار لا يؤده اليك
هو فنحاص بن عازوراء استودعه رجل من قريش دينارا فجحده وخانه وقيل المامون على الكثير النصارى
لغلبة الامانة عليهم والخائنون في القليل اليهود لغلبة الخيانة عليهم الا ما دمت عليه قائما
الا مدة دوام قيامك عليه يا صاحب الحق قائما على رأسه متوكلا ملحا بالمطالبة والتعنيف او بالرفع
الى الحاكم واقامة البينة عليه ذلك بانهم قالوا ليس علينا في الاميين سبيل اي تركهم اداء
الحقوق بسبب قولهم ليس علينا في الاميين سبيل اي لا يتطرق الينا عتاب ولا ذم في شان الاميين
يعنون الذين ليسوا من اهل الكتاب وما فعلنا بهم من حبس اموالهم والاضرار بهم لانهم ليسوا على
ديننا وكانوا يستحلون ظلم من خالفهم ويقولون لم يجعل لهم في كتابنا حرمة وعن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال عند نزولها كذب اعداء الله ما من شيء في الجاهلية الا وهو تحت قدمي الا الامانة فانها مؤداة
الى البر والفاجر وعن ابن عباس رحمه الله سأله رجل فقال انا نصيب في الغزو من اموال اهل الذمة
الدجاجة والشاة قال ابن عباس فما تقولون قالوا نقول ليس علينا في ذلك بأس فقال هذا كما قال اهل
الكتاب ليس علينا في الاميين سبيل انهم اذا ادوا الجزية لم يحل اكل اموالهم الا بطيبة نفوسهم
ويقولون على الله الكذب بادعائهم ان ذلك في كتابهم وهم يعلمون انهم يكذبون ثم رد عليهم قولهم
ليس علينا في الاميين سبيل بقوله بلى اي بلى عليهم سبيل في ذلك ثم استأنف فقال من اوفى بعهده اي
بعهد الله الذي عهد اليه في التوراة من الايمان بمحمد والقرآن واداء الامانة واتقى الله في ترك الكفر
والخيانة ونقض العهد فان الله يحب المتقين يعني من كان بهذه الصفة ان الذين يشترون
بعهد الله نزلت في رجل اختصما الى النبي صلى الله عليه وآله في ضيعة فهم المدعى عليه ان يحلف فنزلت
هذه الآية فنكل المدعى عليه عن اليمين واقر بالحق ومعنى يشترون يستبدلون بعهد الله بوصيته
للموسرين الا يحلفوا كاذبين بالله وايمانهم جمع اليمين هي الحلف ثمنا قليلا هو متاع
الدنيا من طلب الرياسة والرشا اولئك لا خلاق لهم في الآخرة اي لا نصيب لهم فيها ولا يكلمهم
بكلام يسرهم ولا ينظر اليهم يوم القيامة برحمة ولا يزكيهم لا يثني عليهم بخير ولهم عذاب اليم
وهو بارحهم وان منهم يعني من اليهود المحرفة لفريقا اي جماعة وهم كعب بن الاشرف ومالك بن
الصيف وحيي بن اخطب وغيرهم يلوون السنتهم بالكتاب اي يفتلونها بقراءته عن الفصيح
الى المحرف لتحسبوه اي لتحسبوا المحرف من الكتاب يفعلون ذلك ليحسبه المسلمون من الكتاب وهو

التورية وما هو من الكتاب رد عليهم وتكذيب لهم على التحريف ويقولون هو من عند الله
تأكيد وزيادة تشنيع عليهم وتسجيل بالكذب ودلالة على انهم لا يعرضون وانما يصرحون بانه
في التورية هكذا انزله الله على موسى كذلك لفرط جراءتهم على الله وقساوة قلوبهم ويأسهم من الآخرة
وعن ابن عباس هم اليهود الذين قدموا على كعب بن الاشرف لعنه الله غيروا التورية وكتبوا فيها
وبدلوا صفة رسول الله صلى الله عليه وآله ثم اخذت قريظة ما كتبوه فخلطوه بالكتاب الذي عندهم
وما هو من عند الله رد عليهم ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون انهم كاذبون على الله فيما نسبوا
اليه من المحرف ما كان لبشر ان يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عبادا
لي من دون الله هذا تكذيب لمن اعتقد عبادة عيسى اي ما صح لادمي ولا ينبغي له ان يؤتيه الله
الكتاب المنزل عليه كالقرآن والحكم اي الحكمة وهي العلم والسنة ثم يأمر الناس بعبادته من دون
الله وهو عبد مثلهم وقيل ان ابا رافع القرظي والسيد من نصارى نجران قالا للرسول صلى الله عليه وسلم
اتريد ان نعبدك ونتخذك ربا فقال معاذ الله ان نعبد غير الله او ان نأمر بعبادة غير الله عز وجل
فما لذلك بعثني ولا بذلك امرني فنزلت ولكن كونوا ربانيين اي علماء معلمين وقيل فقهاء علماء ويقال
للعالم رباني وهو منسوب الى الرب وهو الشديد التمسك بدين الله وطاعته وعن ابن الحنفية
انه قال حين مات ابن عباس اليوم مات رباني هذه الامة بما كنتم تعلمون الكتاب اي بسبب كونكم
عالمين بالكتاب وما فيه من الحلال والحرام والامر والنهي وبما كنتم تدرسون اي بسبب كونكم
دارسين للعلم اوجب ان تكون الربانية التي هي قوة التمسك بطاعة الله مسببة عن العلم والدراسة
وكفى به دليلا على خيبة سعي من جهد نفسه وكد روحه في جمع العلم ثم انه لم يجعله ذريعة الى العمل
فكان مثله مثل من غرس شجرة حسناء تونقه بمنظرها ولا تنفعه بثمرها ومن ان من علم ودرس العلم
ولم يعمل به فليس من الله في شيء وان النسبة بينه وبين ربه منقطعة حيث لم تثبت النسبة الله الا
للمتمسكين بطاعته وعن ابن عباس قال النبي صلى الله عليه وآله ما من مؤمن ذكر ولا انثى حر او مملوك الا ولله
عليه حق واجب ان يتعلم من القرآن ويتفقه فيه ثم تلا ولكن كونوا ربانيين ولا يأمركم ان تتخذوا الملائكة
والنبيين اربابا معناه ما كان لبشر ان يستنبئه الله وينصبه للدعاء الى اختصاص الله بالعبادة
وترك الانداد ثم يأمر الناس بان يكونوا عبادا له ويأمركم ان تتخذوا الملائكة والنبيين اربابا ولا
مزيدة لتأكيد معنى النفي في قوله ما كان لبشر وقيل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ينهى قريشا
عن عبادة الملائكة واليهود والنصارى عن عبادة عزير والمسيح فلما قالوا له انتخذك ربا قيل لهم ما
كان لبشر ان يستنبئه الله ثم يأمر الناس بعبادته وينهاكم عن عبادة الملائكة والانبياء
أيأمركم الهمزة للانكار يعني ايأمركم النبي بالكفر الذي هو عبادة الملائكة والانبياء بعد اذ انتم
مسلمون اي بعد حصول اسلامكم وفيه دليل على ان المخاطبين كانوا مسلمين وهم الذين استأذنوه ان

ثمن

يحتمل ان يراد ميثاق اولاد النبيين وهم بنو اسرائيل
تحمدوا له وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لانهم كانوا يقولون نحن اولى بالنبوة من محمد لانا
ويحتمل ان يريد اهل الكتاب على سبيل الاستهزاء بهم لما آتيتكم من كتاب وحكمة اللام لما اسم لام
اهل الكتاب ومنا كان النبيون في معنى الاستحلاف وجواب القسم لتؤمنن
الموطئة لان اخذ الميثاق في معنى الاستحلاف وجواب القسم
اي المقدمة سد جواب القسم لان اخذ الميثاق وحكمة اي سنة وشريعة لتؤمنن به وقرأ حمزة
بمعنى تعلمناكم للذي آتيناكموه من كتاب منزل وحكمة اي سنة وشريعة لتؤمنن به ثم جاءكم رسول مصدق
لما آتيتكم بكسر اللام ومعناه لاجل ايتاي اياكم بعض الكتاب والحكمة
لما معكم اي ثم لاجل مجيء رسول مصدق لما معكم اي لما آتيناكم من كتاب وحكمة فاللام
للتعليل على معنى اخذ الله ميثاقهم لتؤمنن بالرسول ولتنصرنه لاجل اني آتيتكم الكتاب والحكمة
ولاجل ان الرسول الذي امركم بالايمان به ونصرته موافق لكم غير مخالف لما معكم لتؤمنن
به اي لتصدقونه ولتنصرنه بالتصديق قال أأقررتم اي على انفسكم بلزوم الميثاق ولكم
وأخذتم على ذلكم إصري يعني على الذي اقررتم بلزومه لكم إصري اي عهدي وسمي اصرا لانه
قالوا أقررنا يعني بلزوم ذلك لنا قال فاشهدوا يعني فليشهد
مما يؤصر اي يشد ويعقد فاشهدوا على اقراركم وانا معكم من الشاهدين وهذا
بعضكم على بعض بالاقرار وانا معكم على اقراركم وشاهدكم من الشاهدين وهذا
توكيد عليهم وتحذير من الرجوع اذا علموا شهادة الله وشهادة بعضهم على بعض وقيل
الخطاب للملائكة فمن تولى بعد ذلك يعني الميثاق والتوكيد فأولئك هم الفاسقون
المتمردون من الكفار أفغير دين الله يبغون هذا على معنى الانكار عليهم ان يطلبوا غير دين
الله وهو دين الحق روي ان اهل الكتاب اختصموا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما اختلفوا
فيه من دين ابرهيم عليه السلام وكل واحد من الفريقين ادعى انه اولى به فقال صلى الله عليه وسلم
كلا الفريقين بريء من دين ابرهيم فقالوا ما نرضى بقضائك ولا نأخذ بدينك فنزلت الاية
وله أسلم من في السموات والأرض طوعا بالنظر في الادلة والانصاف من نفسه وكرها بالسيف
او بمعاينة ما يلجئ الى الاسلام كنتق الجبل على بني اسرائيل وادراك الغرق فرعون والاشفاء على
الموت وإليه يرجعون اي الى حكمه وجزائه قل آمنا بالله امر للرسول صلى الله عليه وسلم
ان يخبر عن نفسه وعمن معه من المؤمنين بالايمان فلذلك افرد المامور به وقيل وجمع في آمنا ويجوز ان يؤمر
بان يتكلم عن نفسه كما يتكلم الملوك اجلالا من الله لقدر نبيه صلى الله عليه وآله وما أنزل علينا
من الوحي وما أنزل على إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب اي وما انزل على هؤلاء الانبياء
والأسباط هم اولاد ابناء يعقوب الاثني عشر والسبط الحافد وهو ولد الولد وما أوتي موسى
وعيسى من التورية والانجيل والمعجزات والنبيون من ربهم وما اوتي هؤلاء الانبياء من ربهم
من الوحي والكتب لا نفرق بين أحد منهم يعني لا نؤمن بالبعض دون البعض كما فعلت اليهود

والنصارى ونحن له مسلمون موحدون مخلصون انفسنا لله لا نجعل له شريكا في العبادة ومن
يبتغ غير الإسلام دينا اي من يطلب غير الاسلام وهو التوحيد واخلاص الوجه لله دينا فلن
يقبل منه لانه دين باطل وهو في الآخرة من الخاسرين يعني من الذين وقعوا في الخسران مطلقا
من كل وجه كيف يهدي الله قوما كفروا بعد إيمانهم وشهدوا أن الرسول حق وجاءهم البينات
اي كيف يلطف بهم وليسوا من اهل اللطف بما علم من اصرارهم على كفرهم وتصميمهم عليه ودل على
تصميمهم بانهم كفروا بعد ايمانهم وبعد ما شهدوا بان الرسول حق وبعد ما جاءهم الشواهد من
القرآن وسائر المعجزات التي تثبت بها النبوة قال ابن عباس رضي الله عنه وهم اليهود
كفروا بالنبي بعد ان كانوا مؤمنين به وذلك حين بعث من غيرهم وقيل نزلت في رهط كانوا اسلموا
ثم رجعوا عن الاسلام ولحقوا بمكة منهم طعمة بن ابيرق ووحوح بن الاسلت والحارث بن سويد
والله لا يهدي القوم الظالمين اي لا يلطف بالمعاندين الذين علم ان اللطف لا ينفعهم أولئك جزاؤهم
أن عليهم لعنة الله هي البعد من رحمته والملائكة والناس أجمعين لعنة الملائكة والناس
دعاؤهم عليهم باللعن وهو الابعاد من رحمة الله واراد بالناس المؤمنين الذين يعتد بلعنهم
خالدين فيها باقين دائمين في اللعنة وقيل في النار لا يخفف عنهم العذاب اي لا يسهل
مما يستحقون ولا هم ينظرون يمهلون إلا الذين تابوا من بعد ذلك الكفر والارتداد وأصلحوا
ما افسدوا من احوالهم واسروا منهم او دخلوا في الصلاح قيل نزلت في الحارث بن سويد حين ندم
على ردته وارسل الى قومه ان سلوا هل لي من توبة فارسل اليه اخوه الجلاس بالاية فاقبل الى
المدينة فتاب وقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم توبته فإن الله غفور رحيم يغفر كفرهم
وردتهم ويرحمهم بقبول توبتهم إن الذين كفروا بعد إيمانهم ثم ازدادوا كفرا هم اليهود كفروا بعيسى
والانجيل بعد ايمانهم بموسى والتورية ثم ازدادوا كفرا بكفرهم بمحمد والقرآن وقيل نزلت
في الذين ارتدوا ولحقوا بمكة وازديادهم الكفر ان قالوا نقيم بمكة نتربص بمحمد ريب المنون
وان اردنا الرجعة نافقنا باظهار التوبة لن تقبل توبتهم يعني الذين ماتوا على الكفر
منهم كهؤلاء لان الله قد علم منهم انهم يموتون على الكفر والا فالتوبة مقبولة لكنه كنى عن الموت
على الكفر بامتناع قبول التوبة لان الفائدة فيه جليلة وهي التغليظ في شان اولئك الفريق من
الكفار وابراز حالهم في صورة الايسين من الرحمة وأولئك هم الضالون الطريق الهدى الموتهم
على الكفر إن الذين كفروا وماتوا وهم كفار فلن يقبل من أحدهم ملء الأرض ذهبا ولو افتدى به
معناه فلن يقبل من احدهم فدية من نفسه ولو افتدى بملء الارض ذهبا اي لو اراد ان يتخلص نفسه
من العذاب بذلك لم يقبله الله منه أولئك يعني الذين ماتوا على الكفر لهم عذاب أليم وما لهم من
ناصرين ينصرونهم بدفع العذاب عنهم لن تنالوا البر لن تبلغوا حقيقة البر ولن تكونوا

من الصاحب

الجزء الرابع

ابرارا وقيل لن تنالوا بر الله وثوابه **حتى تنفقوا مما تحبون** حتى يكون نفقتكم من اموالكم التي تحبونها وتؤثرونها وكان السلف رحمهم الله تعالى اذا احبوا شيئا جعلوه لله وروى انها لما نزلت جاء ابو طلحة فقال يا رسول الله ان احب اموالي الي بيرحاء فضعها يا رسول الله حيث اراك الله فقال صلى الله عليه وآله بخ بخ ذلك مال رابح واني ارى ان تجعلها في الاقربين فقال ابو طلحة افعل يا رسول الله فقسمها في اقاربه وجاء زيد بن حارثة بفرس له كان يحبها فقال هذه في سبيل الله فحمل عليها رسول الله صلى الله عليه وآله اسامة بن زيد فكان زيد وجد في نفسه وقال انما اردت ان اتصدق به فقال رسول الله صلى الله عليه وآله اما ان الله تعالى قد قبلها منك وكتب عمر رضي الله الى ابي موسى ان يبتاع له جارية من سبي جلولاء يوم فتحت مدائن كسرى فلما جاءته اعجبته فقال ان الله تعالى يقول لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون فاعتقها ونزل بابي ذر ضيف فقال للراعي ائتني بخير ابلي فجاء بناقة مهزولة فقال له خنتني فقال وجدت خير الابل فحلها فذكرت يوم حاجتكم اليه فقال ان يوم حاجتي اليه ليوم اوضع في حفرتي **وما تنفقوا من شيء** اي من شيء كان طيب تحبونه او خبيث تكرهونه **فان الله به عليم** فيجازيكم بحسبه **كل الطعام كان حلا لبني اسرائيل** اي كل المطعومات او كل انواع الطعام كان حلا اي حلالا **الا ما حرم اسرائيل على نفسه** اسرائيل هو يعقوب عليه السلام ومعناه صفوة الله والذي حرم على نفسه لحوم الابل والبانها وقيل العروق كان به عرق النسا فنذر ان شفي ان يحرم على نفسه احب الطعام اليه وكان ذلك احبه اليه فحرمه وقيل اشار عليه الاطباء باجتنابه ففعل وهو باذن من الله فهو كتحريم الله ابتداء والمعنى ان المطاعم كلها لم تزل حلالا لبني اسرائيل **من قبل ان تنزل التورية** اي من قبل انزالها وتحريم ما حرم عليهم منها لظلمهم وبغيهم ولم يحرم عليهم شيء قبل ذلك غير المطعوم الواحد الذي حرمه ابوهم اسرائيل على نفسه فتبعوه على تحريمه وهو رد على اليهود وتكذيب لهم حيث ارادوا براءة ساحتهم مما نطق به القرآن من تحريم الطيبات عليهم لبغيهم وظلمهم فقالوا لسنا اول من حرمت عليه وما هو الا تحريم قديم كانت محرمة على نوح وابراهيم ومن بعده من بني اسرائيل الى ان انتهى التحريم علينا فعرضهم بذلك تكذيب شهادة الله عليهم بالبغي والظلم والصد عن سبيل الله واكل الربا واخذ اموال الناس بالباطل وما عدد من مساويهم التي كلما ارتكبوا منها كبيرة حرم عليهم نوع من الطيبات عقوبة لهم **قل فأتوا بالتورية فاتلوها** فاقرؤوها امر بان يحاجهم بكتابهم ويبكتهم بما هو ناطق به من ان تحريم ما حرم عليهم تحريم حادث بسبب ظلمهم وبغيهم لا تحريم قديم فروي انهم لم يجسروا على اخراج التورية وبهتوا وانقلبوا صاغرين وفي ذلك الحجة البينة على صدق النبي صلى الله عليه وآله وعلى جواز النسخ الذي ينكرونه **ان كنتم صادقين** في دعواكم انه تحريم قديم **فمن افترى على**

الله الكذب اي كذب على الله بزعمه ان ذلك كان محرما على بني اسرائيل قبل انزال التورية **من بعد ذلك** اي من بعد ما لزمتهم الحجة القاطعة **فاولئك هم الظالمون** المكابرون الذين لا ينصفون من انفسهم **قل يا محمد صدق الله** هذا تعريض بكذبهم اي ثبت ان الله صادق فيما انزل وانتم الكاذبون **فاتبعوا ملة ابراهيم حنيفا** وهي ملة الاسلام التي عليها محمد واصحابه حتى تتخلصوا من اليهودية التي ورطتكم في فساد دينكم ودنياكم حيث اضطرتكم الى تحريف كتاب الله لتسوية اغراضكم والزمتكم تحريم الطيبات التي احلها الله لابراهيم ومن تبعه **وما كان من المشركين** تعريض بما هم عليه من الشرك **ان اول بيت وضع للناس** معنى وضعه انه جعله متعبدا لهم وكانه قال ان اول متعبد للناس الكعبة وعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم انه سئل عن اول مسجد وضع للناس فقال المسجد الحرام ثم بيت المقدس وسئل كم بينهما قال اربعون سنة **وعن علي عليه السلام** قال له رجل اهو اول بيت قال لا قد كان قبله بيوت ولكنه اول بيت وضع للناس مباركا فيه الهدى والرحمة والبركة واول من بناه ابراهيم ثم بناه قوم من العرب من جرهم ثم هدم فبنته العمالقة ثم هدم فبناه قريش وعن ابن عباس هو اول بيت حج بعد الطوفان وقيل هو اول بيت ظهر على وجه الارض عند خلق السماء والارض خلقه قبل الارض بالفي عام وكان زبدة بيضاء على الماء فدحيت الارض تحته وقيل هو اول بيت بناه آدم في الارض وقيل لما هبط آدم قالت له الملائكة طف حول هذا البيت فلقد طفناه قبلك بالفي عام وكان في موضعه قبل آدم بيت يقال له الضراح فرفع في الطوفان الى السماء الرابعة تطوف به ملائكة السموات **للذي ببكة** اي للبيت الذي ببكة وهي علم للبلد الحرام وبكة ومكة اسمان لها وقيل بكة البلد ومكة موضع المسجد وقيل سميت بكة لانها تبك اعناق الجبابرة اي تدقها لم يقصدها جبار الا قصمه الله **مباركا** كثير البركة لما يحصل لمن حجه واعتمره واعتكف عنده وطاف حوله من الثواب وتكفير الذنوب **وهدى للعالمين** لانه قبلتهم ومتعبدهم **فيه آيات بينات** اي معجزات واضحات **مقام ابراهيم** عطف بيان لقوله آيات بينات وصح بيان الجمع بالمفرد لانه وحده بمنزلة آيات كثيرة لظهور شأنه وقوة دلالته على قدرة الله ونبوة ابراهيم عليه السلام من تاثير قدمه في حجر صلد او لكونه مشتملا على آيات لان اثر القدم في الصخرة الصماء آية وغوصه فيها الى الكعبين آية والانة بعض الصخرة دون بعض آية وابقاؤه دون سائر آيات الانبياء آية لابراهيم خاصة وحفظه مع كثرة اعدائه من المشركين واهل الكتاب والملاحدة الوف سنة آية ويجوز ان يراد فيه آيات بينات مقام ابراهيم وامن من دخله لان الاثنين نوع من الجمع ويجوز ان يذكر هاتان الآيتان ويطوى ذكر غيرهما دلالة على تكاثر الآيات كانه قيل فيه آيات بينات مقام ابراهيم وامن من دخله وكثير سواهما ومنه قوله عليه السلام حبب الي من دنياكم ثلاث الطيب والنساء وجعلت قرة عيني في الصلوة **قال رضي الله عنه** ترك الثالثة ولو ذكرها لقال

سؤال [illegible] الجواب [illegible]

تذكر شيئا من الدنيا فتدارك وذكر ما هو من الدين
والخصنان تنبيها على انه لم يكن من شأنه ان [illegible] عين الكمال الذي بسبب اثر قدم ابرهيم في الحجر
وقيل انما طوى ذكرهما لشهرتهما بحجيتهما وصيانة لهما [illegible] عن حمل الحجارة قام على هذا الحجر فغاصت
قولان احدهما انه لما ارتفع بناء الكعبة وضعف ابرهيم فقالت له امرأة اسمعيل انزل حتى تغسل رأسك
فيه قدماه وقيل انه جاء زائرا من الشام الى مكة فوضع قدمه عليه حتى غسلت شق رأسه ثم
فلم ينزل فجاءته بهذا الحجر فوضعته على شقه الايمن **وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا** وذلك بدعوة ابرهيم
حولته الى الايسر حتى غسلته فبقي اثر قدميه عليه وكان الرجل لو جر كل جريرة ثم لجأ الى الحرم لم يطلب وعن عمر
عليه السلام رب اجعل هذا البلد آمنا وعن ابي حنيفة من لزمه القتل في
رض لو ظفرت فيه بقاتل الخطاب ما مسسته حتى يخرج منه الا انه لا يسقى ولا يطعم ولا يبايع حتى
الحل بقصاص او ردة او زنا فالتجأ الى الحرم لم يتعرض له واما اذا هتك الحرمة في الحرم فقد هتكنا
يضطر الى الخروج ومذهبنا انه لا يتعرض له حتى يخرج وقيل آمنا من النار
انه يقتص منه في مكانه الا ان يلتجئ الى الكعبة فانه يكون [illegible] يدخل المسجد
وفي الحديث من مات في احد الحرمين بعث يوم القيامة آمنا وفيه الحجون والبقيع
يؤخذ باطرافهما وينثران في الجنة وهما مقبرتا مكة والمدينة وفيه انه وقف على ثنية الحجون
وليس بها يومئذ مقبرة فقال يبعث الله من هذه المقبرة ومن هذا الحرم كله سبعين الفا
وجوههم كالقمر ليلة البدر يدخلون الجنة بغير حساب وفيه من صبر على حر مكة ساعة من
نهار تباعدت منه جهنم مسيرة مائتي عام **وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ** اي لله واجب عليهم وهو
في رقابهم حج البيت قصده واتيانه بالعبادة المخصوصة على الوجوه المخصوصة **مَنِ اسْتَطَاعَ**
إِلَيْهِ سَبِيلًا فسر رسول الله صلى الله عليه وآله الاستطاعة بالزاد والراحلة وهو مروي عن ابن عباس
وابن عمر وعليه اكثر العلماء وعن مالك اذا وثق بقوته لزمه ومن الضحاك اذا قدر ان يوجر نفسه
فهو مستطيع وقال ان كان لبعضهم ميراث بمكة اكان يتركه بل ينطلق اليه ولو حبوا فكذلك
يجب عليه الحج ومذهب ائمتنا عليهم السلام ان الاستطاعة لا تكون الا بمجموع شروط اربعة الزاد والراحلة
وصحة البدن وامان الطريق الامن المعتاد وهو ما يمكن دفع الخوف معه بالجند والاثر بين
الدرو اليسير الامن بغالب الظن وعن بعض اكابر ائمتنا ان القوة على المشي تقوم مقام
الراحلة **وَمَن كَفَرَ** اي لم يحج تغليظا على تاركه **فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ** وفي هذا
الكلام انواع من التاكيد والتشديد منها قوله ولله على الناس يعني انه حق واجب في رقابهم
لا ينفكون عن ادائه والخروج من عهدته ومنها قوله ومن كفر مكان ومن لم يحج ولذلك قال النبي
صلى الله عليه وآله من مات ولم يحج فليمت ان شاء يهوديا او نصرانيا ومنها ذكر الاستغناء عنه وهو
مما يدل على المقت والسخط والخذلان ومنها قوله عن العالمين ولم يقل عنه لانه اذا استغنى عن

العالمين تناوله العموم لا محالة لانه يدل على الاستغناء الكامل وهو ادل على عظم السخط
وقيل نزلت في اليهود فانهم قالوا الحج الى مكة غير واجب وعن ابن مسعود حجوا هذا البيت قبل ان
تنبت في البادية شجرة لا تاكل منها دابة الا نفقت اي هلكت وعن عمر لو ترك الناس الحج عاما واحدا ما
نوظروا **وفي الحديث** حجوا قبل ان لا تحجوا قبل ان يمنع البر جانبه **قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ**
لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ السمعية الدالة على نبوة محمد صلى الله عليه وآله **وَاللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ**
على اعمالكم فمجازيكم عليها **قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ** اي لم تصرفون
الناس عن دين حق علم انه سبيل الله التي امر بسلوكها وهو الاسلام وكانوا يفتنون المؤمنين ويحتالون
لصدهم عنه ويمنعون من اراد الدخول فيه بجهدهم وقيل اتت اليهود [illegible] رسول الله صلى الله عليه وآله
الاوس والخزرج فذكروهم ما كان بينهم في الجاهلية من العداوات والحروب ليعودوا لمثله **تَبْغُونَهَا**
عِوَجًا اي يطلبون للسبيل اعوجاجا وميلا عن القصد والاستقامة بمعنى انكم تلبسون على الناس
حتى يوهموهم ان فيها عوجا بقولكم ان شريعة موسى لا تنسخ وبتغييركم صفة رسول الله صلى الله عليه وآله
عن وجهها **وَأَنتُمْ شُهَدَاءُ** انها سبيل الله التي لا يصد عنها الا ضال مضل او معناه وانتم شهداء بين
اهل دينكم عدول يثقون باقوالكم ويستشهدونكم في عظائم امورهم وهم الاحبار **وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا**
تَعْمَلُونَ وعيد لهم **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تُطِيعُوا فَرِيقًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ**
إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ قيل مر شاس بن قيس اليهودي وكان عظيم الكفر شديد الطعن على المسلمين
شديد الحسد لهم على نفر من الانصار من الاوس والخزرج في مجلس يتحدثون فغاظه ذلك حيث تالفوا
واجتمعوا بعد الذي كان بينهم في الجاهلية من العداوة وقال ما لنا معهم اذا اجتمعوا من قرار
فامر شابا من اليهود ان يجلس اليهم ويذكرهم يوم بعاث وينشدهم ما قيل فيه من الاشعار وكان يوما
اقتتلت فيه الاوس والخزرج وكان الظفر فيه للاوس ففعل فتنازع القوم عند ذلك وتفاخروا وتغا[ضبوا]
وقالوا السلاح السلاح فبلغ النبي صلى الله عليه وآله فخرج اليهم فيمن معه من المهاجرين والانصار
فقال ابدعوى الجاهلية وانا بين اظهركم بعد اذ اكرمكم الله بالاسلام وقطع به عنكم امر الجاهلية
والف بينكم فعرف القوم انها نزغة من الشيطان وكيد من عدوهم فالقوا السلاح وبكوا وعانق بعضهم
بعضا ثم انصرفوا مع رسول الله صلى الله عليه وآله فما كان يوم اقبح اولا واحسن آخرا من ذلك اليوم
والفريق شاس ومن معه من اليهود **وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ**
معنى الاستفهام فيه الانكار والتعجب والمعنى من اين يتطرق اليكم الكفر وحالكم ان
آيات الله وهي القرآن المعجز تتلى عليكم على لسان الرسول غضة طرية اي قريبة العهد وبين
اظهركم رسول الله صلى الله عليه وآله ينبهكم ويعظكم **وَمَن يَعْتَصِم بِاللَّهِ** اي يتمسك بدينه وبآياته
وسنته **فَقَدْ هُدِيَ** حصل له الخير والهدى لا محالة **إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ** اي طريق ثابت

اتَّقُوا اللهَ حَقَّ تُقَاتِهِ أي حق تقواه وما يجب منها وهو

وهو دين الإسلام **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا** والمعنى بالغوا في التقوى حتى لا يتركوا منها شيئا ومثله فاتقوا الله
القيام بالواجب واجتناب المحارم وعن ابن مسعود هو أن يطاع فلا يعصى ويشكر
ما استطعتم وليس بناسخ لهذه كما زعم بعض المفسرين ويقوموا بالقسط ولو على نفسه أو
فلا يكفر ويذكر فلا ينسى وقيل هو أن لا تأخذه في الله لومة لائم حتى يخزن لسانه **وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ**
ابنه أو أبيه وقيل لا يتقي الله عبد حق تقاته إذا أدرككم الموت لأنه يكون في كل طرفة عين ۝
معناه ولا تكونن على حال سوى حال الإسلام الاعتصام بحبل الله مثل لاستعانته به والوثوق بحمايته ويجوز
وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعًا والمعنى واجتمعوا على استعانتكم بالله ووثوقكم به أو اجتمعوا على الإيمان به والمعنى
أن يكون الحبل استعارة لعهد الله الذي عهد إلى عباده وهو الإيمان والطاعة أو
كتابه لقوله صلى الله عليه وآله القرآن حبل الله المتين لا تنقضي عجائبه ولا يخلق عن كثرة الرد من
قال به صدق ومن عمل به رشد ومن اعتصم به هدي إلى صراط مستقيم **وَلَا تَفَرَّقُوا** عن الحق
بوقوع الاختلاف بينكم كما اختلف اليهود والنصارى أو كما كنتم متفرقين في الجاهلية متدابرين
يعادي بعضكم بعضا ويحاربه أو لا تحدثوا ما يكون عنه التفرق ويزول معه الاجتماع **وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ**
اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا كانوا في الجاهلية بينهم الإحن والعداوات
والحروب المتواصلة فألف الله بين قلوبهم بالإسلام وقذف فيها المحبة فتحابوا وتوافقوا وصاروا إخوانا
متراحمين متناصحين مجتمعين على أمر واحد قد نظم بينهم وأزال الاختلاف وهو الأخوة في الله وقيل هم الأوس
والخزرج كانا أخوين لأب وأم فوقعت بينهم العداوة وتطاولت الحروب مائة وعشرين سنة إلى أن
أطفأها الله بالإسلام وألف بينهم برسول الله صلى الله عليه وآله **وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ** أي مشفين
على أن تقعوا في نار جهنم لما كنتم عليه من الكفر **فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا** بالإسلام والضمير للحفرة أو للنار أو شفا
الحفرة جهنم **كَذَلِكَ** أي مثل ذلك البيان البليغ **يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ** ۝
أي إرادة أن تزدادوا هدى **وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ** أي جماعة **يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ** الخير عام في كل فعل
مرضي **وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ** المعروف ما أمر الله به ورسوله والمنكر ما نهى الله
عنه ورسوله من للتبعيض في قوله ولتكن منكم أمة لأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من فروض
الكفايات ولأنه لا يصلح له إلا من علم المعروف والمنكر وعلم كيف يرتب الأمر في إقامته وكيف يباشر
فإن الجاهل ربما نهى عن معروف وأمر بمنكر وربما عرف الحكم في مذهبه وجهله في مذهب صاحبه فنهاه
عن غير منكر وقد يغلظ في موضع اللين ويلين في موضع الغلظة وينكر على من لا يزيده إنكاره إلا تماديا
أو على من الإنكار عليه عبث كالإنكار على أصحاب المكوس وأضرابهم وقيل من للتبيين وكونوا
أمة يأمرون **وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ** الأخصاء بالفلاح وهو الظفر بمطلوبهم وعن النبي صلى الله عليه

وآله أنه سئل وهو على المنبر من خير الناس قال آمرهم بالمعروف وأنهاهم عن المنكر وأتقاهم لله تعالى
وأوصلهم وعنه عليه السلام من أمر بالمعروف ونهى عن المنكر فهو خليفة الله في أرضه وخليفة رسول الله
وخليفة كتابه **وعن علي عليه السلام** أفضل الجهاد الأمر بالمعروف والنهي
عن المنكر ومن شنئ الفاسقين وغضب لله تعالى غضب الله له وعن حذيفة يأتي على الناس
زمان تكون فيهم جيفة الحمار أحب إليهم من مؤمن يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر وعن سفيان الثوري
إذا كان الرجل محببا في جيرانه محمودا عند إخوانه فاعلم أنه مداهن والأمر بالمعروف تابع للمأمور
به إن كان واجبا فواجب وإن كان ندبا فندب وأما النهي عن المنكر فواجب كله لأن المنكر تركه واجب
لاتصافه بالقبح وأما المكروه كراهة تنزيه فلا يسمى منكرا والنهي عنه مندوب مثل تركه وشرائط
النهي على مذهب أصحابنا عليهم السلام أن يعلم الناهي أنما ينكره قبيح لأنه إذا لم يعلم لم يأمن أن ينكر الحسن
وأن لا يكون ما نهى عنه واقعا لأن الواقع لا يحسن النهي عنه وإنما يحسن الذم عليه وأن لا يغلب على
ظنه أن المنهي يزيد في منكراته وأن لا يغلب على ظنه أن نهيه لا يؤثر لأنه عبث وأن يغلب على ظنه وقوع
المعصية نحو أن يرى الشارب قد هيأ آلات شرب الخمر بإعداد الآلة وأن لا يغلب على ظنه أنه إن أنكر
لحقته مضرة عظيمة ويجب على كل مسلم تمكن منه واختص بشرائطه وقد أجمعوا على أن من رأى غيره تاركا
للصلاة وجب عليه الإنكار لأنه معلوم قبحه لكل أحد ويبتدئ في الإنكار بالسهل فإن لم ينفع فالكلام
الخشن والتهدد فإن لم ينفع فالضرب ثم بالقتل لأن الغرض كف المنكر قال الله تعالى فأصلحوا بينهما
ثم قال فقاتلوا والإنكار بالقتال يجب على الإمام وخلفائه لأنهم أعلم بالسياسة ومعهم عدتها ويؤمر
وينهى كل مكلف وغير المكلف إذا هم بضرر غيره كالصبيان والمجانين وينهى الصبيان عن المحرمات
حتى لا يتعودوها كما يؤخذون بالصلاة ليمرنوا عليها ويجب على مرتكب المنكر أن ينهى عما ارتكبه لأن
ترك إنكاره وارتكابه واجبان عليه فتركه أحد الواجبين لا يسقط عنه الواجب الآخر وعن السلف
مروا بالخير وإن لم تفعلوا وعن الحسن أنه سمع بعضهم يقول لا أقول ما لا أفعل فقال وأينا يفعل
ما يقول ود الشيطان لو ظفر بهذه منكم فلا يأمر أحد بمعروف ولا ينهى عن منكر وقال يدعون
إلى الخير ويأمرون بالمعروف والنهي عن المنكر خاص فجيء بالعام ثم عطف عليه الخاص إعلاما بفضله

من الافعال والتروك والامر بالمعروف صح

وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا أي ولا تكونوا يا مسلمون كاليهود والنصارى الذين تفرقوا
في دينهم واختلفوا **مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ** المعجزات والدلائل الموجبة للاتفاق على كلمة واحدة
وهي كلمة الحق وقيل هم مبتدعوا هذه الأمة وهم المشبهة والمجبرة والحشوية وأشباههم **وَأُولَئِكَ لَهُمْ**
عَذَابٌ عَظِيمٌ يعني أولئك المتفرقون المختلفون لهم في الآخرة عذاب لا أعظم منه وهو عذاب النار
يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ البياض من النور والسواد من الظلمة فمن كان من أهل نور الحق وسم
ببياض اللون وإسفاره وابيضت صحيفته وأشرقت وسعى النور بين يديه وبيمينه ومن كان من أهل الظلمة

صحيفته واظلمت واحاطت به الظلمة من كل جانب يعود
للباطل وسم بسواد اللون وكسوفه واسودت **فأما الذين اسودت وجوههم أكفرتم بعد إيمانكم**
بالله وسعة رحمته من ظلمات الباطل واهله والظاهر انهم اهل الكتاب وكفرهم بعد الايمان بمحمد
تعالى لما اكفرتم توبيخ لهم وتعجيب من حالهم وعن عطا تبيض وجوه المهاجرين والانصار
رسول الله صلى الله عليه وآله بعد اعترافهم به قبل بعثه وعن ابي امامة هم الخوارج **فذوقوا العذاب** اي ذوقوا مرارته وحرارته
وتسود وجوه بني قريظة والنضير **وأما الذين ابيضت وجوههم ففي رحمة الله**
بما كنتم تكفرون بسبب ما كنتم عليه في الدنيا من الكفر **هم فيها خالدون** اي في نعمته وهو الثواب المخلد وهم فيها خالدون لا يظعنون عنها ولا يموتون **تلك**
آيات الله الواردة في الوعد والوعيد **نتلوها عليك** نقرؤها ملتبسة **بالحق** والعدل من
جزاء المحسن والمسيء بما يستوجبانه **وما الله يريد ظلما** فيأخذ احدا بغير جرم او يزيد في عقاب مجرم
او ينقص من ثواب محسن وقال **للعالمين** على معنى ما يريد شيئا من الظلم لاحد من خلقه

فسبحان من يحلم عمن يصفه بإرادة القبائح والرضى بها

ولله ما في السماوات وما في الأرض من المخلوقين وغيرهم **وإلى الله** اي الى حكمه وجزائه
ترجع الأمور امور خلقه يوم القيامة وجزاؤهم فيحكم فيها بعلمه وعدله **كنتم خير أمة** يعني وجدتم
خير امة وقيل كنتم في علم الله خير امة وقيل كنتم في الامم قبلكم مذكورين موصوفين بانكم خير امة **أخرجت**
للناس اي اظهرت **تأمرون بالمعروف** الذي هو الحسن **وتنهون عن المنكر** الذي هو القبيح
وتؤمنون بالله جعل الايمان بكل ما يجب الايمان به ايمانا بالله لان من آمن ببعض ما يجب الايمان به من
رسول او كتاب او بعث او حساب او عقاب او ثواب لم يعتد بايمانه فكأنه غير مؤمن بالله •
ولو آمن أهل الكتاب هم اليهود بمحمد وما جاء به **لكان** الايمان **خيرا لهم** مما هم عليه لانهم انما
آثروا دينهم على دين الاسلام حبا للرياسة واستتباع العوام ولو آمنوا لكان لهم من الرياسة
والاتباع وحظوظ الدنيا ما هو خير لهم مما آثروا دين الباطل لاجله مع الفوز بما وعدوه على الايمان
من اتيان الاجر مرتين **منهم المؤمنون** كعبد الله بن سلام واصحابه **وأكثرهم الفاسقون** المتمردون
في الكفر **لن يضروكم إلا أذى** اي لن يضركم اهل الكتاب الاضرارا مقتصرا على اذى بقول من طعن
في الدين او تهديد لكم **وإن يقاتلوكم يولوكم الأدبار** منهزمين ولا يضروكم بقتل او اسر **ثم لا**
ينصرون لا يكون لهم نصر من احد ولا يمنعون منكم وفيه تثبيت لمن اسلم منهم لانهم كانوا يؤذونهم بالتهي
والتوبيخ والتضليل واخبار بانهم لا يقدرون على تجاوز الاذى بالقول الى ضرر يبالى به مع انه
وعدهم الغلبة عليهم والانتقام منهم وان عاقبة امرهم الذل والخذلان وكان كما اخبر من حال بني
قريظة والنضير وبني قينقاع ويهود خيبر **ضربت عليهم الذلة** اي ضربت على اليهود الذلة
اي الذل والصغار ومعنى ضربها عليهم انها محيطة بهم لا يخرجون عنها **أينما ثقفوا** اي حيثما

وجدوا الثقفوا الوجود مع القدرة على الموجود **إلا بحبل من الله وحبل من الناس** اي الا بذمة الله
وذمة من المسلمين والمعنى ضربت عليهم الذلة في عامة الاحوال الا في حال اعتصامهم بحبل الله وحبل
من الناس يعني ذمة الله وذمة المسلمين اي لا عز لهم قط الا هذه الواحدة وهي التجاؤهم الى الذمة لما قبلوا
من الجزية **وباؤوا بغضب من الله** اي صاروا احقاء بغضب من الله استوجبوه **وضربت عليهم المسكنة** كما تضرب
البيت على اهله فهم ساكنون في المسكنة غير ظاعنين عنها وهم اليهود عليهم لعنة الله وغضبه
ذلك يعني ضرب الذلة والمسكنة والبوء بغضب الله اي الاستحقاق له **بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله**
ويقتلون الأنبياء بغير حق اي ذلك كائن بسبب كفرهم بآيات الله وقتلهم الانبياء بغير حق عندهم ايضا لا
شبهة لهم فيه الا دعاوى هم الى ما يضلهم ثم قال **ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون** اي ذلك
كائن بسبب عصيانهم لله واعتدائهم لحدوده ليعلم ان الكفر وحده ليس بسبب في استحقاق سخط الله وان
سخط الله يستحق بركوب المعاصي كما يستحق بالكفر **ليسوا سواء** الضمير في ليسوا لاهل الكتاب اي ليس
اهل الكتاب مستوين وقوله **من أهل الكتاب** كلام مستأنف لبيان قوله ليسوا سواء **أمة قائمة** يعني
مستقيمة عادلة ثابتة على الحق او مستقيمة غير معوجة وهم الذين اسلموا منهم كعبد الله بن سلام واضرابه
يتلون آيات الله آناء الليل وهي ساعاته **وهم يسجدون** عبر عن تهجدهم بتلاوة القرآن في
ساعات الليل مع السجود لانه ابين لما يفعلون وادل على حسن صورة امرهم وقيل عنى صلاة العشاء لان
اهل الكتاب لا يصلونها وعن ابن مسعود اخر رسول الله صلى الله عليه وآله صلاة العشاء ثم خرج الى المسجد
فاذا الناس ينتظرون الصلاة فقال اما انه ليس من اهل الاديان احد يذكر الله هذه الساعة غيركم
وقرأ هذه الآية **يؤمنون بالله واليوم الآخر ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون**
في الخيرات وصفهم بخصائص لم تكن في اليهود من تلاوة آيات الله بالليل ساجدين ومن
الايمان بالله لان ايمانهم به كلا ايمان لاشراكهم به عزيرا وكفرهم ببعض الكتب والرسل دون بعض
ومن الايمان باليوم الآخر لانهم يصفونه بخلاف صفته ومن الامر بالمعروف والنهي عن المنكر لانهم كانوا
مداهنين ومن المسارعة في الخيرات لانهم كانوا متباطئين عنها غير راغبين فيها والمسارعة في الخير
فرط الرغبة فيه لان من رغب في الامر سارع في فعله والقيام به وآثر الفور على التراخي احسن من
اسلم منهم على من لم يسلم بهذه الصفات **وأولئك** الموصوفون بما وصفوا به **من الصالحين** من
جملة الذين صلحت احوالهم عند الله ورضيهم **وما يفعلوا من خير فلن يكفروه** اي فلن يحرموا جزاءه
والله عليم بالمتقين بشارة لهم بجزيل الثواب ودلالة على انه لا يفوز عنده الا اهل التقوى **إن**
الذين كفروا من اهل الكتاب وغيرهم **لن تغني عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيئا**
معناه ان اموال الكفار واولادهم الذين يفتخرون بها في الدنيا لا تدفع عنهم شيئا من عذاب الله
وأولئك الكفار **أصحاب النار هم فيها خالدون** لا خروج لهم منها **مثل ما ينفقون في**

هذه الحيوة الدنيا كمثل ريح فيها صر هو الريح الباردة وشبه الغرض شبه الله تعالى ما كانوا
ينفقون من اموالهم في المكارم والمفاخر وكسب الثنا وحسن الذكر بين الناس لا يبتغون به وجه الله
او ما كانوا يتقربون به الى الله مع كفرهم لان
بالزرع الذي حسه البرد فذهب حطاما وقيل هو ما ... لانهم لم يبتغوا بانفاقه عرضا
اعمالهم محبطة وقيل ما انفقوه في عداوة رسول الله صلعم وضاع عنهم
أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ شبه بحرث قوم ظلموا انفسهم فاهلك عقوبة لهم على معاصيهم
لان الاهلاك عن سخط اشد وابلغ والغرض تشبيه ما انفقوا في قلة نفعه لهم بالزرع المهلك
بالريح الباردة وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ اي المنفقين يعني وما ظلمهم الله بان لا يقبل نفقاتهم وَلَكِنْ أَنْفُسَهُمْ
يَظْلِمُونَ يعني ولكنهم ظلموا انفسهم بارتكابهم ما استحقوا به العقوبة مما لا يرضي الله وهذا دليل
على ان العقوبة على الذنب تكون في الدنيا وفي الحديث ان العبد ليحرم الرزق بالذنب يذنبه
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ بطانة الرجل خاصته وصفيه الذي يفضي اليه بخصائص
اموره ثقة به شبه ببطانة الثوب ويعني من دونكم دون ابناء جنسكم وهم المسلمون لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا
اي لا يدعون جهدهم في مضرتكم وقيل لا يقصرون غاية في افسادكم فيما يضركم والخبال الفساد والالية
نزلت في النهي عن مداخلة اليهود والمنافقين وعن مصادقتهم ومحبتهم وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ اي
تمنوا عنتكم وتعبكم والعنت شدة الضرر والمشقة واصله انهياض العظم بعد جبره اي تمنوا
ان يضروكم في دينكم ودنياكم اشد الضرر والبلغه قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ اي ظهرت لانهم
لا يتمالكون مع ضبطهم انفسهم وتحاملهم عليها وشدة كتمانهم ان ينفلت من السنتهم ما يعلم به
بغضهم للمسلمين وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ يعني من العداوة والبغضاء أَكْبَرُ مما بدا من افواههم قَدْ بَيَّنَّا
لَكُمُ الْآيَاتِ يعني العلامات الدالة على وجوب الاخلاص وموالاة اولياء الله ومعاداة اعدائه إِنْ
كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ ما بين لكم فتعملون به وهذه الجمل من قوله لا يالونكم خبالا واردة على وجه التعليل
للنهي عن اتخاذهم بطانة هَا أَنْتُمْ أُولَاءِ اي انتم اولاء الخاطئون في موالاة منافقي اهل الكتاب
وقوله تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ بيان لخطائهم في موالاتهم حيث يبذلون محبتهم لاهل بغضهم
وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ اي تصدقون بجميع الكتب ويومنون بكتابهم كله وهم مع ذلك يبغضونكم
وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا اسم ايمانهم ونفاقا لنا بالكم تحبونهم وهم لا يومنون بشيء من كتابكم وفيه توبيخ شديد
واخبار بانهم في باطلهم اصلب منكم في حقكم وَإِذَا خَلَوْا اي تفردوا عنكم عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ
الْغَيْظِ المغتاظ والنادم يوصفان بعض الانامل والبنان والابهام ويفعله من فاته ما لا يقدر
ان يتداركه او راى شيئا يكرهه ولا يقدر ان يغيره قُلْ يا محمد مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ دعا عليهم بان
يزداد غيظهم حتى يهلكوا به والمراد بزيادة الغيظ زيادة ما يغيظهم من قوة الاسلام وعز اهله
وما لهم في ذلك من الذل والخزي والهلاك إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ فهو يعلم ما في

صدور المنافقين من الحسد والبغضاء وما يكون منهم في حال خلو بعضهم ببعض فيعاقبهم عليه
ومعناه احذرهم بما يسرونه من عضهم الانامل غيظا اذا خلوا وقل لهم ان الله عليم بما هو اخفى
مما يسرونه بينكم وهو مضمرات الصدور فلا تظنوا ان شيئا من اسراركم يخفى عليه إِنْ تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ
وَإِنْ تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا المس مستعار بمعنى الاصابة فكان المعنى واحدا والحسنة الرخاء والخصب والنصر
والغنيمة ونحوها من المنافع والسيئة ما كان ضد ذلك وهذا بيان لشدة معاداتهم حيث يحسدونهم على ما
نالهم من الخير ويشمتون بهم فيما اصابهم من الشدة وَإِنْ تَصْبِرُوا على عداوتهم وَتَتَّقُوا ما نهيتم عنه من
موالاتهم او وان تصبروا على تكاليف الدين ومشاقه وتتقوا الله في اجتناب محارمه كنتم في حفظ الله
لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا اي لا يضركم مكرهم واخفاء عداوتهم وهذا تعليم من الله وارشاد الى ان يستعان
على كيد العدو بالصبر والتقوى وقد قال الحكماء اذا اردت ان تكبت من يحسدك فازدد فضلا في
نفسك إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ من الصبر والتقوى وغيرهما مُحِيطٌ فيفعل بكم ما انتم اهله وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ
أَهْلِكَ معناه واذكر اذ غدوت من اهلك بالمدينة وهو غدوه الى احد من حجرة عائشة والنبي ان
المشركين نزلوا باحد يوم الاربعاء فاستشار رسول الله صلى الله عليه وسلم اصحابه ودعا عبد الله بن
ابي بن سلول ولم يدعه قط قبلها فاستشاره فقال عبد الله واكثر الانصار يا رسول الله اقم بالمدينة
ولا تخرج اليهم والله ما خرجنا منها الى عدو قط الا اصاب منا ولا دخلها علينا الا اصبنا منه
فكيف وانت فينا فدعهم فان اقاموا اقاموا بشر مجلس وان دخلوا قاتلهم الرجال في وجوههم ورماهم النساء
والصبيان بالحجارة وان رجعوا رجعوا خائبين وقال بعضهم يا رسول الله اخرج بنا الى هؤلاء الاكلب
لا يرون انا قد جبنا عنهم فقال عليه السلام اني قد رايت في منامي بقرا مذبحة حولي فاولتها خيرا ورايت
في ذباب سيفي ثلما فاولته هزيمة ورايت كاني ادخلت يدي في درع حصينة فاولتها المدينة فان رايتم
ان تقيموا بالمدينة وتدعوهم فقال رجال من المسلمين قد فاتهم بدر واكرمهم الله بالشهادة يوم احد
اخرج بنا الى اعدائنا فلم يزالوا به حتى دخل فلبس لامته فلما راوه قد لبس لامته ندموا وقالوا
بئس ما صنعنا نشير على رسول الله صلى الله عليه وسلم والوحي ياتيه فقالوا اصنع يا رسول
الله ما رايت فقال لا ينبغي لنبي ان يلبس لامته فيضعها حتى يقاتل فخرج يوم الجمعة بعد الصلوة واصبح
بالشعب من احد يوم السبت للنصف من شوال فمشى على رجليه فجعل يصف اصحابه للقتال كانما
يقوم بهم القدح ان راى صدرا خارجا قال تاخر وكان نزوله في عدوة الوادي اي جانبه وجعل
ظهره وعسكره الى احد وامر عبد الله بن جبير على الرماة وقال لهم انضحوا عنا بالنبل لا ياتونا من
ورائنا تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ تنزلهم يعني تسوي لهم وتهيئ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ مواطن ومواقف
وَاللَّهُ سَمِيعٌ لاقوالكم عَلِيمٌ بنياتكم وضمائركم إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا هما حيان
من الانصار بنو سلمة من الخزرج وبنو حارثة من الاوس خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في الف وقيل

وفي بعض الكتب ورايت كاني في درع حصينة ورايت كان سيفي ذا الفقار انقصم من عند ظبته ورايت بقرا تذبح ورايت اني مردف كبشا فقالوا يا رسول الله ما اولتها فقال صلى الله عليه وسلم اما الدرع الحصينة فالمدينة فامكثوا فيها واما انقصام سيفي فمصيبة في نفسي واما البقر المذبح فقتل في اصحابي واما اني مردف كبشا فكبش الكتيبة نقتله ان شاء الله تعالى

في سبعمائة وخمسين والمشركون في ثلاثة آلاف ووعدهم رسول الله صلى الله عليه وآله الفتح إن
صبروا فانخزل عبد الله بن أبي بثلث الناس وقال يا قوم علام نقتل أنفسنا وأولادنا فتبعهم
عمرو بن حزم الأنصاري وقال أنشدكم الله في نبيكم وأنفسكم فقال عبد الله لو نعلم قتالا لاتبعناكم فهمّ
الحيان باتباع عبد الله فعصمهم الله فمضوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن ابن عباس أضمروا أن
يرجعوا فعزم الله لهم على الرشد فثبتوا والظاهر أنها ما كانت إلا همة وحديث نفس كما لا تخلو
النفس عند الشدة من بعض الهلع ثم يردها صاحبها إلى الثبات والصبر ويوطنها على احتمال
المكروه ولو كانت عزيمة لما ثبتت معها الولاية حيث يقول والله وليهما أي ناصرهما ومتولي أمرهما
فما لهما يفشلان ولا يتوكلان على الله وفي [illegible] لأنه ناطقة نعمه ولأنهما دليل على أن تلك الهمة
حديث نفس لا عزيمة والفشل الجبن والخور وعلى الله فليتوكل المؤمنون أمر المؤمنين بأن لا
يتوكلوا إلا عليه ولا يفوضوا أمورهم إلا إليه ثم ذكرهم ما يوجب عليهم التوكل مما يسر لهم من الفتح يوم بدر
فقال ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة يعني في حال قلة وذلة وذلتهم ما كان بهم من
ضعف الحال وقلة السلاح والمال والمركوب وذلك أنهم خرجوا على النواضح يعتقب النفر منهم
على البعير الواحد وما كان معهم إلا فرس واحد وقلتهم أنهم كانوا ثلثمائة وبضع عشرة وكان عدوهم
في حال كثرة أي زهاء ألف مقاتل ومعهم مائة فرس والشكة والشوكة وبدر اسم ماء بين مكة والمدينة
كان لرجل يسمى بدرا فسمي به فاتقوا الله في الثبات مع رسوله لعلكم تشكرون بتقواكم ما أنعم به عليكم
من نصره إذ تقول للمؤمنين يحتمل أن تقول لهم ذلك يوم بدر أو يوم أحد مع اشتراط الصبر والتقوى
عليهم فلما لم يصبروا عن الغنائم وخالفوا أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم لم تنزل الملائكة ولكن وعد
بنزول الملائكة لتقوى قلوبهم ويثقوا بنصر الله ولو ثبتوا على ما شرط عليهم لنزلت ألن يكفيكم أن
يمدكم ربكم معنى ألن يكفيكم إنكار ألا يكفيكم الإمداد أي النصرة بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين
بلى إيجاب لما بعد لن يعني بل يكفيكم الإمداد بهم ثم قال وإن تصبروا وتتقوا يمددكم بأكثر من ذلك
العدد أي إن تصبروا وأعانتهم عنه وتتقوا الله في مخالفة رسوله ويأتوكم يعني المشركين من فورهم
هذا الفور بعض التراخي وهو من فارت القدر إذا غلت فاستعير للسرعة ثم سميت به الحالة التي
والمعنى أنهم إن يأتوكم من ساعتهم هذه يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين
أي يعجل نصركم بالملائكة في حال إتيانهم بصبركم وانقيادكم مسومين يعني معلمين ومعلمين أنفسهم
أو خيلهم قال الكلبي معلمين بعمائم صفر مرخاة على أكتافهم وعن الضحاك معلمين بالصوف الأبيض
في نواصي الدواب وأذنابها وعن مجاهد مجززة أذناب خيلهم وعن قتادة كانوا على خيل بلق
وعن عروة بن الزبير كانت عمامة الزبير يوم بدر صفراء فنزلت الملائكة كذلك وعنه عليه السلام أنه
قال لأصحابه تسوموا فإن الملائكة قد تسومت وما جعله الله أي إمدادكم بالملائكة إلا بشرى

لكم إلا بشارة لكم بأنكم تنصرون ولتطمئن قلوبكم به أي تسكن كما كانت السكينة لبني إسرائيل بشارة
بالنصر وطمأنينة لقلوبهم وما النصر إلا من عند الله لا من عند المقاتلة إذا تكاثروا ولا من عند
الملائكة والسكينة ولكن ذلك مما يقوي به الله رجاء النصرة ويربط به قلوب المجاهدين العزيز الذي
لا يغالب في حكمه الحكيم الذي يعطي النصر ويمنعه لما يرى من المصلحة ليقطع طرفا من الذين
كفروا أي ليهلك طائفة منهم بالقتل والأسر وهو ما كان يوم بدر من قتل سبعين وأسر سبعين
من رؤساء قريش وصناديدهم أو يكبتهم يخزيهم ويغيظهم بالهزيمة فينقلبوا خائبين غير
ظافرين بمطلوبهم ليس لك من الأمر شيء معناه أن الله مالك أمرهم فإما أن يهلكهم أو يهزمهم أو يتوب
عليهم إن أسلموا أو يعذبهم إن أصروا على الكفر وليس لك من أمرهم شيء إنما أنت عبد مبعوث
لإنذارهم ومجاهدتهم وقيل شجه عتبة بن أبي وقاص يوم أحد وكسر رباعيته فجعل يمسح الدم عن
وجهه وسالم مولى أبي حذيفة يغسله وهو يقول كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم بالدم
وهو يدعوهم إلى ربهم فنزلت وقيل أراد أن يدعو عليهم فنهاه الله لعلمه أن فيهم من يؤمن فإنهم ظالمون
أي مستحقون للعقوبة بظلمهم وله ما في السموات أي مستحقون للعقوبة بظلمهم ولله ما في
السموات وما في الأرض من الفعلاء وغيرهم يغفر لمن يشاء بالتوبة ولا يشاء أن يغفر إلا للتائبين
ويعذب من يشاء ولا يشاء أن يعذب إلا المستوجبين للعذاب والله غفور رحيم أي غفور للمسلمين
رحيم بهم بقبول التوبة يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا أضعافا
مضاعفة هذا نهي عن الربا مع توبيخ بما كانوا عليه من تضعيفه كان الرجل منهم إذا بلغ الدين
محله زاد في الأجل فيستغرق بالشيء الطفيف مال المديون واتقوا الله بترك الربا لعلكم
تفلحون تظفرون بمطلوبكم واتقوا النار التي أعدت للكافرين كان أبو حنيفة رحمه الله
يقول هي أخوف آية في القرآن حيث أوعد الله المؤمنين بالنار المعدة للكافرين إن لم يتقوه باجتناب
محارمه وأطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون لما أوعد الله المؤمنين بنار الكافرين إن لم يتقوه
أتبع ذلك بإطماعهم في رحمته وطاعة رسوله قال رضي الله عنه ومن تأمل هذه
الآيات وأمثالها لم يحدث نفسه بالأطماع الفارغة والتمني على الله وعرف وجه مسلك التقوى
وصعوبة إصابة رضا الله عن الوصول إلى رحمته وثوابه سارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة
في مصاحف المدينة والشام بغير واو والباقون بالواو ومعنى المسارعة إلى المغفرة والجنة
الإقبال على ما يستحقان به عرضها السموات والأرض أي عرضها عرضهما والمراد وصفها
بالسعة والبسطة فشبهت بأوسع ما علمه الناس من خلقه وأبسطه وخص العرض لأنه في العادة
أدنى من الطول للمبالغة وعن ابن عباس كسبع سموات وسبع أرضين لو وصل بعضها ببعض
أعدت أي هيئت لأهل تقوى الله المتقين الذين ينفقون في السراء والضراء يعني في حال الرخاء

والبشر وحال الضيقة والعسر أي لا يخلون بالإنفاق في كلتا الحالتين على قدر وأعلته من قليل
أو كثير كما يحكى عن بعضهم أنه ربما تصدق ببصلة وعن عائشة أنها تصدقت بحبة عنب
أو أراد ينفقون في جميع الأحوال لأنها لا تخلو من حال المسرة والمضرة لا يمنعهم حال فرح وسرور
ولا حال محنة وبلاء من المعروف وسواء عليهم كان الواحد منهم في عرس أو حبس فإنه لا يدع الإحسان
وقدم في صفاتهم ذكر الإنفاق لأنه أشق شيء على النفس وأدله على الإخلاص **والكاظمين الغيظ**
كظم الغيظ أن يمسك الإنسان على ما في نفسه منه بالصبر ولا يظهر له أثر **وعن النبي صلى**
الله عليه وآله من كظم غيظا وهو يقدر على إنفاذه ملأ الله
قلبه أمنا وإيمانا وقيل من كظم غيظه ستر الله عورته في الدنيا والآخرة وعن عائشة أن خادما
لها أغاظها فقالت لله در التقوى ما تركت لذي غيظ شفاء **والعافين عن الناس** يعني إذا جنى
عليهم أحد لم يؤاخذوه وروي ينادي مناد يوم القيامة أين الذين كانت أجورهم على الله فلا يقوم
إلا من عفا وعن ابن عيينة أنه رواه للرشيد هرون وقد غضب على رجل فخلاه وعن النبي صلى الله عليه
وآله أن هؤلاء في أمتي قليل إلا من عصم الله وقد كانوا كثيرا في الأمم التي مضت **والله يحب المحسنين**
يريد العموم فيتناول كل محسن **والذين إذا فعلوا فاحشة** فعلة متزايدة القبح
أو ظلموا أنفسهم يعني أو أذنبوا أي ذنب كان مما يؤاخذون به وقيل الفاحشة الزنا وظلم
النفس ما دونه من القبلة واللمسة ونحوهما وقيل الفاحشة الكبيرة وظلم النفس الصغيرة **ذكروا**
الله أي تذكروا عقابه أو وعيده أو نهيه أو حقه العظيم وجلاله الموجب للخشية والحياء منه **فاستغفروا لذنوبهم** فتابوا عنها لقبحها نادمين عازمين **ومن يغفر الذنوب إلا الله** وصف
لذاته بسعة الرحمة وقرب المغفرة وأن التائب عنده كمن لا ذنب له وأنه لا مفزع للمذنبين إلا إلى
فضله وكرمه وأن عدله يوجب المغفرة للتائب لأن العبد إذا جاء في الاعتذار والتنصل بأقصى
ما يقدر عليه وجب العفو والتجاوز وفيه تطييب لنفوس العباد وتنشيط للتوبة وبعث عليها وردع
عن اليأس والقنوط وأن الذنوب وإن جلت فإن عفوه أجل وكرمه أعظم **ولم يصروا على**
ما فعلوا أي لم يقيموا على قبيح فعلهم غير مستغفرين وعن النبي صلى الله عليه وآله ما أصر من استغفر وإن
عاد في اليوم سبعين مرة وروي لا كبيرة مع الاستغفار ولا صغيرة مع الإصرار **وهم يعلمون**
المعنى وليسوا ممن يصرون على الذنوب وهم عالمون بقبحها وبالنهي عنها وبالوعيد عليها لأنه قد يعذر
من لا يعلم قبح القبيح **قال رضي الله عنه** وفي هذه الآيات بيان قاطع أن الذين آمنوا على
ثلاث طبقات متقون وتائبون ومصرون وأن الجنة للمتقين والتائبين منهم دون المصرين ومن
خالف في ذلك فقد كابر عقله وعاند ربه نشرا إلى قول المرجئة **أولئك جزاؤهم مغفرة**
من ربهم أولئك إشارة إلى الفريقين المتقين والتائبين جزاؤهم على أعمالهم الصالحة مغفرة لذنوبهم

وجنات تجري من تحتها الأنهار أي وجنات يخلدون في نعيمها موصوفة بجري الأنهار تحتها لما أن
الأنهار تطرد كتطرد أنهار البساتين المثمرة **خالدين فيها ونعم أجر العاملين** أي جزاؤهم ذلك
الذي هو المغفرة والجنات وفيه تنبيه على أن ذلك جزاء واجب على عمل وأجر مستحق عليه لا كما
يقول المبطلون وروي أن الله عز وجل أوحى إلى موسى عليه السلام ما أقل حياء من يطمع في جنتي بغير
عمل كيف أجود برحمتي على من يبخل بطاعتي وأقسموها بأعمالكم وعن رابعة أنها كانت تنشد
◉ ترجو النجاة ولم تسلك مسالكها ◉ إن السفينة لا تجري على اليبس ◉
وعن بعضهم طلب الجنة بغير عمل ذنب من الذنوب وانتظار الشفاعة بلا سبب نوع من الغرور
وارتجاء الرحمة ممن لا يطاع حمق وجهالة وعن الحسن يقول الله عز وجل يوم القيامة جوزوا الصراط
بعفوي وادخلوا الجنة برحمتي **قد خلت من قبلكم سنن** يريد سنة الله في الأمم المكذبين من
وقائعه **فسيروا في الأرض** لأجل النظر والاعتبار **فانظروا** أعتبر **كيف كان عاقبة المكذبين**
لتعلموا من مثل حالهم **هذا بيان للناس** أي إيضاح لسوء عاقبة ما هم عليه من التكذيب يعني
حثهم على النظر في سوء عواقب المكذبين قبلهم والاعتبار بما يعاينون من آثار هلاكهم **وهدى**
وموعظة للمتقين يعني أنه مع كونه بيانا وتنبيها للمكذبين فهو زيادة تثبيت وموعظة للذين
اتقوا من المؤمنين **ولا تهنوا ولا تحزنوا** تسلية من الله لرسوله وللمؤمنين عما أصابهم يوم أحد
وتقوية لقلوبهم يعني ولا تضعفوا عن الجهاد لما أصابكم ولا تحزنوا على من قتل منكم أو جرح **وأنتم**
الأعلون أي وحالكم أنكم أعلى منهم وأغلب لأنكم أصبتم منهم يوم بدر أكثر مما أصابوا منكم يوم أحد
وأنتم الأعلون شأنا لأن قتالكم لله ولإعلاء كلمته وقتالهم للشيطان ولإعلاء كلمة الكفر ولأن قتلاكم
في الجنة وقتلاهم في النار **إن كنتم مؤمنين** أي لا تهنوا إن صح إيمانكم لأن صحة الإيمان توجب قوة
القلب والثقة بصنع الله وقلة المبالاة بأعداء الله **إن يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله**
القرح بالفتح الجراح وبالضم الألم والمعنى إن نالوا منكم يوم أحد فقد نلتم منهم قبله يوم بدر ثم لم
يضعف ذلك قلوبهم ولم يثبطهم عن معاودتكم بالقتال فأنتم أولى بأن لا تضعفوا لأنكم على الحق
إنما قال قرح مثله ولم يقل قرحهم يوم أحد مثل قرح المشركين لأنه في الحقيقة كان مثله ولقد قتل
يومئذ خلق من الكفار بدليل قوله إذ تحسونهم بإذنه **وتلك الأيام** أراد بالأيام أوقات الظفر
والغلبة **نداولها** نصرفها ونديرها **بين الناس** بديل تارة لهؤلاء وتارة لهؤلاء كما قيل
◉ فيوما علينا ويوما لنا ◉ ويوما نساء ويوما نسر ◉ وفي المثل الحرب سجال وعن أبي سفيان أنه
صعد الجبل يوم أحد فمكث ساعة ثم قال أين ابن أبي كبشة أين ابن أبي قحافة أين ابن الخطاب فقال
عمر هذا رسول الله صلى الله عليه وآله وهذا أبو بكر وها أنا عمر فقال أبو سفيان يوم بيوم والأيام دول
والحرب سجال فقال عمر لا سواء قتلانا في الجنة وقتلاكم في النار **وليعلم الله الذين آمنوا** أي

وأقسموها بأعمالكم وعن رابعة أنها كانت تنشد ترجوا النجاة ولم تسلك مسالكها إن السفينة لا تجري على اليبس صح

من باب التمثيل والا فالله تعالى لم يزل عالما
العلم من الثابت على الايمان منكم من غير الثابت وليعلمهم علما يتعلق به الجزاء وهو ان يعلمهم موجودا منهم
بالاشياء قبل كونها وقيل معناه وليعلم عباد الله بكروا المطاف **ويتخذ منكم شهداء** معناه ويكرم ناسا منكم
السماح وقيل المراد وليعلم عباد الله ويتخذ منكم من يصلح للشهادة على الامم يوم القيمة بما يسلي
بالشهادة يريد المستشهدين يوم احد ويتخذ منكم **والله لا يحب الظالمين** لانعمهم ومعناه انه لا يحب من ليس من الثابتين
يتصبركم من الشدائد **وليمحص الله الذين آمنوا** التمحيص التطهير والتصفية
على الايمان المجاهدين في سبيل الله **ويمحق الكافرين** يهلكهم ويمحوا اثارهم
اي ليطهرهم الله من الذنوب بالصبر والثبات على الايمان فللمحصين ثم التمحيص من الذنوب وان كانت على الكافرين
يعني ان كانت الدولة على المؤمنين فللتمحيص والاستشهاد **ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم** اي
فلم يخرجهم دار البهم **ام حسبتم ان تدخلوا الجنة** بغير جهاد وصبر وعمل ولما يعني
يعني بل ومعنى الاستفهام الانكار عليهم في حسبانهم دخول الجنة بغير جهاد ونزل نفي العلم منزلة نفي المعلوم لانه منتف باستفانه
لم والمراد نفي العلم نفي المعلوم وهو الجهاد ونزل نفي العلم منزلة نفي المعلوم **ويعلم الصابرين** معناه اي حسبتم ان
كما قال ما علم الله في فلان خيرا يريد ما فيه خير حتى يعلمه **ولقد كنتم تمنون**
تدخلوا الجنة ولم يوجد منكم مجموع امرين جهاد وصبر عليه وعلى سائر التكاليف وكانوا يتمنون ان يحضروا مثلها
الموت من قبل ان تلقوه هذا خطاب للذين لم يشهدوا بدرا وهم الذين الحوا على رسول الله صلى الله عليه وآله
ليصيبوا من كرامة الشهادة ما نال شهداء بدر يعني كنتم تمنون الموت قبل ان تشاهدوه وتعرفوا
في الخروج الى المشركين وكان رايه الاقامة بالمدينة **فقد رأيتموه وانتم تنظرون** اي رأيتموه معاينين مشاهدين له حين قتل
بين ايديكم من قتل من اخوانكم واقاربكم وشارفتم ان تقتلوا وهذا توبيخ لهم على تمنيهم الموت
وعلى ما تسببوا له من خروج رسول الله صلى الله عليه وآله بالحاحهم ثم انهزامهم عنه وقلة ثباتهم
عنده **قال رضي الله عنه** وجاز تمني الشهادة وفي ضمنها غلبة الكافر
المسلم لان قصد متمني الشهادة كرامة الشهيد لا غير ولا يخطر بباله غلبة الكافر كمن يشرب دواء
النصراني للشفاء لا لنفعه بالاجرة **وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل**
والسبب انه لما رمى عبد الله بن قمئة الحارثي رسول الله صلى الله عليه وآله بحجر فكسر رباعيته وشج
وجهه اقبل يريد قتله فذب عنه مصعب بن عمير وهو صاحب الراية يوم بدر ويوم احد حتى قتله
ابن قمئة وهو يرى انه رسول الله صلى الله عليه وآله فقال قد قتلت محمدا وصرخ صارخ الا ان محمدا
قد قتل وقيل كان الصارخ الشيطان ففشا في الناس خبر قتله فرضخوا وجعل رسول الله
صلى الله عليه وآله يدعو الى عباد الله حتى انحازت اليه طائفة من اصحابه فلامهم على هربهم
فقالوا يا رسول الله فديناك بآبائنا وامهاتنا اتانا الخبر بقتلك فرعبت قلوبنا فولينا مدبرين

نزلت وروي انه لما صرخ الصارخ قال بعض المسلمين ليت عبد الله بن ابي ياخذ لنا امانا من ابي
سفيان وقال ناس من المنافقين لو كان نبيا لما قتل ارجعوا الى اخوانكم والى دينكم فقال انس بن النضر
عم انس بن مالك يا قوم ان كان قتل محمد فان رب محمد حي لا يموت وما تصنعون بالحيوة بعد رسول الله
صلى الله عليه وآله فقاتلوا على ما قاتل عليه وموتوا على ما مات عليه ثم قال اللهم اني اعتذر اليك مما
يقول هؤلاء وابرأ اليك مما جاء وا به ثم شد بسيفه فقاتل حتى قتل وعن بعض المهاجرين انه مر بانصاري
يتشحط في دمه فقال يا فلان اعلمت ان محمدا قد قتل فقال ان كان قد قتل فقد بلغ فقاتلوا على دينكم
والمعنى وما محمد الا رسول قد مضت من قبله الرسل فسيخلو كما خلوا وكما ان اتباعهم بقوا متمسكين
بدينهم بعد خلوهم فعليكم ان تتمسكوا بدينه بعد خلوه لان الغرض من الرسل تبليغ الرسالة والزام
الحجة لا وجوده بين اظهر قومه **أفإن مات او قتل انقلبتم على اعقابكم** الهمزة لانكار ان يجعلوا خلو
الرسل قبله سببا لانقلابهم على اعقابهم بعد هلاكه بموت او قتل مع علمهم ان خلو الرسل قبله
وبقاء دينهم متمسكا به يجب ان يجعل سببا للتمسك بدين محمد صلى الله عليه وآله لا للانقلاب عنه وذكر
القتل وقد علم انه لا يقتل لان القتل مجوز عند المخاطبين ولم يعلموا معنى قوله والله يعصمك من
الناس لان هذا مما يختص بالعلماء منهم وذوي البصيرة ولذلك هربوا لما سمعوا الخبر بقتله صلى الله عليه وآله
على انه يحتمل العصمة من فتنة الناس واضلالهم والانقلاب على الاعقاب ارادة التولي والادبار
عما كان رسول الله صلى الله عليه وآله يقوم به من الجهاد وغيره **ومن ينقلب على عقبيه** يعني يرتد عن دينه
فلن يضر الله شيئا يعني فما ضر الا نفسه لان الله تعالى لا يجوز عليه المضار والمنافع **وسيجزي الله
الشاكرين** يعني الذين لم ينقلبوا كانس بن النضر واشباهه وسماهم شاكرين لانهم شكروا نعمة الاسلام
فيما فعلوا **وما كان لنفس ان تموت الا باذن الله** معناه ان موت الانفس لا يكون الا بمشية الله
وان ملك الموت ليس له ان يقبض نفسا الا باذن من الله وهذا تحريض لهم على الجهاد وتشجيع على لقاء
العدو واعلام لهم بان الحذر لا ينفع وان احدا لا يموت قبل بلوغ اجله وان خاض المهالك واقتحم المعارك
كتابا مؤجلا يعني انه كتب الموت كتابا موقتا له اجل معلوم لا يتقدم ولا يتأخر **ومن يرد ثواب
الدنيا** اي منافعها وهو تعريض بالذين شغلتهم الغنائم يوم احد **نؤته منها** اي من ثوابها **ومن يرد ثواب
الآخرة نؤته منها** اي من كان قصده بعمله الآخرة وثوابها اعطيناه منها ما لا يفنى **وسنجزي** يعني
الجزاء العظيم **الشاكرين** الذين شكروا نعمة الله فلم يشغلهم شيء عن الجهاد **وكأين من نبي** كان معناها
التكثير مثلكم في قولك كم مال عندي **قتل معه ربيون كثير** قرئ قاتل وقتل وقيل فالمقول الربيون
وقيل قراءة التشديد لانه يدل على تكثير القتل ويحتمل ان يكون المقتول النبي حال كون الربيون
معه وعن سعيد بن جبير ما سمعنا بنبي قتل في القتال والربيون العلماء جمع رباني وهو العالم العامل
فهم علماء عاملون ولذلك قال **فما وهنوا لما اصابهم في سبيل الله** اي ما جبنوا عند قتل النبي

خط او اشكال في الرسم والله اعلم

وما ضعفوا لاجل ما اصابهم في سبيل الله من غلبة العدو وقتل نبيهم او ما ضعفوا عن الجهاد
بعده وما استكانوا اي ما خضعوا للعدو وهذا تعريض لما اصابهم من الوهن والانكسار عند
الارجاف بقتل رسول الله صلى الله عليه وآله وبضعفهم عند ذلك عن مجاهدة المشركين واستكانتهم
لهم حين ارادوا ان يعتضدوا بالمنافق ابن ابي في طلب الامان من ابي سفيان والله يحب الصابرين
يعني في الجهاد وعلى سائر الطاعات وما كان قولهم الا ان قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا واسرافنا في
امرنا وثبت اقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين معناه ما كان قولهم الا هذا القول وهو اضافة
الذنوب والاسراف الى انفسهم مع كونهم ربانيين هضما لها واستقصارا لحالها والدعاء بالاستغفار
مقدما على طلب تثبيت الاقدام في مواطن الحروب والنصرة على العدو ولكون طلبهم الى ربهم
عن زكاة وطهارة وخضوع اقرب الى الاستجابة فآتاهم الله ثواب الدنيا من النصر والغنيمة
والعز وطيب الذكر وحسن ثواب الآخرة خص ثواب الآخرة بالحسن دلالة على فضله وتقدمه
وانه هو المعتد به عنده كقوله تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة والله يحب المحسنين
قال علي عليه السلام نزلت في المنافقين يا ايها الذين آمنوا ان تطيعوا الذين كفروا
الذين قالوا للمؤمنين عند الهزيمة ارجعوا الى اخوانكم وادخلوا في دينهم وقيل معناه ان تستكينوا
لابي سفيان واصحابه يردوكم على اعقابكم اي يردوكم الى دينهم وقيل هو عام في جميع الكفار
وان على المؤمنين ان يخالفوهم ولا يطيعوهم في شيء فتنقلبوا خاسرين لثواب الدارين بل الله
مولاكم اي ناصركم لا تحتاجون معه الى نصرة احد ولانه وهو خير الناصرين فلا احد ينصر
مثل نصره سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب هو الخوف قذف الله في قلوب المشركين الخوف يوم
احد فانهزموا الى مكة من غير سبب ولهم القوة والغلبة وقيل ذهبوا الى مكة فلما كانوا ببعض
الطريق قالوا ما صنعنا شيئا قتلنا منهم ثم تركناهم ونحن قاهرون ارجعوا فاستأصلوهم فلما عزموا
القى الله في قلوبهم الرعب فامسكوا بما اشركوا بالله اي بسبب اشراكهم اي كان السبب
في القاء الرعب في قلوبهم اشراكهم به آلهة وهي الاصنام التي ارادها بقوله ما لم ينزل به سلطانا
اي لم ينزل باشراكها في ربوبيته حجة تدل على صحة اشراكهم ولم يرد ان هناك حجة حتى ينزلها
لان الشرك لا تقوم عليه حجة لكن اراد نفي الحجة ونفي نزولها جميعا ومأواهم النار اي معادهم ومصيرهم
وبئس مثوى الظالمين اي بئس مثوى المقام والمصير مقام الظالمين لانفسهم بالشرك والمعاصي
ولقد صدقكم الله وعده وعدهم الله النصر بشرط الصبر والتقوى ويجوز ان يكون الوعد قوله
سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب فلما فشلوا وتنازعوا لم يحصل منهم وقيل لما رجعوا الى المدينة
قال اناس من المؤمنين من اين اصابنا هذا وقد وعدنا الله النصر فنزلت وذلك ان رسول الله صلى الله عليه
وآله جعل احدا خلف ظهره واستقبل المدينة واقام الرماة عند الجبل وامرهم ان يثبتوا في مكانهم

ولا يبرحوا

ولا يبرحوا كانت الدولة للمسلمين او عليهم فلما اقبل المشركون جعل الرماة يرشقون خيلهم والباقون
يضربونهم بالسيوف على آثارهم اذ تحسونهم باذنه الحس القتل الذريع اي تقتلونهم قتلا ذريعا
حتى اذا فشلتم الفشل الجبن وضعف الراي وتنازعتم في الامر اختلفتم في الراي فقال بعضكم
قد انهزم المشركون فما موقفنا هاهنا وقال بعضكم لا نخالف امر رسول الله صلى الله عليه وآله فممن ثبت مكانه
عبد الله بن جبير امير الرماة في نفر دون العشرة وهم المعنيون بقوله ومنكم من يريد الآخرة ونفر اعقابهم
ينتهبون وهم الذين ارادوا الدنيا والذين تنازعوا فيه الوقوف عند الجبل الذي امرهم به رسول الله
صلى الله عليه وآله وانهم لا يبرحون منه ابدا وعصيتم من بعد ما اراكم ما تحبون يعني وعصيتم في الترك
من الجبل لامر رسول الله صلى الله عليه وآله لكم بلزومه من بعد ما اراكم ما تحبون من النصر عليهم والغلبة
لهم منكم من يريد الدنيا اي الغنيمة وهم الذين تركوا المركز واقبلوا الى النهب ومنكم من
يريد الآخرة وهم عبد الله بن جبير واصحابه الذين ثبتوا امتثالا لامر رسول الله صلى الله عليه وآله حتى قتلوا
ثم صرفكم عنهم اي منعكم نصره بان صرفكم عن المشركين وذلك انهم لما ارادوا النهب كر
المشركون على الرماة فقتلوا عبد الله بن جبير واقبلوا على المسلمين وحالت الريح دبورا وكانت صبا حتى هزم
وقتل من قتل وذلك قوله ثم صرفكم عنهم ليبتليكم اي ليمتحن صبركم على المصائب وثباتكم على الايمان
عندها ولقد عفا عنكم لما علم من ندمكم على عصيان رسول الله صلى الله عليه وآله والله ذو فضل على
المؤمنين يتفضل عليهم بالعفو وهو يتفضل عليهم في جميع الاحوال سواء اديلوا او اديل عليهم لان الابتلاء رحمة
كما ان النصر رحمة اذ تصعدون اي تذهبون في الوادي وقيل الجبل ومعنى ذلك انهم ابعدوا في الهزيمة
ولا تلوون على احد اي لا تعرجون ولا تقيمون والرسول يدعوكم ذلك انه كان يقول الي عباد الله
الي عباد الله انا رسول الله من يكر فله الجنة في اخراكم اي في جماعتكم المتأخرة فأثابكم غما بغم
اي جازاكم الله بالهزيمة وظفر المشركين بكم بسبب غم اذقتموه رسول الله صلى الله عليه وآله بعصيانكم له
ومخالفة امره لكيلا تحزنوا على ما فاتكم اي لتتمرنوا على تجرع الغموم وتعودوا احتمال الشدائد فلا
تحزنوا فيما بعد على فائت من المنافع ولا على مصيب من المضار ويجوز ان يكون الضمير في فاثابكم للرسول
اي فآساكم في الاغتمام فكما غمكم ما نزل به من كسر الرباعية والشجة وغيرهما غمه ما نزل بكم فاثابكم غما بغم
اغتم لاجلكم بسبب غم اغتممتموه لاجله ولم يثربكم على عصيانكم ومخالفتكم لامره وانما فعل ذلك ليسليكم
وينفس عنكم لكيلا تحزنوا على ما فاتكم من النصر ولا على ما اصابكم من غلبة العدو والله خبير بما
تعملون من طاعته وطاعة رسوله ومخالفته ومخالفة رسوله وتوبتكم عن المخالفة والندم عليها
ثم انزل عليكم من بعد الغم امنة نعاسا انزل الله الامن على المؤمنين وازال عنهم الخوف
الذي كان بهم حتى نعسوا وغلبهم النوم وعن ابي طلحة غشينا النعاس ونحن في مصافنا وكان السيف يسقط
من يد احدنا فيأخذه ثم يسقط فيأخذه وما احد الا ويميل تحت حجفته وعن الزبير لقد رأيتني مع رسول الله

صلى الله عليه وآله وسلم حين اشتد علينا الخوف فارسل الله علينا النوم والله انى لاسمع قول
معتب بن قشير والنعاس يغشانى يقولون لو كان لنا من الامر شي ما قتلنا هاهنا والامنة الامن
ونعاسا بدل منها وهو من مقدمات النوم **يغشى** يعني النعاس **طائفة منكم** اى جماعة وهم اهل
الصدق واليقين **وطائفة** هم المنافقون **قد اهمتهم انفسهم** يعني ما بهم الا هم انفسهم
لا هم الدين ولا هم رسول الله صلى الله عليه وآله والمسلمين او معناه قد اوقعتهم انفسهم وما حالهم
في الغموم والاحزان لاجل ما نزل بهم من الخوف **يظنون بالله غير الحق** يعني يظنون بالله غير الظن
الحق الذي يجب ان يظن به **ظن الجاهلية** يعني ظنهم بالله غير الحق لان اهل الجاهلية لم يكونوا
على ثقة بالدين والمعنى لا يظن مثل ذلك الظن الا اهل الشرك الجاهلون بالله فكان ظن المنافقين
كظنهم **يقولون** يعني المنافقين يقولون لرسول الله سائلين له **هل لنا من الامر من شيء** معناه هل
لنا معاشر المسلمين من امر الله نصيب قط يعنون النصر بالاظهار على العدو **قل** يا محمد **ان الامر كله لله**
ولاوليائه المؤمنين وهو النصر والغلبة **يخفون في انفسهم ما لا يبدون لك** معناه
يقولون لك فيما يظهرون هل لنا من الامر من شي سؤال المؤمنين المسترشدين وهم فيما يبطنون على
النفاق **يقولون** يعني في انفسهم او بعضهم لبعض **لو كان لنا من الامر شيء** اى ولو كان لنا من النصر
والغلبة نصيب كما قال محمد ان الامر لله ولاوليائه **ما قتلنا هاهنا** اى ما غلبنا ولا
قتل من المسلمين من قتل في هذه المعركة **قل** لهم يا محمد **لو كنتم في بيوتكم** اى لو قعدتم في بيوتكم
لبرز اى لظهر من بينكم **الذين كتب عليهم القتل** اى الذين علم الله انهم يقتلون **الى مضاجعهم** وهي
مصارعهم ليكون ما علم الله انه يكون والمعنى ان الله كتب في اللوح قتل من يقتل من المؤمنين
وكتب مع ذلك انهم الغالبون لعلمه ان العاقبة في الغلبة لهم وان دين الاسلام يظهر على الدين
كله وان ما ينالون منه في بعض الاوقات تمحيص لهم وترغيب في الشهادة لان حرصهم عليها مما
يحرضهم على الجهاد فتحصل الغلبة وقيل معناه هل لنا من التدبير من شي يعنون لم نملك شيئا
من التدبير حيث خرجنا من المدينة الى احد وكان علينا ان نقيم ولا نبرح كما كان راى عبد الله بن ابي
وغيره ولو ملكنا من التدبير شيئا ما قتلنا في هذه المعركة قل ان التدبير كله لله وقد دبر الامر
كما جرى ولو اقمتم بالمدينة ولم تخرجوا من بيوتكم لما نجا من القتل من قتل منكم **وليبتلي الله ما في
صدوركم وليمحص ما في قلوبكم** المعنى وليمتحن الله ما في صدور المؤمنين من الاخلاص وليمحص اى
يطهر ما في قلوبهم من وساوس الشيطان فعل ذلك لمصالح جمة لا تعلمونها **والله عليم بذات الصدور**
اى بمضمراتها **ان الذين تولوا منكم** يعني الذين انهزموا يوم احد **يوم التقى الجمعان** جمع
المسلمين وجمع المشركين **انما استزلهم الشيطان** اى طلب منهم الزلل بالانهزام ودعاهم فيه ودعاهم
اليه **ببعض ما كسبوا** اى بسبب بعض ما كسبوا من ذنوبهم ومعناه ان السبب في توليهم انهم اطاعوا

الشيطان فكسبوا ذنوبا فمنعهم ذلك التولي فمنعهم من الثبات وتقوية القلوب حتى تولوا لان
الذنب يجر الى الذنب كما ان الطاعة تجر الى الطاعة وتكون لطفا فيها وقيل بعض ما كسبوا هو تركهم
المركز الذي امرهم رسول الله صلى الله عليه وآله بالثبات فيه فجرهم ذلك الى الهزيمة **ولقد عفا الله عنهم**
لتوبتهم واعتذارهم **ان الله غفور** للذنوب **حليم** لا يعاجل بالعقوبة **يا ايها الذين
آمنوا لا تكونوا كالذين كفروا** يعني المنافقين **وقالوا لاخوانهم** في النفاق **اذا ضربوا في الارض**
اى سافروا فيها للتجارة وغيرها **او كانوا غزى** جمع غاز وفي الآية محذوف دل عليه الكلام تقديره
اذا ضربوا في الارض فماتوا او كانوا غزاة فقتلوا ويدل على هذا قوله **لو كانوا عندنا ما ماتوا وما
قتلوا** اى لو كانوا عندنا غير مسافرين ولا غازين ما مات المسافر ولا قتل الغازي **ليجعل الله ذلك حسرة
في قلوبهم** اللام في ليجعل يتعلق بقالوا اى قالوا ذلك واعتقدوه ليكون حسرة في قلوبهم او لا تكونوا
مثلهم في النطق بذلك القول واعتقاده ليجعله الله حسرة في قلوبهم خاصة ويصون منها قلوبكم
ومعنى اسناد الفعل الى الله تعالى انه عند اعتقادهم ذلك المعتقد الفاسد يضع الغم والحسرة
في قلوبهم ويضيق صدورهم عقوبة لهم على الاعتقاد الفاسد **والله يحيي ويميت** رد لقولهم ان الله
قد يحيي المسافر والغازي ويميت المقيم والقاعد كما يروى عن خالد بن الوليد انه قال عند موته
ما في موضع شبر الا وفيه ضربة او طعنة وها انا ذا اموت كما يموت البعير فلا نامت اعين الجبناء
والله بما تعملون بصير فلا تكونوا مثلهم **ولئن قتلتم في سبيل الله او متم** في هذا معنى القسم كأنه قيل والله
لئن قتلتم وجواب القسم **لمغفرة من الله ورحمة** اى الموت في سبيله **خير مما يجمعون** من الدنيا ومنافعها لو لم
تموتوا وعن ابن عباس خير من طلاع الارض ذهبة حمراء وطلاعها ما يملأها ويعلو عليها حتى يسيل **ولئن
متم او قتلتم** فيه معنى القسم كالاول وجوابه **لالى الله تحشرون** اى يجمعون للجزاء كذب الله الكافرين
اولا في زعمهم ان من سافر او غزا لو كان بالمدينة لما مات ونهى المسلمين عن ذلك لانه سبب التقاعد عن الجهاد
ثم قال ولئن تم عليكم ما تخافونه من الهلاك بالموت والقتل في سبيل الله فان ما تنالونه من المغفرة والرحمة
بالموت في سبيل الله خير مما تجمعون **فبما رحمة من الله لنت لهم** اى فبرحمة من الله وما مزيدة للتوكيد
والدلالة على ان لينه لهم ما كان الا برحمة من الله وهي ربطه على جأشه وتوفيقه للرفق والتلطف
بهم حتى اتاهم بما يغتمون واغتمهم لاجل ما اصابهم بعد ما خالفوا امره وعصوه وانهزموا وتركوه **ولو
كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك** لتفرقوا عنك لا يسكن اليك احد منهم **فاعف عنهم** فيما
يختص بك **واستغفر لهم** فيما يختص بحق الله اتماما للشفقة عليهم **وشاورهم في الامر** يعني في امر الحرب
ونحوه مما لم ينزل عليك فيه وحي لتستظهر برأيهم ولما فيه من تطييب نفوسهم والرفع من اقدارهم وعن
الحسن قد علم الله ان ما به اليهم حاجة ولكن اراد ان يستن به من بعده وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم
ما تشاور قوم قط الا هدوا الى ارشد امرهم وعن ابي هريرة ما رأيت احدا اكثر مشاورة من اصحاب رسول الله

فامر الله رسوله صلى الله عليه وآله وسلم بمشاورتهم في الامر تطييباً لنفوسهم

صلى الله عليه وآله وسلم كان سادات العرب اذا لم يشاوروا في الامر شق عليهم فامر الله رسوله صلى الله عليه وآله وسلم بمشاورة اصحابه لئلا يثقل عليهم استبداده بالرأي دونهم **فَإِذَا عَزَمْتَ** يعني قطعت الرأي على شيء بعد الشورى **فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ** في امضاء امرك على الارشد الاصلح فان الذي هو اصلح لك لا يعلمه الا الله لا انت ولا من تشاور والتوكل تفويض الامر الى الله **إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ** المفوضين امورهم الى الله **إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ** كما نصركم يوم بدر **فَلَا غَالِبَ لَكُمْ** يعني لا احد يغلبكم **وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ** كما خذلكم يوم احد **فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ** اي من بعد خذلانه وهذا تنبيه على ان الامر كله لله وعلى وجوب التوكل عليه ونحوه ترغيب في الطاعة والتقوى لما يستحقون بها من النصر والتأييد وتحذير من المعصية وما يستحقون بها من العقوبة والخذلان **وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ** معناه وليخص المؤمنون ربهم بالتوكل عليه والتفويض اليه لعلمهم انه لا ناصر سواه ولان ايمانهم يوجب ذلك ويقتضيه **وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّ** يقال غل شيئاً من المغنم غلولاً واغل اغلالاً اذا اخذه في خفية ومنه قوله عليه السلام من بعثناه على عمل فغل شيئاً جاء يوم القيامة يحمله على عنقه وقوله هدايا الولاة غلول ومنه لبس على المستعير عير المغل ضمان وقوله لا اغلال ولا اسلال فالاغلال الخيانة والاسلال السرقة ذكره في الصحاح والمعنى ما صح لنبي ان يغل يعني ان النبوة تنافي الغلول وفيه وجهان احدهما ان ينزه رسول الله صلى الله عليه وآله من ذلك وينزهه وينبه على عصمته لئلا تظن به ظان سبابه كما روى ان قطيفة حمراء فقدت يوم بدر فقال بعض المنافقين لعل رسول الله اخذها وروى انها نزلت في غنائم احد حين ترك الرماة المركز وطلبوا الغنيمة وقالوا نخشى ان يقول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من اخذ شيئاً فهو له وان لا يقسم الغنائم كما لم يقسم يوم بدر فقال لهم النبي صلى الله عليه وآله الم اعهد اليكم ان لا تتركوا المركز حتى يأتيكم امري فقالوا تركنا بقية اخواننا وقوفاً فقال عليه السلام بل ظننتم انا نغل ولا نقسم لكم **و** الثاني ان يكون مبالغة في النهي لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على ما روى انه بعث طلائع فغنمت غنائم فقسمها ولم يقسم للطلائع فنزلت يعني وما كان لنبي ان يعطي قوماً ويمنع آخرين عليه ان يقسم بالتسوية وسمي حرمان بعض الغزاة غلولاً تغليظاً وتقبيحاً لصورة الامر **وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ** اي يأتي بالشيء الذي غله بعينه يحمله كما جاء في الحديث جاء يوم القيامة يحمله على عنقه وروي الا لا اعرفن احدكم يأتي ببعير له رغاء وببقرة لها خوار وشاة لها ثغاء فينادي يا محمد يا محمد فاقول لا املك لكم من الله شيئاً قد بلغتك وعن بعض جفاة الاعراب انه سرق نافجة مسك فتليت عليه الآية فقال اذاً احملها طيبة الريح خفيفة المحمل ويجوز ان يراد يأتي بما احتمل من وباله واثمه وتبعته **ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ** كان القياس ان يقال ثم يوفى ما كسب لكنه جيء بلفظ عام ليدخل تحته كل كاسب من الغال وغيره فيتصل به وابلغ لانه اذا علم الغال ان كل كاسب خيراً او شراً مجزي موفى جزاءه علم انه غير متخلص من تبعته مع عظم ما اكتسب **وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ** لا ينقصون

بما امر عمله بل يعدل بينهم في الجزاء كل جزاؤه على قدر كسبه **أَفَمَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللَّهِ كَمَنْ بَاءَ بِسَخَطٍ مِنَ اللَّهِ** هذا انكار للتسوية بين من اتبع رضوان الله بالورع والاعمال الصالحة وبين من باء اي صار حقيقاً بسخط اي غضب من الله لارتكاب محارمه **وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ** اي مصيره ومقامه **وَبِئْسَ الْمَصِيرُ** اي المرجع والمقام **هُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ اللَّهِ** اي هم متفاوتون كتفاوت الدرجات والمعنى تفاوت منازل المثابين ومنازل المعاقبين **وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ** عالم باعمالهم ودرجاتها فمجازيهم على حسبها

لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ يعني من آمن مع رسول الله صلى الله عليه وآله من قومه وخص المؤمنين منهم لانهم هم المنتفعون ببعثه **إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ** من جنسهم عربياً مثلهم وقيل من ولد اسمعيل كما انهم من ولده ووجه المنة عليهم في كونه منهم هو ان اللسان اذا كان واحداً سهل عليهم اخذ ما يجب عليهم اخذه من العلوم والمخبر بهم باحواله في الصدق والامانة فكان ذلك اقرب الى تصديقهم والوثوق به وفي كونه منهم شرف لهم وفي قراءة رسول الله صلى الله عليه وآله والصادق وفاطمة من انفسهم اي من اشرفهم لانه من اشرف قريش وهم من اشرف العرب وفيما خطب به ابو طالب في تزويج خديجة وقد حضر معه بنو هاشم ورؤساء مضر الحمد لله الذي جعلنا من ذرية ابراهيم وزرع اسمعيل وضئضئ معد وعنصر مضر وجعلنا حضنة بيته وسواس حرمه وجعل لنا بيتاً محجوجاً وحرماً آمناً وجعلنا الحكام على الناس ثم ان ابن اخي هذا محمد بن عبد الله من لا يوزن به فتى من قريش الا رجح به وهو والله بعد هذا له نبأ عظيم وخطر جليل **يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ** اي يقرأها بعد ما كانوا اهل جاهلية لم يطرق اسماعهم شيء من الوحي **وَيُزَكِّيهِمْ** يطهرهم من دنس القلوب بالكفر ونجاسة سائر الجوارح بملابسة المحرمات وسائر الخبائث **وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ** اي القرآن والسنة بعد ما كانوا اجهل الناس وابعدهم من دراسة العلوم واقتباس الآداب **وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ** اي من قبل بعثه **لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ** اي بين لا شبهة فيه **أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ** يوم احد من قتل سبعين منكم **قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا** يوم بدر من قتل سبعين واسر سبعين **قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا** اي من اين هذا وهو ان المسلمين قالوا من اين اصابنا هذا القتل والهزيمة وقد وعدنا الله النصر ونحن مسلمون وفينا رسول الله **قُلْ** لهم يا محمد **هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ** معناه اثم السبب فيما اصابكم لاختياركم الخروج من المدينة او لتخليتكم المركز

وعن علي عليه السلام لاخذكم الفداء من اسارى بدر قبل ان يؤذن لكم **إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ** فهو يقدر على النصر وعلى منعه وعلى ان يصيب بكم تارة ويصيب منكم اخرى **وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ** هو يوم احد والجمعان جمعكم وجمع المشركين **فَبِإِذْنِ اللَّهِ** اي فهو كائن باذن الله اي بتخليته استعار الاذن لتخليته الكفار وانه لم يمنعهم منهم ليبتليهم **وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ** اي ليميز واعرف المنافقين ويظهر اخلاصهم **وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا** اي وليميز الذين نافقوا من المخلصين فيظهر نفاقهم **وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا** يعني والذين قيل لهم تعالوا اي اقبلوا **قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ** اي للجهاد المشركين ويكون ان يتم الكلام على قوله نافقوا

ويكون قوله وقيل لهم كلاما مبتدأ كأنه فصل لهم قسم الأمر عليهم بين أن يقاتلوا للآخرة كما تقاتل المؤمنون
وبين أن يقاتلوا دفعا عن أنفسهم وأهليهم فقال أو ادفعوا وقيل أو ادفعوا العدو بتكثيركم سواد
المجاهدين وإن لم تقاتلوا لأن كثرة السواد مما يروع العدو ويكسر منه وعن سهل بن سعد الساعدي
وقد كف بصره لو أمكنني لبعت داري ولحقت بثغر من ثغور المسلمين فكنت بينهم وبين عدوهم قيل وكيف
وقد ذهب بصرك قال لقوله تعالى أو ادفعوا أراد كثرة سوادهم قالوا لو نعلم قتالا لاتبعناكم هذا
محمد للقدرة على القتال إنما نحذوه لنفاقهم ودغلهم وذلك ما روي أن ابن أبي انخزل مع حلفائه
فقيل له تعالى لذلك وعمل أنهم أرادوا لو نعلم ما يصح أن يسمى قتالا لاتبعناكم يعنون أنما اسم صد ليس بشيء
ولا قتال البتة فإن ما أنتم فيه إنما هو إلقاء بالأنفس إلى التهلكة لأن رأي عبد الله كان في الإقامة بالمدينة
واستقبح الخروج هم للكفر يومئذ أقرب منهم للإيمان يعني أنهم كانوا قبل ذلك اليوم متظاهرين
بالإيمان وما ظهرت منهم أمارة تؤذن بكفرهم فلما انخذلوا عن عسكر المؤمنين وقالوا ما قالوا تباعدوا بذلك
عن الإيمان المظنون واقتربوا من الكفر وقيل هم لأهل الكفر أقرب نصرة منهم لأهل الإيمان لأن
تقليلهم سواد المسلمين بالانخذال تقوية للمشركين يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم أراد
أن إيمانهم لا يجاوز أفواههم ومخارج الحروف منهم ولا تعي قلوبهم منه شيئا وذكر الأفواه مع القلوب تصوير
لنفاقهم وأن إيمانهم موجود في أفواههم معدوم في قلوبهم خلاف صفة المؤمنين في مواطأة قلوبهم
لأفواههم والله أعلم بما يكتمون من النفاق وبما يخافونه من ذم المؤمنين وتجهيلهم وتخطئة
رأيهم والشماتة بهم وغير ذلك لأنكم تعلمون بعض ذلك علما مجملا بأمارات وأنا أعلم كله علم إحاطة
بتفاصيله وكيفياته الذين قالوا لإخوانهم أي هم الذين قالوا لإخوانهم من المنافقين المقتولين
يوم أحد وقعدوا أي قالوا وقد قعدوا عن القتال لو أطاعونا أي إخواننا فيما أمرناهم به من القعود
وأرادوا أنه ما قتلوا كما لم نقتل قل فادرؤوا عن أنفسكم الموت إن كنتم صادقين معناه قل لهم إن
كنتم صادقين في أنكم وجدتم إلى دفع القتل سبيلا وهو القعود عن القتال فجدوا إلى دفع الموت
سبيلا يعني أن ذلك الدفع غير مغن عنكم لأنكم إذا دفعتم القتل الذي هو أحد أسباب الموت
لم تقدروا على دفع سائر أسبابه المبثوثة ولا بد لكم من أن يتعلق بكم بعضها وروي أنه مات يوم قالوا
هذه المقالة سبعون منافقا وقوله فادرؤوا عن أنفسكم الموت استهزاء بهم أي إن كنتم رجالا دفاعين
لأسباب الموت فادرؤوا جميع أسبابه حتى لا تموتوا ولا تحسبن الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم
أو لكل أحد الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا معناه لا تحسبن يا رسول الله أو لا يحسبن حاسب الذين
استشهدوا أمواتا بل أحياء أي بل هم أحياء وقرئ بالنصب على أحسبهم أحياء عند ربهم يرزقون أي
مقربون عنده ذوو زلفى يرزقون مثل ما يرزق سائر الأحياء يأكلون ويشربون وهو تأكيد لكونهم أحياء
ووصف لحالهم التي هم عليها من التنعم برزق الله لأنه لا رزق إلا للحي وعن مجاهد يرزقون من ثمر الجنة

ويجدون ريحها وليسوا فيها فرحين بما آتاهم الله من فضله وهو التوفيق في الشهادة وما ساق إليهم
من الكرامة والتفضيل على غيرهم من كونهم أحياء مقربين معجلا لهم رزق الجنة ونعيمها وعن النبي
صلى الله عليه وآله وسلم لما أصيب إخوانكم بأحد جعل الله أرواحهم في أجواف طير خضر ترد أنهار
الجنة وتأكل من ثمارها وتأوي إلى قناديل من ذهب معلقة في ظل العرش ويستبشرون بالذين أي
بإخوانهم المجاهدين الذين لم يلحقوا بهم أي لم يقتلوا فيلحقوا بهم من خلفهم يريد الذين
من خلفهم قد بقوا بعدهم وهم قد تقدموهم وقيل معنى لم يلحقوا بهم لم يدركوا فضلهم ومنزلتهم ألا
خوف عليهم ولا هم يحزنون معناه يستبشرون بما تبين لهم من حال من تركوا خلفهم من المؤمنين وهو أنهم يبعثون
آمنين يوم القيامة بشرهم الله بذلك فهم مستبشرون به وفي ذكر حال الشهداء واستبشارهم بمن خلفهم
بعث للباقين بعدهم على ازدياد الطاعة والجد في الجهاد والرغبة في نيل منازل الشهداء وإصابة
فضلهم وفيه مدح لحال من يرى نفسه في خير فيتمنى مثله لإخوانه في الله كما استبشر الشهداء لإخوانهم بعدهم
يستبشرون بنعمة من الله وفضل كرر يستبشرون ليعلق به ما هو بيان لقوله ألا خوف عليهم ولا هم يحزنون
من ذكر النعمة والفضل وأن ذلك أجرهم على أعمالهم يجب في عدل الله وحكمته أن يحصل لهم ولا يضيع فهو معنى
قوله وأن الله لا يضيع أجر المؤمنين أي ثواب أعمالهم لأن الثواب على العمل واجب الذين استجابوا لله
والرسول روي أن أبا سفيان وأصحابه لما انصرفوا من أحد فبلغوا الروحاء ندموا وهموا بالرجوع فبلغ
ذلك رسول الله صلى الله عليه وآله فأراد أن يرهبهم ويريهم من نفسه وأصحابه قوة فندب أصحابه للخروج
في طلب أبي سفيان وقال لا يخرجن معنا إلا من حضر يومنا بالأمس فخرج صلى الله عليه وآله في جماعة حتى بلغوا
حمراء الأسد وهي من المدينة على ثمانية أميال وكان بأصحابه القرح أي الجراح والألم فتحاملوا على أنفسهم
حتى لا يفوتهم الأجر وألقى الله الرعب في قلوب المشركين فذهبوا ومعنى استجابتهم طاعتهم لله ولرسوله
من بعد ما أصابهم القرح الجراح والألم للذين أحسنوا منهم من في قوله منهم للتبيين وليست
للتبعيض لأنهم كلهم قد أحسنوا واتقوا أي واتقوا مع إحسانهم في العمل فلهم أجر عظيم أي ثواب جزيل
الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم روي أن أبا سفيان نادى عند انصرافه
من أحد يا محمد موعدنا موسم بدر لقابل إن شئت فقال صلى الله عليه وآله إن شاء الله فلما كان القابل
خرج أبو سفيان في أهل مكة حتى نزل مر الظهران فألقى الله الرعب في قلبه فبدا له أن يرجع فلقي نعيم
بن مسعود الأشجعي وقد قدم معتمرا فقال يا نعيم إني واعدت محمدا أن نلتقي بموسم بدر وإن هذا عام جدب
ولا يصلحنا إلا عام نرعى فيه الشجر ونشرب فيه اللبن وقد بدا لي ولكن إن خرج محمد ولم أخرج زاده ذلك
جرأة فالحق بالمدينة فثبطهم ولك عندي عشر من الإبل فخرج نعيم فوجد المسلمين يتجهزون فقال لهم ما هذا
بالرأي أتوكم في دياركم وقراركم فلم يفلت منكم أحد إلا شريدا فتريدون أن تخرجوا وقد جمعوا لكم عند
الموسم فوالله لا يفلت منكم أحد فقال عليه السلام والذي نفسي بيده لأخرجن ولو لم يخرج معي أحد فخرج في سبعين

ويستبشرون بالذين

راكبًا وهم يقولون حسبنا الله ونعم الوكيل حتى وافوا بدرًا وأقاموا بها ثمان ليال وكانت معهم تجارات
فباعوها وأصابوا خيرًا وانصرفوا إلى المدينة سالمين غانمين ورجع أبو سفيان إلى مكة فسمى أهل مكة
جيشه جيش السويق لأنه زادهم وقالوا إنما خرجتم لتشربوا السويق والناس الأولون نعيم بن مسعود
والآخرون أبو سفيان وأصحابه وسمي نعيم بلفظ الناس وهو وحده لأنه لما وصل المدينة لم يخل من ناس
من أهلها يضمون جناح كلامه ويثبطون مثل تثبيطه من المنافقين فاخشوهم أي خافوهم وحاذروهم
وهو من كلام نعيم والمثبطين فزادهم إيمانًا أي كلام نعيم وقوله الذي هو أن الناس قد جمعوا لكم
فاخشوهم كأنه قيل قالوا لهم هذا الكلام فزادهم إيمانًا ومعنى ازديادهم الإيمان بكلام نعيم هو
أنهم لما لم يسمعوا قوله وأخلصوا عزمه لله والعزم على الجهاد وأظهروا حمية الإسلام كان ذلك أثبت
ليقينهم وأقوى لاعتقادهم كما يزداد اليقين بتكاثر الحجج ولأن خروجهم إلى العدو بعد التثبيط طاعة عظيمة
والطاعات من جملة الإيمان لأنه اعتقاد وإقرار وعمل وعن ابن عمر قلنا يا رسول الله الإيمان يزيد وينقص
قال نعم يزيد حتى يدخل صاحبه الجنة وينقص حتى يدخل صاحبه النار وعن عمر أنه كان يأخذ بيد الرجل
فيقول قم بنا نزدد إيمانًا وعنه لو وزن إيمان أبي بكر بإيمان هذه الأمة لرجح به وقالوا حسبنا الله
ونعم الوكيل أي حسبنا بمعنى كافينا وهو نعم الموكول إليه أمور العباد وأعظم من يكفي به ويعتمد
عليه وقيل هي الكلمة التي قالها إبراهيم عليه السلام حين ألقي في النار فانقلبوا رجعوا من بدر الصغرى بنعمة
من الله وهي السلامة وحذر العدو منهم وفضل وهو الربح في التجارة لم يمسسهم سوء يعني لم يلقوا
ما يسوؤهم من كيد عدو واتبعوا رضوان الله بجرأتهم على العدو وخروجهم لقتاله والله ذو فضل
عظيم قد تفضل عليهم بالتوفيق فيما فعلوا وفي هذا تحسير لمن تخلف عنهم وإظهار لخطأ رأيهم حيث
حرموا أنفسهم ما فازت به هؤلاء من الأجر وروي أنهم قالوا هل يكون هذا غزوًا فأعطاهم الله ثواب الغزو
ورضي عنهم إنما ذلكم الشيطان معناه إنما ذلكم المثبط هو الشيطان والمراد بالشيطان نعيم أو أبو سفيان
يخوف أولياءه الذين هم أبو سفيان وأصحابه فلا تخافوهم فتقعدوا عن القتال وتجبنوا
وخافون فجاهدوا مع رسولي وسارعوا إلى ما يأمركم به إن كنتم مؤمنين يعني أن الإيمان يقتضي أن
تؤثروا خوف الله على خوف الناس فلا تخشون أحدًا إلا الله ولا يحزنك الذين يسارعون في الكفر
أي ولا يحزنك يا رسول الله الذين يقعون في الكفر سريعًا ويرغبون فيه أشد رغبة وهم الذين نافقوا من المتخلفين
وقال ولا يحزنك ومن حق الرسول أن يحزن لنفاق من نافق وارتداد من ارتد لأن معناه لا يحزنوك لخوف
أن يضروك ويعينوا عليك بدليل قوله إنهم لن يضروا الله شيئًا يعني أنهم لن يضروا بمسارعتهم في
الكفر غير أنفسهم لأن عقاب ذلك ووباله لا يعود إلا عليهم ثم بين كيف يعود وبال المسارعة عليهم بقوله
يريد الله ألا يجعل لهم حظًا في الآخرة أي نصيبًا من الثواب ولهم في الآخرة بدل الثواب عذاب عظيم
وذكر البلوغ ما هم به الإنسان نفسه وقال يريد الله ولم يقل لا يجعل الله حظًا لأن في الإرادة زيادة إفادة

وهي أن الداعي إلى حزنه أنهم بعد خلص خلوصًا لم يبق معه صارف قط فيسارعهم في
الكفر وتماديهم في المعاصي وبلوغهم فيه الغاية حتى أن أرحم الراحمين يريد أن لا يرحمهم إن الذين اشتروا
الكفر بالإيمان أي استبدلوه به وهذا تكرير لذكر الكفار المسارعين في الكفر للتأكيد والتسجيل عليهم
لن يضروا الله شيئًا من الضرر أو بعض الضرر وإنما ضروا أنفسهم بعقاب ذلك الاشتراء وبين لحوق الضرر
بهم بقوله ولهم عذاب أليم في الآخرة ولا يحسبن الذين كفروا أي لا يظنوا وهم اليهود والمنافقون
أنما نملي لهم الإملاء لهم هو تخليتهم وإمهالهم وإطالة عمرهم خير لأنفسهم معناه لا يحسبن أن الإملاء
خير لهم من قتلهم أو قطع آجالهم إنما نملي لهم ليزدادوا إثمًا يعني إنما نطيل أعمارهم زيادة في تمكنهم
فيكون عاقبتهم الازدياد في الإثم والازدياد بعلة الإملاء وليس بغرض من الله تعالى وجاز أن يكون
الازدياد علة الإملاء على سبيل المجاز لما كان في علم الله أنهم يزدادون إثمًا استعير الإملاء لما يكسبون من
زيادة الكفر والآثام المعاصي مع التخلية والإمهال وإطالة العمر فصار كأن الإملاء وقع من أجل
ازديادهم الإثم على طريق المجاز لأن ازديادهم الإثم سبب عن الإملاء وفي قراءة بعضهم بكسر أن الأولى
وفتح الثانية ولا يحسبن بالتاء بمعنى ولا تحسبن الذين كفروا أن إملاءنا لازدياد الإثم كما يفعلون وإنما
هو ليتوبوا ويدخلوا في الإيمان وقولهم إنما نملي لهم خير لأنفسهم فاصل بين ما قبله وما بعده متصل
بما قبله ومعناه أن إملاءنا خير لأنفسهم إن عملوا فيه وعرفوا إنعام الله عليهم بفسح المدة وترك
المعاجلة بالعقوبة ولهم عذاب مهين أي لهم في الآخرة عذاب يهينهم ما كان الله ليذر المؤمنين
المعنى ما كان ليترك المؤمنين على ما أنتم عليه من اختلاط المؤمنين المخلصين والمنافقين حتى يميز
الخبيث من الطيب أي يعزل المنافق عن المؤمن المخلص والخطاب في أنتم للمصدقين جميعًا من أهل
الإخلاص والنفاق كأنه قيل ما كان الله ليذر المخلصين منكم على الحال التي أنتم عليها من اختلاط
بعضكم ببعض وأن لا يعرف مخلصكم من منافقكم لاتفاقكم على التصديق جميعًا حتى يميزهم منكم بالوحي
إلى نبيه وإخباره بأحوالكم ثم قال وما كان الله ليطلعكم على الغيب أي وما كان الله ليؤتي أحدًا
منكم علم الغيب فلا تتوهموا إذا أخبركم الرسول بنفاق الرجل وإخلاص الآخر أنه يطلع على ما في القلوب
اطلاع الله فيخبر عن كفرها وإيمانها ولكن الله يجتبي أي يصطفي ويختار من رسله من يشاء
من يشاء اجتباءه فيخبره ببعض المغيبات وأن فلانًا في قلبه النفاق وفلانًا في قلبه الإخلاص فيعلم
ذلك من جهة إخبار الله له لا من جهة علمه بالغيب فآمنوا بالله بأن تقدروه حق قدره وتعلموه
وحده مطلعًا على الغيوب ورسله بأن تنزلوهم منازلهم وتعلموهم عبادًا مختارين لا يعلمون إلا ما علمهم
الله ولا يخبرون إلا بما أخبرهم به وأنهم ليسوا من علم الغيب في شيء وروى السدي أن الكفرة قالوا إن
كان محمد صادقًا فليخبرنا من يؤمن منا ومن يكفر فنزلت وإن تؤمنوا تصدقوا بأن علم الغيب لا يعلمه
إلا الله وتتقوا المعاصي وفعلها فلكم أجر عظيم ثواب جزيل ولا يحسبن الذين يبخلون بما

آتاهم الله من فضله اي من عطائه معناه لا يحسبن الذين يبخلون بخلهم هو خيرا لهم وحذف لدلالة
يبخلون عليه وقرى بالتاء اي لا تحسبنهم يا رسول الله وهو عام لكل احد ولا بد من تقدير محذوف وصورته
ولا تحسبن بخل الذين يبخلون هو خيرا لهم وهو فصل بين ... وما قبله للتاكيد وقرا الاعمش
بل هو شر لهم اي البخل شر لهم والمراد بالبخل بالزكاة زكاة الورق الذي آتاهم الله من فضله
سيطوقون اي يلزمون عقاب ما بخلوا به من الزكاة الزام الطوق وقيل يجعل
ما بخلوا به من الزكاة حية يطوقها في عنقه يوم القيمة تنهشه من قرنه الى قدمه وتنقر راسه وتقول
انا مالك وعن النبي صلى الله عليه وآله في مانع الزكاة يطوق بشجاع اقرع وروي بشجاع اسود وعن
النخعي سيطوقون بطوق من نار ولله ميراث السموات والارض اي له ما فيهما مما يتوارثه اهلهما
من مال وغيره فما لهم يبخلون عليه بملكه ولا ينفقونه في سبيله والله بما تعملون خبير يعني يعلم بخلكم
فيعاقبكم عليه اشد العقاب لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن اغنياء روي
ان رسول الله صلى الله عليه وآله كتب مع ابي بكر الى يهود بني قينقاع يدعوهم الى الاسلام واقام الصلوة
وايتاء الزكوة وان يقرضوا الله قرضا حسنا فقال فنحاص اليهودي ان الله فقير حين سالنا القرض
فلطمه ابو بكر في وجهه وقال لولا الذي بيننا وبينكم من العهد لضربت عنقك فشكاه الى رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم وجحد ما قاله فنزلت وقيل قال ذلك اليهود حين سمعوا قول الله تعالى من ذا الذي
يقرض الله قرضا حسنا وقالوا اما ان يكونوا عن اعتقاد لذلك او عن استهزاء بالقرآن وايهما كان فالكلمة
عظيمة لا تصدر الا عن متمردين في الكفر ومعنى سماع الله له انه لم يخف عليه وانه اعد له كفاءه من العذاب
سنكتب ما قالوا يعني في صحائف الحفظة ونحفظه في علمنا لا ننساه وقتلهم الانبياء بغير حق اي ونكتب
قتلهم الانبياء وقال سنكتب ولم يقل ولقد كتبنا لانه ذكر وجود السماع اولا مؤكدا بالقسم ثم قال سنكتب
على جهة الوعيد بمعنى لن نفوتنا ابدا اثباته وتدوينه كما لم يفتنا قتلهم الانبياء وجعل قتلهم الانبياء قرينة
له ايذانا بانهما في العظم اخوان وبان هذا ليس باول ما ركبوه من العظائم وانهم اصلاء في الكفر ولهم
فيه سوابق وان من قتل الانبياء لم يستبعد منه الاجتراء على مثل هذا القول ونقول لهم ذوقوا عذاب الحريق اي
وننتقم منهم بان نقول لهم يوم القيمة ذوقوا عذاب الحريق كما اذقتم المسلمين الغصص يقال للمنتقم
منه احسن وذق على جهة التبكيت كقوله ذق انك انت العزيز الكريم ذلك بما قدمت ايديكم اي ذلك
العقاب بسبب ما عملتم من الكفر وذكر الايدي لان اكثر الاعمال تزاول بهن فجعل كل عمل كالواقع بالايدي
على سبيل التغليب وان الله ليس بظلام للعبيد اي وبسبب ان الله ليس بظلام بل هو عادل في
افعاله ومن العدل ان يثيب المحسن منهم ويعاقب المسيء الذين قالوا ان الله عهد الينا اي امرنا في
التورية واوصانا الا نؤمن لرسول حتى ياتينا بقربان تاكله النار اي حتى ياتينا بهذه الآية الخاصة وهو ان يريبنا
قربانا فتنزل نار من السماء فتاكله كما كان انبياء بني اسرائيل بينهم كان يقرب القربان فيقوم النبي فيدعو فتنزل نار

من السماء فتاكله وهذه منهم دعوى باطلة وكذب على الله لان اكل النار القربان لم يوجب الايمان
للرسول الآتي به لكونه آية ومعجزة فهو اذا وساير الآيات سواء فلا يجوز ان يقتصه الله تعالى من بين الآيات
قل قد جاءكم رسل من قبلي بالبينات هذا الزام لهم لانه اتاهم جاؤهم بالبينات اي المعجزات الكثيرة
الموجبة للتصديق وبالذي قلتم اي وبمعنى الذي قلتموه من قولكم قربان تاكله النار فلم قتلتموهم
ان كنتم صادقين في ان الايمان للرسول يلزمكم باتيانها فان كذبوك يا محمد فقد كذب رسل من قبلك
جاؤا بالبينات وهي المعجزات والزبر وهي الصحف اي الكتب والكتاب المنير التورية والانجيل والزبور
وهذه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وآله من تكذيب قومه ومن تكذيب اليهود كل نفس ذائقة الموت
اي ماتة لا محالة المطاعة للموت والمرارته وانما توفون اجوركم يوم القيمة معناه ان كلكم يموتون
لا بد لكم من الموت ولا توفون اجوركم على طاعاتكم ومعاصيكم عقيب موتكم وانما توفونها يوم قيامكم
عن القبور وليس في هذا ما يوهم نفي ما جاء في الحديث ان القبر روضة من رياض الجنة او حفرة من حفر
النار لان كلمة التوفية تزيل هذا الوهم والمعنى ان توفية الاجور وتكميلها يكون ذلك اليوم وما يكون قبل
ذلك بعض الاجور فمن زحزح عن النار وادخل الجنة اي نحي وابعد والزحزحة التنحية والابعاد
وهو الجذب بعجلة فقد فاز فقد حصل له الفوز المطلق المتناول لكل ما يفاز به ولا غاية للفوز
وراء النجاة من سخط الله والعذاب السرمد ونيل رضوان الله وعن النبي صلى الله عليه
من احب ان يزحزح عن النار ويدخل الجنة فلتدركه منيته
وهو يؤمن بالله واليوم الآخر ويأتي الى الناس ما يحب ان يؤتى اليه وهذا شامل للمحافظة على حقوق
الله تعالى وحقوق عباده وما الحيوة الدنيا الا متاع الغرور شبه الله تعالى الدنيا بالمتاع الذي يدلس
به على المستام ويغر حتى يشتريه ثم يتبين له فساده ورداءته والشيطان هو المدلس الغرور وعن
سعيد بن جبير انما هذا لمن آثرها على الآخرة فاما من طلب الآخرة بها فانها متاع بلاغ لتبلون في اموالكم
خاطب الله المؤمنين بذلك ليوطنوا انفسهم على احتمال ما سيلقون من الاذى والشدائد والصبر عليها
حتى اذا لقوها لقوها وهم مستعدون لها فلا يقع عليهم من الشدة ما يقع على من تصيبه الشدائد
بغتة فينكرها وتشق عليه والبلاء في الانفس بالقتل والاسر والجروح وما يرد عليها من المخاوف
والمصائب وفي الاموال الانفاق في سبيل الخير وما يقع فيها من الآفات ولتسمعن من الذين اوتوا الكتاب
المسموع منهم المطاعن في الدين وعيب اهله ومنع من اراد الايمان وتخطئة من آمن وسبهم للرسول
صلى الله عليه وآله وما سمع من فنحاص ومن بني قريظة والنضير وبعض المشركين عليه ومن الذين اشركوا
اذى كثيرا هم مشركو قريش ومن هو على مذهبهم واذاهم ما كان يقع منهم على المؤمنين من الاذى
على الايمان وامتحانا لاهله وان تصبروا على البلاء الذي يقع عليكم وعلى ما تسمعون من الاذى وتتقوا
الله فتصبروا له على احتمال الشدائد في دين الله فان ذلك المذكور من الصبر والتقوى من عزم الامور

[illegible] اي [illegible] العزم [illegible] من الامور [illegible] ان يكون [illegible]

وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس [illegible]

ولا تكتمونه [illegible]

فنبذوه وراء ظهورهم اي [illegible]

[illegible]

قال رضي الله عنه [illegible]

[illegible] على [illegible]

وعن النبي صلى الله عليه وآله [illegible]

وعن علي عليه السلام [illegible]

واشتروا به ثمنا قليلا [illegible]

فبئس ما يشترون اي [illegible]

لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا اي [illegible]

روي ان رسول الله صلى الله عليه وآله [illegible]

[illegible]

ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا [illegible]

فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب اي [illegible]

[illegible]

[illegible] رسول الله صلى الله عليه وآله [illegible]

[illegible]

ولهم عذاب أليم [illegible] **ولله ملك السماوات والأرض** [illegible]

والله على كل شيء قدير [illegible] **إن في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار**

لآيات [illegible] **لأولي الألباب** [illegible]

الذين [illegible]

وعن ابن عمر [illegible]

[illegible]

وعن علي عليه السلام ان النبي صلى الله عليه وآله [illegible]

[illegible]

الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم [illegible]

[illegible]

وعن النبي صلى الله عليه وآله [illegible]

[illegible]

ويتفكرون في خلق السماوات والأرض [illegible]

[illegible]

ربنا ما خلقت هذا باطلا اي [illegible]

[illegible]

فقنا عذاب النار لانه من عصاه ولم يطع ربنا إنك من تدخل النار فقد أخزيته اى فقد بلغت
في اخزائه واهانته وما للظالمين من أنصار اللام اشارة الى من يدخل النار واعلام بان من يدخل
النار فلا ناصر له بشفاعة ولا غيرها ربنا إننا سمعنا مناديا ينادي للإيمان المنادي هو الرسول
صلى الله عليه وآله وسلم وقيل القرآن والايمان الاسلام أن آمنوا بربكم اى آمنوا او بان آمنوا ربنا
فآمنا اجبنا وصدقنا ربنا فاغفر لنا اى استر لنا ذنوبنا كبائرنا وكفر عنا غط عنا
سيئاتنا صغائرنا بطاعتنا وتوفنا مع الأبرار اى اماتنا مخصوصين بصحبتهم معدودين في جملتهم
ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك اى آتنا ما وعدتنا على تصديق رسلك من الثواب وقيل ما وعدتنا
على ألسنة رسلك والموعود هو الثواب ولا تخزنا يوم القيامة اى لا تهنا ولا تفضحنا بالاسقاط
إنك لا تخلف الميعاد معلوم ان الله لا يخلف الميعاد لكن فائدة هذا
وجملة من اخزيته بادخال النار اسباب انجاز الميعاد وهو باب من الالتجاء الى الله والخضوع
الدعاء هو طلب المؤمنين مما عظم عليهم يقصدون بذلك التذلل والتضرع الذي هو
له كاستغفار الانبياء عليهم السلام المغفور لهم وقال أني لا أضيع عمل عامل منكم
مما العفو عنه فاستجاب لهم ربهم يعني اجاب للمؤمنين دعاءهم
ايها المؤمنون والمعنى انه لا يبطل لاحد عنده عمل من ذكر أو أنثى بعضكم من بعض اى تجمع
ذكوركم واناثكم اصل واحد فكل واحد منكم من الآخر اى من اصله وهذه جملة معترضة بينت شركة النساء
مع الرجال فيما وعد الله عباده العاملين وروي ان ام سلمة قالت يا رسول الله اني اسمع الله يذكر
الرجال في الهجرة ولا يذكر النساء فنزلت فالذين هاجروا وأخرجوا من ديارهم هذا تفصيل
لعمل العاملين على سبيل التعظيم له والتفخيم كانه قال فالذين عملوا هذه الاعمال السنية الفائقة
وهي المهاجرة عن اوطانهم فارين الى الله بدينهم من دار الفتنة واضطروا الى الخروج من ديارهم
التي ولدوا فيها ونشأوا بما سامهم المشركون من الخسف وأوذوا في سبيلي من اجله وسببه والمراد
سبيل الدين وقاتلوا وقتلوا يعني غزوا المشركين واستشهدوا لأكفرن عنهم سيئاتهم اى
لأغطين عنهم صغائرهم ثوابهم الذي لا اضيعه ولأدخلنهم جنات تجري من تحتها الأنهار هو جواب قسم
محذوف لتأكيد الوعد بتكفير سيئاتهم وادخالهم جنات النعيم ثوابا مؤكد لما قبله لان قوله
لأكفرن عنهم ولأدخلنهم في معنى لأثيبنهم ثوابا اى اثابة وقوله من عند الله تشريف للاثابة
بمعنى ثوابا يختص بالله وبقدرته وفضله لا يقدر على مثله الا الله والله عنده حسن الثواب
وهي الجنة فلا يطلبها الا من وصف بما وصف قال رضي الله عنه وهذا يعلم من الله تعالى
كيفية الدعاء وسهولته وتضرع وتكرير ربنا من باب الاستهلال واعلام بما يوجب حسن الاجابة
وحسن الاثابة من احتمال المشاق في دين الله والصبر على صعوبة تكاليفه وقطع اطماع الكسالى
المتمنين على الله الثواب بغير عمل ومن اسباب الدعاء ان يبسط يديك ويشير بالمسبحة اليسرى

والابتهال

والابتهال ان ترفع يديك فوق راسك والتضرع ان ترفع يديك حذو منكبيك وهذا الثالث مأثور
عن والدنا الامام المؤيد بالله يحيى بن حمزة عليه السلام وعن جعفر الصادق عليه السلام من حزبه امر
فقال خمس مرات ربنا انجاه الله مما يخاف واعطاه الله ما اراد وقرأ هذه الآية لان تكرير ربنا
فيها خمس مرات وعن الحسن حكى الله عنهم انهم قالوا خمس مرات ربنا ثم اخبر انه استجاب لهم الا
انه اتبع ذلك رافع الدعاء وما يستجاب به ولابد من تقدمه من يريد الدعاء لا يغرنك تقلب الذين كفروا
في البلاد الخطاب للرسول صلى الله عليه وآله وسلم او لكل احد والمعنى لا تنظر الى ما هم عليه
من سعة الرزق والمضطرب واصابة حظوظ الدنيا العاجلة الزائلة ولا تغتر بظاهر ما ترى من
تبسطهم في الارض وتصرفهم في البلاد يكسبون ويتجرون ويتدهقنون وعن ابن عباس هم اهل مكة
وقيل هم اليهود قال رضي الله عنه ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا يغتر بذلك
لكن في نهيه عن الاغترار وجهان احدهما ان مدار القوم ومتقدمهم اذا خوطب بشيء كان خطابا للجميع
فكأنه قيل لا يغرنكم والثاني انه صلى الله عليه وآله وسلم كان غير مغرور بحالهم فأكد عليه ما كان
عليه من عدم الاغترار وثبت على التزامه كقوله ولا تكونن من الكافرين ولا تكونن من المشركين
ولا تطع المكذبين وهذا من في النهي ونحوه متاع قليل اي ذلك متاع قليل وهو التقلب في
البلاد اراد قلته في جنب ما فاتهم من نعيم الآخرة او في جنب ما اعد الله للمؤمنين من الثواب او اراد
فلقلة بقائه لا ينقضي دون اللذة وكل زائل قليل قال صلى الله عليه وآله ما الدنيا
في الآخرة الا مثل ما يجعل احدكم اصبعه في اليم فلينظر بم يرجع ثم مأواهم جهنم اى مصيرهم
ومستقرهم وبئس المهاد اى بئسما مهدوا لانفسهم لكن الذين اتقوا ربهم هذا استدراك
ومعناه ليس للكافرين عاقبة خير لكن للمؤمنين الذين اتقوا ربهم باجتناب معاصيه لهم جنات تجري
من تحتها الأنهار خالدين فيها اي دائمين لا يستطيعون نزلا من عند الله النزل ما يفعل للضيف
عند نزوله والمعنى كرامة لهم من الله وما عند الله من الكثير الدائم خير للأبرار مما يتقلب
فيه الفجار والتجار من القليل الزائل الذي لا ادرى له عند الله ولا قدر وإن من أهل الكتاب
لمن يؤمن بالله عن مجاهد نزلت هذه في عبد الله بن سلام وغيره من مسلمة اهل الكتاب وقيل في اربعين
اهل نجران وقيل في النجاشي ملك الحبشة وذلك انه لما مات نعاه جبريل الى رسول الله صلى الله عليه وآله
فقال عليه السلام اخرجوا فصلوا على اخ لكم مات بغير ارضكم فخرج الى البقيع ونظر الى ارض
الحبشة فابصر سرير النجاشي وقد رفع له فصلى عليه واستغفر له فقال المنافقون انظروا الى هذا
يصلي على علج نصراني لم يره قط وليس على دينه فنزلت تكذيبا لهم وما أنزل إليكم من القرآن
وما أنزل إليهم من التوراة والانجيل خاشعين لله الخشوع التذلل اى يتذللون له لا يشترون
لا يستبدلون بآيات الله ثمنا قليلا وهو الرشا على كتمان ما في التوراة من صفة خاتم الانبياء صلى
الله عليه وآله

اولئك لهم اجرهم عند ربهم اى ما

اى لا يفعلوا كما يفعل من لم يسلم من احبارهم وكبارهم اولئك لهم اجرهم عند ربهم اى ما
يخصهم من الاجر وهو ما وعده فى قوله يؤتون اجرهم مرتين وقوله يؤتكم كفلين من رحمته ان الله
سريع الحساب لنفوذ علمه فهو عالم بما يستوجبه كل عامل ولذلك روى انه يحاسب الخلق على كثرتهم
فى مقدار لمحة يا ايها الذين آمنوا اصبروا على الدين وتكاليفه وصابروا اعداء الله فى الجهاد اى غالبوهم
فى الصبر على شدائد الحرب لا تكونوا اقل صبرا منهم وثباتا والمصابرة باب من الصبر ذكر بعد ذكر خاص
اصبروا لكن افردت بالذكر لشدتها وصعوبتها ورابطوا اى اقيموا فى الثغور رابطين خيلكم
فيها مترصدين مستعدين للغزو قال الله تعالى ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم
وعن النبى صلى الله عليه واله من رابط يوما وليلة فى سبيل الله كان كعدل صيام شهر وقيامه لا
يفطر ولا ينفتل عن صلوته الا لحاجة وقيل الرباط انتظار الصلوة بعد الصلوة فى المسجد لانه
لم يكن فى زمن النبى صلى الله عليه واله وسلم ثغر ولقوله صلى الله عليه واله الا ادلكم على ما يمحو الله به
الخطايا ويرفع به الدرجات قالوا بلى قال اسباغ الوضوء على المكاره وكثرة الخطا الى المساجد
وانتظار الصلوة بعد الصلوة فذلكم الرباط فذلكم الرباط رواه مسلم واتقوا الله بطاعته فيما
امر ونهى لعلكم تفلحون تظفرون بمطلوبكم

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة النساء مدنية وهى مائة وخمس وسبعون

يا ايها الناس خطاب عام كانه قال يا بنى آدم اتقوا ربكم اى قوا انفسكم عذاب الله
بتقوى الله وطاعته الذى خلقكم من نفس واحدة اى فرعكم من اصل واحد وهو نفس آدم
ابيكم والمعنى خلقكم من نفس واحدة هذه صفتها وهو انه انشاها من تراب وخلق منها زوجها
اى خلق من آدم حوى من ضلع من اضلاعه روى انها خلقت من ضلع آدم اليسرى ولهذا سميت حوى لانها خلقت
من حى وعن النبى صلى الله عليه واله ان المراة خلقت من ضلع اعوج فان ذهبت تقيمها كسرتها وان تركتها وفيها
عوج استمتعت بها وبث منهما اى فرق من آدم وحوى نوعى جنس الانس رجالا كثيرا ونساء وهم
الذكور والاناث وفى هذا الخلق والتفريع ما يوجب التقوى ويدعو اليها لان ذلك مما يدل على عظم القدرة
وباهر الحكمة وان من قدر على نشئه كان قادرا على كل شىء ومن المقدورات عقاب العصاة فالنظر فيه
يؤدى الى ان يتقى القادر عليه ويخشى عقابه ولانه يدل على النعمة السابغة عليهم فحقهم ان يتقوه
فى كفرانها والتفريط فيما يلزمهم من القيام بشكرها واتقوا الله الذى تسائلون به والارحام اى يسال
بعضكم بعضا بالله وبالرحم فيقول بالله وبالرحم افعل كذا على سبيل الاستعطاف والمعنى انهم
كانوا يعرفون بان لهم خالقا وكانوا يتساءلون بذكر الله والرحم فقيل لهم اتقوا الله الذى خلقكم
واتقوا الذى تناشدونه واتقوا الارحام فلا تقطعوها وقد اعلم الله عز وجل اذ قرن الارحام بذكره

ان صلتها بمنه بمكان اعلى مكان كما قال الا تعبدوا الا اياه وبالوالدين احسانا وعن الحسن اذا
سالك بالله فاعطه واذا سالك بالرحم فاعطه والرحم حجنة عند العرش ومعناه ما روى عن ابن عباس
الرحم معلقة بالعرش فاذا اتاها الواصل بشت به وكلمته واذا اتاها القاطع احتجبت منه
وسئل ابن عيينة عن قوله عليه السلم تخيروا لنطفكم فقال يقول لاولادكم وذلك ان تضع ولدك فى الحلال
الا تسمع قوله تسائلون به والارحام واول صلته ان تختار له الموضع الحلال فلا تقطع رحمه ولا
نسبه فانما للعاهر الحجر ولا تضعه موضع سوء تتبع شهوته وهواه بغير هدى من الله ان الله كان
عليكم رقيبا اى مطلعا على تقواكم واعمالكم فيجازيكم عليها وآتوا اليتامى اموالهم اليتامى الذين مات
اباؤهم فانفردوا عنهم واليتم الانفراد واليتم فى الاناسى من قبل الاباء وفى البهائم من قبل الامهات
وحق هذا الاسم ان يقع على الصغار والكبار لبقاء معنى الانفراد عن الاباء الا انه قد غلب ان يسموا به
قبل ان يبلغوا فاذا بلغوا مبلغ الرجال واستغنوا بانفسهم من الكافل لهم والقائم عليهم
واستقلوا كفاة يتكفلون غيرهم ويقومون عليهم زال عنهم هذا الاسم وكانت قريش تقول لرسول الله
صلى الله عليه واله يتيم ابو طالب توضعا له واما قوله عليه السلم لا يتم بعد الحلم فما هو الا تعليم
شريعة لا لغة يعنى انه اذا احتلم لم يجر عليه احكام الصغار والمعنى باسم اليتامى الاطلاع فيها
الاوصياء والاولياء وولاة السوء ونتانه ويكفوا عنها ايديهم الخاطفة حتى تاتى اليتامى اذا بلغوا
سالمة عن سوء صنيعه قيل نزلت فى رجل من غطفان كان معه مال كثير لابن اخ له يتيم فلما بلغ طلب
المال فمنعه عمه فترافعا الى النبى صلى الله عليه واله فنزلت فلما سمعها العم قال اطعنا الله واطعنا
رسوله نعوذ بالله من الحوب الكبير فدفع ماله اليه فقال النبى صلى الله عليه واله ومن يوق شح نفسه
ويطع ربه هكذا فانه يحل داره يعنى جنته فلما قبض الفتى ماله انفقه فى سبيل الله تعالى
فقال النبى صلى الله عليه واله ثبت الاجر وبقى الوزر قالوا يا رسول الله قد عرفنا انه ثبت الاجر
فكيف بقى الوزر وهو ينفق ماله فى سبيل الله فقال ثبت اجر الغلام وبقى الوزر على والده قيل
لانه كان مشركا او لانه منع الزكوة ومذهب ائمتنا عليهم السلام ان الوارث اذا علم
او غلب على ظنه ان مال مورثه مشغول بالزكوة او مستهلك بالربا او سوق الاموال وجب عليه صرفه فى
مصارفه وان لم يعلم فالظاهر التحليل وله الاجر على موته الوزر وكفى بهذا تزهيدا فى حطام
الدنيا فان حلالها حساب وحرامها عقاب ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب اى ولا تستبدلوا الحرام
وهو مال اليتامى بالحلال وهو مالكم وما ابيح لكم من المكاسب ورزق الله المبثوث فى الارض فتاكلوه
مكانه او لا تستبدلوا الامر الخبيث وهو اكل اموال اليتامى بالامر الطيب وهو حفظها والتورع
منها ولا تاكلوا اموالهم الى اموالكم اى لا تضموها اليها فى الانفاق حتى لا تفرقوا بين اموالكم
واموالهم قلة مبالاة بما لا يحل لكم وتسوية بينه وبين الحلال واكل اموال اليتامى محرم عليهم مع اموالهم

سورة النساء
عشرون ركوع

وحده لكنهم لما كانوا مستغنين عن اموال اليتامى بما رزقهم الله من مال الحلال وهم مع ذلك
يطمعون فيها كان القبح ابلغ والذم احق وانهم كانوا يفعلون كذلك فنعى عليهم فعلهم وسمع
بهم لكونه ازجر لهم انه كان حوبا كبيرا الحوب الذنب العظيم وان خفتم الا تقسطوا في اليتامى
لما نزلت الاية في اليتامى وما في اكل اموالهم من الحوب الكبير خاف الاولياء ان يلحقهم الذنب
بترك الاقساط في حقوق اليتامى واحدوا يتحرجون من ولايتهم وكان الرجل منهم تحته العشر من الازواج
والثمان والست فلا يقوم بحقوقهن ولا يعدل بينهن فقيل لهم ان خفتم ترك العدل في حقوق اليتامى
فتحرجتم منها فكونوا خائفين من ترك العدل بين النساء فقللوا عدد المنكوحات لان من تحرج من ذنب او تاب عنه وهو مرتكب مثله
فهو غير متحرج ولا تائب وقيل كانوا يتحرجون في ولاية اليتامى ولا يتحرجون من الزنا فقيل لهم ان
خفتم الحوب في حق اليتامى فخافوا الزنا فانكحوا ما طاب لكم من النساء اي ما حل لكم ولا تحوموا
حول المحرمات وقيل كان الرجل يجد اليتيمة لها مال وجمال او يكون وليها فيتزوجها ضنا بها عن غيره
فربما اجتمعت عنده عشر منهن فيخاف لضعفهن وفقد من يغضب لهن ان يظلمهن حقوقهن ويفرط فيما يجب
لهن فقيل لهم اذا خفتم الا تعدلوا فيهن فانكحوا من غيرهن ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع
اثنتين اثنتين وثلاثا ثلاثا واربعا اربعا فان خفتم الا تعدلوا
بيان لاحوال المنكوحات في العدد فواحدة اي فالزموا او فاختاروا واحدة وذروا
بين هذه الاعداد كما خفتم ترك العدل فيما فوقها واحدة بالرفع
الجمع راسا فان الامر كله يدور مع العدل فاينما وجدتم العدل فعليكم به او ما ملكت ايمانكم يعني من الاماء من غير حصر سوى
كان على معنى فالمقنع واحدة او فحسبكم واحدة ولا توقيت عدد ولعمري انهن اقل تبعة واخف
في السهولة واليسر بين الحرة الواحدة وبين الاماء من غير حصر ولا توقيت عدد ولعمري انهن اقل تبعة واخف
مؤنة من المهائر لا عليك اكثرت منهن ام اقللت عدلت بينهن في القسم ام لم تعدل عزلت ام لم تعزل
ذلك اشارة الى اختيار الواحدة والتسري ادنى الا تعولوا يعني اقرب من ان لا تميلوا وقيل
ان لا تكثر عيالكم وآتوا النساء صدقاتهن اي مهورهن نحلة اي عطية عن طيبة نفس وقيل نحلة من الله
عطية من عنده وتفضلا منه عليهن وقيل النحلة الملة ومعناه آتوهن مهورهن ديانة
والخطاب للازواج وقيل للاولياء لانهم كانوا ياخذون مهور بناتهم وكانوا يقولون هنيئا لك النافجة
لمن يولد له بنت يعنون تاخذ مهرها فتنفج به مالك اي تعظمه فان طبن لكم عن شيء منه نفسا
معناه فان وهبن لكم شيئا من الصداق بطيبة من نفوسهن غير مضطرات الى الهبة
اخلاقكم وسوء معاشرتكم فكلوه فانفقوه فيما شئتم كسائر اموالكم قالوا فان وهبت له ثم طلبت
منه بعد الهبة علم انها لم تطب منه نفسا وعن الشعبي ان رجلا اتى مع امراته شريحا في عطية اعطتها
اياه وهي تطلب ان ترجع فقال شريح رد عليها فقال الرجل اليس قد قال الله تعالى فان طبن لكم
قال شريح لو طابت نفسها عنه لما رجعت فيه وعنه انه قال اقيلها فيما وهبت ولا اقيله لانهن يخدعن

وعن عمر انه كتب الى قضاته ان النساء يعطين رغبة ورهبة فايما امراة اعطت ثم ارادت ان ترجع فلها
ذلك وعن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن هذه الاية فقال اذا جادت بالعطية
لزوجها طائعة غير مكرهة لا يقضي عليكم به سلطان ولا يؤاخذكم به الله في الاخرة ومذهب ائمتنا
عليهم السلام ان ما وهبت مكرهة لم يصح وان وهبت طائعة فان كان الموهوب دينا صح ولا رجوع فيه
وان كان عينا صح ولها الرجوع الا ان يكون الهبة لوجه الله او لصلة رحم او كانت سهما او هبة لعطف
الصدقة او يكون الموهوب مستهلكا او وجه من الوجوه المانعة عن الرجوع وروي ان اناسا كانوا
يتحرجون ان يرجع احدهم في شيء مما ساق الى امراته فنزلت في تجويز ما وهب بطيبة نفس من غير اكراه
ولا خديعة وفي الاية دليل على ضيق المسلك ووجوب الاحتياط حيث قال فان طبن ولم يقل فان وهبن
او سمحن وفي قوله عن شيء منه حث لهن على تقليل الموهوب وعن الليث لا يجوز تبرعها الا باليسير
وعن الاوزاعي لا يجوز تبرعها ما لم تلد او تقم في بيت زوجها سنة هنيئا مريئا اي اكلا هنيئا مريئا
على الدعاء وهذه عبارة عن التحليل والمبالغة في الاباحة وازالة التبعة ولا تؤتوا السفهاء اموالكم
السفهاء المبذرون الذين ينفقونها فيما لا ينبغي ولا معرفة لهم بوجوه المصالح في التصرف والخطاب
للاولياء والسفهاء اليتامى واضاف المال الى الاولياء لانها من جنس ما يقيم به الناس معايشهم كما قال
ولا تقتلوا انفسكم اي جنس انفسكم من اخوانكم والدليل على انه خطاب للاولياء في اموال اليتامى قوله وارزقوهم
فيها واكسوهم التي جعل الله لكم قياما اي تقومون بها وتنتعشون ولو ضيعتموها لضعتم فكانها في نفسها
قيامكم وكان السلف يقولون المال سلاح المؤمن لان اترك مالا يحاسبني الله عليه خير من ان احتاج الى الناس
وعن سفيان وكانت له بضاعة يقلبها لولاها لتمندل بي بنو العباس وعن غيره وقد قيل له انها تدنيك من
الدنيا فقال لئن ادنتني من الدنيا لقد صانتني عنها وكانوا يقولون اتجروا واكتسبوا فانكم في زمان ان
احتاج احدكم كان اول ما ياكل دينه وارزقوهم فيها واكسوهم اي واجعلوها مكانا لرزقهم
بان تتجروا فيها وتربحوا حتى تكون نفقتهم من الارباح لا من صلب المال فلا ياكلها الانفاق وقيل هو امر
لكل احد الا يخرج ماله الى احد من السفهاء قريب او اجنبي رجل او امراة يعلم انه يضعه فيما لا ينبغي ويفسده
وقولوا لهم قولا معروفا قيل عدة جميلة ان صلحتم ورشدتم سلمنا اليكم اموالكم وقيل ان ربحت اعطيتك
وان غنمت في غزاتي جعلت لك حظا وقيل ان لم يكن ممن وجبت عليك نفقته فقل عافانا الله واياك وبارك
الله فيك وكل ما سكنت اليه النفس واحبته لحسنه عقلا او شرعا من قول او عمل فهو معروف وما انكرته
ونفرت عنه لقبحه فهو منكر وابتلوا اليتامى اختبروا عقولهم وذوقوا احوالهم ومعرفتهم قبل
البلوغ حتى اذا بلغوا النكاح بلوغ النكاح ان يحتلم لانه يصلح للنكاح عنده ولطلب ما هو مقصود
به وهو التوالد فان آنستم منهم رشدا اي تبينتم منهم رشدا اي هداية فادفعوا اليهم اموالهم
من غير تاخير عن حد البلوغ والايناس الاستيضاح والابصار واختلف في الابتلاء والرشد فالابتلاء

عند ح واصحابه ان يدفع اليه ما يتصرف فيه حتى يتبين حاله فيما يجيء منه والرشد الهدى الى وجوه التصرف وعن ابن عباس هو الصلاح في العقل والحفظ للمال وهو مذهب ائمتنا عليهم السلام وعند ش الابتلاء ان يتبع احواله وتصرفه في الاخذ والاعطاء ويستبصر مخايله وميله الى الدين والرشد الصلاح في الدين لان الفسق مفسدة للمال فان لم يؤنس منه رشدا الى حد البلوغ فعند ح ينتظر الى خمس وعشرين سنة لان مدة بلوغ الذكر عنده بالسن ثماني عشرة سنة فاذا زاد عليها سبع سنين وهي مدة معتبرة في تغير احوال الانسان لقوله عليه السلام مروهم بالصلوة لسبع دفع اليه ماله اونس منه الرشد او لم يؤنس وعند اصحابه لا يدفع اليه ابدا الا بايناس الرشد ومذهب ائمتنا عليهم السلام اذا احتلم او حاضت المراة ولم يكن ان مدة البلوغ المعتبرة كمال خمس عشرة سنة فهي تسلم اليه ماله من غير تراخ عند المطالبة **ولا تأكلوها اسرافا وبدارا ان يكبروا** اي مسرفين ومبادرين كبرهم او لاسرافكم ومبادرتكم كبرهم يفرطون في انفاقها ويقولون ننفق كما نشتهي قبل ان يكبر اليتامى فينتزعوها من ايدينا **ومن كان غنيا فليستعفف ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف** ثم قسم الامر بين ان يكون الوصي غنيا وبين ان يكون فقيرا فالغني يستعفف من اكلها ولا يطمع ويقنع بما رزقه الله من الغنى اشفاقا على اليتيم وابقاء على ماله والفقير ياكل قوتا مقدرا محتاطا في تقديره على وجه الاجرة ولا يجوز له على مذهب ائمتنا عليهم السلام الا ان يعمل ويعرج ماله بسبب الاجرة ولا يمتنع بل هو ظاهر الاطلاق ولفظ الاكل بالمعروف والاستعفاف مما يدل على ان للوصي حقا لقيامه عليها وعن النبي صلى الله عليه وآله ان رجلا قال له ان في حجري يتيما افاكل من ماله قال بالمعروف غير متأثل مالا ولا واق مالك بماله قال افاضربه قال مما كنت ضاربا منه ولدك وعن ابراهيم النخعي لا يلبس الكتان والحلل ولكن ما سد الجوعة ووارى العورة وعن مجاهد يستسلف فاذا ايسر ادى وعن سعيد بن جبير ان شاء شرب فضل اللبن وركب الظهر ولبس ما يستره من الثياب واخذ القوت ولا يجاوزه فان ايسر قضاه وان اعسر فهو في حل وعن عمر بن الخطاب اني انزلت نفسي من مال الله منزلة والي اليتيم ان استغنيت استعففت وان افتقرت اكلت بالمعروف واذا ايسرت قضيت **فاذا دفعتم اليهم اموالهم فاشهدوا عليهم** بانهم تسلموها وقبضوها وبرئت عنها ذممكم لانه ادخل في الامانة وابرأ للساحة وابعد من التجاحد والتخاصم وفائدة الاشهاد عند ابي حنيفة واصحابه السلامة من توجه الحلف او الضمان لانه اذا لم يشهد صدق مع اليمين وهو مذهب ائمتنا عليهم السلام لانه امين والقول قوله مع يمينه وعند ش لا يصدق الا بالبينة والاولى الظاهر فكان في الاشهاد الاحتراز من توجه الحلف المفضي الى التهمة او من دون الضمان اذا لم يقم البينة **وكفى بالله حسيبا** اي كافيا في الشهادة عليكم بالدفع والقبض او محاسبا فعليكم بالصدق واياكم والكذب **للرجال نصيب مما ترك الوالدان والاقربون وللنساء**

نصـ

نصيب مما ترك الوالدان والاقربون الاقربون هم المتوارثون من ذوي القرابات دون غيرهم **مما قل منه او كثر** اي من المتروك قليله وكثيره **نصيبا مفروضا** مقطوعا واجبا لا بد لهم منه وان اوس بن الصامت الانصاري ترك امراته ام كحة وثلاث بنات فزوى ابنا عمه سويد وعرفطة او قتادة وعرفجة ميراثه عنهن وكان اهل الجاهلية لا يورثون النساء والاطفال ويقولون لا يرث الا من طاعن بالرماح وذاد عن الحوزة وحاز الغنيمة فجاءت ام كحة الى رسول الله صلى الله عليه وآله في مسجد الفضيخ فشكت اليه فقال ارجعي حتى انظر ما يحدث الله فنزلت فبعث اليهما لا تفرقا من مال اوس شيئا فان الله قد جعل لهن نصيبا ولم يبين حتى يبين فنزلت يوصيكم الله فاعطى ام كحة الثمن والبنات الثلثين والباقي لابني العم **واذا حضر القسمة اولوا القربى واليتامى والمساكين** اي اذا حضر قسمة التركة القرابة الذين لا ميراث لهم وقدمهم لان دفع الصدقة فيهم اعظم في الاجر ثم اليتامى للضعف والحاجة ثم المساكين فيدخل فيه كل فقير **فارزقوهم منه** اي من المتروك وهو امر على الندب قال الحسن كان المؤمنون يفعلون ذلك اذا اجتمعت الورثة حضرهم هؤلاء عند قسمة التركة فيقطعون لهم من حصته المتاع فحضهم الله تعالى على ذلك تأديبا من غير ان يكون فريضة ولو كان فريضة لضرب له حد ومقدار كما لغيره من الحقوق وروي ان عبد الله بن عبد الرحمن بن ابي بكر قسم ميراث ابيه وعائشة حية فلم يدع في الدار احدا الا اعطاه وتلا هذه الآية وقيل هو على الوجوب وقيل هو منسوخ باية الميراث كالوصية وهو مذهب ائمتنا عليهم وعن سعيد بن جبير ان ناسا يقولون نسخت والله ما نسخت ولكنها مما تهاون به الناس **وقولوا لهم قولا معروفا** وهو ان يلطفوا لهم القول ويقولوا خذوا بارك الله عليكم ويعتذروا اليهم ويستقلوا ما اعطوهم ولا يستكثروه ولا يمنوا عليهم وعن الحسن والنخعي ادركنا الناس وهم يقسمون على القرابات من الذهب والفضة فاذا صار الى القسمة الى الارض والرقيق قالوا لهم قولا معروفا وكانوا يقولون لهم بورك فيكم **وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم** هذا امر للاوصياء بان يخشوا الله فيخافوا على من في حجورهم من اليتامى ويشفقوا عليهم مثل خوفهم على ذريتهم لو تركوهم بعدهم ضعافا وان يقدروا ذلك ويصوروه حتى لا يجسروا على خلاف الشفقة والرحمة ويجوز ان يكون المعنى وليخشوا على اليتامى من الضياع وقيل هم الذين يجلسون الى المريض فيقولون ان ذريتك لا يغنون عنك من الله شيئا فقدم مالك فيستغرقه بالوصايا فامروا ان يخشوا ربهم ويخشوا على اولاد المريض ويشفقوا عليهم مثل شفقتهم على اولادهم لو كانوا والمعنى وليخش الذين صفتهم وحالهم انهم لو شارفوا ان يتركوا خلفهم ذرية ضعافا وذلك عند احتضارهم خافوا عليهم الضياع بعدهم لذهاب كافلهم وكاسبهم كما قال

● لقد زاد الحياة الي حبا ● بناتي انهن من الضعاف ●

احاذر ان يرين البوس بعدي ◦ وان يشربن رنقا بعد صافي ◦

فليتقوا الله بامثال امرهم وليقولوا قولا سديدا اى صالحا والقول السديد من الاوصيا
لاولاد الناس ولا يكلموهم كما يكلمون اولادكم بالادب الحسن والترحيب ويدعوهم يا بني ويا ولدي
ومن الجالسين الى المريض ان يقولوا له اذا اردت الوصية لا تسرف في وصيتك فتجحف باولادك
مثل ما قال رسول الله صلى الله عليه وآله لسعد انك ان تترك ورثتك اغنياء خير من ان تدعهم عالة
يتكففون الناس وكان الصحابة يستحبون ان لا تبلغ الوصية الثلث وان الخمس افضل من الربع
والربع من الثلث ان الذين ياكلون اموال اليتامى ظلما اى على وجه الظلم من اولياء السوء
وقضاته انما ياكلون في بطونهم نارا اى ملء بطونهم ويعني ياكلون نارا اى ياكلون ما يجر
الى النار فكانه نار في الحقيقة وروي ياكلون في الآخرة نار الحقيقة وروي انه يبعث آكل
مال اليتيم يوم القيامة والدخان يخرج من قبره ومن فيه وانفه واذنه وعينيه فيعرف الناس انه
كان ياكل مال اليتيم في الدنيا وسيصلون سعيرا اى سيدخلون نارا من النيران مبهمة الوصف
ويردون بها والسعير النار المسعرة وهي الموقدة يوصيكم الله في اولادكم اي يامركم ويفرض
عليكم للذكر مثل حظ الانثيين يعني للابن من الميراث مثل نصيب البنتين وكذلك حكم اولاد
الابن وحكم الاخوة مع الاخوات الا الاخوة للام فان الذكر والانثى سواء في ان لهن الثلث فان كن
يعني الاولاد نساء فوق اثنتين فلهن ثلثا ما ترك اجمعت الامة على ان البنتين والثلاث سواء في ان
لهن الثلثين الا ما روي عن ابن عباس رحمه الله فانه ذهب الى ظاهر الآية وقال البنتان فرض الثلث
من البنات لانه قال فان كن نساء فوق اثنتين فجعل الثلثين للنساء وهذا غير صحيح وان كانت يعني
البنت او المولودة واحدة منفردة ليس معها اخرى فلها النصف من الميراث ثم ذكر ميراث الوالدين
فقال ولابويه يعني الميت ولم يجر له ذكر وكني عن غير مذكور لكل واحد منهما يعني الابوين
السدس مما ترك ان كان له ولد وكذلك حكم ولد الابن لان اسم الولد يقع عليه ويقع على الذكر
والانثى فان لم يكن له ولد يعني الميت وورثه ابواه فلامه الثلث يعني اذا مات ولم يخلف غير ابويه
كان ثلث المال للام فاما اذا ورثه ابواه مع احد الزوجين كان للام ثلث ما بقي بعد اخراج
نصيب الزوج او الزوجة لا ثلث ما ترك الا عند ابن عباس والمعنى ان الابوين اذا اخلصا تقاسما الميراث
للذكر مثل حظ الانثيين والعلة في ان لها ثلث ما بقي دون ثلث المال وجهان احدهما ان الزوج انما
ياخذ ما ياخذ له بحق العقد لا بالقرابة فاشبه الوصية في قسمة ما وراءه والثاني ان الاب اقوى في الارث
من الام بدليل انه يضعف عليها اذا اخلصا فلو ضرب لها الثلث كاملا لادى الى حط نصيبه عن نصيبها
الا ترى ان امراة لو تركت زوجا وابوين فصار للزوج النصف وللام الثلث والباقي للاب حازت
الام سهمين والاب سهما واحدا فينقلب الحكم الى ان يكون للانثى مثل حظ الذكرين فان كان له

اخوة فلامه السدس الاخوة يحجبون الام عن الثلث وان كانوا لا يرثون مع الاب فيكون لها
السدس وللاب الباقي ويستوي في ذلك الاخوة لاب وام او لاب او لام لانه اطلق ولم يفصل واجمعت
الامة ان الاخ الواحد لا يحجب الام عن الثلث واجمعوا ايضا على ان الاخوين يحجبانها الى السدس الا ما يحكى
عن ابن عباس ولا يحجب الا الثلاثة فصاعدا وعنه انهم ياخذون السدس الذي حجبوا عنه الام ومذهبنا
خلافه من بعد وصية يوصي بها او دين يعني انه انما تقسم التركة بعد وصية اوصى بها الميت او دين عليه او كلاهما
قدم على قسمة الميراث ◦ قال رضي الله عنه وقدمت الوصية على الدين والدين
قدم عليها في الشريعة لان الوصية لما كانت مشبهة للميراث في كونها ماخوذة من غير عوض كان اخراجها
مما يشق على الورثة ويقع منهم التفريط في اخراجها ولا تطيب انفسهم بها بخلاف الدين فان نفوسهم طيبة
به مطمئنة بادائه فلذلك قدمت الوصية على الدين بعثا على وجوبها والمسارعة الى اخراجها مع الدين ولذلك جيء
بكلمة او للتسوية بينهما في الوجوب ثم اكد ذلك ورغب فيه بقوله آباؤكم وابناؤكم لا تدرون ايهم
اقرب لكم نفعا اي لا تدرون من انفع لكم من ابنائكم وآبائكم الذين يموتون امن اوصى منهم او من لم يوص
يعني ان من اوصى ببعض ماله فعرضكم لثواب الآخرة بامضاء وصيته فهو اقرب لكم نفعا واحضر
جدوى ممن ترك الوصية فوفر عليكم عرض الدنيا وجعل ثواب الآخرة اقرب واحضر من عرض الدنيا
لان عرض الدنيا وان كان عاجلا قريبا في الصورة الا انه فان فهو في الحقيقة الابعد الاقصى وعوض
الآخرة وان كان آجلا الا انه باق فهو في الحقيقة الاقرب الادنى وقيل ان الابن ان كان ارفع درجة
من ابيه في الجنة سال ان يرفع اليه ابوه فيرفع وكذلك الاب ان كان ارفع درجة من ابنه سال
ان يرفع ابنه اليه فيرفع فانتم لا تدرون في الدنيا ايهم اقرب لكم نفعا فريضة من الله فرضها عليكم
ان الله كان عليما بمصالح خلقه حكيما في كل ما فرض وقسم من المواريث وغيرها ولكم نصف ما
ترك ازواجكم يعني الزوجات ان لم يكن لهن ولد لا ذكر ولا انثى فان كان لهن ولد منكم او من غيركم
فلكم الربع مما تركن من الميراث وكذلك حكم ولد الابن والذكر والانثى في ذلك على سواء فاما اولاد
البنات فانهم لا يحجبون الزوج وكذلك حكم الزوجات مع الزوج في ذلك كله من بعد وصية يوصين
بها او دين يعني ان قسمة الميراث لا تجب الا بعد قضاء الدين وتنفيذ الوصية ولهن الربع مما تركتم
من الميراث ان لم يكن لكم ولد ذكرا او انثى فان كان لكم ولد فلهن الثمن مما تركتم جعلت المراة على
النصف من الرجل بحق الزوج كما جعلت كذلك بحق النسب والواحدة والجماعة سواء في الربع والثمن
من بعد وصية توصون بها او دين تقدم الوصية على الدين للتشديد في امضائها وتنفيذها كما تقدم
وان كان رجل يورث كلالة او امراة اراد بالرجل الميت والمراة عطف عليه فالرجل على [illegible]
هو الموروث لا الوارث والكلالة من مات ولا ولد له ولا والد فهو كلالة ورثته وكل وارث ليس
بوالد للميت ولا ولد فهو كلالة موروثه فهو مطلق على ثلاثة على من لم يخلف ولدا ولا والدا وعلى من ليس

لولد ولا والد فهو كلالة لموروثه وكل وارث ليس بوالد للميت ولا ولد فهو كلالة لموروثه وهي مطلقة على من لم يخلف ولدا ولا والدا وعلى القرابة من غير جهة الولد والوالد وهي من الكلال وهو ذهاب القوة من الاعياء واستعيرت للقرابة من غير جهة الولد والوالد لانها بالاضافة الى قرابتهما كالة ضعيفة وقيل الكلالة هو الموروث وقيل هو الوارث وقد اجمعوا على ان المراد اولاد الام واستدل على ذلك بما ذكر في اخر السورة من ان للاخت الشطر وللاخوة كل المال فعلم ههنا انه لما جعل للواحد السدس وللاثنين الثلث ولم يزادوا على الثلث شيئا انه يعني بهم الاخوة لام والا فالكلالة عامة لمن عدا الولد والوالد من سائر الاخوة الاخياف والاعيان واولاد العلات وغيرهم **وله أخ أو أخت** يعني من الام بلا خلاف **فلكل واحد منهما السدس** لان فرض الواحد منهم وللام السدس **فإن كانوا أكثر من ذلك فهم شركاء في الثلث** الذكر والانثى فيه سواء **من بعد وصية يوصى بها أو دين** يعني او بعد قضاء دين **غير مضار** حال من فاعل يوصى اي يوصي غير مضار لورثته وذلك ان يوصي بزيادة على الثلث او يوصي بالثلث فما دونه ونيته مضارة ورثته لا وجه الله ... قال ابو الدرداء والصحيح ان الوصية بالثلث فما دونه جائزة وان قصد بها الضرر ... وعن قتادة كره الله الضرار في الحياة وعند الممات ونهى عنه وعن الحسن المضارة في الدين ان يوصي بدين ليس عليه ومعناه الاقرار بما ليس عليه **وصية من الله** اي يوصيكم الله بذلك وصية اي يؤكده عليكم او وصية من الله بالاولاد **والله عليم** بما جار او عدل في وصيته **حليم** عن الجائر لا يعاجله وهذا وعيد شديد **تلك حدود الله** اشارة الى الاحكام التي ذكرت في باب اليتامى والوصايا والمواريث سماها حدودا لان الشرائع كالحدود المضروبة المؤقتة للمكلفين لا يجوز لهم ان يتجاوزوها ويتخطوها الى ما ليس لهم بحق **ومن يطع الله ورسوله** في سائر المواريث وما امر به من الاحكام **يدخله جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها** اي دائمين في الجنة **وذلك الفوز العظيم** يعني دخول الجنة هو الظفر الذي لا وراءه **ومن يعص الله ورسوله** فيما افترض عليه **ويتعد حدوده** اي يتجاوز ما حد له ونهاه عنه **يدخله نارا خالدا فيها** اي لا يزال ولا يخرج **وله عذاب مهين** يهان به في النار وفي الاية نص صريح على تخليد الفاسق من اهل الصلوة لا مدافع له **واللاتي يأتين الفاحشة من نسائكم** يأتين الفاحشة يفعلن الفعلة الزائدة في القبح وهي الزنا لزيادتها في القبح على كثير من القبائح **فاستشهدوا عليهن أربعة منكم** يعني من المسلمين **فإن شهدوا** يعني الاربعة عليهن بالزنا **فأمسكوهن في البيوت** فلا معنى ... محبوسات في بيوتكم وكان ذلك عقوبتهن في اول الاسلام ثم نسخ بالحد ويجوز ان يكون غير منسوخ بان يترك ذكر الحد لكونه معلوما بالكتاب والسنة ويوصي بامساكهن في البيوت بعد الحد صيانة لهن عن مثل ما جرى عليهن بسبب الخروج من البيوت والتعرض للرجال **حتى يتوفاهن الموت** وهن في البيوت **أو يجعل الله لهن سبيلا** هو النكاح الذي يستغنين به عن السفاح وقيل هو الحد لانه لم يكن مشروعا ذلك الوقت **واللذان يأتيانها منكم** يريد الزاني والزانية **فآذوهما** فوبخوهما وذموهما وقولوا لهما اما استحييتما اما خفتما الله **فإن تابا** عن الفاحشة **وأصلحا** ما غيرا من احوالهما **فأعرضوا عنهما** اي اقطعوا التوبيخ والذم فان التوبة تمنع استحقاق الذم والعقاب ويحتمل ان يكون خطابا للشهود والمطلعين على امرهما ويراد بالايذاء ذمهما وتهديدهما بالرفع الى الامام والحد فان تابا قبل الرفع الى الامام فاعرضوا عنهما ولا تتعرضوا لهما وقيل نزلت الاولى في السحاقات وهذه في اللواطين **إن الله كان توابا** يقبل توبة عباده بفضله **رحيما** بهم حيث قبلها **إنما التوبة على الله للذين يعملون السوء** يعني انما الغفران وقبول التوبة واجب على الله لهؤلاء دون غيرهم اي للذين يعملون السوء وهو القبيح **بجهالة** اي جاهلين لان ارتكاب القبيح مما يدعو اليه الجهل والسفه والشهوة لا مما يدعو اليه الحكمة والعقل وعن مجاهد من عصى الله فهو جاهل حتى ينزع عن جهالته اي هو عامل بما يعمله الجاهل وان كان عالما ... **ثم يتوبون من قريب** اي من زمان قريب وهو ما قبل حضرة الموت والعلم بحصوله كانه سمى ما بين وجود المعصية وبين حضرة الموت زمانا قريبا اي في اي جزء تاب من اجزاء هذا الزمان فهو تائب من قريب والدليل على هذا قوله حتى اذا حضر احدهم الموت فبين ان وقت الاحتضار هو الوقت الذي لا تقبل فيه التوبة فبقي ما وراءه في حكم القريب وعن النبي صلى الله عليه وسلم ان الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر وعن عطاء ولو قبل موته بفواق ناقة وعن الحسن ان ابليس قال حين اهبط الى الارض وعزتك لا افارق ابن ادم ما دام روحه في جسده فقال وعزتي لا اغلق عليه باب التوبة ما لم يغرغر **فأولئك يتوب الله عليهم** عدة بعد قوله انما التوبة على الله لهم الاعلام بوجوب التوبة عليه كما يجب على العبد بعض الطاعات والعدة بانه يفي بما وجب عليه واعلام بان الغفران كائن لا محالة كما يفي العبد بالوفاء بالواجب **وكان الله عليما** بمن تاب ومن لم يتب **حكيما** عادلا في الثواب والعقاب **وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى إذا حضر أحدهم الموت** اي وليس قبول التوبة واجبا على الله للذين يعملون القبائح الى ان يحضرهم الموت اي يسوفون التوبة الى وقت حضور الموت ثم تقع التوبة في ذلك الوقت وهو معنى قوله **قال إني تبت الآن** اي في هذا الوقت الذي حضر فيه الموت فلا تقبل التوبة لانه حضور الموت او لحضور احوال الاخرة **ولا الذين يموتون وهم كفار** عطف على الذين يعملون السيئات اي الذين يتوبون الى حضرة الموت ولا الذين ماتوا على الكفر فانهم لا توبة لهم فكأن الموت على الكفر قد فات التوبة على اليقين فلذكر المسوف الى حضرة الموت لمجاورة كل واحد منهما اوان التكليف والاختيار والذين يعملون السيئات يحتمل انه اراد بهم الكفار لظاهر قوله وهم كفار ويحتمل ان يريد بهم الفساق لان الكلام انما وقع

سبيل التغليظ لان من كان مصرًا ومات وهو لا يحدث نفسه
في الزانين وهم كفار طارحوا على سبيل التغليظ لانه لا يجري على ذلك الا اهل ضعف أُولَئِكَ الناشئون عند
الموت بالتوبة لحاله توبته من حال الكافر لانه لا يجري على ذلك الا اهل أَعْتَدْنَا اي اخرنا لَهُمْ الى الآخرة عَذَابًا أَلِيمًا اشد الالم يَا أَيُّهَا
الموت المعنون اعمارهم في المعاصي أعتدنا اي اخرنا لهم الى الاخرة عذابا اليما اشد الالم يا ايها
الَّذِينَ آمَنُوا كانوا يظلمون النساء بانواع من الظلم فزجروا عن ذلك كان الرجل اذا مات له قريب من
اب او اخ او صديق القى ثوبه على امرأته وقال انا احق بها من كل احد فقيل لهم لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ
تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهًا اي تاخذوهن على سبيل الارث كما تحاز المواريث وهن كارهات لذلك او مكرهات
وقيل كان يمسكها حتى تموت ليرث منها وكان الرجل اذا تزوج امراة ولم يكن من حاجته حبسها مع
سوء العشرة والقهر لتفتدي منه بمالها وتختلع فقيل وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ
من مهر وغيره والعضل الحبس والتضييق إِلَّا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ هي النشوز وسوء
العشرة وايذاء الزوج واهله بالبذاء والسلاطة اي الا ان يكون سوء العشرة من جهتهن فقد عذرتم
في طلب الخلع وهو مذهبنا اما نا عليهم السلام وعن الحسن الفاحشة الزنا فان فعلت حل لزوجها ان
يسالها الخلع وكانوا يسيئون معاشرة النساء فقيل لهم وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ وهو الانصاف
في المبيت والنفقة والاجمال في القول فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فلا تفارقوهن لكراهة الانفس
وحدها فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا يعني فربما كرهت النفس ما هو اصلح في الدين
واحمد عاقبة وادنى الى الخير واحب ما هو بضد ذلك ولكن للنظر في اسباب الصلاح وكان
الرجل اذا طمحت عينه الى استطراف امراة بهت التي تحته ورماها بفاحشة حتى يلجئها الى الافتداء
منه بما اعطاها ليصرفه الى غيرها فقيل وَإِنْ أَرَدْتُمُ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَكَانَ زَوْجٍ اي استبدال
امراة مكان امراة وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ يعني احدى الزوجات
اي المستبدل المرغوب فيها مكان المرغوب عنها
قِنْطَارًا هو المال العظيم قيل مائة الف دينار وقيل ملء مسك ثور والمراد هاهنا الشيء
الكثير من المال عن عمر انه قام خطيبا فقال ايها الناس
لا تغالوا بصداق النساء فلو كانت مكرمة في الدنيا او تقوى عند الله لكان اولاكم بها رسول الله صلى
الله عليه وآله ما اصدق امراة من نسائه اكثر من اثنتي عشرة اوقية فقامت اليه امراة فقالت يا امير المؤمنين
لم تمنعنا حقا جعله الله لنا والله تعالى يقول وآتيتم احداهن قنطارا فقال عمر كل احد اعلم من
عمر فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا ۝ البهتان ان تستقبل الرجل
بامر قبيح تقذفه به وهو بريء منه لانه يبهت عند ذلك ويتحير والمعنى باهتين وآثمين وَكَيْفَ
تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ كيف استفهام على وجه الانكار عليهم في اخذ ما آتوا النساء
وقد افضى بعض الازواج الى بعض اي اتصل احدهما بالآخر واستمتع عند المضاجعة وفي
حصول العصمة والمودة والرحمة وَأَخَذْنَ يعني الزوجات مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا هو حق

العصمة والمضاجعة كانه قيل واخذن منكم ميثاقا غليظا بافضاء بعضكم الى بعض ووصفه بالغلظ
لقوته وعظمه فقد قالوا الواصلة عشرين يوما قرابة فكيف بما يجري بين الزوجين من الاتحاد والامتزاج
وقيل هو قول الولي عند النكاح انكحتك على ما في كتاب الله من امساك بمعروف او تسريح باحسان ۝
وعن النبي صلى الله عليه وآله استوصوا بالنساء خيرا فانهن عوان في ايديكم اخذتموهن بامانة الله واستحللتم
فروجهن بكلمة الله وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ كان الرجل ينكح امراة ابيه التي
ليست بامه وناس منهم يمقتون ذلك من ذوي مروءاتهم ويسمونه نكاح المقت وهو اشد البغض وكان
المولود عليه يقال له المقتي إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ اي مضى وهو تاكيد للتحريم الذي لا يحتمله تحليل
ثم قيل إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَمَقْتًا كانه قيل هو فاحشة في دين الله بالغة في القبح قبيح ممقوت في
المروءة ولا بد على ما يجمع القبحين وَسَاءَ سَبِيلًا اي وبئس طريقا الى النكاح حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ
أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأُخْتِ المراد حرم عليكم
نكاحهن لان تحريم نكاحهن هو الذي يفهم من تحريمهن كما يفهم من تحريم الخمر شربها وقد دخلت تحت
الامهات جميع الجدات امهات الام وان علون وامهات الاب وان علون وتحت البنات جميع من تناسل
من بنات الاولاد وان نزلن واما الاخوات من الاب والام او من احد الطرفين وكذلك الكلام
في العمات والخالات وبنات الاخ وبنات الاخت في ان احد الطرفين كاف في التحريم وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ
نزل الله الرضاعة منزلة النسب في التحريم والتسمية وَأَخَوَاتُكُمْ مِنَ الرَّضَاعَةِ يعني المرضعات
للرضيع وكذلك زوج المرضعة اب للرضيع وابواه جداه واخته عمته ولا حكم للرضاع في
الميراث والقصاص فيقاد الام بابنه من الرضاع دون النسب وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ اي امهات الزوجات
وان علون وامهات النساء محرمات سواء دخل بنسائهن ام لا وهو قول جمهور الصحابة والفقهاء وهو
مذهب ائمتنا عليهم السلام وروي عن ابن الزبير ان الدخول شرط في تحريم ام المراة ورواية عن علي
عليه السلام شاذة وهو مذهب الامامية ولا فرق في تحريمهن بين امهاتها من جهة الام او من جهة الاب ۝
وَرَبَائِبُكُمُ اللَّاتِي فِي حُجُورِكُمْ جمع ربيبة سمي ولد المراة من غيره ربيبا وربيبة لانه يربيهما اي
يصلحهما ويربيه في حجره كما يرب ولده في غالب الامر ثم اتسع فيه فسميا بذلك وان لم يربهما وقوله
في حجوركم معتد لتعليل التحريم لانهن بعد الدخول بامهاتهن يجري مجرى بناتكم فكانكم في العقد عليهن
عاقدون على بناتكم وعن علي عليه السلام انه شرط في التحريم ان تكون في حجره وبه
اخذ داود وذكر الرازي وابن المنذر اختلاف الفقهاء ان التي ليست في حجر زوج الام هي التي تكون
في بلد غير بلد الزوج والحجر هو محل الصغير من ابيه وامه وقوله مِنْ نِسَائِكُمُ اللَّاتِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ
متعلق بربائبكم ومعناه ان الربيبة من المراة المدخول بها محرمة على الرجل حلال له اذا لم يدخل بها

الجزء الخامس

فَإِنْ لَمْ تَكُونُوا دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ يعني لا اثم في نكاح الربائب اذا لم تدخلوا بالامهات
ومعنى دخلتم بهن الكناية عن الجماع ومعناه ادخلتموهن الستر واللمس والقبل والنظر لشهوة يقوم
مقام الدخول على مذهب ائمتنا عليهم السلام في تحريم البنت وكذلك الدخول بالجارية المملوكة واللمس
والقبل والنظر لشهوة يوجب تحريمها على الولد عن عمر ومسروق والحسن وعطا وحماد والاوزاعي كما
في امراة الاب وعن عمر انه خلا بجارية فجردها فاستوهبها ابنه فقال انها لا تحل لك وعن الحسن
في الرجل يملك الامة فيغمزها لشهوة او يقبلها او يكشفها انها لا تحل لولده بحال وعن ابن عباس وطاووس
وعمرو بن دينار ان التحريم لا يقع الا بالجماع وحده وهو قول ش وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ اي زوجات
ابنائكم الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ يعني ولد الرجل نفسه دون من تبنيتم اي ادعيتموه كالابن فليس بابن
وقد تزوج رسول الله صلى الله عليه واله وسلم زينب بنت جحش الاسدية بنت عمته اميمة حين فارقها زيد
بن حارثة وقال الله تعالى لكيلا يكون على المؤمنين حرج في ازواج ادعيائهم وليس في ذكر اخراج لامراة
الابن من الرضاعة لان النبي صلى الله عليه واله قد ادخلها بقوله يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب وعم
ولم يخص وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ عطف على المحرمات اي وحرم عليكم الجمع بين الاختين والمراد
فيه النكاح لان التحريم في الاية تحريم النكاح واما الجمع بينهما في ملك اليمين فعن علي عليه السلام وعثمن
انهما قالا احلتهما اية وهي او ما ملكت ايمانكم وحرمتهما اية وهي هذه ورجح علي عليه السلام التحريم تغليبا
لجانب الحظر ومنعه على ذلك اولاده ائمتنا عليهم السلام وسبعتهم ورجح عثمن التحليل إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ
اي مضى يعني لكن ما قد مضى معفو لكم بدليل قوله إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا حين رحمكم
وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ عطف على قوله حرمت عليكم اي وحرمت
يعني ان ما قد مضى
المحصنات من النساء وهن ذوات الازواج لانهن احصن فروجهن بالنكاح واستعففن بالحلال عن الحرام
إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ يريد ما ملكت من اللاتي سبين ولهن ازواج في دار الكفر فهو حلال للغزاة
المسلمين ويسقط النكاح بالسبي ولا فرق على مذهب ائمتنا بين ان تسبى الزوجان او احدهما وهو قول
ش وعند ح اذا سبيا معا فهما على نكاحهما والظاهر معنا لانه لم يفصل ولا يدخل في هذا ذوات
الازواج من المملوكات عن المشتبهات وان كان ظاهر الاية العموم لانهن خرجن بالاجماع كِتَابَ
اللَّهِ عَلَيْكُمْ اي كتب الله ذلك عليكم كتابا وفرضه عليكم وهو تحريم ما حرم وَأُحِلَّ لَكُمْ مَا
وَرَاءَ ذَلِكُمْ يعني ما عدا ذلكم المذكور من المحرمات أَنْ تَبْتَغُوا بِأَمْوَالِكُمْ يعني بين لكم ما احل مما حرم
ارادة ان يكون ابتغاؤكم باموالكم مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ معناه ان يكون طلبكم في حال
كونكم محصنين اي متعففين غير مسافحين اي غير زانين لئلا تضيعوا اموالكم وتفقروا انفسكم
فيما لا يحل لكم فتخسروا دنياكم ودينكم ولا مفسدة اعظم مما يجمع بين الخسرانين والاحصان العفة وتحصين

النفس من الوقوع في الحرام والاموال المهور وما يخرج في المناكح فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ اي
فما استمتعتم به من المنكوحات من جماع او خلوة صحيحة او عقد عليهن فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ عليه وهو
لان المهر ثواب على البضع فَرِيضَةً اي حقا واجبا والمعنى فرض الله ذلك عليكم فريضة وَلَا جُنَاحَ
عَلَيْكُمْ اي لا اثم عليكم فِيمَا تَرَاضَيْتُمْ بِهِ مِنْ بَعْدِ الْفَرِيضَةِ اي فيما تحط عنه المراة من المهر او تهبه له من كله او يزيد
لها على مقداره وقيل فيما تراضيا به من مقام او فراق وقيل نزلت في المتعة التي كانت ثلاثة ايام
يوم فتح مكة ثم نسخت كان الرجل ينكح المراة وقتا معلوما ليلة او ليلتين او اسبوعا بثوب او غير
ذلك ويقضي منها وطره ثم يسرحها سميت متعة لاستمتاعه وعن النبي صلى الله عليه واله انه اباحها ثم
اصبح يقول يا ايها الناس اني قد كنت امرتكم بالاستمتاع من هذه النساء الا وان الله قد حرم ذلك الى يوم
القيمة وقيل ابيح مرتين وحرم مرتين وعن ابن عباس هي محكمة لم تنسخ ويروى انه رجع عن ذلك عند موته
وقال اللهم اني اتوب اليك من قولي في المتعة وقولي في الصرف لانه كان يقول انما الربا في النسيئة
والذي استقر عليه مذهب ائمتنا عليهم السلام ان نكاح المتعة لا يصح وانه منسوخ وعليه
يعول اكثر الفقهاء وحكي عن زفر انه اجاز العقد وابطل الشرط إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا بالمصالح
في التحليل والتحريم حَكِيمًا عادلا لا يامركم الا بما تقتضيه الحكمة بما هو اصلح لكم وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلًا
الطول الغنى والسعة والقدرة أَنْ يَنْكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ
فَتَيَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ المعنى ومن لم يجد زيادة في المال وسعة يبلغ بها نكاح الحرة فلينكح امة ولا
يجوز نكاح الامة لمن يقدر على نكاح الحرة قال ابن عباس من ملك ثلثمائة درهم فقد وجب
عليه الحج وحرم عليه نكاح الامة وهو مذهب الشافعي واما ح فيقول الغني والفقير سوا في جواز
الامة ويعتبر الامة بان من لم تكن تحته حرة جاز له ذلك ومذهب ائمتنا عليهم السلام ان نكاح الامة لا يجوز الا
بشرطين احدهما ان لا يجد سبيلا الى نكاح الحرة والثاني ان يخشى العنت من ترك النكاح وهو الوقوع
في المحظور وفي رواية عن ابن عباس انه قال وما وسع الله على هذه الامة نكاح الامة واليهودية
والنصرانية وان كان موسرا ومذهب اكثر ائمتنا انه لا يصح نكاح الكتابيات وهو مذهب اهل
الحجاز وبعض ائمتنا يجيزه وهو راي اهل العراق من الحنفية وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُمْ معناه
ان الله اعلم بتفاضل ما بينكم وبين ارقائكم في الايمان ورجحانه ونقصانه فيهم وفيكم وربما
كان ايمان الامة ارجح من ايمان الحرة والمراة افضل في الايمان من الرجل وحق المؤمنين ان لا يعتبروا
الا فضل الايمان لا فضل الاحساب والانساب وهذا لتأنيسهم بنكاح الاماء وترك الاستنكاف منه
بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ اي انتم وارقاؤكم متواصلون متناسبون لاشتراككم في الايمان لا يفضل حر عبدا
الا برجحان فيه فَانْكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ اي اعقدوا عليهن النكاح باذن مواليهن ويحتج به لمن
وجه ان لهن ان يباشرن العقد بانفسهن لانه اعتبر الاذن لا العقد وَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ

الس

اي ادوا اليهن مهورهن بغير مطل ولا اضرار ولا احواج الى الاقتضا واللز محصنات اي
تزوجهن في حال كونهن محصنات اي عفائف غير مسافحات اي غير زانيات ولا متخذات اخدان
الاخدان الاخلا في السر كانه قيل غير مجاهرات بالسفاح ولا مسرات له فاذا احصن اي تزوجن
فان اتين بفاحشة اي زنا بعد ذلك فعليهن نصف ما على المحصنات اي الحرائر من العذاب من
الحد ولا رجم عليهن لان الرجم لا ينتصف ذلك يعني نكاح الامة لمن خشي العنت منكم اي لمن خاف
الاثم الذي يؤدي اليه غلبة الشهوة واصل العنت انكسار العظم بعد الجبر فاستعير لكل مشقة
ولا ضرر اعظم من مواقعة المآثم وان تصبروا عن نكاح الاما متعففين خير لكم وفي الحديث
عن النبي صلى الله عليه واله الحرائر صلاح البيت والاما خراب البيت والله غفور رحيم وعدهم
بالغفران والرحمة يريد الله ليبين لكم ما هو خفي عنكم من مصالحكم ويهديكم سنن الذين
من قبلكم معناه ويهديكم طرق من كان قبلكم من الانبيا لتقتدوا بهم ويتوب عليكم معناه
يرشدكم الى الطاعات التي بها كانت كفارات لسيئاتكم ويتوب عليكم ويكفر لكم والله عليم حكيم
بوجه الحكمة فيما امركم والله يريد ان يتوب عليكم اي يريد منكم ان تفعلوا ما تستوجبون به
ان يتوب عليكم ويريد الذين يتبعون الشهوات عن الحق ميلا عظيما وهو الميل عن القصد
والحق ولا ميل اعظم منه بمساعدتكم وموافقتكم على اتباع الشهوات قيل هم اليهود وقيل هم المجوس
كانوا يحلون نكاح الاخوات من الاب وبنات الاخ وبنات الاخت فلما حرمهن الله قالوا فانكم تحلون بنت
الخالة والعمة فانكحوا بنات الاخ والاخت فنزلت ومعناها يريدون ان تكونوا زناة مثلهم يريد الله
ان يخفف عنكم باحلال نكاح الامة وغيره من الرخص وخلق الانسان ضعيفا لا يصبر عن الشهوات
وعلى مشاق الطاعات وعن سعيد بن المسيب ما ايس الشيطان من بني ادم قط الا اتاهم من قبل النسا
فقد اتى علي ثمانون سنة وذهبت احدى عيني وانا اخوف ما اخاف علي فتنة النسا وعن ابن عباس
ثمان ايات في سورة النسا هي خير لهذه الامة مما طلعت عليه الشمس وغربت يريد الله ليبين لكم
والله يريد ان يتوب عليكم يريد الله ان يخفف عنكم ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه ان الله لا
يغفر ان يشرك به ان الله لا يظلم مثقال ذرة ومن يعمل سوءا او يظلم نفسه ما يفعل الله بعذابكم
يا ايها الذين امنوا لا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل يعني بما لم تبحه الشريعة من نحو السرقة والخيانة
والغصب والقمار وعقود الربا الا ان تكون تجارة عن تراض منكم معناه الا ان تكون التجارة
صادرة عن تراض منكم وخص التجارة بالذكر لان اسباب الرزق اكثرها متعلق بها وفي
الحديث البركة عشرة اجزاء تسعة منها في التجارة وفيه جعل الله تسعة اعشار الرزق في
التجارة وعشرا في الاجارة وقيل لما نزلت هذه الاية امتنع الناس من الضيافات حتى نزلت اية
النور والتراضي رضا المتبايعين بما تعاقدا عليه في حال البيع وقت الايجاب والقبول وان

كرها او اجبرها من بعد هذا مذهب امامنا عليه وهو قول ح وعند ش يعتبر تفرقهما عن مجلس العقد
متراضيين وقيل لا بد من استمرار الرضا حتى يتفرقا بالابدان او بالتخاير بعد العقد وهو ان يخير
البايع المشتري بعد ايجاب البيع فاذا اختاره واختار البيع فليس له خيار بعد ذلك وان لم يتفرقا
ذكره الترمذي في صحيحه ولا تقتلوا انفسكم يعني من كان من جنسكم من المؤمنين وعن الحسن لا
تقتلوا اخوانكم ولا يقتل الرجل نفسه كما يفعله بعض الجهلة وعن عمرو بن العاص انه تاول له
في التيمم لخوف البرد ولم ينكر عليه رسول الله صلى الله عليه واله ان الله كان بكم رحيما يعني ما نهاكم
عما فيه ضركم الا للرحمة عليكم وقيل معناه انه امر بني اسرائيل بقتلهم انفسهم ليكون توبة لهم
وتطهيرا لذنوبهم وكان بكم يا امة محمد رحيما حيث لم يكلفكم تلك التكاليف الصعبة ومن يفعل
ذلك اشارة الى القتل اي ومن يقدم على قتل الانفس عدوانا وظلما يعني لا خطا ولا اقتصاصا
فسوف نصليه نارا اي ندخله نارا مخصوصة شديدة العذاب وكان ذلك على الله يسيرا
اي هينا لان الحكمة تدعو اليه ولا صارف عنه ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه اي ما كبر من المعاصي
التي نهاكم الله عنها والرسول نكفر عنكم سيئاتكم اي نحطها ونسقط ما تستحقون من العقاب في كل
وقت على صغائركم ونجعلها كان لم تكن لزيادة الثواب المستحق على اجتنابكم الكبائر وصبركم عنها وعلى
الكبيرة ما يكون عقاب صاحبها اكثر من ثوابه في كل وقت والصغيرة ما يكون عقابه اقل من ثوابه
في كل وقت وهو لا يعلم الا من جهة الشرع والكبيرة والصغيرة انما وصفتا بالكبر والصغر بالاضافة
اما الى الطاعة او معصية او ثواب فاعلها والتكفير اماطة المستحق من العقاب بثواب ازيد منه
او بتوبة والاحباط نقيضه وهو اماطة الثواب المستحق بعقاب ازيد او بندم على الطاعة
والمعاصي صغائر وكبائر ولا يجوز تعريف الصغائر ولا حصر الكبائر لان فيه تعريف الصغائر
وقد روي عن السلف خلاف في الكبائر كم هي وهو محمول على انحصار اد واخص ما عد منها لا حصرها
كلها وعن علي عليه السلام الكبائر سبع الشرك والقتل والقذف والزنا واكل
مال اليتيم والفرار من الزحف والتعرب بعد الهجرة وزاد ابن عمر السحر واستحلال البيت الحرام
وروي عن ابن عمر انه زاد شهادة الزور وزاد ابو هريرة اكل الربا وزاد علي عليه السلام
في رواية السرقة وشرب الخمر وعن ابن عباس ان رجلا قال له الكبائر سبع فقال هي الى سبعمائة
اقرب وروي الى سبعين وندخلكم مدخلا كريما هي الجنة لانها دار الكرامة ولا تتمنوا
نهوا عن التحاسد وعن تمني ما فضل الله به بعضكم على بعض من الجاه والمال لان ذلك التفضيل قسمة
من الله صادرة عن حكمة وتدبير وعلم باحوال العباد وبما يصلح المقسوم له من بسط في الرزق
او قبض ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الارض فعلى كل احد ان يرضى بما قسم له علما بان
ما قسم له هو مصلحته ولو كان خلافه لكان مفسدة له ولا يحسد اخاه على حظه للرجال نصيب

مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن جعل ما قسم لكل من الرجال والنساء على حسب ما عرف الله
من حاله الموجبة للقصور والبسط كتبنا له واسألوا الله من فضله ولا تتمنوا انصباء غيركم
من الفضل ولكن سلوا الله من خزائنه التي لا تنفد إن الله كان بكل شيء عليما مما يصلح عباده
ولكل جعلنا موالي مما ترك الوالدان والأقربون اي ولكل مما ترك الوالدان والاقربون من المال
جعلنا موالي يعني وراثا يلونه ويحرزونه والذين عاقدت أيمانكم اي عاقدتهم ايديكم وماسحتموهم
وهم موالي الموالاة كان الرجل يعاقد الرجل فيقول دمي دمك وهدمي هدمك وثاري ثارك وحربي
حربك وسلمي سلمك وترثني وارثك وتطلب بي واطلب بك وتعقل عني واعقل عنك فيكون للحليف
السدس من ميراث الحليف فنسخ وذلك معنى قوله فآتوهم نصيبهم وقيل المراد فآتوهم نصيبهم
من النصرة والمناصحة دون الموارثة وعند ح لو اسلم رجل على يد رجل وتعاقدا على المعاقلة
والموارثة صح عنده وورث خلافا ش ومذهبنا انا سا عليهم السلام انه نسخ التوارث بالموالاة التي هي الاسلام
الكافر عن السابق عاقد المسلم عن المعهود حيث لا يوجد للمسلم وارث الا المسلم على يده ولا
يعتبر في صحة ذلك الحلف إن الله كان على كل شيء شهيدا يعني لم يعزب عنه شيء من اموركم الرجال
قوامون على النساء يقومون عليهن آمرين ناهين كما يقوم الولاة على الرعايا وسموا قواما لذلك
بما فضل الله بعضهم على بعض الضمير لهم جميعا اي بسبب تفضيل الله بعضهم وهم الرجال على بعض وهن
النساء وفيه دليل على ان الولاية انما تستحق بالفضل لا بالتغلب والاستطالة والقهر وقد
احتج اباؤنا عليهم السلام في صحة تولي القضاء من الظلمة واهل الجور والاصح من مذهبهم انه
لا يصح وقد ذكروا في فضل الرجال العقل والحزم والعزم والقوة والكتابة في الغالب والفروسية
والرمي وان منهم الانبياء والعلماء وفيهم الامامة الكبرى والصغرى والقضاء والجهاد والاذان
والخطبة والشهادة في الحدود والقصاص وزيادة السهم والتعصيب في الميراث والقسامة والولاية
في النكاح والطلاق والرجعة وعدد الزوجات وهم اصحاب اللحى والعمائم وبما أنفقوا من أموالهم
اي وبسبب ما اخرجوا في نكاحهن من اموالهم في المهور والنفقات فالصالحات قانتات قسم
النساء قسمين صالحات وغير صالحات واختلف ما المراد بالصالحات فقيل هن دينهن وقيل في
محبة ازواجهن والقانتات المطيعات اي مطيعات لله قائمات بما عليهن للازواج حافظات للغيب
الغيب هنا بمعنى الغيبة وهي خلاف المشاهدة اي حافظات لمواجب الغيب اذا كان الازواج غير
شاهدين لهن حافظات ما عليهن حفظه في حال الغيبة من الفروج والبيوت والاموال وفي
الحديث خير النساء امراة ان نظرت اليها سرتك واذا
امرتها اطاعتك واذا غبت عنها حفظتك في مالها ونفسها وتلا الاية وقيل الغيب اسرارهم
بما حفظ الله اي بما حفظهن الله حين اوصى بهن الازواج في كتابه وامر رسوله فقال استوصوا

بالنساء خيرا ان بما حفظهن الله وعصمهن ووفقهن لحفظ الغيب واللاتي تخافون نشوزهن هذا
القسم الثاني نشوز المراة ان تعصي زوجها ولا تسكن اليه واصله الارتفاع فعظوهن اي ذكروهن
بالله وخوفوهن بكتاب الله وما امره من طاعة الزوج واهجروهن في المضاجع في المراقد اي لا تدخلوهن
تحت اللحف او هي كناية عن الجماع وقيل هو ان يوليها ظهره وقيل هو في المضاجع في بيوتهن التي يبتن
فيها اي لا تبايتوهن وذلك لتعرفوا احوالهن وتحققوا امرهن في النشوز واضربوهن ضربا غير مبرح
ولا كاسر عظما ولا خادش وجها وعن النبي صلى الله عليه وآله علق سوطك حيث يراه اهلك وهذا على
الترتيب امر بوعظهن اولا ثم بهجرهن في المضاجع ثم بالضرب ان لم ينجع فيهن الوعظ والهجران فإن
أطعنكم فيما تطلبونه منهن فلا تبغوا عليهن سبيلا معناه فازيلوا عنهن التعرض بالاذى
والتوبيخ وتوبوا عليهن واجعلوا ما كان منهن كأن لم يكن بعد رجوعهن الى الطاعة إن الله
كان عليا كبيرا فاحذروه واعلموا ان قدرته عليكم اعظم من قدرتكم على من تحت ايديكم ويروى
ان ابا مسعود الانصاري رفع سوطه ليضرب غلاما له فبصر به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
فصاح به ابا مسعود لله اقدر عليك منك عليه فرمى بالسوط واعتق الغلام وإن خفتم شقاق بينهما
اي وان خفتم شقاقا بين الزوجين وقيل الخوف بمعنى العلم اي وان علمتم عداوة بينهما فابعثوا حكما
من أهله يعني فاختاروا رجلا مستقرا رضا يصلح للحكومة والاصلاح بينهما وحكما من أهلها
والمامور ببعث الحكمين هم الائمة والحكام قال الحاكم انما يبعث الحكمان اذا اظهر بينهما ما عند
ويلتبس الحال من النشوز والحكمان رجلان ممن يرضون ويصلح للحكومة والاصلاح
وانما كان بعث الحكمين من اهلهما لان الاقارب اعرف ببواطن الاحوال واطلب للصلاح وتسكن اليهم
نفوس الزوجين ويظهر اليهما ما في ضمائرهما من الحب والبغض وارادة الصحبة والفرقة وموجبات
ذلك ومقتضياته وما يزويانه من الاجانب ولا يحبان ان يطلعوا عليه وهل يليان الجمع بين الزوجين
والتفريق ان رايا ذلك مصلحة اختلف في ذلك فقيل ليس اليهما ذلك الا باذن الزوجين وقيل
ذلك اليهما وما جعلا الا حكمين لا وكيلين اليهما بناء الامر على ما تقتضيه اجتهادهما وللشافعي في التعريف
قولان احدهما انه اليهما وهو قول مالك والثاني ليس اليهما وهو قول ح وعن عبيدة السلماني
السلماني شهدت عليا عليه السلام وقد جاءته امراة وزوجها ومع كل واحد منهما جماعة من الناس
فاخرج هؤلاء حكما وهؤلاء حكما فقال علي عليه السلام اتدريان ما عليكما ان عليكما ان رايتما ان تفرقا
فرقتما وان رايتما ان تجمعا جمعتما فقال الزوج اما الفرقة فلا فقال علي عليه السلام كذبت والله لا تبرح حتى ترضى
بكتاب الله لك وعليك فقالت المراة رضيت بكتاب الله لي وعلي وعن الحسن يجمعان ولا يفرقان وعن الشعبي
ما قضى الحكمان جاز ومذهب ائمتنا عليهم السلام انهما يبعثان في الصلح دون الفرقة لانه لم يذكر في
الاية الا الصلح فان صح ما روي عن عبيدة عن علي عليه السلام دل على انهما نفذا بينهما فلا اعتراض فيه

قال رضي الله عنه

الى الطلاق من الزوج لانه اشبه الظالم من الزوجين فجار السوء بينهما من غير رضاهما دليله اللعان إن يريدا إصلاحا يوفق الله بينهما الضمير في يريدا للحكمين وفي بينهما للزوجين اى ان قصد الحكمان اصلاح ذات البين وكانت نيتهما صحيحة وقلوبهما ناصحة لوجه الله بورك في وساطتهما واوقع الله بحسن سعيهما بين الزوجين الوفاق والالفة وقيل الضميران للحكمين ان قصدا اصلاح ذات البين والنصيحة للزوجين يوفق الله بينهما فيتفقان على الكلمة الواحدة وقيل الضميران للزوجين اى ان يرد الزوجان صلاح ما بينهما وفق الله بينهما والقى الالفة وازال الشقاق إن الله كان عليما خبيرا يعلم كيف يوفق بين المختلفين ويجمع بين المفترقين لو انفقت ما في الارض جميعا ما الفت بين قلوبهم ولكن الله الف بينهم واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا امرهم باخلاص عبادته وحده وثنى بالامر بالاحسان الى الوالدين وقرنهما بذكره وبالوالدين إحسانا امرهم بهما وقدمهما على غيرهما للاهتمام بهما والمعنى احسنوا بهما احسانا لعظم برهما واكد امرهما واوجب حقهما قال ابن عباس يريد البر بهما مع اللطف ولين الجانب ولا تغلظ لهما في الجواب ولا تحد اليهما النظر ولا ترفع صوتك عليهما وتعظم شانهما وتكثر العشرة معهما بالانفاق وغيره وبذي القربى يعني من بينكم وبينه قرابة من اخ او عم او غيرهما واليتامى والمساكين ترفق بهم وتبرهم وتواسيهم بنوال والجار ذي القربى هو الذي قرب جواره والجار الجنب هو الذي بعد جواره وقيل الجار ذي القربى هو القريب النسيب والجار الجنب الاجنبي والصاحب بالجنب هو الذي صحبك بان حصل بجنبك اما رفيقا في سفر او جارا ملاصقا او شريكا في تعلم علم او حرفة واما قاعدا الى جنبك في مسجد او مجلس او غيره لكل من ادنى صحبة التامت بينك وبينه فعليك ان ترعى ذلك الحق ولا تنساه وتجعله سببا الى الاحسان وقيل الصاحب بالجنب المراة وابن السبيل المسافر المنقطع به وقيل الضيف وما ملكت ايمانكم من العبد والاماء والحيوانات فان اعظم البهائم حتى الهرة والكلاب يرحم إن الله لا يحب من كان مختالا فخورا المختال التياه الجهول الذي يتكبر عن اكرام اقاربه واصحابه ومماليكه فلا يتحفاهم ولا يلتفت اليهم والفخور الذي يفخر عليهم فلا يبالي بهم استحقارا لهم واعجابا بنفسه وقال الواحدي عن ابن عباس المختال العظيم في نفسه الذي لا يقوم بحقوق الله والفخور الذي يفخر على عباد الله بما خوله الله من نعمه الذين يبخلون ويامرون الناس بالبخل اى يبخلون بذات ايديهم وبما في ايدي غيرهم فيامرونهم ان يبخلوا به لا تكفيهم كلهم بما معهم حتى يشكرون على اهل السخاء وفي امثال العرب اجل من الضنين بنائل غيره قال رضي الله عنه ولقد رايت من يلى هذا البخل من اذا طرق سمعه ان احدا جاد على غيره احل به وحل حبوته واضطرب ودارت عيناه في راسه كانما نهب رحله وكسر خزانته ضجرا من ذلك وحسرة على وجوده قيل هم اليهود كانوا ياتون رجالا من الانصار يتنصحون لهم ويقولون لا تنفقوا اموالكم فانا نخشى عليكم الفقر ولا تدرون

فضله

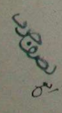
ما يكون ويكتمون ما آتاهم الله من فضله اى يجحدون ما اتاهم من فضله من الوجد والغنى اغناهم الله بكتمان نعمه وبالنفاق الى الناس وعن النبي صلى الله عليه وآله اذا انعم الله على عبد نعمة احب ان يرى نعمته على عبده وبنى عامل الرشيد قصرا حذاء قصره فنم به اليه وهو عنده فقال يا امير المؤمنين ان الكريم يسره ان يرى اثر نعمته فاحببت ان اسرك بالنظر الى اثار نعمتك فاعجبه كلامه واعتدنا للكافرين عذابا مهينا اى هيانا لهم في الاخرة عذابا يهينهم والذين ينفقون أموالهم رئاء الناس لاجل الرياء والفخار وليقال ما اسخاهم وما اجودهم لا ابتغاء وجه الله ولا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر وهو يوم البعث ولاتباعهم الشيطان ومقارنتهم له في اعمالهم ومن يكن الشيطان له قرينا فساء قرينا حيث حملهم على البخل والرياء وكل شر قيل نزلت في مشركي مكة المنفقين اموالهم في عداوة رسول الله صلى الله عليه وآله ويجوز ان يكون وعيدا لهم بان الشيطان يقرن بهم في النار وماذا عليهم يعني واي تبعة ووبال عليهم لو آمنوا بالله واليوم الآخر وأنفقوا مما رزقهم الله والمراد الذم والتوبيخ والا فكل منفعة ومصلحة في ذلك ولكنه جهلهم بمكان المنفعة وكان الله بهم عليما وعيد لهم بانه عالم بما هم عليه إن الله لا يظلم مثقال ذرة الذرة هي النملة الصغيرة الحمراء [illegible] اى مقدارها في الثقل وعن ابن عباس ان الذرة هنا لا يراد بها النملة وانه ادخل يده في التراب ثم رفعها ونفخ وقال كل واحد من هؤلاء ذرة وقيل كل جزء من اجزاء الهباء في الكوة ذرة والمراد التمثيل الذي ليس وراءه شيء وفيه دليل انه لو نقص من الاجر ادنى شيء واصغره او زاد في العقاب لكان ظلما وانه لا يفعله لاستحالته في الحكمة لا استحالته في القدرة وإن تك حسنة يضاعفها يضاعف ثوابها لاستحقاقها عنده الثواب في كل وقت من الاوقات المستقبلة غير المتناهية وعن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه سمعه يقول ان الله تعالى يعطي عبده المؤمن بالحسنة الف الف حسنة وفي رواية الفي الف حسنة ثم تلا الاية والمراد الكثرة لا التحديد ويؤت من لدنه أجرا عظيما لا يعلم كثرته الا هو فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد اى فكيف يصنع هؤلاء الكفرة من اليهود وغيرهم اذا جئنا من كل امة بشهيد يشهد عليهم بما فعلوا وهو نبيهم وجئنا بك يا محمد على هؤلاء المكذبين شهيدا يشهد عليهم بتبليغ الرسالة وقيل المراد جميع امته تشهد لهم وعليهم فاكتفى بعليهم عن لهم وقيل المراد المؤمنون يشهد لهم وعليهم غيرهم وعن ابن مسعود انه قرا سورة النساء على رسول الله صلى الله عليه وآله حتى بلغ قوله وجئنا بك على هؤلاء شهيدا فبكى رسول الله صلى الله عليه وآله وقال حسبنا يومئذ يود الذين كفروا وعصوا الرسول اى يتمنى الذين كفروا بالله وعصوا رسول الله لو تسوى بهم الأرض اى لو يدفنون في الارض فتسوى بهم كما تسوى بالموتى وقيل يودون انهم لم يبعثوا وانهم كانوا والارض سواء وقيل تصير البهائم ترابا فيودون حالها ولا يكتمون الله حديثا اى لا يقدرون على كتمانه لان جوارحهم

تشهد عليهم بما فعلوا وقيل المعنى انهم يودون ان يدفنوا فى الارض وانهم لا يكتمون الله حديثا
وانهم لم يكذبوا فى قولهم والله ربنا ما كنا مشركين لانهم اذا قالوا ذلك وجحدوا شركهم ختم الله على
افواههم عند ذلك وتكلمت ايديهم وارجلهم بتكذيبهم والشهادة عليهم بالشرك ولشدة الامر عليهم
يتمنون ان تسوى بهم الارض **يا ايها الذين آمنوا لا تقربوا الصلوة وانتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون**
روى ان عبد الرحمن بن عوف صنع طعاما وشرابا فدعا نفرا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله
حين كانت الخمر مباحة فاكلوا وشربوا فلما ثملوا وجاء وقت صلوة المغرب قدموا احدهم ليصلى بهم
فقرا اعبد ما تعبدون وانتم عابدون ما اعبد فنزلت فكانوا لا يشربون فى اوقات الصلوة ثم نزل
تحريمها ومعنى لا تقربوا الصلوة لا تغشوها ولا تقوموا اليها وانتم سكارى اى فى حال السكر
حتى تعلموا ما تقولون اى حتى يصحوا من السكر فيحصل لكم العلم بما تقولون فى الصلوة **ولا جنبا الا**
عابرى سبيل حتى تغتسلوا اى ولا فى حال الجنابة الا ومعكم حال تعذرون بها وهى حال السفر وعبور
السبيل عبارة عن حال السفر ومعناه ان فى حال السفر لا يشترط الاغتسال بل التيمم كاف عند
عدم الماء على مذهب ابى حنيفة لانه يقول لا يسوغ التيمم عند عدم الماء الا فى حال السفر ومن فسر
الصلوة بالمسجد وهو الشافعى فمعناه لا تقربوا الصلوة جنبا الا مارين فيه اذا كان الطريق فيه الى
الماء او كان الماء فيه او احتلمتم فيه وعبور السبيل على هذا عبارة عن المرور فيه وهو مذهب ائمتنا
عليهم السلام لان شرط التيمم عدم الماء او تعذر استعماله ولا فرق عندهم بين حال السفر
والحضر وقيل ان رجالا من الانصار كانت ابوابهم فى المسجد فتصيبهم الجنابة ولا يجدون
ممرا الا فى المسجد فرخص لهم وروى ان رسول الله صلى الله عليه وآله لم ياذن لاحد ان يجلس فى المسجد او يمر فيه
وهو جنب الا لعلى عليه السلام لان بيته كان فى المسجد **وان كنتم مرضى** جمع مريض **او على سفر**
اى مسافرين **او جاء احد منكم من الغائط** اصل الغائط الموضع المنخفض وهو هنا كناية عن
الحدث اى محدثا **او لامستم النساء** اى جامعتموهن قال ابن عباس والحسن ومجاهد وقتادة
فهم لا يحكمون بانتقاض الطهارة بلمس المراة وهو قول ح وهو مذهب ائمتنا عليهم السلام
وقيل المراد به اللمس وهو التقاء البشرتين سواء كان الجماع او غيره وهو قول ابن مسعود وابن عمر
والشعبى وهو مذهب ش قال والامر افضاء شئ من بدنه الى عضو من اعضاء المراة فقد انتقض
وضوءه ذكره الواحدى **فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا** اى اقصدوه للتيمم قال الفراء
وابو عبيدة الصعيد التراب وقال ابن الاعرابى الصعيد الارض بعينها قال الزجاج الصعيد
وجه الارض ترابا كان او غيره وان كان صخرا لا تراب عليه لو ضرب المتيمم يده عليه ومسح لكان ذلك
طهوره وهو رأى ح ومذهب ائمتنا عليهم السلام ان التيمم لا يصح الا بالتراب المنبت الطاهر
الذى يعلق باليدين عند الضرب لقوله طيبا ولقوله فى المائدة فامسحوا بوجوهكم وايديكم

منه اى بعضه وهذا لا يمكن فى الصخر الذى لا تراب عليه لانه لا ينفصل منه شئ وهو مذهب الشافعى
لانه قال لا اسمع اسم الصعيد الا على تراب ذى غبار والطيب الطاهر لما ثبت لقوله تعالى والبلد الطيب
يخرج نباته باذن ربه كذا قاله الواحدى ومن حق الطيب ان يكون حلالا طاهرا لان النجس خبيث
ومثله الحرام **فامسحوا بوجوهكم وايديكم** بيان لصفة التيمم وهو من خصائص هذه الامة
وفى الحديث
اعطيتها لم يعط احد من الانبياء جعلت لى الارض مسجدا وطهورا وقد الصعيد الطيب طهور المسلم
لم يجد الماء ولو الى عشر حجج **ان الله كان عفوا غفورا** كناية عن الترخيص والتيسير لان من كان
عادته ان يعفو عن الخاطئين ويغفر لهم كان ميسرا غير معسر **الم تر الى الذين** هو من رؤية القلب
على معنى الم ينته علمك اليهم او بمعنى الم تنظر اليهم **اوتوا نصيبا من الكتاب** يعنى اعطوا حظا من علم
التورية وهم احبار اليهود **يشترون الضلالة** يستبدلونها بالهدى وهو البقاء على اليهودية
بعد وضوح الآيات لهم على صحة نبوة محمد صلى الله عليه وآله وانه هو النبى العربى المبشر به فى التورية
والانجيل **ويريدون ان تضلوا السبيل** ويريدون ان تضلوا انتم ايها المؤمنون سبيل الحق
كما ضلوه ويفرطوا فى سلككم لا يكفيهم ضلالتهم بل يحبون ان يضل معهم غيرهم **والله اعلم باعدائكم**
وقد اخبركم بعداوة هؤلاء واطلعكم على احوالهم وما يريدون بكم فاحذروهم ولا تستنصحوهم
فى اموركم ولا تستشيروهم **وكفى بالله وليا وكفى بالله نصيرا** فثقوا بولايته ونصرته دونهم
ولا تسالوا بهم فان الله ينصركم عليهم ويكفيكم مكرهم **من الذين هادوا** بيان للذين
اوتوا الكتاب لانهم يهود ونصارى وفيه حذف تقديره من الذين هادوا قوم **يحرفون الكلم عن**
مواضعه اى يميلونه عنها ويزيلونه لانهم اذا بدلوه ووضعوا مكانه كلما غيره فقد اما لوه عن
مواضعه التى وضعه الله فيها وازالوه عنها وذلك نحو تحريفهم الرجم بوضعهم الحد بدله ونحو تحريفهم
اسمر ربعة عن وصفه النبى صلى الله عليه وآله بقولهم آدم طوال وغير ذلك **ويقولون سمعنا** اى سمعنا قولك
وعصينا يعنى امرك **واسمع غير مسمع** هو خطاب للنبى صلى الله عليه وآله اى اسمع فى حال كونك
غير مسمع وهو قول ذو وجهين يحتمل الدعاء على المخاطب يعنى لا اسمعت اى صممت لان الاصم لا يسمع غيره
او اسمع غير مسمع كلاما ترضاه ويحتمل الذم ومعناه اى اسمع منا مدعوا عليك بلا سمعت او اسمع غير مجاب
الى ما تدعو اليه ويحتمل المدح اى اسمع غير مسمع مكروها **وراعنا** يحتمل راعنا نكلمك اى ارقبنا وانتظرنا
ويحتمل سبه بكلمة عبرانية كانوا يتسابون بها وهى راعينا فكانوا لعنهم الله يتهكمون بالدين وبرسول الله
صلى الله عليه وآله ويكلمونه بكلام محتمل ينوون به الشتيمة والاهانة ويظهرون به التوقير والاكرام
ليا بالسنتهم وطعنا فى الدين يريد انهم يقولون بحر شتمه ولا ندرى ولو كان نبيا لعرف فعرفه الله ذلك
فاعلمه ما طغوا به دليلا على نبوته فتلا لانهم كانوا يحرفونها اى يفتلون بالسنتهم الحق الى الباطل حيث
يضعون راعنا موضع انظرنا وغير مسمع موضع لا اسمعت مكروها **ولو انهم قالوا سمعنا واطعنا**

وَاسْمَعْ وَانْظُرْنَا يعني لو انهم عكسوا امرهم فقالوا سمعنا قولك واطعنا امرك وجاوبا
وانظرنا بمحلك كما كانا المسلمون يقولون اذا القي عليهم شيء من العلم لَكَانَ
لا يحتمل الذم قالوا اسمع وانظرنا اي اعدل واصلح وابد وَلَكِنْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ اي خذلهم بسبب
قولهم ذلك خَيْرًا لَهُمْ وَأَقْوَمَ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا اي ايمانا قليلا ضعيفا لا يعبأ به وهو
نسكرهم وابعدهم عن الطاعة يَا أَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ هو التوراة
ايمانهم بمن خلقهم مع كفرهم بغيره او اراد بالقلة العدم اي صدقوا بالقرآن الذي انزلناه حال كونه مُصَدِّقًا لِمَا
والخطاب لليهود آمِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مَعَكُمْ من التوراة كما ذكر في التوراة من نعته نبوة خاتم الانبياء مِنْ قَبْلِ أَنْ نَطْمِسَ
مَعَكُمْ من التوراة بغير مناقض لها ناطقا بنعته فَنَرُدَّهَا عَلَى أَدْبَارِهَا يعني فنجعلها
وُجُوهًا اي نمحو تخطيط صورها من عين وحاجب وانف وفم
على هيئة ادبارها وهي الاقفاء مطموسة مثلها والمعنى ان نطمس وجوها فنسلبها الوجوه الى جهة الاقفاء
الى قدام أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ السَّبْتِ يعني او نسخهم من جنسا ونحولهم بالمسخ كما مسخنا اصحاب
السبت وهم الذين اعتدوا في سبتهم بالاصطياد وقد امروا ان لا يشتغلوا فيه بغير العبادة ولعنهم
داود عليه السلم فمسخوا قردة ووقوع الوعد بالطمس واللعن والمسخ مشروط بان لا يؤمنوا وقد آمن منهم
ناس عبد الله بن سلام ومن تبعه وقيل هو منتظر ولابد من طمس ومسخ لليهود قبل يوم القيمة وَكَانَ
أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا ۞ فلابد ان يقع احد الامرين ان لم يؤمنوا إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ
مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ قال رضي الله عنه قدس الله
تعالى يغفر الشرك لمن تاب وانه لا يغفر ما دون الشرك من الكبائر الا بالتوبة فالوجه ان يجعل الفعلان في
لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك موجها الى قوله لمن يشاء كانه قيل ان الله لا يغفر لمن يشاء الشرك
ويغفر لمن يشاء دون الشرك على ان المراد بالاول لمن لم يتب وبالثاني من تاب لان الله لا يشاء الغفران
الا لمن تاب ومن لم يتب وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ غيره في الالهية فَقَدِ افْتَرَى إِثْمًا اي ارتكبه وهو
مفتر اي كاذب على الله كذبا عَظِيمًا اي لا اعظم منه أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنْفُسَهُمْ اي يمدحونها
ومعناه الم تنظر يا رسول الله والمراد بالاستفهام التعجب والانكار وهم اليهود والنصارى قالوا نحن ابناء
الله واحباؤه وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى وقيل جاء رجال منهم الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم باطفالهم فقالوا هل على هؤلاء ذنب قال لا فقالوا والله ما نحن الا كهيئتهم ما عملناه
بالنهار كفر عنا بالليل وما عملناه بالليل كفر عنا بالنهار فنزلت ويدخل فيها كل من زكى نفسه
ووصفها بزكاء العمل وزيادة الطاعة والتقوى والزلفى بزكي من يشاء اي يزكي الصالحين من عباده
الذين عرفهم الزكاء فوصفهم به بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ معناه ان الذين يزكون انفسهم يعاقبون
على تزكيتهم انفسهم حق جزائهم ولا يظلمون بالزيادة على المستحق فتيلا او اراد يزكي من يشاء
يثابون على زكاتهم عند الله ولا ينقص من ثوابهم قدر فتيل وهو الخيط الذي في شق النواة قال

الدرا الفتيل ما فتلت بين اصبعيك من الوسخ وهو قول السدي وقال الحسن الفتيل ما في بطن النواة
والنقير ما على ظهرها والقطمير قشرها انْظُرْ كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ في زعمهم انهم عند الله
ازكياء وَكَفَى بِهِ يعني بزعمهم هذا إِثْمًا مُبِينًا اي مشهورا بينا من بين آثامهم أَلَمْ تَرَ اي الم
تنظر يا محمد إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ اي حظا من التوراة يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ
الجبت الاصنام وكل ما عبد من دون الله والطاغوت الشيطان وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ
آمَنُوا سَبِيلًا السبب ان حيي بن اخطب وكعب بن الاشرف اليهوديين خرجا الى مكة مع جماعة من اليهود
يحالفون قريشا على محاربة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا انتم اهل كتاب وانتم اقرب الى محمد منكم
الينا فلا نامن مكركم فاسجدوا لآلهتنا حتى نطمئن اليكم ففعلوا فهذا
ايمانهم بالجبت والطاغوت لانهم سجدوا للاصنام واطاعوا ابليس فيما فعلوا وقال ابو سفيان انحن اهدى
سبيلا ام محمد فقال كعب ماذا يقول محمد قالوا يامر بعبادة الله وحده وينهى عن الشرك قال وما دينكم
قالوا نحن ولاة البيت نسقي الحاج ونقري الضيف ونفك العاني وذكروا افعالهم فقال انتم اهدى سبيلا
أُولَئِكَ الَّذِينَ حالفوا كتابهم واطاعوا المشركين على الباطل لَعَنَهُمُ اللَّهُ اي ابعدهم من رحمته
وَمَنْ يَلْعَنِ اللَّهُ اي ومن يبعده الله ويغضب عليه فَلَنْ تَجِدَ لَهُ نَصِيرًا ينصره بدفع العذاب عنه أَمْ لَهُمْ
نَصِيبٌ مِنَ الْمُلْكِ وصف اليهود بالبخل والحسد وهما شر خصلتين يمنعون ما اوتوا من النعمة ويتمنون
ان يكون لهم نعمة غيرهم والمعنى الانكار ان يكون لهم نصيب من الملك ثم قال فَإِذًا لَا يُؤْتُونَ النَّاسَ
نَقِيرًا اي ولو كان لهم نصيب من الملك لم يعطوا احدا مقدار نقير لفرط بخلهم والنقير النقرة في ظهر
النواة وهو مثل في القلة والمراد بالملك اما ملك الدنيا واما ملك الله أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ هذا
ايضا انكار لحسدهم لرسول الله والمؤمنين وكانوا يحسدونهم عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ من النصر
والغلبة وزيادة العز والتقدم كل يوم فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ هذا الزام لهم
بما عرفوه من ايتاء الله الكتاب والحكمة آل ابراهيم وهم اسلاف محمد واهله المحسودون عليه وانه ليس
ببدع ان يؤتيه الله مثل ما ادى اسلافه وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا لا اعظم منه ولا امنع وعن ابن عباس
الملك في آل ابراهيم ملك يوسف وداود وسليمن وقيل استكثر اليهود نساء النبي صلى الله عليه وسلم فقيل
لهم كيف استكثرتم له التسع وقد كان لداود مائة ولسليمن الف مائة مهرية وسبع مائة سرية فَمِنْهُمْ يعني
من اليهود مَنْ آمَنَ بِهِ اي بما ذكر من حديث آل ابراهيم وَمِنْهُمْ مَنْ صَدَّ عَنْهُ اي منع منه وانكره مع علمه
بصحته او من اليهود من آمن برسول الله صلى الله عليه وسلم ومنهم من انكر نبوته وَكَفَى بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا
اي نارا وقيعة وهو وعيد لهم على ترك الايمان إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا فلم يؤمنوا بها مع ظهورها سَوْفَ
نُصْلِيهِمْ نَارًا اي ندخلهم في الآخرة نارا اسكرا النار هو سرالها كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بالنار بَدَّلْنَاهُمْ
جُلُودًا غَيْرَهَا اي جلودا اخر عن التي نضجت ولا يقال كيف تعذب جلود
قال رضي الله عنه



لم يعص فكان الجلود العاصية لان العذاب يحله النفس العاصية لا للجلد وعن فضيل جعل
النضج عن نضيج وعن النبي صلى الله عليه واله تبدل جلودهم كل يوم سبع مرات وعن الحسن تنضجهم مرة وعن
ابن عباس يبدلون جلودا بيضا كالقراطيس **ليذوقوا العذاب** اي ليدوم لهم ذوقه ولا
ينقطع لان جلودهم لو لم تبدل لم يدركوا الالم لانها قد صارت عن هيئتها انما يدركونه بغيرها فاراد
الله تعالى ان يدركوا الالم بالجلود كما يدركونه بما تحتها **إن الله كان عزيزا حكيما** عزيزا لا يمتنع
عليه ما يريده بالمؤمنين حكيما لا يعذب الا بعدل من يستحقه **والذين آمنوا وعملوا الصالحات** يعني
صدقوا وعملوا الاعمال الصالحة **سندخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار** اي من تحت ابنيتها واشجارها
خالدين فيها أبدا اي دائمين لا خروج لهم منها **لهم فيها أزواج مطهرة** يعني منزهة من الحيض
والنفاس وسائر الادناس **وندخلهم ظلا ظليلا** اي دائما لا تنسخه الشمس ولا يحرقه الحر ولا برد
وليس ذاك الا ظل الجنة رزقنا الله بكرمه ورحمته اياها **إن الله يأمركم أن**
تؤدوا الأمانات إلى أهلها خطاب عام لكل احد في كل امانة وقيل نزلت في عثمن بن طلحة بن عبد الدار
وكان سادن الكعبة وذلك ان رسول الله صلى الله عليه واله حين دخل مكة يوم الفتح اغلق عثمن باب الكعبة
وصعد السطح وامتنع ان يدفع المفتاح اليه وقال لو علمت انه رسول الله لم امنعه فلوى علي عليه السلام
يده واخذه منه وفتح ودخل رسول الله صلى الله عليه واله وصلى ركعتين فلما خرج سأله العباس ان يعطيه
المفتاح ويجمع له السقاية والسدانة فنزلت فامر عليا عليه السلام ان يرده الى عثمن ويعتذر اليه
فقال عثمن لعلي عليه السلام اكرهت واذيت ثم جئت ترفق فقال لقد انزل الله في شانك قرآنا وقرأ عليه الآية
فقال عثمن اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله فهبط جبرئيل عليه السلام واخبر رسول الله صلى الله عليه
ان السدانة في اولاد عثمن ابدا وروي ان رسول الله صلى الله عليه واله لما دفعه الى عثمن قال خذوها
يا بني طلحة بامانة الله لا ينزعها منكم الا ظالم ثم ان عثمن هاجر ودفع المفتاح الى اخيه شيبة فهو في ولده
الى اليوم وقال ابن عباس رحمه الله هذه الآية عامة في كل امانة وانها تؤدى الى البر والفاجر **وإذا**
حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل هذا خطاب للائمة والولاة ومن اليه الامر ان يحكم بالعدل
والانصاف ومخالفة الهوى واتباع الحق **إن الله نعما يعظكم به** اي نعم شيئا يعظكم به الله
من اداء الامانة والحكم بالعدل **إن الله كان سميعا** لما تقولون في الامانة **بصيرا** بما تعملون فيها
وفي الآية دليل على ان المنع من الخيانة وقبحها قد دخل فيها كل شيء من امور الدين فلا يحل فعلها
مسلم ولا كافر وتؤيده الحديث اد الامانة الى من ائتمنك ولا تخن من خانك **يا أيها الذين آمنوا أطيعوا**
الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم لما امر الولاة باداء الامانات الى اهلها وان يحكموا
بالعدل امر الناس ان يطيعوهم وينزلوا على قضاياهم والمراد باولي الامر امراء الحق والعدل لان امراء
الظلم والجور الله ورسوله بريئان منهم فلا يعطفون على الله ورسوله في وجوب الطاعة لهم وانما يجمع

وعن النبي صلى الله عليه وسلم
قال غلظ جلود اهل النار
اربعون ذراعا ما بين منكبي
احدهم مسيرة ثلاثة ايام
نعوذ بالله من النار

بين الله

بين الله ورسوله والامراء الموافقين لهم في ايثار العدل واختيار الحق والامر بهما والنهي عن
اضدادهما من الظلم والجور كالخلفاء الراشدين ومن تبعهم باحسان وكان الخلفاء يقولون اطيعوني ما عدلت
فيكم فان خالفت فلا طاعة لي عليكم وعن ابي حازم ان مسلمة بن عبد الملك قال له الستم امرتم بطاعتنا في
قوله واولي الامر منكم قال اليس قد نزعت عنكم اذا خالفتم الحق بقوله فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والى
الرسول وقيل هم العلماء المتدينون الذين يعلمون الناس الدين ويأمرونهم بالمعروف وينهونهم عن المنكر
فإن تنازعتم في شيء يعني فان اختلفتم انتم واولو الامر منكم في شيء من امور الدين **فردوه إلى الله والرسول**
اي ارجعوا فيه الى الكتاب والسنة [...] رضي الله عنه وكيف يلزم طاعة امراء الجور وقد جنح الله
الامر بطاعة اولي الامر بما لا يبقى معه شك وهو انه امرهم اولا باداء الامانة وبالعدل في الحكم وامرهم
اخرا بالرجوع الى الكتاب والسنة فيما اشكل وامراء الظلم والجور لا يؤدون امانة ولا يحكمون بعدل ولا
يردون شيئا الى كتاب ولا الى سنة وانما يتبعون اهواءهم حيث ذهبت بهم فهم منسلخون عن صفات الذين هم
اولو الامر عند الله ورسوله واحق اسمائهم اللصوص المتغلبة **إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر** لان ذلك
دليل صحة الايمان لان الايمان بالله والتصديق به وبما اخبر به من البعث والجزاء يقتضي طاعة الله ورسوله
ذلك اشارة الى الرد الى الكتاب والسنة **خير** لكم واصلح **وأحسن تأويلا** اي واحسن عاقبة وقيل احسن
تأويلا من تأويلكم انتم **ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا** الآية نزلت في منافق خاصم يهوديا
فدعاه اليهودي الى النبي صلى الله عليه وسلم ودعاه المنافق الى كعب بن الاشرف ثم انهما احتكما الى رسول الله صلى
الله عليه واله فقضى لليهودي فلم يرض المنافق وقال تعال نتحاكم الى عمر بن الخطاب فقال اليهودي لعمر
قضى لنا رسول الله فلم يرض بقضائه فقال للمنافق اكذلك قال نعم فقال عمر مكانكما حتى اخرج اليكما
فدخل عمر فاشتمل على سيفه ثم خرج فضرب به عنق المنافق حتى برد ثم قال هكذا اقضي لمن لم يرض بقضاء الله
ورسوله صلى الله عليه وسلم فنزلت وقال جبرئيل ان عمر فرق بين الحق والباطل فقال له رسول الله صلى الله عليه
واله انت الفاروق ومعنى الم تر استفهام معناه التعجب والانكار للمتحاكمين الى الطاغوت مع زعم بشر ومن
وافقه على رأيه انهم آمنوا **بما أنزل إليك** وهو القرآن **وما أنزل من قبلك** من التوراة وغيرها **يريدون أن يتحاكموا**
إلى الطاغوت وهو كعب بن الاشرف سماه الله طاغوتا لافراطه في الطغيان وعداوة رسول الله صلى الله عليه
واله او على اختيار التحاكم الى غير رسول الله صلى الله عليه واله على التحاكم اليه تحاكما الى الشيطان بدليل
قوله **وقد أمروا أن يكفروا به** وان يكفروا اما جاء به **ويريد الشيطان أن يضلهم** بسبب التحاكم
الى الطاغوت **ضلالا بعيدا** عن الهدى والحق **وإذا قيل لهم تعالوا** اي اقبلوا **إلى ما أنزل الله**
وإلى الرسول في زعمكم انكم مؤمنون به والمراد به اشتراء المنافق ومن وافقه **رأيت المنافقين** شنع عليهم
بوصفهم بالنفاق **يصدون عنك** اي يعرضون عنك من التحاكم اليك **صدودا** اي يعرضون عنك الى
غيرك ويكون ذلك ديدنهم **فكيف** يعني كيف يكون حالهم وكيف يصنعون يعني انهم يعجزون عن ذلك

ولا يصدرون امرا ولا يوردونه دونه إذا أصابتهم مصيبة بما قدمت أيديهم من التحاكم الى غيرك واتهامهم لك في الحكم ثم جاءوك حين يصابون يعتذرون اليك ويحلفون بالله إن أردنا بتحاكمنا الى غيرك إلا إحسانا لا اساءة وتوفيقا بين الخصمين اي جمعا بينهما ولم نرد مخالفة لك ولا سخطا لحكمك ففزع عائد عليك وهذا وعيد لهم على فعلهم وانهم سيندمون عليه حين لا ينفعهم الندم ولا يغني عنهم الاعتذار عند حلول بأس الله وقيل جاء اولياء المنافق يطلبون بدمه وقد اهدر الله دمه فقالوا ما اردنا بالتحاكم الى عمر الا ان يحكم الى صاحبنا بحكومة العدل والتوفيق بينه وبين خصمه وما خطر ببالنا انه يحكم له بما حكم به أولئك الذين يعلم الله يعني المنافقين المصرين على النفاق المحتالين بالتحاكم الى غيرك ما في قلوبهم من النفاق والكيد فأعرض عنهم لا تعاقبهم لمصلحة في استبقائهم ولا تزد على كفهم بالموعظة والنصيحة عما هم عليه وعظهم وقل لهم في أنفسهم قولا بليغا يعني بالغ في وعظهم بالتخويف والانذار وقل لهم قولا بليغا في انفسهم مؤثرا في قلوبهم يغتمون به اغتماما ويستشعرون منه الخوف استشعارا وهو التوعد بالقتل والاستئصال واخبرهم ان ما في نفوسهم من الدغل والنفاق معلوم عند الله وانه لا فرق بينكم وبين المشركين وما أرسلنا من رسول إلا ليطاع اي وما ارسلنا رسولا قط الا ليطاع بإذن الله بسبب اذن الله في طاعته وبانه امر المبعوث اليهم بان يطيعوه ويتبعوه لانه مبلغ عن الله وطاعته طاعة الله ومعصيته معصية الله من يطع الرسول فقد اطاع الله ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم بالتحاكم الى الطاغوت جاءوك تائبين من النفاق متنصلين عما ارتكبوا فاستغفروا الله من ذلك بالاخلاص وبالغوا بالاعتذار اليك من ايذائك برد قضائك واستغفر لهم الرسول اي انتصب شفيعا لهم ومستغفرا لوجدوا الله توابا رحيما اي لتاب عليهم ولم يقل واستغفرت لهم وعدل عنه الى طريق الالتفات تفخيما لشأن رسول الله صلى الله عليه وعلى اله وتعظيما لاستغفاره وتنبيها على ان شفاعة من اسمه الرسول من الله بمكان فلا وربك لا يؤمنون اي فوربك ولا مزيدة لتأكيد القسم ولا يؤمنون جواب القسم حتى يحكموك فيما شجر بينهم اي فيما اختلف بينهم واختلط ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت الحرج الضيق اي لا تضيق صدورهم من حكمك وقيل الحرج الشك لان الشاك في ضيق من امره حتى يلوح له اليقين ويسلموا وينقادوا ويذعنوا لما تأتي به من قضائك لا يعارضون بشيء تسليما تأكيد للفعل بمنزلة تكريره كانه قيل وينقادوا لحكمه انقيادا لا شبهة فيه بظاهرهم وباطنهم قيل نزلت في شأن اليهودي والمنافق وقيل في شأن الزبير وحاطب بن ابي بلتعة وذلك انهما اختصما الى رسول الله صلى الله عليه واله في شراج من الحرة كانا يسقيان بها النخل فقال اسق يا زبير ثم ارسل الماء الى جارك فغضب حاطب وقال لئن كان ابن عمتك فتغير وجه رسول الله صلى الله عليه واله وسلم ثم قال اسق يا زبير ثم احبس الماء حتى يرجع الى الجدر واستوف حقك ثم ارسله الى جارك كان قد اشار على الزبير براي فيه السعة له ولخصمه فلما احفظ رسول الله صلى الله عليه واله استوعى

للزبير حقه في صريح الحكم ثم خرجا فمرا على المقداد فقال قاتل الله هؤلاء يشهدون انه رسول الله ثم يتهمونه في قضاء يقضي بينهم وايم الله لقد اذنبنا ذنبا مرة في حياة موسى فدعانا الى التوبة منه وقال اقتلوا انفسكم ففعلنا فبلغ قتلانا سبعين الفا في طاعة ربنا حتى رضي عنا فقال ثابت بن قيس بن شماس اما والله ان الله ليعلم مني الصدق ولو امرني محمد ان اقتل نفسي لقتلتها وروي انه قال ذلك ثابت وابن مسعود وعمار فقال صلى الله عليه واله والذي نفسي بيده ان من امتي رجالا الايمان اثبت في قلوبهم من الجبال الرواسي وروي عن عمر انه قال والله لو امرنا ربنا لفعلنا والحمد لله الذي لم يفعل بنا ذلك فنزلت الاية في شأن حاطب ونزل في شأن هؤلاء هذه ولو أنا كتبنا عليهم أن اقتلوا أنفسكم أو اخرجوا من دياركم اي لو اوجبنا على هؤلاء مثل ما اوجبنا على بني اسرائيل من قتلهم انفسهم او خروجهم من ديارهم حين استتيبوا من عبادة العجل ما فعلوه ولا امتثلوه إلا قليل منهم وهذا توبيخ عظيم ولو أنهم فعلوا ما يوعظون به من اتباع رسول الله وطاعته والانقياد لما يراه ويحكم به لانه الصادق المصدوق الذي لا ينطق عن الهوى لكان خيرا لهم في عاجل امرهم وآجله وأشد تثبيتا لايمانهم وابعد من الاضطراب فيه وإذا جواب لسؤال كانه مقدر كانه قيل واذا لو ثبتوا ولآتيناهم من لدنا اي من عندنا أجرا عظيما عطاء جزيلا وتسميته اجرا لانه تابع للعمل لا لانه يستحق الا بتفضله ولهديناهم صراطا مستقيما اي وللطفنا بهم ووفقناهم لازدياد الخيرات والصراط الطريق والمستقيم الثابت عن العوج والمراد طريق الحق ومن يطع الله والرسول بالانقياد لامره ونهيه والرسول باتباع شريعته فأولئك يعني المطيعين مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين اي تسمع رؤيتهم وزيارتهم والحضور معهم والصديقين والشهداء والصالحين هم افاضل صحابة الانبياء عليهم السلام الذين صدقوا في تصديقهم كعلي عليه السلام وابي بكر الصديق وصدقوا في اقوالهم وافعالهم وهذا ترغيب للمؤمنين في الطاعة حيث وعدوا مرافقة اقرب عباد الله الى الله وارفعهم درجات عنده وحسن أولئك رفيقا فيه معنى التعجب كانه قيل وما احسن اولئك رفيقا الرفيق كالصديق والخليط وروي ان ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه واله كان شديد الحب لرسول الله صلى الله عليه واله قليل الصبر عنه فاتاه يوما وقد تغير وجهه ونحل جسمه وعرف الحزن في وجهه فسأله رسول الله صلى الله عليه واله عن حاله فقال يا رسول الله ما بي وجع غير اني اذا لم اراك اشتقت اليك واستوحشت وحشة شديدة حتى القاك فذكرت الاخرة فخفت ان لا اراك هناك لاني عرفت انك ترفع مع النبيين وان ادخلت الجنة كنت في منزل دون منزلك وان لم ادخل فذاك حين لا اراك ابدا فنزلت وقال صلى الله عليه واله والذي نفسي بيده لا يؤمن عبد حتى اكون احب اليه من نفسه وابويه واهله وولده والناس اجمعين وحكي ذلك عن جماعة من الصحابة ذلك الفضل من الله معناه ان المطيعين لله والرسول اعطوا هذا الاجر العظيم من مرافقة

المنعم عليهم على سبيل التفضل والاحسان اليهم من الله تعالى لا ثوابهم المستحق وكفى بالله عليما
كرامن طاعة او اراد ان فضل المنعم عليهم ومزيتهم من الله لانهم اكتسبوه بتمكينه وتوفيقه
وكفى بالله عليما بعباده فهو يوفقهم على حسب احوالهم يا ايها الذين آمنوا خذوا حذركم الحذر والحذر
بمعنى يقال اخذ حذره اذا تيقظ واحترز من المخوف كانه جعل الحذر آلته التي يقي بها نفسه ويعصم
بها روحه والمعنى احذروا واحترزوا من العدو ولا تمكنوه من انفسكم فانفروا اذا انفرتم الى
العدو واما ثبات جماعات متفرقة سرية بعد سرية او انفروا جميعا اى مجتمعين كوكبة واحدة
ولا تتخاذلوا فتلقوا بانفسكم الى التهلكة وان منكم لمن ليبطئن اى ليتثاقلن وليتخلفن عن
الجهاد وبطأ بمعنى ابطأ والخطاب لعسكر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والمبطئون منهم المنافقون
لانهم كانوا يغزون معهم نفاقا ويجوز ان يكون المعنى ليبطئن غيره وليثبطنه عن الغزو وكان هذا
دين المنافق عبد الله بن ابي وهو الذي ثبط الناس يوم احد فان اصابتكم مصيبة من قتل
او هزيمة قال قد انعم الله علي اذ لم اكن معهم شهيدا اى حاضرا في المصيبة ولئن اصابكم فضل من
الله من فتح او غنيمة ليقولن اى المنافق وقرئ بضم اللام رد الضمير الى من لانه في معنى الجماعة
وقوله كان لم تكن بينكم وبينه مودة فاصل بين ليقولن وبالبيتى ومعناه كان لم تتقدم له معكم
مودة لان المنافقين كانوا يوادون المؤمنين ويصادقونهم في الظاهر وان كانوا يبغون لهم الغوائل في الباطن
وانما اظهر ان هذا تهكم بهم واستهزاء لانهم كانوا اعدى عدو للمؤمنين واشدهم حسدا لهم فكيف
يوصفون بالمودة الا على وجه العكس استهزاء بهم يا ليتني كنت معهم فافوز فوزا عظيما
اى اخذ نصيبا وافرا حرصا منهم على الدنيا وتهالكا عليها لا رغبة في الثواب فليقاتل في سبيل الله
الذين يشرون الحيوة الدنيا بالآخرة يشرون بمعنى يشترون الحيوة الدنيا الفانية بالآخرة الباقية
وهم المبطئون وعظوا بان يغيروا ما بهم من النفاق ويخلصوا الايمان بالله ورسوله ويجاهدوا
في سبيل الله حق الجهاد والذين يبيعون هم المؤمنون الذين يستحبون الآجلة على العاجلة ويستبدلونها بها
والمعنى ان صد الذين مرضت قلوبهم وضعفت نياتهم عن القتال فليقاتل الثابتون المخلصون
ومن يقاتل في سبيل الله فيقتل او يغلب يعني ظافرا او مظفورا به فسوف نؤتيه اجرا عظيما
قال ابن عباس ثوابا لا صفة له وعده الله اتيا الاجر العظيم في اعزاز دين الله وما لكم لا تقاتلون في
سبيل الله اى واى صارف لكم عن القتال لوجه الله مع ما وعد المقاتل من الاجر العظيم والمستضعفين
من الرجال والنساء عطف على سبيل الله اى في سبيل الله وفي خلاص المستضعفين لان في سبيل الله عام
في كل خير وخلاص المستضعفين من المسلمين من ايدي الكفار من اعظم الخير واخصه والمستضعفون
هم الذين اسلموا بمكة وصدهم المشركون عن الهجرة فبقوا بين اظهرهم مستذلين مستضعفين يلقون

منهم الاذى الشديد فكانوا يدعون الله بالخلاص ويستنصرونه فيسر الله لبعضهم الخروج الى
المدينة وبقي بعضهم الى الفتح حتى جعل الله لهم من لدنه خير ولي وناصر وهو محمد صلى الله عليه وآله
فتولاهم احسن التولي ونصرهم اقوى النصر ولما خرج استعمل على اهل مكة عتاب بن اسيد فرأوا
منه الولاية والنصرة كما ارادوا قال ابن عباس كان ينصر الضعيف من القوي حتى كانوا اعز بها
من الظلمة والولدان اى الصغار وذكرهم تسجيلا لامر المشركين وتسمية بافراط ظلمهم حيث
بلغ اذاهم الولدان غير المكلفين ارغاما لآبائهم وامهاتهم ومبغضة لمكانهم ولان المستضعفين
كانوا يشركون صبيانهم في دعائهم استنزالا لرحمة الله بدعاء صغارهم الذين لم يذنبوا كما فعل قوم
يونس وكما وردت السنة باخراجهم في الاستسقاء وعن ابن عباس كنت انا وامي من المستضعفين
من النساء والولدان الذين يقولون ربنا اخرجنا من هذه القرية الظالم اهلها القرية مكة اى هذه القرية
التي ظلم اهلها لانهم كانوا مشركين والشرك اعظم الظلم والقائلون جماعة منهم سلمة بن هشام والوليد
بن الوليد وعياش بن ابي ربيعة وكانوا قد اسلموا واصحابهم يمنعونهم من الخروج الى الهجرة ولم يكن
لهم قوة يستعينون بها فكانوا يدعون الله بتعجيل خروجهم الى المدينة وكان النبي صلى الله عليه وآله يدعو لهم
في قنوت الفجر ويقول اللهم انج الوليد بن الوليد وسلمة بن هشام وعياش بن ابي ربيعة والمستضعفين
من المؤمنين واجعل لنا من لدنك وليا هذا من جملة دعائهم اى ول علينا من عندك من يتولى امرنا
ويقوم بامرنا واجعل لنا من لدنك نصيرا اى ناصرا ينصرنا على عدونا ويمنعنا منهم فاستجاب الله
دعاءهم وفتح مكة على رسوله واستنقذهم وتولاهم ونصرهم وكان ما كان من امر عتاب ورعايته لهم
خاصة ولغيرهم عامة الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله رغب الله المؤمنين ترغيبا وشجعهم تشجيعا
باخبارهم انهم انما يقاتلون في سبيل الله فهو وليهم وناصرهم والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت
واخبرهم ان اعداءهم يقاتلون في سبيل الطاغوت فلا ولي لهم الا هو فقاتلوا اولياء الشيطان ان
كيد الشيطان كان ضعيفا يعني وكيد الشيطان للمؤمنين الى جنب كيد الله للكافرين اضعف
شيء واوهنه الم تر الى الذين قيل لهم كفوا ايديكم اى كفوها عن القتال وذلك ان المسلمين كانوا
يكفون عن مقاتلة الكفار ما داموا بمكة وكانوا يتمنون ان يؤذن لهم فيه فامروا بالكف وادا ما
افترض عليهم وهو قوله واقيموا الصلوة وآتوا الزكوة اى اشتغلوا بما كلفتم فلما كتب عليهم
القتال اى فرض عليهم بالمدينة كع فريق منهم لا شكا في الدين ولا رغبة عنه ولكن نفورا عن الاخطار
بالارواح وخوفا من الموت وهو معنى قوله اذا فريق منهم يخشون الناس كخشية الله اى يخشون الناس
وهم الكفار مثل اهل خشية الله اى مشبهين لاهل خشية الله او اشد خشية يعني او اشد خشية
من اهل خشية الله وقالوا ربنا لم كتبت علينا القتال اى لم فرضته علينا وقيل كان هذا منهم لما
في طباع البشر من مخافة الموت لا على كراهة امر الله بالقتال وقيل انما عنى به المنافقين وقيل لوط

جزعا من الموت وحرصا على الدنيا لولا اخرتنا الى اجل قريب اى هلا اخرتنا الى وقت اخر
استزاده فى مده الكف واستمهالا الى وقت غير هذا قل متاع الدنيا قليل معناه ان الاستمتاع
فى الدنيا بطول العمر قليل فى جنب نعيم الاخرة وثوابها لانه حقير بالقدر والاخرة خير لمن اتقى الله
بالقيام بما كلف ولا تظلمون فتيلا اى لا تنقصون ادنى شئ من اجوركم على مشاق القتال فلا ترغبوا عنه
بعد سعادتكم اينما تكونوا يدرككم الموت فى هذا تشجيع على القتال لان الاجل لا مفر منه وارفع
الموت موت الشهدا ومعناه ان الموت لاحق بكم فى اى مكان كنتم ولو كنتم فى بروج مشيدة
البروج الحصون والمشيده المرتفعه من شاد القصر اذا رفعه وقرى مشيده من شاده اذا طلاه
بالشيد وهو الجص وان تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله وان تصبهم سيئة يقولوا
هذه من عندك تقع على النعمه والطاعه والسيئة على البليه والمعصيه قال الله تعالى
وبلوناهم بالحسنات والسيئات وقال ان الحسنات يذهبن السيئات والمعنى وان تصبهم نعمه من
خصب ورخاء نسبوها الى الله وان تصبهم بليه من قحط وشده اضافوها اليك وقالوا هى من
عندك وما كانت الا بشومك كما حكى الله عن قوم موسى وان تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن معه وعن
قوم صالح قالوا اطيرنا بك وبمن معك وروى عن اليهود لعنهم الله انها تشاءمت برسول الله صلى
الله عليه واله وقالوا منذ دخل المدينه نقصت ثمارها وغلت اسعارها فرد الله عليهم بقوله
قل لهم يا محمد كل من عند الله يبسط الارزاق ويقبضها على حسب المصالح فما لهؤلاء القوم
لا يكادون يفقهون حديثا يعلمون ان الله هو القابض الباسط وكل ذلك صادر عن حكمه
وصواب ثم قال خطابا عاما ما اصابك يا انسان من حسنة اى من نعمه واحسان فمن الله
تفضلا منه واحسانا وامتنانا وامتحانا وما اصابك من سيئة من بليه ومصيبه فمن نفسك
لانك السبب فيها بما اكتسبت يداك وما اصابكم من مصيبه فبما كسبت ايديكم ويعفو عن كثير
وعن عايشه ما من مسلم يصيبه وصب ولا نصب حتى الشوكه يشاكها وحتى انقطاع شسع نعله
الا بذنب وما يعفو الله اكثر وارسلناك للناس رسولا اى رسولا للناس جميعا لست
برسول العرب وحدهم انت رسول العجم والعرب كقوله وما ارسلناك الا كافه للناس بشيرا ونذيرا
قل يا ايها الناس انى رسول الله اليكم جميعا وكفى بالله شهيدا اى كفى بشهاده الله على ذلك
فما ينبغى لاحد ان يخرج عن طاعتك واتباعك من يطع الرسول فقد اطاع الله لانه لا
يامر الا بما امر الله به ولا ينهى الا عما نهى الله عنه وروى انه قال صلى الله عليه واله من احبنى فقد احب
الله ومن اطاعنى فقد اطاع الله فقال المشركون الا تسمعون الى ما قال هذا الرجل لقد قارف
الشرك وهو ينهى ان يعبد غير الله ما يريد هذا الا ان نتخذه ربا كما اتخذت النصارى عيسى فنزلت
ومن تولى يعنى اعرض عن الطاعه فاعرض عنه فما ارسلناك عليهم حفيظا يعنى ما

ارسلناك الا نذيرا لا حفيظا ومهيمنا عليهم تحفظ عليهم اعمالهم وتحاسبهم عليها وتعاقبهم ويقولون
طاعة اى ويقولون اذا امرتهم بشئ طاعة اى امرنا وشاننا طاعة كما يقول المرتسم سمعا وطاعة ويكون النصب
يعنى اطعناك طاعة فاذا برزوا من عندك اى خرجوا بيت طائفة منهم غير الذى تقول
اى زورت وسوت غير الذى تقول اى خلاف ما تقول وما امرت به او خلاف ما قلت وما ضمنت من
الطاعه لانهم ابطنوا الرد لا القبول والعصيان لا الطاعه وانما ينافقون بما يقولون والتبييت اما
من البيتوته لانه قضاء الامر وتدبيره بالليل يقال هذا امر بيت بليل واما من ابيات الشعر لان الشاعر
يبيتها ويسويها والله يكتب ما يبيتون يثبته فى صحائف اعمالهم ويجازيهم عليه على سبيل الوعيد
او يكتبه فى جمله ما يوحى اليك فيطلعك على اسرارهم فلا يحسبوا ان اخفاءهم يغنى عنهم فاعرض عنهم
ولا تحدث نفسك بالانتقام منهم وتوكل على الله فى شانهم فان الله يكفيك معرتهم وينتقم لك منهم
اذا قوى امر الاسلام وعز انصاره وكفى بالله وكيلا اى موكولا اليه كافيا لانه لا يعجزه شئ
افلا يتدبرون القرآن التدبر التامل فى الامور والنظر فى ادباره ثم يعنى يتدبر القرآن بتامل معانيه وتبصر
ما فيه ولو كان من عند غير الله يعنى لو كان القرآن من عند مخلوق كما قالوا لوجدوا فيه
اختلافا كثيرا اى لكان فيه كذب وباطل ولكان الكثير منه مختلفا متناقضا قد تفاوت نظمه
وبلاغته واضطربت معانيه وكان بعضه بالغا حد الاعجاز وبعضه قاصرا عنه يمكن معارضته
فلما تجاوب كله بلاغه معجزه فائته لقوى البلغاء وتناصر صحه معان وصدق اخبار علم انه ليس
الا من عند قادر على ما لا يقدر عليه غيره عالم بما لا يعلمه احد سواه واذا جاءهم امر من الامن او الخوف
اذاعوا به هم ناس من ضعفه المسلمين الذين لم تكن فيهم خبره بالاحوال ولا استبطان للامور ولا
احاطه بعواقبها اذا بلغهم خبر عن سرايا رسول الله صلى الله عليه واله من امن وسلامه او خوف وخلل
اذاعوا به اى اظهروه وافشوه كان اذاعتهم مفسده ولو ردوه الى الرسول والى اولى الامر منهم
اى ولو ردوا ذلك الخبر الى رسول الله صلى الله عليه واله والى اولى الامر وهم كبار الصحابه البصراء
بالامور او الذين كانوا يؤمرون منهم لعلمه اى لعلم تدبير ما اخبروا به الذين يستنبطونه منهم
اى الذين يستخرجون تدبيره بفطنهم وتجاربهم ومعرفتهم بامور الحرب ومكائدها والاستنباط استخراج
من البئر اول ما تحفر واستنباطه استخراجه فاستعير لما يستخرجه الرجل بفضل ذهنه من المعانى فيما
يعضل ويهم ولولا فضل الله عليكم ورحمته وهو ارسال الرسول وانزال الكتاب والتوفيق
لاتبعتم الشيطان اى لبقيتم على الكفر وعدم المعرفه الا قليلا يعنى الا قليلا منكم او الا اتباعا
قليلا فقاتل فى سبيل الله لما ذكر فى الاى قبلها تثبطهم عن القتال واظهارهم الطاعه واضمارهم
خلافها قال لرسوله فقاتل فى سبيل الله ان افردوك وتركوك وحدك لا تكلف الا نفسك
اى لا تكلف غير نفسك وحدها ان تقدمها الى القتال والجهاد فان الله تعالى هو ناصرك لا الجنود

فإنه ناصرك وحدك كما ينصرك وحولك الألوف وقيل دعا الناس في بدر الصغرى وهي إلى
بعد أحد إلى الخروج وكان أبو سفيان واعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فكره بعض الناس
أن يخرجوا فنزلت فخرج وما معه إلا السبعون لم يلووا على أحد ولو لم يتبعه أحد لخرج **وحرض المؤمنين**
يعني ما عليك في شأنهم إلا التحريض فحسب لا التعنيف **عسى الله أن يكف بأس الذين كفروا** وهم
قريش وقد كف بأسهم فرجع أبو سفيان وقال هذا عام مجدب وما كان معهم زاد إلا السويق فلا يلقون
إلا في عام مخصب فرجع بهم **والله أشد بأسا** من قريش ومن معهم **وأشد تنكيلا** أي
تعذيبا وعقوبة شديدة **من يشفع شفاعة حسنة يكن له نصيب منها** الشفاعة الحسنة هي
التي أم بها حق مسلم من يحصل خيرا إليه أو دفع ضر عنه قصد بها وجه الله ولم يوجد عليها رشوة
وكانت في أمر جائز لا في حد من حدود الله وجب عليه ولا في إسقاط حق من الحقوق وقيل الشفاعة
الحسنة هي الدعوة للمسلم لأنها في معنى الشفاعة إلى الله وفي الحديث من دعا لأخيه المسلم بظهر
الغيب استجيب له وقال له الملك ولك مثل ذلك فذاك النصيب الذي له منها **ومن يشفع شفاعة
سيئة يكن له كفل منها** والشفاعة السيئة ما كان بخلاف ذلك وعن مسروق أنه شفع
شفاعة فأهدى إليه المشفوع له جارية فغضب وردها وقال لو علمت ما في قلبك لما تكلمت
في حاجتك ولا أتكلم فيما بقي منها ومذهب أصحابنا عليهم السلام أنه إن شفع في أمر حرام حرم العوض
تقدم أو تأخر وإن كان في أمر واجب وتقدم على الشفاعة لم يحل وإن تأخر عنها ولم يشرط جاز
لأنه إحسان في مقابلة إحسان وإن كان فيما عداه لكن من مندوب ومستحب أو مباح جاز والأفضل
التورع عن ما هذا حاله سيما في غير المباح وقيل هي الدعوة على المسلم والكفل النصيب لأن
اللفظ مختلف والمعنى واحد لأن تكرير اللفظ في كلام واحد لغير غرض ليس بالأفصح **وكان
الله على كل شيء مقيتا** أي شهيدا حفيظا واشتقاقه من القوت لأنه يمسك النفس ويحفظها

وإذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها

الأحسن منها أن تقول وعليكم السلام ورحمة الله إذا قال السلام عليكم وأن تزيد
وبركاته إذا قال ورحمة الله وروي أن رجلا قال للرسول صلى الله عليه وآله السلام عليك فقال
وعليك السلام ورحمة الله وقال آخر السلام عليك ورحمة الله فقال وعليك السلام ورحمة
الله وبركاته وقال آخر السلام عليك ورحمة الله وبركاته فقال وعليك فقال الرجل نقصتني
فأين ما قال الله تعالى وتلا الآية فقال إنك لم تترك لي فضلا فرددت عليك مثله وهو قوله
أو ردوها يعني أجيبوها بمثلها ورد السلام جواب بمثله لأن المجيب يرد قول المسلم والابتداء
بالسلام سنة والرد واجب والتخيير إنما وقع بين الزيادة وتركها وعن أبي يوسف من قال لآخر
أقرئ فلانا السلام وجب عليه أن يفعل وعن ابن عباس الرد واجب وما من رجل يمر على قوم مسلمين

يسلم عليهم ولا يردون عليه إلا نزع عنهم روح القدس وردت عليه الملائكة ولا يرد السلام
عند قراءة القرآن جهرا ورواية الحديث وعند مذاكرة العلم والأذان والإقامة وعن أبي يوسف لا
يسلم على لاعب النرد والشطرنج والمغني والقاعد لحاجته ومطير الحمام والعاري من غير عذر في
الحمام وغيره وذكر الطحاوي أن المستحب رد السلام على الطهارة وهو قريب على مذهبنا لأن النبي صلى
الله عليه وآله تيمم لرد السلام قالوا ويسلم الرجل على امرأته ولا يسلم على أجنبية ويسلم الماشي
على القاعد والراكب على الماشي وراكب الفرس على راكب الحمار والصغير على الكبير والأقل على الأكثر
وإذا التقيا ابتدرا وعن النبي صلى الله عليه وآله إذا سلم عليكم أهل الكتاب فقولوا وعليكم
أي وعليكم ما قلتم لأنهم كانوا يقولون السام وروي لا تبدأ اليهودي بالسلام وإن بدأك فقل وعليك
وعن الحسن يجوز أن تقول للكافر وعليك السلام ولا تقل ورحمة الله فإنها استغفار وقد رخص
بعض العلماء أن يبدأ أهل الذمة بالسلام إذا دعت إلى ذلك حادثة تحوج إليهم وروي ذلك عن
النخعي وعن أبي حنيفة لا تبدأه بسلام في كتاب ولا غيره وعن أبي يوسف لا تسلم عليهم ولا تصافحهم
وإذا دخلت فقل السلام على من اتبع الهدى ولا بأس بالدعاء له بما يصلحه في دنياه **إن الله كان
على كل شيء حسيبا** أي يحاسبكم على كل شيء من التحية وغيرها **الله لا إله إلا هو ليجمعنكم إلى يوم القيامة**
أي ليحشرنكم إليه يوم فيأتيكم من قبوركم أو ما لكم للحساب **لا ريب فيه** أي لا شك في اجتماعكم
للحساب **ومن أصدق من الله حديثا** لأنه عز وعلا صادق ولا يجوز عليه الكذب لأنه قبيح ومن كذب
لم يكذب إلا لأنه محتاج أن يكذب ليجر منفعة أو يدفع مضرة أو هو غني عنها إلا أنه يجهل غناه أو هو
جاهل بقبحه أو هو سفيه لا يفرق بين الصدق والكذب ولا يبالي بأيهما نطق وربما كان الكذب
أحلى على حنكه من الصدق وعن بعض السفهاء أنه عوتب على الكذب فقال لو غرغرت لهواتك
به ما فارقته وقيل لكذاب هل صدقت قط فقال لولا أني صادق في قولي لا لقلتها **فما لكم في
المنافقين فئتين** روي أن قوما من المنافقين استأذنوا رسول الله صلى الله عليه وآله في الخروج إلى
البدو معتلين باجتواء المدينة فلم يزالوا راحلين مرحلة مرحلة حتى لحقوا بالمشركين فاختلف
المسلمون فقال بعضهم هم مسلمون ومعناه ما لكم اختلفتم في شأن قوم نافقوا نفاقا ظاهرا وتفرقتم
فيه فرقتين وما لكم لم تقطعوا بكفرهم **والله أركسهم** أي ردهم في حكم المشركين كما كانوا
إلى الكفر **بما كسبوا** أي بسبب ما كسبوا من ارتدادهم ولحوقهم بالمشركين واحتيالهم على رسول
الله صلى الله عليه وآله أو أركسهم في الكفر بأن خذلهم حتى أركسوا فيه لما علم من مرض قلوبهم
أتريدون أن تهدوا من أضل الله أي تريدون أن تجعلوا من جملة المهتدين من أضل الله من
جملة الضلال وحكم عليه بذلك أو خذله حتى ضل ومعنى الاستفهام إنكار القول
بأنهم على الهدى **ومن يضلل الله** أي يخذله أو يحكم عليه بالضلال **فلن تجد له سبيلا** أي طريقا

الى الهداية لانه لا يتصل اللطف **ودوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواء** معناه انهم ودوا
كفركم ليكونوا امثالهم فيما هم عليه من الضلال واتباع دين الاباء **فلا تتخذوا منهم اولياء** اي لا توالوهم
ولا توادوهم **حتى يهاجروا في سبيل الله** اي لا توادوهم وان امنوا حتى تعقدوا ايمانهم بهجرة صحيحة هي
لله ورسوله لا لغرض من اغراض الدنيا ليس بعدها ارتداد **فان تولوا** عن الايمان المقوى بالهجرة
الصحيحة المستقيمة فحكمهم حكم سائر المشركين **فخذوهم واقتلوهم حيث وجدتموهم** في الحل
والحرم وجانبوهم مجانبة كلية **ولا تتخذوا منهم وليا ولا نصيرا** اي لا تتخذوا منهم صديقا توالونه
ولا نصيرا ينصركم ولو بذلوا لكم الولاية والنصرة فلا تقبلوا منهم **الا الذين يصلون الى قوم بينكم**
وبينهم ميثاق هذا استثناء من قوله فخذوهم واقتلوهم ومعنى يصلون الى قوم ينتهون اليهم ويتصلون
بهم والقوم هم الاسلميون كان بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه واله عهد وذلك انه وادع وقت
خروجه الى مكة هلال بن عويمر الاسلمي على ان لا يعينه ولا يعين عليه وعلى ان من وصل الى
هلال ولجأ اليه فله من الجوار مثل الذي لهلال **او جاؤكم حصرت صدورهم** يعدونه او الذين
جاؤكم وقد حصرت صدورهم او صفة لهم وهم بنو مدلج جاؤوا الى رسول الله صلى الله عليه واله غير
مقاتلين والحصر الضيق والانقباض **ان يقاتلوكم** يعني عن ان يقاتلوكم او كراهة ان يقاتلوكم
او يقاتلوا قومهم معناه حصرت عن قتالكم وعن قتال قومهم فهم ممسكون عن القتال لا لكم ولا عليكم
ولو شاء الله لسلطهم عليكم فلقاتلوكم معنى تسليط الله الكفرة على المؤمنين هو ان لا
يلقي في قلوبهم الرعب لمصلحة يراها من ابتلاء ونحوه **فان اعتزلوكم** اي لم يتعرضوا لقتالكم
واعتزلوكم **فلم يقاتلوكم والقوا اليكم السلم** اي الاستسلام والانقياد **فما جعل الله لكم**
عليهم سبيلا اي طريقا الى قتالهم والمعنى فما اذن الله لكم في اخذهم وقتلهم **ستجدون اخرين**
يريدون ان يامنوكم ويامنوا قومهم هم قوم من اسد وغطفان كانوا اذا اتوا المدينة اسلموا
وعاهدوا ليامنوا المسلمين فاذا رجعوا الى قومهم كفروا ونكثوا عهودهم **كلما ردوا الى الفتنة**
اي كلما دعاهم قومهم الى قتال المسلمين **اركسوا فيها** اي قلبوا فيها اقبح قلب واشنعه
وكانوا شرا فيها من كل عدو **فان لم يعتزلوكم** اي يعتزلوا قتالكم **ويلقوا اليكم السلم** اي
الانقياد **ويكفوا ايديهم** عن قتالكم **فخذوهم واقتلوهم حيث ثقفتموهم** اي حيث تمكنتم منهم **واولئكم**
يعني الذين ارتدوا **جعلنا لكم عليهم سلطانا مبينا** حجة واضحة لظهور عداوتهم وانكشاف
حالهم في الكفر والغدر واضرارهم باهل الاسلام **وما كان لمؤمن** اي ما صح له ولا استقام
ولا لاق بحاله **ان يقتل مؤمنا** يعني ابتداء غير قصاص **الا خطأ** الا على وجه الخطأ والمعنى
ان من شان المؤمن ان ينفي عنه وجود قتل المؤمن ابتداء البتة الا اذا وجد منه خطأ من غير قصد
بان يرمي كافرا فيصيب مسلما وروي ان عياش بن ابي ربيعة وكان اخا لابي جهل لامه اسلم

وهاجر

وهاجر الى المدينة خوفا من قومه وذلك قبل هجرة رسول الله صلى الله عليه واله فاقسمت امه لا تاكل
ولا تشرب ولا يؤويها سقف حتى يرجع فخرج ابو جهل ومعه الحارث بن زيد بن ابي انيسة فاتياه فلم
يزل ابو جهل يخدعه ويقول اليس محمد يحثك على صلة الرحم انصرف وبر امك وانت على دينك
حتى تابعه وذهب معهما فلما بعدا عن المدينة كتفاه وجلده كل واحد مائة جلدة فقال عياش للحارث
هذا اخي فمن انت يا حارث لله علي ان وجدتك خاليا ان اقتلك وقدما به على امه فحلفت لا يحل
كتافه حتى يرتد ففعل ثم هاجر بعد ذلك واسلم الحارث بن زيد وهاجر فلقيه عياش بظهر قباء
ولم يشعر باسلامه فانحى عليه فقتله ثم اخبر باسلامه فاتى رسول الله صلى الله عليه واله فقال
قتلته ولم اشعر باسلامه **ومن قتل مؤمنا خطأ فتحرير رقبة مؤمنة** اي فعليه تحرير رقبة والتحرير الاعتاق
والحر والعتيق الكريم لان الكرم في الاحرار كما ان اللؤم في العبيد وحر الوجه اكرم موضع منه
والرقبة عبارة عن النسمة كما عبر عنها بالراس في قولهم فلان يملك كذا راسا من الرقيق والمراد
برقبة مؤمنة كل رقبة كانت على حكم الاسلام لان الايمان شرط في الاجزاء وعن الحسن لا يجزي الا رقبة
قد صلت وصامت ولا يجزي الصغيرة وقاس عليها الشافعي كفارة الظهار فاشترط الايمان ومذهب
ائمتنا عليهم السلام انه غير شرط الا في كفارة القتل وقيل لما اخرج نفسا مؤمنة عن جملة الاحياء
لزمه ان يدخل نفسا مثلها في جملة الاحرار لان اطلاقها عن قيد الرق كاحيائها من حيث ان الرقيق
ممنوع من تصرف الاحرار **ودية مسلمة الى اهله** اي مؤداة الى ورثته يقتسمونها كما يقتسمون
الميراث لا فرق بينها وبين التركة فيقضى منها الدين وتنفذ الوصية وان لم يبق وارث فهي لبيت
المال لان المسلمين يقومون مقام الورثة كما قال صلى الله عليه واله انا وارث من لا وارث له
وعن ابن مسعود يرث كل وارث من الدية غير القاتل وعن شريك لا يقضى من الدية دين ولا تنفذ
منها وصية وعن ربيعة الغرة لام الجنين وحدها وذلك خلاف قول الجماعة ومذهب ائمتنا عليهم السلام
ان حكم الدية حكم التركة من غير فرق وان قاتل الخطأ يرث من المال دون الدية وان حكم الغرة
حكم الدية في استحقاق الورثة والرقبة تجب على القاتل في ماله والدية تحملها عنه العاقلة فان
لم يكن عاقلة فهي في بيت المال فان لم يكن ففي ماله **الا ان يصدقوا** اي يتصدقوا عليه بالدية ومعنى
التصدق العفو عنها وعن النبي صلى الله عليه واله كل معروف صدقة **فان كان من قوم عدو**
لكم وهو مؤمن اي من قوم كفار وهو مسلم بين اظهرهم لم يفارقهم **فتحرير رقبة مؤمنة** يعني
فعلى قاتله الكفارة اذا قتله خطأ ولا يجب لاهله فيه دية لانهم كفار محاربون وقيل كان الرجل
يسلم ثم ياتي قومه وهم مشركون فيغزوهم جيش المسلمين فيقتل فيهم خطأ لانهم يظنونه كافرا مثلهم
وان كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق يعني وان كان من قوم كفرة لهم ميثاق كالمشركين الذين
عاهدوا المسلمين واهل الذمة من الكتابيين **فدية مسلمة الى اهله وتحرير رقبة مؤمنة**

يعني بحكمه حكم مسلم من المسلمين وهكذا حكم الفاسق بل هو اعظم جرمه فمن لم يجد يعني رقبة
يعني لم يملكها ولا ما يتوصل به اليها فصيام شهرين متتابعين لا يفطروا بالفطر في يوم منهما
لغير عذر توبة من الله اي قبولا من الله ورحمة من تاب الله عليه اذا قبل توبته والمعنى شرع ذلك
توبة منه اذ نقلكم من الرقبة الى الصوم توبة منه وكان الله عليما بما الحكم حكيما عادلا فيما شرع
لكم واوجب عليكم ومن يقتل مؤمنا عامدا لاجل كان متعمدا قاصدا الى قتله فجزاؤه جهنم
خالدا فيها اي ماكثا لا ينقطع وفيه دليل على خلود من لم يتب من اهل الكبائر وهو متأول بقوله
ومن يقتل اي قاتل كان من مسلم او كافر تائب او غير تائب الا ان التائب اخرجه الدليل [illegible]
المسلم غير التائب فلمات بدليل مثله وغضب الله عليه يعني مع عذابه له ولعنه واعد له
في الآخرة عذابا عظيما قال رضي الله عنه هذه الآية فيها من التهديد والايعاد
والابراق والارعاد امر عظيم وخطب غليظ ومن ثم روي عن ابن عباس ما روي ان توبة قاتل
المؤمن عمدا غير مقبولة وعن سفيان كان اهل العلم اذا سئلوا قالوا لا توبة له وذلك محمول منهم
على الاقتداء بسنة الله في التغليظ والتشديد والا فكل ذنب ممحو بالتوبة وناهيك بمحو الشرك
دليلا وفي الحديث لزوال الدنيا اهون على الله من قتل امرئ مسلم
وفيه لو ان رجلا قتل بالمشرق وآخر رضي بالمغرب لاشرك في دمه وفيه ان هذا الانسان بنيان
الله ملعون من هدم بنيانه وفيه من اعان على قتل مؤمن بشطر كلمة جاء يوم القيامة مكتوب بين عينيه
آيس من رحمة الله وفيه لا يزال المرء في فسحة من دينه ما لم يصب دما حراما وفيه من لقي الله بدم حرام
لقي الله يوم يلقاه وبين عينيه آيس من رحمة الله والعجب من قوم يقرؤون هذه الآية ويرون ما فيها
ويسمعون هذه الاحاديث العظيمة وقول ابن عباس بمنع التوبة ثم لا تدعهم اشعبيتهم وطماعيتهم
الفارغة واتباعهم هواهم وما يخيل اليهم مناهم ان يطمعوا في العفو عن قاتل المؤمن بغير توبة
أفلا يتدبرون القرآن ام على قلوب اقفالها ثم ذكر الله سبحانه التوبة في قتل الخطأ لما عسى يقع من
نوع تفريط فيما يجب من الاحتياط والتحفظ فيه حسم للاطماع واي حسم ولكن لا حياة لمن تنادي يا ايها
الذين آمنوا اذا ضربتم في سبيل الله اي سرتم وغزوتم فتبينوا اي اطلبوا بيان الامر وثباته ولا تتهوكوا
فيه من غير تدبر وروية ولا تقولوا لمن القى اليكم السلم وقرئ السلم والسلام وهما الاستسلام وقيل
الاسلام وقيل التسليم الذي هو تحية اهل الاسلام لست مؤمنا اي لست مصدقا في ايمانك
فلا نؤمنك والسبب فيها ان مرداس بن نهيك رجلا من اهل فدك اسلم ولم يسلم من قومه غيره فغزتهم
سرية لرسول الله صلى الله عليه وآله فهربوا وبقي مرداس لثقته باسلامه فلما رأى الخيل الجأ غنمه
الى عاقول من الجبل وصعد فلما تلاحقوا وكبروا كبر ونزل وقال لا اله الا الله محمد رسول
الله السلام عليكم فقتله اسامة بن زيد واستاق غنمه فاخبروا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

فوجد وجدا شديدا وقال قتلتموه ارادة ما معه ثم قرأ الآية على اسامة فقال يا رسول الله استغفر لي
فقال فكيف بلا اله الا الله قال اسامة فما زال يعيدها حتى وددت اني لم اكن اسلمت الا يومئذ ثم استغفر لي
وقال اعتق رقبة تبتغون عرض الحياة الدنيا اي تطلبون الغنيمة التي هي حطام سريع النفاد فهو الذي
يدعوكم الى ترك التثبت وقلة البحث عن حال من تقتلونه فعند الله مغانم كثيرة يغنمكموها
تغنيكم عن قتل رجل يظهر الاسلام ويتعوذ به من التعرض له لتأخذوا ماله كذلك كنتم من قبل
يعني اول ما دخلتم في الاسلام سمعت من افواهكم كلمة الشهادة فحصنت دماءكم واموالكم من غير
انتظار لمواطأة قلوبكم ولا اطلاع عليها فمن الله عليكم بالاستقامة والاشتهار بالايمان والتقدم
وانكم اعلام فيه فعليكم ان تفعلوا بالداخلين في الاسلام كما فعل بكم وان تعتبروا ظاهر الاسلام
ولا تقولوا ان تهليل هذا لاتقاء القتل لا لصدق النية فتجعلوه سلما الى استباحة دمه وماله وقد
حرمهما الله فتبينوا كرر الامر بالتبين ليؤكد عليهم ان الله كان بما تعملون خبيرا فلا تتهافتوا
في القتل وكونوا محترزين محتاطين في ذلك ليسلموا من عقابه لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير
اولي الضرر والمجاهدون في سبيل الله باموالهم وانفسهم لا مساواة بين حال من قعد عن الجهاد من اهل
الايمان وحال من جاهد ومعلوم انهما لا يستويان لكن فائدة نفي الاستواء الاعلام بما بينهما من التفاوت
والبون البعيد على طريق الوعظ للقاعد ليأنف ويترفع بنفسه عن انحطاط منزلته فيهتز للجهاد
ويرغب فيه وفي جملته الاعلام بارتفاع طبقة المجاهد ونحوه هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون
اريد به التحريك من همة الجاهل والبعث له الى التعلم ولينهض بنفسه عن ضعة الجهل الى شرف
العلم والضرر المرض او العاهة من عمى او عرج او زمانة او نحوها وعن زيد بن ثابت كنت الى جنب رسول
الله صلى الله عليه وآله فغشيته السكينة فوقعت فخذه على فخذي حتى خشيت ان ترضها ثم سري عنه فقال
اكتب فكتبت في كتف لا يستوي القاعدون من المؤمنين والمجاهدون فقال ابن ام مكتوم وكان اعمى
يا رسول الله وكيف بمن لا يستطيع الجهاد من المؤمنين فغشيته السكينة كذلك ثم سري عنه فقال اقرأ يا زيد
فقرأت لا يستوي القاعدون من المؤمنين فقال غير اولي الضرر قال زيد انزلها الله تعالى وحدها
فالحقتها والذي نفسي بيده لكأني انظر الى ملحقها عند صدع الكتف وعن ابن عباس لا يستوي القا
عدون عن بدر والخارجون اليها فضل الله المجاهدين باموالهم وانفسهم على القاعدين درجة
معناه على القاعدين غير اولي الضرر لان هذه الجملة موضحة لما نفي من استواء القاعدين والمجا
هدين كأنه قيل ما لهم لا يستوون فاجيب بذلك وكلا يعني وكل فريق من القاعدين والمجاهدين وعد الله
الحسنى اي المثوبة الحسنى وهي الجنة وان كان المجاهدون مفضلين على القاعدين درجة
لقد خلفتم بالمدينة اقواما ما سرتم مسيرا ولا قطعتم واديا الا كانوا معكم وهم الذين صحت نياتهم
ونصحت قلوبهم وكانت افئدتهم تهوي الى الجهاد وبهم ما يمنعهم من المسير من ضرر او غيره وفضل الله

وعد النبي صلى الله عليه وسلم

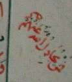
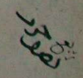
المجاهدين على القاعدين اجرا عظيما درجات منه يعني منازل بعضها اعلى من بعض منازل الكرامة وقيل
فضلوا تسع مائة درجة ومغفرة ورحمة يعني غفرانهم ورحمتهم وقد ذكر الله مفضلين درجة ومفضلين
درجات فاما المفضلون درجة فهم الذين فضلوا على القاعدين الاضرا الذين اذن لهم في التخلف لكما
بعض هؤلاء لان الغزو فرض كفاية وكان الله غفورا رحيما اي عادته الغفران لعباده ان الذين
توفاهم الملائكة معناه ان الله يكلهم من يتوفى انفسهم فيتوفونها ظالمي انفسهم اي في حال ظلمهم انفسهم
قالوا يعني الملائكة قالت للمتوفين فيم كنتم اي في شيء كنتم من امر دينكم وهم ناس من اهل مكة اسلموا
ولم يهاجروا حين كانت الهجرة فريضة ومعنى فيم كنتم التوبيخ بانهم لم يكونوا في شيء من الدين حيث قدروا
على المهاجرة ولم يهاجروا قالوا كنا مستضعفين في الارض اعتذارا مما وبخوا به واعتلالا بالاستضعاف
وانهم لم يتمكنوا من الهجرة حتى يكونوا في شيء فبكتتهم الملائكة بقولهم قالوا الم تكن ارض الله واسعة
فتهاجروا فيها ارادوا انكم كنتم قادرين على الخروج من مكة الى بعض البلاد التي لا تمنعون فيها
من اظهار دينكم ومن الهجرة الى رسول الله صلى الله عليه وآله كما فعل المهاجرون الى ارض الحبشة وفي
هذا دليل على ان الرجل اذا كان في بلد لا يتمكن فيه من اقامة امر دينه كما يجب لبعض الاسباب والعوائق
التي لا تنحصر وعلم انه في غير بلده اقوم بحق الله وادوم على العبادة حقت عليه المهاجرة وعن النبي
صلى الله عليه وآله وسلم من فر بدينه من ارض الى ارض وان كان شبرا من الارض استوجبت له الجنة وكان رفيق
ابيه ابراهيم ونبيه محمد صلى الله عليهما **قال رضي الله عنه** اللهم ان كنت تعلم
ان هجرتي اليك لم تكن الا للفرار بديني فاجعلها سببا في خاتمة الخير ودرك المرجو من فضلك والمبتغى
من رحمتك ووصل جواري لك بعكوفي عند بيتك بجوارك في دار كرامتك يا واسع المغفرة فاولئك
مأواهم جهنم اي مستقرهم وساءت مصيرا اي مرجعا رجعوا اليه الا المستضعفين من الرجال والنساء
والولدان استثناهم من اهل الوعيد لانهم لا يستطيعون حيلة في الخروج لفقرهم وعجزهم
ولا يهتدون سبيلا اي ولا معرفة لهم بالمسالك وهي الطرق وروي ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
بعث بهذه الآية الى مسلمي مكة فقال جندب بن ضمرة او ضمرة بن جندب لبنيه احملوني فاني لست
من المستضعفين واني لاهتدي الطريق والله لا ابيت الليلة بمكة فحملوه على سرير متوجها الى
المدينة وكان شيخا كبيرا فمات بالتنعيم اسم موضع في الطريق والولدان يجوز ان يراد بهم الاطفال
وهم لا يدخلون في الوعيد لانهم لا يتوجه عليهم الخطاب ولا يفتقرون الى الاستثناء لكنهم ذكروا بالمجانس
لبيان ان المستضعفين الذين لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا منزلون في العذر منزلتهم ويحتمل
ان يراد المراهقون منهم الذين عقلوا ما يعقل الرجال والنساء فيلحقوا بهم في التكليف وان
اريد العبيد والاماء البالغون فلا سؤال فاولئك عسى الله ان يعفو عنهم اي لا يؤاخذهم
بترك الهجرة وقال عسى الله ان يعفو عنهم بكلمة الاطماع للدلالة على ان ترك الهجرة امر مضيق لا توسعة

وأما المفضلون درجات فالذين فضلوا على القاعدين

فيه ان المضطر البين الاضطرار من جهته انه قول عسى الله ان يعفو عنهم فكيف بغيره وكان الله عفوا
غفورا اي عادته كثرة العفو والغفران فلا تستبعدوا عفوه وغفرانه للمستضعفين والعفو عما عليهم من ظلم
على وجوب الهجرة عن دار الفسق حيث يحمل التخلف على ترك واجب وارتكاب قبيح كما تجب الهجرة عن دار الكفر
واختلفوا اذا كان لا يلجأ الى ذلك لكنه لا يقدر على تنفيذ حكم شرعي فذهب الهادي الى وجوب الهجرة والا فسق
المكلف وذهب بعضهم الى ان الهجرة لا تجب ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الارض مراغما كثيرا
اي مهاجرا وطريقا يراغم بسلوكه قومه اي يفارقهم على رغم انوفهم والرغم الذل والهوان وسعة يعني
في الرزق وفي اظهار الدين ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله ورسوله يعني الى حيث امره الله ورسوله ثم يدركه
الموت يموت قبل ان يصل الى دار الهجرة فقد وقع اجره على الله اي فقد وجب ثوابه عليه والمعنى فقد
علم الله كيف يثيبه وذلك واجب عليه وروي في قصة جندب بن ضمرة انه لما ادركه الموت اخذ يصفق بيمينه
على شماله ثم قال اللهم هذه لك وهذه لرسولك ابايعك على ما بايعك عليه رسولك فمات حميدا فبلغ خبره
اصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله فقالوا لو توفي بالمدينة لكان اتم اجرا وقال المشركون وهم يضحكون
ما ادرك هذا ما طلب فنزلت **وقالوا كل هجرة** لغرض ديني من طلب علم او جهاد
او حج او فرارا الى بلد يزداد فيه طاعة او قناعة وزهدا في الدنيا او ابتغاء رزق طيب فهي هجرة الى الله ورسوله
وان ادركه الموت فاجره واقع على الله وكان الله غفورا رحيما اي عادته الغفران والرحمة واذا
ضربتم في الارض الضرب في الارض هو السفر واقل مدة السفر الذي يجوز فيه القصر عندنا مسيرة ثلاثة
ايام ثم اختلفوا في تقديرها ولما انتهى سير الابل ومشي الاقدام على القصد ولا اعتبار بابطأ السير
واسرعه فلو سار ذلك كله في يوم قصر ولو سار مسيرة يوم في ثلاثة ايام لم يقصر وعند ش ادنى مدة السفر
اربعة برد مسيرة يومين واختلف اباؤنا عليهم السلام في مقدار المسافة التي يجب فيها القصر فالاظهر
من مذهبهم انها بريد وهو اربعة فراسخ والفرسخ ثلاثة اميال والميل ثلاثة الاف ذراع وقال
بعضهم مسيرة ثلاثة ايام ثم اختلفوا في تقديرها فقيل اثنا وعشرون فرسخا وقيل ثمانية عشر فليس
عليكم جناح ان تقصروا من الصلاة يعني ليس عليكم اثم في القصر وظاهره التخيير بين القصر والاتمام
وان الاتمام افضل والى التخيير ذهب الشافعي وهو مذهب الناصر من ائمتنا والامام يحيى من ائمتنا
عليهم السلام اخذا بالظاهر وروي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه اتم في السفر وكان عثمان يتم
ويقصر وصرح القصر عزيمة عن رخصة لا يجوز غيره وهو المشهور من مذهب ائمتنا وعن عمر
صلاة السفر ركعتان تمام غير قصر على لسان نبيكم وعن عائشة اول ما فرضت الصلاة ركعتين
ركعتين فاقرت في السفر وزيدت في الحضر وتأول الادلة على مذهب الجمهور بانهم لما الفوا الاتمام
واستمروا عليه ولم يخطر ببالهم ان عليهم نقصانا في القصر نفى عنهم الجناح لتطيب انفسهم بالقصر
ويطمئنوا اليه والقصر ثابت بنص الكتاب في حال الخوف خاصة وهو قوله ان خفتم واما في حال

الباس فالسفر والمراد بالفتنة القتال والتعرض بما يكره
إن خفتم أن يفتنكم الذين كفروا اى يحربوكم
ثم علل خوف فتنتهم بقوله إن الكافرين كانوا لكم عدوا مبينا يعنى انهم للمومنين عدو ظاهر العداوة
سنها وإذا كنت فيهم يعنى الخائفين فأقمت لهم الصلوة فتعلق بظاهره من انكر صلوة الخوف بعد
رسول الله صلى الله عليه واله وهو ابو يوسف من الحنفية وقال من اجاز بعده حيث شرط كونه فيهم
ان الائمة نواب عن رسول الله صلى الله عليه واله فى كل عصر قوام بما كان يقوم به فكان الخطاب متناولا
لكل امام يكون حاضر الجماعة فى حال الخوف ان يومهم كما ام رسول الله صلى الله عليه واله الجماعات التى كان
يحضرها وهو مذهب ائمتنا عليهم السلام فلتقم طائفة منهم معك اى فاجعلهم طائفتين فلتقم
احدهما معك فتصلى بهم وليأخذوا أسلحتهم الضمير اما للمصلين واما لغيرهم فان كان للمصلين فقالوا
ياخذون من السلاح ما لا يشغلهم عن الصلوة كالسيف والخنجر وان كان لغيرهم فلا كلام فيه فإذا سجدوا
يعنى الطائفة المصلية فليكونوا يعنى غير المصلين من ورائكم يحرسونكم فاذا دام الامام الى الركعة
الثانية طول فى صلوته وتتم الطائفة الذين معه صلوتهم لانفسهم ثم يخرجون فيقفون بازاء العدو
وتأتى الطائفة الاخرى فيصلون مع الامام الثانية فاذا سلم قاموا الامام صلوتهم وهو قوله ولتأت
طائفة أخرى لم يصلوا يريد الذين كانوا من ورائهم لم يكونوا صلوا فليصلوا معك وليأخذوا
حذرهم اى تحرزهم وتيقظهم جعله مأخوذا كانه آلة يستعملها الغازى فلذلك جمع بينه وبين الاسلحة
في الاخذ ود الذين كفروا لو تغفلون اى تمنوا غفلتكم عن أسلحتكم وأمتعتكم اى اموالكم
وما ينفعكم وما به بلاغكم فى اسفاركم فيميلون عليكم ميلة واحدة اى يشدون عليكم شدة
واحدة ويحملون عليكم ان يضعف الحزم فيحملون عليكم وبين الاسلحة والامتعة ولا جناح عليكم
إن كان بكم أذى من مطر اى ما يوذى منه أو كنتم مرضى يعنى او كان بكم ما يضعفكم من مرض أن
تضعوا أسلحتكم رخص لكم فى وضع الاسلحة ان يعظم عليهم حملها بسبب ما يبلهم من مطر او يضعفهم
من مرض وخذوا حذركم دامرهم مع ذلك باخذ الحذر لئلا يغفلوا فيهجم عليهم العدو إن الله
أعد للكافرين عذابا مهينا اى عذابا يهينهم وفى هذه الآية تبيان صلوة الخوف ولا بد لها من شروط احدها
الخوف ولذلك تسميته وهو ان يكون المسلمون خائفين من العدو وخاشين هجمهم الكره وان يكونوا فى سفر
وان يكون ذلك فى اخر الوقت وصفتها على ما تقدم عن ائمتهم اذا كانوا فى صلوة المغرب صلى
بالطائفة الاولى ركعتين وبالطائفة الثانية واحدة وهو قول اكثر ائمتنا عليهم السلام وحلافا
للناس منهم انه قال يصلى بالاولى ركعة ليدرك الاخرى فضيلة الجمع وقد جمعوا المذهب ان
هذا يعتبر وفى الآية حث على صلوة الجماعة لانه امر بها فى حال الخوف فكيف بها فى حال الامن
فإذا قضيتم الصلوة معناه فاذا صليتم فى حال الخوف والقتال فاذكروا الله اى فصلوها
قياما مسايفين ومقارعين وقعودا يعنى جاثين على الركب مراميين وعلى جنوبكم مثخنين بالجراح

فإذا اطمأننتم حين تضع الحرب اوزارها وامنتم فأقيموا الصلوة فاقضوا ما صليتم فى تلك الاحوال
التى هى احوال القلق والانزعاج إن الصلوة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا اى فرضا محدودا
بأوقات لا يجوز اخراجها عن اوقاتها على اى حال كنتم من خوف او امن وهذا ظاهر على مذهبنا وفى
اقامة الصلوة على المحارب فى حال المسايفة والمشى والاضطراب فى المعركة اذا حضر وقتها فاذا اطمأن
فعليه القضاء واما عند ابى حنيفة فهو معذور فى تركها الى ان يطمئن وقيل معناه فاذا قضيتم صلوة الخوف فادعوا
ذكر الله مهللين ومكبرين ومسبحين داعين بالنصرة والتأييد فى جميع احوالكم من قيام وقعود واضطجاع
فان ما انتم عليه من خوف وحرب حقيق بذكر الله ودعائه واللجأ اليه فاذا اطمأننتم فاذا امنتم فاقيموا
الصلوة اى فاتموها ولا تهنوا اى لا تضعفوا ولا تتوانوا فى ابتغاء القوم فى طلب الكفار والقتال
والتعرض به لهم ثم الزمهم الحجة بقوله إن تكونوا تألمون فإنهم يألمون كما تألمون اى ليس ما تكابدون
من الالم بالجراح والقتل مختصا بكم انما هو امر مشترك بينكم وبينهم يصيبهم كما يصيبكم ثم انهم يصبرون
عليه ويتشجعون فما لكم لا تصبرون مثل صبرهم مع انكم اولى منهم بالصبر لانكم بالموت وترجون من الله
ما لا يرجون من اظهار دينكم على سائر الاديان ومن الثواب العظيم فى الآخرة وروى ان هذه الآية
كانت نزلت فى بدر الصغرى كان بهم جراح فتواكلوا وكان الله عليما حكيما لا يكلفكم شيئا ولا
يامركم ولا ينهاكم الا بما هو عالم به مما يصلحكم إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس
سبب نزولها ان طعمة بن ابيرق احد بنى ظفر سرق درعا من جار له اسمه قتادة بن النعمان فى جراب دقيق
فجعل الدقيق ينتثر من خرق فيه وخباها عند زيد بن السمين رجل من اليهود فطلبت الدرع عند طعمة
فلم يوجد وحلف ما اخذها وما له بها علم فتركوه واتبعوا اثر الدقيق حتى انتهى الى منزل اليهودى
فاخذوها منه فقال دفعها الى طعمة وشهد له ناس من اليهود فقالت بنو ظفر انطلقوا بنا الى رسول
الله صلى الله عليه واله فسألوه ان يجادل عن صاحبهم وقالوا ان لم تفعل هلك وافتضح وبرئ اليهودى
فهم رسول الله صلى الله عليه واله ان يفعل وان يعاقب اليهودي وقيل هم ان يقطع يده وروى ان طعمة
هرب الى مكة وارتد ونقب حائطا بمكة ليسرق اهله فسقط عليه الحائط فقتله بما أراك الله
اى بما عرفك الله واوحى به اليك وعن عمر لا يقولن احدكم قضيت بما ارانى الله فان الله تعالى لم
يجعل ذلك الا لنبيه ولكن ليجتهد رأيه لان الرأى من رسول الله كان مصيبا لان الله كان يريه
اياه وهو منا الظن والتكلف ولا تكن للخائنين خصيما اى ولا تكن لاجل الخائنين مخاصما
البرئ يعنى لا تخاصم اليهودي لاجل بنى ظفر واستغفر الله مما هممت به من عقاب اليهودي إن
الله كان غفورا رحيما اى فعادته الغفران للمستغفرين ولا تجادل عن الذين يختانون أنفسهم اى
ولا تخاصم عن الذين يخونون انفسهم بالمعصية فجعل معصية العصاة خيانة منهم لانفسهم كما
جعلت ظلما لها لان الضرر راجع اليهم وقال للخائنين ويختانون والمراد طعمة وحده لوجهين

احدهما ان بني ظفر شهدوا له بالبراءة ونصروه فكانوا شركاء له في الاثم والثاني انه جمع ليتناول
طعمة وكل من خان خيانته ولا تخاصم لخائن قط ولا تجادل عنه إن الله لا يحب من كان خوانا أثيما
وقالوا انما على المبالغة في كره المبالغة الخيانة والاثم لان الله تعالى كان عالما من طعمة
بالافراط في الخيانة وركوب المآثم ومن حتم له بسوء خاتمة لطعمة لم يشك في حاله وقيل اذا عثرت
من رجل على سيئة فاعلم ان لها اخوات وعن عمر انه امر بقطع يد سارق فجاءت امه تبكي وتقول هذه
اول سرقة سرقها فاعف عنه فقال كذبت ان الله لا يؤاخذ عبده في اول مرة يستخفون يستترون
من الناس حياء منهم وخوفا من ضررهم ولا يستخفون من الله لا يستحيون منه وهو معهم اي
عالم بهم مطلع عليهم لا يخفى عليه خاف من سرهم قال رضي الله عنه وكفى بهذه الآية
ناعية على الناس ما هم فيه من قلة الحياء والخشية من ربهم مع علمهم انهم في حضرته لا سترة ولا
غفلة ولا غيبة وليس الا الكشف الصريح والافتضاح إذ يبيتون اي يدبرون ويزورون ما لا
يرضى من القول وهو تدبير طعمة ان يرمي بالدرع في دار زيد اليهودي ليسرق دونه ويحلف ببراءته
وسمي التدبير قولا وانما هو معنى في النفس لانه لما حدث بذلك نفسه سمي قولا على المجاز ويكون
ان يراد بالقول الحلف الكاذب الذي حلف به بعد ان بيته وتوريكه الذنب على اليهودي وكان
الله بما يعملون محيطا لا يفوته شيء ها أنتم هؤلاء جادلتم عنهم في الحيوة الدنيا يوم القيمة

معناه هبوا انكم خاصمتم عن طعمة وقومه في الدنيا فمن يخاصم عنهم في الآخرة أم من يكون عليهم
وكيلا حافظا ومحاميا من بأس الله وانتقامه ومن يعمل سوءا اي قبيحا متعديا يسوء به غيره
كما فعل طعمة بقتادة واليهودي أو يظلم نفسه بما يختص به كالحلف الكاذب وقيل ومن يعمل سوءا
من ذنب دون الشرك او يظلم نفسه بالشرك وهذا بعث لطعمة على الاستغفار والتوبة لتلزمه الحجة
مع العلم بما يكون منه او بعث لقومه لما فرط منهم من نصرته والذب عنه ثم يستغفر الله يسأل
يطلب منه المغفرة بالتوبة يجد الله غفورا رحيما عظيم الغفران له واسع الرحمة عليه
ومن يكسب إثما فإنما يكسبه على نفسه اي لا يتعدى ضرره الى غيره فليبق على نفسه من
كسب السوء ولم يرتدع من طلبها وتعريضها لعذاب الله وكان الله غفورا رحيما لا يعاقب الا بالحق
عليما حكيما
ومن يكسب خطيئة صغيرة أو إثما كبيرة ثم يرم به بريئا كما رمى طعمة زيدا فقد احتمل بهتانا
وإثما مبينا لانه بكسب الاثم آثم وبرمي البريء باهت فهو جامع بين الامرين ولولا فضل
الله عليك ورحمته اي عصمته والطافه وما اوحى اليك من الاطلاع على سرهم لهمت

طائفة منهم يعني من بني ظفر أن يضلوك عن القضاء بالحق وتوخي طريق العدل مع علمهم بان
الجاني هو صاحبهم فقد روي ان ناسا منهم كانوا يعلمون حقيقة القصة وما يضلون إلا
أنفسهم لان وباله عليهم وما يضرونك من شيء لانك انما عملت بظاهر الحال وما كان يخطر ببالك

ان الحقيقة على خلاف ذلك وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة اي القرآن والسنة وعلمك
ما لم تكن تعلم من خفيات الامور وضمائر القلوب او من امور الدين والشرائع وكان فضل الله عليك
اي تفضله عليك بالعصمة والوحي عظيما لا اعظم منه وفي هذه دليل على ان ذنب الخيانة والكذب
من اعظم الذنوب وان كان على اشد الناس عداوة لله ولرسوله وللمؤمنين وهم اليهود لعنهم الله ۞
لا خير في كثير من نجواهم اي من تناجي الناس إلا من أمر بصدقة الا نجوى من امر بصدقة ففي نجواه الخير
أو معروف أو إصلاح بين الناس قيل المعروف القرض وقيل اغاثة الملهوف وقيل هو عام في كل
جميل من صلة الرحم وغيرها والاصلاح بين الناس من اعظم القرب وفي الحديث ان من مشى في صلح
بين اثنين صلت عليه ملائكة الله حتى يرجع واعطي مثل ثواب ليلة القدر وعنه صلى الله عليه وسلم
انه قال لابي ايوب الانصاري الا ادلك على صدقة هي خير لك من حمر النعم قال نعم يا رسول الله قال
تصلح بين الناس اذا تفاسدوا وتقرب بينهم اذا تباعدوا ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضات الله يعني
طلب الرضاه فسوف نؤتيه أجرا عظيما اي ثوابا لا حد له ومن يشاقق الرسول اي يعاديه ويخالفه
لان كل واحد من المتعاديين في شق خلاف شق صاحبه من بعد ما تبين له الهدى الذي هو عليه وعرف
انه رسول بحق ويتبع غير سبيل المؤمنين وهو السبيل الذي هو عليه من الدين الحنيفي القيم وهذا دليل
على ان الاجماع حجة لا تجوز مخالفتها كما لا تجوز مخالفة الكتاب والسنة لان الله تعالى جمع بين اتباع
غير سبيل المؤمنين وبين مشاقة الرسول في الشرط وجعل جزاءه الوعيد الشديد فكان اتباعهم واجبا
كموالاة الرسول نوله ما تولى نجعله واليا لما تولى من الضلال بان نخذله ونخلي بينه
وبين ما اختار ونصله جهنم اي نجعله صاليها كما يجعل الشاة المصلية في النار وقيل هي في طعمة وارتداده
وخروجه الى مكة وساءت مصيرا اي مرجعا ومستقرا إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون
ذلك لمن يشاء كررت هذه الآية للتأكيد وقيل كررت لقصة طعمة لانه روي انه مات مشركا
وروي ان شيخا من العرب جاء الى رسول الله صلى الله عليه وآله فقال اني شيخ منهمك في الذنوب الا اني لم
اشرك بالله شيئا منذ عرفته وآمنت به ولم اتخذ من دونه وليا ولم اوقع المعاصي جرأة على الله ولا مكابرة
له وما توهمت طرفة عين اني اعجز الله هربا واني لنادم تائب مستغفر فما ترى حالي عند الله فنزلت
وهذا الحديث يؤيد قول من فسر من يشاء بالتائب من ذنبه ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالا بعيدا
اي بعد عن الحق لان الكفر ابلغ الضلال إن يدعون من دونه إلا إناثا اي ما يعبدون من دون الله
الا اصناما اناثا وهي اللات والعزى ومناة وعن الحسن لم يكن حي من احياء العرب الا ولهم صنم يعبدونه
يسمونه انثى بني فلان وقيل كانوا يقولون في اصنامهم بنات الله وإن يدعون يعني وان يعبدون
بعبادة الاصنام إلا شيطانا مريدا لانه هو الذي اغراهم على عبادتها فاطاعوه فجعلت طاعتهم
له عبادة ثم وصف الشيطان بقوله لعنه الله اي ابعده من رحمته وقوله وقال لأتخذن من

عبادك نصيبا مفروضا اى مقطوعا واجبا فرضته لنفسى قال الحسن من كل الف تسع مائة وتسعين الى الله
ولأضلنهم اى اميلهم عن الحق ولأمنينهم الامانى الباطلة من طول الاعمار وبلوغ الامال ورحمة
الله للمجرمين بغير توبة والخروج من النار بعد دخولها ونحوه من الاطماع الفاسدة ولآمرنهم فليبتكن
آذان الأنعام البتك القطع وتبتيكهم الاذان فعلهم بالبحائر كانوا يشقون اذن الناقة
اذا ولدت خمسة ابطن وجاء الخامس ذكرا وحرموا على انفسهم الانتفاع بها ولآمرنهم فليغيرن خلق الله
بغيرهم خلق الله فقؤ عين الحامى واعفاؤه عن الركوب وقيل الخصاء وهو فى قول عامة العلماء
مباح فى البهائم واما فى بنى آدم فمحظور وعند ابى حنيفة يكره شرى الخصيان وامساكهم واستخدامهم
لان الرغبة فيهم تدعو الى خصائهم وقيل فطرة الله التى هى دين الاسلام وقيل للحسن ان عكرمة يقول
هو الخصاء فقال كذب عكرمة هو دين الله وعن ابن مسعود هو الوشم وهو الكى [illegible] وقيل نقش البدن
بالابرة وفى وشم النساء ظاهر الشبه وفى الحديث لعن الله الواشرات والمتنمصات والمستوشمات
المغيرات خلق الله وقيل التغيير التخنث ومن يتخذ الشيطان وليا من دون الله مطاعا فقد
خسر خسرانا مبينا لانه بدل ولاية الشيطان الرجيم بولاية الرحمن الرحيم يعدهم الشيطان
المواعيد الكاذبة ويمنيهم الامانى الباطلة وما يعدهم الشيطان الا غرورا اى يزين لهم ويعده
اولئك يعنى الذين اتخذوا الشيطان وليا من دون الله مأواهم جهنم مستقرهم فى الاخرة ولا يجدون
عنها محيصا اى مهربا والذين آمنوا وعملوا الصالحات هم الذين جمعوا بين الايمان والاعمال الصالحة
سندخلهم جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا وعد الله حقا لا كوعد الشيطان فانه
كذب وغرور ومن اصدق من الله قيلا اى قولا وفائدة هذه التوكيدات معارضة
مواعيد الشيطان الكاذبة وامانيه الباطلة لقربائه بوعد الله الصادق لاوليائه ترغيبا
للعباد فى ايثار ما يستحقون به تنجز وعد الله على ما يتجرعون فى عاقبته غصص اخلاف مواعيد
الشيطان ليس بامانيكم الخطاب للمسلمين اى ليس ينال ما وعد الله من الثواب بامانيكم ولا امانى
اهل الكتاب لانه لا يتمنى ما وعد الله الا من آمن به ولذلك ذكر اهل الكتاب معهم لمشاركتهم لهم
فى الايمان بوعد الله وعن الحسن ومسروق هى فى المسلمين وعن الحسن ليس الايمان بالتمنى ولكن ما وقر
فى القلب وصدقه العمل ان قوما الهتهم امانى المغفرة حتى خرجوا من الدنيا ولا حسنة لهم وقالوا
نحسن الظن بالله وكذبوا لو احسنوا الظن به لاحسنوا العمل وقيل ان المسلمين واهل الكتاب
افتخروا فقال اهل الكتاب نبينا قبل نبيكم وكتابنا قبل كتابكم وقال المسلمون نحن اولى منكم نبينا
خاتم النبيين وكتابنا يقضى على الكتب التى كانت قبله ونشهد عليها فنزلت من يعمل سوءا يجز به
اى يعاقب عليه ولا يجد له من دون الله وليا اى صديقا يتولاه فينفعه ولا نصيرا
ينصره ويدفع عقاب الله عنه هذا السوء ومن يعمل من الصالحات اى بعض الاعمال الصالحة التى

تكليفه فى وسعه لا جميع الصالحات وقد يكون فى الناس من لا حج عليه ولا زكوة ويسقط عنه
الصلوة فى بعض الاحوال والعمل الصالح عام فى كل عمل يرضاه الله من ذكر او انثى يعنى ان حكم
الاناث فى العمل حكم الذكور وهو مؤمن شرط فى القبول لان العمل لا يقبل الا بشرط الايمان
واخلاصه لوجه الله فاولئك يعنى اهل الاعمال الصالحة من المؤمنين يدخلون الجنة ولا
يظلمون نقيرا يحتمل انه عام لعمال السوء وعمال الصالحات ويحتمل انه راجع الى الصالحين
ويكون ذكره عند احد الفريقين دالا على الآخر لان كلا الفريقين مجزيون باعمالهم والمعنى لا ينقصون
من جزاء اعمالهم قدر نقير وهو الذى فى ظهر النواة **قال رضى الله عنه**
واذا ابطل الله الامانى واثبت ان الامر كله معقود بالعمل وان من اصلح عمله فهو الفائز ومن اساء
عمله فهو الهالك تبين الامر ووضح ووجب قطع الامانى وحسم المطامع والاقبال على العمل الصالح
ولكنه نصح لا تعيه الاذان ولا تلقى اليه الاذهان ومن احسن دينا ممن اسلم وجهه لله يعنى اخلص
نفسه لله وجعلها سالمة له لا تعرف لها ربا ومعبودا سواه وهو محسن وهو عامل الحسنات تارك
السيئات واتبع ملة ابراهيم حنيفا وهو الذى يحنف اى يميل عن الاديان كلها الى دين الاسلام
واتخذ الله ابراهيم خليلا هو مجاز عن اصطفائه واختصاصه بكرامة تشبه كرامة الخليل عند خليله
الذى يخالله اى يوافقه فى خلاله اى صديقه الذى يوافقه فى طرائقه وقيل ان ابرهيم عليه السلم
بعث الى خليل له بمصر فى شدة اصابت الناس يمتار منه فقال خليله لو كان ابرهيم يطلب
الميرة لنفسه لفعلت ولكنه يريدها للاضياف فاجتاز غلمانه ببطحاء لينة فملأوا منها الغرائر
حياء من الناس فلما اخبروا ابرهيم ساءه الخبر فحملته عيناه وعمدت امرأته الى غرارة منها فاخرجت
احسن حوارى واختبزت واستنبه ابرهيم واشتم رائحة الخبز فقال من اين لكم فقالت امرأته من خليلك
المصرى فقال بل من عند خليلى الله عز وجل فسماه الله خليلا ولله ما فى السموات وما فى الارض
يتصل بذكر العمال الصالحين ومعناه ان له ملك اهل السموات والارض فطاعته واجبة عليهم
وكان الله بكل شىء محيطا فكان عالما باعمالهم فمجازيهم على خيرها وشرها فعليهم ان يختاروا لانفسهم
ما هو اصلح لها ويستفتونك فى النساء اى يطلبون منك الفتيا فى حكم النساء قل الله يفتيكم فيهن وما
يتلى عليكم فى الكتاب فى يتامى النساء اى الله يفتيكم والمتلو فى الكتاب فى معنى اليتامى وهو قوله فى
اول هذه السورة وان خفتم الا تقسطوا فى اليتامى والمراد بالكتاب اللوح المحفوظ تعظيما
للمتلو عليهم وان العدل والنصفة فى حقوق اليتامى من عظائم الامور المرفوعة الدرجات عند
الله التى تجب مراعاتها والمحافظة عليها والمخل بها ظالم متهاون بما عظمه الله اللاتى لا تؤتونهن
ما كتب لهن ما كتبه الله اى ما فرض لهن من الميراث وكان الرجل منهم يضم اليتيمة الى نفسه ومالها
فان كانت جميلة تزوجها واكل المال وان كانت دميمة عضلها عن التزوج حتى تموت فيرثها وترغبون

أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ يحتمل في ان تنكحوهن لجمالهن وعن ان تنكحوهن لدمامتهن روى ان عمر بن الخطاب
كان اذا جاءه ولي اليتيمة نظر فان كانت جميلة غنية قال زوجها غيرك والتمس لها من هو خير منك وان
كانت دميمة ولا مال لها قال تزوجها فانت احق بها وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْوِلْدَانِ عطف على يتامى النساء وكانوا
في الجاهلية انما يورثون الرجال القوام بالامور دون الاطفال والنساء وَأَنْ تَقُومُوا لِلْيَتَامَى بِالْقِسْطِ
ومعناه وفي ان تقوموا لليتامى بالقسط وهو العدل ويجوز ان المعنى ويامركم ان تقوموا وهو خطاب
للائمة بان ينظروا لهم ويستوفوا حقوقهم ولا يخلوا احدا يهتضمهم او خطاب للاوصياء وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ
خَيْرٍ الى النساء والولدان والقيام لليتامى فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِهِ اي بالخير وهو عام في وجوه
خَيْرٍ الى النساء والولدان والاساءة فهو يوفر ثوابكم عليه وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا اي توقعت
الصلاح عَلِيمًا اي بعلمه والنشوز ان يتجافى عنها بان يمنعها نفسه ونفقته والمودة
منه ذلك لما راه من مخايله واماراته [illegible] أَوْ إِعْرَاضًا الاعراض هو ان يعرض عنها
والرحمة التي بين الرجل والمرأة وان يؤذيها بسب او ضرب وذلك لبعض الاسباب من طعن في سن او دمامة في خلق او خلق او ملال
بان يقل محادثتها ومؤانستها فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا اي لا باس بهما ان
او طموح عين الى اخرى او غير ذلك
يتصالحا على ان تطيب له نفسا عن القسمة او عن بعضها كما فعلت سودة بنت زمعة حين كرهت ان يفارقها
رسول الله صلى الله عليه وآله وعرفت مكان عائشة من قلبه فوهبت لها نوبتها وكما روى ان امرأة ارا[د]
ان يطلقها زوجها لرغبته عنها وكان لها منه ولد فقالت لا تطلقني ودعني اقوم على ولدي
وتقسم لي في كل شهرين فقال ان كان هذا يصلح فهو احب الي فاقرها او تهب له بعض المهر او كله
او النفقة فان لم تفعل فليس له الا ان يمسكها باحسان او يسرحها وَالصُّلْحُ خَيْرٌ من الفرقة او من
النشوز والاعراض وسوء العشرة او هو خير من الخصومة في كل شيء او والصلح خير من الخيور كما
ان الخصومة شر من الشرور وَأُحْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ معنى احضار الانفس الشح ان الشح جعل حاضرا
لها لا يغيب عنها ابدا ولا ينفك عنه يعني انها مطبوعة عليه والغرض ان المرأة لا تكاد تسمح بقسمها
وبغير قسمها والرجل لا تكاد نفسه تسمح بان يقسم لها وان يمسكها اذا كرهها واحب غيرها وَإِنْ تُحْسِنُوا
بالاقامة على نسائكم وان كرهتموهن واحببتم غيرهن وتصبروا على ذلك مراعاة لحق الصحبة وَتَتَّقُوا
النشوز والاعراض وما يؤدي الى الاذى والخصومة فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ من الاحسان والتقوى
خَبِيرًا فهو يثيبكم عليه وكان عمران بن حطان الخارجي من اشوه بني ادم خلقا وامراته من اجملهم ولها
في وجهه نظرها يوما ثم تابعت الحمد لله فقال ما لك قالت حمدت الله على اني واياك من اهل الجنة
قال وكيف قالت لانك رزقت مثلي فشكرت ورزقت مثلك فصبرت والصابر والشاكر في الجنة
وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ اي محال ان تستطيعوا العدل بين النساء والتسوية حتى لا يقع ميل
البتة بلا زيادة ولا نقصان فيما يجب لهن فرفع لذلك عنكم تمام العدل وغايته وما كلفتم الا من[ه]

تعدلون عليه لانه تكليف ما لا يستطاع داخل في حد الظلم وقيل معناه ان تعدلوا في المحبة
وعن النبي صلى الله عليه وآله انه كان يقسم بين نسائه فيعدل ويقول هذه قسمتي فيما املك فلا تؤاخذني
فيما تملك ولا املك يعني المحبة لان عائشة كانت احب نسائه اليه وقيل ان العدل بينهن امر صعب بالغ من
الصعوبة حدا يوهم انه غير مستطاع لانه يجب ان يسوي بينهن في القسمة والنفقة والتعهد
والنظر والاقبال والمواساة والمفاكهة وغيرها فهو كالخارج من حد الاستطاعة هذا اذا كن
محبوبات كلهن فكيف اذا مال القلب مع بعضهن ويذهب اما انا فعلم ان الرجل اذا قام بما يجب عليه
من النفقة والكسوة وحسن العشرة لا يجب عليه التسوية الا في الايام والليالي ولو وجب العدل
فيما عدا ذلك من المحبة والوطء والنظر لادى الى تكليف ما لا يستطاع وقد نفي بقوله لن تستطيعوا
وَلَوْ حَرَصْتُمْ اي اجتهدتم في العدل فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمَيْلِ اي لا تجوروا على المكروهة كل
الجور فتمنعوها قسمتها من غير رضا منها ومعناه ان اجتنبوا كل الميل بما هو ممكن ولا تفرطوا
فيه ان وقع منكم التفريط في العدل كله وفيه ضرب من التوبيخ فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ وهي
التي ليست بذات بعل ولا مطلقة وفي قراءة ابي فتذروها كالمسجونة وفي الحديث
من كانت له امرأتان يميل مع احداهما جاء يوم القيامة واحد شقيه مائلا وعن عائشة كان رسول
الله صلى الله عليه وآله يعدل بين نسائه في القسمة بما له دونه وبعضه ولعل المراد بالنظر العدل لان كمال
التفضيل على الاحد به تسوية متحرجا مجتنبا للاجحاف وكان لمعاذ امرأتان فاذا كان عند احداهما
لم يتوضأ في بيت الاخرى فماتا في الطاعون فدفنهما في قبر واحد وَإِنْ تُصْلِحُوا ما مضى من ميلكم
وتداركوه بالتوبة وَتَتَّقُوا فيما يستقبل فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا عايدة الغفران لعباده
والرحمة لهم وَإِنْ يَتَفَرَّقَا اي يفارق كل واحد منهما صاحبه يُغْنِ اللَّهُ كُلًّا مِنْ سَعَتِهِ اي يرزقه زوجا
خيرا من زوجه وعيشا اهنى من عيشه والسعة الغنا والمقدرة وَكَانَ اللَّهُ وَاسِعًا حَكِيمًا والواسع
الغني المقتدر والحكيم العادل المتقن وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ يعني ان له الملك
اهلها بطاعته واحسانه عليهم وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ هذا جواب قسم
محذوف تقديره والله لقد وصينا اي امرنا الامم فيما انزل اليهم من الكتب والكتاب اسم جنس ساول
الكتب السماوية وَإِيَّاكُمْ اي وصيناكم أَنِ اتَّقُوا اللَّهَ اي بان اتقوا ومعناه امرناهم وامرناكم
بتقوى الله وقلنا لهم ولكم وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ المعنى ان
لله الخلق كله وهو خالقهم ومالكهم والمنعم عليهم باصناف النعم كلها فحقه ان يكون مطاعا في
خلقه غير معصي يتقون عقابه ويرجون ثوابه قال رضي الله عنه
ومعنى الاية ان الوصية بالتقوى لم تزل قديمة ما زال الله يوصي بها عباده لستم مخصوصين لانهم
بالتقوى يسعدون عنده وبها ينالون النجاة في العاقبة وقلنا لهم ولكم ان تكفروا فان لله ما

في سمواته وارضه من الملئكة والثقلين من يوحده ويعبده ويتقيه **وكان الله** مع ذلك
غنيا عن خلقه وعن عبادتهم جميعا **حميدا** مستحقا لان يحمد لكثرة نعمه وان لم يحمده احد منهم **ولله ما**
في السموات وما في الارض كرر هذا تاكيدا لما هو موجب التقوى ليتقوه ويطيعوه ولا يعصوه
لان الخشية والتقوى اصل الخير كله **وكفى بالله وكيلا** توكلوا عليه امور العباد **ان يشأ**
يذهبكم ايها الناس يفنكم ويعدمكم كما اوجدكم وانشأكم **ويأت باخرين** اي يوجد انشا
اخرين مكانكم او خلقا اخرين غير الانس **وكان الله على ذلك** من الاعدام والايجاد **قديرا** بليغ
القدرة لا يمتنع عليه شيء اراده وهذا غضب عليهم وتخويف وبيان لاقتداره وقيل هو خطاب لمن كان
يعادي رسول الله صلى الله عليه واله من العرب اي ان يشأ يمتكم ويأت باناس اخرين يوالونه وروي
انها لما نزلت ضرب رسول الله صلى الله عليه واله يده على ظهر سلمان وقال انهم قوم هذا يريد ابناء فارس
من كان يريد ثواب الدنيا كالمجاهد يريد بجهاده الغنيمة **فعند الله ثواب الدنيا والاخرة**
فما له يطلب احدهما دون الاخر والذي يطلبه اخسهما لان من جاهد لله خالصا لم تخطئه الغنيمة
وله من ثواب الاخرة ما الغنيمة اليه كلا شيء والمعنى فعند الله ثواب الدنيا والاخرة له حتى يتعلق
الجزاء بالشرط **وكان الله سميعا** لاقوالكم **بصيرا** باعمالكم لا يعزب عنه شيء فهو يجازيكم **يا ايها**
الذين امنوا كونوا قوامين بالقسط اي مجتهدين في اقامة العدل حتى لا تجوروا **شهداء لله** اي تقيمون شهاداتكم
لوجه الله كما امرتم باقامتها **ولو على انفسكم** يعني ولو كانت الشهادة على انفسكم **او الوالدين والاقربين**
معناه او على ابائكم او اقاربكم واقامة الشهادة فعلها وهي ان يقول اشهد ان لفلان علي والدي
كذا او على اقاربي ومعنى الشهادة على النفس هي الاقرار على نفسه لانه في معنى الشهادة عليها بالزام
الحق لها ويجوز ان يكون المعنى وان كانت الشهادة وبالا على انفسكم او على ابائكم او اقاربكم وذلك
ان يشهد على من يتوقع ضرره من سلطان ظالم او غيره **ان يكن غنيا او فقيرا** اي ان يكن المشهود عليه غنيا فلا يمتنع
الشهادة عليه لغناه طلبا لرضاه او فقيرا فلا يمنعها ترحما عليه **فالله اولى بهما فلا تتبعوا الهوى** يعني
بالغني والفقير اي بالنظر لهما وارادة مصلحتهما ولولا ان الشهادة عليهما مصلحة لهما لما شرع
لانه انظر لعباده من كل ناظر **فلا تتبعوا الهوى ان تعدلوا** يحتمل العدل والعدول كانه
قيل ولا تتبعوا اهواكم كراهة ان تعدلوا بين الناس او ارادة ان تعدلوا عن الحق **وان تلووا**
او تعرضوا يعني وان تلووا السنتكم عن شهادة الحق او حكومة العدل او تعرضوا عن الشهادة عندكم
وتمنعوها **فان الله كان بما تعملون خبيرا** ويجازيكم عليه **يا ايها الذين امنوا امنوا بالله ورسوله**
خطابا للمسلمين ومعنى امنوا اثبتوا على الايمان ودوموا عليه وازدادوا ايمانا وصدقوا بتوحيد
الله واقروا برسوله **والكتاب الذي نزل على رسوله** هو القران الذي نزل عليه نجما **والكتاب الذي**
انزل من قبل المراد به جنس ما انزل على الانبياء قبله من الكتب وقيل الخطاب لاهل الكتاب لانهم امنوا

ببعض

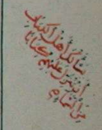
ببعض الكتب والرسل وكفروا ببعض **ومن يكفر بالله وملئكته وكتبه ورسله واليوم**
الاخر اي ومن يكفر بشيء من ذلك كما فعلت اليهود **فقد ضل ضلالا بعيدا** اي ذهب عن الحق والصواب
ان الذين امنوا ثم كفروا ثم امنوا ثم كفروا ثم ازدادوا كفرا معناه ان الذين تكرر منهم الارتداد
عن الايمان الى الكفر وعهد منهم ازدياد الكفر والاصرار عليه **لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم سبيلا**
هذا نفي للغفران والهداية وهي اللطف على سبيل المبالغة لانه يستبعد منهم ان يحدثوا ما يستحقون
به المغفرة ويستوجبون اللطف من ايمان صحيح ثابت يرضاه الله والمراد بنفيهما نفي ما يقتضيهما وهو
الايمان الخالص الثابت والمعنى ان قلوب اولئك الذين عاهدوا هذا قلوب قد ضريت بالكفر ومرنت
على الردة وكان الايمان اهون شيء عندهم وادونه حيث بدا لهم كرة بعد اخرى وليس المعنى انهم لو اخلصوا
الايمان بعد تكرار الردة وصحت توبتهم لم يقبل منهم ولم يغفر لهم لان ذلك مقبول حيث هو بذل الطاقة
واستفراغ للوسع ولكنه استبعاد له واستغراب وانه امر لا يكاد يكون وهكذا ترى الفاسق الذي
يتوب ثم يرجع ثم يتوب ثم يرجع لا يكاد يرجى منه الثبات والغالب انه يموت على شر حال واسمج صورة
وقيل هم اليهود امنوا بالتورية وبموسى ثم كفروا بالانجيل وبعيسى ثم ازدادوا كفرا بمحمد صلى
الله عليه واله **بشر المنافقين** وضع بشر مكان اخبر استهزاء بهم **بان لهم عذابا اليما** شديد الالم
على نفاقهم **الذين يتخذون الكافرين اولياء من دون المؤمنين** هذا ذم لهم بموالاة الكفار
وبطانتهم دون المؤمنين وكان يقول بعضهم لبعض لا يتم امر محمد فتولوا اليهود **ايبتغون عندهم العزة**
معناه يطلبون عندهم ليعزوا **فان العزة لله جميعا** يريد لاوليائه الذين كتب لهم العز والغلبة
على اليهود وغيرهم وقال تعالى ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين **وقد نزل عليكم في الكتاب** يعني القران **ان اذا**
سمعتم ايات الله يكفر بها ويستهزأ بها المنزل عليهم في الكتاب هو ما نزل عليهم بمكة من قوله
واذا رايت الذين يخوضون في اياتنا فاعرض عنهم وذلك ان المشركين كانوا يخوضون في ذكر القران في مجالسهم
ويستهزؤن به فنهى المسلمون عن القعود معهم ما داموا خائضين فيه **فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في**
حديث غيره كان احبار اليهود بالمدينة يفعلون كفعل المشركين فنهوا ان يقعدوا معهم كما نهوا عن مجالسة
المشركين بمكة وكان الذين يقعدون ويخوضون في القران من الاحبار هم المنافقون فقيل لهم **انكم اذا**
مثلهم اي مثل الاحبار في الكفر **ان الله جامع المنافقين والكافرين** يعني القاعدين معهم والمقعود
معهم **في جهنم جميعا** اي في اجتماعهم في عذابها **الذين يتربصون بكم** اي ينتظرون بكم ما يحدث
لكم من ظفر او اخفاق **فان كان لكم فتح من الله** اي نصر منه واظهار على العدو وغنيمة **قالوا الم نكن**
معكم اي معاونين مظاهرين لكم فاسهموا لنا في الغنيمة **وان كان للكافرين نصيب** اي ظفر بالمسلمين **قالوا**
للكافرين **الم نستحوذ عليكم** يعني الم نغلبكم ونتمكن من قتلكم واسركم فابقينا عليكم **ونمنعكم**
من المؤمنين اي بان ثبطناهم عنكم وخيلنا لهم ما ضعفت به قلوبهم وتوانينا في مظاهرتهم

عليكم فهاتوا نصيبًا لنا مما اصبتم **قال رضي الله عنه** وسمى ظفر المسلمين فتحًا
وظفر الكافرين نصيبًا تعظيمًا لشأن المسلمين وتخسيسًا لحظ الكافرين لان ظفر المسلمين امر عظيم تفتح له
ابواب السماء حتى ينزل على اوليائه واما ظفر الكافرين فما هو الا حظ دنيوي ومنفعة حقيرة من الدنيا
نصيبوها فالله يحكم بينكم يوم القيمة فيريكم يا مسلمون دخولهم الجنان ويريهم عذاب النيران ولن يجعل
الله للكافرين على المؤمنين سبيلا يعني طريقًا الى العلو والغلبة لان الاسلام يعلو ولا يعلى
فالمؤمنون غالبون في الدنيا بالحجة والسعد في الاخرة لا محالة ان المنافقين يخادعون الله اي
يفعلون ما يفعل المخادع من اظهار الايمان وابطان الكفر وهو خادعهم اي وهو يفعل
بهم ما يفعل الغالب في الخداع حيث تركهم معصومي الدماء والاموال في الدنيا واعد لهم الدرك
الاسفل من النار في الاخرة ولم يعاجلهم في العاجل من فضيحة واحلال بأس ونقمة ورعب دائم وقيل
يعطون على الصراط كما يعطى المؤمنون فيمضون بنورهم ثم يطفأ ويبقى نور المؤمنين فينادون انظرونا
نقتبس من نوركم واذا قاموا الى الصلوة قاموا كسالى اي يقومون متثاقلين متقاعسين كما ترى من يفعل
شيئا على كره لا عن طيبة نفس ورغبة يراءون الناس يعني يقصدون بصلوتهم الرياء والسمعة
ولا يذكرون الله الا قليلا اي ولا يصلون الا قليلا لانهم لا يصلون قط غائبين عن عيون
الناس الا ما يجاهرون به وما يجاهرون به قليل ايضا لعدم احتمالهم تكلف الصلوة ومواطاة القلب
فيها اللسان وقيل لا يذكرون الله بالتسبيح والتهليل الا ذكرا قليلا في الندرة وهكذا ترى
كثيرا من المتظاهرين بالاسلام لو صحبته الليالي والايام لم تسمع منه تهليلة ولا تسبيحة ولا تحميدة
ولكن حديث الدنيا يستغرق به اوقاته لا يفتر عنه ويجوز ان يراد بالقلة العدم مذبذبين بين ذلك
اي يذبذبهم الشيطان والهوى بين الايمان والكفر فهم مترددون بينهما متحيرون وحقيقة المذبذب
الذي يذب عن كلا الجانبين فلا يقر في جانب واحد وعن ابي جعفر مدبدبين بالدال المهملة وكان
المعنى اخذ بهم تارة في دبة وتارة في دبة فليسوا بماضين على دبة واحدة والدبة الطريقة وذلك
اشارة الى الكفر والايمان لا الى هؤلاء اي لا منسوبين الى هؤلاء فيكونوا مؤمنين ولا الى
هؤلاء اي ولا منسوبين الى هؤلاء فيسموا مشركين ومن يضلل الله اي يحكم عليه بالضلال
لاختياره له او يخذله بسلب التوفيق فلن تجد له سبيلا اي طريقًا الى النجاة لانه لا اهل للطف
يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا الكافرين اولياء من دون المؤمنين اي لا تتشبهوا بالمنافقين في اتخاذهم
اليهود وغيرهم من اعداء الاسلام اولياء اتريدون ان تجعلوا لله عليكم سلطانا مبينا
حجة بينة يعني عليكم بانكم منهم ومعنى الاستفهام الانكار عليهم ان المنافقين في الدرك
الاسفل من النار هو الطبق الذي في قعر جهنم والنار سبع دركات سميت بذلك لانها متداركة
اي متتابعة بعضها فوق بعض قال الضحاك الدرج اذا كان بعضها فوق بعض والدرك اذا كان

بعضها

بعضها اسفل من بعض والمنافق اشد عذابا من الكافر لانه مثله في الكفر وضم الى كفره الاستهزاء
بالاسلام واهله وبذا جاءهم ولن تجد لهم نصيرا يمنعهم بدفع العذاب عنهم الا الذين تابوا
اي ندموا ورجعوا عن النفاق واصلحوا ما افسدوا من اسرارهم واحوالهم في حال النفاق واعتصموا
بالله اي وثقوا به كما يثق المؤمن المخلص واخلصوا دينهم لله اي لا يبتغون بطاعتهم الا وجهه
قال عليه السلام المنافقون شر من كفر بالله واولاهم بمقته وابعدهم من الانابة
اليه لانه شرط عليهم في التوبة الاصلاح والاعتصام ولم يشرط ذلك على غيرهم ثم شرط الاخلاص
لان النفاق ذنب القلب والاخلاص توبة القلب فاولئك مع المؤمنين ولم يقل فاولئك
المؤمنون غيظا عليهم بما اوقع اجر المؤمنين في التسويف لانضمام المنافقين اليهم قال وسوف يؤتي
الله المؤمنين اجرا عظيما ذكره الواحدي فاولئك مع المؤمنين يعني فهم اصحاب المؤمنين ورفقاؤهم
في الدارين وسوف يؤتي الله المؤمنين اجرا عظيما اي يعطيهم اجرا جزيلا وهو الجنة ونعيمها فيشاركونهم فيه
ويساهمونهم **قال رضي الله عنه** والمنافق في الشريعة من اظهر الايمان وابطن
الكفر واما تسمية من ارتكب ما يفسق بالمنافق فللتغليظ كقوله من ترك الصلوة متعمدا فقد
كفر ومنه قوله عليه السلام ثلاث من كن فيه فهو منافق وان صام وصلى وزعم انه مسلم من اذا
حدث كذب واذا وعد اخلف واذا اؤتمن خان وقيل لابن عمر ندخل على السلطان ونتكلم بكلام
فاذا خرجنا تكلمنا بخلافه فقال كنا نعده من النفاق وعن الحسن اتى على النفاق زمان وهو مقروع
فيه فاصبح وقد عمم وقلد واعطي سيفا يعني الحجاج ما يفعل الله بعذابكم معناه اتشفى به من
الغيظ ام يدرك به الثار ام يستجلب به نفعا او يستدفع به ضررا كما يفعل الملوك بعذابهم وهو
الغني الذي لا يجوز عليه شيء من ذلك وانما هو امر اوجبته الحكمة ان يعاقب المسيء ان شكرتم وآمنتم
يعني فان قمتم بشكر نعمته وآمنتم به فقد ابعدتم عن انفسكم استحقاق العذاب وكان الله شاكرا
مثيبا موفيا اجوركم عليما بحق شكركم وايمانكم **قال رضي الله عنه** وقدم الشكر على الايمان لان
العاقل ينظر الى ما عليه من النعمة العظيمة في خلقه وتعريضه للمنافع فيشكر شكرا مبهما فاذا
انتهى به النظر الى معرفة المنعم آمن به ثم شكر شكرا مفصلا فكان الشكر متقدما على الايمان
وكانه اصل التكليف ومداره **لا يحب الله الجهر بالسوء من القول الا من ظلم**
يعني الا جهر من ظلم استثنى من الجهر الذي لا يحبه الله جهر المظلوم وهو ان يدعو على الظالم ويذكره
بما فيه من السوء اي القبيح ولا يكون غيبة وقيل هو ان يبدأ بالشتيمة فيرد على الشاتم مثل شتيمته
بقوله ولمن انتصر بعد ظلمه وقيل ضاف رجل قوما فلم يطعموه فاصبح شاكيا فعوتب على الشكاية
فنزلت وكان الله سميعا لما يجهر به من السوء عليما بكونه حقا يحو جهر المظلوم او غير حق
نحو جهر المعتدي فيجازي به ان تبدوا خيرا او تخفوه او تعفوا عن سوء هذا حث على العفو

عقب بين الحكم وان لا يحب احد الجهر بسوء وان كان على وجه الانتصار بعد ما اطلق الجهر به وجعله
محبوبا لكن العفو احب اليه وافضل عنده وابدا الخير اظهاره واخفاؤه اضماره وذكره
مقدمة للعفو عطفه عليهما اعتدادا به وتنبيها على منزلته وان كان له مكانا في الخير وسطا
والدليل على ان العفو هو الغرض المقصود بذكر ابداء الخير واخفائه قوله فان الله كان عفوا
قديرا اي يعفو عن الجانين مع قدرته على الانتقام فعليكم ان تقتدوا بسنة الله ان الذين يكفرون
بالله ورسله ويريدون ان يفرقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض جعل
الذين امنوا بالله وكفروا برسله او امنوا بالله وببعض رسله وكفروا ببعض كافرين بالله ورسله
جميعا لانه لا يتم الايمان بالله الا بشرط الايمان بما يجب الايمان به من رسول وكتاب وغيرهما ويريدون ان
يتخذوا بين ذلك سبيلا معناه اتخاذهم بين ذلك سبيلا ان يتخذوا دينا وسطا بين الايمان والكفر
وقد اخطاوا فانه لا واسطة بين الكفر والايمان ولذلك قال اولئك هم الكافرون حقا
اي هم الكاملون في الكفر وحقا تاكيد لكفرهم واعتدنا للكافرين اي اعددنا لهم في الاخرة
عذابا مهينا يهينهم ووضعهم بالكفر للتشنيع عليهم والذين امنوا بالله ورسله ولم
يفرقوا يعني في الايمان بين احد منهم اي لم يكفروا ببعض ويؤمنوا ببعض اولئك سوف يؤتيهم
اجورهم معناه ان ايتاءها كائن لا محالة وان تاخر فالغرض به توكيد الوعد وتثبيته لا كونه متاخرا
وكان الله غفورا رحيما روي ان كعب بن الاشرف وفنحاص بن عازوراء وغيرهما قالوا لرسول الله
صلى الله عليه واله ان كنت نبيا صادقا فاتنا بكتاب من السماء جملة كما اتى به موسى فنزلت وقيل
طلبوا كتابا الى فلان وكتابا الى فلان بانك رسول الله وانما اقترحوا ذلك على سبيل التعنت
ولو سالوه لكي يتبينوا الحق لاعطاهم وفيما اتاهم كفاية وقوله فقد سالوا موسى جواب
لشرط مقدر معناه ان استكبرت ما سالوه منك فقد سالوا موسى اكبر من ذلك وانما اسند
السؤال اليهم وهو من ابائهم في ايام موسى وهم النقباء السبعون لانهم كانوا على مذهبهم وراضين
بسؤالهم ومشابهين لهم في التعنت فقالوا ارنا الله جهرة اي عيانا بمعنى ارناه نره جهرة
فاخذتهم الصاعقة بظلمهم بسبب سؤالهم الرؤية ولو طلبوا امرا جائزا لما سموا ظالمين ولما
اخذتهم الصاعقة وهي نار احرقتهم فيسا للمشبهة ورميا بالصواعق ثم اتخذوا العجل لان
موسى لما خرج لميقات ربه عمل لهم السامري من الحلي صورة عجل واعبدوه لها من بعد ما جاءتهم
البينات وهي العصا واليد وفلق البحر وغيرها فعفونا عن ذلك بان قبلنا توبتهم ولم نستاصل
عبدة العجل واتينا موسى سلطانا مبينا اي تسلطا واستيلاء ظاهرا عليهم حين امرهم بان
يقتلوا انفسهم حتى تابوا عليهم فاطاعوه واحتبوا حول ذوبهم والسيوف تتساقط عليهم حتى بلغ
القتلى سبعين الفا لكن من سلطان مبين ورفعنا فوقهم الطور بميثاقهم اي بسبب

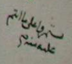


ميثاقهم ليخافوا فلا ينقضوا والطور مظل عليهم وقلنا لهم ادخلوا الباب سجدا اي باب
القرية التي امروا بدخولها وهي بيت المقدس وامروا بالسجود شكرا لله وتواضعا وقلنا لهم لا تعدوا
في السبت اي لا تعتدوا باصطياد فيه ولا تشتغلوا بغير العبادة امروا بهذه الامور والطور فوقهم
للتشديد عليهم فيها وفي امتثال الامر واخذنا منهم ميثاقا غليظا اي وثيقا وهو معاهدتهم ان
يعملوا عليه وقولهم سمعنا واطعنا ثم نقضوه بعد ذلك ولم يعملوا به فبما نقضهم ميثاقهم اي فبنقضهم
وما مزيدة للتوكيد والمعنى فعلنا بهم ما فعلنا بسبب هذه الامور والتوكيد معناه تحقيق ان
العقاب او تحريم الطيبات لم يكن الا بنقض العهد وما عطف عليه من الكفر وقتل الانبياء وغير
ذلك وكفرهم بايات الله وهي ما انزل على انبيائه من المعجزات وقتلهم الانبياء بغير حق اي كما روي
ان اليهود لعنهم الله قتلوا في اول يوم ثلاثة واربعين نبيا وفي اخره مائة واثني عشر ممن امرهم بالمعروف
وقولهم قلوبنا غلف اي مغطاة جمع اغلف وهو المغطى بغلافه بل طبع الله عليها بكفرهم هذا
رد وانكار لقولهم قلوبنا غلف وذلك لانهم ارادوا بقولهم هذا ان الله خلق قلوبنا غلفا اي في اكنة
لا يوصل اليها شيء من الذكر والموعظة كما حكاه الله عن المشركين حيث قالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم
ولمذهب المجبرة اخزاهم الله فقيل لهم بل خذلها الله ومنعها الالطاف بسبب كفرهم فصارت كالمطبوع
عليها لا انها خلقت غلفا غير قابلة للذكر ولا متمكنة من قبوله فلا يؤمنون الا قليلا اي
ايمانا قليلا لا يعتد به او عبر بالقلة عن العدم لان ايمانهم كلا ايمان وبكفرهم وقولهم على مريم
بهتانا عظيما اي وبسبب كفرهم وكرره لانه تكرر منهم الكفر حيث كفروا بموسى ثم بعيسى ثم بمحمد
والبهتان العظيم هي التزنية وهي نسبة مريم الى الزنا وان عيسى لغير رشده وقولهم انا
قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله **قال رضي الله عنه** كانوا كافرين بعيسى عليه
اعداء له عامدين لقتله يسمونه الساحر ابن الساحرة والفاعل ابن الفاعلة وانما قالوا رسول على وجه
الاستهزاء كقول فرعون ان رسولكم الذي ارسل اليكم لمجنون ويجوز ان يضع الله الذكر الحسن مكان
ذكرهم القبيح في الحكاية عنهم رفعا لعيسى عليه السلام عما كانوا يذكرونه به وتعظيما لما ارادوا
بمثله وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم **روي** ان رهطا من اليهود سبوه
وسبوا امه فدعا عليهم اللهم انت ربي وبكلمتك خلقتني اللهم العن من سبني وسب والدتي فمسخ الله
من سبهما قردة وخنازير فاجتمعت اليهود على قتله فاخبره الله بانه يرفعه الى السماء ويطهره من
صحبة اليهود فقال لاصحابه ايكم يرضى ان يلقى عليه شبهي فيقتل ويصلب ويدخل الجنة فقال
رجل منهم انا فالقى الله عليه شبهه فقتل وصلب وقيل كان رجلا ينافق عيسى فلما ارادوا قتله قال
انا ادلكم عليه فقتلوه وهم يظنونه عيسى ثم اختلفوا فقال بعضهم انه اله لا يصح قتله وقال بعضهم
انه قد قتل وصلب وقال بعضهم ان كان هذا عيسى فاين صاحبنا وان كان صاحبنا فاين عيسى وقال

بعضهم رفع الى السما وقال بعضهم الوجه وجه عيسى والبدن بدن صاحبنا وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ
في هذا الاختلاف لَفِي شَكٍّ مِنْهُ اي في لبس من امره مَا لَهُمْ بِهِ اي بحقيقته مِنْ عِلْمٍ هل قتل ام
لم يقتل إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ اي لكنهم يتبعون فيه الظن وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا اي وما قتلوه قتلا يقينا
او ما قتلوه متيقنين كما ادعوا ذلك او ما عرفوه يقينا او ما صلبوه بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ اي الى
سمائه ومسكن ملائكته وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا لا يغالب في حكمه ولا يعاقب الا بحق لكن الله يشهد
بما انزل اليك في الكلام حذف تقديره وما من اهل الكتاب احد الا ليؤمنن به المعنى
وما من اليهود والنصارى احد الا ليؤمنن قبل موته بعيسى وبانه عبد الله ورسوله اي عند خروج
روحه حين لا ينفعه ايمانه لانقطاع وقت التكليف وعن شهر بن حوشب قال لي الحجاج آية ما قراتها الا
عالجني في نفسي شيء منها يعني هذه الآية وقال اني اوتى بالاسير من اليهود والنصارى فاضرب عنقه
ولا اسمع منه ذلك فقلت ان اليهودي اذا حضره الموت ضربت الملائكة دبره ووجهه وقالوا
يا عدو الله اتاك عيسى نبيا فزعمت انه الله او ابن الله فيؤمن انه عبد الله ورسوله حيث لا ينفعه
ايمانه قال شهر وكان الحجاج متكئا فاستوى جالسا فنظر الي وقال ممن اخذت هذا فقلت حدثني
به محمد بن علي بن الحنفية فاخذ ينكت في الارض بقضيبه ثم قال لقد اخذتها من عين صافية او من
معدنها وعن ابن عباس انه فسره كذلك فقال له عكرمة فان اتاه رجل فضرب عنقه قال لا تخرج
نفسه حتى يحرك بها شفتيه قال وان خر من فوق بيت او احترق او اكله سبع قال يتكلم بها
في الهوي ولا تخرج روحه حتى يؤمن به **قال رضي الله عنه** وفائدة الاخبار بايمانهم بعيسى
قبل موتهم الوعيد لهم والحث على معاجلة الايمان به في اوان الانتفاع وليكون الزاما للحجة
لهم وكذلك قوله وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا يشهد على اليهود بانهم كذبوه وعلى النصارى
بانهم دعوه ابن الله وقيل المعنى وان من اهل الكتاب الا ليؤمنن بعيسى قبل موت عيسى وهم
اهل الكتاب الذين يكونون في زمان نزوله لانه روي انه ينزل من السما في آخر الزمان فلا يبقى
احد من اهل الكتاب الا يؤمن به حتى تكون الملة واحدة وهي ملة الاسلام ويهلك الله في
زمانه المسيح الدجال وتقع الامنة حتى ترتع الاسود مع الابل والنمور مع البقر والذئاب
مع الغنم ويلعب الصبيان بالحيات ويلبث في الارض اربعين سنة ثم يتوفى ويصلي عليه المسلمون
ويدفنونه فَبِظُلْمٍ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ معناه ما حرمنا عليهم من
الطيبات الا لظلم عظيم ارتكبوه وهو ما عدد لهم من الكفر والكبائر العظيمة والطيبات التي
حرمت عليهم ما ذكره في قوله وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر وحرمت عليهم الالبان وكلما
اذنبوا ذنبا صغيرا او كبيرا حرم عليهم بعض الطيبات من المطاعم وغيرها وَبِصَدِّهِمْ عَنْ

سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا اي وبمنعهم عن دين الله ناسا كثيرا او صدا كثيرا وهو قولهم الحج الى مكة واجب
وشريعة موسى لا تنسخ ومحمد رسول الله الى العرب وحدهم وَأَخْذِهِمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ اي وسبب
اخذهم الربا وقد نهوا عن اخذه وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ اي بالرشوة التي كانوا ياخذونها
من ارادهم في تحريف الكتاب وَأَعْتَدْنَا اي هيانا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا شديد الالم لَٰكِنِ
الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ يريد من آمن منهم كعبد الله بن سلام واضرابه والراسخون في العلم
الثابتون فيه والمؤمنون يعني المؤمنين منهم والمؤمنون من المهاجرين والانصار يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ
إِلَيْكَ من القرآن والوحي وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ من الكتب على الانبيا وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ نصب على المدح
لبيان فضل الصلوة ولا يلتفت الى ما زعموا من وقوعه لحنا في خط المصحف وربما التفت اليه
من لا يعرف مذاهب العرب وما لهم في النصب على الاختصاص والمدح من الافتنان وغبي عليه
ان السابقين الاولين كانوا ابعد همة في الغيرة على الاسلام وذب المطاعن عنه من ان يتركوا
في كتاب الله ثلمة ليسدها من بعدهم وخرقا يرفوه من يلحق بهم وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ بالرفع وَالْمُؤْمِنُونَ
بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يوم البعث والجزا أُولَٰئِكَ الموصوفون بهذه الصفات سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا
عَظِيمًا اي ثوابا جزيلا إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَىٰ نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ
وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ هذا جواب لاهل
الكتاب عن سؤالهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ينزل عليهم كتابا من السما واحتجاج عليهم
بان شانه في الوحي كشان الانبيا الذين سلفوا وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا وهو الكتاب خصه بالذكر
لانه مكتوب فيه ان محمدا خاتم الانبيا وان امته خير الامم فاحتج عليهم لثبوته بما في الزبور من ذكرها وانما
اعاد ذكر هؤلاء الانبيا بعد ذكرهم ليبين تعظيما وتفخيما لشانهم والمعنى انا كما اوحينا الى هؤلاء
الانبيا فقد اوحينا الى محمد صلى الله عليه وسلم وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ اي وارسلنا
رسلا قد ذكرنا اخبارهم وقصصهم عليك وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ اي لم نخبرك بهم وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ
تَكْلِيمًا اي باجاه بالكلام فلم يؤمنوا بما امرهم به والمعنى ان الاعراض والتكذيب لهم عادة فلا
يستنكرها رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ منصوب على المدح يعني هؤلاء المذكورين جعلوا رسلا لتبشير اهل
الايمان بالثواب والانذار لاهل الكفر بالعقاب لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ
اي لئلا يكون للناس حجة على الله لو لم يرسل اليهم **قال رضي الله عنه** و
والناس محجوجون بما نصبه الله لهم من ادلة العقل الموصلة الى معرفته والرسل في انفسهم لم
يتوصلوا الى المعرفة الا بالنظر في تلك الادلة ولا عرف انهم رسل الله الا بالنظر فيها ولكن
الرسل منبهون عن الغفلة وباعثون على النظر كما ترى علما اهل العدل والتوحيد مع تبليغ
ما حملوه من تفصيل امور الدين وتعليم الشرائع فكان ارسالهم ازاحة للعلة وتتميما لالزام الحجة

لئلا يقولوا لولا ارسلت الينا رسولا منبها على ما يحتاج الانتباه له وكان الله عزيزا غالبا
لا يعجزه شي حكيما لا يواخذ الا بعد الزام الحجة لكن الله يشهد بما انزل اليك لما سال اهل الكتاب
انزال الكتاب من السما وتعنتوا بذلك واحتج عليهم بقوله انا اوحينا اليك قال لكن الله يشهد
يعني انهم لا يشهدون لكن الله يشهد وقيل لما نزل انا اوحينا اليك قالوا
ما نشهد لك بهذا فنزل لكن الله يشهد ومعنى شهادة الله بما انزل اثباته لصحته باظهار
المعجزات كما تثبت الدعاوي بالبينات انزله بعلمه معناه انزله ملتبسا بعلمه الخاص الذي لا
يعلمه غيره وهو تاليفه على نظم واسلوب يعجز عنه كل بليغ وصاحب بيان ويحتمل انه انزله وهو عالم
به رقيب عليه حافظ له من الشياطين برصد من الملائكة والملائكة يشهدون بذلك والملائكة
يشهدون شهادة الملائكة شهادة بتصديقه حق وشهادة الله تعلم بالمعجزات واما شهادة الملائكة
فهي تعلم بشهادة الله لانه معلوم ان الملائكة يشهدون بصحة ما شهد الله بصحته لان شهادتهم
تبع لشهادته وكفى بالله شهيدا وان لم يشهد غيره لان التصديق بالمعجزة هو الشهادة حقا
لقوله قل اي شي اكبر شهادة قل الله ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله اي جمعوا
بين الكفر والمنع من الدخول في دين الله قد ضلوا ضلالا بعيدا اي ذهبوا عن الصواب
في الدين ضلالا بعيدا عن المبدا والمنادة عن الصواب ان الذين كفروا وظلموا لم يكن الله ليغفر لهم
اي ان الذين جمعوا بين الكفر والمعاصي فظلموا انفسهم وكان بعضهم كافرين وبعضهم
ظالمين اصحاب كبائر لانه لا فرق بين الفريقين في انه لا يغفر لهما الا بالتوبة ولا ليهديهم طريقا
اي ولا يلطف بهم ولا يوفقهم لسلوك طريق خير الا طريق جهنم يعني لكن يهديهم لسلوك
الطريق الموصل الى جهنم ولا يهديهم يوم القيامة طريقا الا طريقها خالدين فيها ابدا وكان
ذلك على الله يسيرا اي سهلا لا صارف له عنه يا ايها الناس قد جاءكم الرسول بالحق
وهو دين الاسلام من ربكم فآمنوا اي صدقوا ما جاء به خيرا لكم مما انتم فيه من الكفر وان
تكفروا فان لله ما في السموات وما في الارض يعني فان في سمواته وارضه من الملائكة من يوحده ويعبده
وكان الله عليما بكفركم وبما تستحقون عليه من العقاب حكيما عادلا لا يعاقب الا بحق يا اهل



الكتاب لا تغلوا في دينكم اي لا تجاوزوا الحد الحق فغلا يغلو غلوا قال رضي الله
عنه غلت اليهود في حط عيسى عن منزلته حيث جعلته مولودا لغير رشده وغلت في عزير حيث جعلوه
ابن الله وغلت النصارى في رفعه عن مقداره حيث جعلوه الها ولا تقولوا على الله الا الحق وهو
تنزيهه عن الشريك والولد انما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله يعني انما هو الا عبد مرسل الى
جنسه من العباد وكلمته القاها الى مريم سمي كلمة الله لانه وجد بكلمته وامره لا غير من غير واسطة
اب ولا نطفة وقيل له روح الله وروح منه لذلك لانه ذو روح وجد من غير جزء من ذي

روح كالنطفة المنفصلة من الاب الحي وانما هو اختراع اخترعا من عند الله وقدرته خالصة
ومعنى القاها الى مريم اوصلها اليها وحصلها فيها فآمنوا بالله اي بوحدانيته ورسله
يعني بانهم عبيد مرسلون لا حظ لاحد منهم في الالهية ولا تقولوا ثلاثة اي الالهة ثلاثة الله والمسيح
ومريم لان النصارى قالوا ذلك وزعموا ان المسيح ولد الله من مريم فجعلوه ابنا وشريكا في الالهية
انتهوا خيرا لكم اي انتهوا عن التثليث واقصدوا امرا خيرا لكم مما انتم فيه من الكفر والتثليث
وهو الايمان والتوحيد ثم ابطل تثليثهم بقوله انما الله اله واحد يعني لا شريك له في الالهية
سبحانه ان يكون له ولد معناه اسبحه تسبيحا يعني انزهه من نسبة الولد اليه له ما في السموات
وما في الارض بيان لتنزهه عما نسب اليه يعني ان كل ما فيهما خلقه وملكه فكيف يكون بعض ملكه
جزءا منه على ان الجزء انما يصح في الاجسام وهو متعال عن صفات الاجسام والاعراض وكفى بالله
وكيلا يكل اليه الخلق كلهم امورهم فهو الغني عنهم وهم الفقراء اليه لن يستنكف المسيح اي
لن يأنف ولن يذهب بنفسه عزة ان يكون عبدا لله ولا الملائكة المقربون اي ولا من هو اعلى منه قدرا
واعظم منه خطرا وهم الملائكة الكروبيون الذين حول العرش كجبريل وميكائيل واسرافيل ومن في
طبقتهم والكلام مسوق لرد مذهب النصارى وغلوهم في رفع المسيح عن منزلة العبودية فصح ان يقال
لهم لن يترفع عيسى عن العبودية ولا من هو ارفع منه درجة كانه قيل لن يستنكف الملائكة المقربون من
العبودية فكيف المسيح وروي ان وفد نجران قالوا لرسول الله صلى الله عليه وآله لم تعيب صاحبنا
قال ومن صاحبكم قالوا عيسى قال واي شي اقول قالوا تقول انه عبد الله ورسوله قال انه ليس
بعار ان يكون عبد الله قالوا بلى فنزلت اي لا يستنكف عيسى من ذلك فلا تستنكفوا له فلو كان
موضع استنكاف لكان هو اولى بان يستنكف لان العار الصق به وفي الاية دليل على ان
الملائكة افضل من الانبياء وهو قول قاطبة المعتزلة ومذهب ائمتنا عليهم السلم ومن يستنكف عن
عبادته اي يترفع ويستكبر عنها فسيحشرهم اليه جميعا اي يجمع العباد كلهم في الاخرة اليه
ويجازيهم المستنكفون وغير المستنكفين فاما الذين آمنوا وعملوا الصالحات اي الطاعات فيوفيهم
اجورهم يعني الثواب في الجنة ويزيدهم من فضله وهو ما يحصل لهم من النفع بالشفاعة
واما الذين استنكفوا واستكبروا فيعذبهم عذابا اليما لشدته بالالم ولا يجدون لهم من دون الله وليا يلي امرهم
ويدفع عنهم ولا نصيرا ينصرهم ويعينهم على الخلاص من العذاب يا ايها الناس قد جاءكم برهان
من ربكم وانزلنا اليكم نورا مبينا البرهان والنور المبين القرآن او اراد بالبرهان دين
الحق رسول الله وبالنور المبين ما ينبه ويصدقه من الكتاب المعجز فاما الذين آمنوا بالله
واعتصموا به اي بتقواه واعتصموا فسيدخلهم في رحمة منه وفضل يعني في ثواب مستحق وتفضل
ويهديهم اليه الى عبادته صراطا مستقيما وهو طريق الاسلام والمعنى توفيقهم وتثبيتهم

قل الله يفتيكم في الكلالة انزل الله تعالى في الكلالة ايتين احديهما في الشتاء وهي التي في اول
هذه السورة والاخرى في الصيف وهي هذه وروي ان هذه اخر ما نزل من الاحكام كان رسول الله صلى
الله عليه واله في طريق مكة عام حجة الوداع فاتاه جابر بن عبد الله فقال ان لي اختا فكم اخذ من
ميراثها ان ماتت وقيل كان مريضا فعاده رسول الله صلى الله عليه واله فقال اني كلالة فكيف
اصنع في مالي فنزلت يستفتونك اي يطلبون منك الفتيا وهو الجواب عن الحادثة والكلالة من
عدا الاباء وان علوا والاولاد وان نزلوا ان امرؤ هلك ليس له ولد اي ان هلك امرء غير ذي
ولد فحذف تقديره ولا والد فاكتفى عنه لان الاية في الكلالة وهي لا تكون الا كذلك فان
كان له احدهما لم يسم كلالة والمراد بالولد الابن وهو اسم مشترك يقع على الذكر والانثى والمراد
به هاهنا الابن لانه يسقط الاخت ولا يسقطها البنت الا في مذهب ابن عباس وله اخت فلها نصف ما
ترك المراد بالاخت التي هي لاب وام او لاب دون التي لام لان الله تعالى فرض لها النصف وجعل اخاها
عصبة وقال للذكر مثل حظ الانثيين واما الاخت لام فلها السدس في اية المواريث مسوى بينها
وبين اخيها وهو يرثها اي واخوها يرثها ان قدر الامر على العكس من موتها وبقائه بعدها ان لم
يكن لها ولد اي ابن لان الابن يسقط الاخ دون البنت وعند الابن يسقط الاخ كالاب لكن
اقتصر على بيان حكم انتفاء الولد ووكل حكم انتفاء الوالد الى بيان السنة وهو قوله عليه السلام الحقوا
الفرائض باهلها فما بقي فلاولى عصبة ذكر والاب اولى من الاخ وليسا باول حكمين بين احدهما بالكتاب
والاخر بالسنة ولان الكلالة يتناول انتفاء الوالد والولد جميعا فكان ذكر انتفاء احدهما دالا على
انتفاء الاخر فان كانتا اثنتين اي فان كانت الاختان اثنتين فلهما الثلثان مما ترك الاخ وان كانوا
اخوة رجالا ونساء يعني وان كان من يرث بالاخوة ذكورا واناثا والمراد بالاخوة الاخوة
والاخوات لاب وام او لاب فللذكر مثل حظ الانثيين سهم للاخت وسهمان للاخ يبين الله
لكم امور مواريثكم ان تضلوا اي كراهة ان تضلوا او تزهقوا عن معرفتها والكوفيون
يقدرون لا محذوفة اي لئلا تضلوا والله بكل شيء عليم يعلمكم عما تحتاجون اليه عز وجل

سورة المائدة مدنية وهي مائة وثلث وعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم

يا ايها الذين امنوا اوفوا بالعقود هي عقود الله التي عقدها على عباده والزمها اياهم من
مواجب التكليف وقيل ما يعقدون بينهم من عقود الامانات ويتحالفون عليه ويتماسحون فيه من المبايعات
والظاهر انها عقود الله عليهم في دينه من تحليل حلاله وتحريم حرامه وانه كلام قدم مجملا ثم عقب
بالتفصيل وهو قوله احلت لكم بهيمة الانعام البهيمة كل ذات اربع في البر والبحر كالبقر والغنم
وغيرها ومعناه البهيمة من الانعام الا ما يتلى عليكم اي الا ما يتلى عليكم اية تحريمه والانعام

الازواج الثمانية وقيل بهيمة الانعام الظباء وبقر الوحش ونحوها غير محلي الصيد اي احللنا لكم
هذه الاشياء لا محلين الصيد وانتم حرم اي في حال الاحرام وكانه قال احللنا لكم بهيمة الانعام
في حال امتناعكم من الصيد وانتم محرمون لئلا نحرج عليكم فاحل لكم بهيمة الانعام في حال تحريم الصيد عليكم
والحرم جمع حرام وهو المحرم ان الله يحكم ما يريد اي يثبت ما يريد من الاحكام ويعلم انه حكمة ومصلحة
يا ايها الذين امنوا لا تحلوا شعائر الله الشعائر جمع شعيرة وهي اسم ما اشعر اي جعل شعارا وعلما للنسك من مواقف الحج
ومرامي الجمار والمطاف والمسعى والافعال التي هي علامات الحاج يعرف بها من الاحرام والطواف والسعي
والحلق والنحر ولا الشهر الحرام وهو شهر الحج ولا الهدي وهو ما اهدي الى البيت وتقرب به الى
الله من النسائك ولا القلائد وهي جمع قلادة وهي ما قلد به الهدي من نعل او عروة مزادة او لحاء
او غيره ولا امين البيت الحرام اموا البيت الحرام فقصدوه وهم الحجاج والعمار
واحلال هذه الاشياء ان يتهاون بحرمتها وان يحال بين المتنسكين وبين هذه الشعائر وان يحدثوا في اشهر
الحج ما يصدون به الناس عن الحج وان يتعرض للهدي بالغصب او بالمنع من بلوغ محله واما القلائد
ففيها وجهان احدهما ان يراد بها ذوات القلائد من الهدي وهي البدن وعطفت على الهدي
للاختصاص وزيادة التوصية بها لانها اشرف الهدي كانه قيل والقلائد
منها خصوصا والثاني ان ينهى عن التعرض لقلائد الهدي مبالغة في النهي عن التعرض للهدي
يعني ولا تحلوا قلائدها فضلا ان تحلوها كما قال ولا يبدين زينتهن فنهى عن ابداء الزينة مبالغة
في النهي عن ابداء مواقعها واحلال الامين التعرض لهم بالقتل معناه ولا تحلوا قوما قاصدين المسجد
الحرام يبتغون فضلا من ربهم وهو الثواب ورضوانا يعني وان يرضى عنهم والمعنى لا تتعرضوا لقوم
هذه صفتهم تعظيما لهم واستنكارا ان يتعرض لمثلهم قيل هي محكمة • وعن النبي صلى الله عليه واله وسلم
المائدة من اخر القران نزولا فاحلوا حلالها وحرموا حرامها • وقال الحسن ليس فيها منسوخ وعن ابي ميسرة
فيها ثماني عشرة فريضة وليس فيها منسوخ • وعن ابن عباس كان المسلمون والمشركون يحجون جميعا فنهى
الله المسلمين ان يمنعوا احدا من حج البيت بقوله لا تحلوا ثم نزل بعد ذلك انما المشركون نجس • وقال
مجاهد والشعبي لا تحلوا نسخ بقوله واقتلوهم حيث وجدتموهم وفسر ابتغاء الفضل بالتجارة وابتغاء
الرضوان بان المشركين كانوا يظنون في انفسهم انهم على سداد من دينهم وان الحج يقربهم الى الله فوصفهم
الله بظنهم واذا حللتم فاصطادوا اباحة للاصطياد بعد حظره عليهم كانه قال فاذا حللتم فلا
جناح عليكم ان تصطادوا واحل المحرم وحل بمعنى واحد ولا يجرمنكم شنان قوم ان صدوكم عن المسجد
الحرام ان تعتدوا الجرم الكسب يقال جرم ذنبا بمعنى كسبه والشنان شدة البغض والمعنى
لا يكسبنكم بغض قوم الاعتداء عليهم ولا يحملنكم عليه لاجل صدهم اياكم عن المسجد الحرام لكنه قدم
التعليل في الاية على الاعتداء والمراد بالصد منع اهل مكة رسول الله صلى الله عليه واله والمؤمنين

قال رضي الله عنه

يوم الحديبية عن العمرة ومعنى الاعتدا بالانتصار منهم بالحاق مكروه بهم وتعاونوا على البر
والتقوى اى على العفو والاغضا ولا تعاونوا على الاثم والعدوان اى على الانتقام والتشفي
ويجوز ان يراد العموم لكل بر وتقوى وكل اثم وعدوان فيتناول بعمومه العفو والانتصار واتقوا
الله بامتثال اوامره ونواهيه ان الله شديد العقاب للمتعاونين على الاثم والعدوان حرمت
عليكم الميتة هي التي تموت حتف انفها يعني اكلها والانتفاع بها والدم يعني الدم المسفوح
وهو ما كانت العرب تجعل من جعله في الامعا ويشوونها وياكلونها فحرم ذلك ولحم الخنزير
هو [illegible] قيل هو شبل ولد الاتان وحرم الله لحمه والمراد جميع اجزائه وما اهل
لغير الله به اى وما رفع الصوت به لغير الله ومعناه وحرم ما ذكر عليه اسم غير الله من الاوثان
وهو قولهم باسم اللات والعزى عند الذبح والمنخنقة وهي التي خنقوها حتى ماتت او انخنقت
بسبب ويدخل في ذلك المغمومة ونحوها والموقوذة وهي التي اثخنوها ضربا بعصا او بحجر حتى
ماتت والمتردية هي التي تردت من جبل او في بئر فماتت والنطيحة هي التي نطحتها اخرى وما اكل
السبع بعضه الا ما ذكيتم يعني الا ما ادركتم ذكاته وهو يضطرب اضطراب المذبوح ويشخب
اوداجه دما وهذا الاستثنا يرجع الى جميع هذه المحرمات المذكورة قال ابن عباس معناه ما
ادركت من هذه كلها وفيه روح فاذبحه فهو حلال فلو ان السبع فرى الاوداج او ابان
الراس فقيل يطعن حتى يموت ويحل لانها ذكوة لعذر وقيل بانه ميتة لا يحل وقرا ابن عباس واكيل
السبع وما ذبح على النصب وقيل هو جمع واحده نصاب وان تستقسموا بالازلام اى وحرم
عليكم الاستقسام بالقداح كان احدهم اذا اراد سفرا او نكاحا او امرا من معاظم الامور ضرب
بالقداح وهي مكتوب على بعضها نهاني ربي وعلى بعضها امرني ربي وبعضها غفل فان خرج الامر
مضى لطيته وان خرج الناهي امسك وان خرج الغفل اجالها عودا ومعنى الاستقسام بالازلام
طلب معرفة ما قسم له مما لم يقسم له ذلكم فسق اى ذلكم الاستقسام فسق وكان فسقا لانه دخول
في علم الغيب الذي استاثر به علام الغيوب واعتقاد ان الى الله طريقا والى استنباطه وقوله نهاني
ربي وامرني ربي افترا على الله وما يدريه انه امره او نهاه والكهنة والمنجمون بهذه المثابة
وان كان اراد بالرب الصنم فقد روي انهم كانوا يجيلونها عند اصنامهم فامره ظاهر اليوم لم
يرد به يوما بعينه وانما اراد الزمان الحاضر وما يتصل به ويدانيه من الازمنة الماضية والاتية يئس الذين
وقيل اريد يوم نزولها وقد نزلت يوم الجمعة وكان يوم عرفة بعد العصر في حجة الوداع
كفروا من دينكم يعني يئسوا من ان يبطلوه وان ترجعوا محللين لهذه الخبائث بعد ما حرمت
عليكم وقيل يئسوا من دينكم ان يغلبوه لان الله عز وجل وفى بوعده من اظهاره على الدين
كله فلا تخشوهم بعد اظهار الدين وزوال الخوف من الكفار وانقلابهم مغلوبين مقهورين

نصف حزب

بعد ما كانوا غالبين واخشون اخلصوا الى الخشية اليوم اكملت لكم دينكم كفيتكم امر عدوكم وجعلت
اليد العليا لكم كما تقول الملوك اليوم كمل لنا الملك وكمل لنا ما نريد اذا كفوا من ينازعهم الملك
ووصلوا الى اغراضهم ومباغيهم او اكملت لكم ما تحتاجون اليه في تكليفكم من تعليم الحلال
والحرام والتوقيف على الشرائع وقوانين القياس واصول الاجتهاد واتممت عليكم نعمتي بفتح
مكة ودخولها امنين ظاهرين وهدم منار الجاهلية ومناسكهم وان لم يحج معكم مشرك ولم يطف بالبيت
عريان او اتممت نعمتي عليكم باكمال امر الدين والشرائع كانه قال اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم
نعمتي بذلك لانه لا نعمة اتم من نعمة الاسلام ورضيت لكم الاسلام دينا يعني اخترته لكم من بين الاديان
واذنتكم بانه هو الدين المرضي وحده ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه ان هذه امتكم امة واحدة
فمن اضطر الى الميتة او الى غيرها في مخمصة مجاعة غير متجانف لاثم غير منحرف
اليه كقوله غير باغ ولا عاد فان الله غفور رحيم لا يؤاخذه بذلك يسئلونك ماذا احل لهم
اى اى شيء احل لهم ومعناه ماذا احل لهم من المطاعم كانهم حين تلي عليهم ما حرم عليهم من خبيثات الماكل
سالوا عما احل لهم منها فقيل قل لهم يا محمد احل لكم الطيبات اى ما ليس بخبيث منها وهو كل ما لم يات
تحريمه في كتاب او سنة او قياس مجتهد وما علمتم من الجوارح مكلبين معناه احل لكم الطيبات وصيد
ما علمتم من الجوارح وهي الكواسب من سباع البهائم والطير كالكلب والفهد والنمر والعقاب والصقر
والبازي والشاهين والمكلب مؤدب الجوارح ومضريها بالصيد لصاحبها ورائضها لذلك بما علم من
الحيل وطرق التاديب واشتقاقه من الكلب لان التاديب اكثر ما يكون في الكلاب فاشتق من لفظه لكثرته
في جنسه وحد التعليم الذي يقوم مقام الذكاة على مذهبنا ما [illegible] صاحبها فيها كثيرا
فائدة في الاقبال والادبار وهذا لا يكاد يتصور الا في جوارح البهائم دون الطير فان كواسب
الطير لا تكاد تقبل التعليم فلا يحل اكل ما لم يدرك من صيدها حيا تعلمونهن زيادة بيان التعليم
على سبيل التاكيد قال رضي الله عنه وفيه فائدة جليلة وهي ان على كل احد
علما الا ياخذه الا من اظهر اهله علما واخبرهم دراية واغوصهم على لطائفه وحقائقه وان احتاج
الى ان يضرب اليه اكباد الابل فكم من اخذ من غير متقن قد ضيع ايامه وعض عند لقاء النحارير انامله
مما علمكم الله من علم التكلف لانه الهام من الله عز وجل ومكتسب بالعقل او مما عرفكم ان تعلموه
من اتباع الصيد بارسال صاحبه وانزجاره بزجره وانصرافه بدعائه وامساك الصيد عليه وان لا
ياكل منه لقوله عليه السلام لعدي بن حاتم وان اكل منه فلا تاكل انما امسك على نفسه وعن علي
اذا اكل البازي فلا تاكل وفرق العلماء فاشترطوا في سباع البهائم ترك الاكل لانها تؤدب بالضرب
ولم يشترطوه في سباع الطير ومنهم من لم يعتبر ترك الاكل اصلا ولم يفرق بين امساك الكل والبعض
وهذا مذهب ابائنا عليهم السلام الا انه لم يفصل وعن سلمان وسعد بن ابي وقاص وابي هريرة واذا اكل

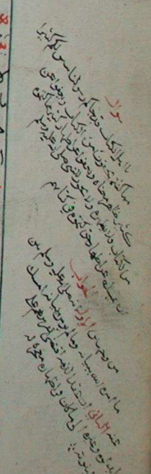
لكل ما لم يصد بتعليمه و بغى بلبه و ذكرت اسم الله عليه فكل **وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ** اى سموا على ما امسكن اذا
ما ادركتم ذكاته او معناه سموا على ما علمتم من الجوارح عند ارساله **وَاتَّقُوا اللَّهَ** ولا تاكلوا من
الخبائث التى حرمت عليكم **إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ** اى قريب حسابه لان ما ات لا محاله **الْيَوْمَ أُحِلَّ**
لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ اى ما لم يات فيه تحريم **وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ** قيل هو ذبائحهم وقيل جميع
مطاعمهم ويستوى فى ذلك جميع اليهود والنصارى **وعن على عليه السلام** انه استثنى نصارى
بنى تغلب وقال ليسوا على النصرانيه ولم ياخذوا منها الا شرب الخمر وبه اخذ الشافعى وعن ابن عباس
انه سئل عن ذبائح نصارى العرب فقال لا باس وهو قول عامه التابعين وبه اخذ ابو حنيفه واما المجوس
فقد سن بهم سنه اهل الكتاب فى اخذ الجزيه دون اكل ذبائحهم ونكاح نسائهم ومذهب الحلبى ان ابانا
حرم ذبائحهم ومناكحتهم واختلفوا فى رطوبتهم فعند الهادى عليه السلام انها نجسه فلا يحل من طعامهم ما
باشروه وعند غيره ان رطوبتهم طاهره فيحل طعامهم لنا كما يحل لهم طعامنا **وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ** ولا
عليكم ان تطعموهم لانه لو كان حراما عليهم طعام المومنين لما ساغ لهم اطعامهم **وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ**
اى الحرائر او العفائف اى احل لكم نكاح المحصنات وهى الحرائر وتخصيصهن بعث على تخير المومنين
لنطفهم والاما المسلمات يصح نكاحهن بالاتفاق وكذلك نكاح غير العفائف واما الاما الكتابيات
فعند جمع من الكما المسلمات وخالفه الشافعى **وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ**
يعنى اليهود والنصارى معناه واحل لكم نكاح المحصنات منهم وقد اختلف العلما فى معناه فقيل يجوز
نكاح نسائهم عن اكثر الفقها والمفسرين ومذهب الاكثر من ائمتنا ان نكاح الكتابيات لا يجوز ولا يدرى
من الحرائر منهن والاما وتاولوا الايه على ان المراد قوم منهم كانوا قد اسلموا فاحل طعامهم ومناكحهم
وكان ابن عمر لا يرى نكاح الكتابيات ويقول لا اعلم شركا اعظم من قولها ان ربها عيسى وعن عطا قد اكثر الله
المسلمات وانما رخص لهم يوميذ **إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ** يعنى مهورهن **مُحْصِنِينَ** اعفا **غَيْرَ مُسَافِحِينَ** اى
غير زانين **وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ** اى صدائق والخدن يقع على الذكر والانثى وهو الصديق فى السر فصل حرم الله
النكاح على جهه السفاح وهو اظهار الزنا وعلى جهه اتخاذ الصديقه وهو اسرار الزنا كما كان فى
الجاهليه يفعل **وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ** اى شرائع الاسلام وما احل الله وحرم **فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ**
اى بطل ثوابه **وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ** كل الخسران لانه استبدل الكفر بالايمان فابدل النعيم
الجنان عذاب النيران **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ** يعنى اذا قصدتموها لان من توجه الى الشى وقام الله
كان قاصدا له لا محاله فعبر عن القصد له بالقيام اليه وظاهر الايه يوجب الوضو على كل قائم الى
الصلوه محدث وغير محدث ووجهه انه يحتمل ان يكون الامر للوجوب فيكون الخطاب للمحدثين خاصه وان
يكون للندب وعن رسول الله صلى الله عليه واله والخلفا بعده انهم كانوا يتوضون لكل صلوه وعنه
صلى الله عليه واله من توضى على طهر كتب الله له عشر حسنات وعنه صلى الله عليه واله انه كان يتوضا لكل صلوه

فلما كان يوم الفتح مسح على خفيه وصلى الصلوات الخمس بوضو واحد فقال له عمر صنعت ما لم تكن تصنعه
فقال عمدا فعلته يا عمر يعنى بيانا للجواز فى تاديه الصلوات بوضو واحد فيما لم ينقض حدث ولا يجوز ان يكون
الامر متناولا للمحدثين على وجه الايجاب وللمتوضين على وجه الندب لان تناول الكلمه لمعنيين مختلفين
من باب الالغاز والتعميه لانه لا يعلم المراد به من حيث انه يحتمل احدهما او كلاهما وقيل كان الوضو
لكل صلوه واجبا اول ما فرض ثم نسخ **فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ** الى تفيد معنى الغايه مطلقا
ومترددة فى ادخال ما بعدها فى حكم ما قبلها وقوله الى المرافق والى الكعبين لا دليل فيه على احد الامرين
فاخذ كافه العلما بالاحتياط فحكموا بدخول المرافق فى الغسل وهو مذهب ائمتنا عليهم السلام واخذ
زفر وداود بالمتيقن فلا يدخلانها وعن النبى صلى الله عليه واله انه كان يدير الما على مرفقيه **وَامْسَحُوا**
بِرُءُوسِكُمْ المراد الصاق المسح بالراس وماسح بعضه ومستوعبه بالمسح كلاهما ملصق للمسح براسه وقد
اخذ مالك بالاحتياط فاوجب مسح الكل او اكثره على اختلاف الروايه عنه واخذ الشافعى باليقين
فاوجب اقل ما يقع عليه اسم المسح وهو ثلاث شعرات واخذ ابو حنيفه ببيان رسول الله صلى الله عليه واله
وهو ما روى انه مسح على ناصيته وقدر الناصيه بربع الراس ومذهب ائمتنا عليهم وجوب مسح الراس كله
مع الاذنين اخذا بالاحتياط فى الايه ولما روى عن النبى صلى الله عليه واله انه مسح راسه فى وضوه من
مقدمه الى موخر راسه ثم مسح بقدمه ثم مقدم اذنيه وموخرهما وادخل اصبعيه فى حجرى اذنيه فاخذنا
ببيانه صلى الله عليه واله **وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ** لما اسع الممسوح بقوله وارجلكم ذهب بعض
العلما الى جواز مسح الارجل وبه مع الغسل احد بعض ائمتنا الناصر والقسم جمعا بين الغسل والمسح
والصحيح من المذهب انها تغسل ولا يجزى المسح وقراه الارجل بالنصب تدل على انها مغسوله لعطفها
على قوله وجوهكم ومن قراها بالجر ادخلها فى حكم المسح فلانها لما كانت تغسل بصب الما عليها اكثر
مما تغسل سائر الاعضا وكانت مظنه للاسراف المذموم المنهى عنه عطفت على الممسوح لا لتمسح
ولكن لتنبه على وجوب الاقتصاد فى صب الما عليها وصلا الى الكعبين فجى بالغايه اراله لظن ظان
كونها ممسوحه لان المسح لم يضرب له غايه الشريعه **وعن على عليه السلام** انه اشرف على
فتيه من قريش فراى فى ارجلهم تجوزا فقال ويل للاعقاب من النار فلما سمعوا جعلوا يغسلونها غسلا
ويدلكونها دلكا **وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا** اى فاطهروا ابدانكم بالغسل من الجنابه **وَإِنْ كُنْتُمْ**
مَرْضَى جمع مريض **أَوْ عَلَى سَفَرٍ** اى مسافرين **أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ** يعنى من موضع الحدث
ويعنى جا محدثا **أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ** اى جامعتموهن **فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا** اى فاقصدوا صعيدا
والصعيد وجه الارض والمراد التراب لقوله منه والطيب المنبت الطاهر لان طهاره التراب شرط
كطهاره الما والتراب احد المطهرين **فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ** يعنى من الصعيد ومذهب
ائمتنا عليهم ان الواجب ضربتان والثالثه سنه وقيل الواجب ضربه واحده وقيل ثلاث ضربه للوجه ...

للكف وضربه للذراعين الى المرفقين كالوضوء والتيمم من خصائص هذه الامة لقوله صلى
الله عليه وآله اعطيت ما لم يعط احد من الانبياء قبلي جعلت لي الارض مسجدا وطهورا ما يريد الله
ليجعل عليكم من حرج اي ما يريد الله ليجعل عليكم من ضيق في باب الطهارة حتى يرخص لكم في التيمم
ولكن يريد ليطهركم بالتراب اذا اعوزكم التطهر بالماء وليتم نعمته عليكم يعني وليتم برخصه
انعامه عليكم بعزائمه لعلكم تشكرون نعمه فيثيبكم واذكروا نعمة الله عليكم وهي نعمة الاسلام
وميثاقه الذي واثقكم به اي عاهدكم به عهدا وثيقا وهو الميثاق الذي اخذه على المسلمين حين بايعهم رسول
الله صلى الله عليه وآله على السمع والطاعة في حال العسر واليسر والمنشط والمكره اذ قلتم سمعنا
واطعنا معناه فقبلوا وقالوا سمعنا واطعنا وقيل هو الميثاق ليلة العقبة وفي بيعة الرضوان
لانه صلى الله عليه وآله بايعهم على الموت دونه والمراد بذكرهم الميثاق حثهم على الوفاء به
واتقوا الله فلا تنقضوا الميثاق ولا تضمروا نقضه ان الله عليم بذات الصدور اي بخفياتها
فيحاسبكم عليها يا ايها الذين آمنوا كونوا قوامين لله اي مجتهدين في القيام بالحق لوجه الله شهداء
بالقسط اي بالعدل والحق ولا يجرمنكم شنآن قوم على الا تعدلوا جرم بمعنى كسب الا انه يجري مجرى
فعل يتعدى ولا يحملنكم والشنآن البغض والمعنى ولا يحملنكم بغضكم للمشركين على ان تتركوا
العدل فتعتدوا عليهم بان تنتصروا منهم وتتشفوا بما في قلوبكم من الضغائن بارتكاب ما لا يحل لكم
من مثلة او قذف او قتل اولاد او نساء او نقض عهد وما اشبه ذلك اعدلوا هو اقرب للتقوى
نهاهم اولا ان تحملهم البغضاء على ترك العدل ثم صرح لهم بالامر بالعدل تاكيدا وتشديدا ثم ذكر لهم
وجه الامر بالعدل وهو قوله هو اقرب للتقوى اي العدل اقرب للتقوى وادخل في مناسبتها او اقرب
الى التقوى لكونه لطفا فيها وفيه تنبيه عظيم على ان وجوب العدل مع الكفار الذين هم اعداء الله
اذا كان بهذه الصفة من القوة فما الظن بوجوبه مع المؤمنين الذين هم اولياؤه واحباؤه واتقوا
الله ولا تتركوا العدل ان الله خبير بما تعملون يعني لا يخفى عليه عملكم فيجازيكم به وعد الله الذين آمنوا
وعملوا الصالحات المعنى وعد الله المؤمنين على الايمان والعمل الصالح غفرانا لذنوبهم وثوابا جزيلا
في الآخرة وهو الجنة وقوله لهم مغفرة واجر عظيم بيان للوعد بعد تمام الكلام قبله كانه قال
قدم لهم وعدا فقيل اي شيء وعده لهم فقال لهم مغفرة واجر عظيم والذين كفروا وكذبوا بآياتنا اولئك
اصحاب الجحيم عقب الترغيب بالترهيب ووعد اولياءه بما يقر اعينهم توعد اعداءه بنار الجحيم يا ايها
الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ هم قوم ان يبسطوا اليكم ايديهم روى ان رسول
الله صلى الله عليه وآله اتى بني قريظة ومعه الشيخان يستقرضهم دية مسلمين قتلهما عمرو بن امية
الضمري خطا فقالوا نعم يا ابا القاسم اجلس حتى نطعمك ونقرضك فاجلسوه في
صفة وهموا بالفتك به وعمد عمرو بن جحاش الى رحا عظيمة ليطرحها عليه فامسك الله عز وجل يده

ونزل جبرئيل عليه السلام فاخبره والمعنى اذكروا نعمة الله عليكم اذ هم قوم بني قريظة ان يبسطوا اليكم
ايديهم بالقتل والاغتيال فكف ايديهم عنكم منعها ان تمد اليكم واخبركم حتى خرجتم من
عندهم واتقوا الله فلا تخالفوا امره وتفوتوا محافظته وقوموا بشكر نعمته وعلى الله فليتوكل
المؤمنون اي لا يتكلوا في امورهم الا اليه يكفهم المهمات ولقد اخذ الله ميثاق بني اسرائيل وبعثنا
منهم اثني عشر نقيبا روى انه لما استقر بنو اسرائيل بمصر بعد هلاك فرعون امرهم الله بالمسير
الى اريحا من ارض الشام وكان يسكنها الكنعانيون الجبابرة وقال لهم اني كتبتها لكم دارا وقرارا
فاخرجوا اليها وجاهدوا من فيها واني ناصركم وامر موسى بان ياخذ من كل سبط نقيبا يكون كفيلا
على قومه بالوفاء بما امروا به توثقة عليهم فاختار النقباء واخذ الميثاق على بني اسرائيل وتكفل لهم
به النقباء وسار بهم فلما دنى من ارض كنعان بعث النقباء يتجسسون فراوا اجراما عظيمة وقوة
وشوكة فهابوا ورجعوا وحدثوا قومهم وقد نهاهم موسى ان يحدثوهم فنكثوا الميثاق الا كالب
بن يوفنا من سبط يهوذا ويوشع بن نون من سبط افرايم بن يوسف وكانا من النقباء والنقيب
هو الذي ينقب عن احوال القوم ويفتش عنها كما قيل له عريف لانه يتعرفها وقال الله اني معكم
اي ناصركم ومعينكم ثم رغبهم لئن اقمتم الصلوة اي فعلتموها كاملة وآتيتم الزكوة اي زكوة
اموالكم الى مستحقيها وآمنتم برسلي صدقتموهم وعزرتموهم اي نصرتموهم ومنعتموهم من ايدي
العدو وقيل معناه ولقد اخذ الله ميثاقهم بالايمان والتوحيد وبعثنا منهم اثني عشر ملكا تنفيهم
فيهم العدل ويامرونهم بالمعروف وينهونهم عن المنكر واقرضتم الله قرضا حسنا القرض
الحسن مثل لما يقدم خيرا ويريدون به وجه الله لاكفرن عنكم سيئاتكم الستار ها هنا
الصغائر وتكفيرها بعطفها ولادخلنكم جنات تجري من تحتها الانهار وعدهم الله ان وفوا بتكفير
السيئات وادخالهم الجنات فمن كفر بعد ذلك منكم اي بعد ذلك الشرط المؤكد المعلق بالوعد
العظيم فقد ضل سواء السبيل اي ذهب عن وسط الطريق المؤدية الى الحق والنجاة ومن كفر قبل
ذلك ايضا فقد ضل لكن الضلال بعده اظهر واعظم لان الكفر انما عظم قبحه لعظم النعمة المكفورة
فاذا زادت النعمة زاد قبح الكفر وتمادى فبما نقضهم ميثاقهم اي فبسبب نقضهم الميثاق
لعناهم اي طردناهم واخرجناهم من رحمتنا وقيل مسخناهم وقيل ضربنا عليهم الجزية واهناهم
وجعلنا قلوبهم قاسية يعني خذلناهم ومنعناهم الالطاف حتى قست قلوبهم او امليناهم ولم
نعاجلهم بالعقوبة حتى قست قلوبهم يحرفون الكلم عن مواضعه بيان لقسوة قلوبهم لانه لا قسوة
اشد من الافتراء على الله وتغيير وحيه عن اماكنه ونسوا حظا مما ذكروا به اي تركوا نصيبا وافيا
وقسطا وافيا مما ذكروا به من التورية يعني ان تركهم واعراضهم عن التورية اغفال
حظ عظيم من الخير لا اعظم منه او معناه قست قلوبهم وفسدت فحرفوا التورية وزلت اشياء منها

عن حفظهم وعن ابن مسعود قد ينسى المرء بعض العلم بالمعصية وتلا هذه الآية وقيل تركوا نصيب بعضهم مما امروا به من الايمان بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم وبيان صفته **ولا تزال تطلع** اى هذه عادتهم وكان عليها اسلافهم وكانوا يخونون الرسل وهؤلاء يخونونك ينكثون عهودك ويظاهرون المشركين على حربك ويهمون بقتلك وان يسموك **على خائنة منهم** اى على خيانة او على فعلة ذات خيانة او نفس او فرقة خائنة **الا قليلا منهم** وهم الذين آمنوا **فاعف عنهم واصفح** اى اعرض عنهم وهو حث على مجاملتهم اى معاملتهم بالجميل وتحمل الحلم باللسان مع بعضهم وقيل هو منسوخ بآية السيف وقيل فاعف عن مؤمنيهم ولا تؤاخذهم بما سلف منهم **ان الله يحب المحسنين** تعليل للعفو والصفح لانهما من الاحسان وترغيب فيهما لمحبة الله لفاعلهما **ومن الذين قالوا انا نصارى اخذنا ميثاقهم** اى اخذنا من النصارى ميثاق من ذكر قبلهم من قوم موسى وقيل ميثاقهم بانهما نصارى ومعناه اخذنا من النصارى ميثاق انبيائهم بذلك وقال من الذين سموا الرسل وافعال الخير ولم يقل من النصارى لانهم انما سموا انفسهم بذلك ادعاء لنصرة الله وهم الذين قالوا لعيسى نحن انصار الله ثم لم ينصروه وكانوا انصار الشيطان **فنسوا حظا مما ذكروا به** اى تركوا نصيبا وافرا مما ذكروا به في كتابهم واعرضوا عنه **فاغرينا** اى الصقنا والزمنا اى بين فرق النصارى المختلفين وقيل بينهم وبين اليهود اى **بينهم العداوة والبغضاء** **الى يوم القيامة وسوف ينبئهم الله بما كانوا يصنعون** اى يعلمهم لا يزالون متعادين بان ما صنعوه محفوظ عليهم يعاقبهم عليه بعد عقوبة الدنيا **يا اهل الكتاب قد جاءكم رسولنا** خطاب لليهود والنصارى **يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب** يعني من صفة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومن نحو آية الرجم لانهم جحدوا كونه في التوراة لما زنا واحد منهم وهو محصن **ويعفو عن كثير** مما يخفونه لا يبينه اذا لم تضطر اليه مصلحة دينية ولم يكن فيه فائدة الا افتضاحهم وصفته مما لا بد من بيانه وكذلك الرجم وما فيه احياء شريعة واماتة بدعة وعن الحسن ويعفو عن كثير منكم لا يؤاخذه **قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين** يريد القرآن لكشفه ظلمات الشرك والشك ولابانته ما كان خافيا على الناس من الحق **يهدي به الله من اتبع رضوانه** اى من آمن منهم **سبل السلام** اى طرق السلامة والنجاة من عذاب الله او سبل الله **ويخرجهم من الظلمات الى النور** يعني من ظلمات الشرك والشك الى نور الحق والتصديق **باذنه** اى بتوفيقه وتيسيره **ويهديهم الى صراط مستقيم** اى الى طريق غير معوج **لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم** معناه ان الله هو المسيح اى عيسى قيل كان في النصارى قوم يقولون القول بذلك وهو ظاهر الآية وقيل لم يصرح به احد ولكن مذهبهم يؤدي اليه حيث اعتقدوا انه يخلق ويحيي ويميت ويدبر امر العالم **قل فمن يملك من الله شيئا** اى من يمنع من قدرته ومشيئته شيئا **ان اراد ان يهلك المسيح ابن مريم وامه**



يعني ان اراد ان يهلك من دعوه الها من المسيح وامه دلالة على ان المسيح عبد مخلوق كسائر العباد **ومن في الارض جميعا** اراد ان المسيح وامه من جنسهم لا فرق بينهما وبينهم في العبودية والبشرية لان الاله لا يصح اهلاكه وكذلك امه **ولله ملك السموات والارض وما بينهما** معناه ان الخلق كله لله لا شريك له فيه ولا نبي ولا الاهية **يخلق ما يشاء** اى يخلق من ذكر وانثى ويخلق من انثى من غير ذكر كما خلق عيسى ويخلق من غير ذكر وانثى كما خلق آدم **والله على كل شيء قدير** لا يعجزه شيء يريده من جميع المخلوقات **وقالت اليهود والنصارى نحن ابناء الله** ابناء الله اى اشياع ابني الله عزير والمسيح والذي عن اليهود انه كان يحفظ التوراة غيبا لا يسقط منه حرفا ولم يحفظها احد قبله غيبا وعن النصارى في عيسى ما روي من غرائب وهو جهل عظيم **واحباؤه قل فلم يعذبكم بذنوبكم** يعني ان صح لكم انكم ابناء الله واحباؤه فلم تذنبون وتعذبون بذنوبكم فتمسخون وتمسكم النار ولو كنتم ابناء الله لكنتم من جنس الاب غير فاعلين للقبائح ولا مستوجبين للعقاب ولو كنتم احباءه لما عصيتموه ولما عاقبكم **بل انتم بشر ممن خلق** من جملة من خلق من البشر **يغفر لمن يشاء** وهم اهل الطاعة **ويعذب من يشاء** وهم اهل المعصية **ولله ملك السموات والارض وما بينهما** اى له الملك العالم باسره وما انتم الا عباد من جملة من يملك من البشر تكلفون بطاعته وشكر نعمته **واليه المصير** اى المرجع يوم القيامة **يا اهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم** الدين والشرائع **على فترة من الرسل** اى جاءكم على حين فتور من ارسال الرسل وانقطاع من الوحي

فكان بين عيسى ومحمد عليهما السلام

وقيل ستمائة وقيل اربعمائة ونيف وستون وعن الكلبي كان بين موسى وعيسى الف وسبعمائة سنة والف نبي وبين عيسى ومحمد اربعة انبياء ثلاثة من بني اسرائيل وواحد من العرب خالد بن سنان العبسي والمعنى الامتنان عليهم بان الرسول بعث اليهم حين انطمست آثار الوحي احوج ما يكونون اليه **ان تقولوا** اى كراهة ان تقولوا **ما جاءنا من بشير ولا نذير** فتعتذروا بذلك **فقد جاءكم بشير ونذير** وهو محمد صلى الله عليه وآله اعظم نعمة من الله وفتح باب الرحمة ولزمتكم الحجة فلا تعتلوا غدا بانه لم يرسل اليكم من ينبهكم عن غفلتكم **والله على كل شيء قدير** لا يعجزه الزام عباده الحجة **واذ قال موسى لقومه يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم** المراد بذكر النعمة شكرها لان الشكر مع الذكر **اذ جعل فيكم انبياء** لانه لم يبعث في امة ما بعث في بني اسرائيل من الانبياء **وجعلكم ملوكا** لانه ملككم بعد فرعون ملكه وبعد الجبابرة ملكهم ولان الملوك تكاثروا فيهم تكاثر الانبياء وقيل كانوا مملوكين في ايدي القبط فانقذهم الله فسمى انقاذهم ملكا وقيل الملك من له مسكن واسع فيه ماء جار وقيل من له بيت وخادم وقيل من له مال لا يحتاج معه الى تكلف الاعمال وتحمل المشاق **وآتاكم ما لم يؤت احدا من العالمين** من فلق البحر واغراق العدو وتظليل الغمام وانزال المن والسلوى وغير ذلك من الامور العظام **يا قوم ادخلوا الارض المقدسة** هي ارض بيت المقدس وقيل الطور

وما حوله وقيل الشام وقيل المقدسة المطهرة المفضلة على غيرها لكثرة بركاتها وخيراتها وكان بيت
المقدس قرار الانبيا ومسكن المومنين وقيل سماها الله لابرهيم ميراثا لولده حين رفع على الجبل
فقيل له انظر فلك ما ادرك بصرك **الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ** قسمها لكم وسماها او خط في اللوح
انها لكم **وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ** اي لا ترجعوا على اعقابكم مدبرين من خوف الجبابرة جبنا
وخوفا قيل لما حدثهم النقبا بحال الجبابرة رفعوا اصواتهم بالبكا وقالوا ليتنا متنا بمصر
وقالوا تعالوا نجعل لنا رئيسا ينصرف بنا الى مصر **فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ** للثواب في الدنيا والاخرة
قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ اعتوا اقويا من حال الجبابرة وقوتهم وهم الكنعانيون والجبار
هو العاتي الذي يجبر الناس على ما يريد قال ابن عباس بلغ من جبروت هولا ان موسى لما بعث الجواسيس
وهم اثنا عشر رجلا فراهم رجل من الجبارين فاخذهم في كمه مع فاكهة كان يعقها ودخل بهم على الملك
ونثرهم بين يديه وقال متعجبا هولا يريدون قتالنا فقال الملك ارجعوا الى صاحبكم فاخبروه
خبرنا فاخبروا بني اسرائيل بحالهم وقيل بلغهم خبرهم عصرا فاغتموا لذلك قيل كان طول الواحد
منهم ستمائة وعشرين ذراعا **وَإِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا حَتَّى يَخْرُجُوا مِنْهَا** بغير قتال منهم **فَإِنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا
دَاخِلُونَ** يعني لا نامن الا بشرط خروجهم منها **قَالَ رَجُلَانِ** هما كالب ويوشع **مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ**
الله ويخشونه او من الذين يخافهم بنو اسرائيل وهم الجبارون وهما رجلان منهم **أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا** بالايمان
فامنا **ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ** قالا لهم ان العمالقة اجسام
لا قلوب فيها فلا تخافوهم وازحفوا اليهم فانكم غالبوهم ارادا تشجيعهم على قتالهم وقولهما
لهم العلم بانهم غالبون من جهة اخبار موسى بذلك من جهة غلبة الظن وما تبيناه من عادة الله في
نصرة رسله وما عهدا من صنع الله لموسى في قهر اعدايه وما عرفا من حال الجبابرة والعاب
باب قريتهم **وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ** لان شرط الايمان التوكل على الله والثقة
بنصره لان الله يدافع عن الذين امنوا **قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا أَبَدًا** هذا نفي لدخولهم في
المستقبل على وجه التاكيد وابدا تعليق للنفي الموكد بالدهر المتطاول **مَا دَامُوا فِيهَا** بيان
للابد وحده بدل منهم **فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ** قالوا ذلك استهانة بالله ورسوله وقلة مبالاة بهما
واستهزا وقصدوا ذهابهما حقيقة لجهلهم وجفائهم وقسوة قلوبهم التي عبدوا بها العجل وسالوا بها
روية الله جهرة ويدل عليه مقابلة ذهابهما بقعودهم **فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ** قال الحسن هذا
القول كفر منهم قيل اعلم الله تعالى ان اهل الكتاب لم يزالوا عاصين مرادين للانبيا فقبل النبي صلى
الله عليه وسلم وان الخلاف طريقتهم وعن المقداد انه قال وهو على فرس يوم بدر يا رسول الله انا
لا نقول كما قال بنو اسرائيل اذهب انت وربك فقاتلا انا هاهنا قاعدون ولكن امض ونحن معك فكانه
سري عنه صلى الله عليه وسلم رواه البخاري وعن انس ان النبي صلى الله عليه وسلم يوم خرج الى بدر استشار

الناس فاشار عليه ابو بكر ثم استشارهم فاشار عليه عمر فقال رجل من الانصار انما يريدكم فقالوا يا رسول
الله لا نقول كما قالت بنو اسرائيل اذهب انت وربك فقاتلا انا هاهنا قاعدون ولكن والله لو ضربت اكبادها
حتى تبلغ برك الغماد لكنا معك **ويحكى** ان موسى وهرون عليهما السلام خرا لوجوههما قدامهم
لشدة ما ورد عليهم من الخوف عليهما من الامر خوفا من عقوبة كلامهم الفظيع فهموا برجمهما ولامر ما
قرن الله اليهود بالمشركين وقدمهم عليهم في قوله لتجدن اشد الناس عداوة للذين امنوا اليهود والذين
اشركوا **قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي** لما عصوه وتمردوا عليه وخالفوه وقالوا ما قالوا
من كلمة الكفر ولم يبق معه مطيع موافق يثق به الا هرون عليه السلام قال رب اني لا املك لنصرة دينك الا نفسي
واخي وهذا من البث والحزن والشكوى الى الله والحسرة ورقة القلب التي بمثلها تستجلب الرحمة
وتستنزل النصرة ونحوه قال يعقوب عليه السلام انما اشكو بثي وحزني الى الله **وعن علي عليه السلام**
انه كان يدعو الناس على منبر الكوفة الى قتال البغاة فما اجابه الا رجلان فتنفس الصعدا ودعا لهما
وقال اين تقعان مما اريد وقد كان مع موسى عليه السلام واحد كالب ويوشع لكنه لم يثق بهما كل الوثوق
ولم يطمئن الى ثباتهما لما حسب على طول الزمان واتصال الصحبة من احوال قومه وتلونهم وقسوة قلوبهم
فلم يذكر الا النبي المعصوم الذي لا شبهة في امره ويجوز ان يقول ذلك لفرط ضجره عندما سمع منهم تقليلا
لمن يوافقه **فَافْرُقْ بَيْنَنَا** فافصل بيننا **وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ** بان تحكم لنا بما نستحق وتحكم عليهم
بما يستحقون وهو في معنى الدعا عليهم او معناه فباعد بيننا وبينهم وخلصنا من صحبتهم **قَالَ فَإِنَّهَا**
يعني الارض المقدسة **مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً** لا يدخلونها ولا يملكونها
والجمع بين هذا وبين قوله التي كتب الله لكم بان يراد كتبها لكم بشرط ان تجاهدوا اهلها فلما ابوا
الجهاد قيل فانها محرمة عليهم او يراد فانها محرمة عليهم اربعين سنة فاذا مضت الاربعون كان ما كتب
فقد روي ان موسى سار بمن بقي من بني اسرائيل وكان يوشع على مقدمته ففتح اريحا واقام فيها ما شا الله
ثم قبض وقيل لما مات موسى بعث يوشع نبيا فاخبرهم بانه نبي الله وان الله امره بقتال الجبابرة
فصدقوه وبايعوه وسار بهم الى اريحا وقيل لم يدخل الارض المقدسة احد ممن قال انا لن ندخلها
وهلكوا متحيرين لا يهتدون طريقا والتيه المفازة التي يتاه فيها روي انهم لبثوا اربعين سنة في ستة
فراسخ يسيرون كل يوم جادين حتى اذا امسوا واصبحوا اذا هم بحيث ارتحلوا عنه وكان الغمام يظلهم من
حر الشمس ويطلع لهم عمود من نور بالليل يضيء لهم وينزل عليهم المن والسلوى ولا تطول شعورهم واذا
ولد لهم مولود كان عليه ثوب كالظفر يطول بطوله **قال رضي الله عنه** وانعم الله عليهم
بهذه النعم وهم معاقبون كما ينزل بعض النوازل على العصاة عركا لهم وعليهم مثل تلك النعمة منطا
ومثل ذلك مثل الوالد المشفق يضرب ولده ويوذيه ليتادب ولا يقطع عنه معروفه واحسانه
وقد اختلف هل كان معهم في التيه موسى وهرون عليهما السلام فقيل لم يكونا معهم لانه كان عقابا وقد طلب

دها

برك الغماد يعني مدائن الحبشة

س

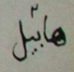
في التيه ... فقاتلوا الجبارين ... **يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ** يسيرون فيها متحيرين

ده

سوى ربه ان تفرق بينهما وبينهم وقيل كانا معهم الا انه كان ذلك روحا لهما وسلاما لا عقوبة
كالنار لابراهيم وملائكة العذاب وروي ان هرون مات في التيه ومات موسى بعده بسنة ودخل يوشع
اريحا بعد موته بثلاثة اشهر ومات النقباء في التيه بغتة الا كالب ويوشع **فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ**
اي لا تحزن عليهم لانه ندم على الدعاء عليهم فقيل انهم احقاء بالعذاب لفسقهم فلا تحزن ولا تندم (ع)



وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ هما ابنا آدم لصلبه قابيل وهابيل اوحى الله الى آدم عليه السلام ان يزوج كل
واحد منهما توأمة الآخر وكانت توأمة قابيل اجمل واسمها اقليما فحسد عليها اخاه وسخط فقال لهما آدم
قربا قربانا فمن ايكما قبل تزوجها فقبل قربان هابيل بان نزلت نار من السماء فاكلته فازداد قابيل
حسدا وسخطا وتوعده بالقتل **بِالْحَقِّ** اي تلاوة متلبسة بالحق والصحة وهو تقبيح آدم الحسد
لان المشركين واهل الكتاب هم كانوا يحسدون رسول الله صلى الله عليه وآله **إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا**
القربان اسم ما يتقرب به الى الله من نسيكة او صدقة **فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا** وهو هابيل **وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ**
وهو قابيل **قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ** اي قال قابيل الذي لم يتقبل منه لاخيه حسدا له على تقبل قربانه دونه



والله لاقتلنك **قَالَ** يعني هابيل جوابا له **إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ** معناه انما اتيت من قبل
نفسك لانسلاخها من لباس التقوى فلم يتقبل قربانك لا من قبلي فلم تقتلني وما لك لا تعاتب نفسك ولا تحملها
على تقوى الله التي هي السبب في القبول وقد اجابه بكلام مختصر جامع لمعان وفيه دليل على ان الله
تعالى لا يقبل طاعة الا من مؤمن متق وعن بعضهم انه بكى حين حضرته الوفاة فقيل له ما يبكيك
فقد كنت وكنت قال اني سمعت الله يقول انما يتقبل الله من المتقين **لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ** لتقتلني بسط اليد
عبارة عن البطش **مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ** قيل كان هابيل اقوى من اخيه القابيل
وابطش منه ولكنه تحرج عن قتل اخيه واستسلم خوفا من الله لان الدفع لم يكن مباحا في ذلك الوقت
قاله مجاهد وغيره **إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ** يعني اثم
قتلي لو قتلتك واثم قتلك لي وجاز ان يريد شقاوة اخيه وتعذيبه بالنار لانه كان
ظالما وجزاء الظالم حسن جاز ان يراد الا ترى الى قوله **فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ** يعني الملازمين لها
وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ واذا جاز ان يريده الله جاز ان يريده العبد لانه لا يريد الا ما هو حسن
والمراد بالاثم وبال القتل وما يجره من استحقاق العقاب **فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ** يعني
وسعته ويسرته من طاع المكان اذا اتسع **فَقَتَلَهُ** قيل قتل وهو ابن عشرين سنة وكان قتله عند
عقبة حراء وهو جبل بمكة وقيل بالبصرة في موضع المسجد الاعظم **فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ** بوار
الدنيا والآخرة قال ابن عباس اما الدنيا فالسخط والذلة وبقي بلا ارح واما الآخرة فالسخط الرب
وصار الى النار **فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ** روي انه اول قتيل على وجه الارض

من بني آدم ولما قتله تركه بالعراء لا يدري ما يصنع به فخاف عليه السباع فحمله في جراب على ظهره
سنة وقيل سبعة ايام حتى اروح وعكفت عليه السباع فبعث الله غرابين فاقتتلا فقتل احدهما الآخر فحفر
له بمنقاره ورجليه ثم القاه في الحفرة فقال يا ويلتا اعجزت. وروي انه لما قتله اسود جسمه
وكان ابيض فساله آدم عن اخيه فقال ما كنت عليه وكيلا فقال بل قتلته ولذلك اسود جسدك.
وروي ان آدم مكث بعد قتله مائة سنة لا يضحك وانه رثاه بشعر وهو كذب بحت والشعر ملحون
معمول وقد صح ان الانبياء معصومون من الشعر. قال ابن عباس من قال ان آدم قال الشعر فقد كذب
على محمد والانبياء في النهي عن الشعر سواء ولكنه رثاه بالسريانية فاخذها يعرب بن قحطان ورثيها
نورها شعرا وهي معروفة **لِيُرِيَهُ** اي ليريه الله او ليريه الغراب **كَيْفَ يُوَارِي سَوْأَةَ أَخِيهِ** اي كيف
يستر عورة اخيه وما لا يجوز ان ينكشف من جسده **قَالَ يَا وَيْلَتَا** اي الويل له والهلاك **أَعَجَزْتُ**
أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْأَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ على حمله لا على قتله لما تعب فيه من
حمله وتحيره في امره ولما تبين له من عجزه لو لا تعلمه من الغراب ولاسوداد لونه وسخط الله عليه ولم يندم
ندم التائبين وقيل كان القتل بالهند وآدم عليه السلام بمسيره بمكة وولدت حواء شيث بعد هذا
القتل بخمس سنين وبعثه الله نبيا وكان وصي آدم وذهب قابيل طريدا الى اليمن فاتاه ابليس فقال
انما اكلت النار قربان اخيك لانه عبدها فانصب نارا تكون لك ولعقبك فاجابه وعبدها هو
واولاده حتى غرقوا بالطوفان وبقي نسل شيث وكان عمر آدم عليه السلام تسع مائة وثلثين سنة وعن
ابن عباس لم يمت آدم حتى راى من ولده ونسله اربعين الفا وراى فيهم الفساد وشرب الخمر والزنا
مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ اي من اجل قتل قابيل هابيل وبسببه **كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ** اي فرضنا عليهم
أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ يعني لا على وجه الاقتصاص **أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ** وهو الشرك
وقيل قطع الطريق **فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا** لان كل انسان يماثل الآخر في الكرامة على الله وثبوت
الحرمة فاذا قتل فقد اهين ما كرم على الله وهتكت حرمته **وَمَنْ أَحْيَاهَا** اي ومن استنقذها
من بعض اسباب الهلكة قتل او غرق او حرق او هدم او غير ذلك **فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا**
شبه الواحد بالجميع وجعل حكمه كحكمهم لان كل انسان يدلي بما يدلي به الآخر من الكرامة
على الله وثبوت الحرمة فلا فرق اذا بين الواحد والجميع وفائدة ذلك تعظيم قتل النفس واحيائها
في القلوب ليشمئز الناس عن الجسارة عليها ويتراغبوا في المحاماة على حرمتها لان المتعرض
لقتل النفس اذا تصور قتلها بصورة قتل الناس جميعا عظم ذلك عليه فثبطه وكذلك الذي
اراد احياها وعن مجاهد قاتل النفس جزاؤه جهنم وغضب الله عليه والعذاب الاليم **وَلَقَدْ**
جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ يعني جاءهم الانبياء بالدلائل الواضحة **ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ** يعني من بني

اسرائيل **بعد ذلك** اي من بعد ما كتبنا عليهم وبعد مجي الرسل بالايات **في الارض لمسرفون**
يعني في القتل لا يبالون بعظمته **انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله** اي يحاربون رسول الله
ومحاربة المسلمين في حكم محاربته ولهذا قال صلى الله عليه وآله من اهان لي وليا فقد بارزني
بالمحاربة **ويسعون في الارض فسادا** يعني يفسدون في الارض او يسعون لاجل الفساد نزلت
هذه في قوم هلال بن عويمر وكان بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وآله عهد وقد مر بهم قوم يريدون
رسول الله صلى الله عليه وآله فقطعوا عليهم وقتلوا العرنيين فاوحى الله اليه ان من جمع بين
القتل واخذ المال قتل وصلب ومن افرد القتل قتل ومن افرد اخذ المال قطعت يده لاجل
المال ورجله لاخافة السبل ومن افرد الاخافة نفي من الارض وقيل هذا حكم كل قاطع
طريق كافرا كان او مسلما وهو مذهبنا ائمتنا عليهم السلام **ان يقتلوا** معناه ان يقتلوا ان
افردوا القتل **او يصلبوا** مع القتل ان جمعوا بين القتل والاخذ والصلب
عندنا بعد القتل على عود بعد قتله الى ان تنتثر عظامه ليعتبر به الناس وقال ح ومحمد يصلب
حيا ويطعن حتى يموت ومذهب ائمتنا عليهم السلام انه لا يصلب حيا **او تقطع ايديهم وارجلهم**
من خلاف ان اخذوا المال **او ينفوا من الارض** اذا لم يزيدوا على الاخافة وعن جماعة منهم
الحسن والنخعي ان الامام مخير بين هذه العقوبات في كل قاطع طريق من غير تفصيل والنفي
عندنا لانه اذا حبس ومنع من التنقل في البلاد فقد نفي منها وهو مذهب الناصر من ائمتنا عليهم
السلام وعند ش النفي من بلد الى بلد وهو مذهب ائمتنا الا من ال طالب وهو هارب فزعا وقيل ينفى من بلده
وكانوا ينفونهم الى دهلك وهو في بلد في اقصى تهامة وناصع وهو من بلاد الحبشة **ذلك لهم**
خزي في الدنيا اي ذل وفضيحة **ولهم في الاخرة عذاب عظيم** لا اعظم منه **الا الذين تابوا**
من قبل ان تقدروا عليهم هذا استثناء من المعاقبين بعقاب قطع الطريق خاصة واما حكم القتل والجراح
واخذ المال فالى الاولياء ان شاءوا اعفوا وان شاءوا استوفوا وهو مذهبهم بالله من ائمتنا لقوله
النفس بالنفس والجروح قصاص وللمحدث على البدن ما احدث حتى يرد وقال الهادي عليه السلام
اذا تاب المحارب سقط عنه كل ما لزمه من حد وقصاص وضمان لظاهر الاية الا الذين تابوا
ولا شي عليهم منها لانها سقطت بالتوبة وعن علي عليه السلام ان الحارث بن بدر جاءه تائبا بعد
ما كان يقطع الطريق فقبل توبته ودرء عنه العقوبة ومعنى قوله **فاعلموا ان الله غفور رحيم**
يعني غفور لمن تاب رحيم به يقبل توبته قال جماعة من المفسرين المراد بهذا الاستثناء المشرك
المحارب اذا امن واصلح قبل القدرة عليه سقط عنه جميع الحدود التي ذكرها الله تعالى ولا
يطالب بشي مما اصاب لا دم ولا مال وهذا الاصح لانه متى كان كافرا واسلم سقط عنه جميع ذلك

موا قدر عليه الامام او لم يقدر وقال ائمتنا ان المراد به المسلم المحارب اذا تاب قبل القدرة عليه
والقدرة عليه ان يقع في ايدي المسلمين كما فعله علي عليه السلام في الحارث بن بدر التميمي وليس في الحدود
ما يسقط الا ما عدا التوبة سوى هذا والا فانها لا تسقط فعله وان خرج عن كونه حدا على وجه
الخزي والنكال وانما يفعل بالتائب على وجه الامتحان ولا بد فيه من العوض والاعتبار **يا ايها الذين**
امنوا اتقوا الله بطاعته واجتناب محارمه **وابتغوا اليه الوسيلة** اي اطلبوا التقرب
الى الله بما يرضيه والوسيلة كل ما يتوسل به ويتقرب به من قرابة او صنيعة او غيرهما فاستعير لما يتوسل
به الى الله من فعل الطاعات وترك المعاصي **وجاهدوا في سبيله** اي في طريقته التي يرضاها
والطريق الجهاد ليتناول جهاد النفس واعداء الله **لعلكم تفلحون** اي ارادة ان تظفروا بعدو
مطلوبكم **ان الذين كفروا لو ان لهم ما في الارض جميعا** من الاموال والمنافع في حال كونه مجتمعا **ومثله**
معه اي ومثل ما في الارض معه ايضا **ليفتدوا به** ليجعلوه فدية لانفسهم بعد وبيانه من العذاب
من عذاب يوم القيامة ما تقبل منهم هذا تمثيل للزوم العذاب لهم وانه لا سبيل لهم الى النجاة منه
بوجه وعن النبي صلى الله عليه وآله يقال للكافر يوم القيامة ارايت لو كان لك مثل الارض ذهبا
اكنت تفتدي به فيقول نعم فيقال له قد سئلت ايسر من ذلك **ولهم عذاب اليم** شديد الالم
يريدون ان يخرجوا من النار وما هم بخارجين منها ولهم عذاب مقيم اي يريدون الخروج

قال رضي الله عنه

منها ولا خروج لهم ابدا ولهم فيها عذاب مقيم باق معهم فيها اي لا ينفك عنهم
ومما يروى عن عكرمة ان نافع بن الازرق قال لابن عباس يا اعمى البصر اعمى القلب تزعم ان قوما يخرجون
من النار وقد قال الله تعالى وما هم بخارجين منها فقال ويحك اقرأ ما فوقها هذا للكفار فهذا
بالقتبة المحرة وكد سه ولبس باول ما ... ومرامهم وكفاك بما فيه من مواجهة ابن الازرق ابن عم رسول
الله صلى الله عليه وآله وهو بين ظهراني اعضاده من قريش وانضاده من بني عبد المطلب وهو حبر الامة وبحرها
ومفسرها بالخطاب الذي لا يجترئ على مثله احد من اهل الدنيا ويرفعه الى عكرمة دليلين ناصبين ان
الحديث فرية ما فيها مرية **والسارق والسارقة فاقطعوا ايديهما** معناه ومما فرض عليكم
حكم السارق والسارقة وقوله فاقطعوا ايديهما بيان للحكم والسارق في الشريعة الذي يجب قطعه
هو من سرق من الحرز والمقدار الذي يجب فيه القطع عشرة دراهم عند ابي حنيفة وهو مذهب ائمتنا
وعند ش ربع دينار وعن الحسن درهم وفي مواعظه احد من قطع يد في درهم وموضع القطع
من الرسغ عندنا وقال الخوارج المركب وهو اصل اليد **جزاء بما كسبا** اي بسبب كسبهما السيء
نكالا من الله النكال العبرة التي يمنع من اعتبر بها ومنه النكل للقيد **والله عزيز** غالب
لا يرد ما حكم به **حكيم** عادل في فرائضه واحكامه **فمن تاب** من السراق **من بعد ظلمه** من

بعد سرقته **وَأَصْلَحَ** أمره بالتخلص عن التبعات **فَإِنَّ اللهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ** ويسقط عنه في الآخرة وأما القطع فلا يسقطه التوبة عند أبي حنيفة وأصحابه وعند الشافعي في أحد قوليه يسقطه ومذهبنا ما علمتم أن الحد لا يسقط بعد رفعه إلى الإمام للخبر ما رفع إلي منها فقد وجب **إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ** للتائب رحيم به يقبل توبته **أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ** معنى الاستفهام بعد [illegible] العلم ومعناه ألم تر الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وآله أو لكل أحد **يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ** يعني من يجب في الحكمة تعذيبه **وَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ** ممن تاب وهل يسقط حد الحربي إذا سرق بالتوبة لكونه أدعى له إلى الإسلام وأبعد من التنفير عنه ولا يسقطه عن المسلم لأن في إقامته الصلاح للمؤمنين والحياة **قال رضي الله عنه** وقدم التعذيب على المغفرة لأنه قوبل بذلك تقدم السرقة على التوبة **وَاللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ** لا يعجزه تعذيب العصاة ولا الغفران للمطيعين **يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ** **المعنى** لا تهتم ولا تبال بمسارعة المنافقين في الكفر أي في إظهاره بما يلوح منهم من آثار الكيد للإسلام وموالاة المشركين فإني ناصرك عليهم وكافيك شرهم ومسارعتهم في الكفر وقوعهم فيه سريعا [illegible] أسرع شيء إذا وجدوا فرصة لم يخطئوها وآمنا مفعول قالوا وبأفواههم متعلق بقالوا لا بآمنا **وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ** أي ومن اليهود قوم سماعون للكذب قابلون لما يفتريه الأحبار ويفتعلونه من الكذب على الله وتحريف كتابه **سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ** يعني اليهود الذين لم يصلوا إلى مجلس رسول الله صلى الله عليه وآله وتعدوا عنه لما أفرط فيهم من شدة البغضاء والعداوة أي قابلون من الأحبار ومن أولئك المفرطين في العداوة الذين لا يقدرون أن ينظروا إليك وقيل السماعون بنو قريظة والقوم الآخرون يهود خيبر **يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ** أي يميلونه ويزيلونه **مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ** التي وضعه الله فيها فيهملونه بغير مواضع بعد أن كان له مواضع **يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ** المحرف المزال عن مواضعه فخذوه واعلموا أنه الحق واعملوا به **وَإِنْ لَمْ تُؤْتَوْهُ** وأفتاكم محمد بخلافه **فَاحْذَرُوا** وإياكم وإياه فهو الباطل والضلال **وروي** أن شريفا من خيبر زنى بامرأة شريفة منهم وهما محصنان وحدهما الرجم في التوراة فكرهوا رجمهما لشرفهما فبعثوا رهطا منهم إلى بني قريظة ليسألوا رسول الله صلى الله عليه وآله عن ذلك وقالوا إن أمركم بالجلد والتحميم فاقبلوا وإن أمركم بالرجم فلا تقبلوا وأرسلوا الزانيين معهم فأمرهم بالرجم فأبوا أن يأخذوا به فقال له جبرئيل اجعل بينك وبينهم ابن صوريا وقال هل تعرفون شابا أمرد أعور يسكن فدك يقال له ابن صوريا قالوا نعم وهو أعلم يهودي على وجه الأرض ورضوا به حكما

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله أنشدك الله الذي لا إله إلا هو الذي فلق البحر لموسى ورفع فوقكم الطور وأنجاكم وأغرق آل فرعون والذي أنزل عليكم كتابه وحلاله وحرامه هل تجدون فيه الرجم على من أحصن قال نعم فوثبت عليه سفلة اليهود فقال خفت إن كذبته أن ينزل علينا العذاب ثم سأل رسول الله صلى الله عليه وآله عن أشياء كان يعرفها من أعلامه فقال أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله النبي الأمي العربي الذي بشر به المرسلون وأمر رسول الله صلى الله عليه وآله بالزانيين فرجما عند باب مسجده **وَمَنْ يُرِدِ اللهُ فِتْنَتَهُ** يعني تركه مفتونا وخذلانه **فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللهِ شَيْئًا** يعني فلن تستطيع له من لطف الله وتوفيقه شيئا **أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللهُ أَنْ يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ** أي لم يمنحهم من ألطافه ما يطهر به قلوبهم لأنهم ليسوا من أهلها لعلمه أنها لا تنفع فيهم ولا تنجع **لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ** أي ذل وفضيحة **وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ** هو ما لا يحل كسبه وكانوا يأخذون الرشا على الأحكام وتحليل الحرام فكان الحاكم في بني إسرائيل إذا أتاه أحدهم برشوة جعلها في كمه فأراه إياه وتكلم بحاجته فيسمع منه ولا ينظر إلى خصمه فيأكل الرشوة ويسمع الكذب وفي الحديث كل لحم أنبته السحت فالنار أولى به **فَإِنْ جَاءُوكَ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ** **قيل** كان رسول الله صلى الله عليه وآله مخيرا إذا تحاكم أهل الكتاب بين أن يحكم بينهم وبين أن لا يحكم وعن عطاء والنخعي والشعبي إذا رفعوا إلى حكام المسلمين فإن شاؤوا حكموا وإن شاؤوا أعرضوا وقيل هو منسوخ بقوله وأن احكم بما أنزل الله وعند أبي حنيفة إذا احتكموا إلينا حملوا على حكم الإسلام وهو مذهبنا وإن زنى رجل منهم بمسلمة أو سرق من مسلم أقيم عليه الحد وأما أهل الحجاز لا يرون إقامة الحدود عليهم ويقولون إنهم قد صولحوا على شركهم وهو أعظم من الحدود وأن النبي صلى الله عليه وآله رجم اليهود من قبل نزول الجزية **وَإِنْ تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَنْ يَضُرُّوكَ شَيْئًا** لأنهم كانوا لا يتحاكمون إليه إلا لطلب الأيسر والأهون عليهم كالجلد مكان الرجم فإذا أعرض عنهم وامتنع من الحكومة لهم شق عليهم **وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ** بالعدل والاحتياط كما حكم بالرجم **إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ** العادلين في الحكم

وكيف يحكمونك

وَعِنْدَهُمُ التَّوْرَاةُ فِيهَا حُكْمُ اللهِ هذا تعجيب من تحكيمهم لمن لا يؤمنون به وبكتابه مع أن الحكم منصوص في كتابهم الذي يدعون الإيمان به **ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ** معناه ثم يعرضون من بعد تحكيمك عن حكمك الموافق لما في كتابهم لا يرضون به **وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ** بكتابهم كما يدعون أو وما أولئك بالكاملين في الإيمان على سبيل التهكم بهم **إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ** معناه أنزلناها من السماء ومن اللوح فيها ما يهدي للحق والعدل ونور يبين ما اشتبه من الأحكام **يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا** أي أخلصوا أنفسهم ودينهم لله والذين أسلموا صفة للنبيين على سبيل المدح والمراد بها التعريض باليهود وأنهم بعداء من ملة الإسلام التي هي دين

الاسلام كلهم واوضح التعريض بقوله للذين هادوا اى لليهود والربانيون والاحبار اى يحكم
بها الزهاد والعلماء من ولد هارون الذين التزموا طريقة النبيين وجانبوا دين اليهود بما استحفظوا
من كتاب الله بما سألهم انبياؤهم حفظه من التوراة اى بسبب سؤال انبيائهم اياهم ان يحفظوه من التغيير
والتبديل وكانوا عليه شهداء اى رقباء لئلا يبدل والمعنى يحكم النبيون الذين بين موسى وعيسى وكان
بينهما الف نبي باحكام التوراة وكذلك عيسى يحكم بما فيها للذين هادوا اى يحملونهم على احكام التوراة
ولا يتركونهم ان يعدلوا عنها كما فعل رسول الله صلى الله عليه وآله من حملهم على حكم الرجم وارغام انوفهم
وابائهم عما اشتهوه من الجلد وكذلك حكم الربانيون والاحبار المسلمون بسبب ما استحفظهم من
كتاب الله والقضاء باحكامه وبسبب كونهم عليه شهداء ويجوز ان يكون الضمير في استحفظوا للانبياء
والربانيين والاحبار جميعا ويكون الاستحفاظ من الله اى كلفهم الله حفظه وان يكونوا عليه شهداء
فلا تخشوا الناس هذا نهي للحكام عن خشيتهم غير الله في حكوماتهم ومداهنتهم فيها وامضائها
على خلاف ما امروا به من العدل خشية ظالم او خيفة اذية احد من القرباء والاصدقاء ولا تشتروا
بآياتي اى لا تستبدلوا ولا تستعيضوا بآيات الله واحكامه ثمنا قليلا وهو الرشوة وابتغاء
الجاه ورضا الناس كما حرف علماء اليهود كتاب الله وغيروا احكامه رغبة في الدنيا وطلبا للرياسة
فهلكوا ومن لم يحكم بما انزل الله مستهينا به فاولئك هم الكافرون وصفهم بالعتو في
كفرهم حين ظلموا آيات الله بالاستهانة وتمردوا بان يحكموا بغيرها وعن ابن عباس ان الكافرين والظالمين
والفاسقين في هذه الآية والتي بعدها هم اهل الكتاب وعنه نعم القوم انتم يعني المسلمين ما كان من حلو
فلكم وما كان من مر فلاهل الكتاب من جحد حكم الله كفر ومن لم يحكم به وهو مقر فهو ظالم فاسق وعن
الشعبي هذه في اهل الاسلام والظالمون في اليهود والفاسقون في النصارى وعن ابن مسعود هو عام
في اليهود وغيرهم وكتبنا عليهم فيها المعنى وفرضنا على بني اسرائيل في التوراة ان النفس
ماخوذة بالنفس مقتولة بها اذا قتلتها بغير حق وكذلك والعين مفقوءة بالعين والانف مجدوع
بالانف والاذن مصلومة بالاذن والسن مقلوعة بالسن والجروح قصاص اى
ذات قصاص وهو المقاصة ومعناه ما يمكن فيه القصاص وتعرف المساواة وعن ابن عباس كانوا لا يقتلون
الرجل بالمراة فنزلت ومذهب ائمتنا عليهم السلام ان الرجل يقتل بالمراة بشرط ان يرد اولياء المقتولة نصف
دية الرجل الى اولياء القاتل وقال بعض اهل مذهبنا يقتل القاتل ولا يلزم شيء آخر فمن تصدق به من
اصحاب الحق فهو يعني بالقصاص عنه فهو كفارة له اى فالتصدق به كفارة للمتصدق يكفر الله
من سيئاته ما تقتضيه الموازنة كسائر طاعاته وعن عبد الله بن عمر يهدم عنه من ذنوبه بقدر ما تصدق به
ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الظالمون وقفينا على آثارهم بعيسى ابن مريم المعنى وعقبنا
على آثار النبيين بعيسى اى بعثناه عقيبهم مصدقا لما بين يديه من التوراة اى مصدقا لما تقدمه

منها وفاصيله وآتيناه الانجيل فيه هدى ونور اى بيان ودلالة على الاحكام ومصدقا لما
بين يديه من التوراة لان عيسى دعا الناس الى التصديق بها وليس في هذا تكرار لان الاول
لعيسى والثاني للانجيل لان في الانجيل تصديقا للتوراة كما ان عيسى جاء ودعا الناس الى التصديق بها وهدى
وموعظة للمتقين هم اهل تقوى الله لانهم الذين يؤثر فيهم الوعظ ويقبلون اللطف والهدى ويخصهم لذلك
وليحكم اهل الانجيل بما انزل الله فيه من الاحكام وايجاب العمل بما في التوراة وقيل ان عيسى عليه السلام
كان متعبدا بما في التوراة من الاحكام لان الانجيل فيه مواعظ وزواجر والاحكام فيه قليلة وظاهر
الآية يرد ذلك ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الفاسقون الخارجون من ولاية الله تعالى
وطاعته وانزلنا اليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب الاول تعريف العهد لانه عنى
به القرآن والثاني تعريف الجنس لانه عنى به جنس الكتب المنزلة كلها ومهيمنا عليه يعني ورقيبا
على سائر الكتب لانه يشهد لها بالصحة والثبات وقرئ ومهيمنا عليه بفتح الميم اى هو من عليه بان حفظ
من التغيير والتبديل كما قال لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه والذي هيمن عليه الله عز وجل والحفاظ
في كل بلد لو حرف حرف منه او حركة او سكون لتنبه عليه كل احد ولردوه وانكروه فاحكم بينهم بما انزل
الله ولا تتبع اهواءهم اى لا تنحرف عما جاءك من الحق متبعا اهواءهم لكل جعلنا منكم شرعة اى
شريعة ومنهاجا اى طريقا واضحا في الدين تجرون عليه وقيل هذا دليل على انا غير متعبدين بشرائع
من قبلنا ولو شاء الله لجعلكم امة واحدة اى جماعة متفقة على شريعة واحدة او اهل دين واحد
لا اختلاف فيه ولكن اراد ليبلوكم فيما آتاكم من الشرائع المختلفة هل تعملون بها مذعنين معتقدين
انها مصالح قد اختلفت على حسب الاحوال والاوقات معترفين بان الله لم يقصد باختلافها الا ما اقتضته
الحكمة ام تتبعون الشبه وتفرطون في العمل فاستبقوا الخيرات اى فابتدروها وسابقوا نحوها
وهي الاعمال الصالحة المطابقة لما شرع الله اى استبقوا اليها وتجنبوا البدع المخالفة للشريعة الى
الله مرجعكم اى مصيركم الى الله في الآخرة جميعا اى في حال اجتماعكم فينبئكم اى فيخبركم بما لا تشكون
معه من الجزاء الفاصل بين محقكم ومبطلكم وعاملكم ومفرطكم في العمل وهو معنى قوله بما كنتم فيه تختلفون
وان احكم بينهم بما انزل الله اى بحدود ما انزل الله ولا تتبع اهواءهم يعني لا تتبع اراداتهم فيما طلبوا من
الميل الى احد الخصمين والقضاء له على الآخر عما جاءك من الحق واحذرهم ان يفتنوك عن بعض ما انزل الله اليك
اى يضلوك عنه ويستزلوك وذلك ان كعب بن اسيد وعبد الله بن صوريا وشاس بن قيس من احبار اليهود
قالوا اذهبوا بنا الى محمد نفتنه عن دينه فقالوا له يا محمد قد عرفت انا احبار اليهود وانا ان اتبعناك
اتبعنا اليهود كلهم ولم يخالفونا وان بيننا وبين قوم خصومة فنحاكمهم اليك فتقضي لنا عليهم ونحن
نؤمن بك ونصدقك فابى ذلك رسول الله صلى الله عليه وآله فنزلت وان تولوا عن الحكم بما انزل الله

الكفر وارادوا غيره **﴿فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ﴾** يعني بذنب التولي عن حكم الله
وارادة خلافه فوضع قوله ببعض ذنوبهم موضع ذلك واراد ان لهم ذنوبا كثيرة العدد وان هذا الذنب
مع عظمه بعضها وواحد منها وهذا الابهام لتعظيم التولي وسرفهم في ارتكابه **﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ
النَّاسِ لَفَاسِقُونَ﴾** اي لمتمردون في الكفر معتدون فيه يعني ان التولي عن حكم الله من التمرد العظيم والاعتداء
في الكفر **﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ﴾** معنى الاستفهام الانكار على اليهود وطلبهم حكم الجاهلية وفيه وجهان
احدهما ان قريظة والنضير طلبوا اليه ان يحكم بما كان يحكم به اهل الجاهلية من التفاضل بين القتلى
وروي ان رسول الله صلى الله عليه وآله قال لهم القتلى سواء فقال بنو النضير نحن لا نرضى بذلك فنزلت
والثاني ان يكون تعييرا لليهود بانهم اهل كتاب وعلم وهم يبغون حكم الجاهلية التي هي هوى وجهل لا
يصدر عن كتاب ولا يرجع الى وحي من الله وعن الحسن هو عام في كل من يبغي غير حكم الله والحكم حكمان حكم
بعلم هو حكم الله وحكم بجهل هو حكم الشيطان وسئل طاوس عن الرجل يفضل بعض ولده على بعض فقرأ
هذه الآية **﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾** اي لا احسن حكما من حكم الله ورسوله فلا
وجه لاعراضهم عنه الا الاعتداء في الكفر واللام في قوله لقوم يوقنون للبيان اي هذا الخطاب وهذا
الاستفهام لقوم يتيقنون ان لا اعدل من الله ولا احسن حكما منه **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ
وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ﴾** اي لا تتخذوهم اخلاء تنصرونهم وتستنصرونهم وتواخونهم وتصافونهم وتعاشرونهم
معاشرة المؤمنين ثم علل النهي بقوله **﴿بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾** اي انما يوالي بعضهم بعضا لاتحاد
ملتهم واجتماعهم في الكفر فلم يوالون من دينه خلاف دينهم **﴿وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾** يعني من
من جملتهم وحكمه حكمهم وهذا تغليظ من الله وتشديد في وجوب مجانبة المخالف في الدين واعتزاله كما قال
رسول الله صلى الله عليه وآله لا تراءى ناراهما ومنه قول عمر لابي موسى في كاتبه النصراني لا تكرموهم اذ اهانهم
الله ولا تأمنوهم اذ خونهم الله ولا تدنوهم اذ اقصاهم الله وروي انه قال له ابو موسى لا قوام للبصرة
الا به فقال مات النصراني والسلام يعني هب انه قد مات فما كنت صانعا حينئذ فاصنعه الساعة
واستغن عنه بغيره **﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾** يعني الذين ظلموا انفسهم بموالاة الكفرة
يمنعهم الله ألطافه ويخذلهم مقتا لهم **﴿فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾** اي نفاق وميل الى
المعاصي وهم المنافقون **﴿يُسَارِعُونَ فِيهِمْ﴾** اي في موالاة اليهود ويرغبون فيها **﴿يَقُولُونَ نَخْشَى
أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ﴾** اي يعتذرون بانهم لا يأمنون ان تصيبهم دائرة من دوائر الزمان اي صرف من
صروفه ودولة له من دولة فيحتاجوا اليهم والى معونتهم وعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه انه قال لرسول
الله صلى الله عليه وآله ان لي موالي من يهود كثيرا عددهم واني ابرأ الى الله ورسوله من موالاتهم واوالي الله
ورسوله فقال رأس النفاق ابن ابي اني رجل اخاف الدوائر لا ابرأ من ولاية موالي وهم يهود بني

قينقاع

قينقاع **﴿فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ﴾** لرسول الله على اعدائه واظهار المسلمين **﴿أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ﴾**
يقطع شأفة اليهود ويجليهم عن بلادهم **﴿فَيُصْبِحُوا﴾** يعني المنافقين **﴿عَلَى مَا أَسَرُّوا فِي أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ﴾**
اي على ما حدثوا به انفسهم وذلك انهم كانوا يشكون في امر رسول الله صلى الله عليه وآله ويقولون ما نظن ان
يتم له امر وربما كانت الدولة والغلبة لليهود وقيل او امر من عنده او ان يؤمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم
باظهار اسرار المنافقين وقتلهم فيندموا على نفاقهم **﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا﴾** قرئ يقول بالواو
وبغير واو اي يقول بعضهم لبعض تعجبا من حالهم واغتباطا بما من الله عليهم من التوفيق في الاخلاص **﴿أَهَؤُلَاءِ
الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ﴾** اي اقسموا لكم باغلاظ الايمان **﴿إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ﴾** يعني انهم اولياؤكم ومعاضدوكم
على الكفار او يقولونه لليهود لانهم حلفوا لهم بالمعاضدة والنصرة كما حكى الله عنهم وان قوتلتم لننصرنكم
﴿حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ﴾ هذا من جملة كلام المؤمنين اي بطلت اعمالهم التي كانوا يتكلفونها في رأي اعين الناس
وفيه معنى التعجب كانه قيل ما اخسرهم ما احبط اعمالهم وهو من كلام الله عز وجل شهادة لهم بحبوط
الاعمال وتعجيبا من سوء حالهم **﴿فَأَصْبَحُوا خَاسِرِينَ﴾** بافتضاحهم في الدنيا وبفوات الثواب في الآ
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ﴾ هذا من الكائنات التي اخبر الله
عنها في القرآن قبل كونها وقيل كان اهل الردة احدى عشرة فرقة ثلاث في عهد رسول الله صلى الله
عليه وآله بنو مدلج ورئيسهم الاسود العنسي وكان كاهنا تنبأ باليمن واستولى على بلاده واخرج
عمال رسول الله صلى الله عليه وآله فكتب رسول الله صلى الله عليه وآله الى معاذ والى سادات اليمن فاهلكه
الله على يدي فيروز الديلمي بيته فقتله واخبر رسول الله صلى الله عليه وآله بقتله ليلة قتل فسر المسلمون
وقبض رسول الله صلى الله عليه وآله من الغد واتى خبره في آخر شهر ربيع الاول وبنو حنيفة قوم مسيلمة تنبأ
وكتب الى رسول الله صلى الله عليه وآله من مسيلمة رسول الله الى محمد رسول الله اما بعد فان الارض نصفها
لي ونصفها لك فاجاب من محمد رسول الله الى مسيلمة الكذاب اما بعد فان الارض لله يورثها من يشاء من
عباده والعاقبة للمتقين فحاربه ابو بكر بجنود المسلمين وقتل على يدي وحشي قاتل حمزة رضوان الله عليه
وكان يقول قتلت خير الناس في الجاهلية وشر الناس في الاسلام اراد في جاهليتي واسلامي وبنو اسد
قوم طليحة بن خويلد تنبأ فبعث اليه رسول الله صلى الله عليه وآله خالدا فانهزم بعد القتال الى الشام
ثم اسلم وحسن اسلامه وسبع في عهد ابي بكر وكفى الله امرهم على يديه رضي الله عنه وفرقة واحدة في عهد عمر
وهم غسان قوم جبلة بن الايهم نصرته اللطمة وسيرته الى بلاد الروم بعد اسلامه **﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ
بِقَوْمٍ﴾** قيل لما نزلت اشار رسول الله صلى الله عليه وآله الى ابي موسى الاشعري وقال قوم هذا وقيل هم الانصار
وقيل سئل رسول الله صلى الله عليه وآله عنهم فضرب على عاتق سلمان وقال هذا وذووه ثم قال لو كان الايمان
معلقا بالثريا لناله رجال من فارس **﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾** محبة العباد لربهم طاعته وابتغاء
مرضاته وان لا يفعلوا ما يوجب سخطه وعقابه ومحبة الله لعباده ان يثيبهم احسن الثواب على طاعتهم

ويعظمهم ويثني عليهم ويرضى عنهم قال رضي الله عنه وأما ما تعتقده أجهل
الناس وأعداهم للعلم وأهله وأمقتهم للشرع وأسوأهم طريقة وإن كانت طريقتهم عند أمثالهم من
الجهلة والسفهاء شيئا وهم الفرقة المفتعلة المتفعلة من الصوفية وما يدينون من المحبة والعشق
والتغني على كراسيهم خربها الله وفي مراقصهم عطلها الله بأبيات الغزل المقولة في المردان الذين
يسمونهم شهداء وصعقاتهم التي أين عنها صعقة موسى عند دك الطور فتعالى الله عنه علوا كبيرا
أذلة على المؤمنين كان القياس أن يقال للمؤمنين لكنه ضمن الذل معنى الحنو والتعطف كأنه
قيل عاطفين عليهم على وجه التذلل والتواضع أو معناه أنهم مع شرفهم وفضلهم على المؤمنين
خافضون لهم أجنحتهم أعزة على الكافرين أي أهل رفع وغلظة على الكافرين ويتصلبون في
دينهم كقوله أشداء على الكفار رحماء بينهم يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم يحتمل
أن لحالهم في المجاهدة وأن حالهم فيها خلاف حال المنافقين وأنهم كانوا موالين لليهود ولعلهم
فإذا خرجوا في جيش المسلمين لم يعملوا شيئا يخافون أنه يلحقهم فيه لوم من جهتهم وأما المؤمنون فكانوا يجاهدون
لوجه الله لا يخافون لومة لائم قط أي لا يكفهم عن الجهاد كاف أو أنهم صلاب في دينهم إذا شرعوا في أمر
من أمور الدين من إنكار منكر أو أمر بمعروف مضوا فيه كالمسامير المحماة لا يكفهم عنه اعتراض معترض
ولا قول قائل ولا لومة لائم يشق عليه صلابتهم في أمرهم واللومة المرة من اللوم وفيها وفي التنكير
مبالغتان كأنه قيل لا يخافون شيئا قط من لوم أحد من اللوام ذلك يعني ما وصف به القوم من
المحبة والذلة والعزة والمجاهدة وانتفاء خوف اللومة فضل الله يؤتيه من يشاء أي يوفق
له من يشاء ممن يعلم أن له لطفا والله واسع عليم كثير الفواضل والألطاف عليم بمن هو من
أهلها إنما وليكم الله ورسوله عقب النهي عن موالاة من تجب معاداتهم بذكر من تجب موالاتهم
بقوله إنما وليكم الله أي ناصركم ورسوله وليكم يعلمكم أمر دينكم والذين آمنوا هذا
من العموم الذي أريد به الخصوص والمراد به أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام
بإجماع أئمة أهل البيت عليهم السلام وإجماعهم حجة
الذين يقيمون الصلاة هذا مدح للذين آمنوا بإقامة الصلاة أي يفعلونها كاملة وفيه تمييز للمؤمنين
الخلص من الذين آمنوا نفاقا بالشهادة دون قلوبهم وكذلك قوله ويؤتون الزكاة مدح
لهم بإيتاء زكاة أموالهم وهم راكعون أي يفعلون ذلك في حال الركوع وهو الخشوع والتواضع
لله عز وجل إذا صلوا وإذا زكوا نزلت في علي عليه السلام حين سأله سائل وهو راكع في صلاته
وطرح له خاتمه كأنه كان مرجا في خنصره فلم يتكلف لخلعه كثير عمل تفسد بمثله الصلاة ومع
أن يكون المراد علي عليه السلام جيء به على لفظ الجمع ليرغب الناس في مثل فعله فينالوا مثل ثوابه ولينبه
على أن سجية المؤمن يجب أن تكون على هذه الصفة من الحرص على البر والإحسان وتفقد الفقراء حتى إن

لزمهم أمر لا يقبل التأخير وهم في الصلاة لم يؤخروه إلى الفراغ منها ومن يتول الله ورسوله
والذين آمنوا أي يختص الله بالموالاة ويوالي الرسول والمؤمنين دون الكفار فإن حزب الله وهم
الرسول والمؤمنون هم الغالبون بالحجة والسيف وأصل الحزب القوم يجتمعون لأمر حزبهم أي جمعهم
وأهمهم والمعنى ومن يتولهم فقد تولى حزب الله واعتضد بمن لا يغالب يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الذين
اتخذوا دينكم هزوا ولعبا من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم والكفار أولياء روي أن رفاعة
بن زيد وسويد بن الحارث اليهوديين كانا قد أظهرا الإسلام ثم نافقا وكان رجال من المسلمين يوادونهما
فنزلت يعني أن اتخاذهم دينكم هزوا ولعبا لا يصح أن يقابل باتخاذكم إياهم أولياء بل يقابل ذلك
بالبغضاء والشنآن والمنابذة وفصل المستهزئين بأهل الكتاب والكفار وإن كان أهل الكتاب
من الكفار وأراد بالكفار المشركين خاصة ويدل عليه قراءة عبد الله ومن الذين أشركوا وقرئ
والكفار بالنصب والجر واتقوا الله في ترك موالاة الكفار وغيرها إن كنتم مؤمنين إيمانا
حقا لأن الإيمان حقا يأبى موالاة أعداء الدين وإذا ناديتم إلى الصلاة اتخذوها هزوا
ولعبا الضمير للصلاة أو للمناداة قيل كان رجل من النصارى بالمدينة إذا سمع المؤذن يقول
أشهد أن محمدا رسول الله قال حرق الكاذب فدخلت خادمه بنار ذات ليلة وهو نائم فتطايرت
منها شرارة في البيت فاحترق البيت واحترق هو وأهله وقيل فيه دليل على ثبوت الأذان بنص
الكتاب لا بالمنام وحده ذلك يعني الهزء واللعب بأنهم قوم لا يعقلون لأن هزوهم ولعبهم
من أفعال السفهاء والجهلة فكأنه لا عقل لهم قل يا أهل الكتاب هل تنقمون منا إلا أن آمنا
بالله وما أنزل إلينا وما أنزل من قبل هل تعيبون منا وتنكرون إلا الإيمان بالكتب المنزلة كلها وأن أكثركم
فاسقون خارجون عن الإيمان مفرطون في الكفر والمعنى وما تنقمون منا إلا الجمع بين إيماننا
وبين تمردكم وخروجكم عن الإيمان كأنه قيل وما تنكرون منا إلا مخالفتكم حيث دخلنا في الإسلام
وأنتم خارجون منه وروي أنه أتى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نفر من اليهود فسألوه عمن
يؤمن به من الرسل فقال أؤمن بالله وما أنزل إلينا إلى قوله ونحن له مسلمون فقالوا حين سمعوا ذكر
عيسى لا نعلم أهل دين أقل حظا في الدنيا والآخرة منكم ولا دينا شرا من دينكم فنزلت قل يا محمد هل
أنبئكم بشر من ذلك يعني بشر من أهل ذلك الدين الذي تنقمون علينا وعبتمونا به مثوبة عند
الله أي عقوبة والمثوبة مختصة بالإحسان فوضعت موضع العقوبة على طريقة الاستهزاء بهم
كقوله فبشرهم بعذاب أليم من لعنه الله أي أبعده من رحمته وغضب عليه فلم يرض عنه
وجعل منهم القردة والخنازير يعني أنهم مسخوا قردة وخنازير وعبد الطاغوت العجل لأنهم
عبدوه من دون الله وعبادتهم له بما زينه لهم الشيطان وكانت عبادتهم له عبادة للشيطان وهو

الطاغوت وعن ابن عباس اطاعوا العجل وكل من اطاع احداً في معصية الله فقد عبده وقيل
وجعل منهم القردة اصحاب السبت والخنازير كفار اهل مائدة عيسى عليه السلام وقيل كلا المسخين من
اصحاب السبت فشبابهم مسخوا قردة ومشايخهم مسخوا خنازير روي انها لما نزلت كان المسلمون
يعيرون اليهود ويقولون يا اخوة القردة والخنازير فينكسون رؤسهم أُولَٰئِكَ الملعونون الممسوخون
شَرٌّ مَكَانًا جعلت الشرارة للمكان وهي لاهله لانه اكثر مبالغة من قولك اولئك شر
واضل لدخوله في باب الكناية وَأَضَلُّ عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ اي وهم اميل عن وسط طريق النجاة
وَإِذَا جَاءُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَقَد دَّخَلُوا بِالْكُفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا بِهِ نزلت في ناس من اليهود كانوا يدخلون
على رسول الله صلى الله عليه وآله يظهرون له الايمان نفاقاً فاخبره الله بشأنهم وانهم يخرجون من مجلسك
كما دخلوا لم يتعلق بهم شيء مما سمعوا من تذكيرك بآيات الله ومواعظك والمعنى انهم دخلوا كافرين
وخرجوا كافرين وهم في انفسهم ملتبسين بالكفر وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا يَكْتُمُونَ من الكفر والنفاق
اي لا يخفى عليه نفاقهم فهو معاقبهم عليه ومطلعك بالوحي اليك على ما كتموا وَتَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ
يُسَارِعُونَ فِي الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ الاثم الكذب والعدوان الظلم وقيل الاثم ما يختص
بهم من الشرك وغيره والعدوان ما يتعداهم الى غيرهم والمسارعة في الشيء الشروع فيه بسرعة
وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ هو الحرام لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ اي بئس العمل عملهم لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ
اي هلا ينهاهم الزهاد منهم وَالْأَحْبَارُ وهم العلماء عَن قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ اي الكذب وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ
اي الحرام والمراد التشنيع عليهم في التواني والاعراض عن النهي عن المناكير لَبِئْسَ مَا كَانُوا
يَصْنَعُونَ قال رضي الله عنه كأن الزهاد والعلماء جعلوا اعظم اثماً من مرتكبي المناكير
لقوله فيهم يصنعون وفي المرتكبين للمناكير يعملون لان كل عامل لا يسمى صانعاً ولا كل عمل
يسمى صناعة حتى يتمكن فيه ويتدرب وينسب اليه فالصانع عامل وزيادة فكان المعنى ان مواقع المعصية
معه الشهوة التي تدعوه اليها وتحمله على ارتكابها واما الذي ينهاه فلا شهوة معه في فعل غيره
فاذا فرط في الانكار كان اشد حالاً من المواقع قال رضي الله عنه ولعمري ان
هذه الاية مما يقذ السامع اي يقطعه لعظم حد ونعي على العلماء توانيهم وعن ابن عباس هي اشد
آية في القرآن وعن الضحاك ما في القرآن آية اخوف عندي منها وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ
غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ غل اليد وبسطها مجاز عن البخل والجود
ومنه قوله تعالى ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط ولا يقصد من يتكلم
به اثبات يد ولا غل ولا بسط ولقد استعملوا ذلك فيما لا يصح فيه اليد كقولهم بسط اليأس كفه
في صدري اذا يئس من مطلوبه وعند ذلك من لم ينظر في علم البيان عمي عن تبصر محجة الصواب في

تاويل امثال هذه الاية ولم يتخلص عن يد الطاعن اذا عبث به وغلت ايديهم دعاء عليهم بالبخل
والنكد ومن ثم كانوا ابخل خلق الله وانكدهم ويجوز ان يكون دعاء عليهم بغل الايدي حقيقة يغللون
في الدنيا اسارى وفي الآخرة معذبين باغلال جهنم وجاز ان يدعو الله عليهم بما هو قبيح وهو البخل
والنكد لان المراد الدعاء عليهم بالخذلان الذي تقسو به قلوبهم فيزدادون بخلاً الى بخلهم ونكداً
الى نكدهم وثنيت اليد وهي مفردة في قوله يد الله مغلولة ليكون رد قولهم وانكاره ابلغ وادل على
اثبات غاية السخاء له ونفي البخل عنه وذلك ان اقصى ما يذهب اليه السخي بماله من نفسه ان يعطيه
بيديه جميعاً فبنى المجاز على ذلك يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ تاكيد للوصف بالسخاء ودلالة على انه لا ينفق
الا على مقتضى الحكمة والمصلحة وروي ان الله تعالى كان قد بسط على اليهود حتى كانوا من اكثر
الناس مالاً فلما عصوا الله في محمد صلى الله عليه وسلم وكذبوه كف الله تعالى ما بسط عليهم من السعة
فعند ذلك قال فنحاص بن عازوراء لعنه الله يد الله مغلولة ورضي بقوله الآخرون فاشركوا
فيه وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ اي يزدادون عند نزول القرآن لحسدهم طُغْيَانًا
وَكُفْرًا اي اصراراً في الجحود وكفراً بآيات الله وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ
المعنى ان الله ابتلاهم في الدنيا بعداوة بعضهم لبعض وبغضه له فكلامهم ابداً مختلف وقلوبهم
شتى فلا يقع بينهم اتفاق ولا تعاضد كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ اي كلما
ارادوا محاربة احد غلبوا وقهروا ولم يقم لهم نصر من الله على احد قط ولما خالفوا حكم التوراة بعث الله
عليهم بختنصر ثم افسدوا فسلط الله عليهم فطرس الرومي ثم افسدوا فسلط الله عليهم المجوس
ثم افسدوا فسلط الله عليهم المسلمين وعن قتادة لا تلقى اليهود ببلدة الا وجدتهم من اذل الناس وَيَسْعَوْنَ
فِي الْأَرْضِ فَسَادًا هو اجتهادهم في الكيد للاسلام ومحو ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم
من كتبهم وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ لا يريد اكرامهم ولا يرضى عليهم وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ مع ما
عددنا من سيئاتهم آمَنُوا برسول الله وبما جاء به وَاتَّقَوْا اي وقرنوا ايمانهم بالتقوى التي هي الشريطة
في الفوز بالايمان لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ اي معاصيهم الصغائر ولم نؤاخذهم بها وَلَأَدْخَلْنَاهُمْ
مع المسلمين جَنَّاتِ النَّعِيمِ وفي هذه اعلام بعظم معاصي اليهود والنصارى وكثرة سيئاتهم ودلالة
على سعة رحمة الله وفتحه باب التوبة على كل عاص وان عظمت معاصيه وبلغت مبالغ سيئات اليهود
والنصارى وان الايمان لا ينجي ولا يسعد الا مشفوعاً بالتقوى كما قال الحسن هذا العمود فاين الاطناب
وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ يعني اقاموا احكامهما وحدودهما وما فيهما من نعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ يعني سائر الكتب لانهم مكلفون الايمان
بجميعها فكأنها انزلت اليهم وقيل هو القرآن لَأَكَلُوا مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم يعني لوسع الله
الرزق عليهم وقد كانوا قد قحطوا وهذه عبارة عن التوسعة والمعنى ان الله يفيض عليهم بركات السماء

وبركات الارض وان يكثر الاشجار المثمرة والزروع المغلة منهم امة مقتصدة اي طائفة
حاملة العداوة لرسول الله صلى الله عليه وآله فيه غير معروفة فيها وقيل هي الطائفة المؤمنة عبد الله
بن سلام واصحابه ونجاشيه واربعون من النصارى وكثير منهم ساء ما يعملون فيه معنى التعجب كانه قيل
وكثير منهم ما اسوأ اعمالهم قيل هم كعب بن الاشرف واصحابه والروم يا ايها الرسول بلغ ما انزل
اليك من ربك اي جميع ما انزل اليك كله وكثيره غير خائف في تبليغه احدا ولا خائفا ان ينالك
مكروه وان لم تفعل اي وان لم تبلغ جميعه كما امرتك فما بلغت رسالته فلم تبلغ اذا ما كلفت
من اداء الرسالات ولم يؤد منها شيئا وذلك ان بعضها ليس باولى بالاداء من بعض فاذا لم يؤد بعضها
فكانما اغفلها جميعا كما ان من لم يؤمن ببعضها كان كمن لم يؤمن بكلها وعن ابن عباس ان كتمت آية لم
تبلغ رسالاتي وعن النبي صلى الله عليه وآله بعثني الله برسالاته فضقت بها ذرعا فاوحى الله الي ان لم تبلغ
رسالاتي عذبتك وضمن لي العصمة فقويت والله يعصمك من الناس عدة من الله بالحفظ والكلاءة
والمعنى والله يضمن لك العصمة من اعدائك فما عذرك في مراقبتهم قال رضي الله عنه
وقد شج وجهه صلى الله عليه وآله يوم احد وكسرت رباعيته ولكن المراد انه يعصمه من القتل وعليه
ان يحتمل كل ما دون النفس في ذات الله فما اشد تكاليف الانبياء عليهم السلام وقيل نزلت بعد يوم احد
والناس الكفار بدليل قوله ان الله لا يهدي القوم الكافرين ومعناه انه لا يمكنهم مما يريدون
انزاله بك من الهلاك وعن انس كان رسول الله صلى الله عليه وآله يحرس حتى نزلت فاخرج راسه
من قبة ادم فقال انصرفوا ايها الناس فقد عصمني الله من الناس قل يا اهل الكتاب لستم على
شيء اي على دين يعتد به حتى يسمى شيئا لفساده وبطلانه كما تقول هذا ليس بشيء تريد تحقيره
وتصغير شانه اقل من لا شيء حتى تقيموا التورية والانجيل وما انزل اليكم من ربكم المراد
باقامة هذه الاشياء الايمان بجميعها والعمل باحكامها وليزيدن كثيرا منهم ما انزل اليك من
ربك معناه انهم يزدادون عند نزول القرآن طغيانا اي ظلما واصرارا على الجحود وكفرا
بآيات الله لشدة حسدهم وكراهتهم نزول الوحي على غيرهم فلا تأس فلا تأسف ولا تحزن لزيادة
طغيانهم وكفرهم على القوم الكافرين فان ضرر ذلك راجع اليهم لا اليك وفي المؤمنين غنى عنهم
ان الذين آمنوا اراد الذين آمنوا بالسنتهم وهم المنافقون والذين هادوا اي دخلوا
في اليهودية والصابئون هم قوم عبدوا الملائكة من صبا اذا خرج عن الدين والنصارى سموا بذلك
لانهم نصروا المسيح من آمن اي من هؤلاء المذكورين بالله واليوم الآخر وهو يوم البعث وعمل
صالحا اي وقرن الايمان بالعمل الصالح الذي يرضاه الله تعالى وامر به فلا خوف عليهم اي لا يلحقهم
في الآخرة امر مكروه ولا هم يحزنون اي ولا هم يغتمون لمفارقة محبوبه والايمان المنافقين
الذي باللسان والمعنى من آمن منهم الايمان الحقيقي واستقام عليه وفي هذه الآية تقديم وتاخير

تقديره ان الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى من آمن منهم بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلا خوف
عليهم ولا هم يحزنون والصابئون كذلك اي من آمن منهم فلا خوف عليهم لقد اخذنا ميثاق بني اسرائيل
يعني على توحيد الله ووضحنا لهم الادلة فيه فتأكد عليهم وجوبه بادلة العقل والسمع وارسلنا
اليهم رسلا ليعرفوهم بما يعبد ويقيم الله من الاحكام كلما جاءهم رسول بما لا تهوى انفسهم اي كلما جاء
بني اسرائيل رسول بما يخالف هواهم ولا يوافق شهواتهم من مشاق التكاليف والعمل بالشرائع فريقا كذبوا
وفريقا يقتلون كذبوا بعض رسلهم وقتلوا بعضا وقال يقتلون ولم يقل قتلوا لحكاية الحال
الماضية وما فعلوه استفظاعا للقتل واستحضارا لتلك الحال الشنيعة للتعجب منها وحسبوا
ان لا تكون فتنة اي وحسب بنو اسرائيل انهم لا يصيبهم من الله فتنة اي بلاء وعذاب في الدنيا والآخرة
فعموا عن الدين وصموا حين عبدوا العجل ثم تاب الله عليهم المعنى انهم تابوا عن عبادة
العجل فتاب الله عليهم ثم عموا وصموا كرة ثانية بطلبهم المحال غير المعقول في صفات الله
وهو الرؤية كثير منهم بيان للذين عموا وصموا والله بصير بما يعملون اي عالم بما يعملون من
الكفر والتعامي عن الحق لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم هذا مذهب اليعقوبية
لانهم قالوا ان الله اتحد بالمسيح اتحاد الذات فصارا شيئا واحدا وقال المسيح يا بني اسرائيل اعبدوا
الله ربي وربكم لم يفرق عيسى عليه السلام بينه وبينهم في انه عبد مربوب وهو احتجاج على النصارى
انه من يشرك بالله في عبادته او فيما هو مختص به من صفاته او افعاله فقد حرم الله عليه الجنة
التي هي دار الموحدين اي حرمه دخولها ومنعه منه كما يمنع المحرم من المحرم عليه ومأواه النار
اي منزله ومصيره وما للظالمين من انصار لانهم ظلموا وعدلوا عن سبيل الحق فيما تقولوا على
عيسى فلذلك لم يساعدهم اليه ولم ينصر قولهم ورده وانكره لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث
ثلاثة هم النصارى قالوا ان الالهة ثلاثة الله تعالى والمسيح وامه ويرد قولهم بقوله
وما من اله الا اله واحد معناه وما اله قط في الوجود الا اله موصوف بالوحدانية لا ثاني
له وهو الله وحده وان لم ينتهوا عما يقولون من التثليث والشرك ليمسن الذين كفروا منهم
يعني من النصارى خاصة عذاب اليم شديد الالم افلا يتوبون الى الله ويستغفرونه
يعني الا يتوبون بعد هذه الشهادة المكررة عليهم بالكفر وهذا الوعيد الشديد مما هم عليه
وفيه تعجب من اصرارهم والله غفور رحيم يغفر لهؤلاء ان تابوا ولغيرهم ما المسيح ابن مريم الا
رسول قد خلت من قبله الرسل اي ما هو الا رسول من جنس الرسل الذين خلوا من قبله جاءوا بآيات
من الله كما اتى بامثالها ان ابرأ الله الابرص واحيا الموتى على يده فقد احيا العصا وجعلها
حية تسعى وفلق البحر على يد موسى وان خلقه من غير ذكر فقد خلق آدم من غير ذكر ولا انثى وامه
صديقة اي وما امه ايضا الا كبعض النساء المصدقات للانبياء المؤمنات بهم فما منزلتهما الا

مثله بشر احدهما نبي والاخر صحابي فمن اين اشتبه عليكم امرهما حتى وصفتموهما بما لا يوصف به
به الانبياء وهما بينهم مع انه لا تمييز ولا تفاوت بينهما وبينهم بوجه من الوجوه ثم صرح ببعدهما عما
نسب اليهما في قوله كانا يأكلان الطعام لان من احتاج الى الاغتذاء بالطعام وما يتبعه من
الهضم والنفض لم يكن الا جسما مركبا من عظم ولحم وعروق واعصاب واخلاط وامزجة مع شهوة
وقرم وغير ذلك مما يدل على انه مصنوع مؤلف انظر كيف نبين لهم الآيات اي الاعلام من الادلة
الظاهرة على بطلان قولهم ثم انظر انى يؤفكون كيف يصرفون عن استماع الحق وتأمله ومعنى
التراخي في قوله ثم انظر اي انظر ما بين العجبين يعني انه بين لهم الآيات بيانا عجيبا وان اعراضهم
عنها اعجب قل أتعبدون من دون الله ما لا يملك لكم ضرا ولا نفعا هو عيسى اي شيئا لا يستطيع
ان يضركم بمثل ما يضركم به الله من البلايا والمصائب في الانفس والاموال ولا ان ينفعكم
بمثل ما ينفعكم به من صحة الابدان والسعة والخصب ولان كل ما يقدر عليه العباد من المنافع
والمضار فبهو باقدار الله وتمكينه فكانه لا يملك منه شيئا وقوله اتعبدون انكار لعبادة من امره
سمات الربوبية حيث جعله لا يستطيع ضرا ولا نفعا وصفة الرب ان يكون قادرا على كل شيء والله
هو السميع العليم معناه اتشركون بالله ولا تخشونه وهو الذي يسمع ما تقولون ويعلم
ما تعتقدون فيجازيكم به قل يا اهل الكتاب لا تغلوا في دينكم غير الحق اي غلوا باطلا لان
الغلو في الدين غلوان حق وهو ان تفحص عن حقائقه وتفتش عن اباعد معانيه وتجتهد في تحصيل
حججه كما يفعله المتكلمون من اهل العدل والتوحيد رضي الله عنهم وغلو باطل وهو ان يتجاوز
الحق ويتخطاه بالاعراض عن الادلة واتباع الشبه كما يفعل اهل الاهواء والبدع ولا تتبعوا اهواء
قوم قد ضلوا من قبل هم ائمتهم وعلماؤهم في النصرانية كانوا على الضلال قبل مبعث النبي صلى
الله عليه وآله واضلوا كثيرا ممن شايعهم وتابعهم على التثليث والشرك وضلوا لما بعث رسول
الله صلى الله عليه وآله عن سواء السبيل عن وسط الطريق حين كذبوه وحسدوه وبغوا عليه
لعن الذين كفروا من بني اسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم يعني ان [illegible] الله تعالى انزل
لعنهم في الزبور على لسان داود وفي الانجيل على لسان عيسى وقيل ان اهل ايلة لما اعتدوا في السبت
قال داود اللهم العنهم واجعلهم آية فمسخوا قردة ولما كفر اصحاب عيسى بعد المائدة قال عيسى اللهم
عذب من كفر بعد ما اكل من المائدة عذابا لم تعذبه احدا من العالمين والعنهم كما لعنت اصحاب السبت
فاصبحوا خنازير وكانوا خمسة آلاف ما فيهم امرأة ولا صبي ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون اي
لم يكن ذلك اللعن الشنيع الذي كان سبب المسخ الا لاجل المعصية والاعتداء لا لشيء آخر ثم فسر المعصية
والاعتداء بقوله كانوا لا يتناهون اي لا ينهى بعضهم بعضا عن منكر فعلوه ثم قال لبئس ما
كانوا يفعلون للتعجب من سوء فعلهم مؤكدا لذلك بالقسم اذ دخلت عليه اللام فتقديره والله لبئس ما كانوا

يفعلون قال رضي الله عنه فاحشة على المسلمين في اعراضهم عن باب التناهي عن المناكير
وقلة عبائهم بها كانهم ليسوا من ملة الاسلام في شيء مع ما يتلون من كتاب الله وما فيه من المبالغات
في هذا الباب ترى كثيرا منهم يتولون الذين كفروا هم منافقوا اهل الكتاب كانوا يوالون
المشركين ويصافونهم لبئس ما قدمت لهم انفسهم اي لبئس التقديم الى الآخرة والزاد اليها
ان سخط الله عليهم وفي العذاب هم خالدون المعنى بئس الزاد لهم موالاتهم المشركين الموجبة لسخط
الله عليهم وخلودهم في عذابه ولو كانوا يؤمنون بالله والنبي وما انزل اليه ما اتخذوهم اولياء
اي لو كانوا يؤمنون ايمانا خالصا عن نفاق ما اتخذوا المشركين اولياء يعني ان موالاتهم اعظم دليل
على نفاقهم وعلى ان ايمانهم ليس بايمان ولكن كثيرا منهم فاسقون متمردون في كفرهم ونفاقهم
لتجدن اشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين اشركوا ولتجدن اقربهم مودة للذين آمنوا
الذين قالوا انا نصارى قال رضي الله عنه وصف الله اليهود بشدة العداوة للمؤمنين وصعوبة اجابتهم
الى الحق والنصارى بقرب المودة وسهولة الاجابة والميل الى الاسلام وقرن اليهود بالمشركين
في شدة العداوة ونبه على انهم ابلغ من المشركين فيها بتقديمهم عليهم وعن النبي صلى الله عليه وآله
ما خلا يهودي بمسلم الا هم بقتله وعلل سهولة اجابة النصارى وقرب مودتهم للمؤمنين بقوله
ذلك بان منهم قسيسين ورهبانا اي علماء وعبادا وانهم لا يستكبرون يعني وان فيهم قوما تواضع
واستكانة ولا كبر فيهم واليهود على خلاف ذلك وفيه دليل واضح على ان العلم انفع شيء واهداه
الى الخير وادله على الفوز حتى علم القسيسين وكذلك علم الآخرة والتحدث بالعاقبة وان كان
في راهب والبراءة من الكبر وان كانت في نصراني واذا سمعوا ما انزل الى الرسول
ترى اعينهم تفيض من الدمع وصفهم الله برقة القلوب وانهم يبكون عند استماع القرآن وذلك
كما حكي عن النجاشي انه قال لجعفر بن ابي طالب حين اجتمع في مجلسه المهاجرون الى الحبشة والمشركون
وهم يغرونه عليهم ويطلبون تعنتهم عنده اي ما يقصد عليهم هل في كتابكم ذكر مريم قال جعفر فيه
سورة تنسب اليها فقرأها الى قوله ذلك عيسى بن مريم وقرأ سورة طه الى قوله وهل اتاك حديث موسى
فبكى النجاشي وكذلك فعل قومه الذين وفدوا على رسول الله صلى الله عليه وآله وهم سبعون رجلا حين
قرأ عليهم رسول الله صلى الله عليه وآله سورة يس فبكوا ومعنى تفيض من الدمع ان اعينهم تمتلئ
حتى تفيض من جوانبها بالدمع مما عرفوا من الحق اي من اجل ما عرفوا من الحق وهو القرآن
وعمل ما عرفوا من بعض الحق على معنى انهم عرفوا بعض الحق فابكاهم وكيف لو عرفوه كله وقرأوا
القرآن واحاطوا بالسنة يقولون ربنا آمنا اي انشأنا الايمان ودخلنا فيه فاكتبنا
مع الشاهدين اي مع امة محمد الذين هم شهداء على سائر الامم يوم القيامة وقالوا ذلك لانهم وجدوا ذكرهم

في الاهل كذلك وما لنا لا نؤمن بالله هذا انكار واستبعاد وما جاءنا من الحق وهو القرآن
والرسول ونطمع أن يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين هذا انكار واستبعاد لانتفاء الايمان مع
قيام موجبه وهو الطمع في انعام الله عليهم بصحبة الصالحين في الجنة فأثابهم الله بما قالوا جنات
تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها اي جزاهم الله بسبب قولهم هذا الجزاء واثابهم الخلود
في نعيم جنانه وذلك جزاء المحسنين في العمل والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب الجحيم
عقب الترغيب بالترهيب والوعد على الاحسان بالوعيد على الكفر والعصيان وهو عام يتناول جميع
الامم يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم اي لا تمنعوا انفسكم ما طاب
ولذ من الحلال كمنع التحريم ولا تقولوا حرمناها على انفسنا مبالغة منكم في العزم على تركها تزهدا منكم
وتقشفا روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم وصف القيامة لاصحابه يوما فبالغ واشبع الكلام في
الانذار فرقوا واجتمعوا في بيت عثمان بن مظعون واتفقوا على ان لا يزالوا صائمين قائمين وان لا يناموا
على الفرش ولا ياكلوا اللحم ولا يقربوا النساء والطيب ويرفضوا الدنيا ويلبسوا المسوح ويسيحوا
في الارض ويجبوا مذاكيرهم فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لهم اني لم اومر بذلك
ان لانفسكم عليكم حقا فصوموا وافطروا وقوموا وناموا فاني اقوم وانام واصوم وافطر واكل
اللحم والدسم واتي النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني فنزلت وروي ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم كان ياكل الدجاج والفالوذ وكان يعجبه الحلواء والعسل وقال ان المؤمن حلو
يحب الحلاوة وعن ابن مسعود ان رجلا قال له اني حرمت الفراش فتلا هذه الآية وقال نم على فراشك
وكفر عن يمينك وعن الحسن انه دعي الى طعام ومعه فرقد السبخي واصحابه فقعدوا على
المائدة وعليها الالوان من الدجاج المسمن والفالوذ فاعتزل فرقد ناحية فسأل الحسن أهو
صائم قالوا لا ولكنه يكره هذه الالوان فاقبل الحسن عليه وقال يا فريقد اترى لعاب النحل
بلباب البر بخالص السمن يعيبه مسلم وعنه انه قيل له فلان لا ياكل الفالوذ ويقول لا اؤدي
شكره قال أفيشرب الماء البارد قيل نعم قال انه جاهل ان نعمة الله عليه في الماء البارد اكثر
من نعمته عليه في الفالوذ وعنه ان الله تعالى ادب عباده فاحسن ادبهم بقوله لينفق ذو سعة
من سعته ما عاب الله قوما وسع عليهم الدنيا فتنعموا واطاعوا ولا عذر قوما زواها عنهم فعصوه
ولا تعتدوا اي ولا تتعدوا حدود ما احل لكم الى ما حرم عليكم او ومعناه ولا تسرفوا في تناول
الطيبات او جعل تحريم الطيبات اعتداء وظلما فنهى عن الاعتداء ليدخل تحته النهي عن تحريمها إن
الله لا يحب المعتدين فلا تعرضوا انفسكم لسخطه وكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا اي من
الوجوه الطيبة التي تسمى رزقا وقوله حلالا طيبا بيان لحالها لان الحرام ليس بطيب واتقوا الله

باصابة ما حرم عليكم وهو تأكيد للتوصية بما امر به وزاده توكيدا بقوله الذي أنتم به مؤمنون
لان الايمان يوجب التقوى والانتهاء الى ما امر به وعما نهي عنه لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم
اللغو في اليمين هو الساقط الذي لا يتعلق به حكم واختلف فيه فعن عائشة انها سئلت عنه فقالت
هو قول الرجل لا والله وبلى والله وهو رأي الشافعي وعن مجاهد هو الرجل يحلف على الشيء يظن انه
كذلك وليس كما ظن وهو قول ح وهو مذهب اصحابنا ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الأيمان اي بتعقيد
الايمان وهو توثيقها بالقصد والنية والمعنى ولكن يؤاخذكم بالكفارة بما عقدتم الايمان اذا حنثتم
فحذف وقت المؤاخذة لانه كان معلوما عندهم فكفارته اي فكفارة نكثه والكفارة ما يكفر الخطيئة
اي يسترها إطعام عشرة مساكين من أوسط ما تطعمون أهليكم اي من اقصده لان منهم من يسرف في
اطعام اهله ومنهم من يقتر وهو عند ابي ح نصف صاع من بر او صاع من غيره لكل مسكين او يغديهم ويعشيهم
وهو مذهب اصحابنا وعند ش ربع صاع من كل جنس ملكا لا اباحة أو كسوتهم الكسوة
ثوب يغطي العورة وعن ابن عمر ازار وقميص ورداء او كساء وعن مجاهد ثوب جامع وعن الحسن ثوبان
ابيضان ومذهب اصحابنا ان الكسوة ما يستر جميع البدن او اكثره اما ثوب سائر او قميص او كساء ولا
تجزئ عمامة وحدها ولا سراويل وحده أو تحرير رقبة اي اعتاقها وادخالها في حكم الاحرار
وشرط ش الايمان قياسا على كفارة القتل واباح واصل وعبد جرير اخراج الرقبة الكافرة في كل
كفارة سوى القتل ومذهب اصحابنا ان الايمان ليس بشرط لان الآية لم تفصل ومعنى او التخيير
وايجاب احدى الكفارات على الاطلاق بايها اخذ المكفر فقد اصاب فمن لم يجد احدها
الاشياء لفقر او كونه فصيام ثلاثة أيام متتابعات عند ح وهو مذهب اصحابنا بقراءة ابي وابن مسعود
ثلاثة ايام متتابعات وعن مجاهد ومالك وش انه مخير ذلك المذكور كفارة أيمانكم إذا حلفتم
المعنى اذا حلفتم وحنثتم فترك ذكر الحنث للعلم بان الكفارة انما تجب بالحنث في الحلف لا بنفس الحلف
والتكفير قبل الحنث لا يجوز عند ح وهو مذهب اصحابنا وعند ش يجوز بالمال اذا لم يعص
الحانث واحفظوا أيمانكم فبروا فيها ولا تحنثوا يعني الايمان التي الحنث فيها معصية
وقيل احفظوها كيف حلفتم بها ولا تنسوها تهاونا بها كذلك اي مثل ذلك البيان يبين الله
لكم آياته اعلام شريعته واحكامه لعلكم تعقلون نعمه فيما يعلمكم ويسهل عليكم المخرج منه
يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه
لعلكم تفلحون هذه آية تحريم الخمر وهي التي خصت بتحريمها ودعت الى اجتنابها وما عداها من آية البقرة
وآية الصلاة في النساء وآية النحل فليس فيهن تحريم وسبب هذه الآية المحرمة ان عتبان بن مالك
دعا قوما فيهم سعد بن ابي وقاص فلما سكروا وافتخروا وتناشدوا وانشد سعد شعرا فيه هجاء
الانصار فضربه انصاري بلحي بعير فشجه فشكا الى رسول الله صلى الله عليه وآله فقال عمر اللهم

من لنا في الخمر بيانا شافيا فنزلت هذه الى قوله فهل انتم منتهون فقال عمر انتهينا يا رب والميسر
القمار وقد تقدم ذكره وصفته والانصاب النصب وهي اصنام كانوا ينصبونها حول البيت
يتقربون بعبادتها والذبح عليها والازلام هي السهام التي كانوا يستقسمون بها ما يعزمون عليه من سفر
ونكاح وغيرها لك وقد تقدم اول هذه السورة والرجس يطلق على الغراب وعلى النجس وسمي هذه
الاشياء رجسا اي عدا انما لانها تودي اليه **قال رضي الله عنه** وقد اكد الله تحريم الخمر
والميسر بوجوه من التاكيد منها تصديره الكلام بانما لانها للتاكيد والحصر كانه قيل ما هما الا رجس
ومنها انه قرنهما بعبادة الاصنام وهي الانصاب ومنه قوله عليه السلام شارب الخمر كعابد الوثن
ومنها انه جعلهما نفس الرجس ومنها انه جعلهما من عمل الشيطان والشيطان لا ياتي منه الا الشر
الخالص ومنها انه امر بالاجتناب ومنها انه جعل الاجتناب من الفلاح ومنها انه ذكر ما ينتج
منهما من التعادي والتباغض بين اصحاب الخمر والميسر وما يؤديان اليه من الصد عن ذكر الله وعن
المحافظة على اوقات الصلوة إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي
الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ افردهما بالذكر ليرى ان المقصود بالذكر الخمر والميسر لان الخطاب للمؤمنين
فهاهم عما كانوا يتعاطونه من شرب الخمر واللعب بالميسر واظهار ان ذكر جميعا من اعمال الجاهلية
واهل الشرك توجب اجتنابه كله فكانه لا فرق بين من عبد صنما او اشرك بالله وبين من شرب خمرا
او قامر وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ اي يشغلكم عن كل ذكر ويصرفكم عن كل خير وَعَنِ الصَّلَوٰةِ يعني
وعن الصلوة خصوصا اعلاما بفضلها وقوله فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ من ابلغ ما ينهى به كانه قيل
قد تلي عليكم ما فيهما من انواع الصوارف والموانع فهل انتم مع هذه الصوارف منتهون ام انتم على
ما كنتم عليه كان لم توعظوا ولم تزجروا وَأَطِيعُوا اللَّهَ فيما كلفكم من مضا الحكم في الدين
والانتهاء عن الخمر وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فيما بلغ اليكم وَاحْذَرُوا اي كونوا حذرين خاشين لان الحذر
يدعوا الى اتقاء كل سيئة وعمل كل حسنة او يراد واحذروا ما عليكم في الخمر والميسر او في ترك طاعة الله
والرسول فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ **المغى** فاعلموا انكم لم تضروا
بتوليكم الرسول لانه ما كلف الا البلاغ المبين بالايات وانما ضررتم انفسكم حين اعرضتم عما كلفتموه
لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا رفع الله الجناح عن المؤمنين وهو
الاثم في اي شي طعموه من مستلذات المطاعم ومشتهياتها إِذَا مَا اتَّقَوْا ما حرم عليهم منها وَآمَنُوا
وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ اي وثبتوا على الايمان والعمل الصالح وازدادوه ثُمَّ اتَّقَوْا وَآمَنُوا يعني ثم ثبتوا
على التقوى والايمان ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا يعني ثم ثبتوا على اتقاء المعاصي واحسنوا اعمالهم واحسنوا
الى الناس واثرهم عارفهم بما اسر الطيبات وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ اي يرتضيهم الناس والرضى عنهم

وقيل لما نزل تحريم الخمر قالت الصحابة يا رسول الله فكيف باخواننا الذين ماتوا وهم يشربون الخمر ويأكلون
مال الميسر فنزلت على سبيل المدح لهم والاعلام بانه لا جناح عليهم فيما طعموه من المباحات قبل النهي
عنها يعني ان اولئك كانوا على هذه الصفة فهو ثنا عليهم وحمد لاحوالهم في الايمان والتقوى والاحسان
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَيَبْلُوَنَّكُمُ اللَّهُ بِشَيْءٍ مِنَ الصَّيْدِ تَنَالُهُ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ **نزلت** هذه الاية عام
الحديبية ابتلاهم الله بالصيد وهم محرمون وكثر حتى كان يغشاهم في رحالهم فيتمكنون من صيده
اخذا بايديهم وطعنا برماحهم لِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ اي ليتميز من يخاف عقاب الله وهو
غائب منتظر في الاخرة فيتقي الصيد ممن لا يخافه فيقدم عليه فَمَنِ اعْتَدَىٰ فصاد من الصيد بَعْدَ ذَٰلِكَ
الابتلاء فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ اي فالوعيد لاحق به ومعنى التقليل والتصغير في قوله بشي من الصيد ليعلم
انه ليس بفتنة من الفتن العظام التي يدحض عندها اقدام الثابتين كالابتلاء ببذل الارواح والاموال
وانما هو شيء مما ابتلي به اهل ايلة من صيد السمك وانهم اذا لم يثبتوا عنده فكيف ثباتهم عند ما هو اشد
منه يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ اي وانتم محرمون وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا التعمد
ان يقتله وهو ذاكر لاحرامه او عالم انما يقتله مما يحرم عليه قتله فان قتله وهو ناس لاحرامه او رمى
صيدا وهو يظن انه ليس بصيد فاذا هو صيد او قصد برميه غير صيد فعدل السهم عن رميته فاصاب
صيدا فهو مخطي ومحظورات الاحرام يستوي فيها العمد والخطا لكن شرط التعمد في الاية لا يجاوز فيمن
تعمد فقد روي انهم انه عرض لهم في عمرة الحديبية حمار وحش فحمل عليه ابو اليسر فطعنه برمحه فقتله
فقيل انك قتلت الصيد وانت محرم فنزلت وعن الزهري نزل الكتاب بالعمد ووردت السنة بالخطا وعن
سعيد بن جبير لا ارى في الخطا شيئا اخذا باشتراط العمد في الاية وهو مذهب امامنا علي وكذلك اذا قتل
الصيد متعمدا وهو ناس لاحرامه لزمه الجزاء لان التعمد قد حصل فَجَزَاءٌ مِثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ اي فعليه جزاء
مماثل لما قتل من الصيد وعند ح قيمة للصيد يقوم حيث صيد فان بلغت قيمته ثمن هدي خير بين ان يهدي
من النعم ما قيمته قيمة الصيد وبين ان يشتري بقيمته طعاما فيعطي كل مسكين نصف صاع من بر او صاعا
من غيره وان شاء صام عن كل مسكين يوما فان فضل ما لا يبلغ طعام مسكين صام عنه يوما او تصدق به
وعند محمد وش مثله نظيره من النعم فان لم يوجد له نظير من النعم عدل الى القيمة ومذهبنا ما نختر
ايدا والمقصود من المماثلة مماثلة الخلقة دون القيمة ففي النعامة بدنة وفي حمار الوحش بقرة وفي
الظبي شاة وفي الضبع كبش واذا كان الصيد مما لا مثل له في الخلقة وجبت القيمة التي هي مثل في المعنى
يَحْكُمُ بِهِ اي بمثل ما قتل ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ اي حكمان عدلان من المسلمين ينظران الى اشبه
الاشياء به من النعم فيحكمان به قالوا وفيه دليل على ان المثل القيمة لان التقويم مما يحتاج الى النظر
والاجتهاد دون الاشيا المشاهدة هَدْيًا بَالِغَ الْكَعْبَةِ معنى بلوغه الكعبة ان يذبح بالحرم
فاما التصدق به فحيث شئت عند ح وعند ش في الحرم ومذهبنا ان موضع الذبح والتصدق والجزاء

وهو الحرم في كل ما يلزم من جزا او فدية أو كفارة طعام مساكين عطف على جزاء والواجب عليه كفارة
والمعنى ان عليه بدل الجزاء الذي من النعم بان يقوم ثم يجعل قيمته طعاما ويتصدق به هذا مذهب ابائنا
ولا يتصدق به الا في الحرم أو عدل ذلك صياما اي مثل ذلك الاطعام صياما والعدل ما عادل الشي
من غير جنسه كالصوم والاطعام وهو بمعنى المقدر والخيار في ذلك الى قاتل الصيد عند ابي حنيفة وهو
مذهب ابائنا عليهم السلام وعند محمد الى الحكمين فان كان الجزاء الذي هو مثل الصيد بدنة فاختار العدول الى
الاطعام اطعم مائة مسكين وان احب العدول الى الصيام صام مائة يوم وان كان الجزاء بقرة فالاطعام
اطعام سبعين مسكينا والصيام صيام سبعين يوما وان كان الجزاء شاة اطعم عشرة مساكين او صام عشرة ايام
ليذوق وبال أمره اي على القاتل للصيد ان يجازي او يكفر ليذوق سوء عاقبة هتكه لحرمة
الاحرام والوبال المكروه والضرر الذي ينال في العاقبة من عمل سوء لثقله عليه عفا الله عما سلف
اي عما مضى لكم من الصيد في حال الاحرام قبل ان تراجعوا رسول الله صلى الله عليه وآله وتسألوه عن
جوازه وقيل عما سلف لكم في الجاهلية لانهم كانوا متعبدين بشرائع من قبلهم وكان الصيد فيها
محرما ومن عاد الى قتل الصيد وهو محرم بعد النهي عنه فينتقم الله منه اي ينتقم منه
ويعاقبه في الآخرة واختلف في وجوب الكفارة على العائد فعن عطاء وابراهيم وسعيد بن جبير والحسن
وجوبها وهو مذهب ابائنا عليهم السلام وعليه عامة العلماء وعن ابن عباس وشريح لا كفارة عليه اخذا
بالظاهر وانه لم يذكر الكفارة والله عزيز غالب لا يغالب ذو انتقام اي شديد المعاقبة
للعائد أحل لكم صيد البحر اي ما صيد منه مما يؤكل ومما لا يؤكل وطعامه اي وما يطعم من صيده
ومعناه احل لكم الانتفاع بجميع ما يصطاد في البحر واحل لكم اكل المأكول منه وهو السمك وحده عند
ابي حنيفة وعند ابن ابي ليلى ما يصطاد فيه جائز الا انه عنده احل لكم صيد حيوان البحر ان يطعموه
ومذهب ابائنا ان المأكول من صيد البحر جميع اجناس السمك الا الجري وهو جنس من الماء والمارماهي وهي
حية الماء والطافي فوقه وقيل طعامه ما لفظه البحر او جزر عنه الماء قال ابن عباس وغيره ويريد
المملوح وسمي طعاما لانه يدخر ليطعم فصار كالمقتات من الاغذية متاعا لكم وللسيارة يعني احل لكم
طعامه تمتيعا للمقيمين منكم يأكلونه طريا وللسيارة منكم وهم المسافرون يتزودونه قديدا كما تزود موسى
عليه السلام الحوت في مسيره الى الخضر وحرم عليكم صيد البر اي ما صيد فيه وهو ما يفرخ فيه وان كان
يعيش في الماء في بعض الاوقات كطير الماء عند ابي حنيفة واختلف فيه فمنهم من حرم على المحرم كل شيء يقع
عليه اسم الصيد وهو قول عمر وابن عباس وعن ابي هريرة وعطاء وابن جبير انهم اجازوا للمحرم اكل ما
صاده الحلال وان صاده لاجله اذا لم يدل عليه ولم يشر اليه وكذلك ما ذبحه قبل احرامه وهو
رأي ابي حنيفة واصحابه وعند مالك والشافعي لا يباح له ما صيد لاجله ومذهب ابائنا ان المعتبر في تحريم الصيد
ما كان اصله صيدا ولا اعتبار بما توحش من الانعام والطيور الاهلية ولا بما استأنس من الصيود

الوحشية وكذلك لا فرق بين ما صاده الحلال والحرام ولا بين ما صيد لاجله او لاجل غيره ولا بين ما
ذبحه قبل احرامه او بعده في تحريم الكل على المحرم ما دمتم حرما اي مدة بقائكم على الاحرام
واتقوا الله بالاجتناب لما حرم عليكم الذي اليه تحشرون تجمعون في الآخرة للجزاء في الحساب
والتفريط في الواجبات جعل الله الكعبة البيت الحرام البيت اسم علم للكعبة وهو عطف بيان
اما على جهة المدح بانها بيت الله الذي عظمت حرمته قياما للناس يعني انعاشا لهم في
امر دينهم ودنياهم ونهوضا الى اغراضهم ومقاصدهم في معاشهم ومعادهم لما يتم لهم من امر حجهم
وعمرتهم وتجاراتهم وانواع منافعهم وسعادتهم في العاجلة والآجلة والشهر الحرام
اي العظيم الحرمة عند الله لانه يؤدى فيه الحج وهو ذو الحجة وقيل عني به جنس الاشهر الحرم
والهدي والقلائد اراد والمقلد من الهدي خصوصا وهي البدن لان الثواب فيها اكثر
والتقليد على مذهب ابائنا سنة في البدنة والبقرة والشاة ولكن البدن اعظم ما يهدى وابلغ مما
عليه فخصت بالذكر والمعنى ان الله جعل الشهر الحرام والهدي والقلائد قياما للناس ايضا بما يقوم
به مصالحهم في امر دينهم ودنياهم لانها مما يكمل به الحج الذي فيه صلاحهم ذلك لتعلموا اي ذلك الله
من جعل الكعبة قياما للناس ومن حفظ حرمة الاحرام بترك الصيد وغيره لتعلموا أن الله يعلم ما
في السموات وما في الأرض عالم بما يصلحكم وينعشكم مما امركم به وكلفكم وأن الله بكل
شيء عليم لا يخفى عليه خافية اعلموا أن الله شديد العقاب لمن انتهك محارمه وأن الله غفور رحيم
لمن حافظ عليها ما على الرسول الا البلاغ هذا تشديد في ايجاب القيام بما امر به واعلام
بان الرسول قد فرغ مما وجب عليه من التبليغ وقامت عليكم الحجة ولزمتكم الطاعة فلا عذر لكم في
التفريط والله يعلم ما تبدون اي ما تظهرون من الطاعة وما تكتمون اي ما تضمرون
من المخالفة فيجازيكم بحسب ذلك قل لا يستوي الخبيث والطيب ولو أعجبك كثرة الخبيث الخبيث
والطيب عام في حلال المال وحرامه وصالح العمل وطالحه وصحيح المذاهب وفاسدها وجيد الناس
ورديهم والمعنى ان الخبيث والطيب لا يستويان عند الله وفرق بينهما متفاوت وان كان
كثيرا عندكم فلا تعجبوا بكثرة الخبيث حتى تختاروه لكثرته على الطيب القليل فان ما تتوهمونه في الكثرة
من الفضل لا يوازي النقصان في الخبيث وفوات الطيب فاتقوا الله يا أولي الألباب وآثروا الطيب
وان قل على الخبيث وان كثر لعلكم تفلحون بايثار الطيب قال رضي الله عنه
ومن هذه الآية ان يكبح بها وجوه المجبرة اذا افتخروا بالكثرة ● قال
وكان من شعر ان نعد الكثرة ● ولا نرى من سعد وقا ولا نضرا ●
لا يدهمنك من دهمائهم عدد ● فان جلهم بل كلهم بقر ●
يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم روي ان سراقة بن مالك او عكاشة

وفي رواية الا مع [illegible]

من محصن قال يا رسول الله أفي كل عام فأعرض عنه رسول الله صلى الله عليه وآله حتى أعاد
مسألته ثلاث مرات فقال صلى الله عليه وآله ويحك وما يؤمنك أن أقول نعم والله لو قلت نعم لوجبت
ولو وجبت ما استطعتم ولو تركتم لكفرتم فاتركوني ما تركتكم فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم
واختلافهم على أنبيائهم فإذا أمرتكم بأمر فخذوا منه ما استطعتم وإذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه
والمعنى لا تكثروا مسألة رسول الله عن أشياء من التكاليف إن أبداها لكم وكلفكم إياها شقت عليكم
وندمتم على السؤال عنها ومعنى تبد لكم تظهر لكم حكمها وتسؤكم تغمكم لشقها عليكم **وإن تسألوا
عنها** أي عن هذه التكاليف الصعبة **حين ينزل القرآن** أي في زمان الوحي وهو ما دام
الرسول بين أظهركم **تبد لكم** أي تظهر لكم تلك التكاليف الصعبة التي تسؤكم فتعرضوا أنفسكم
لغضب الله بالتفريط فيها **عفا الله عنها** أي عفا الله عنكم عما سلف من مسألتكم فلا تعودوا إلى
مثلها **والله غفور حليم** لا يعاجلكم فيما تفرطون منكم بعقوبته **قد سألها قوم** يعني قد سأل
هذه المسألة قوم **من قبلكم** يعني من الأولين **ثم أصبحوا بها** أي بسببها **كافرين**
وذلك أن بني إسرائيل كانوا يستفتون أنبياءهم عن أشياء فإذا أمروا بها تركوها فهلكوا **ما جعل الله
من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام** كان أهل الجاهلية إذا نتجت الناقة خمسة أبطن
آخرها ذكر بحروا أذنها أي شقوها وحرموا ركوبها ولا تطرد عن ماء ولا مرعى وإذا لقيها المعيي
لم يركبها واسمها البحيرة وكان الرجل يقول إذا قدمت من سفر أو برئت من مرض فناقتي سائبة
وجعلها كالبحيرة في تحريم الانتفاع بها وقيل كان الرجل إذا أعتق عبدا قال هو سائبة فلا عقل
بينهما ولا ميراث وإذا ولدت الشاة أنثى فهي لهم وإن ولدت ذكرا جعلوه لآلهتهم فإن ولدت ذكرا
وأنثى قالوا وصلت أخاها فلم يذبحوا الذكر لآلهتهم وإذا نتجت من صلب الفحل عشرة أبطن قالوا
قد حمى ظهره فلا يركب ولا يحمل عليه ولا يمنع من ماء ولا مرعى ومعنى ما جعل ما شرع ذلك ولا أمر
بالتبحير والتسييب وغير ذلك **ولكن الذين كفروا** أي ولكنهم بتحريمهم ما حرموا **يفترون
على الله الكذب** أي ينسبونه إلى الله قال قتادة كان هذا كله تشديدا شدده الشيطان على
أهل الجاهلية في أموالهم وأول من فعل ذلك عمرو بن لحي وفي الحديث رأيت عمرو بن لحي يجر قصبه في النار
وهو أول من غير دين إسماعيل ونصب الأوثان وسيب السائبة وبحر البحيرة ووصل الوصيلة وحمى
الحامي قال ابن عباس المراد بالذين كفروا عمرو ومن تبعه يقولون على الله الباطل في تحريم هذه الأنعام
وهم جعلوها بأنفسهم جهلا وعبادة **وأكثرهم لا يعقلون** فلا ينسبون التحريم إلى الله حتى
يعقلوا ولكنهم يقلدون في تحريمها كبارهم **وإذا قيل لهم تعالوا** أي أقبلوا في اتباع التحليل
والتحريم **إلى ما أنزل الله** في كتابه **وإلى الرسول** أي إلى ما قاله في سنته **قالوا
حسبنا** أي يكفينا وحسبنا عن ذلك **ما وجدنا عليه آباءنا** نقلدهم ونتبعهم في تحليل ما

أحلوا وتحريم ما حرموا **أولو كان آباؤهم لا يعلمون شيئا ولا يهتدون** فائدة الاستفهام الإنكار
عليهم وتقديره أيكفيهم ذلك ولو كان آباؤهم لا يعلمون شيئا ولا يهتدون والمعنى أن الاقتداء يصح
بالعالم المهتدي وإنما يعرف اهتداؤه إلى الصواب بالحجة الواضحة **يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم
لا يضركم من ضل إذا اهتديتم إلى الله مرجعكم جميعا فينبئكم بما كنتم تعملون** كان المؤمنون
تذهب أنفسهم حسرة على أهل الظلم والعناد ويتمنون دخولهم في الإسلام فقيل لهم عليكم أنفسكم
وما كلفتم من إصلاحها والمشي بها في طرق الهدى لا يضركم الضلال عن دينكم إذا كنتم مهتدين كما قال
الله لنبيه صلى الله عليه وآله فلا تذهب نفسك عليهم حسرات وكذلك من يتأسف على ما فيه الفسقة من
الفجور والمعاصي ولا يزال يذكر معاصيهم ومناكيرهم فهو مخاطب بهذه الآية وليس المراد ترك الأمر
بالمعروف والنهي عن المنكر فإن من تركهما مع القدرة عليهما فليس بمهتد وإنما هو من أعظم الضلال
الذين نبأهم قوله لا يضركم من ضل وعن ابن مسعود أنها قرئت عنده فقال إن هذا ليس بزمانها إنها اليوم
مقبولة ولكن يوشك أن يأتي زمان تأمرون فلا يقبل منكم فحينئذ عليكم أنفسكم فهي على هذا تسلية
لمن يأمر وينهى فلا يقبل منه وبسط لعذره وعنه ليس هذا زمان تأويلها قيل فمتى قال إذا جعل دونها
السيف والسوط والسجن وعن أبي ثعلبة الخشني أنه سئل عن ذلك فقال للسائل سألت عنها خبيرا
سألت رسول الله صلى الله عليه وآله عنها فقال ائتمروا بالمعروف وتناهوا عن المنكر حتى إذا رأيت
شحا مطاعا وهوى متبعا ودنيا مؤثرة وإعجاب كل ذي رأي برأيه فعليك نفسك ودع أمر العوام وإن
من ورائكم أياما الصبر فيهن كقبض على الجمر للعامل منهم مثل أجر خمسين رجلا يعملون مثل عمله
وقيل كان الرجل إذا أسلم قال له والده سفهت أباك ولاموه فنزلت **يا أيها الذين آمنوا شهادة بينكم
إذا حضر أحدكم الموت حين الوصية اثنان** المعنى فيما فرض عليكم أن يشهد اثنان وحضور الموت
مشارفته وظهور أماراته وقوله حين الوصية بدل من قوله إذا حضر أي شأن له بيان الوقت الذي
يجب فيه الإشهاد اثنين وهو حين الوصية وفيه دليل على وجوبها وأنه لا ينبغي للمسلم أن يتهاون بها وقد
أجمعنا أن الوصية واجبة على من حضرته الوفاة إذا كان عليه حق فالوصية مستحبة لأجل ثواب الوصية
وللمحمدة بما يفعل عنده بعده **ذوا عدل منكم** أي من المسلمين أو أقاربكم **أو آخران من غيركم**
من الأجانب **إن أنتم ضربتم في الأرض** يعني إن وقع الموت في السفر ولم يكن معكم أحد من أقاربكم
فاستشهدوا أجنبيين على الوصية وجعل الأقارب أولى لأنهم أعلم بحال الميت وبما هو أصلح وهم
له أنصح وقيل منكم من المسلمين ومن غيركم من أهل الذمة وقيل هو منسوخ لا يجوز شهادة الذمي على
المسلم وهو مذهب أصحابنا وإنما جاز في أول الإسلام لقلة المسلمين وتعذر وجودهم في حال السفر **فأصابتكم
مصيبة الموت** المصيبة تعم كل مصيبة موت أو غيره روي أنه خرج بديل بن
أبي مريم مولى عمرو بن العاص وكان من المهاجرين مع عدي بن زيد وتميم بن أوس وكانا نصرانيين

وله شيء من المال ويجب الإشهاد وإن لم يكن له مال فيستحب لجواز أن يرجع عنه أحد فلا [illegible] وإن لم يكن عليه حق

تجارا الى الشام فمرض بديل وكتب كتابا فيه ما معه وطرحه في متاعه ولم يخبر به صاحبيه واوصى
ان يدفعا متاعه الى اهله ومات ففتشا متاعه فاخذا اناء من فضة فيه ثلاثمائة مثقال منقوشا
بالذهب فغيباه فاصاب اهل بديل الصحيفة فطالبوهما بالاناء فجحدا فرفعوا الى رسول الله صلى
الله عليه وآله فنزلت **تحبسونهما** تقفونهما للحلف **من بعد الصلوة** اي من بعد صلوة العصر
لانه وقت اجتماع الناس وعن الحسن بعد العصر او الظهر لان اهل الحجاز كانوا يقعدون للحكومة
بعدهما وفي حديث بديل انها لما نزلت صلى رسول الله صلى الله عليه وآله العصر ودعا بعدي وتميم
فاستحلفهما عند المنبر فحلفا ثم وجد الاناء بمكة فقالوا انا اشتريناه من تميم وعدي وقيل هي
صلوة اهل الذمة وهم يعظمون صلوة العصر ويجتنبون في ذلك الوقت الا الكذب والحلف
الكاذب **فيقسمان بالله** اي يحلفان وقوله **ان ارتبتم** اعتراض فاصل بين القسم والمقسم
عليه والمعنى ان ارتبتم في شانهما واتهمتموهما فحلفوهما وقيل ان اريد بهما الشاهدان فقد
نسخ تحليف الشاهدين وان اريد بهما الوصيان فليس بمنسوخ تحليفهما وفي تحليف الشاهد خلاف
بين اهل مذهبنا فالذي اختاره الهادي عليه السلام وعن علي عليه السلام انه كان يحلف الشاهد
والراوي اذا اتهمهما **لا نشتري به** اي بالقسم **ثمنا** عرضا من الدنيا يسيرا اي لا نحلف
بالله كاذبين **ولو كان** من يقسم له **ذا قربى** اي قريبا منا على معنى ان هذه عادتهم في صدقهم
وامانتهم وانهم داخلون تحت قوله تعالى كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على انفسكم
او الوالدين والاقربين **ولا نكتم شهادة الله** اي لا نخفي الشهادة التي امر الله بحفظها
وتعظيمها **انا اذا** اي وكتمناها **لمن الآثمين** اي المستحقين للاثم كقوله ومن يكتمها
فانه آثم قلبه **فان عثر** اي فان اطلع **على انهما استحقا اثما** اي فعلا ما اوجب اثما
واستوجبا ان يقال انهما لمن الآثمين **فآخران** اي فشاهدان آخران **يقومان مقامهما**
من الذين استحق عليهم اي استحق عليهم الاثم ومعناه من الذين جني عليهم وهم الميت واقاربه وفي
قصة بديل انه لما ظهرت خيانة الرجلين النصرانيين حلف رجلان من ورثته انه اناء
صاحبهما وهو معنى قوله **الاوليان** اي الاقربان الى الميت **فيقسمان بالله** اي يحلفان
بالله **لشهادتنا** اي ان شهادتنا **احق من شهادتهما** يعني ليميننا احق من يمينهما
وتسمية اليمين هنا شهادة لانها كالشهادة على من يحلف انه كذا كذا قاله ابن عباس والاوليان
الاحقان بالشهادة لقرابتهما ومعرفتهما كانه قيل من الآخران فقال الاوليان بالشهادة
وفي الاوليان قراءات تؤول الى معنى واحد وهو تحليف الورثة الذين جني عليهم وتحليفهم
هو على جهة رد اليمين عليهم لان اصل اليمين على المدعى عليه ولا يمين على المدعي الا بالرد
وهو حجة لمذهبنا بانا لا نهم يرون رد اليمين على المدعي والوجه واضح لا يرون ذلك فوجهه عندهم

ان الورثة فقد ادعوا على النصرانيين انهما اختانا فحلفا فلما ظهر كذبهما ادعيا الشراء فيما كتما
فانكر الورثة فكانت اليمين عليهم لانكارهم الشراء **وما اعتدينا** فيما قلنا من ان شهادتنا احق من شهادتهما
انا اذا اي لو اعتدينا بالحلف **لمن الظالمين** ولما نزلت هذه الاية قام عمرو بن العاص والمطلب
بن ابي وداعة السهميان فحلفا بالله ان النصرانيين خانا وكذبا فدفع الاناء اليهما والى اولياء الميت
وذلك لان عديا وتميما قد صارا مدعيين لانهما ادعيا شراء الاناء ولم يجدا على ذلك بينة توجه على
ورثة الميت اليمين وهذا احسن ما حملت عليه الاية ولا نسخ فيها **ذلك** يعني الذي تقدم من بيان
الحكم وهو تحليف السابقين بعد الصلوة ثم تحليف اللاحقين **ادنى** اي اقرب **ان يأتوا بالشهادة**
على وجهها يعني ان يأتي الشهداء على مثل تلك الحادثة بالشهادة على وجهها **او يخافوا**
ان ترد ايمان بعد ايمانهم اي ان تعاد ايمان شهود آخرين بعد ايمانهم فيفتضحوا بظهور
كذبهم كما جرى في قصة بديل والاتيان بالشهادة على وجهها الا يحلفوا كاذبين **واتقوا الله**
بامتثال ما امركم **واسمعوا** سمع اجابة وقبول **والله لا يهدي القوم الفاسقين** اي الخارجين عن حدود
الشريعة اي لا يلطف بهم لانهم لا يقبلون اللطف **يوم يجمع الله الرسل** يجمعهم يوم القيمة
للسؤال **فيقول** لهم **ماذا اجبتم** بعد بره اي اجابة اجبتم اجابة اقرار ام اجابة انكار
ولو اريد الجواب لقيل بماذا اجبتم **قال رضي الله عنه** ومعنى سؤالهم وهو عالم
توبيخ قومهم كسؤال الموؤدة توبيخا للوائد ولذلك **قالوا لا علم لنا** وقد علموا بما اجيبوا به
لكن لما كان الغرض بالسؤال توبيخ اعدائهم وكلوا الامر الى علمه واحاطته بما ابتلوا به منهم
وكابدوا من سوء اجابتهم اظهارا للتشكي واللجأ الى الله في الانتقام منهم وذلك اعظم على الكفرة
واجلب لحسرتهم لتحتم عليهم توبيخ الله وتشكي انبيائه منهم وقيل يذهلون عن الجواب من هول
ذلك اليوم ثم يجيبون بعدما ترجع اليهم عقولهم بالشهادة على اممهم وقيل معناه علمنا ساقط
مع علمك **انك انت علام الغيوب** اي الخفيات ومن علم الخفيات لم تخف عليه الظواهر التي منها
اجابة الامم لرسلهم فكانه لا علم لنا الى جنب علمك وقيل لا علم لنا بما كان منهم بعدنا لان الحكم
للخاتمة وكيف يخفى عليهم امرهم وقد رأوهم سود الوجوه زرقا والعيون هوى **اذ قال الله يا**
عيسى بن مريم اذكر نعمتي عليك اي اشكر ما انعمت به عليك من النبوة ورفع الشأن **وعلى والدتك**
بما انعم عليها من ضروب النعم وانها ولدت من غير ذكر ثم فضل تلك النعم فقال **اذ ايدتك**
اي قويتك **بروح القدس** اي بالكلام الذي يحيى به الدين شبهه بالروح الذي يحيى به الانسان
واضافه الى القدس لانه سبب الطهر من اوضار الآثام والدليل عليه قوله **تكلم الناس**
في المهد اي تكلمهم طفلا **وكهلا** اي لا تتفاوت كلامك في حال الطفولية وحال
الكهولة وقت كمال العقل وبلوغ الاشد والحد الذي يستنبأ فيه الانبياء **واذ علمتك الكتاب**

وقيل هو الخط والكتابة والحكمة يعني العلم والشريعة والتورية وهي كتاب موسى والانجيل
وهو الذي انزل عليه وخص التورية والانجيل بالذكر وقد تناولهما الكتاب لان المراد بهما خص
الكتاب قال ابن عباس بعثه الله وهو ابن ثلاثين سنة ولبث ثلاثين شهرا ثم رفع واذ تخلق من
الطين اي تقدر وتصور منه كهيئة الطير اي مثل صورته باذني بتسهيلي فتنفخ فيها اي في
الصورة المثلة فتكون الصورة المقدرة طيرا باذني بتسهيلي وارادتي كانها كانت تحيى
سمعته فتكون طائرا حيا وتبرئ الاكمه اي تصح بصره وهو الذي ولد اعمى والابرص باذني
بتسهيلي واذ تخرج الموتى باذني كان يخرجهم من القبور وبعضهم قيل اخرج سام بن نوح ورجلين
وامرأة وجارية واذ كففت بني اسرائيل عنك يعني اليهود حين هموا بقتله فانجاه الله ورفعه الى
السماء قيل لما قال الله لعيسى عليه السلام اذكر نعمتي عليك كان يلبس الشعر ويأكل الشجر ولا يدخر شيئا
لغد يقول مع كل يوم رزقه لم يكن له بيت فيخرب ولا ولد فيموت اين ما امسى بات اذ جئتهم بالبينات
اي المعجزات فقال الذين كفروا يعني من اليهود ان هذا الا سحر مبين اي سحر لا شك فيه ۝
واذ اوحيت الى الحواريين امرتهم على السنة الرسل والحواريون هم اول من آمن بعيسى ان آمنوا
بي وبرسولي قالوا آمنا بالله ورسوله واشهد يا الله علينا واشهد لنا يا عيسى عند الله
باننا مسلمون مخلصون منقادون اذ قال الحواريون يا عيسى ابن مريم هل يستطيع ربك ان ينزل
علينا مائدة من السماء هذا يدل على انهم لم يصدقوا فيما حكى الله عنهم من الايمان لانه يعني هل يستطيع
ربك هل يقدر على ان ينزل مائدة فقولهم هذا يدل على انهم كانوا شاكين في اقتداره وكذلك
قول عيسى حيث قال اتقوا الله اي لا تشكوا في اقتداره ولا تتحكموا ما تشتهون من الآيات
فتهلكوا اذا عصيتموه بعدها ان كنتم مؤمنين اي ان كانت دعواكم للايمان صحيحة ويدل
على ان دعواهم للايمان كانت باطلة لان المؤمن لا يشك في اقتدار الله ولم يصفهم الله بالايمان
والاخلاص وانما حكى دعواهم وقوله هل يستطيع ربك كلام لا يرد مثله عن مؤمنين معظمين
لربهم والمائدة الخوان اذا كان عليه الطعام وهي من ماده اذا اعطاه ورفده قالوا نريد
ان نأكل منها اي نريد نزول المائدة لان نأكل منها ودعواهم لارادة الاكل منها عن
مادة كدعواهم الايمان وتطمئن قلوبنا اي تزداد سكوننا الى الايمان ونعلم ان قد صدقتنا
وعرفنا او صدقتنا في دعواك النبوة ونكون عليها على المائدة من الشاهدين اي نشهد
عليها عند الذين لم يحضروها من بني اسرائيل ونكون من الشاهدين لله بالوحدانية ولك بالنبوة
قال رضي الله عنه وكانت دعواهم لارادة ما ذكروا من هذه الاشياء صحيحة
ولكنهم يعنتوه بالسؤال وهم باقون على الكفر وانما سال عيسى واجابه ليلزموا الحجة بكمالها
ويرسل عليهم العذاب اذا خالفوا قال عيسى ابن مريم اللهم ربنا اللهم اصله

يا الله

يا الله حذف حرف النداء وعوضت منه الميم وربنا نداء ثان بمعنى يا ربنا انزل علينا مائدة من السماء
اي انزل ذلك الينا ونحن نراه تكون لنا عيدا اي يكون يوم نزولها لنا عيدا قيل هو يوم الاحد ومن ثم
اتخذه النصارى عيدا وقيل العيد السرور العائد ولذلك يقال يوم عيد فيكون معناه تكون لنا سرورا
لاولنا وآخرنا بدل من لنا اي لمن في زماننا من اهل ديننا ولمن يأتي بعدنا وقيل يأكل منها آخر الناس
كما يأكل منها اولهم وآية منك اي ومعجزة منك لنبيك وارزقنا وانت خير الرازقين ورزقا
قال الله اي جوابا لعيسى اني منزلها عليكم اي المائدة فمن يكفر بعد منكم اي بعد نزولها ۝
فاني اعذبه عذابا اي تعذيبا لا اعذبه معناه لا اعذب بذلك العذاب او التعذيب ولو اراد بالعذاب ما يعذب
به لقيل لا اعذب به احدا من العالمين اي من الناس العاصين روي ان عيسى عليه السلام
لما اراد الدعا لبس صوفا ثم قال اللهم انزل علينا مائدة فنزلت سفرة حمراء بين غمامتين غمامة فوقها واخرى
تحتها وهم ينظرون اليها حتى سقطت بين ايديهم فبكى عيسى عليه السلام وقال اللهم اجعلني من الشاكرين
اللهم اجعلها رحمة ولا تجعلها مثلة وعقوبة وقال لهم ليقم احسنكم عملا يكشف عنها ويذكر اسم الله عليه
ويأكل منها فقال شمعون رأس الحواريين انت اولى بذلك فقام عيسى وتوضأ وصلى وبكى ثم كشف المنديل
وقال بسم الله خير الرازقين فاذا سمكة مشوية بلا فلوس ولا شوك وهي تسيل دسما وعند رأسها ملح
وعند ذنبها خل وحولها من الوان البقول ما خلا الكراث واذا خمسة ارغفة على واحد منها زيتون
وعلى الثاني عسل وعلى الثالث سمن وعلى الرابع جبن وعلى الخامس قديد فقال شمعون يا روح الله امن طعام
الدنيا ام من طعام الآخرة قال ليس منهما ولكنه شيء اخترعه الله بالقدرة العالية كلوا ما سألتم واشكروا
يمددكم الله ويزدكم من فضله فقال الحواريون يا روح الله لو اريتنا من هذه الآية آية اخرى فقال يا سمكة
احيي باذن الله فاضطربت ثم قال لها عودي كما كنت فعادت مشوية ثم طارت المائدة وارتفعت وعصوا
بعدها فمسخوا قردة وخنازير روي انهم لما سمعوا بالشريطة وهي قوله فمن يكفر بعد
منكم فاني اعذبه قالوا لا نريد فلم تنزل وعن الحسن والله ما نزلت ولو نزلت لكانت عيدا الى يوم
القيمة لقوله وآخرنا والصحيح انها نزلت واذ قال الله يا عيسى ابن مريم
أأنت قلت للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله فائدة سؤال الله لعيسى
توبيخ النصارى على اشراكهم بعيسى وامه واتخاذهما الهين ليكذبهم المسيح وتقوم عليهم الحجة
قال سبحانك اي تنزيها لك من ان يكون لك شريك ما يكون لي ما ينبغي لي ان اقول ما
ليس لي بحق اي ان اقول قولا لا يحق لي ان اقوله ان كنت قلته فقد علمته لانه لا يخفى عليك علم شيء
تعلم ما في نفسي اي قلبي ولا اعلم ما في نفسك المعنى تعلم معلومي ولا اعلم معلومك ولكنه
سلك بالكلام مسلك المشاكلة وهو من فصيح الكلام وسنه وقيل في نفسك لقوله في نفسي انك

انت علام الغيوب اى الخفيات وهو تاكيد لما تقدم لان ما فى النفوس من جملة الغيوب ولان ما تعلمه علام
الغيوب لا ينتهى اليه علم احد ما قلت لهم الا ما امرتنى به ان اعبدوا الله اصله ما امرتهم الا
بما امرتنى به فوضع القول موضع الامر للنزول على حكم الادب الحسن لئلا يجعل نفسه وربه امرين
ودل على هذا ذكر ان بعده لانها مفسرة لما فى معنى القول والامر فى معناه ولا يقع بعد القول بل
يحذف ولم يعتد بلفظ القول هاهنا لانه فى غير موضعه ولا يصح ان تكون المفسرة ما قلت لهم الا ان
اعبدوا الله بمعنى ما قلت لهم الا عبادته لان العبادة لا تقال ربى وربكم مالكى ومالككم
وكنت عليهم شهيدا اى رقيبا مطلعا كالشاهد على المشهود عليه امنعهم من ان يقولوا ذلك الكل
وسد نوابه ما دمت فيهم اى مدة ما كنت مقيما فيهم فلما توفيتنى اى استوفيت اجلى
او اراد وفيتنى بالنوم عند الرفع الى السماء لانه رفع وهو نائم لئلا يفزع كنت انت الرقيب عليهم
اى المطلع عليهم تمنعهم من القول به بما نصبت لهم من الادلة وانزلت عليهم من البينات وارسلت
اليهم من الرسل وانت على كل شئ شهيد اى مطلع لا يغيب عنك امر ولا يخفى عليك خافية ○ ان
تعذبهم فانهم عبادك الذين عرفتهم عاصين جاحدين لآياتك مكذبين لانبيائك وان تغفر
لهم فانك انت العزيز اى القوى القادر على الثواب والعقاب الحكيم الذى لا يثيب ولا يعاقب
الا عن حكمة وصواب والمعنى ان عذبتهم عدلت لانهم احقاء بالعذاب وان غفرت لهم مع كفرهم لم تعدم
فى المغفرة وجه حكمة لان المغفرة حسنة لكل مجرم فى المعقول بل متى كان الجرم اعظم جرما كان العفو
عنه احسن والمغفرة لا تكون للكفار ولكن بنا الكلام على الشرط قال الله هذا يوم ينفع
الصادقين صدقهم تقديره هذا الذى ذكرناه من كلام عيسى واقع يوم ينفع الصادقين
صدقهم ومعناه ينفعهم الصدق المستمر فى دنياهم واخرتهم كما نفع عيسى صدقه وليس المراد صدقهم
فى الاخرة لان الاخرة ليست بدار عمل وهذا ورد فى معنى الشهادة لعيسى عليه السلام بالصدق فيما [illegible]
به يوم القيمة والصدق فى يوم القيمة وحده لا ينفع كما لا ينفع ابليس صدقه يوم القيمة حين قال
ان الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فاخلفتكم لانه كان فى الدنيا كاذبا واما عيسى فكان صادقا
فى الحيوة وبعد الممات فينفعه صدقه ثم وعد الصادقين الخلود فى الجنات فقال لهم جنات
تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا رضى الله عنهم ورضوا عنه اى رضى بصالح اعمالهم
ورضوا عنه بما اتاهم من ثوابهم ذلك يعنى الذى وعد واثابه الفوز العظيم الذى هو
الظفر الذى لا اعظم منه لله ملك السموات والارض اى السموات السبع والارضين السبع لا
مغالب له فيهن ولا راد لحكمته وما فيهن من العقلاء وغيرهم ومن للعقلاء لكن ما اعم منها
فهى يتناول الاجناس كلها فيدخل فيها العقلاء وهو على كل شئ قدير لا يعجزه شئ ○ كملت

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة الانعام مكية وهى مائة وخمس وستون

الحمد لله اى الثناء والشكر لله على كل فعل وبكل لسان الذى خلق السموات والارض اى صورهما
وخلقهما ودبرهما البناء قائمة بغير عمد والارض ساكنة بلا سند وجعل الظلمات والنور
جعل هنا بمعنى احدث وانشأ اى احدث الظلمات فيتعدى الى مفعول والى مفعولين كقوله
وجعلوا الملئكة الذين هم عباد الرحمن اناثا ويكون الضمير بمعنى صير والفرق بين الجعل والخلق
ان الخلق فيه معنى التقدير وهو التصوير والتحسين وفى الجعل معنى التضمين كانشاء شئ من شئ او تصيير
شئ شيئا كقوله وجعل منها زوجها وقوله وجعل الظلمات والنور لان الظلمات منشاة من الاجرام
من حيث انها منها والنور من النار وجمع الظلمات وافرد النور لان الظلمات مقتضاة من الاجرام
اما لانه اراد جنس النور فهو عام او لان الظلمات كثيرة لانه ما من جنس من اجناس الاجرام الا
وله ظل وظله هو الظلمة بخلاف النور فانه من جنس واحد وهو النار ثم الذين كفروا بربهم
يعدلون يشركون به غيره فيكفرون نعمته ويعبدون الحجارة والموات مع انها لا تخلق وثم
لاستبعاد ان يعدلوا به ما لا يقدر على شئ من نعمه كالاصنام التى عبدوها والمعنى انه خلق ما
خلق مما لا يقدر عليه احد سواه ثم هم يعدلون به ما لا يقدر على شئ منه هو الذى خلقكم من طين
يعنى خلق اباكم ادم من طين وتفرعتم عنه وحكم الفرع حكم الاصل وقيل ان الملك يأخذ من تربة
المكان الذى يدفن فيه ابن ادم فيبددها على النطفة فيخلق من التراب والنطفة معا ثم قضى
اجلا اى كتب اجلا وقدره وهو الموت واجل مسمى عنده وهو اجل القيمة وقيل الاجل
الاول ما بين ان يخلق الى ان يموت والثانى ما بين الموت والبعث وهو يسمى البرزخ وقيل الاول النوم
والثانى الموت وفى تقدم اجل على عنده تعظيم لشان الساعة كانه قيل واى اجل مسمى عنده
فلما اراد تعظيمه وتهويله وجب تقديمه ثم انتم تمترون تشكون فى وحدانيته ومعنى ثم
استبعاد لان يمتروا فيه بعدما ثبت انه محييهم ومميتهم وباعثهم وهو الله فى السموات
وفى الارض اى هو المعبود فيهما او المعروف بالالهية ويجوز ان يكون هذا اخبارا بانه الله
وبانه فى السموات والارض بمعنى انه عالم بما فيهما لا يخفى عليه منه شئ كان ذاته فيهما يعلم سركم
ما اخفيتم وجهركم ما اظهرتم وهذا كقوله لسعة علمه ويعلم ما تكسبون من الخير والشر
ويثيب عليه ويعاقب وما تأتيهم من آية من آيات ربهم من مزيدة للاستغراق ومن من آيات
للتبعيض يعنى وما يظهر لهم دليل قط من الادلة التى يجب فيها النظر والاستدلال والاعتبار الا كانوا
عنها معرضين تاركين للنظر لا يلتفتون اليه ولا يرفعون به راسا لقلة خوفهم وتدبرهم
للعواقب فقد كذبوا بالحق اى فقد كذبوا بما هو اعظم الايات وهو الحق لما جاءهم

يعني القرآن الذي تحدّوا به على تبالغهم في الفصاحة فعجزوا عن معارضته **فسوف يأتيهم**
أنباء ما كانوا به يستهزءون أي يأتيهم أخبار القرآن وأحواله بمعنى سيعلمون بأي شيء استهزءوا
وسيظهر لهم أنه لم يكن موضع استهزاء وذلك عند إرسال العذاب عليهم في الدنيا أو يوم القيمة
ألم يروا كم أهلكنا من قبلهم من قرن يعني ألم ير أهل مكة وفائدة الاستفهام تحقيق ما رأوا من
آثار المهلكين قبلهم والإنكار عليهم في الإعراض عن الاعتبار والقرن الأمة من الناس **مكنّاهم**
في الأرض ما لم نمكّن لكم المعنى لم نعط أهل مكة نحو ما أعطينا عادا وثمود وغيرهم من البسطة
في الأجسام والسعة في الأموال والتمكن في الدنيا **وأرسلنا السماء عليهم مدرارا** السماء هي المطر
لأن الماء ينزل منها إلى السحاب أو أراد بالسماء السحاب والمطر لأنه يسمى سماء والمدرار المغزار
وهو كثير الصب **وجعلنا الأنهار تجري من تحتهم** معنى جري الأنهار من تحتهم أنها تجري تحت
مساكنهم ودورهم **فأهلكناهم بذنوبهم** أي بسبب ذنوبهم **وأنشأنا من بعدهم قرنا**
آخرين الفائدة في ذلك الدلالة على أنه لا يتعاظمه أن يهلك قرنا ويخرب بلاده منهم وإنشاء
قرنا آخرين يعمر بهم ما خرب بإهلاكه ولكن وفيه غاية الإنذار والتخويف لأهل مكة
من مثل نحو عاقبة أولئك هم الذين أعظم منهم **ولو نزّلنا عليك كتابا في قرطاس** أي لو نزلنا
عليك كتابا مكتوبا في ورق **فلمسوه بأيديهم** يعني لم يقتصروا على الرؤية حتى لمسوه بأيديهم
والمعنى أنهم لو عاينوا ذلك معاينة ولصقوا أيديهم به **لقال الذين كفروا إن هذا إلا سحر مبين**
أي بيّن هيّنا وعنادا للحق بعد ظهوره وهذا إخبار من الله تعالى بأنهم ينفرون الدليل وإن
كان مدركا بالحس **وقالوا لولا أنزل عليه ملك** أي هلا أنزل عليه ملك يصدّقه ويكون
له معجزة **ولو أنزلنا** عليه **ملكا لقضي الأمر** أي لقضي أمر هلاكهم وفرغ منه **ثم لا ينظرون**
بعد نزوله طرفة عين لأن نزول الملك في صورته أعظم معجزة فإذا لم يؤمنوا لم يكن بد من إهلاكهم
كما أهلك أصحاب المائدة أو لأنه نزول الاختيار الذي هو قاعدة التكليف عند نزول الملك فيجب
إهلاكهم أو لأنهم إذا شاهدوا الملك في صورته الباهرة زهقت أرواحهم من هول ما يشاهدون
ومعنى ثم بعد ما بين قضاء الأمر وعدم الإنظار وجعل عدم الإنظار أشد من قضاء الأمر لأن مفاجأة
الشدة أشد من نفس الشدة **ولو جعلناه** أي ولو جعلنا الرسول ملكا كما طلبوا لأنهم كانوا
يقولون لولا أنزل على محمد ملك وتارة يقولون ما هذا إلا بشر مثلكم ولو شاء ربنا لأنزل ملائكة **لجعلناه**
رجلا أي لأرسلناه في صورة كما كان جبريل ينزل على رسول الله صلى الله عليه وآله في صورة دحية
الكلبي لأنهم لا يبقون مع صورة الملائكة في صورهم **وللبسنا عليهم ما يلبسون** أي ولخلطنا
عليهم ما يخلطون على أنفسهم حينئذ لأنهم إذا رأوا الملك في صورة الإنسان قالوا هذا إنسان

وليس بملك فإن قال لهم إن الدليل على أني ملك أني جئت بالقرآن المعجز وهو ناطق بأني ملك كذبوه
كما كذبوا محمدا صلى الله عليه وآله وكان حكمهم مع الملك نحو حكمهم مع محمد ويسمّاه لبسا ونسبه الله تعالى لما
كان بفعله لبسا في لبسهم على أنفسهم **ولقد استهزئ برسل من قبلك** هو جواب قسم محذوف وتقديره
والله لقد استهزئ وهو تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم عما كان يلقى من قومه **فحاق بالذين سخروا**
منهم أي أحاط بالذين استهزءوا بالرسل **ما كانوا به يستهزءون** أي الشيء الذي كانوا يستهزءون
به وهو الحق حيث أهلكوا من أجل الاستهزاء به **قل سيروا في الأرض ثم انظروا كيف كان عاقبة**
المكذبين بالرسل والفرق بين قوله سيروا في الأرض فانظروا وبين قوله ثم انظروا أنه جعل
النظر متسببا عن السير في قوله فانظروا فكأنه قال سيروا لأجل النظر ولا تسيروا سير الغافلين
وأما قوله سيروا في الأرض ثم انظروا فمعناه إباحة السير في الأرض للتجارة وغيرها من المنافع
وإيجاب النظر في آثار الهالكين للاعتبار بما جرى عليهم ونبه على ذلك بثم لتباعد ما بين الواجب والمباح **قل**
لمن ما في السموات والأرض هذا أمر من الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم بسؤال قومه وهو سؤال
تبكيت وتوبيخ لهم **قل لله** هذا تقرير لهم أي هو الله لا خلاف بيني وبينكم ولا تقدرون أن تضيفوا شيئا
منه إلى غيره **كتب على نفسه الرحمة** أي أوجبها على ذاته في هدايتكم إلى معرفته ونصب
الأدلة لكم على توحيده بما أنتم مقرون به من خلق السموات والأرض قال ابن عباس قضى لنفسه أنه أرحم
الراحمين وعن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال لما قضى الخلق كتب كتابا فهو عنده فوق العرش
إن رحمتي غلبت غضبي رواه مسلم ثم أوعدهم على إغفالهم النظر وإشراكهم به من لا يقدر على خلق
شيء بقوله **ليجمعنكم إلى يوم القيمة** فيجازيكم على شرككم **لا ريب فيه** أي الجمع والجزاء **الذين**
خسروا أنفسهم أي أنهم الذين خسروا أنفسهم لاختيارهم الكفر **فهم لا يؤمنون** بسبب اختيارهم
الكفر ومعنى خسرانهم أنفسهم إهلاكها بالكفر وتعريضها للنار **وله ما سكن في الليل والنهار**
أي من السكنى لا من السكون ليفيد العموم في جميع ما اشتمل عليه الليل والنهار ويجوز أن يراد السكون
الذي هو ضد الحركة وهو مختص بما يسكن ويتحرك فاكتفى بأحدهما للدلالة على الآخر **وهو السميع العليم**
يسمع كل مسموع ويعلم كل معلوم فلا يخفى عليه شيء مما اشتمل عليه الملوان **قل أغير الله أتخذ وليا**
هذا إنكار عليهم في اتخاذ غير الله ولما أشركوا الأصنام في الإلهية **فاطر السموات والأرض** أي
مبدعها ومبتدئها على غير مثال **وهو يطعم ولا يطعم** أي يرزق ولا يرزق والمعنى أن المنافع كلها
من عنده ولا يجوز عليه الانتفاع وقرئ وهو يطعم ولا يطعم والضمير لغير الله وقرئ وهو يطعم ولا
يطعم وفسّر بأن معناه وهو يطعم ولا يستطعم وحكى الأزهري أطعمت بمعنى استطعمت ويجوز أن يكون
المعنى وهو يطعم تارة ولا يطعم أخرى على حسب المصالح كقوله هو يعطي ويمنع ويبسط ويقدر ويغني
ويفقر **قل إني أمرت أن أكون أول من أسلم** لأن النبي صلى الله عليه وآله سابق أمته في الإسلام

كقوله وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين وكقول موسى سبحانك تبت إليك وأنا أول المؤمنين
ولا تكونن أي وقيل لي ولا تكونن من المشركين ومعنى أمرت بالإسلام ونهيت عن الشرك قل
إني أخاف إن عصيت ربي هذا تعريض بهم وإخبار بأن ما هم عليه من الكفر والعصيان موجب عذاب
يوم عظيم وهو يوم القيامة كقوله ولا تكونن من المشركين وفيه تعريض بسائر الناس لأنهم
أولى بالخوف ممن غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر من يصرف عنه العذاب يومئذ أي يوم
وقوع اليوم العظيم فقد رحمه الله الرحمة العظمى وهي النجاة أو فقد رحمه بإدخاله الجنة
لأن من لم يعذب لم يكن له بد من الثواب وذلك يعني الصرف للعذاب والرحمة الفوز الظفر
العظيم الذي لا أبين منه وإن يمسسك الله بضر أي إن يصبك بضر من مرض أو فقر
أو غير ذلك من بلاياه فلا كاشف له إلا هو يعني فلا قادر على إزالته إلا هو وإن يمسسك بخير
أي يصبك بخير من غنى أو صحة فهو على كل شيء قدير يقدر على إدامته وإزالته وهو القاهر
فوق عباده تصوير للقهر والعلو بالغلبة والقدرة لأن القاهر في العادة فوق المقهور
وهو الحكيم فلا يفعل إلا الحكمة الخبير يعلم كل عامل فيجزي بحسبه أو الحكيم فيما يصيب به من
ضر أو غير الخبير بمصالح العباد فيصيب كلا بحسب مصلحته قل أي شيء أكبر شهادة المعنى
أي شهيد أكبر شهادة فوضع شيئا مقام شهيد ليبالغ في التعميم قل الله يعني الله أكبر
شهادة ثم ابتدأ شهيد بيني وبينكم أي هو شهيد بيني وبينكم ويحتمل أن يكون الله شهيد بيني
وبينكم هو الجواب أي الله شهيد بيني وبينكم على صحة ما أدعوكم إليه من توحيده ودين الإسلام
وأوحي إلي هذا القرآن الذي هو شاهد لي على صحة النبوة لأنذركم به أي لأجل إنذاركم
به يا أهل مكة من سوء عاقبة ما أنتم عليه من الضلال ومن بلغ أي وأنذر كل من بلغه
القرآن من العرب والعجم وقيل من الثقلين وقيل من بلغه إلى يوم القيامة وعن سعيد بن جبير من بلغه
القرآن فكأنما رأى محمدا صلى الله عليه وآله أئنكم لتشهدون أن مع الله آلهة أخرى أي شركاء في الإلهية
وهي الأصنام ومعنى الاستفهام التقرير لهم مع الإنكار واستبعاد ما هم عليه من الشرك قل لا
أشهد مثل شهادتكم هذه قل إنما هو إله واحد أي ما هو إلا إله واحد لا شريك له في الإلهية
خلاف ما تشهدون وأكد ذلك بقوله وإنني بريء مما تشركون به من الأصنام الذين آتيناهم
الكتاب يعرفونه يعني اليهود والنصارى يعرفون رسول الله بنعته في كتابهم معرفة خالصة
لا شك فيها كما يعرفون أبناءهم بنعتهم وأسمائهم فلا يلتبسون بغيرهم وهذا احتجاج
على أهل مكة بمعرفة أهل الكتاب له وبصحة نبوته ثم قال الذين خسروا أنفسهم من
المشركين وأهل الكتاب الجاحدين فهم لا يؤمنون به بسبب ما سبق في علم الله من اختيارهم

التكذيب على التصديق ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو كذب بآياته أي لا ظالم أظلم
ممن هو على صفتهم حيث جمعوا بين أمرين أحدهما ارتكاب الكذب على الله حيث قالوا والله
ما أشركنا ولا آباؤنا وقالوا الملائكة بنات الله وقالوا في الأصنام هؤلاء شفعاؤنا عند الله
ونسبوا إلى الله تحريم البحائر والسوائب والثاني أنهم كذبوا ما ثبت بالحجة وهو القرآن والمعجزات
وسموها سحرا ولم يؤمنوا بالرسل إنه لا يفلح الظالمون أي لا يظفر هؤلاء الظلمة بمطلوبهم
عند الله ويوم نحشرهم جميعا أي نجمعهم إلى المحشر مجتمعين ثم نقول للذين أشركوا أي نسألهم سؤال
توبيخ وتبكيت أين شركاؤكم أي آلهتكم التي جعلتموها شركاء في الإلهية الذين كنتم تزعمون
معناه تزعمونهم شركاء ويجوز أن يشاهدوهم إلا أنهم حين لا ينفعونهم ولا يكون منهم ما رجوا من الشفاعة
فكأنهم غيب عنهم ويجوز أن يحال بينهم وبينهم في وقت التوبيخ ليفقدوهم في الساعة التي علقوا
بها الرجاء فيها لتزداد حسرتهم ويروا مكان خزيهم ثم لم تكن فتنتهم أي كفرهم ومعناه لم يكن
عاقبة كفرهم الذي لبثوا عليه أعمارهم وقاتلوا عليه إلا أن قالوا والله ربنا ما كنا
مشركين أي إلا جحوده والتبري منه والحلف بالله ما كانوا عليه الشرك الذي هو دينهم انظر
كيف كذبوا على أنفسهم أي كيف كذبوا في الآخرة على أنفسهم بجحد الشرك وضل عنهم
أي غاب عنهم ما كانوا يفترون من الكذب في إلهيته وشفاعته

قال رضي الله عنه

وصح كذبهم في الآخرة على أنفسهم بجحد الشرك مع الاطلاع على حقائق الأمور وعلى أن الكذب
والجحود غير نافع لأن الممتحن ينطق بما ينفعه وبما لا ينفعه لأجل ما يلقيه من الحيرة والعبرة
من الدهش ولذلك يقولون ربنا أخرجنا منها فإن عدنا فإنا ظالمون وقد أيقنوا بالخلود
ولم يشكوا فيه ونادوا يا مالك ليقض علينا ربك وقد علموا أنه لا يقضى عليهم بموت ومنهم من
يستمع إليك يعني حين تتلو القرآن روي أنه اجتمع أبو سفيان والوليد والنضر وعتبة وشيبة
وأبو جهل وأضرابهم يستمعون تلاوة رسول الله صلى الله عليه وآله فقالوا للنضر يا أبا قتيلة
ما يقول محمد فقال والذي جعلها بيته يعني الكعبة ما أدري ما يقول إلا أنه يحرك لسانه ويقول
أساطير الأولين مثل ما حدثتكم عن القرون الماضية فقال أبو سفيان إني لأراه حقا فقال أبو جهل
كلا فنزلت وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفي آذانهم وقرا الأكنة
على القلوب والوقر في الآذان مثل في نبو قلوبهم ومسامعهم عن قبوله واعتقاد صحته ووجه
إسناد الفعل إلى الله تعالى الدلالة على أنه أمر ثابت فيهم لا يزول عنهم كأنهم مجبولون عليه وإن
يروا كل آية لا يؤمنوا بها أي وإن يروا كل معجزة تدل على صدقك لا يصدقوا بها لأن القرآن
أعظم معجزة فإذا لم يؤمنوا به لم يؤمنوا بغيره حتى إذا جاؤوك يجادلونك المعنى أنه بلغ
تكذيبهم الآيات إلى أنهم يجادلونك أي يخاصمونك ويناكرونك فيها وفسر مجادلتهم بقوله يقول الذين

كفروا إن هذا يعني ما هذا الذي يتلوه إلا أساطير الأولين فيجعلون كلام الله تعالى
واصدق الحديث خرافات واكاذيب وهي الغاية في التكذيب وهم ينهون عنه اي ينهون الناس
عن القرآن وعن الرسول واتباعه ويمنعونهم عن الايمان به وينأون عنه اي ويبعدون عنه
بانفسهم فيضلون ويضلون وإن يهلكون بذلك الفعل إلا أنفسهم اي لا يعود ضرر فعلهم
الا عليهم دون الرسول صلى الله عليه وآله والمسلمين وما يشعرون اي وما يعلمون بان الهلاك لا
يعود الا عليهم وان كانوا يظنون انهم يضرون به رسول الله صلى الله عليه وآله وقيل هو ابو طالب لانه
كان ينهى قريشا عن التعرض لرسول الله صلى الله عليه وآله والذب عنه ولا يؤمن به لئلا يلام على الاسلام
وروى انهم اجتمعوا الى ابي طالب وارادوا رسول الله صلى الله عليه وآله بسوء فقال

والله لن يصلوا اليك بجمعهم	حتى اوسد في التراب دفينا
فاصدع بامرك ما عليك غضاضة	وابشر بذاك وقر منه عيونا
ودعوتني وزعمت انك ناصح	ولقد صدقت وكنت ثم امينا
وعرضت دينا لا محالة انه	من خير اديان البرية دينا
لولا الملامة او حذاري سبة	لوجدتني سمحا بذاك مبينا

فنزلت

وهذا غير بعيد اذا كانت هذه السورة من اول ما نزل بمكة وكان ذلك قبل اسلامه والا فقد اسلم
وعليه اجماع ابائنا عليهم السلام حكاه الحاكم ابو سعد رحمه الله وقال ثبت عندنا بالاخبار الصحيحة
واجماع اهل البيت ان ابا طالب مات مسلما قلت ولو لم يكن الا ما فعله يوم حصارهم
بالشعب وجمعه لبني هاشم ودعائه لهم الى ما هو عليه من منع رسول الله صلى الله عليه وآله وذلك
ان قريشا حاربوا بني هاشم وحصروهم في شعب ابي طالب ومنعوهم دخول المسجد الحرام واقتسموا طرق
مكة يصدون عن رسول الله صلى الله عليه وآله من جاءه من البلدان وكتبوا كتابا ان بني هاشم
اكذوبة وعلقوه على الكعبة فعمد ابو طالب برجلين منهم في الشعب وقال في الكتاب الذي كتبوه

الا ابلغا عني على ذات بيننا	لؤيا وخصا من لؤي بني كعب
الم تعلموا انا وجدنا محمدا	رسولا كموسى خط في اول الكتب
وان عليه في العباد محبة	ولا خير ممن خصه الله بالحب
وان الذي سودتم في كتابكم	لكم كائن نحسا كراغية السقب

ولهم من الكلام والمقاطيع ما يشهد بصحة اسلامه واما المعتزلة والفقهاء فقد اطالوا في الكلام
واعرضوا عنه الخلاف وليس ببدع من منكرهم على ولده امير المؤمنين وسيد الوصيين وتمردهم عليه
وهو المرفوع بما قارب المعجزات الظاهرة المشهود له بعظائم الامامة الباهرة وليس برفعه سبي
ولا بضع ولو ترى جوابه محذوف اي ولو ترا لرايت امرا شنيعا إذ وقفوا على النار اي
اروها وعاينوها واطلعوا عليها او ادخلوها فعرفوا مقدار عذابها فقالوا يا ليتنا نرد الى

الدنيا المؤمن ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين وهذا وعد وهذا ايضا وعد منهم بالتصديق
بالآيات والايمان بعد تمام تمنيهم الرد الى الدنيا بل بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل اي بل ظهر لهم
في صحائفهم وشهادة جوارحهم عليه ما كانوا يخفون في الدنيا من قبائحهم وفضائحهم فلذلك تمنوا ما تمنوا
من الا انهم عازمون على انهم لو ردوا لآمنوا وقيل هو في المنافقين وانه يظهر نفاقهم الذي كانوا
يسرونه وقيل هو في اهل الكتاب وانه يظهر لهم ما كانوا يخفونه من صحة نبوة محمد صلى الله عليه وآله
ولو ردوا الى الدنيا بعد وقوفهم على النار لعادوا لما نهوا عنه من الكفر والمعاصي وإنهم لكاذبون
فيما وعدوا من انفسهم من الايمان كذبهم الله تعالى لعلمه بضمائرهم وطباعهم الخبيثة التي لا تختار
الا الكفر وقالوا عطف على لعادوا اي ولو ردوا لكفروا ولقالوا إن هي إلا حياتنا الدنيا
كما كانوا يقولون قبل معاينة القيامة اي ما الحيوة الا حياتنا هذه التي في الدنيا ولا حيوة بعدها وما
نحن بمبعوثين للحساب ولا الجزاء ولو ترى إذ وقفوا على ربهم هذا مجاز عن حبسهم للسؤال والتوبيخ
كما يوقف العبد الجاني بين يدي سيده ليعاقبه وقيل وقفوا على جزاء ربهم او عرفوه حق التعريف
قال جواب لقائل قال ماذا قال لهم ربهم اذ وقفوا عليه فقيل قال أليس هذا بالحق اي البعث
الذي كذبتم به وهذا تعيير من الله لهم على التكذيب بالبعث والجزاء وقولهم ما هو بحق وما هو الا باطل
قالوا بلى اي بلى هو حق وربنا قسم وتقسيمهم بربنا انه حق وما هو بباطل كما زعمنا قال الله فذوقوا العذاب
اي اطعموا مرارته بما كنتم تكفرون اي بسبب كفركم قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله اي بلوغ الآخرة
وما يتصل بها من الجزاء وخسرانهم انفسهم انهم اوقعوها في النار بسبب تكذيبهم حتى إذا جاءتهم
الساعة بغتة حتى غاية لتكذيبهم لا لخسرانهم لانه لا غاية لها معناه ما زال بهم التكذيب الى حين
مجيء الساعة وهي القيمة وهم يتحسرون عند موتهم ايضا لكن لما كان الموت وقوعا في اول
احوال الآخرة ومقدما لها جعل من جنس الساعة وسمي باسمها ولذلك قال صلى الله عليه وآله من
مات فقد قامت قيامته والبغتة الفجاءة اي جاءتهم في حال كونها باغتة او معناه تبغتهم بغتة
والمعنى انها واقعتهم على غفلة منها وهم غير مستعدين لوقوعها ومواقعتها لامر الهائل بغتة اشد
واهول على ما فرطنا فيها اي على ما قصرنا في الحيوة الدنيا وهي وان لم يجر لها ذكر لكونها معلو[مة]
او على ما قصرنا في القيمة وفي الايمان بها وهم يحملون أوزارهم على ظهورهم الاوزار الذنوب
لانه اعتبر حمل الاثقال على الظهر كما الف الكسب بالايدي وان كان الكسب بالقلوب وسائر الجوارح
غير الايدي ألا ساء ما يزرون اي بئس ما يزرون ومعناه بئس المحمول الذنوب وما الحيوة
الدنيا إلا لعب ولهو جعل اعمال الدنيا لعبا ولهوا واشتغالا بما لا يعني ولا يعقب منفعة كما تعقب
اعمال الآخرة المنافع العظيمة وللدار الآخرة يعني الجنة خير للذين يتقون المعاصي
وفيه دليل على ان ما سوى اعمال المتقين لعب ولهو اي باطل وغرور يعني يعني كالعب واللهو

ولو ترى اذ وقفوا على ربهم وقال ابن كيسان ... مع قوله ولا يكلمهم الله ... الجمع بينهما الجواب ان الكلام الطيب النافع

قالوا يا حسرتنا

مه
دح

وقول ابي طالب وابيض يستسقى الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمة للارامل يلوذ به الهلاك من آل هاشم فهم عنده في نعمة وفواضل

يكون لذة فانية عن قريب أفلا تعقلون توبيخ عظيم على التفريط في التقوى كأنه قيل
تختارون ما هو لعب ولهو على أعمال المتقين كأنهم لا عقول لكم لأن العقول تقضي باختيار
الدائم على الفاني قد نعلم إنه ليحزنك الذي يقولون أي قد نعلم علماً شاملاً أنه ليحزنك
اي ليحزنك قولهم ساحر كذاب فإنهم لا يكذبونك المعنى انهم لا يكذبونك في الحقيقة
وانما يكذبون الله لان تكذيب رسوله المصدق بالمعجزات تكذيبهم لك تكذيب لله فاشتغل عن حزنك
لنفسك بما هو اهم منه وهو استعظامك لجحود آيات الله والاستهانة بكتابه وهذا تأويل قوله
ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون اي ولكنهم يجحدون الآيات المصدقة لك فاستعظم جحودهم
لها وفي معناه قول السيد لغلامه اذا اهانه بعض الناس انهم لم يهينوك وانما اهانوني
ومن هذه الطريقة قوله ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله وقيل فانهم لا يكذبونك بقلوبهم
ولكنهم يجحدون بالسنتهم وقيل لا يكذبونك لانك عندهم الصادق المعروف بالصدق ولكنهم
يجحدون بآيات الله وكان ابو جهل يقول انا لا نكذبك وانك عندنا المصدق وانما نكذب ما جئتنا به
وروي ان الاخنس بن شريق قال لابي جهل يا ابا الحكم اخبرني عن محمد اصادق هو ام كاذب فانه ليس
احد عندنا غيرنا فقال والله ان محمداً لصادق وما كذب قط ولكن اذا ذهب بنو قصي باللواء
والسقاية والحجابة والنبوة فماذا يكون لسائر قريش فنزلت وقال ولكن الظالمين ولم يقل ولكنهم
للدلالة على انهم ظلموا في جحودهم ولقد كذبت رسل من قبلك هذا تسلية لرسول
الله صلى الله عليه وآله ما جرى الى الرسل من اممهم وهذا دليل على ان قوله فانهم لا يكذبونك ليس
بنفي لتكذيبه وانما هو من قولك لغلامك ما اهانوك ولكنهم اهانوني فصبروا على ما
كذبوا وأوذوا اي على تكذيبهم وايذائهم حتى أتاهم نصرنا فاصبر كما صبروا وانتظر
كما ظفروا ولا مبدل لكلمات الله اي ولا مخلف لمواعيد الله من قوله ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا
المرسلين انهم لهم المنصورون ولقد جاءك من نبإ المرسلين اي بعض اخبارهم وقصصهم وما كابروا
من مضارة المشركين ومقاساتهم وعلاج احوالهم فتأس بهم وإن كان كبر عليك إعراضهم كان
يكبر على النبي صلى الله عليه وآله كفر قومه واعراضهم عما جاء به فنزل فلعلك باخع نفسك اي فان
لها دالة لا تهدي من احببت ان كان كبر عليك اعراضهم اي عظم عليك اعراضهم عما جئت به
فإن استطعت أن تبتغي نفقاً في الأرض اي منفذاً تنفذ فيه الى ما تحت الارض حتى تطلع لهم آية
يؤمنون بها أو سلماً في السماء يعني او سلماً ترتقي عليه الى السماء فتأتيهم بآية فافعل
يعني انك لا تستطيع ذلك والمراد بيان حرصه صلى الله عليه وآله على اسلام قومه وتهالكه عليه
وانه لو استطاع ان يأتيهم بآية من تحت الارض او من فوق السماء لأتى بها رجاء ايمانهم وطمعاً
فيه ولو شاء الله لجمعهم على الهدى اي على الايمان بأن يأتيهم بآية ملجئة ولكن

الحمل على بني اسرائيل ولكنه لا يفعل لخروجه عن الحكمة ولأن التكليف مبني على الاختيار فلا تكونن
من الجاهلين اي من الذين يجهلون ذلك ويرومون ما لا يكون خلافه إنما يستجيب الذين يسمعون يعني
ان الذين تحرص على ان يصدقوك بمنزلة الموتى الذين لا يسمعون وانما يستجيب من يسمع سماع طاعة
وقبول كقوله انك لا تسمع الموتى والموتى يبعثهم الله مثل لقدرته على الجائهم اي الاستجابة
بأنه هو الذي يبعث الموتى من القبور يوم القيامة ثم إليه يرجعون للحساب والجزاء فكان
قادراً على هؤلاء الموتى بالكفر يحييهم بالايمان وانت لا تقدر على ذلك وقيل معناه وهؤلاء الموتى
يعني الكفرة يبعثهم الله ثم اليه يرجعون فحينئذ يسمعون واما قبل ذلك فلا سبيل الى استماعهم
وقالوا لولا نزل عليه آية من ربه اي هلا انزل عليه معجزة تصدقه وانما قالوا ذلك مع تكاثر ما انزل
عليه من الآيات لتركهم الاعتداد بما انزل عليه كأنه لم ينزل عليه شيء من الآيات عناداً منهم
وقلة مبالاة قل إن الله قادر على أن ينزل آية تضطرهم الى الايمان كنتق الجبل على بني
اسرائيل ونحوه او آية ان جحدوها جاءهم العذاب ولكن أكثرهم لا يعلمون ان الله قادر على
ان ينزل تلك وان صارفاً من الحكمة يصرفه عن انزالها وما من دابة في الأرض يعني كل ما يدب
في الارض من جميع الحيوان ولا طائر يطير بجناحيه ذكر الجناح تأكيد كقولك مشيت برجلي وكتبت
بيدي وتكلمت بلساني إلا أمم أمثالكم يعني مكتوبة ارزاقها وآجالها واعمالها كما كتبت ارزاقكم
وآجالكم واعمالكم ما فرطنا ما تركنا وما اغفلنا في الكتاب يعني في اللوح المحفوظ من
شيء من ذلك لم نكتبه وعلمنا وقوعه وثبوته في وقته الذي يثبت فيه ويحضره ثم
إلى ربهم يحشرون يعني الامم كلها من الدواب والطير فيعوضها وينصف بعضها من بعض كما
روي انه يأخذ للجماء من القرناء ومعنى قوله في الارض وقوله يطير بجناحيه زيادة التعميم والاحاطة
كأنه قيل وما من دابة في جميع الارضين السبع وما من طائر قط في جو السماء من جميع ما يطير بجناحيه
الا امم امثالكم محفوظة احوالها غير مهمل امرها والغرض من ذكر ذلك الدلالة على عظم قدرته
ولطف علمه وسعة سلطانه وتدبيره تلك الخلائق المتفاوتة الاجناس المتكاثرة الاصناف
وهو حافظ لما لها وما عليها مهيمن على احوالها لا يشغله شأن عن شأن وان المكلفين ليسوا بمخصوصين
بذلك دون من عداهم من سائر الحيوان والذين كذبوا بآياتنا لما ذكر من خلائقه وقدرته ما
يشهد لربوبيته وينادي على عظمته قال والمكذبون صم لا يسمعون كلام المنبه وبكم لا ينطقون
بالحق خابطون في الظلمات اي ظلمات الكفر فهم غافلون عن تأمل ذلك والتفكر فيه ثم قال
ايذاناً بأنهم من اهل الطبع من يشإ الله يضلله اي يخذله ويخله وضلاله لم يلطف به لانه
ليس من اهل اللطف ومن يشأ يجعله على صراط مستقيم اي يلطف به ويوفقه للايمان ويهديه
الى طريق يؤتيه وهو طريق الحق لانه يفعل اللطف والتوفيق قل أرأيتكم معناه اخبروني

للم وضع الاستفهام موضع الاخبار لانه لا يخبر بالشيء الا العارف به والكاف في ارايتكم حرف
زائد لتاكيد الخطاب في ارايتم ومفعول الاستخبار محذوف تقديره ارايتكم ان اتاكم عذاب
الله او اتتكم الساعة من تدعون ثم بكتهم بقوله اغير الله تدعون يعني اتخصون
الهتكم بالدعوة فيما هو عادتكم اذا اصابكم ضر ام تدعون الله دونها ان كنتم صادقين
معناه ان كنتم صادقين في انها الهة فخصوها بالدعاء عند الضر النازل بكم بل اياه تدعون
بل تخصونه بالدعاء دون الالهة فيكشف ما تدعون اليه اي ما تدعونه الى كشفه ان شاء
يعني ان اراد ان يتفضل عليكم ولم يكن مفسدة وتنسون ما تشركون اي وتتركون الهتكم ولا تذكرونها
في ذلك الوقت لان اذهانكم مغمورة بذكر ربكم وحده اذ هو القادر على كشف الضر دون غيره
لانهم كانوا لا يفزعون عند اهوال البر والبحر الا الى الله عز وجل القادر على كشفها فاذا امنوا
تركوها الى الالهة ولقد ارسلنا الى امم من قبلك يعني ارسلنا اليهم الرسل فكذبوهم
فاخذناهم بالبأساء والضراء البأساء البؤس والضراء الضر وقيل البأساء القحط والجوع
والضراء المرض ونقصان الانفس والاموال لعلهم يتضرعون يتذللون ويخشعون لربهم
ويتوبون عن ذنوبهم فلولا اذ جاءهم بأسنا تضرعوا معناه نفي التضرع وقيل فلم يتضرعوا
اذ جاءهم بأسنا ولكنه جاء بلولا ليفيد انه لم يكن لهم عذر في ترك التضرع الا عنادهم وقسوة
قلوبهم واعجابهم باعمالهم التي زينها الشيطان لهم وهذا تأويل قوله ولكن قست قلوبهم وزين
لهم الشيطان اعمالهم زين لهم الضلالة التي هم عليها فاصروا على المعاصي وتزيينه لها تحبيبها
اليهم بالاماني الباطلة وانه لا ثواب ولا عقاب فلما نسوا ما ذكروا به من البأساء
والضراء اي تركوا الاتعاظ بها ولم ينفع فيهم ولم يزجرهم فتحنا عليهم ابواب كل شيء
من الصحة والسعة وصنوف النعم لتزاوج عليهم بين حالتي الضراء والسراء كما يفعل الاب المشفق
بولده يخاشنه تارة ويلاطفه اخرى طلبا لصلاحه حتى اذا فرحوا بما اوتوا من الخير
والنعم ولم يزيدوا على الفرح والبطر من غير قصد للشكر ولا قصد للتوبة والاعتذار اخذناهم بغتة
بالموت والعذاب فاذا هم مبلسون اي ساكتون متحيرون متحسرون آيسون فقطع
دابر القوم الذين ظلموا اي آخرهم لم يترك منهم احد والحمد لله رب العالمين اعلام بوجوب
الشكر والحمد لله عند هلاك الظلمة وانه من اجل النعم واجزل القسم والمعنى انهم لما لم يتعظوا
في حالتي الشدة والرخاء ولم ينفع فيهم الالطاف استدرجناهم بالنعم الى ان اخذناهم بالموت
على غفلة وهم غافلون عن صلاح دينهم قل ارايتم ان اخذ الله سمعكم وابصاركم
يعني بان يصمكم ويعميكم وختم على قلوبكم بان يغطي عليها ما يذهب عنه فهمكم وعقلكم
من اله غير الله يأتيكم به اي بما اخذ وختم عليه انظر كيف نصرف الآيات اي نكررها

عليهم

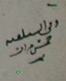
عليهم واضحة تارة وباطنة ثم هم يصدفون يعرضون عن الايات بعد ظهورها قل ارايتكم
ان اتاكم عذاب الله بغتة او جهرة اي بلا ان تشعروا به وتظهر اماراته وجهرة اي مجاهرة ظاهرة وعن
الحسن ليلا او نهارا هل يهلك اي ما يهلك هلاك تعذيب وسخط الا القوم الظالمون لانفسهم
وما نرسل المرسلين الا مبشرين من امن بهم واطاعهم ومنذرين بما جاؤوا به من كذبهم وعصاهم
ولم نرسلهم ليتلهى بهم ويقترح عليهم الايات بعد وضوح امرهم بالبراهين القاطعة فمن امن
واصلح ما يجب عليه اصلاحه مما كلف فلا خوف عليهم اي لا غم عليهم في الاخرة لامر متوقع
نزوله بهم ولا هم يحزنون على امر فاتهم لانهم قد ظفروا بكل سعادة والذين كذبوا باياتنا يمسهم
العذاب جعل العذاب ماسا كانه حي يفعل بهم ما يريد من الالام ومثله اذا رأتهم من مكان بعيد
سمعوا لها تغيظا وزفيرا بما كانوا يفسقون اي بسبب كذبهم الذي هو من اعظم الكفر
واستعمال الفسق في الكفر يقع على اعظمه كما يقع في المعاصي على اعظمها قل لا اقول لكم عندي
خزائن الله ولا اعلم الغيب ولا اقول لكم اني ملك اي لا ادعي ما يستبعد في العقول ان يكون لبشر مما
ليس له من ملك خزائن الله وهي قسمه بين الخلق وارزاقه وعلم الغيب اي ومن الملائكة الذين هم
اشرف خلق الله وافضله واقربه منزلة منه اي لم ادع الالهية ولا الملكية لانه ليس بعد
الالهية منزلة ارفع من منزلة الملائكة حتى يستبعدوا دعواي ويستنكروها وانما ادعي ما كان
مثله لكثير من البشر وهو النبوة ان اتبع الا ما يوحى الي كما يوحى الى غيري من الانبياء وهذا
الذي ادعي قل هل يستوي الاعمى والبصير هذا مثل للضال والمهتدي ويجوز ان يكون مثلا
لمن اتبع ما يوحى اليه ومن لم يتبع ولمن ادعى المستقيم وهو النبوة والمحال وهو الالهية والملكية
افلا تتفكرون فلا تكونوا ضالين اشباه العميان اي فتعلمون اني ما ادعيت ما لا يليق بالبشر
او فتعلموا ان اتباع ما يوحى الي مما لا بد لي منه وانذر به اي بما يوحى الذين يخافون ان يحشروا
الى ربهم ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع اما ان يريد [illegible] دخلوا في الاسلام واقروا
بالبعث الا انهم مفرطون في العمل فينذرهم بما اوحي اليه لعلهم يتقون اي يدخلون في زمرة اهل
التقوى من المسلمين واما اهل الكتاب فلانهم مقرون بالبعث واما ناس من المشركين علم من حالهم
انهم يخافون اذا سمعوا بحديث البعث ان يكون حقا فيهلكوا فهم ممن يرجى ان ينجع فيهم الانذار دون
المتمردين منهم فامر ان ينذر هؤلاء ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون
وجهه روي ان رؤساء المشركين قالوا لرسول الله صلى الله عليه وآله لو طردت هؤلاء الاعبد
يعنون فقراء المسلمين وهم عمار وصهيب وخباب وسلمان واشباههم رضوان الله عليهم وارواح جبابهم
وكانت عليهم جباب من صوف لجلسنا اليك وحادثناك فقال عليه الصلوة والسلام ما انا بطارد
المؤمنين فقالوا فاقمهم عنا اذا جئنا فاذا قمنا فاقعدهم معك ان شئت قال نعم طمعا في ايمانهم

بهم

قالوا فاكتب بذلك كتابا فدعا
وروي ان عمر قال له لو فعلت حتى ننظر الى ماذا يصيرون واعتذر عمر عن مقالته فقال خباب
بالصحيفة وبعلي عليه السلام ليكتب فنزلت فرمى بالصحيفة واعتذر عمر عن مقالته فقال خباب
وسلمان فينا نزلت فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقعد معنا ويدنو منه حتى تمس ركبتنا ركبته وكان
يقوم عنا اذا اراد القيام فنزلت واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي فترك القيام
عنا الى ان نقوم عنه وقال الحمد لله الذي لم يمتني حتى امرني ان اصبر نفسي مع قوم من امتي معكم المحيا
ومعكم الممات ولا تطرد عنك الذين يواظبون دعاء ربهم اي عبادته ويداومون عليها والغداة
والعشي والمراد ذكرهما الدوام وقيل معناه يصلون صلوة الصبح والعصر
اول النهار والعشي اخره والمعنى لا يريدون بالعبادة
ويريدون وجهه وصفهم بالاخلاص والوجه يعبر به عن الذات
الا وجه الله تعالى **ما عليك من حسابهم من شيء** بل هو الى الله وذلك انهم طعنوا في دينهم
وعابوهم فقال ما عليك من حسابهم يعني ان كان الامر كما يقولون عند الله فما يلزمك الا اعتبار الظاهر
وان كان باطنهم غير مرضي **وما من حسابك عليهم من شيء** المعنى ان حسابهم لا يلزمهم لا يتعداهم
اليك كما ان حسابك عليك لا يتعداك اليهم كقوله ولا تزر وازرة وزر اخرى كانه قيل لا يؤاخذ
انت ولا هم بحساب صاحبه وقيل المراد بقوله ما عليك من حسابهم المشركين والمعنى لا يؤاخذون بحسابك
ولا انت بحسابهم حتى يهمك ايمانهم ويحركك الحرص عليه الى ان تطرد المؤمنين **فتطردهم** جواب النفي
فتكون من الظالمين جواب النهي عظم الله الامر في هذا على نبيه صلى الله عليه وآله وخوفه بالدخول
في جملة الظالمين لانه كان قد هم بتقديم المشركين على الضعفاء والمساكين فاعلمه ان ذلك غير جائز
وكذلك فتنا اي ومثل ذلك الفتن العظيم فتنا **بعضهم ببعض** اي بعض الناس
ببعض اي ابتليناهم بهم **ليقولوا أهؤلاء من الله عليهم من بيننا** وذلك ان المشركين كانوا
يقولون للمسلمين اهؤلاء الذين من الله عليهم من بيننا اي انعم عليهم بالتوفيق لاصابة الحق ولسعادتهم
دوننا ونحن المقدمون والرؤساء وهم العبيد والفقراء انكارا لان يكونوا امثالهم على
الحق ومنوا عليهم بالخير دونهم ونحوه لو كان خيرا ما سبقونا اليه ومعنى فتناهم ليقولوا ذلك
اي خذلناهم فافتتنوا حتى كان افتتانهم سببا لهذا القول لانه لا يقول مثل قولهم الا مخذول
مفتون **أليس الله بأعلم بالشاكرين** اي الله اعلم بمن يقع منه الايمان والشكر فيوفقه
للايمان وبمن يصمم على الكفر فيخذله ويمنعه التوفيق **وإذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل**
سلام عليكم اما ان يكون امرا بتبليغ سلام الله اليهم واما ان يكون امرا بان يبدأهم
بالسلام اكراما لهم وتطييبا لقلوبهم وكذلك قوله **كتب ربكم على نفسه الرحمة** من جملة ما امر
بقوله لهم ليبشرهم بسعة رحمة الله وقبوله التوبة منهم ومعنى كتب اوجب على ذاته
الرحمة وهو قبول التوبة وكرامات التوابين وقوله **أنه من عمل منكم سوءا** اي ذنبا **بجهالة** اي

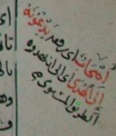
عمله وهو جاهل وفيه معنيان احدهما انه فاعل فعل الجهلة لان من عمل ما يؤدي الى الضرر في العاقبة
وهو عالم بذلك او ظان فهو من اهل السفه والجهل لا من اهل الحكمة والتدبير والثاني انه جاهل
بما يتعلق به من المكروه والمضرة والحكيم لا يقدم على شيء حتى يعلم حاله وكيفيته وقيل نزلت في عمر حين
اشار بإجابة الكفار الى طرد المؤمنين طمعا في اسلامهم ولم يعلم انها مفسدة **ثم تاب من بعده** اي رجع
وندم من بعد فعله **وأصلح** ما افسد من احواله **فأنه غفور رحيم** يغفر له ويرحمه بقبول توبته ٥
وكذلك نفصل الآيات اي ومثل ذلك التفصيل البين نفصل آيات القرآن ونلخصها في صفة احوال
المجرمين من هو مطبوع على قلبه لا يرجى اسلامه ومن يرى فيه امارة القبول وهو الذي يخاف اذا
سمع ذكر القيامة ومن دخل في الاسلام الا انه لا يحفظ حدوده **ولتستبين سبيل المجرمين** معناه
ولتتوضح سبيلهم اي طريقتهم فتعامل كلا منهم بما يجب ان تعامل به **قل إني نهيت** صرفت وزجرت
بما ركب فيّ من ادلة العقل وبما اوتيت من ادلة السمع **أن أعبد الذين تدعون من دون الله**
وهي الاصنام وفيه استجهال لهم ووصف بالاقتحام فيما كانوا فيه على غير بصيرة ولا حجة **قل لا**
أتبع أهواءكم اي لا اجري على طريقتكم التي سلكتموها في دينكم من اتباع الهوى دون اتباع الدليل
وهو بيان للسبب الذي منه وقعوا في الضلال وتنبيه لكل من اراد اصابة الحق ومجانبة الباطل
قد ضللت إذا وما أنا من المهتدين ٥ اي ان اتبعت اهواءكم فانا ضال وما انا من الهدى
في شيء والمعنى انكم كذلك **قل إني على بينة من ربي** لما نفى ان يكون الهوى متبعا نبه على ما يجب
اتباعه بقوله اني على بينة من ربي اي اني من معرفة ربي وانه لا معبود سواه على حجة واضحة
وشاهد صدق **وكذبتم به** انتم حيث اشركتم به غيره ثم عقبه بما دل على استعظام تكذيبهم بالله وكراهة
غضبه عليهم لذلك وانهم احقاء بان يعاجلوا بالعذاب المستأصل فقال **ما عندي ما تستعجلون به**
يعني العذاب الذي استعجلوه في قوله فامطر علينا حجارة من السماء **إن الحكم إلا لله** اي ما الحكم الا لله
في تأخير عذابكم **يقص الحق** اي يتبع الحق والحكمة فيما يحكم ويقدره ويقرأ يقضي الحق اي القضاء الحق
في كل ما يقضي من التأخير والتعجيل **وهو خير الفاصلين** بين الحق والباطل لانه لا يظلم في قضائه
قل لو أن عندي اي في قدرتي وامكاني **ما تستعجلون به** من العذاب الذي طلبتموه **لقضي الأمر**
بيني وبينكم اي لاهلكتكم عاجلا غضبا لربي من تكذيبكم به ولتخلصت منكم سريعا **والله أعلم بالظالمين**
وبما يجب في الحكمة من تأخير عذابهم **وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو** جعل للغيب
مفاتح على طريق الاستعارة لان المفاتح يتوصل بها الى ما في المخازن من علم مفاتحها وكيف يفتح يتوصل
اليها فاراد انه المتوصل الى المغيبات وحده لا يتوصل اليها غيره كمن عنده مفاتح اقفال المخازن
ويعلم فتحها والمفاتح جمع مفتح وهو المفتاح وقرئ المفاتيح وقيل هي جمع مفتح وهو المخزن **ويعلم ما**
في البر والبحر اي ما في باطنهما وما على ظاهرهما **وما تسقط من ورقة إلا يعلمها** يعني من

وروا الاسحار ولا حبة من الحبات في ظلمات الارض يعني في الثرى تحت الارض ولا رطب اي اخضر
ولا يابس كانه قيل وما يسقط من شي من هذه الاشيا الا يعلمه وقوله الا في كتاب مبين كالتكرير
لقوله الا يعلمها لان معناهما واحد والكتاب المبين علم الله واللوح المحفوظ وهو الذي يتوفاكم
بالليل اي يتوفاكم بالنوم في الليل والخطاب للكفرة اي انهم منسدحون الليل كله كالجيف ويعلم
ما جرحتم بالنهار يعني ما كسبتم فيه من الاثام ثم يبعثكم اي يخرجكم من القبور فيه اي في شان ذلك
الذي قطعتم اعماركم من النوم بالليل وكسب الاثام بالنهار ومن اجله ليقضى اجل مسمى وهو
الاجل الذي سماه وضربه لبعث الموتى وجزائهم على اعمالهم ومعنى ليقضى لتتم وتفرغ ثم اليه مرجعكم
الى موقف الحساب ثم ينبئكم بما كنتم تعملون في ليلكم ونهاركم وهو القاهر فوق عباده العالي
القادر ويرسل عليكم حفظة ملائكة حافظين لاعمالكم وهم الكرام الكاتبون وعن ابي حاتم السجستاني
انه كان يكتب عن الاصمعي كل شي يلفظ به من فوائد العلم حتى قال فيه انت شبه الحفظة تكتب
لفظ اللفظة فقال ابو حاتم وهذا ايضا مما يكتب والله تعالى غني بعلمه عن كتبة الملائكة
لكن الفائدة انها لطف للعباد لانهم اذا علموا ان الله رقيب عليهم والملائكة الذين هم اشرف خلقه
موكلون بهم يحفظون عليهم اعمالهم ويكتبونها في صحايف تعرض على رؤوس الاشهاد في مواقف القيامة
كان ذلك ازجر لهم عن القبيح وابعد من السوء حتى اذا جاء احدكم الموت اي حضر وقت
اجله توفته رسلنا اي استوفت روحه وهو ملك الموت واعوانه وعن مجاهد جعلت الارض
له مثل الطشت يتناول من يتناوله وما من اهل بيت الا ويطوف عليهم كل يوم مرتين وهم لا
يفرطون اي لا ينقصون ما امروا به ولا يزيدون فيه والتفريط التواني والتاخر عن الحد والافراط
مجاوزة الحد ثم ردوا الى الله اي الى حكمه وجزائه مولاهم مالكهم الذي يلي عليهم امورهم
الحق اي العدل الذي لا يحكم الا بالحق الا له الحكم يومئذ لا حكم في ذلك اليوم لغيره وهو اسرع
الحاسبين لا يشغله حساب عن حساب قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر ظلماتهما
مجاز عن مخاوفهما واهوالهما يقال لليوم الشديد يوم مظلم ويجوز ان يراد ما يشفون عليه من الخسف
في البر والغرق في البحر بذنوبهم تدعونه تضرعا اي تظهرون له التضرع في الدعاء وهو التذلل
الكثير وخفية اي سرا ومخافة لئن انجيتنا من هذه الظلمات الشديدة لنكونن من الشاكرين لنعمة
الانجا بالتوحيد والاخلاص في العبادة قل لهم يا محمد الله ينجيكم منها من ظلمات البر والبحر
ومن كل كرب اي ومن كل غصة تكربكم ثم انتم تشركون به غيره في الالهية كما عرفتم
لانهم يعترفون بذلك قل هو القادر اي هو الذي عرفتموه قادرا وهو الكامل القدرة على ان يبعث
عليكم اي يرسل عليكم عذابا من فوقكم كما امطر على قوم لوط وعلى اصحاب الفيل الحجارة



وارسل على قوم نوح الطوفان او من تحت ارجلكم كما اغرق فرعون وخسف بقارون وقيل من فوقكم
من قبل اكابركم وولاتكم ومن تحت ارجلكم من قبل سفلتكم وارذالكم وعبيدكم وقيل هو حبس المطر
والنبات او يلبسكم شيعا اي او يخلطكم شيعا فرقا مختلفين على اهواء شتى واغراض مختلفة كل
فرقة منكم مشايعة لامام ومعنى خلطهم ان ينشب القتال بينهم فيختلطوا ويشتبكوا في مواضع القتال ويذيق
بعضكم باس بعض اي قتال بعض والمعنى يخلي الشيطان فيوقع القتال بينكم وعن رسول الله صلى
الله عليه وآله سالت الله ان لا يبعث على امتي عذابا من فوقهم او من تحت ارجلهم فاعطاني وسالته ان لا
يجعل باسهم بينهم فمنعني واخبرني جبريل ان فناء امتي بالسيف وعن جابر لما نزل من فوقكم قال
صلى الله عليه وآله اعوذ بوجهك فلما نزل او من تحت ارجلكم او يلبسكم شيعا قال هاتان اهون ومعنى
الآية الوعيد باحد اصناف العذاب المعدودة انظر يا محمد كيف نصرف الآيات اي كيف نحول
آيات القرآن في اساليب الوعظ والوعد والوعيد والعبر لعلهم يفقهون اي يفهمون فانهم
كمن لا فهم لهم لعدم اتعاظهم وكذب به قومك اي وكذب بالعذاب قومك يا محمد وهم قريش
وهو الحق الذي لا بد ان ينزل بهم ويحتمل الضمير الذي في به للقرآن قل لست عليكم بوكيل بحفيظ
وكل الى امركم امنعكم من التكذيب اجبارا انما انا منذر لكل نبا اي خبر ويريد بالنبا المنبا به
وهو عذابهم الذي وعدوا به مستقر اي وقت استقرار وحصول لا بد منه وسوف تعلمون انما
اوعدتم به واقع بكم لا محالة واذا رايت الذين يخوضون في آياتنا اي يتكلمون في الاستهزاء بها
والطعن فيها وكانت قريش في انديتهم ومجالسهم يفعلون ذلك فاعرض عنهم يعني لا تجالسهم وقم
عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره اي يدخلون في حديث غير الخوض في الباطل فلا باس ان تجالسهم
حينئذ واما ينسينك الشيطان ما زايدة للتاكيد والمعنى وان شغلك بوسوسته حتى تنسى النهي عن
مجالستهم فلا تقعد معهم بعد الذكرى اي بعد ان تذكر النهي ويجوز ان يراد وان كان الشيطان
ينسيك قبل النهي قبح مجالسة المستهزئين لانها مما تنكره العقول فلا تقعد بعد الذكرى بعد
ان ذكرناك قبحها ونبهناك عليه مع القوم الظالمين يعني المستهزئين ووضعهم بالظلم لانهم
زيادة للتشنيع عليهم وما على الذين يتقون من حسابهم من شيء اي وما على الذين يتقون
مجالستهم شي مما يحاسبون عليه من ذنوبهم ولكن ذكرى اي ولكن عليهم ان يذكروهم ذكرى اذا سمعوهم
يخوضون بالقيام عنهم واظهار الكراهة لهم وموعظتهم لعلهم يتقون اي لعلهم يجتنبون الخوض
حياء او كراهة لمساءتهم وروي ان المسلمين قالوا لئن كنا نقوم كلما استهزؤوا بالقرآن لم نستطع
ان نجلس في المسجد الحرام وان نطوف فرخص لهم وذر الذين اتخذوا دينهم لعبا ولهوا اي دينهم
دينهم الذي كان يجب عليهم ان يعظموه ويعملوا به وذلك ان عبادة الاصنام وما كانوا عليه من تحريم
البحائر والسوائب وغير ذلك من باب اللهو واتباع هوا النفس والعمل بالشهوة ومن جنس الهزل

ربع
نصف حزب

دون الحدود المعنى انهم وضعوا هذا الدين الذي هو لعب ولهو موضع دين الاسلام الذي هو
حق فيدسوا به ومعنى ذرهم اعرض عنهم ولا تبال بتكذيبهم واستهزائهم ولا تشغل قلبك بهم
وغرتهم الحيوة الدنيا حتى قطعوا اعمارهم فيما لا ينفعهم في الدار الاخرة وذكر به اي
بالقران أن تبسل نفس اي مخافة ان تسلم الى الهلكة والعذاب وترتهن بما كسبت اي
بسوء كسبها واصل الابسال المنع لان المسلم اليه يمنع المسلم ليس لها اي للنفس من دون
الله ولي اي ناصر ومعين ولا شفيع يشفع لها وإن تعدل كل عدل اي وان تفد كل فداء
والعدل الفدية لا يؤخذ منها قال ابن عباس لو افتدت بالدنيا وما فيها لم يقبل منها وقال
لو جاءت بملء الارض ذهبا لم يؤخذ منها أولئك اشارة الى المتخذين دينهم لعبا ولهوا الذين ابسلوا
اي اسلموا للهلاك وارتهنوا بما كسبوا من المعاصي لهم شراب من حميم وهو الماء الحار في
جهنم وعن ابن عباس لو سقطت منه نقطة على جبال الدنيا لاذابتها وعذاب أليم شديد
الالم بما كانوا يكفرون اي بسبب كفرهم بالله والقران قل أندعوا من دون الله ما لا ينفعنا
ولا يضرنا نزلت في ابي بكر رضي حين دعاه ابنه عبد الرحمن الى عبادة الاوثان ومعنى اندعو
انعبد من دون الله الضار النافع ما لا يقدر على نفعنا ولا مضرتنا ونرد على أعقابنا معناه
ونرد على اعقابنا راجعين الى الشرك بعد إذ هدانا الله اي بعد ان انقذنا الله من الشرك
وهدانا للاسلام كالذي استهوته الشياطين اي ذهبت به مردة الجن والغيلان في الارض
اي في المهمه ومعنى استهوته طلبت هويه وحرصت عليه من هوى في الارض اذا ذهب فيها حيران
تائها ضالا عن الطريق لا يدري كيف يصنع له اي لهذا المستهوى وسمي الطريق المستقيم

بالهدى يقولون له ائتنا وقد اعتسف في التيه على غير طريق تابعا للجن وهو لا يجيبهم ولا ياتيهم
وهذا مبني على ما تزعمه العرب وتعتقده ان الجن تستهوي الانسان والغيلان تستولي عليه
فشبه به الضال عن طريق الاسلام التابع لخطوات الشيطان والمسلمون يدعونه اليه فلا
يلتفت اليهم قل إن هدى الله وهو الاسلام هو الهدى وحده وما وراءه ضلال وأمرنا
اي وقيل وامرنا لنسلم لرب العالمين اي لنخلص الدين له وقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم والرد
اندعوا والاية واردة في شان ابي بكر للمخاصمة التي بين رسول الله صلى الله عليه وآله والمؤمنين
خصوصا به وبين ابي بكر وكبار الصحابة لكانه تخاطب بما حوطوا به وأن أقيموا الصلوة
هذا عطف على قوله لنسلم كانه قيل وامرنا ان نسلم وان اقيموا او امرنا لان نسلم ولان اقيموا اي
للاسلام ولاقامة الصلوة واتقوه اي في مخالفة امره وهو الذي اليه تحشرون اي تجمعون في
الاخرة للجزاء وهو الذي خلق السموات والارض بالحق بالحكمة والغرض الصحيح لما فيه من المنافع
للعباد ويوم يقول اليوم بمعنى الحين اي ومعنى حين يقول للشيء من الاشياء كن فيكون ذلك

سبع الانعام

الشيء اي حين يوجد ويحدثه يحدث من غير تراخ قوله الحق اي الحكمة والصواب والمعنى انه لا
يكون شيء من السموات والارض وسائر المكونات الا عن حكمة وصواب وله الملك يوم ينفخ في الصور
اي وله الملك كله لا يشاركه فيه في هذا اليوم الذي ينفخ اسرافيل فيه والصور قرن ينفخ فيه
اسرافيل وهو الناقور فيحيي الله الخلق عند ذلك عالم الغيب والشهادة اي هو عالم ما غاب
وخفي وما حضر وظهر وهو الحكيم اي العادل في جميع افعاله المصيب بها وجه الحكمة الخبير المطلع
على جميع الاشيا وإذ قال ابراهيم لأبيه آزر آزر هو اسم ابي ابراهيم وفي كتب التواريخ ان اسمه
بالسريانية تارح وقيل آزر اسم صنم لقب به ابو ابراهيم للزومه عبادته أتتخذ أصناما آلهة
هذا انكار لاتخاذه الاصنام الهة يعبدها إني أراك وقومك اي الذين على دينك في ضلال مبين
اي ذهاب عن الحق بين لا شك فيه وكذلك اي ومثل ذلك التعريف والتبصير نري ابراهيم اي نعرفه
ونبصره ملكوت السموات والارض الملكوت اعظم الملك وزيادة الواو والتاء للمبالغة
والمراد بالملكوت دلائل الربوبية وشواهد الالهية والمعنى نوفقه لمعرفتها ونرشده بما شرحنا صدره
ونسدده بالنظر ونهديه لطريق الاستدلال وليكون من الموقنين اي فعلنا ذلك ليكون
من الذين لا يشكون في الحق بالنظر الصحيح ونرى حكاية حال ماضية فلما جن عليه الليل رأى كوكبا
هذا عطف على قال ابراهيم لابيه وقوله وكذلك نري ابراهيم فاصل بينهما وكان ابو ابراهيم
وقومه يعبدون الاصنام والشمس والقمر والكواكب فاراد ان ينبههم على الخطا في دينهم وان يرشدهم
الى طريق النظر والاستدلال ويعرفهم ان النظر الصحيح مؤد الى ان شيئا منها لا يصح ان يكون الها
لقيام دليل الحدوث فيها وان لها محدثا احدثها وصانعا صنعها ومدبرا دبر طلوعها وافولها
وانتقالها ومسيرها وسائر احوالها ومعنى جن عليه الليل غطاه بظلامه وقوله رأى كوكبا اي
كوكبا قيل هو المشتري وقيل هو الزهرة قال هذا ربي هذا قول من ينصف خصمه مع علمه بانه
مبطل فيحكي قوله كما هو غير متعصب لابطاله لان ذلك ادعى الى الحق وابعد من الخصام ثم يعود عليه
بعد حكايته فيبطله بالحجة فلما أفل اي غاب قال لا أحب الآفلين لا احب عبادة
الارباب المتغيرين عن حال الى حال المتنقلين من مكان الى مكان المحتجبين بستر فان ذلك من صفات الاجسام
فلما رأى القمر بازغا اي مبتدئا في الطلوع قال هذا ربي على قول من ينصف خصمه كما
تقدم فلما أفل اي غاب وتوارى بالحجاب قال لئن لم يهدني ربي اي يثبتني ويلطف بي وهو
تنبيه لقومه على ان من اتخذ القمر الها وهو نظير الكواكب في الافول فهو ضال وان الهداية الى
الحق لا تكون الا بتوفيق الله ولطفه وهو جواب قسم محذوف تقديره والله لئن لم يهدني ربي
لأكونن من القوم الضالين بعبادة النجوم فلما رأى الشمس بازغة مبتدئا طلوعها

كذا

قال هذا ربي هذا أكبر هذا من باب استعمال النصفة أيضاً مع خصومه أي أكبر من القمر والكواكب
واعظم منها فلما أفلت قال يا قوم إني بريء مما تشركون من هذه المحدثات التي تجعلونها
لخالقها شركاء في الالهية وتعبدونها دونه واحتج عليهم بالأفول دون البزوغ وكلاهما انتقال من
حال إلى حال لكن الاحتجاج بالأفول أظهر لأنه انتقال مع خفاء واحتجاب وقال في الشمس هذا ربي
ولم يقل هذه مع أنها مؤنثة لأن الرب مذكر فاعتبر تذكيره واختار التذكير لصيانة الرب عن
دليل التأنيث ولذلك قالوا في صفة الله علام ولم يقولوا علامة وإن كان العلامة أبلغ احترازاً من
علامة التأنيث إني وجهت وجهي أي جعلت قصدي بالعبادة للذي فطر السموات والأرض
أي ابتدأها وأنشأها والمعنى للذي دلت هذه المحدثات عليه قيل كان هذا نظره واستدلاله
في نفسه فحكاه الله والأظهر أنه أراد إرشادهم إلى طريق الاستدلال والنظر كقوله لئن لم
يهدني ربي ودليله قوله يا قوم إني بريء مما تشركون حنيفاً أي مائلاً عن كل دين إلى دين الإسلام وقوله
وما أنا من المشركين تعريض بهم وبإشراكهم بغير حجة وحاجه قومه أي جادلوه في توحيد الله
ونفي الشركاء عنه منكرين لذلك قال أتحاجوني في الله وقد هدان
إلى التوحيد والمعرفة ولا أخاف ما تشركون به بأنهم كانوا قد خوفوه أن معبوداتهم تصيبه
بسوء إلا أن يشاء ربي شيئاً أي إلا وقت مشيئة ربي شيئاً يخاف فأما معبوداتكم فإنها لا تقدر قط
على منفعة ولا مضرة إلا إذا شاء ربي أن يصيبني بمخوف من جهتها مثل أن يرجمني
بكوكب أو بقطعة من الشمس أو القمر أو يجعلها قادرة على مضرتي وسع ربي كل شيء علماً أي وسع
علم ربي كل شيء فلا يستبعد أن يكون في علمه إنزال المخوف من جهتها أفلا تتذكرون أي أفلا تتذكرون
فتميزوا بين الصحيح والفاسد والقادر والعاجز وكيف أخاف ما أشركتم معناه
تعلق بكم فيه وأين الصحيح والفاسد ... كيف الإنكار عليهم على وجه التعجب من جهالتهم أي وكيف أخاف لتخويفكم شيئاً مأمون الخوف لا يتعلق
به ضرر قط بوجه من الوجوه ولا تخافون أنكم أشركتم بالله أي وأنتم لا تخافون أن تتعلق به كل خوف
وهو إشراككم بالله ما لم ينزل به أي بإشراكه عليكم سلطاناً أي حجة لأن الإشراك لا يصح أن يكون
عليه حجة كأنه قال وما لكم تنكرون علي الأمن ولا تنكرون على أنفسكم الأمن في موضع الخوف ولم
يقل فأينا أحق بالأمن أنا أم أنتم احترازاً من تزكيته نفسه فعدل عنه إلى قوله فأي الفريقين
أحق بالأمن يعني فريقي المشركين والموحدين إن كنتم تعلمون أي إن كنتم من أهل العلم والتمييز
ولم يكف علمكم أنهما أحق بالأمن ثم استأنف الجواب عن السؤال بقوله الذين آمنوا ولم يلبسوا
إيمانهم بظلم أي لم يخلطوا إيمانهم بمعصية تفسقهم ولا يصح أن يراد بالظلم الكفر لأنه
لا إيمان مع الكفر أولئك لهم الأمن من العذاب يوم القيمة وهم مهتدون إلى الحق

ودليل إلى الحجة وتلك حجتنا إشارة إلى جميع ما احتج به إبراهيم على قومه من قوله فلما جن عليه الليل
إلى قوله وهم مهتدون آتيناها إبراهيم على قومه معنى آتيناها إبراهيم أرشدناه إليها ووفقناه
لها نرفع درجات من نشاء يعني في العلم والحكمة كما رفعنا درجات إبراهيم إن ربك حكيم عليم فيما
يفعل ويخص بالأنبياء الحجة ورفع الدرجات عليم بمن يستحق ذلك ويصلح له ووهبنا له إسحق
ويعقوب أي ووهبنا لإبراهيم ذريته أنبياء مهديين للحق وإصابة الحجة كلا هدينا معناه
هدينا كلهم ونوحاً هدينا من قبل أي من قبل هؤلاء ومن ذريته أي ذرية نوح أو ذرية إبراهيم
داود وسليمان وأيوب ويوسف وموسى وهارون داود عطف على نوحاً أي وهدينا داود
والصحيح أن الضمير في ذريته يعود إلى نوح لأنه ذكر في جملة من عدد من هذه الذرية يونس
ولوطاً ولا إشكال أنهما ليسا من ذرية إبراهيم وكذلك نجزي المحسنين في أعمالهم أي نجزيهم نو
وزكريا ويحيى وعيسى وإلياس كل من الصالحين أي كل هؤلاء الأنبياء من أهل الصلاح مهديون كلهم
وإسماعيل واليسع ويونس ولوطاً وكلاً فضلنا على العالمين أي كل فضلنا على سائر الناس لأن الأنبياء أشرف
بني آدم وأفضلهم ومن آبائهم وذرياتهم وإخوانهم يعني وفضلنا بعض آبائهم وهم أهل
الصلاح منهم وكذلك بعض ذرياتهم وهم أولادهم وإخوانهم أخوتهم واجتبيناهم أي اخترناهم
وهديناهم إلى صراط مستقيم أي طريق ثابت وهو طريق التوحيد دين الإسلام ذلك هدى الله يهدي به
أي يوفق له من يشاء من عباده ... التوفيق ولا ينكر دليل العقل في الشرك ولا دليل السمع فيما ورد به ولو أشركوا
يعني هؤلاء الأنبياء مع فضلهم على غيرهم وتقدمهم وما رفع لهم من الدرجات لكانوا كغيرهم
لحبط عنهم ما كانوا يعملون أي لبطل جميع ما يستحقون على أعمالهم من الثواب أولئك إشارة
إلى الأنبياء المعدودين الذين آتيناهم الكتاب أي الكتب التي أنزلها عليهم لأنه أراد الجنس
والحكم أي السنة وهي العلم والفقه أو الحكم بين الناس بالحق والنبوة يعني خصصناهم بها
فإن يكفر بها هؤلاء بعد أي بالكتاب والحكم والنبوة أو بالنبوة هؤلاء يعني أهل مكة
فقد وكلنا بها قوماً ليسوا بها بكافرين هم الأنبياء المذكورون ومن تابعهم وقيل هم أصحاب
النبي صلى الله عليه وآله وكل من آمن به وقيل الملائكة والأول أعني الأنصار أولاهم ومعنى توكيلهم
أنهم وفقوا للإيمان بها والقيام بحقوقها كما يوكل الرجل بالشيء ليقوم به ويتعاهده ويحفظه
أولئك الذين هدى الله إشارة إلى الأنبياء المذكورين فبهداهم اقتده أي لا تقتد إلا
بهداهم والمراد بهداهم طريقتهم في الإيمان بالله وتوحيده وهو أصول الدين دون الشرائع فإنها
مختلفة وهي هدى ما لم تنسخ فإذا نسخت لم تبق هدى بخلاف أصول الدين فإنها هدى أبداً والهاء
في اقتده للوقف تسقط في الوصل واستحسن بيانها في الوصل لثباتها في المصحف قل يا محمد

لا أسألكم عليه أجرا اى لا اطلب منكم على الايمان بالقران والاهتداء به اجرا إن هو إلا ذكرى للعالمين
اى ما هو الا موعظة لهم وما قدروا الله حق قدره اى ما عرفوه حق معرفته فى الرحمة
على عباده واللطف بهم حين انكروا بعثة الرسل والوحى اليهم وذلك من اعظم رحمته واجل نعمه
عليهم او ما عرفوه حق معرفته فى سخطه على الكافرين وشدة بطشه بهم ولم يخافوه حين جسروا على تلك
المقالة العظيمة من انكار النبوة والقائلون هم اليهود إذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شىء
وانما قالوا ذلك مبالغة فى انكار انزال القران على رسول الله صلى الله عليه وآله قل لهم يا محمد من أنزل الكتاب
الذى جاء به موسى الزمهم الله تعالى ما لا بد لهم من الاقرار به من انزال التورية على موسى لانهم
نقموا الانزال على جميع البشر فقوله نورا وهدى للناس بيان لحال التورية لانها تستضاء بها فى
الدين ويهتدى بها وفى ضمن الزامهم انزال التورية على موسى وتحكم على عبدهم وغار عليهم
من حملهم لكتابهم فقال تجعلونه قراطيس اى ورقات مفرقة وقراطيس مقطعة تبدونها
اى تظهرونها وتخفون كثيرا اى يكتمونه ويحرفونه كوصفه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
وما لا يوافق ظهورهم اهواءهم واعلاءهم وجعلوها ورقات مفرقة ليتمكنوا بما راموا من تحريفه كوصفه
رسول الله صلى الله عليه وسلم من الابدا والاخفا وروى ان مالك بن الصيف من احبار
اليهود ورؤسائهم قال له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم انشدك بالذى انزل التورية على
موسى هل تجد فيها ان الله يبغض الحبر السمين فانت الحبر السمين قد سمنت من مالك الذى يطعمك
اليهود فضحك القوم فغضب ثم التفت الى عمر فقال ما انزل الله على بشر من شىء فقال له قومه
ويلك ما هذا الذى بلغنا عنك فقال انه اغضبنى فنزعوه وجعلوا مكانه كعب بن الاشرف
وقيل القائلون قريش وقد الزموا انزال التورية لانهم كانوا يسمعون من اليهود بالمدينة ذكر
موسى والتورية وكانوا يقولون لو انا انزل علينا الكتاب لكنا اهدى منهم وعلمتم ما لم تعلموا
أنتم ولا آباؤكم الخطاب لليهود اى علمتم على لسان محمد صلى الله عليه وآله مما اوحى الله
ما لم تعلموا انتم وانتم حملة التورية ولم تعلمه اباؤكم الاقدمون الذين كانوا اعلم منكم
وقيل الخطاب لمن آمن من قريش قل الله اى انزله الله فانهم لا يقدرون ان يناكروك
ثم ذرهم فى خوضهم يلعبون اى فى باطلهم الذى يخوضون فيه ولا عليك بعد الزام الحجة
وهذا كتاب أنزلناه هو القران مبارك كثير المنافع والفوائد مصدق الذى بين يديه
اى ما تقدمه من الكتب ولتنذر به معطوف على صفة الكتاب كانه قيل انزلنا للبركات
وتصديق ما تقدمه وللانذار وقرئ لينذر بالياء والتاء أم القرى ومن حولها هى مكة
وسميت ام القرى لانها مكان اول بيت وضع للناس ولانها قبلة اهل القرى كلها ومحجهم ولانها

اعظم القرى شانا والذين يؤمنون بالآخرة اى يصدقون بها بالعاقبة ويخافونها يؤمنون به اى
بهذا الكتاب وذلك لان اصل الدين خوف العاقبة فمن خافها لم يزل به الخوف حتى يؤمن وهم
وهم على صلاتهم يحافظون خص الصلوة بالذكر لانها عماد الدين ومن حافظ عليها كانت لطفا
له فى المحافظة على اخواتها من الطاعات ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا اى لا اظلم ممن
افترى الكذب على الله فزعم انه نبى أو قال أوحى إلى ولم يوح إليه شىء هو مسيلمة الكذاب او كذاب
صنعا الاسود العنسى وعن النبى صلى الله عليه وآله رايت فيما يرى النائم كان فى يدى سوارين من ذهب
فكبرا على واهمانى فاوحى الله الى ان انفخهما فنفختهما فطارا عنى فاولتهما الكذابين اللذين انا
بينهما كذاب اليمامة مسيلمة وكذاب صنعا الاسود العنسى ومن قال سأنزل مثل ما أنزل الله
هو عبد الله بن سعد بن ابى سرح القرشى كان يكتب لرسول الله صلى الله عليه وآله فكان اذا املى
عليه سميعا عليما كتب عليما حكيما واذا قال عليما حكيما كتب غفورا رحيما فلما نزلت ولقد خلقنا
الانسان من سلالة من طين الى آخر الآية عجب عبد الله من تفصيل خلق الانسان فقال فتبارك
الله احسن الخالقين فقال عليه السلم اكتبها فكذلك نزلت فشك عبد الله وقال لئن كان محمد صادقا
لقد اوحى الى كما اوحى اليه وان كان كاذبا فلقد قلت كما قال فارتد عن الاسلام ولحق بمكة ثم رجع
مسلما قبل الفتح ولو ترى جوابه محذوف اى لرايت امرا عظيما إذ الظالمون يريد الذين
ذكرهم من اليهود والمتنبئة مسيلمة والاسود فى غمرات الموت وهى شدائده وسكراته
والملائكة اى ملائكة الموت باسطوا أيديهم اى يبسطون اليهم ايديهم يقولون أخرجوا أنفسكم
اى هاتوا ارواحكم اخرجوها الينا من اجسادكم وهذه عبارة عن العنف فى السياق والشدة
فى الازهاق من غير تنفيس وامهال وانهم يفعلون معهم فعل الغريم الملح المسلط يبسط يده الى
من عليه الحق ويقول اخرج الى ما لك عليك الساعة فلا ابرح من مكانى حتى انزعه من احداقك وقيل
معنى باسطوا ايديهم عليهم بالعذاب اخرجوا انفسكم خلصوها من ايدينا اى لا تقدرون على الخلاص
اليوم تجزون يجوز ان يريدوا وقت الاماتة وما يعذبون به من شدة النزع وان يريدوا الوقت
الممتد الذى يلحقهم فيه العذاب من وقت الموت الى القيامة عذاب الهون وهو الهوان
الشديد واضافة العذاب اليه لبيان شدته وتمكنه فيه بما كنتم بسبب ما كنتم تقولون على
الله غير الحق وهو قولهم ما انزل الله على بشر من شىء واوحى الى ولم يوح اليه شىء وكنتم عن
آياته تستكبرون فلا تؤمنون بها ولقد جئتمونا فرادى منفردين عن اموالكم واولادكم وما حرصتم
عليه وآثرتموه من دنياكم كما خلقناكم أول مرة على الهيئة التى ولدتم عليها فى الانفراد وتركتم
ما خولناكم ما تفضلنا به عليكم فى الدنيا فشغلتم به عن الآخرة وراء ظهوركم لم ينفعكم
ولم تحتملوا منه نقيرا ولا قدمتموه لانفسكم وما نرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم أنهم فيكم شركا

ولم تجعلوا لله نصيرا ولا تدعونه لانفسكم اى اصنامكم التى زعمتم انها تشفع لكم وانهم فيكم شركا
في استعبادكم لانهم حين دعوتم آلهة وعبدتموها فقد جعلتموها لله شركاءهم وفي استعبادهم
لقد تقطع بينكم اى وقع التقطع بينكم والمعنى تقطع ما بينكم وبين شفعائكم من
الاسباب والوصل وضل عنكم اى ذهب عنكم ما كنتم تزعمون انه شافع لكم وتجعلونه
شريكا لله فيكم إن الله فالق الحب والنوى يعني بالنبات والشجر وقال مجاهد اراد الشقين اللذين
في النواة والحنطة يخرج الحي من الميت الحيوان من النطفة والطائر من البيض ومخرج
الميت من الحي اى النطفة الميتة من الانسان وقال الحسن يخرج المؤمن من الكافر والكافر من المؤمن
وقيل يخرج النبات الغض الطري من الحب اليابس واليابس من الحي لان النامي في حكم الحيوان ذلكم
الله المحيي والمميت هو الذي تحق له الربوبية فانى تؤفكون اى فكيف تصرفون عنه وعن
عبادته فالق الاصباح معناه فالق ظلمة الاصباح وهو الغبش في آخر الليل الذي يلي الصبح
او يريد فالق الاصباح الذي هو عمود الفجر عن بياض النهار وسموا الفجر فالق الاصباح يعني يطلعه
وجاعل الليل سكنا هو ما يسكن اليه الرجل ويطمئن اليه استيناسا به واسترواحا اليه من زوج
وحبيب ومنه قيل للنار سكن لانه يستأنس بها وسموها المؤنسة والليل يسكن اليه التعب بالنهار
لاستراحته فيه بالنوم والسكون فقيل له سكن والشمس والقمر حسبانا اى جعلهما على
حساب لان حساب الاوقات يدور بدورهما وسيرهما والحسبان بالضم مصدر حسب كما ان الحسبان
بالكسر مصدر حسب يعني ظن ذلك اشارة الى جعلهما حسبانا اى ذلك التسيير بالحساب المعلوم
تقدير العزيز الذي قهرهما وسخرهما العليم بتدبيرهما وتدويرهما وهو الذي جعل لكم
النجوم اى جعلها لكم لتهتدوا بها في اسفاركم وغيرها في ظلمات البر والبحر اى في ظلمات
الليل بالبر والبحر واضافها اليهما لملابستها لهما او شبه مشتبهات الطرق بالظلمات
قد فصلنا الآيات اى بيناها ووضحناها لقوم يعلمون ينتفعون بعلمها
لان ما لم ينتفع به فكأنه لم يعلم وهو الذي انشأكم من نفس واحدة وهي نفس
آدم فمستقر اى فلكم مستقر في الرحم ومستودع في الصلب او مستقر فوق الارض ومستودع
تحتها وقيل ان المستقر في الآخرة والمستودع في الدنيا قد فصلنا الآيات لقوم يفقهون
وقال يعلمون مع ذكر النجوم ويفقهون مع ذكر انشاء بني آدم لان انشاء الانس من نفس واحدة
من احوال مختلفة ألطف صنعة وادق تدبيرا فكان ذكر الفقه هو استعمال الفطنة
مطابقا له وهو الذي انزل من السماء ماء فاخرجنا به نبات كل شيء اى كل صنف
من اصناف النبات من الزرع والاشجار ويعني ان السبب واحد وهو الماء والمسببات صنوف

متنوعة كما قال يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الاكل فاخرجنا منه يعني من النبات
خضرا يعني شيئا غضا اخضر يقال اخضر وخضر وهو ما تفرع من اصل النبات الخارج من الحبة
نخرج منه اى من الخضر حبا متراكبا وهو السنبل الذي يكون في رأس الزرع كالمطوي
في الذرة وهو متراكب لان بعضه فوق بعض ومن النخل من طلعها اى ومن طلع النخل
وهو شيء يشبه في رأس النخلة اول ما يخرج منها قنوان دانية قنوان جمع قنو وهو عذق النخل
كالعنقود في العنب ودانية سهلة المجتنى معرضة للقاطف كالشيء الداني القريب المتناول وقال
الحسن دانية قريب بعضها من بعض وقيل ذكر القريبة وترك ذكر البعيدة لان النعمة فيها اظهر
او لانه ذكر القريبة على ذكر البعيدة وجنات من اعناب قرئ بالرفع اى وثم جنات من اعناب
مع النخل وقراءة الجماعة بالنصب ويعني واخرجنا به جنات والزيتون والرمان شجر الزيتون
وشجر الرمان وخصهما لما فيهما من عجيب الصنعة مشتبها وغير متشابه يعني بعضه متشابها
وبعضه غير متشابه في القدر واللون والطعم وذلك دليل على التعمد المخالفة وارادها الدال
على عظيم القدرة وان ذلك عن مهمل انظروا الى ثمره اذا اثمر وينعه اى اذا اخرج ثمره كيف
يخرجه ضئيلا ضعيفا لا يكاد ينتفع به وينعه اى وانظروا الى حال ينعه ونضجه وكيف يعود
شيئا جامعا للمنافع وملاذ نظر اعتبار واستبصار واستدلال على قدرة مقدره ومدبره وناقله
من حال الى حال ان في ذلكم الصنع والتدبير والتدريج لآيات اى دلالات على القدرة لقوم
يؤمنون يقرون ويتعمقون في النظر وجعلوا لله شركاء الجن اى وجعلوا الجن شركاء وفائدة
تقديم شركاء على الجن استعظام ان يتخذ لله شريك من كان ملكا او جنيا او انسيا او غير ذلك ولذا قدم
اسم الله على الشركاء والمراد بالجن الشياطين لانهم امروهم في عبادته ولانهم اطاعوهم كما يطاع
الله وخلقهم اى وخلق الجاعلين له شركاء ومعناه وعلموا ان الله خالقهم دون الجن ولم يمنعهم علمهم
ان يتخذوا من لا يخلق شريكا للخالق وقيل معنى وخلقهم وخلق الجن وخرقوا له بنين وبنات اى
كذبوا وافتعلوا وهو قول اهل الكتاب في عزير والمسيح وهو قول قريش في الملائكة يقال خرق
الكذب وخلقه واختلقه واخترقه بمعنى واحد وهي كلمة عربية كانت العرب تقولها اذا كذب
الرجل كذبة في مجلس القوم قالوا قد خرقها والله بغير علم اى من غير ان يعلموا حقيقة
ما قالوه من خطا وصواب بل قالوا عن جهالة وعمى من غير فكر ولا دليل سبحانه اى نزهه له
وتعالى اى وتعاظم عما يصفون من الكذب والجهل بديع السماوات والارض اى مخترعهما
من غير مثال انى يكون له ولد اى كيف يكون له ولد ولم تكن له صاحبة اى زوجة
وخلق كل شيء وهو بكل شيء عليم وفيه ابطال الولد من وجوه احدها ان مبدع السماوات
والارض وهي اجسام عظيمة لا يستقيم ان يوصف بالولادة لانها من صفات الاجسام ولا يكون جسما

ومخترع الاجسام

حتى يكون ولدا والثاني ان الولادة لا تكون الا بين زوجين من جنس واحد وهو متعال عن مجانس
فلم يصح ان يكون له صاحبة فلم تصح الولادة والثالث انه ما من شيء الا وهو خالقه والعالم به
ومن كان بهذه الصفة كان غنيا عن كل شيء والولد انما يطلبه المحتاج ذلكم الله اي
الموصوف بهذه الاشياء ربكم اي مالككم لا اله الا هو اي لا معبود سواه خالق
كل شيء لا يشاركه احد في ايجاد الموجودات فاعبدوه يعني ان من استجمع له هذه
الصفات كان هو الحقيق بالعبادة فاعبدوه ولا تعبدوا من دونه من بعض خلقه ثم قال وهو على
كل شيء وكيل يعني وهو مع تلك الصفات مالك لكل شيء من الارزاق والاجال رقيب على
الاعمال مطلع عليها لا تدركه الابصار البصر هو الجوهر اللطيف الذي ركبه الله في حاسة
النظر به تدرك المبصرات فالمعنى ان الابصار لا تتعلق به ولا تدركه لانها انما تتعلق بما
كان في جهة وهو الاجسام وصفاتها وهو يدرك الابصار اي وهو للطفه ادراكه للمدركات
يدرك تلك الجواهر اللطيفة التي لا يدركها مدرك وهو اللطيف الذي يلطف عن ان
تدركه الابصار الخبير بكل لطيف وهو يدرك الابصار وهذا من باب اللف وتقديره لا تدركه
الابصار لانه اللطيف وهو يدرك الابصار لانه الخبير قد جاءكم بصائر من ربكم هذا
وارد على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم لقوله وما انا عليكم بحفيظ والبصيرة نور القلب
الذي يستبصر به كما ان البصر نور العين الذي به تبصر اي جاءكم من الوحي والتنبيه على ما يجوز على الله
وما لا يجوز ما هو للقلوب كالبصائر فمن ابصر الحق وامن به فلنفسه ابصر واياها نفع ومن
عمي عنه فعليها اي فعلى نفسه عمي واياها اضر وما انا عليكم بحفيظ احفظ اعمالكم واجازيكم
عليها انما انا منذر والله هو الحفيظ عليكم وكذلك نصرف الايات نكررها للتنبيه
وهي ايات القران وليقولوا درست اي قرات وتعلمت وقرئ دارست اي دارست العلماء ودرست
ودرسوها بدارست اليهود محمدا وجاز الاضمار لان الشهرة بالدراسة كانت لليهود عندهم ولنبينه
اي ولنبين القران او الايات لانها في معناه واللام في لنبينه للتعليل حقيقة وفي ليقولوا دارست
مجاز لان الايات صرفت للتبيين ولم تصرف ليقولوا درست وانما حصل هذا القول بسبب تصريف
الايات فشبه بالتعليل ومجراه كقوله فالتقطه ال فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا لان
العداوة ثمرة الالتقاط كما يكون للتاديب ثمرة الضرب في قولك ضربته للتاديب لقوم يعلمون اي
يتدبرون بعقولهم فيعلمون صحتها وينتفعون بها اتبع ما اوحي اليك من ربك اي اتبع
الوحي فانه الحق لا اله الا هو فاصل اكد به اتباع الوحي واعرض عن المشركين
ودينهم فانه ضلال لا دليل عليه ولو شاء الله ما اشركوا اي ولو شاء مشيئة الجا
ونحو وما جعلناك عليهم حفيظا تحفظ اعمالهم انما عليك الانذار فقط وما انت عليهم

سورة الانعام

سؤال ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فشتم الاصنام طاعة فكيف نهى عنها جواب لما كانت هذه الطاعة تستلزم منكرا عظيما وهو شتم الله ورسوله ... منها ... باب ... عنه

بوكيل اي مطلع متوكل امرهم اليك بل الله الوكيل عليهم والمجازي لهم ولا تسبوا الالهة
الذين يدعون من دون الله اي يعبدونها فيسبوا الله وذلك انهم قالوا عند
نزول قوله انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم لتنتهين عن سب الهتنا او لنهجون الهك
وقد كان المسلمون يشتمون الهتهم فنهوا لئلا يكون سبهم سببا لسب الله وسب الهتهم حق وطاعة لكن
نهي عنه هاهنا لانها طاعة علم انها تكون مفسدة فوجب النهي عنها لانها معصية لا لانها طاعة كالنهي
عن المنكر هو من اجل الطاعات فاذا علم انه يؤدي الى زيادة الشر انقلب معصية ووجب النهي عنه
كالنهي عن المنكر عدوا ظلما وعدوانا وعن ابن كثير عدوا بمعنى اعداء اي في حال كونهم اعداء
وعدو يستوي فيه الواحد والجمع كقوله هم العدو بغير علم يعني على جهالة بالله وبما يجب ان
يذكر به من التعظيم كذلك اي مثل ذلك التزيين زينا لكل امة من امم الكفار سوء عملهم
اي خليناهم وشانهم ولم نكفهم حتى حسن عندهم او امهلنا الشيطان حتى زين لهم او زيناه في زعمهم
وقولهم ان الله امرنا بهذا وزينه لنا ثم الى ربهم مرجعهم في الاخرة للجزاء فينبئهم بما كانوا يعملون
اي يخبرهم بقبائح اعمالهم وفائدة اخباره انه يوبخهم عليها ويعاتبهم ويعاقبهم واقسموا بالله
جهد ايمانهم اي جهدوا ايمانهم جهدا في تعظيمها وتغليظها لئن جاءتهم اية من الايات يقترحونها
في طلبها ليؤمنن بها ليصدقن قل يا محمد انما الايات عند الله لا عندي فكيف اتيكم بها وعند الله
وهو قادر على انزالها ولكنه لا ينزلها الا على موجب الحكمة فكيف احكم لكم اليها قيل طلبت قريش من النبي
صلى الله عليه وسلم ان يقلب بعض الصفا ذهبا كما فعل موسى وان يحيي الموتى كما فعل عيسى وان يكون له ناقة
كناقة صالح وما يشعركم اي وما يعلمكم يا مؤمنون انها اي ان الاية التي طلبوها اذا جاءت
لا يؤمنون بها وانتم لا تدرون بذلك وذلك ان المؤمنين كانوا يطمعون في ايمانهم اذا جاءت تلك الاية
ويتمنون مجيئها فقال الله عز وجل وما يدريكم انهم لا يؤمنون على معنى انكم لا تدرون ما سبق علمي به من انهم
لا يؤمنون وقيل انها بمعنى لعلها ونقلب افئدتهم وابصارهم اي نطبع على قلوبهم وابصارهم فلا
يفقهون ولا يبصرون الحق كما لم يؤمنوا به اول مرة اي كما كانوا عند نزول القران لا يؤمنون
به ونذرهم في طغيانهم اي نخليهم في ظلمهم وزيادة كفرهم يعمهون اي لا نكفهم عن الطغيان
حتى يعمهوا فيه والعمه الخطا في الراي وهو خائض في عمى القلب ولو اننا نزلنا اليهم
الملائكة اي لو اجبناهم الى قولهم كما قالوا لولا انزل علينا الملائكة وكلمهم الموتى كما قالوا
فاتوا بابائنا وحشرنا عليهم كل شيء قبلا اي عيانا ومشاهدة وقرئ قبلا كما قالوا
او تاتي بالله والملائكة قبيلا اي قبلا كفلا بصحة ما بشرنا به وانذرنا اي لو فعلنا بهم هذه
الامور ما كانوا ليؤمنوا عند نزول هذه الايات الا ان يشاء الله منه اكراه
واضطرار ولكن اكثرهم يجهلون فيقسمون بالله جهد ايمانهم بما لا يعلمون من حال قلوبهم

الجزء الثامن

عند نزول الآيات ومعناه ولكن أكثر المسلمين يجهلون أن هؤلاء لا يؤمنون إلا إن يضطرهم فيطمعون
في إيمانهم إذا جاءتهم الآية المطلوبة **وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا** أي وكما خلينا بينك وبين
أعدائك كذلك فعلنا بمن قبلك من الأنبياء وأعدائهم لم نمنعهم من العداوة لما فيه من الامتحان الذي
هو سبب ظهور الثبات والصبر وكثرة الثواب والأجر **شياطين الإنس والجن** بدل من عدوا وتفسير له
يوحي بعضهم إلى بعض يوسوس شياطين الجن إلى شياطين الإنس وكذلك بعض الجن إلى بعض وبعض
الإنس وعن مالك بن دينار إن شيطان الإنس أشد علي من شيطان الجن لأني إذا تعوذت بالله ذهب
شيطان الجن عني وشيطان الإنس يجيئني فيجرني إلى المعاصي عيانا **زخرف القول** ما زينوه من
القول والوسوسة والإغراء على المعاصي **غرورا** خدعا وأخذا على غرة **ولو شاء ربك ما فعلوه**
أي ما فعلوا ذلك أي ما عادوك أو ما أوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول بأن يكفهم ولا يخليهم وشأنهم
فذرهم وما يفترون أي خلهم وما يكذبون من زخرف القول وتزيين المعاصي أو وما يفترون من
الإيمان الذي وعدوا أنه عند نزول الآيات التي طلبوها **ولتصغى إليه** أي ولتميل إلى ما ذكر من
عداوة الأنبياء ووسوسة الشياطين **أفئدة الذين لا يؤمنون بالآخرة** أي قلوب الكفار الذين
لا يصدقون بالآخرة **وليرضوه** لأنفسهم **وليقترفوا** وليكتسبوا من الآثام **ما هم مقترفون**
والإصرار والاكتساب **أفغير الله أبتغي حكما** أي قل يا محمد أفغير الله أطلب حاكما يحكم بيني
وبينكم ويفصل المحق منا من المبطل **وهو الذي أنزل إليكم الكتاب** المعجز وهو القرآن
مفصلا مبينا فيه الفصل بين الحق والباطل والشهادة لي بالصدق وعليكم بالافتراء **والذين
آتيناهم الكتاب يعلمون أنه منزل من ربك بالحق** هذا تقوية للدلالة على أن
القرآن حق يعلم أهل الكتاب أنه حق لتصديقه ما عندهم وموافقته له **فلا تكونن من الممترين**
الشاكين في كونه حقا وهذا من كونه حقا والإلهاب أي تهييج الحمية على الدين والإلهاب للغضب لله
ولدينه كقوله ولا تكونن من المشركين وهو كثير في القرآن **وتمت كلمات ربك** أي كلامه
أخبر به وأمر ونهى ووعد وأوعد **صدقا وعدلا** صدقا فيما وعد وأوعد وعدلا فيما حكم وأوعد
لا مبدل لكلماته أي لا أحد يبدل شيئا من ذلك مما هو أصدق وأعدل **وهو السميع العليم** يسمع
أقوال عباده ويعلم أفعالهم فيجزيهم بحسبها **وإن تطع أكثر من في الأرض** من الناس **يضلوك**
عن سبيل الله لأن الأكثر في غالب الأمر يتبعون أهواءهم فتضل معهم بضلالهم قال
إن يتبعون إلا الظن وهو ظنهم أن آباءهم كانوا على الحق فهم يقلدونهم **وإن هم إلا
يخرصون** يقدرون أنهم على شيء أو يكذبون في أن الله حرم كذا وأحل كذا من البحيرة والميتة **إن
ربك هو أعلم من يضل عن سبيله** أي هو أعلم من كل عليم بأهل الضلال عن دينه **وهو أعلم بالمهتدين**
لإصابة الحق **فكلوا مما ذكر اسم الله عليه** هذا إنكار على المسلمين في اتباع المضلين

الذين يحلون الحرام ويحرمون الحلال وذلك أنهم كانوا يقولون للمسلمين إنكم تزعمون أنكم تعبدون الله
فما قتل الله أحق أن تأكلوا مما قتلتم أنتم أرادوا أن الميتة أحق بالأكل من المذكاة فقيل للمسلمين **إن كنتم
بآياته مؤمنين** فحقيقة الإيمان فكلوا مما ذكر اسم الله عليه خاصة دون ما ذكر عليه اسم غيره من آلهتهم
أو مات حتف أنفه وما ذكر اسم الله عليه هو المذكى ببسم الله وما ذكر عليه اسم آلهتهم عند الذبح هو
قولهم باسم اللات والعزى **وما لكم ألا تأكلوا** معناه وأي غرض لكم في أن لا تأكلوا **مما ذكر
اسم الله عليه وقد فصل لكم** أي بين لكم **ما حرم عليكم** مما لم يحرم وهو قوله حرمت عليكم الميتة إلى
آخر الآية **إلا ما اضطررتم إليه** مما حرم عليكم فإنه حلال لكم في حال الضرورة **وإن كثيرا
من الناس ليضلون** فيحرمون ويحللون **بأهوائهم** وشهواتهم **بغير علم** يعني من غير تعلق بشريعة
ولا استناد إلى أصل **إن ربك هو أعلم بالمعتدين** يعني المجاوزين الحد في الحلال والحرام
وذروا ظاهر الإثم وباطنه أي ما أعلنتم به وما أسررتم وقيل ما عملتم وما نويتم وقيل ظاهر
الزنا في الحوانيت وباطنه الصديقة في السر والمعنى اتركوا الزنا ظاهرا وباطنا **إن الذين
يكسبون الإثم** أي يعملون المعاصي **سيجزون** أي يعاقبون في الآخرة **بما كانوا يقترفون**
أي يكسبون **ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه** قال ابن عباس يريد الميتة والمنخنقة إلى قوله
وما ذبح على النصب وقيل هو ما ذبح لغير الله **وإنه لفسق** يعني وإن الأكل منه لخروج عن الإيمان
وقد ذهب جماعة من المجتهدين إلى جواز أكل ما لم يذكر عليه اسم الله نسيانا أو عمدا ولو بالميتة
وبما ذكر غير اسم الله عليه ومذهب أئمتنا عليهم السلام أن المذكي إذا ترك التسمية عمدا لم يحل الأكل
وإن ترك سهوا أو جهلا أكل **وإن الشياطين ليوحون** ليوسوسون **إلى أوليائهم** من
المشركين **ليجادلوكم** بقولهم ولا تأكلوا مما قتله الله وهذا يرجح تأويل من تأوله بالميتة
وإن أطعتموهم في ذلك **إنكم لمشركون** لأن من اتبع غير الله في دينه فقد أشرك به ومن حق المتدين
في دينه أن لا يأكل مما لم يذكر اسم الله عليه كيفما كان لما يرى في الآية من التشديد العظيم وإن كان
أبو حنيفة مرخصا في النسيان دون العمد [illegible] مرخصان فيهما **أومن كان ميتا
فأحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها** الذي هداه الله
بعد الضلالة ومنحه التوفيق لليقين الذي يميز به بين المحق والمبطل والمهتدي والضال من كان
ميتا فأحياه الله وجعل له نورا يمشي به في الناس مستضيئا به فيميز بعضهم من بعض ومن بقي على الضلالة
كالخابط في الظلمات لا يتخلص منها ومعنى قوله كمن مثله في الظلمات كمن صفته هذه وهو قوله
في الظلمات أي خابط هو في الظلمات ليس بخارج منها **كذلك زين للكافرين ما كانوا يعملون**
أي زينه الشيطان للمشركين زين للكافرين ما كانوا عليه من الكفر والمزين هو الشيطان حقيقة وأسند إلى الله
تعالى مجازا يعني أنه مكن الشيطان ولم يكفه **وكذلك جعلنا في كل قرية أكابر مجرميها** يعني وكما

جعلنا في مكة صناديدها ليمكروا فيها كذلك جعلنا في كل قرية أكابر مجرميها ليمكروا فيها
أي ليفعلوا المنكر والقبائح فيها ومعناه خليناهم ليمكروا وما كففناهم عن المكر وخص
الأكابر لأنهم هم الحاملون على الضلال والماكرون بالناس وما يمكرون إلا بأنفسهم وما
يشعرون لأن مكرهم يحيط بهم ونحوه وعليهم وهذه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وآله ووعد له
بالنصرة عليهم وإذا جاءتهم آية قالوا لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما أوتي رسل الله روي أن
الوليد بن المغيرة قال لو كانت النبوة حقا لكنت أولى بها منك لأني أكبر منك سنا وأكثر منك
مالا وروي أن أبا جهل قال زاحمنا بنو عبد مناف في الشرف حتى إذا صرنا كفرسي رهان قالوا
منا نبي يوحى إليه والله لا نرضى به ولا نتبعه أبدا إلا أن يأتينا وحي كما يأتيه فنزلت الله أعلم
حيث يجعل رسالاته هذا كلام مستأنف للإنكار عليهم وأن الله لا يصطفي للنبوة إلا من علم
أنه يصلح لها وهو أعلم بالمكان الذي يضعها فيه منهم سيصيب الذين أجرموا من أكابر
مكة صغار ذل عند الله بعد كبرهم وعظمتهم وعذاب شديد في الدارين من الأسر
والقتل وعذاب النار بما كانوا يمكرون أي بسبب مكرهم وهو كيدهم لدين الله ولرسوله فمن
يرد الله أن يهديه أن يلطف به ولا يريد أن يلطف إلا بمن له لطف يشرح صدره للإسلام
يلطف به حتى يرغب في الإسلام ويسكن إليه نفسه ويحب الدخول فيه ومن يرد أن يضله
أي يخذله ويخليه وشأنه وهو الذي لا لطف له يجعل صدره ضيقا حرجا يمنعه الألطاف
حتى يقسو قلبه وينبو عن قبول الحق وينسد فلا يدخله الإيمان كأنما يصعد في السماء
كأنما يزاول أمرا غير ممكن لأن صعود السماء مثل فيما يمتنع ويبعد ولا يمكن ويضيق عنه
المقدرة كذلك يجعل الله الرجس يعني الخذلان ومنع التوفيق وصفه بنقيض ما يوصف
به التوفيق من الطيب وهو البخس لأنه يقال له رجس على الذين لا يؤمنون أي على الكفار
الذين لا يقبلون اللطف وهذا صراط ربك أي طريقته التي اقتضته الحكمة وعادته في
التوفيق والخذلان مستقيما عادلا مطردا قد فصلنا الآيات أي بينا آيات العذاب
لقوم يذكرون أي يتفكرون بعقولهم ويتدبرون بعقولهم لهم أي لقوم يذكرون دار
السلام دار الله يعني الجنة أضافها إلى نفسه تعظيما لها أو دار السلامة من كل آفة وكدر
عند ربهم أي في ضمانه كما تقول لفلان عندي حق لا ينسى وهو وليهم أي مواليهم ومحبهم
أو ناصرهم على أعدائهم بما كانوا يعملون بسبب أعمالهم أو متوليهم بجزاء ما كانوا يعملون ويوم
يحشرهم جميعا أي يجمعهم فيقال يا معشر الجن أراد الجن الشياطين قد استكثرتم من الإنس
أي أضللتم منهم كثيرا أو جعلتموهم أتباعكم فحشر معكم منهم الجم الغفير وقال أولياؤهم من الإنس
أي الذين أطاعوهم واستمعوا إلى وسوستهم ربنا استمتع بعضنا ببعض أي استمتع الإنس

بالشياطين حيث دلوهم على الشهوات وعلى أسباب التوصل إليها واستمتع الجن بالإنس حيث أطاعوهم
وساعدوهم على مرادهم وإغوائهم وقيل استمتاع الإنس بالجن ما في قوله وأنه كان رجال من الإنس
يعوذون برجال من الجن لأن الرجل منهم كان إذا نزل واديا وخاف قال أعوذ برب هذا الوادي
يعني به كبير الجن واستمتاع الجن بالإنس اعتراف الإنس لهم بأنهم يقدرون على الدفع عنهم وإجارتهم
لهم وبلغنا أجلنا الذي أجلت لنا يعنون يوم البعث وهذا الكلام اعتراف بما كان منهم من
طاعة الشيطان واتباع الهوى والتكذيب بالبعث واستسلام لربهم وتحسر على حالهم قال
الله جوابا لهم النار مثواكم أي منزلكم وموضع إقامتكم خالدين فيها إلا ما شاء الله
أي يخلدون في عذاب النار الأبد كله إلا الأوقات التي ينقلون فيها من عذاب النار إلى عذاب
الزمهرير فقد روي أنهم يدخلون واديا فيه من الزمهرير ما يميز بعض أوصالهم من
بعض فيتعاوون ويطلبون الرد إلى الجحيم أو يكون هذا الاستثناء مثل قول
الظافر بعدوه وقد طلب منه التنفيس عليه أهلكني الله إن نفست عليك إلا إذا شئت وقد
علم أنه لا يشاء إلا التشفي منه بأقصى ما يقدر عليه من التعسف والتشديد فيكون قوله إذا
من أشد الوعيد مع التهكم بالموعد لخروجه في صورة الاستثناء الذي فيه إطماع إن ربك حكيم
لا يفعل شيئا إلا بموجب الحكمة عليم بأن الكفار يستوجبون عذاب الأبد وكذلك نولي
بعض الظالمين بعضا نخليهم حتى يتولى بعضهم بعضا كما فعل الشياطين وغواة الإنس أو نجعل
بعضهم أولياء بعض يوم القيامة وقرناءهم كما كانوا في الدنيا بما كانوا يكسبون بسبب ما كسبوا
من الكفر والمعاصي يا معشر الجن والإنس ألم يأتكم رسل منكم يقال لهم يوم القيامة
على جهة التوبيخ لهم ألم يأتكم رسل منكم يقصون عليكم آياتي أي يتلونها عليكم واختلفوا في
الجن هل بعث إليهم رسل منهم فتعلق بعضهم بظاهر الآية وأنه بعث إليهم من جنسهم لأنه آنس ولهم
ألف وقال آخرون الرسل من الإنس خاصة وإنما قيل رسل منكم لأنه لما جمع الثقلان في
الخطاب صح ذلك وإن كان من أحدهما كقوله يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان وهما يخرجان من
الملح دون العذب وقيل أراد رسل الرسل من الجن كقوله ولوا إلى قومهم منذرين وعن
الكلبي كانت الرسل قبل أن يبعث محمد صلى الله عليه وآله إلى الإنس ورسول الله صلى الله عليه وآله
إلى الجن والإنس وينذرونكم لقاء يومكم هذا أي يخوفونكم ملاقاته وشدة أهواله قالوا
شهدنا على أنفسنا هذا حكاية لتصديقهم وجوابهم عن قوله ألم يأتكم وقولهم
شهدنا على أنفسنا إقرار منهم بأن حجة الله لازمة لهم وأنهم محجوجون بها وأقروا في هذه الآية
وجحدوا في قوله والله ربنا ما كنا مشركين لأن الأحوال تتفاوت والمواطن في ذلك اليوم الطويل
تختلف فيقرون في بعضها ويجحدون في البعض وإذا شهد عليهم أرجلهم وجلودهم حين

تحتم على انواهم وغرتهم الحيوة الدنيا اي زين لهم ظاهرها حتى اغتروا بلذتها وزهرتها فلم
يومنوا بها ولم يصدقوا بالبعث والحساب وشهدوا على أنفسهم أنهم كانوا كافرين كرر
ذكر شهادتهم على انفسهم بالكفر لفائدة زائدة وهي ان الشهادة الاولى حكاية لقولهم كيف يقولون
ويعترفون والثانية ذم لهم وتخطئة لرايهم ووصف لقلة نظرهم لانفسهم وانهم قوم غرتهم
الحيوة الدنيا واللذات الحاضرة وكان عاقبة امرهم ان اضطروا الى الشهادة على انفسهم
بالكفر والاستسلام لربهم واستيجاب عذابه وانما قيل ذلك تحذيرا للسامعين من مثل حالهم
ذلك اشارة الى المذكور من بعثة الرسل وانذارهم سوء العاقبة وهو مبتدأ خبره محذوف تقديره الامر
ذلك وقوله أن لم يكن ربك مهلك القرى تعليل اي الامر ما قصصنا عليك لانتفاء كون ربك
مهلك القرى والمراد اهل القرى بظلم اي بسبب ظلم اقدموا عليه وأهلها غافلون عن
الانذار على السنة الرسل لانه لو اهلكهم وهم غافلون لم ينبهوا برسول ولا كتاب لكان
ظلما وهو متعال عن الظلم وعن كل قبيح ولكل درجات منازل مما عملوا اي من جزاء اعمالهم
وما ربك بغافل عما يعملون اي ما هو ساه يخفى عليه مقاديره واحواله وما يستحقه
عامله من الاجر وربك الغني عن عباده وعن عبادتهم ذو الرحمة يترحم عليهم بالتكليف
لتعريضهم للمنافع الدائمة إن يشأ يذهبكم ايها العصاة ويستخلف من بعدكم ما يشاء
من الخلق المطيع كما أنشأكم من ذرية قوم آخرين من اولاد قوم آخرين لم يكونوا على مثل صفتكم
وهم اهل سفينة نوح عليه السلم إنما توعدون من العقاب لآت اي حاصل واقع بسبب
كفركم وظلمكم وما أنتم بمعجزين لله ولا فائتين عنه قل يا قوم اعملوا على مكانتكم
اي على اقصى تمكنكم من امركم او اعملوا على جهتكم وحالكم التي انتم فيها يقال للرجل اذا
امر ان يثبت على حاله على مكانتك يا فلان اي اثبت على ما انت عليه لا تنحرف عنه إني عامل
على مكانتي التي انا عليها والمعنى اثبتوا على كفركم وعداوتكم فاني ثابت على الاسلام وعلى
مصابرتكم فسوف تعلمون اينا تكون له العاقبة المحمودة وهذا من قبيل قوله اعملوا ما شئتم
فان المراد منه التهديد والتشنيع على المامور به لا ما يأتي منه الا الشر فكانه مامور به وهو
واجب عليه ليس له ان يعمل خلافه من تكون له عاقبة الدار اي سوف
تعلمون اينا تكون له عاقبة الدار وهي العاقبة الحسنى التي خلق الله هذه الدار لها والمعنى اينا
تكون له العاقبة التي عاقبته دار الدنيا وهذا نوع من الانذار لطيف المسلك فيه انصاف في
المقال وادب حسن مع تضمن شدة الوعيد والوثوق بان المنذر محق والمنذر مبطل إنه
لا يفلح الظالمون اي لا يظفرون بعاقبة الدار ولا شيء من مطلوبهم وهذا من تمام الانذار
اللطيف وجعلوا لله مما ذرأ اي مما خلق من الحرث وهو الزرع والانعام الابل

والبقر والغنم نصيبا اي قسما وذلك انهم كانوا يعينون اشياء من حرث ونتاج لله واشياء منهما
لآلهتهم فاذا رأوا ما جعلوه لله زاكيا ناميا يزيد في نفسه خيرا رجعوا فجعلوه لآلهتهم واذا زكى
ما جعلوه للاصنام تركوه لها واعتلوا بان الله غني وانما ذلك لحب آلهتهم وايثارهم لها وقوله
مما ذرأ فيه اشارة الى ان الله اولى بان يجعل له الزاكي لانه هو الذي ذرأه وزكاه اي خلقه ونماه
فيه ولا يجعل لما لا يقدر على ذرء ولا تزكية فقالوا هذا لله بزعمهم اي باعتقادهم الفاسد
وقرئ بالضم اي قد زعموا ان ذلك لله والله تعالى لم يامرهم بذلك ولا شرع لهم تلك القسمة التي هي
من الشرك لانهم اشركوا بين الله واصنامهم في القربة وهذا لشركائنا يعني الذي جعلوه
لآلهتهم وسميت الآلهة شركاء حيث جعلوا لها نصيبا من العبادة والاموال فما كان لشركائهم
فلا يصل الى الله اي لا يصل الى الوجوه التي كانوا يصرفونه اليها من قرى الضيفان والتصدق
على المساكين وما كان لله فهو يصل الى شركائهم من انفاق عليها بذبح نسائك عندها
والاجرا على سدنتها والقائمين عليها ساء ما يحكمون اي بئس الحكم حكمهم في ايثار الاصنام على الله
وعملهم على ما لم يشرع لهم وكذلك اي ومثل ذلك التزيين البليغ الذي علم من الشياطين زين لكثير
من المشركين قتل أولادهم شركاؤهم وذلك ان شركاءهم من الشياطين من ولاة الاصنام زينوا
لهم قتل اولادهم بالوأد او نحرهم للآلهة وكان الرجل يحلف في الجاهلية لئن ولد له كذا غلاما
لينحرن احدهم كما حلف عبد المطلب وقرئ زين بضم الزاي ورفع قتل ورفع شركاؤهم كانه قيل
لما قيل زين لهم قتل اولادهم من زينه فقيل زينه لهم شركاؤهم واما قراءة ابن عامر قتل اولادهم
شركائهم برفع القتل ونصب الاولاد وجر الشركاء على اضافة القتل الى الشركاء وفصل بينهما بغير الظرف
لو كان في ضرورات الشعر لكان سمجا مردودا فكيف به في الكلام المنثور فكيف به في القرآن
المعجز بحسن نظمه وجزالته والذي حمله على ذلك انه رأى في بعض المصاحف شركائهم مكتوبا
بالياء ولو قرأ بجر الاولاد والشركاء لان الاولاد شركاؤهم في اموالهم لخلص من هذا الاشكال
ليردوهم ليهلكوهم بالاغواء وليلبسوا عليهم دينهم اي يخلطوه عليهم ويشبهوه ودينهم ما
كانوا عليه من دين اسمعيل حتى زالوا عنه الى الشرك وقيل دينهم الذي وجب ان يكونوا عليه وقيل
معناه ليوقعوهم في دين ملتبس ولو شاء الله مشيئة قسر ما فعلوه اي ما فعل المشركون ما زين
لهم من القتل او ما فعل الشياطين التزيين او الارداء او اللبس او جميع ذلك فذرهم اي خلهم
وما يفترون من الافك والكذب فان الانذار لا ينفعهم ولا يرد عنهم ما هم عليه من الكذب
والكفر وقالوا هذه أنعام وحرث حجر حجر بمعنى محجور اي ممنوع لانهم كانوا اذا عينوا
اشياء من انعامهم وحروثهم لآلهتهم قالوا لا يطعمها الا من نشاء يعنون خدم الاوثان والرجال
دون النساء فانهن ممنوعات ولذلك قال بزعمهم اي بكذبهم واعتقادهم الفاسد لا بشريعة

حجر يستوى بالوصف به الواحد والجمع والمذكر والمؤنث وقرى حجر وعن ابن عباس بمعنى مضيق
غير موسع وانعام حرمت ظهورها هي البحائر والسوائب والحوامي وانعام لا يذكرون
اسم الله عليها يعني في الذبح وانما يذكرون عليها اسم الاصنام وقيل لا يحجون عليها ولا يلبون على
ظهورها والمعنى انهم قسموا انعامهم فقالوا هذه انعام حجر وهذه انعام محرمة الظهور وهذه
انعام لا يذكرون عليها اسم الله فجعلوها اجناسا بهواهم ونسبوا ذلك التجنيس الى الله افتراء
عليه اي فعلوا ذلك كله على جهة الافتراء والكذب سيجزيهم بما كانوا يفترون اي يكذبون
عليه من التحليل والتحريم وقالوا ما في بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا ومحرم على
ازواجنا كانوا يقولون في الحمل الذي في بطون البحائر والسوائب ما ولد منه حيا فهو خالص
للذكور لا ياكل منه الاناث وما ولد ميتا اشترك فيه الذكور والاناث وهو معنى قوله وان
يكن ميتة فهم فيه شركاء على معنى وان يكن ما في بطونها ميتة وقرى بالتاء على معنى
وان تكن الاجنة ميتة وقرى وان تكن ميتة بالرفع وبذكر الضمير في قوله فهم فيه
شركاء لان الميتة لكل ميت ذكرا او انثى فكانه قال وان يكن ميت فهم فيه سواء وانث خالصة
لان ما في البطون في معنى الاجنة وهي مؤنثة وذكر محرم لان التقدير الذي في بطون هذه وهو
مذكر سيجزيهم وصفهم اي جزاء وصفهم الكذب على الله في التحليل والتحريم انه حكيم
عادل في حكمه وجزائه عليم بما يستحقون من العقاب قد خسر الذين قتلوا اولادهم نزلت في
ربيعة ومضر والعرب الذين كانوا يئدون بناتهم مخافة السبي والفقر [illegible] واستحقوا
العقاب سفها بغير علم اي لخفة عقولهم وجهلهم بان الله هو رازق اولادهم لا هم وحرموا ما
رزقهم الله من البحائر والسوائب وغيرها افتراء على الله اي لاجل الكذب على الله قد ضلوا
اي ذهبوا عن الصواب وما كانوا مهتدين لطريق الحق وهو الذي انشا جنات اي بساتين من الكروم
وهي الاعناب معروشات اي مسموكات مرفوعات من الارض بدعائم وغير معروشات
اي متروكات على وجه الارض لم تعرش وقيل المعروشات ما غرسه الناس واهتموا به فعرشوه
وغير المعروشات ما انبته الله وحشيا في البراري والجبال فهو غير معروش يقال عرشت العنب اذا
جعلت له دعائم يعطف عليها اغصانه وما يتفرع منه ويتعلق ليبعد عرشه والنخل والزرع
مختلفا اكله في اللون والطعم والحجم والرائحة والمراد ثمره الذي يؤكل لكل شيء منه طعم غير
طعم الاخر وكذلك اللون وغيره والزيتون والرمان متشابها وغير متشابه حالا
متماثلا وغير متماثل مثل شجر الزيتون مثل شجر المشمش وكذلك ورقه لكن ثمره غيره تشبه اول
ثمرة المشمش وفيه طول كراس الابهام وبعضها لحمه فيها من العجم وغيره مما يتناول به فقيل
وقد يؤكل قشر الحبة اذا عظم تفاحه واسود ومضى به الطعام كما مضى بالعقول كلوا من ثمره

إذا أثمر اي اطلع وحمل وهذا امر اباحة للاكل **قال رضي الله عنه**
وقد علم انه ان لم يثمر لم يؤكل فما فائدة قوله اذا اثمر اجاب بانه لما ابيح لهم الاكل من ثمره قيل
اذا اثمر ليعلم ان وقت الاباحة وقت اطلاع الشجر الثمر لئلا يتوهم انه لا يباح الا اذا ادرك واينع
قالوا وهذه فائدة صحيحة ولعله اراد اباحة الاكل منه قبل اخراج الحق الواجب فيه ولا يقال
انه كالمشترك وآتوا حقه يوم حصاده لان الاية مكية والزكاة انما فرضت بالمدينة والمراد
بالحق ما كان يتصدق به على المساكين يوم الحصاد وكان ذلك واجبا حتى نسخه افتراض العشر
ونصف العشر وقيل الاية مدنية والحق هو الزكاة المفروضة ومعناه واعزموا على ايتاء الحق
واقصدوه واهتموا به يوم الحصاد حتى لا يؤخروه عن اول وقت يمكن فيه الايتاء وهذا مطابق
لمذهب ائمتنا عليهم لان الواجب اخراج الزكاة والاعشار على الفور ولو وقع تراخ حتى هلكت وجب
الضمان ولا تسرفوا في الصدقة كما روي عن ثابت بن قيس انه صرم خمسمائة نخلة وفرق ثمرها
كلها ولم يدخل منه شيئا الى منزله وهذا كقوله ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما
محسورا انه لا يحب المسرفين في الصدقة وغيرها والاسراف الزيادة في الشيء ومجاوزة
الحد فيه **ومن الانعام حمولة وفرشا** اي وانشا لكم من الانعام ما يحمل الاثقال
وما يفرش للذبح او ما ينسج من وبره وصوفه وشعره كالفرش وقيل الحمولة الكبار التي تصلح
للحمل والفرش الصغار كالفصلان والعجاجيل والغنم لانها دانية من الارض للطافة اجرامها
مثل الفرش المفروش عليها كلوا مما رزقكم الله هذا امر اباحة اي حللنا لكم كلوا مما رزقكم
الله من هذه الاشياء الطيبة ولا تتبعوا خطوات الشيطان اي مواضع خطوه والمراد
لا تقتدوا به في التحليل والتحريم من عند انفسكم كما فعلت الجاهلية انه لكم عدو مبين اي
بين العداوة لا يامر الا بالردى والهلك ثمانية ازواج اي ثمانية اصناف وهو تفسير للحمولة والفرش
بدل منهما وهي الضان والمعز والابل والبقر وجعلها ثمانية وهي اربعة لانه اراد الذكر والانثى
كالجمل والناقة والثور والبقرة والكبش والنعجة والتيس والعنزة والواحد اذا كان وحده
فهو فرد فاذا كان معه غيره من جنسه سمي كل واحد منهما زوجا بدليل قوله خلق الزوجين الذكر والانثى
ويسمى الفرد بالزوج بشرط ان يكون معه آخر من جنسه مثل تسميتهم الزجاجة كاسا بشرط ان
يكون فيها خمر ثم فسر الازواج بقوله من الضان اثنين ومن المعز اثنين اي زوجين اثنين
والضان والمعز جمع ضائن وماعز قل آلذكرين حرم ام الانثيين الهمزة للانكار والمراد
بالذكرين الذكر من الضان والذكر من المعز وبالانثيين الانثى من الضان والانثى من المعز والمعنى
انكار ان يحرم الله من جنسي الغنم ضانها ومعزها شيئا من نوعي ذكورها واناثها ولا مما تحمل اناث
الجنسين من الضان والمعز وذلك انهم كانوا يحرمون ذكورة الانعام تارة واناثها تارة واولادها

كيف كانت ذكورا واناثا او مختلطة تارة وكانوا يقولون قد حرمها الله فانكر ذلك عليهم نبئوني
بعلم اي اخبروني بامر معلوم من جهة الله يدل على تحريم ما حرمتم ان كنتم صادقين في ان الله حرمه
ومن الابل اثنين ومن البقر اثنين اي زوجين قل يا محمد آلذكرين حرم ام الانثيين اما اشتملت
عليه ارحام الانثيين يريد وكذلك الذكران من جنسي الابل والبقر والاناث منهما وما تحمل
اناثهما امر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وآله بالانكار عليهم في تحريم ما لم يحرم عليهم ام كنتم
شهداء اذ وصاكم الله بهذا الهمزة للانكار يعني ام شاهدتم ربكم حين امركم بهذا التحريم وهذا
استهزاء بهم وذكر المشاهدة على مذهبهم كانوا لا يؤمنون برسول الله وهم يقولون الله حرم هذا الذي
نحرمه فاستهزأ بهم في قوله ام كنتم شهداء على معنى اعرفتم التوصية به مشاهدين لانكم لا تؤمنون
بالرسل فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا فنسب اليه تحريم ما لم يحرم والمعنى لا اظلم
منه ليضل الناس اي ليغويهم عن الدين بغير علم اي بغير شرعة تستند اليها وكل جاهل
وهوى متبع وهو عمرو بن لحي بن قمعة الذي بحر البحائر وسيب السوائب وهو اول من ادخل الاصنام
جزيرة العرب وحمل الناس على عبادتها فضلوا باتباعها وقوله نبئوني بعلم اعتراض بين
المعدودات من الانعام للتاكيد وذلك ان الله عز وجل من على عباده بانشاء الانعام لمنافعهم
وباباحتها لهم بالاحتجاج على حرمها والاحتجاج تاكيد وتسديد للتحليل والاعتراضات
في الكلام لا يكون الا للتاكيد ثم قال ان الله لا يهدي القوم الظالمين اي لا يلطف بهم
ولا يوفقهم لانهم لا يقبلون اللطف والتوفيق قل لهم يا محمد لا اجد فيما اوحي الي تنبيه
على ان التحريم انما يثبت بوحي الله وشرعه لا بهوى الانفس محرما على طاعم يطعمه اي طعاما
محرما من المطاعم التي حرمتموها الا ان يكون الشيء المحرم ميتة او دما مسفوحا مصبوبا
سائلا كالدم في العروق لا الكبد والطحال وقد رخص في الدم بعد الذبح وهو يذهب
ابانا علي او لحم خنزير ذكر اللحم ولم يذكر الشحم لانه تابع له والخنزير ... مثل ولد الاتان
فانه رجس اي فان المحرم المذكور من هذه الامور رجس اي نجس لا يجوز للطاعم ان يطعمه وكانوا
يقصدون الدم في معاء يطبخ ويشوى الدم فيه ويأكلونه فلذلك ذكر تحريمه مع تحريم هذه المطاعم
او فسقا اهل لغير الله به هذا معطوف على ميتة وسمي ما اهل به لغير الله فسقا لتوغله في باب
الفسق مثل قوله ولا تاكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وانه لفسق والاهلال رفع الصوت عند
الذبح لغير الله لانهم كانوا يقولون عند الذبح باسم اللات والعزى فيتركون ذكرها مكان الذكر
باسم الله وذكره فمن اضطر اي دعته الضرورة الى اكل شيء من هذه المحرمات غير باغ
على مضطر مثله تارك لمواساته بانفراده بها دونه ولا عاد اي ولا متجاوز قدر حاجته والمراد
بالضرورة ما يخشى معها التلف دون المشتهي من المحرمات ما يقيم الروح ويسد الرمق لا غير فان ربك

غفور رحيم لا يؤاخذ عند الضرورة لسعة مغفرته ورحمته وعلى الذين هادوا هم اليهود حرمنا
كل ذي ظفر ذو الظفر بالاصابع من دابة او طائر وكان بعض ذوات الظفر حلالا لهم فلما
ظلموا حرم ذلك عليهم فعم التحريم كل ذي ظفر بدليل قوله فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات
احلت لهم وذو الظفر في الذوات نحو البعير والنعامة وفي الطير نحو البط والوز ويدخل فيه
جميع السباع والكلاب والسنانير وما يصطاد بظفره ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما
المعنى انه حرم لحم كل ذي ظفر وشحمه وكل شيء منه وترك البقر والغنم على التحليل لم يحرم منها
الا الشحوم الخاصة وهي التي على الكرش وكذلك شحوم الكلى الا ما حملت ظهورهما يعني ما اتصل
بلحم الظهر والجنوب من السحفة وهي ما اتصل بلحم الظهر من الشحم او الحوايا وهي الامعاء او
اتصل بالامعاء من الشحم او ما اختلط بعظم وهي شحم الالية وهي الثرب والمعنى ان هذه المستثنيات
حلال لهم وسبيل الحوايا معطوف على شحومهما المحرم وانها محرمة مثله ذلك جزيناهم
وهو تحريم الطيبات ببغيهم اي بسبب ظلمهم وانا لصادقون فيما وعدنا به العصاة لا نخلف
كما لا نخلف ما وعدناه اهل الطاعة فلما عصوا وبغوا الحقناهم الوعيد واحللنا بهم
العقاب فان كذبوك في ذلك وزعموا ان الله واسع المغفرة وانه لا يؤاخذ بالبغي ويخلف الوعيد
جودا وكرما فقل لهم ربكم ذو رحمة واسعة لاهل طاعته ولا يرد باسه اي عقابه
ونقمته مع سعة رحمته عن القوم المجرمين اي العصاة فلا تغتروا برجاء رحمته عن خوف
نقمته سيقول الذين اشركوا هذا اخبار بما سوف يقولونه في المستقبل وبعد ما قالوه قال وقال
الذين اشركوا لو شاء الله ما اشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شيء اي لو شاء الله ما عبدنا من
دونه من شيء ارادوا ان شركهم وشرك آبائهم وتحريمهم ما احل الله بمشيئة الله وارادته
ولولا مشيئته لم يكن شيء من ذلك كمذهب المجبرة بعينه كذلك اي مثل ذلك التكذيب كذب الذين
من قبلهم اي جاؤوا بالتكذيب المطلق لان الله ركب في العقول وانزل في الكتب ما دل على غناه
وبراءته من مشيئة القبائح وارادتها والرسل اخبروا بذلك فمن علق وجود القبائح من الكفر
والمعاصي بمشيئة الله وارادته ولولا مشيئته فقد كذب التكذيب كله وهو تكذيب الله وكتبه
ورسله ونبذ ادلة العقل والسمع وراء ظهره حتى ذاقوا باسنا اي حتى انزلنا عليهم العذاب
بتكذيبهم قل لهم يا محمد هل عندكم من علم اي من امر معلوم يصح الاحتجاج به فيما قلتم فتخرجوه لنا
وهذا من الاستهزاء بهم والشهادة على قولهم بانه لا يمكن ان يكون حجة ان تتبعون الا الظن في
قولكم هذا وان انتم الا تخرصون من علم اي تقدرون ان الامر كما تزعمون او تكذبون قل فلله
الحجة البالغة اي قل لهم ان كان ما انتم عليه من دينكم بمشيئة الله فلله الحجة البالغة عليكم على
مقتضى مذهبكم فلو شاء لهداكم اجمعين منكم ومن مخالفيكم في الدين لان تعليقكم

سؤال
لو شاء الله ما اشركنا ولا آباؤنا فالمصنف عطف الظاهر على المضمر المرفوع المتصل بلا تاكيد ولا فصل ... كيف عطف آباؤنا على المضمر المرفوع المتصل في قوله اشركنا من غير تاكيد ولا فصل

جواب
ورد عليه ان ... حصل الفصل بقوله لا ... العطف يكون متاخرا عن الفصل ... [illegible]

دينكم بمشيئة الله سبحانه أن يعلقوا دين من عدا الكفر أيضا بمشيئته فيسقط لومهم ولا يعادوهم ولا يوبخهم
ولا يخالفوهم لأن المشيئة تجمع ما هم عليه وما هم عليه **قل هلم شهداءكم** هلم يستوي فيه
الواحد والجمع والمذكر والمؤنث عند الحجازيين وبنو تميم تؤنث وتجمع يقولون هلمي وهلما وهلموا
والمعنى هاتوا شهداءكم وأحضروهم **الذين يشهدون أن الله حرم هذا** يعني الذين علم أنه يحرم
وفائدة الأمر باستحضارهم وهم شهداء بالباطل ليلزمهم الحجة ويلقمهم الحجر وليظهر للمشهود لهم
بانقطاع الشهداء أنهم على غير شيء من الدين لعدم الدليل على صحة ما هم عليه لتساوي الشاهدين
والمشهود لهم في أنهم لا يرجعون إلى ما يصح التمسك به وقوله **فإن شهدوا فلا تشهد معهم** يعني
فلا تسلم لهم ما يشهدوا به ولا تصدقهم لأنه إذا سلم لهم فكأنه شهد معهم مثل شهادتهم وكان واحدا
منهم **ولا تتبع أهواء الذين كذبوا بآياتنا** أي هؤلاء المحرمين ما أحل الله لهم بغير دليل
والذين لا يؤمنون بالآخرة وهم بربهم يعدلون أي يشركون الأصنام في عبادته وقال
شهداءكم ولم يقل شهداء يشهدون أن الله حرم هذا لأن المراد استحضار شهدائهم الذين علم أنهم
يشهدون لهم وينصرون مذهبهم ويثقون بهم ويعتضدون بشهادتهم ليهدم ما يقومون به فيحق
الحق ويبطل الباطل ولذلك أضاف الشهداء إليهم وقال يشهدون للدلالة على أنهم شهداء معروفون
بالشهادة لهم وبنصرة مذهبهم ويدل عليه قوله فإن شهدوا فلا تشهد معهم ولو قيل هلم شهداء
يشهدون لكان معناه هاتوا أناسا يشهدون بتحريم ذلك فكان الظاهر طلب شهداء بالحق
وذلك عين المراد ويناقضه قوله فإن شهدوا فلا تشهد معهم ولم يقل أهواءهم للدلالة على أن من
كذب بآيات الله وعدل به غيره فهو متبع الهوى **قل تعالوا** تعال من الخاص الذي صار
عاما وأصله أن يقوله من كان في مكان عال لمن هو أسفل منه ثم كثر واتسع فيه حتى عم في طلب
الإقبال فيقال لمن يخاطبه وإن كان في مكان عال والمعنى أقبلوا **أتل ما حرم ربكم عليكم** أي
أقرأ عليكم الذي حرمه ربكم وهو **ألا تشركوا به شيئا** أي أنهاكم عن الشرك فلا تشركوا
به شيئا لا إلهية من صنم وغيره **وبالوالدين إحسانا** أي وأحسنوا بالوالدين إحسانا ولا يقع
منكم إساءة إليهما أبدا وقرن الإساءة إليهما بالشرك لشدة إثمهما **ولا تقتلوا أولادكم من**
إملاق يعني من أجل فقر ومن خشيته كقوله من إملاق والإملاق الفقر يقال أملق الرجل
إذا افتقر **نحن نرزقكم وإياهم** ولا تظنوا أنكم ترزقونهم أو ترزقون أنفسكم حتى إنكم
تخافون الفقر ومثل هذا صريح في الرد على المطرفية السفيه حيث قالوا إن الله لا يرزق العاصي
وإن جميع ما في أيدي الكفار والفاسقين للمؤمنين غصبوه عليهم وليس من الله **ولا تقربوا الفواحش**
ما ظهر منها وما بطن هذا نهي لهم عن الكبائر والفاحشة الفعلة القبيحة المراد به في
القبح وقوله ما ظهر منها وما بطن مثل قوله ظاهر الإثم وباطنه وقيل كانوا يكرهون الزنا علانية

يفعلون

يفعلون ذلك سرا فنهاهم أن يقربوا الزنا سرا وجهرا والمراد النهي عن كل قبيح على كل وجه وقوله
ولا تقربوا الفواحش نهي عن قربها وهو مبالغة في النهي عنها وعن ارتكابها **ولا تقتلوا النفس التي**
حرم الله إلا بالحق يعني إلا بالأمر الحق كالقصاص والقتل على الردة والرجم في الزنا كما في الحديث
لا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث كفر بعد إيمان أو زنا بعد إحصان أو قتل نفس بغير حق
وذكر القتل وإن كان قد دخل في الفواحش تعظيما للأمر وتفخيما لشأنه وتنبيها على عظم موقعه **ذلكم**
يعني المذكور الذي نهيتم عنه **وصاكم به** أي أمركم الله به وبامتثال حكمه **لعلكم تعقلون** أي إرادة
أن تعقلوا فتستعملوا طاعته لتظفروا بجنته **ولا تقربوا مال اليتيم** النهي عن قربه مال اليتيم
مبالغة في النهي عن تناول شيء منه وعن التفريط فيه **إلا بالتي هي أحسن** يعني إلا بالخصلة التي
هي أحسن ما يفعل بمال اليتيم وهي حفظه وتثميره أي تكثيره وهذا خطاب للأولياء والأوصياء وأما
غيرهم فليس له أن يتصرف فيه إلا بولاية **حتى يبلغ أشده** المعنى احفظوه عليه حتى يبلغ أشده
فملك التصرف في ماله وادفعوه إليه عند ذلك **وأوفوا الكيل والميزان بالقسط** أي بالسوية
والعدل **لا نكلف نفسا إلا وسعها** أي إلا ما يسعها ولا تعجز عنه وإنما تبع هذا بإيفاء الكيل والميزان
لأن المحافظة على العدل الذي لا زيادة فيه ولا نقصان في الكيل والوزن فيها حرج عظيم لا يكاد
يطاق فأمر ببلوغ الوسع فيه وما عداه معفو عنه **وإذا قلتم فاعدلوا** أي إذا شهدتم وتكلمتم
فقولوا الحق **ولو كان** المقول له أو المشهود عليه **ذا قربى** أي من أهل قرابة القائل لأنه
ينبغي أن يزيد في القول أو ينقص منه كقوله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين وهذا من الأوامر
البديعة العجيبة التي يدخل فيها مع قلة حروفها وعذوبة لفظها جميع الأقارير والشهادات
والوصايا والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والقضايا والأحكام والمذاهب إلى غير ذلك من سائر
الأقوال فلا يزاد فيها ولا ينقص **وبعهد الله** أي ميثاقه **أوفوا** فلا تنقضوه والمعنى جميع
ما أمركم به فافعلوه **ذلكم** المذكور **وصاكم به لعلكم تذكرون** أي إرادة أن تذكروا
فتفكروا في مصالح الحكم فتعملوا بها ولا تغفلوا عنها **وأن هذا صراطي مستقيما** هذا تعليل
لوجوب الاتباع أي ولأن هذا صراطي أي طريقي مستقيما وصفه بالاستقامة من الميل والمراد
بالصراط دين الإسلام **فاتبعوه** دون سائر الأديان **ولا تتبعوا السبل** أي الطرق المختلفة
في الدين من اليهودية والنصرانية والمجوسية وسائر البدع والضلالات **فتفرق بكم** فتفرقكم
عن سبيله عن صراط الله المستقيم وهو دين الإسلام وعن النبي صلى الله عليه
وآله أنه خط خطا ثم قال هذا سبيل الرشد ثم خط عن يمينه وعن شماله خطوطا ثم قال هذه
سبل على كل سبيل منها شيطان يدعو إليه ثم تلا هذه وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه **ذلكم**
وصاكم به أي ذلكم المتلو عليكم أمركم به أي بإتيانه **لعلكم تتقون** أي تعملون عملا هو

التقوى في اجتناب ما نهيتم عنه وعن ابن عباس هذه الآيات محكمات لم ينسخهن شيء من جميع الكتب
وقيل انهن ام الكتاب من عمل بهن دخل الجنة ومن تركهن دخل النار وعن كعب الاحبار والذي نفس
كعب بيده ان هذه الآيات لاول شيء في التوراة ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ معطوف على وصاكم به
ووجه عطفه عليه بثم والآية قبل التوصية به دهر طويل لان هذه التوصية قديمة لم يزل يوصى بها
كل امة على لسان نبيها كما قال ابن عباس محكمات لم ينسخهن شيء من جميع الكتب فكأنه قيل ذلكم
وصاكم به يا بني آدم قديما وحديثا ثم اعظم من ذلكم انا آتينا موسى الكتاب وقيل هو معطوف
على ما تقدم في وسط السورة من قوله ووهبنا له اسحق ويعقوب تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ
اي تماما للكرامة والنعمة على من كان محسنا في العمل صالحا تقيا والمراد جنس المحسنين
او اراد به موسى عليه السلام اي تتمة للكرامة على العبد الذي احسن الطاعة في التبليغ وفي
كل ما امر به او تماما على الذي احسن موسى من العلم والشرائع اي من زيادة على علمه على وجه
التتميم وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ اي بيانا لكل ما يحتاجون الى معرفته وَهُدًى وَرَحْمَةً اي
وللهدى والرحمة لانه رحمة لمن انزل اليهم لَعَلَّهُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ اي بلقاء جزائه لهم يؤمنون
يصدقون يعلمون ما بين ايديهم بملاقاة جزائه وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ يعني القرآن مُبَارَكٌ كثير
المنافع فَاتَّبِعُوهُ اي اتبعوا احكامه فاعملوا بها لانها مما ينفعكم وَاتَّقُوا الله فلا تخالفوه
لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ اي يطمعون ان يرحمهم الله بسبب اتباع كتابه وتقواه أَنْ تَقُولُوا المعنى
انزلناه كراهة ان تقولوا إِنَّمَا أُنْزِلَ الْكِتَابُ عَلَى طَائِفَتَيْنِ مِنْ قَبْلِنَا يريدون اهل
التوراة والانجيل من قبلنا من قبل عصرنا وَإِنْ كُنَّا عَنْ دِرَاسَتِهِمْ لَغَافِلِينَ اي عن
قراءتهم اي لم نعرف مثل دراستهم أَوْ تَقُولُوا لَوْ أَنَّا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْكِتَابُ ارادوا
انهم لو كانوا ممن انزل عليه الكتاب كما انزل على غيرهم لكانوا اهدى منهم وهو معنى قوله
لَكُنَّا أَهْدَى مِنْهُمْ لحدة اذهاننا وثقابة افهامنا وغزارة حفظنا لايام العرب ووقائعها
وخطبها واشعارها واسجاعها وامثالها على انا اميون فَقَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ هذا
تبكيت لهم وهو على قراءة من قرأ تقولوا بالتاء على لفظ الغيبة احسن لما فيه من الالتفات
والمعنى ان صدقتم فيما كنتم تعدون من انفسكم فقد جاءكم بينة من ربكم فحذف الشرط وهو من
احاسن الحذوف والبينة القرآن لانه تبيان شاف لحججهم وما يحتاجون اليه وَهُدًى وَرَحْمَةٌ
يهتدون به ويرحم من عمل به فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَّبَ بِآيَاتِ اللَّهِ يعني لا اظلم ممن كذب
بها بعد ما عرف صحتها وصدقها او تمكن من معرفة ذلك وَصَدَفَ عَنْهَا اي وصرف الناس عنها
فضل واضل سَنَجْزِي الَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ آيَاتِنَا اي الذين يصرفون الناس عنها
سُوءَ الْعَذَابِ اي اشده وافظعه بِمَا كَانُوا اي بسبب ما كانوا يَصْدِفُونَ يصرفون الناس

ويضلونهم عنها هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ اي هل ينتظر الكفار المكذبون
بالآيات الا ان يأتيهم ملائكة الموت او ملائكة العذاب أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ اي كل آيات ربك
بدليل قوله بعده أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ والمراد بكل الآيات امارات القيمة والهلاك الكلي والمراد
ببعض الآيات اشراط الساعة وهي علاماتها كطلوع الشمس من مغربها وغير ذلك وعن البراء
بن عازب كنا نتذاكر الساعة اذ اشرف علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما تذكرون
قلنا نذكر الساعة قال انها لا تقوم حتى تروا قبلها عشر آيات الدخان ودابة الارض وخسفا
بالمشرق وخسفا بالمغرب وخسفا بجزيرة العرب والدجال وطلوع الشمس من مغربها ويأجوج
ومأجوج ونزول عيسى ونارا تخرج من عدن واما الآية التي لا تقبل التوبة بعدها فهي وقت طلوع
الشمس من مغربها وفي الحديث بادروا بالاعمال قبل ستة طلوع الشمس من
المغرب والدابة والدجال والدخان وخويصة احدكم اي موته وامر العامة يعني القيمة
يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ اي بعض اشراط الساعة نحو طلوع الشمس من المغرب لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا
المعنى ان آيات الساعة ملجئة الى الايمان فاذا جاءت ذهب وقت التكليف عندها فلم ينفع الايمان
حينئذ نفسا غير مقدمة للايمان اي كافرة لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ ظهور الآيات أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا
خَيْرًا يعني ونفسا مؤمنة مقدمة ايمانها بالله غير عاملة وغير كاسبة خيرا في ايمانها وهي الفاسقة
فلم يفرق كما ترى بين النفس الكافرة اذا آمنت في غير وقت الايمان وبين النفس التي آمنت في وقتها
ولم تكسب خيرا ليعلم ان قوله الذين آمنوا وعملوا الصالحات جمع بين قرينين لا ينبغي ان ينفك احدهما
عن الاخرى حتى يفوز صاحبهما ويسعد والا فالشقوة والهلاك قُلِ انْتَظِرُوا هو وعيد عظيم
اي انتظروا وقت شقوتكم وهلاككم او الوقت الذي تودون فيه قبول الايمان فلا يقبل منكم إِنَّا
مُنْتَظِرُونَ بكم وقت سعادتنا بكم اهل التقوى إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ اي اختلفوا فيه كما اختلف
اليهود والنصارى وفي الحديث افترقت اليهود على احدى وسبعين فرقة كلها في الهاوية
الا واحدة وهي الناجية وافترقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة كلها في الهاوية الا واحدة وتفترق
امتي على ثلاث وسبعين فرقة كلها في الهاوية الا واحدة وقيل فرقوا دينهم فآمنوا ببعض وكفروا ببعض
وقرئ فارقوا دينهم اي تركوه وَكَانُوا شِيَعًا فرقا كل فرقة تشيع اماما لها وتتبعه لَسْتَ مِنْهُمْ
فِي شَيْءٍ اي من السؤال عنهم وعن تفرقهم وقيل من عقابهم وقيل هي منسوخة بآية السيف إِنَّمَا أَمْرُهُمْ
إِلَى اللَّهِ يحكم فيهم بما يشاء فلا تسأل عنهم ولا تهتم بهم بعد تبليغ الانذار اذا كانت منسوخة او امرهم اليه
في الجزاء والمكافأة ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ اي يخبرهم بافعالهم القبيحة ويوبخهم بالاخبار بها ويعاقبهم
عليها مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا الحسنة الطاعة والمعنى فله عشر حسنات امثالها
وهذا اقل ما وعد الله من الاضعاف وقد وعد بالواحدة سبع مائة وقد وعد ثوابا بغير حساب

ومن جاء بالسيئة فلا يجزى إلا مثلها لا يكون أكثر منها وأول السيئة المعصية في ذلك إشارة إلى أن المسمى على الحسنة مثلها والثاني تفضل وفي ذلك لا يحسن في العقاب لا يرضاه الحسنات تفضل ومكافاة السيئات عدل والحسنة عام في كل مرضي حسن والسيئة عام في كل مكروه قبيح وهم لا يظلمون أي لا ينقص من ثوابهم ولا يزاد على عقابهم قل لهم إنني هداني ربي إلى صراط مستقيم أي أرشدني ربي إلى طريق ثابت وهو دين الإسلام لأنه الموصل إلى كل سعادة دينا قيما أي عظيم القيام والثبات لا اعوجاج فيه وقيما أبلغ في الوصف من قائم ملة إبراهيم عطف بيان للدين وإيضاح له بأنه ملة إبراهيم أي دينه الذي هو خير الأديان كلها متفق على فضله حنيفا وصف لإبراهيم أي مائلا عن كل دين إلى دين الإسلام تعالى يحنف إذا مال وما كان من المشركين يعني إبراهيم لم يشرك بالله قط وفيه تعريض بهم وبإشراكهم قل إن صلاتي ونسكي أي عبادتي وتقربي كله وقيل ذبحي وجمع بين الصلاة والذبح كما في قوله فصل لربك وانحر وقيل صلاتي وحجي من مناسك الحج ومحياي ومماتي أي وما آتيه في حياتي وأموت عليه من الإيمان والعمل الصالح لله رب العالمين خالصة لوجهه لا شريك له في أعمالي كما لا شريك له في الإلهية وبذلك الإخلاص أمرت وأنا أول المسلمين لأن إسلام كل نبي متقدم لإسلام أمته قل لهم يا محمد أغير الله أبغي ربا أي أطلب وهو إنكار عليهم وجواب لهم عن دعائهم له إلى عبادة الأصنام أي منكرا أن أبغي ربا غيره وهو رب كل شيء أي مالكه ومدبره فكل من دونه مربوب ليس في الوجود من له الربوبية غيره كما قال أفغير الله تأمروني أعبد ولا تكسب كل نفس إلا عليها يعني لا يجني بمعصيتها إلا أخذت به وهذا جواب عن قولهم اتبعوا سبيلنا أي ديننا ولنحمل خطاياكم ولا تزر وازرة وزر أخرى أي لا تحمل نفس مذنبة ذنب نفس أخرى والوزر الحمل لأن كل نفس بما كسبت رهينة ثم إلى ربكم مرجعكم أي مصيركم في الآخرة فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون أي يخبركم مواخذا لكم بحقيقة ما كنتم فيه من الاختلاف في الأديان ويعاقبكم عليه وهو الذي جعلكم خلائف الأرض لأن محمدا صلى الله عليه وآله خاتم النبيين فخلفت أمته سائر الأمم أو جعلهم يخلف بعضهم بعضا يموت بعض ويولد بعض خلفه أو هم خلفاء الله في أرضه يملكونها ويتصرفون فيها ورفع بعضكم فوق بعض درجات أي منازل مختلفة في الشرف والرزق والغنى والفقر ليبلوكم فيما آتاكم أي ليختبركم فيما أعطاكم من نعمة الجاه والمال فينظر كيف تشكرون تلك النعمة وكيف تعاملون تلك العطية وكيف يصنع الرفيع بالوضيع والغني بالفقير والحر بالعبد وكم من حامل منكم أعطاه ليس لمحبة فيه وكم من محروم حرمه ليس لكراهة له ومعنى الاختبار الله حال العبد فيهم وفعل فعل المختبر وإلا فهو عالم بما يكون منهم إن ربك سريع العقاب لمن كفر نعمته فلم يشكرها وإنه لغفور رحيم لمن قام بشكرها ووصف العقاب بالسرعة وإن كان

سورة الأعراف

سراحا في الآخرة لأن كل آت قريب سورة الأعراف مائتان وخمس آيات مكية غير ثمان آيات وإسألهم عن القرية إلى وإذ نتقنا

بسم الله الرحمن الرحيم المص

كتاب أنزل إليك المراد بالكتاب السورة أي هو كتاب منزل إليك فلا يكن في صدرك حرج منه أي شك فيه وسمي الشك حرجا لأن الشاك ضيق الصدر حرجه كما أن المتيقن منشرح الصدر منفسحه أي لا شك في أنه منزل من الله أو معناه لا يكن في صدرك حرج من تبليغه لأنه صلى الله عليه وآله كان يخاف قومه وتكذيبهم له وإعراضهم عنه وأذاهم وكان يضيق صدره من الأذى ولا ينشط له فآمنه الله ونهاه عن المبالاة بهم لتنذر به أي أنزلناه إليك لتنذر به من عذاب الآخرة وذكرى للمؤمنين أي يذكرهم ويتعظون به وخصهم بالذكر لأنهم الذين ينتفعون بالذكرى أو أراد الذين علم الله منهم أنهم يؤمنون اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم من القرآن والسنة ولا تتبعوا من دونه أي من دون الله أولياء أي ولا تتولوا من دونه شياطين الجن والإنس فيحملوكم على عبادة الأوثان والأهواء والبدع ويضلوكم عن دين الله وما أنزل إليكم وأمركم باتباعه وعن الحسن يا ابن آدم أمرت باتباع كتاب الله وسنة محمد صلى الله عليه وآله والله ما نزلت آية إلا وهو يحب أن تعلم فيم أنزلت وما معناها قليلا ما تذكرون التذكر يعني التفكر والتدبر والمعنى تذكرون تذكرا قليلا حيث تتركون دين الله وتتبعون غيره وما زائدة لتوكيد القلة وكم من قرية أهلكناها كم مفعاه التكثير أي وكثير من القرى أهلكناها وجه وصف القرية بالهلاك لأنها تهلك بهلاك أهلها ثم والمعنى فجاءها أي فجاء أهلها بدليل قوله أو هم قائلون بأسنا أي عذابنا بياتا أي ليلا أو هم قائلون يعني أو في وقت القيلولة وهو وسط النهار وقال فجاءها بأسنا بعد قوله أهلكناها والإهلاك لا يكون إلا بعد مجيء البأس معناه أردنا إهلاكها فجاءها بأسنا وخص وقت البيات ووقت القيلولة لأنهما وقتا الغفلة والدعة والراحة فيكون نزول العذاب فيهما أشد وأفظع وقوم لوط أهلكوا بالليل وقت السحر وقوم شعيب وقت القيلولة فما كان دعواهم إذ جاءهم بأسنا إلا أن قالوا أي ما كانوا يدعونه من دينهم ومذهبهم إلا اعترافهم ببطلانه وفساده وقولهم إنا كنا ظالمين فيما كنا عليه من الدين الباطل ومعناه فما كان دعاؤهم ربهم إلا اعترافهم لعلمهم أن الدعاء لا ينفعهم عند نزول العذاب بهم ... ون على ذم أنفسهم وتحسرهم على ما كان منهم فلنسألن الذين أرسل إليهم معناه فلنسألن المرسل إليهم وهم الأمم نسألهم عما أجابوا به رسلهم كما قال ويوم يناديهم فيقول ماذا أجبتم المرسلين ولنسألن المرسلين عما أجيبوا به كما قال يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا أجبتم فلنقصن عليهم على الرسل والمرسل إليهم ما كان منهم بعلم أي عالمين بأحوالهم الظاهرة والباطنة وأقوالهم وأفعالهم وما كنا غائبين عنهم وعن ما وجد منهم وفائدة السؤال مع العلم بذلك توبيخ المرسل إليهم إذا أقروا بالسيئ عما كان منهم وشهد عليهم أنبياؤهم وعن

النبي صلى الله عليه وآله ان الله تعالى يسأل الكل احد بكلام ليس بينه وبينه ترجمان فيقول
له اتذكر يوم فعلت كذا وكذا حتى يذكره جميع ما فعله في الدنيا **والوزن يومئذ الحق**
يعني وزن الاعمال والتمييز بين راجحها وخفيفها ورفعه على الابتداء وخبره يومئذ والحق صفته
اي والوزن يوم يسأل الله الامم ورسلهم الوزن الحق اي العدل واختلف في كيفية الوزن
فقيل توزن صحائف الاعمال بميزان له لسان وكفتان وفائدة الوزن لينظر اليه الخلائق
تاكيدا للحجة واظهارا للنصفة وقطعا للمعذرة كما يسألهم عن اعمالهم فيعترفون بها بالسنتهم
وتشهد بها ايديهم وارجلهم وجلودهم وتشهد عليهم الانبياء والملائكة والاشهاد وكما تثبت
في صحائفهم فيقرؤونها في مواقف الحساب. وعزا النبي صلى الله عليه
بلا[غ]ه مواطن لا يذكر احد فيها احدا الا نفسه عند الميزان حتى يعلم اخف ميزانه ام يثقل وعند
الصحف حتى يعلم أيأخذ صحيفته بيمينه ام بشماله وعند الصراط حتى يجاوزه **فمن ثقلت**
موازينه اي حسنات اعماله الموزونة التي لها وزن وقدر وهي الحسنات او ما يوزن به حسناتهم
وهي الصحف **فأولئك هم المفلحون** الفائزون الظافرون **ومن خفت موازينه** اي
حسناته او صحف حسناته ورجحت سيئاته **فأولئك الذين خسروا أنفسهم** حيث دخلوا
في النار **بما كانوا بآياتنا يظلمون** اي بسبب ما كانوا يكذبون بآياتنا ظلما يعترفون لتكذيبهم
ولقد مكناكم في الأرض جعلنا لكم مكانا وقرارا او ملكناكم فيها واقدرناكم على التصرف
فيها يريد ما بين مكة الى اليمن وما بين مكة الى الشام والخطاب لقريش وكان الله سبحانه قد فضلهم
على العرب بالتجارة في البلاد أسفر فكسبوا الاموال وهو قوله **وجعلنا لكم فيها معايش** جمع
معيشة وهي ما يعاش به من المطاعم والمشارب وغيرها او ما يتوصل به الى ذلك والوجه
تصريح الياء وعن ابن عباس انه همزها على التشبيه بصحائف **قليلا ما تشكرون** اي تشكرون
شكرا قليلا وما زائدة **ولقد خلقناكم ثم صورناكم** يعني خلقنا اباكم آدم طينا غير مصور
ثم صورناه بعد ذلك اي مثلنا صورته بشق السمع والبصر وساير الاعضاء **ثم قلنا للملائكة**
اسجدوا لآدم اي امرناهم بالسجود له **فسجدوا** والسجود لله على وجه العبادة ولغيره على وجه
التكرمة ويجوز ان يختلف الحال فيه فيجوز في شريعة دون شريعة **إلا إبليس** ولم يكن من
الملائكة لكنه امر بالسجود معهم فغلبوا عليه لانه كان مغمورا بين ظهرانيهم ثم استثني استثناء
متصلا **لم يكن من الساجدين** اي ممن سجد لآدم **قال ما منعك ألا تسجد** لا زائدة
بدليل قوله ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدي ومثلها لئلا يعلم اهل الكتاب بمعنى ليعلم وفائدة
زيادتها توكيد معنى الفعل الذي يدخل فيه وتحقيقه كانه قيل ما منعك ان تحقق السجود
وتلزمه نفسك **إذ أمرتك** اي وقت امرتك لان امري لك بالسجود يوجب عليك اجابـ

توبيخا وسؤاله عن المانع من السجود وقد علم ما منعه للتوبيخ ولاظهار معاندته وكفره وكبره
وافتخاره باصله وازدرائه باصل آدم عليه السلام **قال أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته**
من طين كان جوابا لسؤال عن المنع ان يقول منعني كذا ولكنه استأنف قصة اخبر فيها عن نفسه
بالفضل على آدم وبعلة فضله عليه وهو ان اصله من نار واصل آدم عليه السلام من طين واعتقد
ان السجود للفاضل للمفضول خارج من الصواب ولم ينظر في سجود الملائكة الذين هم اشرف خلق
الله فعلم من هذه القصة الجواب وزيادة عليه وهو انكار الامر واستبعاد ان يكون مثله مأمورا
بالسجود لمثل آدم **قال فاهبط منها** اي من السماء التي هي مكان المطيعين المتواضعين من
الملائكة الى الارض التي هي مقر العاصين المتكبرين من الثقلين **فما يكون لك** اي فما
يصح لك **أن تتكبر فيها** وتعصي **فاخرج إنك من الصاغرين** من اهل الصغار
والهوان على الله وعلى اوليائه لتكبرك لان من اظهر الاستكبار البس الصغار. وفي الحديث
من تواضع رفعه الله ومن تكبر وضعه الله **قال أنظرني إلى يوم يبعثون قال إنك من المنظرين**
انما استنظر ليفسد عباد الله ويغويهم واجيب الى استنظاره لما في ذلك من ابتلاء العباد ولما
في مخالفته من اعظم الثواب وحكمه حكم ما خلق الله في الدنيا من صنوف الزخارف وانواع الملاذ
والملاهي وما ركب في الانفس من الشهوات ليمتحن بها عباده **قال فبما أغويتني** اي فبسبب
اغوائك اياي لأقعدن لهم والمعنى فبسبب وقوعي في الغي لأجتهدن في اغوائهم حتى يفسدوا
بسببي كما فسدت بسببهم ويجوز ان تكون الباء للقسم اي فاقسم باغوائك لاقعدن لهم وليس القسم بالله
بل بالاغواء وهو تكليف الله اياه ما وقع به في الغي ولم يثبت كما ثبتت الملائكة مع كونهم افضل
منه ومن آدم انفسا ومناصب وانما اقسم بالاغواء لعظمه لانه كان تكليفا والتكليف من احسن
افعال الله لكونه تعريضا لسعادة الابد وقيل له اغواء لانه تسبب لغيه كما انه تسبب في السعادة
لمن قام به **لأقعدن لهم صراطك المستقيم** اي لاعترضن لهم على طريق الاسلام كما
يتعرض العدو على الطريق ليقطعه على المارة **ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن**
أيمانهم وعن شمائلهم اي لآتينهم من الجهات الاربع التي يأتي منها العدو في الغالب وهذا مثل
لوسوسته اليهم وتسويله ما امكنه وقدر عليه وقال من بين ايديهم ومن خلفهم لان الفعل
يقع في بعضها من الجهتين وقال عن ايمانهم وعن شمائلهم لانها لغة لا تقاس لكن سمعناهم يقولون
جلس عن يمينه وعلى يمينه وعن شماله وعلى شماله فقلنا معنى على يمينه انه تمكن من جهة اليمين
تمكن المستعلي من المستعلى عليه ومعنى عن يمينه انه جلس متجافيا عن صاحب اليمين منحرفا عنه غير
ملاصق له ثم كثر حتى استعمل في المتجافي وغيره **ولا تجد أكثرهم شاكرين** اي لا تجد من اكثرهم
شكرا لنعمتك وانما قاله تظننا بدليل قوله ولقد صدق عليهم ابليس ظنه وقيل سمعه من الملائكة

باخبار الله لهم قال اخرج منها مذؤوما اي مذموما يقال ذامه اذا ذمه مدحورا اي مطرودا
لانك لم تثبت كما ثبت الملئكه على تكليفهم وهم افضل منك ومن ادم عملا وافضل الا اصلهم من
ريح لمن تبعك بعدده والله لمن تبعك منهم اي من العباد لاملأن جهنم منكم اجمعين
هذا جواب القسم المقدر وقوله منكم اي منك ومنهم فغلب ضمير المخاطب على الغائب وقرئ لمن تبعك بكسر
اللام بمعنى لمن تبعك هذا الوعيد وهو قوله لاملأن جهنم منكم اجمعين ويا ادم اي وقلنا
يا ادم اسكن انت وزوجك الجنة فكلا من حيث شئتما اي من جهة شئتما لا اخطر عليكما منها مكان
ولا تقربا هذه الشجرة هي الحنطة وقيل الكرمة وقيل التينة والمعنى انا احللنا الجنة لكما ولكن
ليس عليكما الا هذه الشجرة فقط ولا تاكلا منها فتكونا من الظالمين لانفسكما بمعصية
الله ومخالفته وقد اختلف في سبب كونها صغيرة مع اقترانها بالوعيد فقيل نسيا الوعيد لا
وظنا انه نهي تنزيه لا تحريم وقيل اخطا في التاويل فظنا ان النهي عن شجرة بعينها لا عن جنسها
فاكلا من الجنس فوسوس لهما الشيطان الوسوسة الكلام الخفي المكرر ومنه وسوسة الحلي
وهو ما يسمع من تحركه يقال وسوس له اي لاجله واليه اي القى الوسوسة اليه والمعنى
فوسوس الشيطان لاجل ادم وحوى ليبدي اي ليظهر لهما ما ووري عنهما اي ما غطي عنهما
من سوآتهما اي عوراتهما جعل كشف العورة غرضا له لسوئهما بذلك لانهما اذا راياها يؤثران
ستره وانه لا يطلع عليه مكشوفا ساءهما ذلك وفيه دليل على ان كشف العورة من عظائم الامور
وانه لم يزل مستهجنا في الطباع مستقبحا في العقول وقال ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة
الا ان تكونا ملكين اي الا كراهة ان تكونا ملكين وفيه دليل على شرف الملئكة وفضلهم
على البشر الانبيا ومن دونهم قيل اوهمهما ان من اكل منها في حكم الملك ان يحمله لصورة الملك
وقيل اراد ان يكون بمنزلة الملك في علو المنزلة لا الصورة وقرئ ملكين بكسر اللام لقوله وملك
لا يبلى او تكونا من الخالدين من الذين لا يموتون ويبقون في الجنة ساكنين مخلدين في
نعيمها وقاسمهما اي واقسم لهما اني لكما لمن الناصحين فيما قلت والمقاسمة المحالفة وهي
ان تقسم لصاحبك ويقسم لك وتدل المقاسمة هنا كانه قال لهما اقسم لكما اني من الناصحين
وقالا له اتقسم بالله انك لمن الناصحين فجعل ذلك مقاسمة بينهم او اقسم لهما بالنصيحة واقسما
له بقبولها فدلاهما بغرور اي نزلهما الى الاكل من الشجرة بما غرهما به من القسم بالله
وعن قتادة وانما يخدع المؤمن بالله وعن ابن عمر انه كان اذا راى من عبده طاعة وحسن صلوة
اعتقه وكان عبيده يفعلون ذلك طلبا للعتق فقيل له انهم يخدعونك فقال من خدعنا بالله
انخدعنا له وقيل ان الشيطان لم يخدع ادم الا بواسطة حوى غرها فاثرت في ادم وكانت
اي من قبل النسا لها تراهن الرجال فلما ذاقا الشجرة اي طعماها عند الاكل بدت

لهما سوآتهما اي ظهرت لهما عوراتهما وتهافت عنهما اللباس وكانا لا يريان عوراتهما من
انفسهما ولا احدهما من الاخر وعن عايشة ما رايت من رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا راى مني
وعن سعيد بن جبير كان لباسهما من جنس الاظفار وعن وهب كان لباسهما نورا يحول بينهما وبين
النظر وطفقا اي وجعلا يخصفان عليهما اي يلزقان ورقة فوق ورقة على عوراتهما
ليستراها كما يخصف النعل بان يجعل طرقة على طرقة ويوثق بالسيور من ورق الجنة قيل
هو ورق التين وناداهما ربهما الم انهكما عن تلكما الشجرة واقل لكما ان الشيطان لكما عدو مبين
هذا عتاب من الله وتوبيخ وتنبيه على الخطا حيث لم يحذرا ما حذرهما الله من عداوة ابليس
وروي انه قال لادم الم يكن لك فيما منحتك من شجر الجنة مندوحة اي متسع عن هذه الشجرة
فقال بلى وعزتك ولكن ما ظننت ان احدا من خلقك يحلف بك كاذبا قال فبعزتي لاهبطنك الى الارض
ثم لا تنال العيش الا كدا فاهبط وعلم صنعة الحديد وامر بالحرث فحرث وسقى وحصد
وداس وذرا وطحن وعجن وخبز وقيل انه لما احلت ذات يوم لما اكل بعد السعي العظيم ثم خرج
رغيفه من يده حتى صار في اسفل الجبل فجرى ادم وراه حتى تعب وعرق جبينه ثم قال له يا ادم كذا
رزقك بالتعب والشقا ورزق ذريتك من بعدك ما كنت في الدنيا وانزل اليه ثور احمر وحبات من
الحنطة يزرعهما قالا ربنا ظلمنا انفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين
سميا ذنبهما وان كان صغيرا مغفورا ظلما لانفسهما وقالا لنكونن من الخاسرين على عادة الاو
الاوليا والصالحين في استعظامهم الصغير من السيئات واستصغارهم العظيم من الحسنات
قال اهبطوا اي انزلوا من الجنة الى الارض متعادين يعاديهما ابليس ويعاديانه ولكم في
الارض مستقر اي استقرار وموضع استقرار ومتاع اي استمتاع بعيش الى حين اي الى انقضاء اجا
لكم قال فيها تحيون اي في الارض تعيشون احيا وتوالدون وفيها تموتون ومنها تخرجون من
قبوركم للجزاء يوم البعث وقيل لما اهبط ادم وحضرته الوفاة احاطت به الملئكة فجعلت حوا
تدور حولهم فقال لها خلي ملائكة ربي فانما اصابني الذي اصابني فيك فلما توفي غسلته الملائكة
بماء وسدر وترا وحنطته وكفنته في وتر من الثياب وحفروا له ولحدوا له ودفنوه بسرنديب
بارض الهند وقالوا لبنيه هذه سنتكم بعده يا بني ادم قد انزلنا عليكم لباسا يواري سوآتكم
وريشا جعل ما في الارض منزلا من السما لانه قضاها وكتب ومنه قوله وانزل
لكم من الانعام ثمانية ازواج يعني انزل القضايا والريش لباس الزينة استعير من ريش الطائر
لانه لباسه وزينته اي انزلنا عليكم لباسين لباسا يواري سوآتكم اي يغطي عوراتكم ولباسا لزينتكم
لان الزينة غرض صحيح كما قال لتركبوها وزينة ولكم فيها جمال ولباس التقوى قرئ بالرفع اي
ولباس الورع والخشية من الله وقوله ذلك خير كانه قيل ولباس التقوى هو خير من لباس

ص
لك
لما
لكم

والخطاب لادم وحوى والمراد هما وذريتهما ... بعضكم لبعض عدو

الزينة ولا يخلو الاشارة من ان يراد بها تعظيم لباس التقوى او ان يكون اشارة الى اللباس المواري
للسوأة لان مواراتها من التقوى تفضيلا له على لباس الزينة وفي قراءة ابن مسعود وابي ولباس
التقوى خير وقيل المراد بلباس التقوى ما يلبس من الدروع والمغافر والجواشن ونحوها مما يتقى به
في الحروب ومن بعض المعتزلة هو الخشن الذي يلبسه الصالحون ذلك يعني انزال اللباس
من آيات الله الدالة على فضله ورحمته على عباده لعلهم يذكرون اي يتفكرون فيعرفوا
عظيم النعمة باللباس وعقب هذه الآية بعد ذكر السوآت وخصف الورق على آدم وحوا
اظهارا للمنة فيما خلق الله من اللباس ولما في العري وكشف العورة من المهانة والفضيحة واشعارا
بان الستر باب عظيم من ابواب التقوى يا بني آدم لا يفتننكم الشيطان اي لا يمتحننكم بان لا تدخلوا
الجنة كما اخرج ابويكم من الجنة كما محن ابويكم بان اخرجهما منها ينزع عنهما لباسهما اي اخرجهما
نازعا لباسهما والمعنى انه كان سببا في نزعه عنهما ليريهما سوآتهما اي ليري آدم سوأة حوى
وترى حوا سوأة آدم انه يراكم هو وقبيله اي جنوده من الشياطين من حيث لا ترونهم اي يكيدونكم
من حيث لا تشعرون وهذا تعليل للنهي وتحذير من فتنته واعلام بانه العدو المداجي وفيه دليل
بين ان الجن لا يرون ولا يظهرون للانس وان اظهارهم انفسهم ليس في استطاعتهم وانه عهد من
يدعي رؤيتهم زور ومخرقة ولذلك عظمت عداوة الشياطين وعن مالك بن دينار ان عدوا يراك ولا
تراه لشديد المؤنة الا من عصم الله انا جعلنا الشياطين اولياء للذين لا يؤمنون اي خلينا
بينهم وبينهم لم نكفهم حتى تولوهم واطاعوهم فيما سولوا لهم من الكفر والمعاصي وهذا تحذير آخر
ابلغ من الاول واذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله امرنا بها الفاحشة ما
بالغ قبحه من الذنوب اي اذا فعلوها اعتذروا بان آباءهم كانوا يفعلونها فاقتدوا بهم
وبان الله امرهم ان يفعلوها وكلا العذرين باطل لان احدهما تقليد والتقليد ليس بطريق للعلم
والثاني افترا على الله والحاد لان الامر بالفحشاء قبيح لا يجوز عليه لعلمه بقبحه وعلمه تعالى
عن الامر به ولذلك كذبهم ونزه ذاته بقوله قل لهم يا محمد ان الله لا يامر بالفحشاء وكانوا
يقولون لو كره الله منا ما نفعله لنقلنا عنه وعن الحسن ان الله بعث محمدا صلى الله عليه وسلم
الى العرب وهم قدرية مجبرة يحملون ذنوبهم على الله أتقولون على الله ما لا تعلمون هذا
انكار اضافتهم القبيح اليه وشهادة على ان قولهم مبني على الجهل المفرط وقيل المراد بالفاحشة
طوافهم بالبيت عراة قل امر ربي بالقسط اي بالعدل وبما قام في النفوس انه مستقيم حسن
عند كل مميز وقيل بالتوحيد واقيموا وجوهكم اي وقل اقيموا وجوهكم اي اقصدوا عبادته
مستقيمين اليها غير عادلين الى غيرها عند كل مسجد اي في كل وقت سجود او في كل مكان
سجود وهو الصلوة وادعوه اي واعبدوه مخلصين له الدين اي الطاعة متبعين

وجهه خالصا كما بدأكم تعودون اي كما انشأكم ابتداء يعيدكم احتج عليهم في انكارهم الاعادة
بابتداء الخلق والمعنى انه يعيدكم فيجازيكم على اعمالكم فاخلصوا له العبادة فريقا هدى وهم
الذين اسلموا اي وفقهم للايمان وفريقا حق عليهم الضلالة اي كلمة الضلالة وعلم الله انهم
يضلون ولا يهتدون انهم اي ان الفريق الذي حق عليهم الضلالة اتخذوا الشياطين اولياء من
دون الله اي تولوهم بالطاعة فيما امروهم به وهذا دليل على ان علم الله ان لا اثر له في ضلالهم
وانهم هم الضالون باختيارهم وتوليهم الشياطين من دون الله ويحسبون انهم مهتدون للصواب
وحسبانهم باطل لانهم لم يستندوا فيه الى دليل يا بني آدم خذوا زينتكم اي زينتكم ولباس زينتكم
عند كل مسجد اي كلما صليتم او طفتم وكانوا يطوفون عراة وعن طاوس لم يامرهم بالحرير والديباج
وانما كان احدهم يطوف عريانا ويدع ثيابه وراء المسجد وان طاف وهي عليه ضرب وانتزعت منه
لانهم قالوا لا نعبد الله في ثياب اذنبنا فيها وقيل تفاؤلا ليتعروا من الذنوب كما تعروا من الثياب وقيل
الزينة المشط وقيل الطيب والسنة ان ياخذ الرجل احسن هيئته للصلوة وكلوا واشربوا كان
بنو عامر ايام حجهم لا ياكلون الطعام الا قوتا ولا ياكلون دسما يعظمون بذلك حجهم فقال المسلمون
فانا احق ان نفعل فقيل لهم كلوا واشربوا ولا تسرفوا الاسراف مجاوزة الحد في النفقة او لا تعا
في الزائد على ما يكفي وقيل هو الانفاق في المعاصي فاما في القرب فلا اسراف وعن ابن عباس كل ما شئت
والبس ما شئت ما اخطأتك خصلتان سرف ومخيلة اي كبر وعجب وحكي ان الرشيد
كان له طبيب نصراني حاذق فقال لعلي بن واقد ليس في كتابكم من علم الطب شيء والعلم علمان علم
الابدان وعلم الاديان فقال له قد جمع الله الطب كله في نصف آية من كتابه قال وما هي قال
قوله وكلوا واشربوا ولا تسرفوا فقال النصراني ولا يؤثر من رسولكم شيء في الطب فقال قد جمع رسولنا
صلى الله عليه وآله الطب في الفاظ يسيرة قال وما هي قال قوله المعدة بيت الداء والحمية رأس
كل دواء واعط كل بدن ما عودته فقال النصراني ما ترك كتابكم ولا نبيكم لجالينوس طبا انه لا يحب
المسرفين يعني الكفرة الذين فعلوا ذلك قل من حرم زينة الله التي اخرج لعباده من الثياب
السابغة وكل ما يتجمل به اي حرم عليكم ان تلبسوا في طوافكم ما يستركم والطيبات من الرزق
اي المستلذات من المآكل والمشارب ومعنى الاستفهام فيه انكار تحريم هذه الاشياء وقيل كانوا
اذا احرموا حرموا الشاة وما يخرج منها من لحمها وشحمها ولبنها قل هي للذين آمنوا في الحيوة الدنيا
يعني غير خالصة لهم لان المشركين شركاؤهم فيها خالصة يوم القيمة لا يشركهم فيها احد وقال هي
للذين آمنوا ولم يقل للذين آمنوا ولغيرهم لينبه على انها خلقت للذين آمنوا على طريق الاصالة
وان الكفرة تبع لهم كذلك نفصل الآيات الدالة على مصالح العباد ونبينها لقوم يعلمون
لتدبرهم لها لان من لم يتدبر ولم يعلم فهو جاهل قل انما حرم ربي الفواحش هي ما تفاحش قبحه

اي سرا بدو وقيل هي ما يفعلونه بالفروج من الزنا ما ظهر منها وما بطن اي ما اشتهر وما استتر
والاثم عام في كل ذنب وقيل شرب الخمر والبغي الظلم والكبر افرده بالذكر لعظمه كما قال وينهى
عن الفحشاء والمنكر والبغي بغير الحق لان الكبر بالحق ليس الى الله تعالى وان تشركوا
بالله ما لم ينزل به سلطانا اي ما لم ينزل بصحة الاشراك به دليلا وفيه اشتهار بهم لانه لا يجوز
ان ينزل برهانا بان يشرك به غيره من صنم او غيره وان تقولوا على الله اي وما حرم ان تقولوا
عليه وتفتروا الكذب من التحريم وغيره ما لا تعلمون تحليله ولا حرمته نحو حرمنا طواف اللابس
وتحليله طواف العريان ولكل امة اجل وقت احل الهلاك والعذاب وهو وعيد لاهل مكة
بالعذاب النازل بهم في اجل معلوم عند الله كما نزل بالامم فاذا جاء اجلهم موعدهم للهلاك
لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون وقال ساعة لانها اقل الاوقات في الاستعمال يا بني
آدم اما يأتينكم رسل منكم اي من البشر يقصون عليكم آياتي اي فرائضي واحكامي وبشروكم
وينذرونكم بها فمن اتقى الله بترك معاصيه واصلح احواله وما بينه وبينه فلا خوف
عليهم اذا خاف الناس ولا هم يحزنون اذا حزنوا والذين كذبوا باياتنا اي كذبوا بها مع
ظهور الدليل على صحتها واستكبروا عنها اي عن الايمان بها اولئك المذكورون اصحاب
النار اي الاحقاء بعذابها وملازمتها هم فيها خالدون لا خروج لهم منها فمن اظلم ممن
افترى على الله كذبا او كذب باياته اي لا اشنع ظلما ممن يقول على الله ما لم يقله او كذب ما
قاله اولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب اي مما كتب لهم من الارزاق والاجال والاعمار حتى اذا
جاءتهم رسلنا يتوفونهم اي ينالهم نصيبهم الى وقت وفاتهم ثم ينقطع عنهم والرسل ملك الموت
واعوانه قالوا اينما كنتم تدعون من دون الله يعني اين الالهة التي كنتم تعبدون من دون الله
وما وقعت موصولة باين في خط المصحف وكان حقها ان تفصل في سائر الخط قالوا ضلوا عنا
اي غابوا عنا فلا نراهم ولا ننتفع بهم اعترافا منهم بانهم لم يكونوا على شيء فيما كانوا عليه وانهم لم
يجدوه في العاقبة وشهدوا على انفسهم انهم كانوا كافرين اي حققوا ذلك بالشهادة على
انفسهم بالكفر قال ادخلوا اي يقول الله تعالى يوم القيامة للذين قال فيهم من اظلم ممن
افترى على الله كذبا او كذب باياته وهم كفار العرب في امم اي كائنين في جملة امم مصاحبين
لهم اي ادخلوا في النار مع امم قد خلت من قبلكم اي مضى وتقدم زمانهم زمانكم من الجن
والانس يعني من مجموعهما في النار كلما دخلت امة لعنت اختها اي التي اضلتها بالاقتداء
بها والاتباع لها حتى اذا اداركوا فيها جميعا اي تداركوا بمعنى تلاحقوا واجتمعوا
في النار قالت اخراهم منزلة وهي الاتباع والسفلة لاولاهم منزلة وهي القادة والرؤس
المتبوعين ولاجل اولاهم لان خطابهم مع الله لا معهم ربنا هؤلاء اضلونا يعني الرؤسا

لانهم شرعوا لنا ان نتخذ من دونك الها فاتهم عذابا ضعفا من النار اي مضاعفا لانهم ضلوا هم
واضلونا قال الله تعالى مجيبا لهم لكل ضعف اي لكل من الرؤسا والاتباع ضعف من العذاب
لانهم كانوا كلهم ضالين مضلين والضعف المثل الزائد على مثله قال ابن الانباري اصل الضعف بالمثل
وقد يستعمل للمثلين فصاعدا ولكن لا تعلمون انهم مستوون في استحقاق الضعف وقالت اولاهم
لاخراهم اي وقال الرؤسا للاتباع فما كان لكم علينا من فضل عطفوا هذا الكلام على قول الله
للسفلة لكل ضعف اي فقد ثبت ان لا فضل لكم علينا وانا متساوون في استحقاق الضعف فذوقوا
العذاب من قول الرؤسا او من قول الله لهم جميعا بما كنتم تكسبون اي بسبب ما كسبتم من الضلال والا
ان الذين كذبوا باياتنا واستكبروا عنها اي كذبوا بصحتها واستكبروا عن الايمان بها لا تفتح
لهم ابواب السماء اي لا تصعد لهم عمل صالح اليها لقوله تعالى اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح
يرفعه كلا ان كتاب الابرار لفي عليين وقيل ان الجنة في السماء والمعنى لا يؤذن لهم في صعود
السماء ولا يطرق لهم اليها ليدخلوا الجنة وقيل لا تصعد ارواحهم اذا ماتوا كما تصعد ارواح المؤ
ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط اي حتى يدخل الجمل في ثقب الابرة والجمل مثل
في عظم الجرم وسم الابرة مثل في ضيق المسلك وقيل لا يدخلون الجنة حتى يكون ما لا يكون ابدا من
ولوج هذا الحيوان العظيم في ثقب الابرة وقرا ابن عباس الجمل بوزن القمل ومعناه القلس الغليظ
وهو حبل من ليف جمعت وجعلت حبلة واحدة وقال ان الله احسن تشبيها من ان يشبه بالجمل يعني ان
الحبل مناسب للخيط الذي يسلك في سم الابرة والبعير لا يناسبه الا ان قراءة العامة اوقع ويؤيدها
ما روي عن ابن مسعود انه سئل عن الجمل فقال زوج الناقة استجهالا للسائل واشارة الى ان طلب
معنى اخر تكلف وكذلك اي ومثل ذلك الجزاء الفظيع نجزي المجرمين اي المشركين وهذا اعلام
بان الاجرام هو السبب الموصل الى العقاب وان كل من اجرم عوقب لهم من جهنم مهاد اي
فراش ومن فوقهم غواش اي اغطية وكذلك اي ومثل ذلك نجزي الظالمين هذا
تكرير لقوله وكذلك نجزي المجرمين لان كل مجرم ظالم لنفسه والذين امنوا وعملوا الصالحات
عقب الوعيد للمسلمين بالترغيب وقوله لا نكلف نفسا الا وسعها اولئك اصحاب الجنة هم فيها
خالدون اعتراض فاصل بين المبتدأ والخبر للترغيب في اكتساب ما لا يمكن وصفه من النعم
الخالد المقيم العظيم لتفاحشه بما هو داخل في الوسع من الايمان والعمل الصالح والوسع هو
الامكان الواسع غير الضيق ونزعنا ما في صدورهم من غل الغل الحقد والمعنى ان من
كان في قلبه غل على اخيه في الدنيا نزع منه فسلمت قلوبهم وطهرت ولم يبق بينهم الا التواد والتعا طف
وعن علي عليه السلام اني لارجو ان اكون انا وعثمان وطلحة والزبير منهم تجري
من تحتهم الانهار اي من تحت ابنيتهم واشجارهم وقالوا يعني اهل الجنة الحمد لله الذي هدانا لهذا

اي وفقنا لموجب هذا الفوز العظيم وهو الايمان والعمل الصالح وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ اي
وما كان يستقيم ان نكون مهتدين لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ اي لولا هداية الله وتوفيقه وفي مصاحف
اهل الشام ما كنا لنهتدي بغير واو على انها جملة مفسرة لما قبلها لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ
من الشرائع فكان لنا لطفا وتنبيها على الاهتداء فاهتدينا يقولون ذلك سرورا واغتباطا بما
نالوا وتلذذا بالتكلم به لا تقربا وتعبدا كما ترى من رزق خيرا في الدنيا يتكلم بنحو ذلك لا يعتصر
عن ان يقوله للفرح لا للقربة وَنُودُوا اي ناداهم مناد أَنْ تِلْكُمُ الْجَنَّةُ مفسرة للهدى
اي وقيل لهم تلكم الجنة أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ اي بسبب اعمالكم لا بالتفضل الاعمال
الصالحة لا بالتفضل عليكم كما تقول المبطلة وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ
أَصْحَابَ النَّارِ أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا قالوا لهم ذلك اغتباطا بحالهم وشماتة
باصحاب النار وزيادة في غمهم وليكون حكايته لطفا لمن سمعها والمعنى انا وجدنا ما وعدنا
ربنا في الدنيا من الثواب في النعيم حقا اي صدقا لا شك فيه فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا
يعني من الوعيد بالعذاب وهذا سؤال تعيير وتقرير قَالُوا نَعَمْ وهذا اعتراف منهم على وجه
التحسر والذل وهذا مما يكون لفظه لفظ الماضي والمراد به المستقبل اي ينادي لان النداء
كائن لا محالة فكأنه قد حصل على عادة الله في اخباره وفي هذه الحكاية لطف للسامع ويكون
فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ هو ملك يأمره الله فينادي بينهم نداء يسمع اهل الجنة واهل النار
مع ان الجنة في السماء واهلها فيها والنار في الارض واهلها فيها لكن قيل يزول الموانع من
السماع وقيل يقوي الله اصواتهم أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ لعنه الله غضبه وقال
ما وعد ربكم ولم يقل ما وعدكم بل حذفه تخفيفا لدلالة وعدنا عليه وقيل اطلقوا ليتناول
كل ما وعد الله من البعث والحساب والثواب والعقاب وسائر احوال القيمة لانهم كانوا
مكذبين بذلك اجمع فاطلق لذلك الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ اي يمنعون الناس عن طريق الهدى
ودين الاسلام وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا اي يطلبون سبيل الله عوجا المعنى وَهُمْ بِالْآخِرَةِ كَافِرُونَ
اي بثوابها وعقابها والذين يصدون وما بعده تفسير للظالمين قبلها وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ
يعني بين الجنة والنار وبين الفريقين وهو السور المذكور في قوله فضرب بينهم بسور وَعَلَى
الْأَعْرَافِ رِجَالٌ الاعراف اعالي الحجاب جمع عرف استعير من عرف الفرس وعرف الديك رجال
من المسلمين من اخرهم دخولا في الجنة لقصور اعمالهم يحبسون بين الجنة والنار الى ان يأذن الله
لهم في دخول الجنة يَعْرِفُونَ كُلًّا من زمر السعداء والاشقياء بِسِيمَاهُمْ بعلامتهم التي اعلمهم
الله بها ويعرفهم الملائكة اذا نظروا الى اصحاب الجنة ونادوهم بالتسليم عليهم وهو معنى قوله
وَنَادَوْا يعني اصحاب الاعراف أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ وذلك انهم اذا نظروا الى اهل

الجنة نادوهم بالتسليم عليهم وهو معنى قوله يعني نادى يعني اصحاب الاعراف عما وهب الله
لهم لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ معناه ان دخولهم الجنة استأخر عن دخول اهل الجنة فلم
يدخلوها لكونهم محبوسين وهم يطمعون في دخولها لم ييأسوا لانهم من المسلمين لكن قصر اعمالهم
اخر دخولهم الجنة وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ تِلْقَاءَ أَصْحَابِ النَّارِ اي واذا قلبت ابصارهم
جهة اصحاب النار ورأوا ما هم فيه من العذاب استعاذوا بالله وفزعوا الى رحمته ان لا يجعلهم
معهم بقولهم قَالُوا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ وهذا على وجه التبرؤ لا على وجه
التعبد وَنَادَى أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ رِجَالًا يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيمَاهُمْ اي نادوا رجالا من رؤوس
الكفرة يعرفونهم قَالُوا مَا أَغْنَى عَنْكُمْ جَمْعُكُمْ اي ما نفعكم ولا دفع عنكم العذاب جمعكم المال
وكثرتكم واجتماعكم وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ يعني ولا استكباركم عن الحق وعلى الناس أَهَؤُلَاءِ
الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ هذه اشارة الى اهل الجنة وهي من كلام اصحاب الاعراف لانهم يرون
في الجنة جماعة من ضعفاء المسلمين وفقرائهم مثل بلال وصهيب وسلمان وعمار وخباب فيقول
اصحاب الاعراف لرؤساء المشركين ينادونهم اهؤلاء الذين اقسمتم ايها الظلمة وانتم في الدنيا
لا ينالهم الله برحمة لانهم كانوا يستهينون بهم ويحتقرونهم لفقرهم وقلة حظوظهم من الدنيا
وكانوا يقسمون ان الله لا يدخلهم الجنة ادْخُلُوا الْجَنَّةَ اي يقال لاصحاب الاعراف ادخلوا الجنة
وذلك بعد ان يحبسوا على الاعراف وينظروا الى الفريقين ويعرفوهم بسيماهم ويقولوا ما يقولون
والفائدة في ذلك بيان ان الجزاء على قدر الاعمال وان التقدم والتأخر على حسبها وان
احدا لا يسبق عند الله الا بسبقه في العمل ولا يتخلف عنده الا بتخلفه فيه وليرغب السامعون
في حال السابقين ويحرصوا على مثل اعمالهم وليتصوروا ان كل احد يعرف ذلك اليوم بسيماه التي
استوجب ان يوسم بها من اهل الخير والشر فيرتدع المسيء عن اساءته ويزيد المحسن في احسانه
وليعلم ان العصاة يوبخهم كل احد حتى اقصر الناس عملا يعني اصحاب الاعراف لَا خَوْفٌ
عَلَيْكُمْ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ هذا بشارة لاصحاب الاعراف وخطاب لهم ومعناه انهم دخلوا الجنة
مقولا لهم هذا القول وَنَادَى أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ
دليل على ان الجنة فوق النار ومعناه اجروا علينا من الماء أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ من غيره من الاشربة
لدخوله في حكم الافاضة ويجوز ان يراد والقوا علينا مما رزقكم الله من الطعام والفاكهة
وانما يطلبون ذلك مع يأسهم من الاجابة اليه حيرة في امرهم كما يفعل المضطر الممتحن قَالُوا إِنَّ
اللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ اي منعهم شراب الجنة وطعامها كما يمنع المكلف ما حرم عليه الَّذِينَ
اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا لانهم كانوا يستهزئون به ويعرضون عنه فلم يفدهم كما لا يفيد اللعب
وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا اي غرتهم لذاتها ونعيمها واشتغلوا به عن صلاح احوالهم فَالْيَوْمَ

يفعل بهم فعل الناسي الذين ينسون عبيدهم من الخير لا يذكرونهم به **كما نسوا لقاء يومهم هذا** اي كما فعلوا الملقانه فعل الناسي فلم يخطروه ببالهم ولا اهتموا به **وما كانوا** اي وكما كانوا **بآياتنا يجحدون** مع تمام الدليل الموصل الى العلم بانها حق **ولقد جئناهم بكتاب** وهو القران **فصلناه** اي بيناه عالمين كيف نفصل احكامه ومواعظه وقصصه وسائر معانيه حتى جاء حكما **على علم** قيما غير ذي عوج وقرئ فضلناه بالضاد المعجمة يعني فضلناه على جميع الكتب عالمين انه اهل للتفضيل عليها **هدى ورحمة لقوم يؤمنون** اي فصلناه في حال كونه هدى يهدي به ورحمة لمن امن عليه وعمل به وقال لقوم يؤمنون اشارة الى هذا المعنى وخصهم لانهم المنتفعون به ومعنى كونه هدى انه دلالة موصلة الى السعادة الابدية ورحمة لانه نعمة من الله رحم بها عباده **هل ينظرون الا تأويله** اي الا عاقبة امره وما يؤول اليه من تبين صدقه وصحة ما نطق به من الوعد والوعيد **يوم يأتي تأويله يقول الذين نسوه من قبل** اي يفعلوا به فعل الناسين من قبل اتيان تأويله الذين نسوه في الدنيا **قد جاءت رسل ربنا بالحق** اي تبين لنا انهم جاؤوا بالحق **فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا** بالمسامحة **او نرد** الى الدنيا **فنعمل غير الذي كنا نعمل** فنوحد الله ونؤمن برسله وهذا منهم على وجه التحسر والا فهم يعلمون انهم لا يجابون الى ذلك **قد خسروا انفسهم** بوقوعها في النار **وضل عنهم ما كانوا يفترون** اي وغاب عنهم ما كانوا يكذبون من كون الهتهم تشفع لهم عند الله تعالى **ان ربكم الله الذي خلق السموات والارض في ستة ايام** قال المفسرون اراد في مقدار ستة ايام لان اليوم عبارة لوقت من طلوع الشمس الى غروبها ولم يكن يوم ولا شمس ولا سماء واول الايام الاحد واخرها الجمعة فاجتمع الخلق فيها وكان الله تعالى قادرا على خلقها في طرفة عين لكن خلقها في ستة ايام تعليما لخلقه الرفق والتثبت في الامور ولما في ذلك من اعتبار الملائكة وجميع المشاهدين **ثم استوى على العرش** هو سرير الملك والاستواء عليه كناية عن الملك الكامل لان استواء الملك على السرير من توابع الملك وهو ادل على كماله من التصريح **يغشي الليل النهار** اي يلحقه به وقرئ يغشي بالتشديد والمعنى يلحق الليل بالنهار او النهار بالليل **يطلبه حثيثا** اي بحث ويسرع في طلبه وادراكه قال ابن عباس يطلب الليل النهار ولا يعقله له والمعنى ان الليل يستمر في طلب النهار على نهج واحد من غير فتور يوجبه التاخر عن وقته حتى يدخل عليه وكذلك النهار يطلب الليل حثيثا حتى يدركه فيدخل عليه **والشمس والقمر والنجوم مسخرات بامره** اي بمشيته وتصرفه بمعنى انهن جاريات بمشيته ومقتضى حكمته وبديع تدبيره وكما يريد ان يصرفها وسمي ذلك امرا على التشبيه لانهن مامورات بذلك ولما ذكر انه خلقهن مسخرات بامره قال **الا له الخلق والامر** اي هو الذي خلق الاشياء كلها وهو الذي يصرفها على حسب ارادته وحكمته **تبارك الله** اي

تعالى وتعاظم عن صفات المخلوقين **رب العالمين** اي مالك الملائكة والثقلين **ادعوا ربكم تضرعا** اي تذللا وتملقا **وخفية** اي سرا ومخافتة وعن الحسن ان الله يعلم القلب التقي والدعاء الخفي ان كان الرجل لقد جمع القران وما يشعر به جاره وان كان الرجل فقه الفقه الكثير ولا يشعر الناس به وان كان الرجل ليصلي الصلوة وعنده الجماعة وما يشعرون به ولقد ادركنا اقواما ما كان على الارض من عمل يقدرون على ان يعملوه في السر فيكون علانية ابدا ولقد كان المسلمون يجتهدون في الدعاء ولا يسمع لهم صوت ان كان الا همسا بينهم وبين ربهم وذلك ان الله تعالى يقول ادعوا ربكم تضرعا وخفية وقد اثنى على زكريا عليه السلام فقال اذ نادى ربه نداء خفيا وبين دعوة السر والعلانية سبعون ضعفا **انه لا يحب المعتدين** اي المجاوزين ما امروا به في كل شيء من الدعاء وغيره وعن ابن جريج هو رفع الصوت بالدعاء وقيل هو الاسهاب في الدعاء اي الاكثار منه وعن النبي صلى الله عليه واله سيكون قوم يعتدون في الدعاء وحسب المرء ان يقول اللهم اني اسالك الجنة وما قرب اليها من قول وعمل واعوذ بك من النار وما قرب اليها من قول وعمل ثم قرا انه لا يحب المعتدين **ولا تفسدوا في الارض بعد اصلاحها** الافساد في الارض هو ما يقع فيها من الكفر والمعاصي والعدل والا عكسه وقال بعد اصلاحها لان الناس كانوا امة واحدة متفقين على دين الاسلام **وادعوه خوفا وطمعا** اي في حال الخوف من عقابه والطمع في ثوابه **ان رحمة الله** اي نعمته واحسانه **قريب من المحسنين** اي المطيعين وقال قريب ولم يقل قريبة لان الرحمة في معنى الرحم او يقدر شيء قريب من المحسنين في العمل والطاعة **وهو الذي يرسل الرياح نشرا بين يدي رحمته** نشرا اي يرسلها حال كون الرياح وهو جمع نشور المحيية لانها تنشر الارض وتحييها بدعائها وبين يدي رحمته اي امام نعمته وهو الغيث الذي هو من اجل النعم واحسنها اثرا **حتى اذا اقلت سحابا ثقالا** اي حملت ورفعت والاقلال من القلة لان الذي يرفع الشيء ويطيقه يراه قليلا والسحاب الثقال هي التي اثقلها الماء **سقناه لبلد ميت** اي سقنا السحاب لاجل بلد ميت والسقه ووصف بالموت كما يوصف الممطور بالحيوة **فانزلنا به الماء** اي بالبلد المساق او بالسحاب **فاخرجنا به** اي بالبلد او بالسحاب **من كل الثمرات** اي من كل ثمرات الاشجار **كذلك** اي مثل ذلك الاخراج وهو اخراج الثمرات **نخرج الموتى** من قبورهم بالحساب والجزاء **لعلكم تذكرون** فيؤديكم التذكر الى انه لا فرق بين الاخراجين اذ كل واحد منهما اعادة للشيء بعد انشائه **والبلد الطيب** اي الارض الكريمة التربة **يخرج نباته باذن ربه** اي بتيسيره كانه قيل يخرج نباته حسنا وافيا **والذي خبث** اي الارض السبخة التي لا تنبت ما ينتفع به والبلد الخبيث **لا يخرج** نباته **الا نكدا** والنكد الذي لا خير فيه وهذا مثل المرتوع

صلاح

تذكرون

فيه الوعظ والتنبيه من المكلفين ولمن لا يؤثر فيه وعن مجاهد آدم وذريته منهم خبيث وطيب
وعن قتادة المؤمن سمع كتاب الله فعقله فوعاه فانتفع به كالارض الطيبة اصابها
الغيث فانبتت والكافر بخلاف ذلك وحسن ذكر هذا التمثيل عقيب ذكر المطر وانزاله بالبلد
الميت واخراج الثمرات كذلك نصرف اي مثل ذلك التصريف نصرف الآيات اي نرددها
ونكررها لقوم يشكرون نعمة الله وهم المؤمنون ليتفكروا فيها ويعتبروا بها لقد ارسلنا
نوحا الى قومه لقد جواب قسم محذوف تقديره والله لقد ارسلنا قيل ارسل نوح وهو ابن خمسين
وكان نجارا وهو نوح بن لمك بن متوشلح بن اخنوخ وهو ادريس النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا قوم
اعبدوا الله اي وحدوه ولا تعبدوا معه غيره ما لكم من اله غيره اي لا معبود لكم يحق الا
اياه اني اخاف عليكم عذاب يوم عظيم هذا تعليل لوجه اختصاصه بالعبادة بانه المخوف
عذابه دون ما كانوا يعبدونه من دون الله واليوم العظيم يوم القيمة او يوم نزول العذاب
عليهم وهو الطوفان قال الملأ من قومه الملأ الاشراف والسادة وقيل الرجال ليس
معهم نساء انا لنراك في ضلال مبين اي في ضلال عن طريق الحق والصواب والمراد رؤية
القلب لا البصر قال يا قوم ليس بي ضلالة هذا رد عليهم ولم يقل ضلال لان الضلالة
اخص من الضلال فكانت ابلغ في نفي الضلال عن نفسه كانه قال ليس بي شيء من الضلال كما
لو قيل لك الك تمر فقلت ما لي تمرة فهو نفي للتمرة مما دونها ولكني رسول اليكم من رب
العالمين ناصح في تبليغ الرسالة مستقيم على الحق ليس في ضلالة ابلغكم رسالات ربي
اي ما اوحي الي في الاوقات المتطاولة او في المعاني المختلفة من الاوامر والنواهي والمواعظ
والزواجر والبشائر والنذائر ويجوز ان يريد رسالات الله اليه والى الانبياء قبله من صحف جده
ادريس وهي ثلاثون صحيفة ومن صحف شيث وهي خمسون صحيفة وانصح لكم يقال نصحته ونصحت
له وفي زيادة اللام مبالغة ودلالة على امحاض النصيحة للمنصوح لا غير فرب نصيحة ينتفع
بها الناصح فيقصد النفعين جميعا ولا نصيحة امحض من نصيحة الله ورسوله واعلم من
الله ما لا تعلمون اي من صفات الله واحواله يعني قدرته الباهرة وشدة بطشه على
اعدائه وان باسه لا يرد عن القوم المجرمين وقيل لم يسمعوا بقوم حل بهم العذاب قبلهم فكانوا
آمنين لا يعلمون ما علمه نوح بوحي الله اليه او عجبتم معنى الاستفهام الانكار وفي الكلام
حذف والتقدير اكذبتم وعجبتم ان جاءكم ذكر اي من ان جاءكم ذكر من ربكم اي موعظة
على رجل منكم اي على لسان رجل منكم كقوله ما وعدتنا على رسلك وذلك انهم كانوا يتعجبون من
نبوة نوح وقالوا ما سمعنا بهذا في آبائنا الاولين يعنون ارسال البشر ولو شاء الله لانزل
ملائكة لينذركم اي ليحذركم عاقبة الكفر ولتتقوا اي ولتوجد منكم التقوى وهي

سؤال ليس بي ضلالة ولم يقل ضلال كما قالوا
جواب الضلالة اخص من الضلال
وابلغ في نفي الضلال كانه قال ليس بي الخ
منه

الخشية بسبب الانذار ولعلكم ترحمون اي ولترجوا بالتقوى ان ترحموا ان وجدت منكم فكذبوه
فانجيناه والذين معه في الفلك قيل كانوا اربعين رجلا واربعين امرأة وقيل تسعة بنوه سام
وحام ويافث وستة ممن آمن به اي انجيناهم في السفينة من الطوفان واغرقنا الذين كذبوا بآياتنا
انهم كانوا قوما عمين اي واغرقنا الباقين المكذبين لانهم كانوا قوما عمي القلوب غير مستبصرين
[illegible] والفرق بين العمي والعامي ان العمي يدل على عمى ثابت مستمر والعامي على عمى حادث
والى عاد اخاهم هودا اي واحدا منهم من قولك يا اخا العرب وجعل منهم لانهم افهم لكلامه
واعرف بحاله في صدقه وامانته وهو هود بن شالخ بن ارفخشد بن سام بن نوح والمعنى وارسلنا
الى عاد اخاهم هودا وهودا عطف بيان لاخاهم قال يا قوم اعبدوا الله ما اي وحدوه
بالعبادة ولم يقل فقال كما قال في قصة نوح لان هذا على تقدير سؤال سائل قال فما قال
لهم هود فقيل قال يا قوم ما لكم من اله غيره اي ما لكم من اله معبود سوى غيره هذا بيان لوجه
اختصاصه بالعبادة افلا تتقون انكار عليهم والمعنى افلا تخافون نقمته وتحذرون سطوته
اذ لم تطيعوه وتعبدوه فقال الملأ الذين كفروا من قومه وصف الملأ هاهنا بالذين كفروا
دون الملأ من قوم نوح لانه كان في اشراف قوم هود من آمن به منهم مرثد بن سعد وكان يكتم ايمانه
فاريدت التفرقة بالوصف ولم يكن في اشراف قوم نوح مؤمن فعم الملأ منهم انا لنراك المراد
رؤية القلب في سفاهة اي في خفة حلم وسخافة عقل حيث تهجر دين آبائك الى دين آخر
ومعنى قولهم في سفاهة انه متمكن في السفاهة كانه غير منفك عنها وانا لنظنك من الكاذبين
فيما ادعيت من الرسالة ونفي الالهة غير الله قال يا قوم ليس بي سفاهة هذا رد لتكذيبهم
اي ليس بي شيء من السفاهة ولكني رسول من رب العالمين يعني مع الرسالة راجح العقل
بريء من السفاهة ابلغكم رسالات ربي اي ما اوحي الي وهذا بيان لكونه رسولا وانا لكم ناصح
امين ناصح فيما ادعوكم اليه امين فيما اقول لكم كما عرفتم اماني وصدق كلامي
وفي اجابة الانبياء عليهم السلام من نسبهم الى الضلال والسفاهة بما اجابوهم من الكلام الصادر
عن الحلم والاغضاء وترك المقابلة بما قالوا لهم مع علمهم بان خصومهم اضل الناس واسفههم ادب
حسن وخلق عظيم وحكاية الله ذلك تعليم لعباده كيف يخاطبون السفهاء وكيف يغضون عنهم ويسبلون
اذيالهم على ما يكون منهم او عجبتم ان جاءكم ذكر من ربكم هذا انكار عليهم تقديره اكذبتم وعجبتم
من ان جاءكم موعظة من ربكم على لسان رجل منكم لينذركم اي ليحذركم عاقبة الكفر واذكروا
اذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح اي خلفتموهم في الارض او جعلكم ملوكا فيها قد استخلفكم
بعدهم وزادكم في الخلق بسطة اي فيما خلق من اجرامكم بسطة اي ذهابا في الطول وعظم الاجرام

قال رضي الله عنه

قيل كان أقصرهم ستين ذراعاً وأطولهم مائة ذراع **فاذكروا آلاء الله** أي فاشكروا نعم الله
عليكم في استخلافكم وبسطة أجرامكم وما سواهما من عطاياه **لعلكم تفلحون** تظفرون
بالفوز والنجاة **قالوا أجئتنا لنعبد الله وحده** هذا إنكار منهم واستبعاد لاختصاص الله وحده
بالعبادة وترك دين الآباء في اتخاذ الأصنام شركاء معه حباً لما نشأوا عليه وإلفاً لما صادفوا آباءهم
يدينون به وقوله أجئتنا يحتمل أن يكون لهود مكان معتزل عن قومه يتعبد فيه كما كان يفعل رسول
الله صلى الله عليه وآله قبل المبعث بحراء فلما أوحي إليه جاء قومه يدعوهم فيكون المجيء حقيقة
ويحتمل أن يريدوا الاستهزاء لأنهم كانوا يعتقدون أن الله لا يرسل إلا الملائكة فكأنهم قالوا أجئتنا
من السماء كما يجيء الملك ويحتمل أن لا يريدوا حقيقة المجيء ولكن التعرض بذلك والقصد يقال ذهب يشتمني
ولا يراد حقيقة الذهاب كأنهم قالوا أقصدتنا لنعبد الله وحده وتعرضت لنا بتكليف ذلك **ونذر ما
كان يعبد آباؤنا** أي ونترك ما كان يعبد آباؤنا ونأمر بالآلهة **فأتنا بما تعدنا** استعجال منهم للعذاب
إن كنت من الصادقين في أنك رسول تعد من كذبك **قال قد وقع عليكم من ربكم** أي حق ووجب
عليكم أو قد نزل عليكم جعل المتوقع الذي لا بد من نزوله بمنزلة الواقع **رجس وغضب** أي عذاب
وسخط **أتجادلونني في أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم** أتخاصمونني في شأن أشياء
ما هي إلا أسماء ليس تحتها مسميات لأنكم تسمونها آلهة ومعنى الإلهية فيها معدوم محال وجوده **ما
نزل الله بها من سلطان** أي ما نزل الله بالأصنام التي كانت تعبدها من حجة على استحقاقها العبادة
لكن اتبعوا الهوى وأعرضوا عن الدليل **فانتظروا** وقوع العذاب بكم **إني معكم من المنتظرين**
لما يحل عليكم بوقوع العذاب النازل بكم **فأنجيناه والذين معه** يعني من وقع العذاب فأنجينا
هوداً والذين معه من المؤمنين **برحمة منا** لهم ونعمة عليهم **وقطعنا دابر الذين كذبوا
بآياتنا وما كانوا مؤمنين** وقطع دابرهم استئصالهم وتدميرهم عن آخرهم **وقصة
عاد** أنهم تبسطوا في البلاد ما بين عمان وحضرموت وكانت لهم أصنام يعبدونها فبعث الله
إليهم هوداً نبياً وكان من أوسطهم وأفضلهم حسباً فكذبوه وازدادوا عتواً وتجبراً فأمسك الله عنهم
القطر ثلاث سنين حتى جهدوا وكان الناس إذا نزل بهم بلاء طلبوا إلى الله الفرج منه عند بيته الحرام
مسلمهم ومشركهم فجهزت عاد إلى مكة من أماثلهم سبعين رجلاً منهم قيل بن عنز ومرثد بن سعد
الذي كان يكتم إسلامه فأرادوا دخول الحرم للاستسقاء بعد أن بلغوا فقال لهم مرثد بن سعد والله
لا تسقون بدعائكم ولكن إن أطعتم نبيكم وتبتم إلى الله سقيتم وأظهر إسلامه فأمروا بحبسه عن
القدوم إلى مكة معهم وقالوا لا نتبع دين هود ونترك ديننا ثم دخلوا مكة فقال قيل بن عنز
اللهم اسق عاداً ما كنت تسقيهم فأنشأ الله تعالى سحابات ثلاثاً بيضاء وحمراء وسوداء ثم نادى مناد
من السماء يا قيل اختر لنفسك ولقومك فقال اخترت السوداء فإنها أكثرهن ماء فخرجت على عاد من واد

لهم يقال له المغيث فاستبشروا بها وقالوا هذا عارض ممطرنا فجاءتهم منها ريح عقيم فأهلكتهم
ونجى هود ومن معه فأتوا مكة فعبدوا الله فيها حتى ماتوا وفائدة نفي الإيمان عنهم في قوله وما
كانوا مؤمنين مع إثبات التكذيب بآياتنا التعريض بمن آمن منهم كمرثد بن سعد ومن نجا مع هود
كأنه قال ولو قطعنا دابر القوم الذين كذبوا بآياتنا منهم ولم يكونوا مثل من آمن منهم ليؤذن
أن الهلاك خص المكذبين ونجى الله المؤمنين **وإلى ثمود أخاهم صالحاً** ثمود اسم قبيلة
وهو ثمود بن عاثر بن إرم بن سام بن نوح وقيل سميت ثمود لقلة مائها من الثمد وهو الماء القليل
وكانت مساكنهم الحجر بين الحجاز والشام وهو واد بين المدينة والشام **قال يا قوم اعبدوا الله**
أي خصوه بالعبادة دون الأوثان التي كانوا يعبدونها **ما لكم من إله غيره** هذا بيان
لموجب اختصاصه بالعبادة **قد جاءتكم بينة من ربكم** أي آية ظاهرة تدل على صحة نبوتي وكأنه
قيل ما هذه البينة فقال **هذه ناقة الله لكم آية** أي علامة تصدق النبوة مرجحة للإيمان
المخاطبين خاصة وهم ثمود لأنهم عاينوها وشاهدوها وسائر الناس أخبروا عنها وليس الخبر
كالمعاينة وأضيفت إلى اسم الله تعظيماً لها وتفخيماً لشأنها ولأنها جاءت من عنده مكونة
من غير أبوين معجزة من آياته **روي** أن عاداً لما أهلكت عمرت ثمود بلادها وخلفوهم
في الأرض وكثروا وعمروا أعماراً طوالاً حتى إن الرجل يبني المسكن المحكم فينهدم في حياته
فنحتوا البيوت من الجبال وكانوا في سعة ورخاء من العيش فعتوا على الله وأفسدوا في الأرض وعبدوا
الأوثان فبعث الله إليهم صالحاً وكانوا قوماً عرباً وصالح من أوسطهم نسباً فدعاهم إلى الله
فلم يتبعه إلا قليل منهم مستضعفون فحذرهم وأنذرهم فسألوه آية فقال أية آية تريدون
قالوا تخرج معنا إلى عيدنا في يوم معلوم لهم من السنة فتدعو إلهك وندعو آلهتنا فإن
استجيب لك اتبعناك وإن استجيب لنا اتبعتنا فقال صالح نعم فخرج معهم ودعوا أوثانهم
وسألوها الاستجابة فلم تجبهم ثم قال سيدهم جندع بن عمرو وأشار إلى صخرة منفردة في ناحية
الجبل يقال لها الكاثبة أخرج لنا من هذه الصخرة ناقة مخترجة جوفاء وبراء هي التي شاكلت
البخت فإن فعلت صدقناك وأجبناك فأخذ صالح عليه السلام عليهم المواثيق لئن فعلت
ذلك لتؤمنن ولتصدقن قالوا نعم فصلى ودعا ربه فتمخضت الصخرة تمخض النتوج بولدها
فانصدعت عن ناقة عشراء جوفاء وبراء كما وصفوا لا يعلم ما بين جنبيها إلا الله تعالى وعظماؤهم
ينظرون ثم نتجت ولداً مثلها في العظم فآمن به جندع ورهط من قومه ومنع الآخرين
ناس من رؤسائهم أن يؤمنوا فمكثت الناقة مع ولدها ترعى الشجر وتشرب الماء وكانت ترد غباً
فإذا كان يومها وضعت رأسها في البئر فما ترفعه حتى تشرب كل ماء فيها ثم تتفحج أي تفرج ما بين
رجليها فيحلبون ما شاؤوا حتى تمتلئ أوانيهم فيشربون ويدخرون قال أبو موسى الأشعري أتيت

ارض ثمود فرعت مبرك الناقة فوجدته ستين ذراعا وكانت الناقة اذا وقع الحر تصيفت بظهر الوادي فتهرب منها انعامهم فتهبط الى بطنه واذا وقع البرد تشتت ببطن الوادي فتهرب مواشيهم الى ظهره فشق ذلك عليهم وزينت عقرها لهم امرأتان عنيزة ام غنم وصدقة بنت المختار لما اضرت بمواشيهما وكانتا كثيرتي المواشي فعقروها واقتسموا لحمها وطبخوه فانطلق سقبها حتى رقى جبلا اسمه قارة فرغا ثلاثا وكان صالح قال لهم ادركوا الفصيل عسى ان يرفع عنكم العذاب فلم يقدروا واذ انفجرت له الصخرة بعد رغائه فدخلها فقال لهم صالح تصبحون غدا ووجوهكم مصفرة واليوم الثاني ووجوهكم محمرة واليوم الثالث ووجوهكم مسودة ثم يصبحكم العذاب فلما رأوا العلامات طلبوا ان يقتلوه فانجاه الله الى ارض فلسطين ولما كان اليوم الرابع وارتفع الضحى تحنطوا بالصبر وتكفنوا بالانطاع فاتتهم صيحة من السماء فتقطعت قلوبهم فهلكوا وكان عقرهم للناقة يوم الاربعاء ونزل بهم العذاب يوم السبت **فذروها تأكل في أرض الله** لان الارض ارض الله والناقة ناقة الله فذروها تأكل في ارض ربها وليست الارض لكم ولا ما فيها من انباتكم **ولا تمسوها بسوء** لا تضربوها ولا تطردوها ولا تريبوها بشيء من الاذى اكراما لاية الله وروي ان رسول الله صلى الله عليه وآله مر بالحجر في غزوة تبوك قال لاصحابه لا يدخلن احد منكم القرية ولا تشربوا من مائها ولا تدخلوا على هؤلاء المعذبين الا ان تكونوا باكين ان يصيبكم مثل الذي اصابهم ثم اسرع في السير حتى جاوز الوادي ثم قال لا تسألوا الايات ٥ وقال صلى الله عليه وآله يا علي اتدري من اشقى الاولين قال الله ورسوله اعلم قال عاقر ناقة صالح اتدري من اشقى الاخرين قال الله ورسوله اعلم قال قاتلك **فيأخذكم عذاب أليم** شديد الالم بسبب مسكم لها **واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد عاد** يعني خلفتموهم في ارضهم **وبوأكم** اي انزلكم والمباءة المنزل **في الأرض** يعني ارض الحجر وهو واد بين المدينة والشام **تتخذون من سهولها قصورا** اي تبنونها من سهولة الارض بما تعملون منها من الرهص واللبن والاجر **وتنحتون الجبال بيوتا** اي تنقبون الجبال بيوتا فلما كانوا يسكنون السهول في الصيف والجبال في الشتاء **فاذكروا آلاء الله** اي فاشكروا نعم الله **ولا تعثوا في الأرض مفسدين** العثي اشد الفساد ومفسدين حال مؤكدة لما هم الذي نهوا ان يكونوا عليها **قال الملأ الذين استكبروا من قومه** اي اشراف قومه المستكبرين عن اتباعه **للذين استضعفوا** اي الذين استضعفهم رؤساء الكفار واستذلوهم **لمن آمن منهم** بصالح اي قالوا للمؤمنين من المستضعفين **أتعلمون أن صالحا مرسل من ربه** قالوا هذا على قالوا هذا على سبيل الطنز والسخرية والاستهزاء بالمؤمنين كما يقول الجهلة اتعلمون ان الله ذو العرش

قالوا إنا بما أرسل به مؤمنون لما ان سألوهم عن العلم بارساله جعلوا ارساله امرا معلوما لا شك فيه لوضوحه اي لم يبحثوا عنه واجابوا بالايمان بما ارسل به كأنهم قالوا لا كلام في انه مرسل وانما الكلام في وجوب الايمان به فنخبركم انا به مؤمنون وكذلك كان جواب الكفرة ردا لكلامهم **قال الذين استكبروا إنا بالذي آمنتم به كافرون** ووضعوا آمنتم به موضع ارسل به فقالوا انا بالذي آمنتم به ولم يقولوا انا بالذي ارسل به لحمل الرد على المؤمنين فيما جعلوه من الارسال **فعقروا الناقة** عاقرها قدار بن سالف واسند العقر الى جميعهم وان لم يباشره الا بعضهم لانه برضاهم وقد يقال للقبيلة العظيمة انتم فعلتم كذا وما فعله الا واحد منهم **وعتوا عن أمر ربهم** اي تولوا عنه واستكبروا عن امتثاله وامر ربهم ما امر به على لسان صالح من قوله فذروها تأكل في ارض الله **وقالوا يا صالح ائتنا بما تعدنا إن كنت من المرسلين** اراد ائتنا بالعذاب وحذف لانه كان معلوما واستعجالهم لشك يكذبون ولذلك علقوه بما هم به كافرون وهو كونه من المرسلين **فأخذتهم الرجفة** هي صيحة جبرئيل التي زلزلت لها الارض حين صاح بهم واضطربوا لها **فأصبحوا في دارهم** في بلادهم او في مساكنهم **جاثمين** ٥ هامدين لا يتحركون موتى وهي كناية عن سقوطهم على وجوههم وقيل صاروا كالرماد الجاثم لان الصاعقة احرقتهم **فتولى عنهم** الظاهر انه كان مشاهدا لما جرى عليهم وانه تولى عنهم بعدما ابصرهم جاثمين فتولى تولي مغتم متحسر على ما فاته من ايمانهم يتحزن لهم **وقال يا قوم لقد أبلغتكم رسالة ربي** اي ما ارسلني به اليكم **ونصحت لكم** اي اخلصت النصيحة لكم **ولكن لا تحبون الناصحين** اي لا تقبلون منهم ويجوز ان يتولى عنهم تولي ذاهب عنهم منكر لاصرارهم حين رأى العلامات قبل نزول العذاب وقيل انه خرج في مائة وعشرة من المسلمين وهو يبكي فالتفت فرأى الدخان ساطعا فعلم انهم قد اهلكوا وكانوا الفا وخمسمائة دار وروي انه رجع بمن معه فسكنوا في ديارهم **ولوطا إذ قال لقومه** لوط هو ابن اخ ابراهيم عليه السلام وقومه اهل سدوم وذلك انه هاجر مع عمه صلى الله عليه وآله وسلم وهو اول من آمن به حين رأى النار لم تحرقه فنزل ابراهيم فلسطين ونزل لوط الاردن فارسله الله تعالى الى المؤتفكة وكانت سدوم اعظمها وبها نزل لوط عليه السلام وقيل هو ابن خالة ابراهيم **أتأتون الفاحشة** هي اتيان الرجال في ادبارهم **ما سبقكم بها** بالعمل بها **من أحد من العالمين** ٥ قيل ما نزا ذكر على ذكر قبل قوم لوط اخر فسلم انكر عليهم اولا بقوله اتأتون الفاحشة ثم وبخهم عليها فقال وانتم اول من عملها **إنكم لتأتون الرجال** هذا بيان لقوله اتأتون الفاحشة وهو من اتى المرأة اذا غشيها وقرئ انكم على الاستفهام ومعناه الانكار والتعظيم ومعناه الانكار والتعظيم لهذه الفاحشة **شهوة من دون النساء** اي لا لاشتهاء لا حامل لكم عليه الا مجرد الشهوة

من غير داع آخر ولا ذم أعظم من هذه لأنه وصف لهم بالبهيمة وأنه لا داعي لهم من جهة العقل
البتة كطلب النسل ونحوه ومعنى مشتهين تابعين للشهوة غير ملتفتين الى السماجة
بل أنتم قوم مسرفون في معاصي الله تعالى وهذا إضراب عن الإنكار الى الإخبار بالحال عنهم
التي توجب ارتكاب القبائح وتدعو الى اتباع الشهوات وهو أنهم قوم عادتهم الإسراف وتجاوز
الحد في كل شيء ثم أسرفوا في قضاء الشهوات حتى تجاوزوا المعتاد الى غير المعتاد وما
كان جواب قومه عند ذلك إلا أن قالوا قال بعضهم لبعض أخرجوهم أخرجوا لوطا
وأهل بيته من قريتكم يعني ما أجابوه عما كلمهم به لوط عليه السلام من إنكار
الفاحشة وتعظيم أمرها ووصفهم بالإسراف الذي هو أصل الشر كله ولكنهم جاؤوا بشيء
آخر لا يتعلق بكلامه ونصيحته لهم من الأمر بإخراجه ومن معه من المؤمنين من قريتهم ضجرا بهم ومن
وعظهم ونصحهم وقولهم إنهم أناس يتطهرون ۝ أي يتنزهون عن أعمالكم استهزاء بهم وتطهرهم
من الفواحش وافتخارا بما كانوا فيه من القذارة كما يقول بعض الشطار من الفسقة لبعض
الصلحاء إذا وعظهم أبعدوا عنا هذا المتقشف وأريحونا من هذا المتزهد فأنجيناه
وأهله أي ومن يختص به من ذويه أو من المؤمنين إلا امرأته كانت من الغابرين ۝ أي
من الذين غبروا في ديارهم أي بقوا فهلكوا وقال من الغابرين لتغليب الذكور على الإناث وكانت
كافرة موالية لأهل سدوم وسدوم اسم قريتهم المؤتفكة فأصابها حجارات وقيل كانت
المؤتفكات خمس مدائن سدوم وعامورا وداموراً وصبرا وصعر وهي على يوم وليلة من فلسطين
في كل قرية مائة ألف مقاتل وكانت سدوم أعظمها وكان لوط عليه السلام يسكنها وأمطرنا عليهم
مطرا أي أرسلنا عليهم الحجارة كالمطر وقيل خسف بأهل المدن وأمطر على المسافرين ويقال
أمطرتهم السماء أي أصابتهم بالمطر وأمطرت عليهم أي أرسلت عليهم المطر ومعنى وأمطرنا عليهم
أي أرسلنا عليهم نوعا من المطر عجيبا يعني الحجارة كقوله فأمطرنا عليهم حجارة من سجيل فانظر
نظر تفكر واعتبار كيف كان عاقبة المجرمين ۝ يعني كيف كان عاقبة قوم لوط في إهلاكهم
بالعذاب على إجرامهم وإلى مدين أخاهم شعيبا أي وأرسلنا الى مدين أخاهم وهم قبيلة
من ولد إبراهيم بعث إليهم شعيبا فلذلك قال أخاهم شعيبا وهو شعيب بن نويل بن مدين بن
إبراهيم عليه السلام وأرسله الله إليهم مرتين مرة الى أصحاب الأيكة ومرة الى مدين وكان يقال
له خطيب الأنبياء لحسن مراجعته قومه وكانوا أهل بخس للمكاييل والموازين قال يا قوم
اعبدوا الله أي خصوه بالعبادة ما لكم من إله غيره قد جاءتكم بينة من ربكم أي معجزة
ظاهرة تعينه نبوتي أو حجة عليكم الإيمان بربي والأخذ بما أمركم به والانتهاء عما نهاكم عنه
فأوفوا الكيل والميزان ولا تبخسوا أي ولا تنقصوا الناس أشياءهم حقوقهم في

الكيل والموزون وقد وقع العلم بأنه كانت له معجزة لقوله قد جاءتكم بينة من ربكم ولأنه لا بد لكل
مدعي النبوة من معجزة تصدقه وإلا لم تصح دعواه ولم يذكر في القرآن معجزة شعيب كما لم يذكر كثير
من معجزات نبينا صلى الله عليه وآله ومن معجزات شعيب عليه السلام ما روي من محاربة عصى موسى التنين حين
دفع الله غنمه وولادة الغنم الدرع خاصة حين وعده أن يكون له الدرع من أولادها ووقوع
عصا آدم عليه السلام على يده في المرات السبع وغير ذلك من الآيات لأن هذه كلها كانت قبل أن يستنبأ
موسى وكانت معجزات لشعيب ويقال بخسته حقه إذا نقصته إياه وقيل أشياءهم لأنهم كانوا
يبخسون الناس كل شيء في مبايعاتهم أو كانوا مكاسين لا يدعون شيئا إلا مكسوه كما يفعل أمراء
الجور والمكس الجباية واستنقاص الثمن واستحطاطه وروي أنهم كانوا إذا دخل الغريب بلدهم
أخذوا دراهمه الجياد وقالوا هي زيوف فيقطعونها قطاعا ثم يأخذونها بنقصان ظاهر وأعطوه
بدلها زيوفا أي مغشوشة رديئة ولا تفسدوا في الأرض بارتكاب المحرمات بعد إصلاحها
أي بعد الإصلاح فيها أو المعنى لا تفسدوا فيها بعد ما أصلح فيها الصالحون من الأنبياء وأتباعهم
العاملين بشرائعهم ذلكم يعني المذكور من الوفاء بالكيل والميزان وترك البخس والإفساد في
الأرض خير لكم عند الله وعند الناس وأحسن ذكرا وأقرب الى ما تطلبونه من التكسب
والربح لأن الناس أرغب في متاجرتكم إذا عرفوا منكم الأمانة والتسوية إن كنتم مؤمنين أي
إن كنتم مصدقين لي في قولي ذلكم خير لكم ولا تقعدوا بكل صراط توعدون أي ولا تقتدوا
بالشيطان في قوله لأقعدن لهم صراطك المستقيم فتقعدوا بكل صراط أي بكل منهاج من مناهج
الدين والدليل على أن المراد بالصراط سبيل الحق قوله وتصدون عن سبيل الله من آمن به
أي وتمنعون الناس عن دين الله وصراط الحق واحد ولكنه قال بكل صراط لأنه يتشعب
الى أحكام كثيرة وحدود مختلفة وكانوا إذا رأوا أحدا أشرع منها في شيء أوعدوه وصدوه وقوله
من آمن به أي من آمن بكل صراط تقديره توعدون من آمن وتصدون عنه لكن قال عن سبيل الله
ولم يقل عنه للزيادة في تقبيح أمرهم ودلالة على عظم ما يصدون عنه وقيل كانوا يجلسون
على الطرق والمراصد لمن مر بهم أن شعيبا كذاب فلا يفتننكم عن دينكم كما كانت قريش تفعل
بمكة في أمر النبي صلى الله عليه وآله وقيل كانوا يقطعون الطرق وقيل كانوا عشارين أي
جباة وتبغونها عوجا أي وتطلبون لسبيل الله عوجا أي تصفونها للناس بأنها سبيل معوجة
غير مستقيمة لتصدوهم عن سلوكها والدخول فيها أو يكون المعنى وتطلبون لها
ما هو محال لأن طريق الحق لا يعوج واذكروا إذ كنتم قليلا فكثركم أي واذكروا
على جهة الشكر وقت كونكم قليلا عددكم فكثركم الله ووفر عددكم وقيل إن مدين بن إبراهيم
تزوج بنت لوط فولدت فرمى الله في نسلها بالبركة والنماء فكثروا وانتشروا وقيل إن كنتم

الجزء التاسع

معلى وقرا فكثركم فجعلكم مكثرين موسرين او كنتم اقلة اذلة فاعزكم بكثرة العدد والعدد
وانظروا كيف كان عاقبة المفسدين اي اخر امر من افسد قبلكم من الامم كقوم نوح وهود وصالح
ولوط وكانوا قريبي العهد بما اصاب المؤتفكة وان كان طائفة منكم آمنوا بالذي ارسلت
به وطائفة لم يؤمنوا الطائفة الجماعة اي وان امن بعضكم بما ارسلت به وكفر بعض
فاصبروا اي تربصوا وانتظروا حتى يحكم الله بيننا اي بين الفريقين بان ينصر المحقين على
المبطلين ويظهرهم عليهم وهذا وعيد للكافرين بانتقام الله منهم او موعظة للمؤمنين وحث على
الصبر واحتمال ما كان يلحقهم من اذى المشركين الى ان يحكم الله بينهم وينتقم لهم منهم وهو خير
الحاكمين لان حكمه حق وعدل لا يخاف فيه الحيف والجور قال الملأ الذين
استكبروا من قومه الملأ الرؤساء من قومه الذين استكبروا عن الايمان
لنخرجنك يا شعيب والذين آمنوا معك من قريتنا او لتعودن في ملتنا لنخرجنك جواب قسم محذوف
اي والله لنخرجنك يعني ليكونن احد الامرين اما اخراجكم واما عودكم في الكفر وقوله في ملتنا
اي ديننا وخاطبوا شعيبا بالعود في الكفر بقولهم او لتعودن في ملتنا وادخلوه بقوله ان
عدنا في ملتكم والكفر والكبائر لا تجوز على الانبياء لانهم لما قالوا لنخرجنك يا شعيب والذين
آمنوا معك فعطفوا على ضميره الذين دخلوا في الايمان منهم بعد كفرهم قالوا او لتعودن فغلبوا
الجماعة على الواحد فجعلوهم عائدين معا اجرا للكلام على التغليب وعلى ذلك اجرى شعيب عليه السلام
جوابه فقال ان عدنا في ملتكم بعد اذ نجانا الله منها وهو يريد عود قومه وخرجهم الا انه
ادخل نفسه في جملتهم وان كان بريا من ذلك اجرا للكلام على حكم التغليب قال اولو كنا
كارهين هذا انكار عليهم ومعناه اتعيدوننا في ملتكم في حال كراهتنا ومع كوننا كارهين
قد افترينا على الله كذبا ان عدنا في ملتكم بعد اذ نجانا الله منها هذا جواب شعيب
اي قد ارتكبنا على الله الكذب ان رجعنا في ملتكم اي في دينكم لان الكافر كاذب على الله في وصفه
سبحانه بما هو عنه منزه فلذلك قال قد افترينا على الله كذبا ان عدنا في ملتكم بعد اذ نجانا
الله منها بما منحنا من الهدى والتوفيق وما يكون لنا ان نعود فيها اي وما يصح منا
ولا يستقيم ان نعود في ملتكم الا ان يشاء الله ربنا الله تعالى فقال ان يشاء ردة المؤمنين
وعودهم في الكفر لكن معناه الا ان يشاء الله خذلاننا ومنعنا التوفيق لعلمه انه لا ينفع فينا
ولا يؤثر لان التوفيق والهدى لمن لا ينفعه عبث وهو قبيح لا يفعله الحكيم والدليل عليه قوله
وسع ربنا كل شيء علما اي وسع علمه كل شيء فهو عالم بكل شيء مما كان وما يكون وهو يعلم احوال
عباده كيف يتحولون وقلوبهم كيف تتقلب وكيف تقسو بعد الرقة وتمرض بعد الصحة وترجع الى
الكفر بعد الايمان على الله توكلنا اي اسندنا الى الله امورنا في ان يثبتنا على الايمان ويوفقنا

سؤال [illegible]

لا ارشاد الا اتفاق ربنا افتح بيننا اي احكم بيننا والفتاحة الحكومة او اظهر امرنا حتى ينفتح
ما بيننا وبين قومنا بالحق ويتكشف بان تنزل عليهم عذابا يتبين معه انهم على الباطل ونحن على الحق
وانت خير الفاتحين اي الحاكمين وقال الملأ الذين كفروا من قومه اي قال الاشراف
قوم شعيب لمن دونهم يثبطونهم عن الايمان لئن اتبعتم شعيبا اي والله لئن اتبعتم شعيبا في دينه
انكم اذا لخاسرون لاستبدالكم الضلالة بالهدى وقيل تخسرون باتباعه فوائد البخس والتطفيف
لانه ينهاكم عنها فاخذتهم الرجفة اي صيحة جبريل فاصبحوا في دارهم اي في بلادهم
او في مساكنهم جاثمين اي خامدين موتى لا يتحركون الذين كذبوا شعيبا كان لم يغنوا فيها
هذا رد لمقالة الملأ لاشياعهم واستهزاء بعقلهم لقومهم كانه قيل الذين كذبوا شعيبا هم
المخصوصون بان اهلكوا واستؤصلوا كان لم يغنوا فيها اي كان لم يقيموا في دارهم ولم يوجدوا
فيها الذين كذبوا شعيبا كانوا هم الخاسرين اي هم المخصوصون بالخسران العظيم دون
اتباعه فانهم الرابحون وفي تكرير الذين كذبوا شعيبا مبالغة في رد مقالة الملأ لاشياعهم
وتسفيه لرأيهم واستعظام لما جرى عليهم فتولى عنهم وقال يا قوم لقد ابلغتكم
رسالات ربي اي فاعرض عنهم وقال متحسرا عليهم يا قوم لقد ابلغتكم مخبرا ما اوحي الي من الحكم
من الاوامر والنواهي ونصحت لكم اي اخلصت النصيحة لكم اشتد حزنه على قومه ثم
انكر على نفسه فقال فكيف آسى على قوم كافرين الاسى شدة الحزن والمعنى فكيف يشتد
حزني على قوم ليسوا باهل للحزن عليهم وأسيت عليهم وما نزل بهم ويجوز ان يريد لقد اعذرت
اليكم في الابلاغ والنصيحة والتحذير مما حل بكم فلم تسمعوا قولي ولم تصدقوا فكيف آسى عليكم
يعني انه لا يأسى عليهم لانهم ليسوا احقاء بالاسى وما ارسلنا في قرية من نبي الا اخذنا اهلها
اي اصبناهم بالبأساء اي بالبؤس والمرض والفقر والضراء اي الضر والمرض لاستكبارهم
عن اتباع نبيهم وتعززهم لعلهم يضرعون اي ليتضرعوا ويتذللوا ويحطوا اردية
الكبر والعزة ثم بدلنا مكان السيئة الحسنة اي اعطيناهم بدل ما كانوا فيه من البلاء
والمحنة الرخاء والسعة والصحة حتى عفوا اي كثروا ونموا في انفسهم واموالهم
من قولهم عفا النبات وعفا الشحم والوبر اذا كثر ومنه قوله عليه السلام واعفوا اللحى وقالوا قد مس
آباءنا الضراء والسراء يعني ابطرتهم النعمة واشروا فقالوا هذه عادة الدهر يعاقب في الناس
بين الضراء والسراء اي يختلف على الناس ويتعاقب عليهم فيهم الشدة والرخاء وقد مس آباءنا مثل ذلك
وما هو بابتلاء من الله لعباده فاخذناهم بغتة وهم لا يشعرون اي فلم يتنبهوا بعد ابتلائهم
بالسيئات والحسنات الا ان اخذناهم بالعذاب فاخذناهم اشد الاخذ وهو اخذهم بغتة
اي فجاءة من غير علم منهم بالاخذ ولا استعداد له ولو ان اهل القرى آمنوا واتقوا اراد

القرى المذكورة في قوله وما أرسلنا في قرية من نبي كأنه قال ولو أن أهل تلك القرى الذين
كذبوا فأهلكوا آمنوا بدل كفرهم واتقوا المعاصي مكان ارتكابها لفتحنا عليهم بركات
من السماء والأرض أي لآتيناهم بالخير من كل وجه وقيل أراد المطر والنبات ولكن كذبوا فأخذناهم
بما كانوا يكسبون أي بسوء كسبهم وهو كفرهم وتكذيبهم ويجوز أن يراد بأهل القرى الجنس العموم
ومعنى فتح البركات عليهم تيسيرها عليهم كما تيسر أمر الأبواب المستغلقة بفتحها ومنه قولهم
فتح على القاري إذا تعذرت عليه القراءة فيسرتها عليه بالتلقين أفأمن أهل القرى
هذا إنكار لأمنهم أن يأتيهم بأسنا أي عذابنا وإهلاكنا لهم [illegible] بياتا
البيات بمعنى التبييت ويكون بمعنى البيتوتة يقال بات بيتة العدو بياتاً كأنه قيل أن يأتيهم
بأسنا وقت بيات أي بائتين ليلاً وهم نائمون أي نائمون في وقت الغفلة والدعة
والراحة لأن نزول العذاب فيه أشد وأفظع أوأمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا ضحى أي
في وقت الضحى وهو في الأصل اسم لضوء الشمس إذا ارتفعت وأشرقت وهم يلعبون أي
يأتيهم على غفلة وهم مشتغلون بما لا يفيدهم كأنهم يلعبون لأن اللعب لا يفيد لأن من اشتغل
بدنياه وأعرض عن آخرته فهو كاللاعب أفأمنوا مكر الله فلا يأمن مكر الله هذا
تكرير لقوله أفأمن أهل القرى ومكر الله استعارة لأخذه العبد من حيث لا يشعر ولاستدراجه
من حيث لا يعلم فعلى العاقل أن يكون في خوفه من مكر الله كالمحارب الذي يخاف من عدوه الكمين
والبيات والغيلة وعن الربيع بن خثيم أن ابنته قالت له ما لي أرى الناس ينامون ولا
أراك تنام قال يا بنتاه إن أباك يخاف البيات أراد قوله أن يأتيهم بأسنا بياتا وهم
نائمون ثم أخبر أنه لا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون كل الخسران لتعرض
أنفسهم لعذاب الله وحرمانها ما أعد للخاشعين في الدارين أو لم يهد للذين يرثون الأرض
من بعد أهلها أي أو لم يبين للذين يخلفون من مضى قبلهم في ديارهم ويرثونهم أرضهم
أن لو نشاء أصبناهم بذنوبهم أي بعقوبة ذنوبهم كما أصبنا من قبلهم ونطبع على قلوبهم أي ونحن
نطبع على قلوبهم وليس المعنى ولو نشاء لطبعنا على قلوبهم لأن القوم كانوا مطبوعاً على
قلوبهم فلا تعلق له بالمشية ومعنى الطبع على قلوبهم الختم عليها مثلت قلوبهم بحال
قلوب قد طبع الله عليها فلا تعقل ولا تسمع بما تسمع كأنها مختوم عليها ولذلك فهم لا يسمعون
سماع منتفع معتبر فشأنهم كالأصم تلك القرى نقص عليك من أنبائها أي نخبرك
بعض أخبارها ولها أنباء غير هذه لم نقصها عليك ولقد جاءتهم رسلهم بالبينات
بالمعجزات الموجبة للإيمان بهم فما كانوا ليؤمنوا عند مجيء الرسل بالبينات بما كذبوا
من آيات الله من قبل مجيء الرسل أي فما كانوا ليؤمنوا إلى آخر أعمارهم بما كذبوا به أولاً

حين جاءتهم الرسل أي استمروا على التكذيب من لدن مجيء الرسل إليهم إلى أن ماتوا مصرين
لا يرعوون من كفرهم وعنادهم مع تكرر المواعظ عليهم وتتابع الآيات كذلك أي مثل ذلك الطبع
الشديد وهو الإصرار على الكفر والامتناع من الإيمان يطبع الله على قلوب الكافرين أي
نحكم عليها بأنها في عدم الاتعاظ كالمطبوع عليها فلا تسمع موعظة أبداً وما وجدنا لأكثرهم
من عهد أي وما وجدنا لأكثر الناس على الإطلاق من عهد يعني أن أكثرهم نقض عهد الله
وميثاقه في الإيمان والتقوى والمراد من العهد ما نصب لهم من الأدلة على توحيده ووجوب
طاعته وما وصاهم به الأنبياء الذين بعثهم الله إليهم فكأنه أمر وعهد عليهم وعاهدهم عليه
وإن وجدنا أكثرهم لفاسقين أي خارجين عن الطاعة ويجوز أن يراد وما وجدنا لأكثر
الأمم المذكورين من عهد وأنهم كانوا إذا عاهدوا الله في ضر ومخافة ثم نجاهم نكثوا العهد
والوجود بمعنى العلم ومعنى وجدنا هنا علمنا ثم بعثنا من بعدهم موسى بآياتنا أي ثم أرسلنا من بعد
الرسل أو من بعد الأمم بآياتنا أي بالمعجزات الدالة على أنا أرسلناه إلى فرعون وملائه أي
أشراف قومه والباقون أتباع لهم وأراد بالملأ جميع قومه فظلموا بها أي فكفروا بها
ولم يصدقوها مع ظهورها أجرى الظلم مجرى الكفر لأنهما من واد واحد وظلموا الناس بسببها
حين أوعدوهم وصدوهم عنها وآذوا من آمن بها فانظر بالخاطر نظر اعتبار وتفكر
كيف كان عاقبة هؤلاء المفسدين أي إغراقهم وإعدامهم وقال موسى يا فرعون
يقال لملوك مصر الفراعنة كما يقال لملوك فارس الأكاسرة وقوله يا فرعون بمعنى يا ملك
مصر وكان اسمه قابوس وقيل الوليد بن مصعب بن الريان إني رسول من رب العالمين
أي مرسل إليك من مالك الملوك كلهم حقيق على أن لا أقول على الله إلا الحق فيه أربع قراءات
قراءة نافع ومعناها حقيق علي أي يجب علي أن لا أقول على الله إلا الحق ومعناها المبالغة بالغ
موسى عليه السلام في وصف نفسه بالصدق في ذلك المقام لا سيما وقد روي أن عدو الله فرعون قال
له لما قال إني رسول من رب العالمين كذبت فقال أنا حقيق على قول الحق أي واجب على قول
الحق أن أكون أنا قائله والقائم به ولا يرضى إلا بمثلي ناطقاً به وهذا كقول العرب [illegible]
بقرارة العلم وفلان [illegible] العلم بالطرق [illegible] هو العالم بها قد جئتكم ببينة من ربكم
أي معجزة بينة تشهد لي بصدقي وتشهد به فأرسل معي بني إسرائيل أي خلهم حتى يذهبوا معي إلى
الأرض المقدسة التي هي وطنهم ومولد آبائهم وذلك أن يوسف عليه السلام لما توفي وانقرضت
الأسباط غلب فرعون على نسلهم واستعبدهم فأنقذهم الله بموسى عليه السلام وكان بين اليوم
الذي دخل يوسف فيه مصر واليوم الذي دخله موسى أربعمائة سنة قال فرعون إن كنت
جئت بآية فأت بها معناه إن كنت جئت من عند من أرسلك بآية فأتني بها وأحضرها عندي
لتصح دعواك ويثبت صدقك إن كنت من الصادقين فألقى عصاه أي طرحها

وكانت من العوسجة التي نودي بها موسى وقيل هي عصا هبط بها آدم من الجنة فإذا هي
ثعبان مبين اي ظاهر امره لا شك في انه ثعبان وروي انه ثعبان ذكر اشعر فاغرا فاه
بين لحييه ثمانون ذراعا وضع لحيه الاسفل في الارض ولحيه الاعلى على سور القصر ثم توجه
نحو فرعون ليأخذه فوثب فرعون من سريره وهرب واحدث ولم يكن احدث قبل ذلك اليوم
وهرب الناس وصاحوا وحمل على الناس فانهزموا فمات منهم خمسة وعشرون الفا قتل بعضهم
بعضا ودخل فرعون البيت وصاح يا موسى خذه وانا اومن بك وارسل معك بني اسرائيل فاخذه
موسى فعاد عصا ونزع يده من جيبه فإذا هي بيضاء للناظرين اي بيضاء لمن نظر اليها ولا
تكون بيضاء للنظارة الا اذا كان بياضها بياضا عجيبا خارجا عن العادة يجتمع الناس للنظر
اليه كما يجتمع النظارة للعجائب وذلك ما يروى انه عليه السلام اراد فرعون يده فقال ما هذه فقال يدك
ثم ادخلها جيبه وعليه مدرعة صوف ونزعها فاذا هي بيضاء بياضا نورانيا غلب شعاعها
شعاع الشمس وكان موسى عليه السلام آدم شديد الادمة اي في لونه سمرة قال الملأ من قوم
فرعون اي اشراف قومه إن هذا لساحر عليم اي عالم بالسحر ماهر فيه قد اخذ عيون الناس
بخدعة من خدعه حتى خيل اليهم العصا حية والآدم ابيض

قال رضي الله عنه

وقد نسب هذا القول في الشعراء الى فرعون وهنا نسبه الى الملأ من قومه لانه قد قاله هو ثم
قالوه هم فحكي قوله هنالك وقولهم هاهنا ويحتمل انه قاله ابتداء ثم قالوه للناس على طريق
التبليغ كما يفعل الملوك يرى الواحد منهم الرأي فيكلم به من يليه من الخاصة ثم يبلغه الخاصة
العامة يريد أن يخرجكم من أرضكم اي من ارض مصر فماذا تأمرون اي فما الذي
تشيرون به وكانت هذه مؤامرة اي مشاورة مع القبط قوم فرعون يقال آمرته فآمرني بكذا
اذا شاورته فأشار عليك برأي وقيل فماذا تأمرون من كلام فرعون قاله للملأ لما قالوا
له ان هذا لساحر عليم يريد ان يخرجكم قالوا أرجه وأخاه اي اخرهما عنك حتى ترى
رأيك فيهما وتدبر امرهما وقيل احبسهما والمراد موسى وهرون وأرسل في المدائن حاشرين
اي جامعين لسحرة المدائن يأتوك بكل ساحر عليم بالسحر العظيم اي بكل ساحر مثله في
العلم والمهارة او بخير منه والمد وخوانهم هذا لفرعون دليل على انهم قالوه عنه للناس
على طريق التبليغ كما يفعل الملوك وجاء السحرة فرعون قالوا إن لنا لأجرا إن كنا نحن
الغالبين لم يقل وجاء السحرة فرعون فقالوا لانه على تقدير سائل سأل ما قالوا اذ جاءوه
ولم يفعلوه قالوا ان لنا لاجرا اي جعلا على غلبة موسى في السحر وقالوا ان لنا على الاخبار
بوجوب الجعل كانهم قالوا لا بد لنا من اجر عظيم والتنكير للتعظيم وقرئ ائن لنا على الاستفهام
لفرعون قال نعم وإنكم لمن المقربين في الكلام حذف دل عليه ما قبله تقديره نعم ان
لكم لاجرا وانكم لمن المقربين اراد اني لا اقتصر بكم على الجعل وحده وان لكم مع الجعل ما يقل

معه الجعل وهو التقريب والتعظيم لان المثاب انما يتهنأ بما يصل اليه ويغتبط به اذا نال
معه الكرامة والرفعة وروي انه قال لهم تكونون اول من يدخل وآخر من يخرج اي جلساء لي ومن
ملازمي الوزراء وروي انه دعا رؤساء السحرة ومعلميهم فقال لهم ما صنعتم قالوا قد عملنا سحرا
لا يطيقه سحرة اهل الارض الا ان يكون امرا من السماء فانه لا طاقة لنا به وروي انهم كانوا
ثمانين الفا وقيل سبعين الفا وقيل بضعة وثلاثين الفا وقيل كان يعلمهم مجوسيان من اهل
نينوى وقال فرعون لا يغالب موسى الا بما هو منه يعني السحر قالوا يا موسى إما أن تلقي وإما
أن نكون نحن الملقين اي تلقي عصاك او نلقي حبالنا وعصينا وتخييرهم هذا موسى ادب حسن
كما يفعل اهل الصناعات واهل المناظرة اذا التقوا للمغالبة وقولهم واما ان نكون نحن فيه
ما يدل على رغبتهم في ان يلقوا قبله لما فيه من التأكيد وقد اجابهم موسى الى ما رغبوا فيه
احتقارا لشأنهم وقلة مبالاة بهم وثقة بما عنده من التأييد السماوي وان المعجزة لا يغلبها
سحر ابدا قال ألقوا فلما ألقوا سحروا أعين الناس اي اروها بالحيل والشعوذة وخيلوا اليها
ما الحقيقة بخلافه كقوله يخيل اليه من سحرهم انها تسعى روي انهم القوا حبالا غلاظا وخشبا
طوالا فاذا هي امثال الحيات قد ملأت الارض وركب بعضها فوق بعض واسترهبوهم اي
وارهبوهم ارهابا شديدا كأنهم استدعوا رهبتهم وجاءوا بسحر عظيم في باب السحر

روي انهم

روي انهم لونوا حبالهم وخشبهم وجعلوا فيها ما يوهم الحركة قيل
جعلوا فيها الزيبق وأوحينا إلى موسى أن ألق عصاك اي اطرحها فإذا هي تلقف ما
يأفكون اي الذي يقلبونه من الحق الى الباطل ويزورونه روي انها لقفت ملء الوادي
من الخشب والحبال ورفعها موسى فرجعت عصا كما كانت واعدم الله بقدرته تلك الاجرام العظيمة
او فرقها اجزاء لطيفة فقالت السحرة لو كان هذا سحرا لبقيت حبالنا وعصينا فوقع الحق اي
فحصل وثبت والمعنى ظهر امر موسى صلى الله عليه وسلم وصحة نبوته وبطل ما كانوا يعملون
من السحر والتمويه عن الحق فغلبوا هنالك اي فغلبت السحرة في ذلك المقام وانقلبوا صاغرين
اي اذلاء مبهوتين مغلوبين وفيه معنى لطيف وهو انهم صاروا بعكس ما قدروا في انفسهم
ان كانوا هم الغالبين ثم قدروا ما قدروا والقوا ما القوا ان في ذلك العقل لذكرى لمن كان له
وألقي السحرة ساجدين اي وخروا سجدا كأنما القاهم ملق لشدة خرورهم وقيل لم يتمالكوا
مما رأوا فكأنهم القوا

عن قتادة

كانوا اول النهار كفارا سحرة وفي آخره
شهداء بررة وعن الحسن تراه الرجل من اهل الزمان ولد في الاسلام ونشأ بين المسلمين يبيع
دينه بكذا وكذا وهؤلاء كفار نشؤوا في الكفر بذلوا انفسهم لله عز وجل قالوا آمنا برب
العالمين اي صدقنا برب الخلق كلهم رب موسى وهارون هذا ايضاح

سحرهم ويحققوا لمن آمنوا به لئلا يتوهم انه فرعون وخصوصهما بالذكر لانهما رسولاه والمبينان
به والداعيان اليه وقيل خصوصهما لعظمهما وشرفا لهما قال فرعون آمنتم له قبل ان
آذن لكم اي فعلتم هذا الفعل الشنيع توبيخا لهم وتقريعا على الايمان ويقرأ آمنتم
على الاستفهام ومعناه الانكار عليهم والاستبعاد لايمانهم ان هذا لمكر مكرتموه في المدينة
اي ان صنعكم هذا لحيلة احتلتموها انتم وموسى في مصر قبل ان تخرجوا الى هذه الصحرا
وهو المكان الذي غلبوا فيه لتخرجوا منها اهلها اي احتلتم بالمواطاة على ذلك لغرض لكم
وهو ان تخرجوا منها القبط وتسكنوها بني اسرايل وكان هذا الكلام من فرعون تمويها على الناس
لئلا يتبعوا السحرة في الايمان وروي ان موسى قال للساحر الاكبر اتؤمن بي ان غلبتك قال
لآتين بسحر لا يغلبه سحر وان غلبتني لاومنن بك وفرعون يسمع فلذلك قال ما قال فسوف تعلمون
تهديد ووعيد لهم اجمله ثم فصله بقوله لاقطعن ايديكم وارجلكم من خلاف اي من كل شق
طرفا يعني اليد اليمنى والرجل اليسرى لان اليمين خلاف الشمال ثم لاصلبنكم اجمعين
الصلب تعليق الانسان على خشبة وتنكيله وقيل انه اول من قطع وصلب فرعون قالوا
انا الى ربنا منقلبون معناه انا لا نبالي بالموت لانقلابنا الى ربنا ورحمته وخلاصنا منك ومن
لقائك ونقلبنا الى الله يوم الجزاء فيثيبنا على شدائد القطع والصلب وانا جميعا يعني
انفسهم وفرعون ننقلب الى الله فيحكم بيننا او انا لا محالة ميتون منقلبون الى الله فما
نقدر ان تفعل الا ما لا بد لنا منه وما تنقم منا الا ان آمنا اي وما تعيب منا الا الايمان
بآيات ربنا وهي المعجزات لما جاءتنا اي حين جاءتنا ارادوا وما تعيب منا الا ما هو اصل
المناقب والمفاخر كلها وهو الايمان بالمعجزات وما دلت عليه من صدق الرسالة وحق الايمان
بها ربنا افرغ علينا صبرا اصل الافراغ الصب والمعنى هب لنا صبرا واسعا واكبه
علينا حتى يفيض علينا ويغمرنا كما يفرغ الما افراغا او صب علينا ما يطهرنا من درن الاثام
وهي الصبر على ما توعدنا به فرعون وتوفنا مسلمين اي وامتنا مخلصين لك ثابتين على الاسلام
وقال الملأ من قوم فرعون الرؤسا منهم اتذر موسى اي تتركه وقومه بني اسرايل
ليفسدوا في الارض اي ارض مصر بدعائهم الى مخالفتك ويذرك والهتك اي
يدعك قال الحسن كان يعبد الاصنام ويقرأ ويذرك والاهتك اي عبادتك وهي قراءة ابن عباس
روي انهم قالوا له ذلك لانه راوا السحرة على الايمان ستمائة الف نفس فارادوا بالفساد
في الارض ذلك وخافوا ان يغلبوا على الملك قال فرعون مجيبا لهم سنقتل ابناءهم ونستحيي
نساءهم يعني سنعيد عليهم ما كنا محناهم به من قتل الابنا وترك النسا للخدمة ليعلموا
انا على ما كنا عليه من الغلبة والقهر قيل انه قتل ابناهم مرتين قبل ولادة

موسى

موسى حتى جاء موسى بالرسالة وتقرر غلبة موسى للسحرة وانا فوقهم قاهرون غالبون لهم
بالملك قال موسى لقومه لما سمعهم الوعيد من فرعون وملائه استعينوا بالله اطلبوا
المعونة منه تعالى واصبروا على ما نالكم في الدين من اذاهم قال لهم ذلك حين قال فرعون سنقتل
ابناءهم تجزعوا منه وتضجروا فسكنهم وسلاهم ووعدهم النصرة عليهم وذكرهم ما وعد الله بني اسرا
من اهلاك القبط وتوريثهم ارضهم وديارهم ان الارض لله خلقا وملكا ويجوز ان يريد ارض
مصر خاصة وان يريد الارض كلها فيتناول ارض مصر هنا ولا اوليا يورثها من يشاء من عباده
اي يملكها من يشاء ممن يستحق التمليك وفيه اطماع لهم في ارض فرعون والعاقبة للمتقين اي
الجنة لمن اتقى المعاصي وفيه اشارة بان الخاتمة المحمودة للمتقين منهم ومن القبط وان المشيئة
متناولة لهم قالوا اوذينا من قبل ان تأتينا بالرسالة ومن بعد ما جئتنا يعنون ما
نالهم من قتل ابنائهم قبل مولد موسى الى ان استنبا واعادة القتل عليهم بعد ذلك وكذلك ما
كانوا يتعبدون به ويمتهنون فيه من اخذ المال والاستخدام والمهن ويسومونه من العذاب
قال عسى ربكم قال ابو علي هو تقبل ان يهلك عدوكم ويستخلفكم في الارض هذا تصريح
بما اشار اليه من البشارة قبل وكشف عنه اذ هو هلاك فرعون واستخلافهم بعده في الارض
فينظر كيف تعملون معناه فيرى الكاين منكم من العمل حسنه وقبيحه وشكر النعمة وكفرانها
ليجازيكم على حسب ما يوجد منكم من الشكر والطاعة وعن عمرو بن عبيد رضي الله عنه انه دخل على ابي
جعفر الدوانيقي قبل الخلافة وعلى مائدته رغيف او رغيفان فطلب زيادة لعمرو فلم يوجد فقرأ
عمرو هذه الاية ثم دخل عليه بعد ما استخلف فذكر له ذلك وقال قد بقي فينظر كيف تعملون ولقد
اخذنا آل فرعون اتباعه بالسنين بالجدب والقحط عاما بعد عام ونقص من الثمرات
بقلة البركة وعن كعب يأتي على الناس زمان لا تحمل النخلة الا ثمرة لكثرة
ذنوبهم وعن ابن عباس اما السنون فكانت لباديتهم واهل مواشيهم واما نقص الثمرات فكان
في امصارهم وابتلاهم الله بهلاك الانفس والمواشي ونقص الاموال لعلهم يذكرون
اي يتفكروا فيتنبهوا على ان ذلك لاصرارهم على الكفر وتكذيبهم لآيات الله ولان الناس في
حال الشدة اضرع خدودا واليق اعطافا وارق افئدة وقيل عاش فرعون اربعمائة سنة
ولم ير مكروها في ثلثمائة وعشرين ولو اصابه في تلك المدة وجع او جوع او حمى لما ادعى الر
فاذا جاءتهم الحسنة من الخصب والرخا قالوا لنا هذه اي هذه مختصة بنا ونحن
مستحقوها ولم نزل في النعمة والرفاهية وان تصبهم سيئة من ضيق او جدب يطيروا
بموسى ومن معه يتشاءموا بهم ويقولوا هذه بشومهم ولولاهم لما اصابنا كما قالت قريش لرسول الله
صلى الله عليه وآله هذه من عندك الا انما طائرهم عند الله اي سبب خيرهم وشرهم عند الله

وهو حكمته ومشيئته وهو الله الذي يسا ما يصيبهم من الحسنة والسيئة وليس بشوم احد ولا بيمنه
سببه او معناه الا انما سبب شومهم عند الله وهو عملهم المكتوب عنده فانه الذي يجري ما يسوءهم
لاجله **ولكن اكثرهم لا يعلمون** اي طائرهم عند الله عقوبة لهم **وقالوا مهما تأتنا به من**
آية المعنى اي شيء اتيتنا به مما تزعم انه دليل لصدقك وهي اشارة الى اليد والعصا والسنين
ونقص الثمرات **لتسحرنا بها** اي يوهم بها انك صادق وسموها آية اعتبارا بتسمية موسى لا لاعتقادهم
انها آية بل قصدوا انها لا سحر والتمويه ولذلك قالوا لتسحرنا بها **فما نحن لك بمؤمنين**
اي بمصدقين لانا قصدنا طعنه في ايمانهم **فارسلنا عليهم الطوفان** ما طاف بهم وغلبهم من
مطر او سيل فقيل طغى الماء فوق حروثهم وذلك انهم مطروا ثمانية ايام في ظلمة شديدة لا يرون شمسا
ولا قمرا ولا يقدر احد ان يخرج من داره وقيل ارسل الله عليهم السماء حتى امتلأ زروعهم ودورهم
بيوتهم ودخل دورهم وبيوت بني اسرائيل وبيوت القبط مشتبكة فامتلأت بيوت القبط حتى قاموا
في الماء الى تراقيهم من جلس غرق ولم يدخل بيوت بني اسرائيل قطرة ماء وفاض الماء على وجه ارضهم
وركد فيها فمنعهم من الحرث والبناء والتصرف ودام عليهم سبعة ايام **وقيل الطوفان**
الجدري وهو اول عذاب وقع فيهم فبقي في الارض وقيل الطاعون فقالوا لموسى ادع لنا ربك
يكشف عنا ونحن نؤمن بك فدعا فرفع عنهم فما آمنوا فنبت لهم تلك السنة من الكلأ والزرع ما
لم يعهد بمثله فاقاموا شهرا فبعث الله عليهم **الجراد** فاكلت جميع زروعهم وثمارهم ثم اكلت كل شيء
حتى الابواب الخشب وسقوف البيوت والثياب ولم يدخل بيوت بني اسرائيل منها شيء ففزعوا الى موسى
ووعدوه التوبة فكشف عنهم بعد سبعة ايام خرج موسى عليه السلام الى الفضاء فاشار بعصاه
نحو المشرق والمغرب فرجع الجراد الى النواحي التي جاءت منها فقالوا ما نحن بتاركي ديننا فاقاموا
شهرا فسلط الله عليهم **القمل** وهو كبار القردان وقيل الدبا وهو اولاد الجراد قبل نبات اجنحتها
وقيل البراغيث وقيل السوس وهو الذي اكل ما ابقاه الجراد ولحس الارض وكان يدخل
بين ثوب احدهم وبين جلده فيمصه وكان يأكل احدهم طعاما فيمتلئ قملا وكان يخرج احدهم عشرة
اجربة طعاما الى الرحا ليطحنها فلا يرد منها الا يسيرا وقيل كان الى جنبهم كثيب اعفر فضربه
موسى عليه السلام بعصاه فصار قملا فاخذت شعرها اي ابشارهم واشعارهم واشفار عيونهم وحواجبهم
ولزم جلودهم كانه الجدري فصاحوا وضجوا ودعوا موسى فرفع عنهم فقالوا قد تحققنا الآن
انك ساحر وعزة فرعون لا نصدقك ابدا فارسل الله عليهم بعد شهر **الضفادع** فدخلت بيوتهم
وامتلأت منها آنيتهم واطعمتهم فلا يكشف احد شيئا من ثوب ولا طعام ولا شراب الا وجد فيه
الضفادع وكان الرجل اذا اراد ان يتكلم وثبت الضفدع الى فيه وكان يمتلئ منها مضاجعهم
فلا يقدرون على الرقاد وكانت تقذف بانفسها في القدور وهي تغلي وفي التنانير وهي تفور فشكوا الى

سؤال فارسلنا عليهم الجراد والقمل والضفادع
والدم مع ما الغاية في نكس هذه المعجزات
مع وجود اصرارهم على عدم الايمان **الجواب**
كثرة المعجزات تفيد فوق اليقين والله
تعالى اعلم بما يريد (?)

موسى وقالوا ارحمنا هذه المرة فما بقي الا ان نتوب التوبة النصوح ولا نعود فاخذ عليهم
العهود ودعا فكشف الله عنهم ثم نقضوا العهد فارسل الله عليهم **الدم** فصارت مياههم
دما فشكوا الى فرعون فقال انه سحركم فكان يجمع بين القبطي والاسرائيلي على اناء واحد فيكون
ما يلي الاسرائيلي ماء وما يلي القبطي دما ويستقيان من اناء واحد فيخرج للقبطي الدم وللاسرائيلي
الماء حتى ان المرأة القبطية تقول لجارتها الاسرائيلية اجعلي الماء في فيك ثم مجيه في فمي فيصير
الماء فيها دما وعطش فرعون لعنه الله حتى اشفى على الهلاك فكان يمص الاشجار الرطبة فاذا
مضغها صار ماؤها الطيب ملحا اجاجا عن سعيد بن المسيب سال عليهم النيل دما وقيل سلط الله
عليهم الرعاف **وروى** ان موسى عليه السلام مكث فيهم بعدما غلب السحرة عشرين سنة يريهم هذه
الآيات وروى انه لما اراهم اليد والعصا ونقص النفوس والثمرات قال يا رب ان عبدك هذا
قد علا في الارض فخذه بعقوبة تجعلها له ولقومه نقمة ولقومي عظة ولمن بعدي آية فحينئذ
بعث الله عليهم الطوفان ثم الجراد ثم ما بعده من النقم **آيات مفصلات** مبينات ظاهرات
لا يشكل على عاقل انها من آيات الله التي لا يقدر عليها غيره وانها عبرة لهم ونقمة على كفرهم
وفصل بين بعضها وبعض بزمان يمتحن فيه احوالهم وينظر هل يستقيمون على ما وعدوا من
انفسهم ام ينكثون الزاما للحجة عليهم **فاستكبروا** اي تكبروا عن الايمان انفة وعتوا
وكانوا قوما مجرمين عاصين كافرين لا يصدقون في توبة واخرة **ولما وقع عليهم الرجز**
قيل الطاعون مات منهم سبعون الفا وهو العذاب السادس **قالوا يا موسى ادع لنا ربك**
بما عهد عندك اي بعهده عندك وهو النبوة والمعنى ادع الله لنا متوسلا اليه بعهده
عندك او وحيا الى ما تطلب من الوعد لنا بحق ما عندك من عهد الله وكرامته بالنبوة وتحمل
الله عنهم بهم اي بعهده بما عهد عندك **لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن** وهو العذاب **لنؤمنن**
لك ولنرسلن معك بني اسرائيل اي ولنخلينهم ونطلقهم من الاستخدام او ليعودوا الى ارضهم
الارض المقدسة **فلما كشفنا عنهم الرجز الى اجل هم بالغوه** قيل الغرق اي الى اجل من
الزمان هم بالغوه لا محالة يعذبون فيه لا ينفعهم ما تقدم لهم من الامهال وكشف العذاب الى
حلوله **اذا هم ينكثون** ينقضون العهد والمعنى فلما كشفنا عنهم العذاب بادروا
النكث في الحال ولم يؤخروه ولكن لما كشف الله عنهم نكثوا **فانتقمنا منهم** اي اسضرنا
سلب نعمهم وانزال العذاب عليهم **فأغرقناهم في اليم** اي اهلكناهم بالغرق في البحر واليم
البحر الذي لا يدرك قعره وقيل هو لجة البحر ومعظم مائه **بانهم كذبوا بآياتنا** اي كان
اغراقهم بسبب تكذيبهم بالآيات وغفلتهم عنها وقلة فكرهم فيها وانما خص الله عذاب الاستئصال
بالمكذب دون غيره **وكانوا عنها غافلين** اي كالغافلين لان الوعيد على الاعراض **واورثنا**

القوم الذين كانوا يستضعفون هم بنو اسرائيل كان يستضعفهم فرعون وقومه مشارق الارض ومغاربها الارض هي ارض مصر والشام ملكها بنو اسرائيل بعد الفراعنة والعمالقة وتمكنوا في اطرافها ونواحيها الشرقية والغربية التي باركنا فيها بالخصب وسعة الارزاق وضروب المنافع وتمت كلمة ربك الحسنى على بني اسرائيل هي قوله تعالى ونريد ان نمن على الذين استضعفوا في الارض ونجعلهم ائمة ونجعلهم الوارثين ونمكن لهم في الارض ونري فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون ومعنى تمت على بني اسرائيل مضت عليهم واستمرت من قولك تم على الامر اذا مضى عليه بما صبروا اي بسبب صبرهم على دينهم وملاقاة الشدائد وحسبك به حاثا على الصبر ومرغبا فيه ودالا على ان من قابل البلاء بالجزع وكله الله اليه ومن قابله بالصبر وانتظار النصر ضمن له الفرج ودمرنا ما كان يصنع فرعون وقومه اي اهلكنا ما كانوا يعملون من العمارات وبناء القصور في معاندة بني اسرائيل من الالات والرسوم وما كانوا يعرشون اي يعرشون من الاشجار ويرفعون من الابنية المشيدة في السماء كصرح هامان وغيره

وهذا اخر ما اقتص الله من حديث فرعون

القبط وتكذيبهم بآيات الله وظلمهم ومعاصيهم ثم اتبعه اقتصاص حديث بني اسرائيل وما احدثوه بعد انقاذهم من ملكة فرعون واستعباده لهم ومعاينتهم الآيات العظام ومجاوزتهم البحر من عبادة البقر وطلب رؤية الله جهرة وغير ذلك من انواع الكفر والمعاصي ليعلم حال الانسان وانه كما وصفه الله ظلوم كفار جهول كنود الا من عصمه الله وقليل من عبادي الشكور وليسلي رسول الله صلى الله عليه وآله مما رأى من بني اسرائيل بالمدينة وجاوزنا ببني اسرائيل البحر اي امضيناهم فيه روي ان موسى عليه السلام عبر بهم من البحر يوم عاشوراء بعد ما اهلك الله فرعون وقومه فصاموه شكرا لله عز وجل فاتوا على قوم اي مروا عليهم يعكفون على اصنام لهم اي يواظبون على عبادتها ويلازمونها قيل كانت تماثيل بقر وذلك اول شأن العجل قيل كانوا قوما من لخم وقيل كانوا من الكنعانيين والعمالقة الذين امر موسى بقتالهم قالوا يا موسى اجعل لنا الها مثالا نعكف عليه كما لهم آلهة اصنام يعكفون عليها ارادوا ان يكون معبودهم مشاهدا لهم

وعن علي عليه السلام

ان يهوديا قال له اختلفتم بعد نبيكم قبل ان يجف ماؤه فقال وانتم قلتم اجعل لنا الها ولم تجف اقدامكم قال موسى انكم قوم تجهلون ربكم وعظمته وصفاته اذ لو عرفتموه تعالى لما قلتم هذا وهو تعجب من قولهم على اثر ما رأوا من الآية العظمى والمعجزة الكبرى ووصفهم بالجهل المطلق واكده لانه لا جهل اعظم مما رأى منهم ولا اشنع ان هؤلاء يعني عبدة تلك التماثيل متبر ما هم فيه اي مدمر مكسر مهلك اي يتبر الله دينهم ويهدم ما هم عليه على يدي ويحطم اصنامهم هذه وباطل ما كانوا يعملون اي فعلوا شيئا من عبادتها فيما مضى الا وهو باطل مضمحل لا ينتفعون به وان كانوا في زعمهم تقربا الى الله كما قال الله تعالى وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا اي باطلا لا ينتفع به قال موسى اغير الله ابغيكم الها اي غير المستحق للعبادة اطلب لكم معبودا وهو فعل بكم ذو غيره من الاختصاص بالنعمة التي لم يعطها احدا غيركم ليختصوه بالعبادة ولا يشركوا به غيره وهذا انكار عليهم وتعجب من طلبهم عبادة غير الله مع كونهم مغمورين بنعمه وهو فضلكم على العالمين على عالمي زمانكم واذ انجيناكم من آل فرعون اي واذكروا يا بني اسرائيل وقت انجائكم من مملكة آل فرعون وعداتهم يسومونكم سوء العذاب اي يطلبون منكم اشد العذاب ويحملونكم عليه اذ لكم يقتلون ابناءكم الذكور ويقتلونهم ويستحيون نساءكم يستبقونهن للخدمة واشق الاعمال وفي ذلكم الانجاء او العذاب الذي يسومونكم بلاء من ربكم عظيم البلاء النعمة او المحنة

وواعدنا موسى ثلاثين ليلة واتممناها بعشر

عليه السلام وعد بني اسرائيل وهو بمصر ان اهلك الله عدوهم اتاهم بكتاب من عند الله فيه بيان ما يأتون وما يذرون فلما هلك فرعون سأل موسى ربه الكتاب فامره بصوم ثلاثين وهو شهر ذي القعدة فلما اتم الثلاثين انكر خلوف فيه فتسوك فقالت الملائكة كنا نشم من فيك رائحة المسك فافسدته بالسواك وقيل اوحى الله اليه اما علمت ان خلوف فم الصائم اطيب عندي من ريح المسك فامره الله ان يزيد عليها عشرة ايام من ذي الحجة لذلك وقيل امره ان يصوم ثلاثين يوما وان يعمل فيها ما يقربه من الله ثم انزلت عليه التوراة في العشر وكلم فيها ولهذا اجمل ذكر الاربعين في سورة البقرة وفصلها ها هنا فتم ميقات ربه ما وقته وضربه له اربعين ليلة اي تم بالغا هذا العدد وقال موسى لاخيه هارون يعني وتوجهه للمناجاة اخلفني في قومي اي كن خليفتي فيهم واصلح كن مصلحا او واصلح ما يجب ان يصلح من امور بني اسرائيل ولا تتبع سبيل المفسدين لا تسلك طريق العاصين وقيل لا تجبهم الى فساد والمعنى من دعاك منهم الى الافساد فلا تتبعه ولا تطعه ولما جاء موسى لميقاتنا لوقتنا الذي وقتناه وكلمه ربه من غير واسطة كما تكلم الملك وتكليمه ان يخلق الكلام منطوقا به في بعض الاجسام كما خلقه مخطوطا في اللوح لان كل كلام مكتوب فيه وروي ان موسى عليه السلام كان يسمع ذلك الكلام من كل جهة وعن ابن عباس كلمه اربعين يوما واربعين ليلة وكتب له الالواح وقيل انما كلمه الا في اول الاربعين قال رب ارني انظر اليك اي ارني نفسك انظر اليك والمعنى اجعلني متمكنا من رؤيتك بان تتجلى فانظر اليك واراك قال لن تراني نفي الرؤية لانها لا تصح الا فيما كان في جهة وما ليس بجسم ولا عرض فمحال ان يكون في جهة

قال رضي الله عنه

ومثل هذا لا يخفى على موسى عليه السلام وهو من اعلم الناس بالله وصفاته وما لا يجوز عليه وتعالى الله عن الرؤية ولذلك حين اخذت الرجفة الذين قالوا

أرنا الله جهرة أتهلكنا بما فعل السفهاء منا إن هي إلا فتنتك تضل به من تشاء كثيراً من قلة علم
ودعاهم سفهاء وضلالاً لكن أراد أن يلزمهم الحجة ويبكتهم وذلك أنهم حين طلبوا الرؤية أنكر
عليهم وأعلمهم الخطأ ونبههم على الحق فلجوا وتمادوا في لجاجهم وقالوا لا بد ولن نؤمن لك
حتى نراه فأراد أن يسمعوا النص من عند الله باستحالة ذلك وهو قوله لن تراني ليتيقنوا وليزول
عنهم الشبهة وقال أرني ولم يقل أرهم لأن الله تعالى كلم موسى وهم يسمعون فلما سمعوا كلام رب
العزة أرادوا أن يري موسى ذاته فيبصروه معه كما أسمعه كلامه فسمعوه معه إرادة مبنية
على قياس فاسد لأن إسماع كلام الله صحيح ورؤيته لا تصح فلذلك قال موسى أرني ولم يقل أرهم لأنه
علم أنه إذا زجر عما طلب وأنكر عليه في نبوته واختصاصه وزلفته وقيل له لن يكون ذلك كان
غيره أولى بالإنكار ولكن انظر إلى الجبل هو أعظم جبل بمدين يقال له زبير والمعنى أن
النظر إلي محال فلا تطلبه ولكن انظر إلى ما نصب النظر إليه وهو الجبل الذي يرجف بك وبمن
طلبت الرؤية لأجله كيف أجعله دكاً بسبب طلبك الرؤية لتستعظم ما أقدمت عليه بما أريك
من عظم أثره فإن استقر مكانه أي ثبت ساكناً ولم يتغير حاله فسوف تراني هذا
تعليق لوجود الرؤية بوجود ما لا يكون من استقرار الجبل مكانه حين يدكه دكاً ويسويه
بالأرض كأنه تعالى حين عند طلب الرؤية ما مثله عند نسبة الولد في قوله وتخر الجبال هداً أن
ادعوا للرحمن ولداً فلما تجلى ربه للجبل أي ظهر له اقتداره وإرادته جعله دكاً
أي مدكوكاً تراباً وقيل ساخ في الأرض وخر موسى صعقاً أي سقط مغشياً عليه كالموت
من هول ما رأى وروي أن الملائكة مرت عليه وهو مغشي عليه فجعلوا يلكزونه بأرجلهم ويقولون
يا ابن النساء الحيض أطمعت في رؤية رب العزة فلما أفاق من صعقته قال سبحانك أي
أنزهك مما لا يجوز عليك من الرؤية وغيرها تبت إليك من طلب الرؤية ومن السؤال قبل الإذن
وقيل هو على جهة التسبيح الذي يذكر عند ظهور الآيات وأنا أول المؤمنين المصدقين
بأنك لا ترى وقيل باستعظام الرؤية **قال رضي الله عنه** وانظر إلى
إعظام الله أمر الرؤية في هذه الآية وكيف أرجف الجبل بطالبيها وجعله دكاً وكيف أصعقهم
ولم يخل كليمه من طرف ذلك مبالغة في إعظام الأمر وكيف سبح ربه ملتجئاً إليه وتاب من إجراء تلك
الكلمة على لسانه وقال أنا أول المؤمنين ثم تعجب من المتسمين بالإسلام المتسمين بأهل السنة والجماعة
كيف اتخذوا هذه العظيمة مذهباً ولا يغرنك تسترهم بالبلكفة فإنها من منصوبات أشياخهم
وفي الآية أكبر دليل على [illegible] أهل التشبيه في الكفر وقرب [illegible] فيه وكذبوا فيما وضعوا
بها نفسهم من الإسلام وتسميتهم بأهل السنة والجماعة قال الله يا موسى إني اصطفيتك
على الناس أي اخترتك على أهل زمانك وآثرتك عليهم برسالاتي هي أسفار التوراة وما أوحى الله

وبكلامي أي بتكليمي إياك بلا واسطة فخذ ما آتيتك ما أعطيتك من شرف النبوة والحكمة وكن
من الشاكرين على النعمة في ذلك فهي من أجل النعم وقيل خر موسى صعقاً يوم عرفة وأعطي
التوراة يوم النحر وكتبنا له في الألواح من كل شيء ذكروا في عدد الألواح أنها كانت عشرة
ألواح وقيل سبعة وأنها كانت من زمرد جاء بها جبريل وقيل كانت من زبرجدة خضراء أو ياقوتة حمراء
وقيل أمر الله تعالى موسى بقطعها من صخرة صماء لينها له فقطعها بيده وشقها بإصبعه وعن الحسن
كانت من خشب نزلت من السماء فيها التوراة وأن طولها عشرة أذرع وقيل اثنا عشر ذراعاً والمعنى
كتبنا له كل شيء كان بنو إسرائيل محتاجين إليه في دينهم من المواعظ وتفصيل الأحكام وقيل
أنزلت التوراة وهي سبعون وقر بعير يقرأ الجزء منه في سنة لم يقرأها إلا أربعة نفر موسى
ويوشع وعزير وعيسى وعن مقاتل كتب في الألواح إني أنا الله الرحمن الرحيم لا تشركوا بي شيئاً ولا
تقطعوا السبيل ولا تحلفوا باسمي كاذباً فإن من حلف باسمي كاذباً فلا أزكيه ولا تقتلوا ولا تزنوا
ولا تعقوا الوالدين موعظة لما فيها من أخبار الأمم وتفصيلاً لكل شيء أي بياناً للحلال
من الحرام فخذها أي فقلنا له خذها وهي الألواح أي التوراة بقوة بجد وعزيمة فعل أولي
العزم من الرسل في الاجتهاد في التبليغ وأمر قومك يأخذوا بأحسنها أي فيها ما هو حسن وأحسن كالاقتصاص
والعفو والانتصار والصبر والمعنى مرهم أن يحملوا أنفسهم على الأخذ بالأحسن واختياره على
الحسن لأنه أكثر ثواباً وأدخل في الحق كقوله واتبعوا أحسن ما أنزل إليكم وقيل يأخذوا بما
هو واجب أو مندوب لأنه أحسن من المباح سأريكم دار الفاسقين يريد دار فرعون وقومه
وهي مصر والمعنى سأريكم كيف أقفرت منهم ودمروا لفسقهم لتعتبروا فلا تفسقوا مثل فسقهم
فينكل بكم مثل نكالهم وقيل منازل عاد وثمود في ممركم عليها في أسفاركم وقيل دار الفاسقين
نار جهنم وقرئ سأوريكم وهي قراءة حسنة يصححها قوله وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون
سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الأرض أي سأصرفهم عن الاتفاع وأمنع بالطبع
على قلوب المتكبرين وخذلانهم فلا يفكرون فيها ولا يعتبرون بها غفلة وانهماكاً فيما يشغلهم
عنها من شهواتهم وعن الفضيل بن عياض ذكر لنا عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال إذا
عظمت أمتي الدنيا نزع عنها هيبة الإسلام وإذا تركت الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حرمت بركة
الوحي وقيل سأصرفهم عن إبطالها وإن اجتهدوا كما اجتهد فرعون أن يبطل معجزة موسى
بأن جمع لها السحرة فأبى الله إلا علو الحق وانتكاس الباطل بغير الحق أي يتكبرون بغير
استحقاق لأن التكبر بالحق لله وحده ومعناه يتكبرون بما ليس بحق وما هم عليه من دينهم وإن
يروا كل آية لا يؤمنوا بها وإن يروا من آياته تعالى أنه أغاض منهم عن آياته لأنهم لا يؤمنون بها
وإن يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلاً أي لا يسلكوه بل يعرضوا عنه

وان يروا سبيل الغي اي طريق الضلال والهلاك يتخذوه سبيلا ويميلون اليه

قال رضي الله عنه وما اسفه من ركب المفازة فان راى طريقا مستقيما اعرض عنه وتركه وان راى معتسفا مرديا اخذ فيه وسلكه ففاعل نحو ذلك في دينه اسفه ذلك يعني الصرف او الاتخاذ للغي بانهم كذبوا باياتنا اي بسبب تكذيبهم بها وهي معجزات الانبياء وتكبرهم عن الايمان بها وكانوا عنها غافلين لاهين لا يتفكرون فيها والذين كذبوا باياتنا ولقاء الاخرة اي كذبوا بلقاء الاخرة ومشاهدتهم احوالها حبطت اعمالهم اي بطل خيرا اعمالهم هل يجزون في الاخرة الا ما كانوا يعملون في الدنيا والمعنى انهم لا يجزون الا عقاب تكذيبهم ومعاصيهم كما يجزي المؤمنون الثواب بايمانهم وطاعتهم واتخذ قوم موسى المتخذ هو السامري ونسب العجل اليهم لانهم كانوا مريدين لاتخاذه راضين به فكانهم اجمعوا اليه وقيل جميعهم لانهم من صانع وعابد وراض ومن رضي بشيء فحكمه حكم فاعله من بعده اي من بعد مسيره منهم الى الطور للمناجاة من حليهم اي من زينتهم والحلي اسم ما يتحسن به من الذهب والفضة وكان بنو اسرائيل استعاروها من القبط ليوم عيد لهم فلما غرقوا بقيت في ايديهم وقيل امر موسى باستعارتها منهم وكان مباحا لهم لانه مال الكفار وقال من حليهم ولم تكن الحلي لهم وانما كانت عواري في ايديهم لانهم قد ملكوها بعد هلاك القبط كما ملكوا غيرها من املاكهم عجلا جسدا اي بدنا ذا لحم ودم كسائر الاجساد والعجل ولد البقرة وقيل كان السامري صائغا فصاغ عجلا من ذهب مرصعا بالجوهر وجوفه وجعل فيه خروقا فاذا دخلته الريح او هم انه يخور وقيل خار مرة ولم يعد والصحيح ما ذكره جار الله رضي الله عنه وعليه ظاهر التنزيل له خوار اي صوت الخوار الثور وذلك ان السامري اوحى اليه الشيطان ان التربة التي يقع عليها موطئ حيزوم فرس جبريل عليه السلام اذا خالطت مواتا صار حيوانا فحفر السامري حفرة واوقد فيها نارا وامرهم بطرح الحلي فيها ففعلوا فاخرج لهم عجلا جسدا له خوار قال الجوزاني السامري صرف قبضة من تراب من اثر فرس جبريل يوم قطع البحر الم يروا باتصارهم حين اتخذوه الها انه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلا لانه جماد لا يسمع ولا يبصر ولا يقدر على كلام ولا على هداية سبيل فكيف يعبدونه على من لو كان البحر مدادا لكلماته لنفد البحر قبل ان تنفد كلماته وهو الذي هدى الخلق الى سبيل الحق وسهاهم بما ركز في العقول من الادلة وبما انزل في كتبه ثم ابتدأ فقال اتخذوه اي اقدموا على ما اقدموا عليه من الامر المنكر وكانوا ظالمين اي واضعين كل شيء في غير موضعه فلم يكن اتخاذ العجل بدعا منهم ولا اول منكرهم ولما سقط في ايديهم اي اشتد ندمهم وحسرتهم على عبادة العجل لان من اشتد ندمه وحسرته يعض يده من شدة الغم فتصير يده مسقوطا فيها لان فاه قد وقع فيها فهو كانه عن شدة الندم ورأوا انهم قد ضلوا اي علموا وتيقنوا ضلالهم تيقنا كانهم

ابصروه بعيونهم قالوا لئن لم يرحمنا ربنا بقبول التوبة ويغفر لنا ما قدمنا من عبادة غيره لنكونن من الخاسرين باستيجاب العقاب وهذا كلام التائبين كما قال ادم وحواء عليهما السلام وان لم تغفر لنا وترحمنا ولما رجع موسى الى قومه من الطور غضبان اسفا اي حزينا شديد الغضب قال بئسما خلفتموني اي قمتم مقامي وكنتم خلفائي من بعدي وهذا الخطاب اما ان يكون لعبدة العجل من السامري واشياعه او لوجوه بني اسرائيل وهم هرون عليه السلام والمؤمنون معه والمعنى بئس ما خلفتموني حيث عبدتم العجل مكان عبادة الله او حيث لم تكفوا من عبد غير الله اعجلتم امر ربكم اي اسبقتم امره فعبدتم غيره والمعنى اعجلتم عن امر ربكم وهو انتظار موسى حافظين لعهده وما وصاكم به فبنيتم الامر على ان الميعاد قد بلغ اخره ولم ارجع اليكم فحدثتم انفسكم بموتي فغيرتم كما غيرت الامم بعد انبيائهم وروي ان السامري قال لهم حين اخرج لهم العجل وقال هذا الهكم واله موسى ان موسى لن يرجع وانه قد مات وروي انهم عدوا عشرين يوما بلياليها فجعلوها اربعين ثم احدثوا ما احدثوا والقى الالواح طرحها لما لحقه من الدهش وشدة الضجر عند استماعه حديث العجل غضبا لله تعالى وحمية لدينه وكان عليه السلام في نفسه حديدا شديد الغضب وكان هرون الين منه جانبا ولذلك كان احب الى بني اسرائيل من موسى وروي ان التوراة كانت سبعة اسباع فلما القى الالواح تكسرت فرفع منها ستة اسباعها وبقي سبع واحد وكان فيما رفع تفصيل كل شيء وفيما بقي الهدى والرحمة واخذ براس اخيه اي بشعر راسه يجره اليه بذوائبه وذلك لشدة ما ورد عليه من الامر الذي استفزه وذهب بفطنته وظنا بانه فرط في الكف قال هرون ابن ام قيل كان اخاه لابيه وامه فان صح فانما اضافه الى الام اشارة الى انهما من بطن واحد وذلك ادعى الى العطف والرقة واعظم للحق الواجب ولانها كانت مؤمنة ولانها هي التي قاست فيه المخاوف والشدائد فذكره بحقها ان القوم عبدة العجل استضعفوني يعني اني لم اقصر في كفهم بالوعظ والانذار وبما بلغته طاقتي حتى قهروني واستضعفوني وكادوا يقتلونني اي ولم يبق الا ان يقتلوني فلا تشمت بي الاعداء اي لا تفعل بي ما هو امنيتهم فيحصل مطلوبهم وهو الشماتة بي ولا تجعلني مع القوم الظالمين اي لا تجعلني في غضبك علي وعقوبتك لي قرينا لهم وصاحبا او ولا تعتقد اني واحد من الظالمين مع براءتي منهم ومن ظلمهم قال رب اغفر لي ولاخي لما اعتذر هرون عليه السلام الى اخيه وذكر له شماتة الاعداء سال الله لهما المغفرة جميعا ليرضي اخاه ويظهر لاهل الشماتة رضاه عنه فلا تتم لهم شماتتهم واستغفر لنفسه مما فرط منه الى اخيه واستغفر لاخيه ان يكون وقع منه تفريط في حسن الخلافة وادخلنا في رحمتك يعني نعمته واجابة طلبهما لا تعرفا عن رحمة الله ولا تزال منتظمة لهما في الدنيا والاخرة ورحمة الله نعمته وانت ارحم الراحمين لا ارحم منك ان الذين اتخذوا

العجل فعبدوه سينالهم غضب من ربهم وذلة في الحيوة الدنيا الغضب ما امروا به من قتل
انفسهم والذلة خروجهم من ديارهم لان ذل الغربة مثل مضروب وقيل هو ما نال ابناءهم
من قريظة والنضير من غضب الله بالقتل والجلاء والذلة بضرب الجزية وكذلك اي ومثل
ذلك الجزاء نجزي المفترين ٥ اي المتكذبين على الله ولا فرية اعظم من قول السامري هذا
الهكم واله موسى والذين عملوا السيئات من الكفر والمعاصي كلها ثم تابوا اي رجعوا
الى الله واعتذروا اليه وآمنوا بالله واخلصوا الايمان ان ربك من بعدها
من بعدها اي من بعد تلك العظائم لغفور لستور عليهم محاء لما كان منهم رحيم منعم عليهم بالجنة وهذا
حكم عام يدخل تحته متخذوا العجل ومن عداهم عظم جنايتهم اولا ثم اردفها بعظم رحمته ليعلم
ان الذنوب وان جلت وعظمت فان عفوه وكرمه اعظم واجل ولكن لا بد من حفظ الشريطة
وهي وجوب التوبة والانابة وما وراءه طمع فارغ واشعبية باردة لا يلتفت اليها حازم ولما سكت
عن موسى الغضب وهذا مثل كان الغضب كان يغريه على ما فعل ويقول له قل لقومك كذا
والق الالواح وجر براس اخيك فترك النطق بذلك فاستحسنت هذه الكلمة واستفصحها كل ذي
طبع سليم وذوق صحيح لارتفاعها في درج البلاغة بخلاف قراءة من قرأ ولما سكن عن موسى الغضب
فان النفس لا تجد عندها شيئا من تلك الهزة ولا طرفا من تلك الروعة وقرئ ولما سكت واسكت
اي اسكته الله او اخوه باعتذاره اليه والمعنى ولما طفئ غضبه [illegible] أخذ الالواح التي
القاها وطرحها وفي نسختها اي فيما نسخ فيها اي كتب اختلفوا فيه فقيل اراد الالواح لانها
نسخت من اللوح وقيل لما القى الالواح تكسرت فنسخ منها نسخة اخرى فهو المراد بقوله وفي نسختها
وقيل المراد وفيما نسخ منها وما [illegible] بقي منها هدى ورحمة اي دلالة وبيان
لامور الدين وسعة ونعمة للذين هم لربهم يرهبون ٥ اي يخشونه ويعملون [illegible]
واختار موسى قومه سبعين رجلا اي من قومه فحذف من ووصل الفعل اختار من اثني عشر سبطا من كل سبط
ستة حتى توافوا اثنين وسبعين فقال ليتخلف منكم رجلان فتشاحوا فقال ان لمن قعد منكم مثل اجر
من خرج فقعد كالب ويوشع وروي انه لم يجد الا ستين شيخا فاوحى الله اليه ان يختار من الشباب عشرة
فاختارهم فاصبحوا شيوخا وذهب عنهم الجهل والصبا فامرهم موسى ان يصوموا ويتطهروا ويطهروا
ثيابهم ثم خرج بهم الى طور سيناء لميقاتنا اي لميقات ربه قيل الميقات الثاني بعد عبادة العجل
ليتوبوا وكان امره ربه ان ياتيه في سبعين من بني اسرائيل فلما دنى موسى من الجبل وقع عليه عمود
الغمام حتى تغشى الجبل كله ودنا موسى ودخل فيه وقال للقوم ادنوا فدنوا حتى اذا دخلوا في الغمام
وقعوا سجدا فسمعوا الله وهو يكلم موسى يامره وينهاه افعل ولا تفعل ثم انكشف الغمام فاقبلوا اليه
وطلبوا الرؤية فوعظهم وزجرهم وانكر عليهم وقالوا يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فقال

رب ارني انظر اليك يريد ان يسمعوا الرد والانكار من جهة الله فاجيب بلن تراني ورجف
بهم الجبل واندك وصعقوا فلما اخذتهم الرجفة قال رب لو شئت اهلكتهم من قبل واياي
وهذا تمن منه عليه السلام للاهلاك قبل ان يرى ما رأى من عقوبة طلب الرؤية كما يقول النادم
اذا راى سوء العاقبة لو شاء الله لاهلكني قبل هذا اتهلكنا بما فعل السفهاء منا يعني اهلكتنا
جميعا يعني نفسه واياهم لانه انما طلب الرؤية زجرا للسفهاء وهم طلبوها سفها وجهلا ان هي الا
فتنتك اي محنتك وابتلاؤك حين كلمتني وسمعوا كلامك فاستدلوا بالكلام على الرؤية استدلالا
فاسدا حتى افتتنوا وضلوا تضل بها من تشاء وتهدي من تشاء اي تضل بالمحنة الجاهلين غير
الثابتين في معرفتك وتهدي العالمين بك الثابتين بالقول الثابت وجعل ذلك اضلالا من الله
وهدى منه لان محنته لما كانت سببا لان ضلوا واهتدوا فكأنه اضلهم وهداهم على الاتساع في
الكلام انت ولينا مولانا القائم بامورنا فاغفر لنا ذنوبنا وارحمنا وانت خير الغافرين
اوسعهم رحمة ومغفرة واكتب لنا اي اثبت لنا واقسم في هذه الدنيا حسنة اي عافية وحياة طيبة
وتوفيقا في الطاعة وفي الاخرة الرفعة والجنة انا هدنا اليك اي تبنا ورجعنا قال
الله تعالى لموسى عذابي اصيب به من اشاء اي من وجب علي في الحكمة تعذيبه ولم يحسن العفو
عنه لكونه مفسدة ورحمتي وسعت كل شيء اي واسعة تبلغ كل شيء ما من مسلم ولا كافر ولا
مطيع ولا عاص الا وهو متقلب في نعمتي وقال ابن عباس هي خاصة في المؤمنين وعن الحسن وقتادة
هي تعم الجميع وقيل هي التوبة وسعت كل ذنب فساكتبها اي فسأكتب هذه الرحمة واوجبها
للذين يتقون اي الذين يكونون منكم يا بني اسرائيل سيتقون في اخر الزمان من امة محمد صلى الله
عليه وسلم ويؤتون الزكوة المفروضة والذين هم باياتنا يؤمنون لا يكفرون بشيء منها الذين
يتبعون الرسول اي يؤمنون به ويعتقدون نبوته والمراد الجمع كلهم من ادرك ما عصا نبوة محمد صلى
الله عليه وسلم النبي الامي هو الذي لا يكتب ولا يقرأ الذي يجدونه اي يجدون صفته مكتوبا
عندهم في التورية والانجيل توراة موسى وانجيل عيسى وقيل معناه انه مكتوب في التورية و
في الانجيل لان الخطاب لبني اسرائيل يامرهم بالمعروف وهو الايمان بالله تعالى والشرائع
وما هو الحق وينهاهم عن المنكر الكفر والمعاصي ويحل لهم الطيبات اي ما حرم عليهم من
الاشياء الطيبة كالشحوم وغيرها وقيل ما كانت الجاهلية تحرم قال الكلبي بعث عيسى بتحليل
بعضها ومحمد بجميعها ويحرم عليهم الخبائث ما يستخبث كالدم والميتة ولحم الخنزير وما اهل
لغير الله به او ما خبث من المكاسب كالربا والرشوة وغيرهما من المكاسب الخبيثة ويضع عنهم
اصرهم الاصر الثقل وهو مثل لتكليفهم الصعب الثقيل نحو اشتراط قتل الانفس في
توبتهم وغيرها والاغلال التي كانت عليهم الاغلال جمع غل وهو مثل لما كان في شرائعهم

من الاشياء الشاقة كقتل النفس بالقصاص في العمد والخطاء من غير شرع دية وقطع الاعضاء الخاطئة وقرض موضع النجاسة من الجلد والثوب واحراق الغنائم وتحريم العروق في اللحم وعن عطا كانت بنو اسرائيل اذا قامت تصلي لبسوا المسوح وغلوا ايديهم الى اعناقهم وربما ثقب الرجل ترقوته وجعل فيها طرف السلسلة واوثقها الى السارية يحبس نفسه على العبادة فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ اى صدقوه وَعَزَّرُوهُ عظموه وقيل منعوه حتى لا يقوى عليه عدو واصله العزر ومنه التعزير وهو الضرب دون الحد لانه يمنع من معاودة القبيح وَنَصَرُوهُ اعانوه على اعدائه وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ هو القران ومعه بمعنى عليه أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ۝ الظافرون بالبغية الناجون من العقاب قُلْ يا محمد يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا قيل بعث كل رسول الى قومه خاصة وبعث محمد صلى الله عليه وآله الى كافة الجن والانس والعرب والعجم خطاب لجميع المكلفين الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ اى هو المختص بملك جميع السموات والارض لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ اى هو المستحق للعبادة ولا معبود سواه لان من ملك العالم كله كان الاله على الحقيقة يُحْيِي وَيُمِيتُ بيان لاختصاصه بالالهية لانه لا يقدر على الاحياء والاماتة غيره وقيل الحيوة والموت عرضان لا يقدر عليهما غيره وقيل ذكرهما منبها على الجزاء ولولاه لما حسن التعبد فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ محمد صلى الله عليه وآله النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ اى الذي لا يكتب ولا يقرا وهذه الصفة وان كانت نقصا في غيره فهي معدودة من اشرف صفاته واكبر معجزاته وهي اعظم شاهد له على اعجاز القران وانه من عند الله لانه لم يكن ممن خالط اهل الكتاب ولا يقرا ولا يكتب الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ اى انه لم يامرهم بما لم يؤمن هو به وَكَلِمَاتِهِ هي ما انزل عليه وعلى من تقدمه من كتبه ووحيه وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ اى افعلوا ذلك رجاء ان تهتدوا الى الطريق الصواب وتسعدوا في العاجل والاجل ولم يقل فآمنوا بالله وبي بعد قوله اني رسول الله اليكم لكنه عدل عن المضمر الى الاسم الظاهر لتجري عليه الصفات التي اجريت عليه ولما في الالتفات من النكتة الى البلاغة من مزية الفصاحة وليعلم ان الذي وجب الايمان به واتباعه هو هذا الشخص المستقل بانه النبي الامي الذي يؤمن بالله وكلماته كائنا من كان انا او غيري اظهارا للنصفة وتعاديا من العصبية لنفسه وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ هم المؤمنون التائبون من بني اسرائيل لما ذكر الذين تزلزلوا منهم في الدين وارتابوا حتى اقدموا على العظيمتين عبادة العجل واستجابة رؤية الله ذكر ان منهم امة موقنين ثابتين يَهْدُونَ الناس بِالْحَقِّ اى بكلمة الحق ويدلونهم على الاستقامة ويرشدونهم وَبِهِ اى وبالحق يَعْدِلُونَ يحكمون بينهم بالحق ولا يجورون واراد الذين وصفهم ممن ادرك النبي صلى الله عليه وآله وآمن به من اعقابهم وقيل ان بني اسرائيل لما قتلوا انبياءهم

وكفروا وكانوا اثني عشر سبطا تبرا سبط منهم مما صنعوا واعتذروا وسالوا الله ان يفرق بينهم وبين اخوانهم ففتح الله لهم نفقا في الارض فساروا فيه سنة ونصفا حتى خرجوا من وراء الصين وهم هناك حنفاء مسلمون يستقبلون قبلتنا وذكر عن النبي صلى الله عليه وآله ان جبرئيل ذهب به ليلة الاسرى نحوهم فكلمهم فقال لهم جبرئيل هل تعرفون من تكلمون قالوا لا قال هذا محمد النبي الامي فآمنوا به وقالوا يا رسول الله ان موسى اوصانا من ادرك منكم احمد فليقرا عليه مني السلام فرد محمد على موسى السلام ثم اقراهم عشر سور من القران نزلت بمكة ولم يكن نزلت فريضة غير الصلوة والزكوة فامرهم بهما وامرهم ان يقيموا مكانهم وكانوا يسبتون فامرهم ان يجمعوا ويتركوا السبت

روى ان ذا القرنين ام قالهم من هم فقالوا من الذين قال الله تعالى فيهم ومن قوم موسى امة الاية فقال لو امرت بالمقام لسرني ان اقيم معكم رواه الحاكم وعن مسروق قرئت هذه الاية بين يدي عبد الله بن مسعود فقال رجل اني منهم فقال عبد الله لمن كان في مجلسه من المؤمنين وهل يزيد صلحاؤكم عليهم شيئا منكم من يهدي بالحق وبه يعدل وقيل لو كانوا في طرف من الدنيا متمسكين بشريعة ولم يبلغهم نسخها لكانوا سعداء وهذا من باب الفرض والتقدير والا فقد طار الخبر ببعثة محمد صلى الله عليه وآله الى كل افق وتغلغل في كل نفق ولم يبق الله اهل مدر ولا وبر ولا سهل ولا جبل ولا بر ولا بحر في مشارق الارض ومغاربها الا وقد القاه اليهم وملا به مسامعهم والزمهم به الحجة وهو سائلهم عنه يوم القيمة وَقَطَّعْنَاهُمُ اى صيرنا بني اسرائيل قطعا اى فرقا وميزنا بعضهم من بعض لقلة الالفة بينهم اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا كقولك اثنتي عشرة قبيلة والاسباط اولاد الولد جمع سبط وكانوا اثنتي عشرة قبيلة من اثني عشر ولدا من ولد يعقوب أُمَمًا اى جماعة جماعة بمعنى وقطعناهم امما لان كل اسباط كانت امة عظيمة وجماعة كثيرة العدد وكل واحدة تؤم خلاف ما تؤمه الاخرى لا تكاد امة تالف امة وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ اى حين استغاثه لهم أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ روي انه حجر من الطور حمله معه وكان مربعا له اربعة اوجه ينبع من كل وجه ثلاث اعين يسيل كل عين في ساقية الى السبط الذي امر ان يسقيهم وكانوا ستمائة الف وسعة العسكر اثني عشر ميلا فَانْبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا اى انفجرت بكثرة وسعة وتقديره فضرب فانبجست لكن حذف لعدم الالتباس وليفيد الدلالة على ان الموحى اليه لم يتوقف عن اتباع الامر قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ اى كل سبط مَشْرَبَهُمْ اى عينهم التي يشربون منها قيل بابتغائهم وقيل بامر الله تعالى وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَامَ اى جعلناه ظلا عليهم من حر الشمس وذلك في التيه وَأَنْزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى المن شئ حلو وهو مثل الثلج كان ينزل عليهم من طلوع الفجر الى طلوع الشمس لكل انسان منهم صاع والسلوى طائر يبعث الله الجنوب فتحشره عليهم فيذبح الرجل ما يكفيه منه كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ اى قلنا لهم كلوا من مستلذات

ما اعطيناكم وقيل الطيبات الحلال وما ظلمونا اي ما رجع الينا ضرر ظلمهم بكفرانهم
النعم ولكن كانوا انفسهم يظلمون يعني ولكن كانوا يضرون انفسهم ويرجع وبال ظلمهم
اليهم وقيل ظلمهم لانفسهم حين ادخروا لانفسهم العقاب وقيل ظلموها بترك الافضل
والمصير الى البقل والبصل واذ قيل لهم اسكنوا هذه القرية اي واذكروا وقت اذ
قيل لهم والقرية بيت المقدس قيل ان القائل لهم موسى دعاهم الى دخول بيت المقدس بعد
التيه وقيل دعاهم يوشع بعد وفاة موسى لغزو بيت المقدس وامروا ان يدخلوها بالتواضع
كما يدخل الحرم وكلوا منها حيث شئتم اي من مكان شئتم وقولوا حطة اي مطلوبنا ومسئلتنا
حطة يعني حط عنا ذنوبنا حطة وهي في معنى حطا وادخلوا الباب اي باب القرية سجدا
تواضعا لله وشكرا نغفر لكم خطيئاتكم اي نستر عنكم ذنوبكم بان نمحو بالغفران سنزيد
المحسنين اي نزيد بهذه الكلمة وهي حطة في ثواب المحسنين كما نغفر بها للمسيء قال رضي الله عنه
وفي سورة البقرة وسنزيد وحذف الواو ههنا لا يخل بذلك لانه جواب سؤال سائل قال وما
ذا بعد الغفران فقيل له سنزيد المحسنين وقوله نغفر لكم خطيئاتكم سنزيد المحسنين
موعد بشيئين بالغفران وبالزيادة فبدل الذين ظلموا منهم قولا غير الذي قيل لهم بدله بانهم
امروا بان يقولوا حطة وبما هو في معناها مما يعد للتوبة لان المراد توبتهم فعدلوا عن طلب
ما عند الله الى ما يشتهون من الدنيا فقالوا حنطة استهزاء بما قيل لهم وقيل قالوا بالنبطية
حنطا سمقاثا اي حنطة حمراء فارسلنا عليهم رجزا من السماء اي عذابا روي
انه مات منهم في ساعة بالطاعون اربعة وعشرون الفا وقيل سبعون الفا بما كانوا
يظلمون اي بسبب ما كانوا عليه من الظلم وفي البقرة بما كانوا يفسقون وهما من واد واحد
وفيها فانزلنا وهنا فارسلنا والمعنى واحد واسألهم يعني اليهود ومعنى السؤال
لهم التوبيخ بقديم كفرهم وتجاوزهم لحدود الله والاعلام بان هذا من علومهم التي لا تعلم الا
بكتاب او وحي فاذا اعلمهم به من لم يقرأ كتابهم علم انه من جهة الوحي عن القرية هي
[illegible] وقيل مدين وقيل طبرية والعرب تسمي المدينة قرية التي كانت حاضرة البحر
اي قريبة منه وملاصقة له اذ يعدون في السبت اي يتجاوزون حد الله فيه
وهو اصطيادهم في يوم السبت وقد نهوا عنه وكانوا يتعدون الصيد يوم السبت وهم
مامورون بان لا يشتغلوا فيه بغير العبادة وقيل احتالوا لحبسه فيه واخذوه في الاحد
اذ تأتيهم حيتانهم الحيتان السمك يوم سبتهم شرعا اي ظاهرة على وجه الماء
كثيرة وعن الحسن كانت تشرع على ابوابهم كانها الكباش البيض اي تقرب وتدنو ويوم
لا يسبتون لا تأتيهم اي لا تاتيهم في غير يوم السبت كذلك نبلوهم اي بكثرتهم ونعاملهم

معاملة المختبر بما كانوا يفسقون اي بسبب فسقهم وهو خروجهم عن طاعة الله وامتثال
اوامره واذ قالت امة منهم اي جماعة من اهل القرية من صلحائهم الذين اجتهدوا في
مواعظهم حتى ايسوا من قبولهم للآخرين الذين كانوا لا يكفون عن وعظهم لم تعظون قوما
يعنون الذين اعتدوا في السبت الله مهلكهم اي مفنيهم في الدنيا بالهلاك ومطهر
للارض منهم لنفورهم عن الموعظة او معذبهم في الآخرة عذابا شديدا لتماديهم في الشر
وانما قالوا ذلك لعلمهم ان الوعظ لا ينفع فيهم قالوا معذرة الى ربكم اي موعظتنا
للاعذار الى الله ولئلا ننسب في النهي عن المنكر الى بعض تفريط في النهي ولعلهم يتقون
اي ولطمعنا ان يتقوا بعض الاتقاء فلما نسوا ما ذكروا به يعني اهل القرية لما تركوا
ما ذكرهم به الصالحون ترك الناسي لما ينساه انجينا الذين ينهون عن السوء اي عن
المنكر واخذنا الذين ظلموا اي الذين ارتكبوا المنكر ولم يرتدعوا ولم ينتهوا بعذاب بئيس
اي شديد يقال بؤس يبؤس باسا اذا اشتد وهذا العذاب مختص بالامة الذين ارتكبوا
المنكر دون الامة الذين قالوا لم تعظون قوما فانهم من الناجين لانهم من فريق الناهين وقالوا
لم تعظون قوما لاستبعادهم عن فائدة الوعظ لما شاهدوا من حال اولئك وعدم تاثير الوعظ فيهم
واذا علم الناهي حال المنهي وان النهي لا يؤثر فيه سقط عنه وربما وجب الترك في باب العبث
الا ترى انك لو ذهبت الى بعض الظلمة المكاسين القاعدين على الابواب والطرق او الجلادين
المرتبين للتعذيب لتعظهم او تكفهم عما هم فيه كان ذلك عبثا منك ولم يكن الا سببا للتلهي بك
واما الفريق الآخرون فانما لم يعرضوا عنهم لانهم لم ييأسوا منهم كما يئس الاولون ولم يخبروهم
كما خبروهم او لشدة حرصهم وجدهم في امورهم كما وصف الله رسوله في قوله فلعلك باخع نفسك
وقيل الامة في قوله واذ قالت امة هم الموعوظون لما وعظوا قالوا للواعظين لم تعظون منا
قوما تزعمون ان الله مهلكهم او معذبهم روي ان اليهود امروا باليوم الذي
امرنا به وهو يوم الجمعة فتركوه واختاروا السبت فابتلوا به وحرم عليهم الصيد فيه
وامروا بتعظيمه فكانت الحيتان تاتيهم يوم السبت شرعا بيضا سمانا كانها المخاض لا يرى الماء
من كثرتها ويوم لا يسبتون لا تاتيهم وكانوا كذلك برهة من الدهر ثم جاءهم ابليس لعنه الله فقال
انما نهيتم عن اخذها يوم السبت فاتخذوا حياضا تسوقون الحيتان اليها يوم السبت فلا تقدر
على الخروج منها ثم تاخذونها يوم الاحد واخذ رجل منهم حوتا وربط في ذنبه خيطا الى خشبة
في الساحل ثم شواه يوم الاحد فوجد جاره ريح السمك فتطلع في تنوره فقال اني ارى الله
سيعذبك فلما لم يره عذب اخذ في السبت القابل حوتين فلما راوا ان العذاب لا يعاجلهم
صادوا واكلوا وملحوا وكانوا نحو سبعين الفا فصار اهل القرية اثلاثا ثلث نهوا وكانوا نحوا

من ابن عمر الثلثا وثلث قالوا لم تعظون قوما هم اصحاب الخطيئة فلما لم ينتهوا قال المسلمون لا نساكنكم فقسموا القرية بجدار للمسلمين باب وللمعتدين باب ولعنهم داود عليه السلام فاصبح الناهون ذات يوم في مجالسهم ولم يخرج من المعتدين احد فقالوا ان للناس شانا فعلوا الجدار فنظروا فاذا هم قردة ففتحوا الباب ودخلوا عليهم فعرفت القردة انسابها من الانس والانس لا يعرفون انسابها من القرود فجعل القرد ياتي نسيبه من الانس فيشم ثيابه ويبكي فيقول الم ننهكم فيقول براسه بلى وقيل صار الشبان قردة والشيوخ خنازير وعن الحسن اكلوا والله اوخم اكلة اكلها اهلها اثقلها خزيا في الدنيا واطولها عذابا في الاخرة هاه وايم الله ما حوت اخذه قوم فاكلوه اعظم عند الله من قتل رجل مسلم ولكن الله جعل موعدا والساعة ادهى وامر **بما كانوا يفسقون** اى بسبب فسقهم **فلما عتوا عما نهوا عنه** اى تكبروا عن ترك ما نهوا عنه **قلنا لهم كونوا قردة** هذا عبارة عن مسخهم والمعنى انا جعلناهم قردة وكانوا كقوله انما امره اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون والمعنى ان الله عذبهم اولا بعذاب شديد فعتوا بعد ذلك فمسخهم وقيل لما عتوا تكرير لقوله فلما نسوا والعذاب البئيس هو المسخ **خاسئين** اى اذلة والمعنى كونوا جامعين بين القردة والخسوء **واذ تاذن ربك** اى عزم من الايذان وهو الاعلام لان العازم على الامر يحدث نفسه ويؤذنها بفعله واجرى مجرى فعل القسم كعلم الله وشهد الله ولذلك اجيب بما يجاب به القسم وهو قوله **ليبعثن عليهم** والمعنى واذ حتم ربك وكتب على نفسه ليبعثن اى ليسلطن على اليهود **الى يوم القيمة من يسومهم** اى يطلعهم **سوء العذاب** فكانوا يؤدون الجزية الى المجوس الى ان بعث الله محمدا صلى الله عليه وآله فضربها عليهم فلا تزال مضروبة عليهم الى اخر الدهر **ان ربك** يا محمد او يا مخاطب **لسريع العقاب** لكل عاص ومن سرعة عقابه ما وقع على اليهود من التسلط في الدنيا او سريع العقاب في الاخرة لانه آت وكل آت قريب **وانه لغفور رحيم** لاهل الايمان والتوبة من العاصي فلا ييأس تائب من مغفرته ورحمته **وقطعناهم في الارض امما** اى فرقنا بني اسرائيل جماعات متفرقة في الارض فلا يخلو بلد من فرقة منهم قيل لمصلحتهم وقيل عقوبة لهم **منهم الصالحون** وهم الذين امنوا بالمدينة والذين وراء الصين **ومنهم دون ذلك** اى ومنهم ناس دون ذلك الوصف منحطون عن الصلاح **وبلوناهم بالحسنات والسيئات** اى اختبرناهم وعاملناهم معاملة المختبر لنظهر المعلوم والحسنات النعم والسيئات النقم والمصائب **لعلهم يرجعون** عن المعصية وينتهون عما هم عليه ويتوبون ه **فخلف من بعدهم خلف** اى فجاء من بعد المذكورين من اليهود خلف اى اعقاب لهم وهم الذين كانوا في زمن رسول الله صلى الله عليه وآله ويقال في عقب الخير خلف بفتح اللام وفي عقب السوء خلف بالسكون **ورثوا الكتاب**

اى التوراة خلفوهم فيها كما يخلف الوارث الموروث وبقيت في ايديهم بعد سلفهم يقرؤونها ويقفون على ما فيها من الاوامر والنواهي والتحليل والتحريم ولا يعملون بها **يأخذون عرض هذا الادنى** اى حطام هذا الشيء الادنى يريد الدنيا وما يتمتع به منها وفي قوله هذا الادنى تخسيس وتحقير للدنيا ولما يأخذونه منها حيث سماه عرضا وشبهه بالعرض في سرعة ذهابه وزواله والمراد ما كانوا يأخذونه من الرشا في الاحكام وعلى تحريف الكلم للتسهيل على العامة **ويقولون سيغفر لنا** اى لا يؤاخذنا الله بما اخذنا **وان يأتهم عرض مثله يأخذوه** اى يقولون سيغفر لنا وحالهم هذه اى يرجون المغفرة وهم مصرون على ما هم عليه عائدون الى مثل فعلهم غير تائبين منه وغفران الذنوب لا يصح الا بالتوبة والمصر لا غفران له **الم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب** يعني الميثاق المذكور في الكتاب **ان لا يقولوا على الله الا الحق** هذا بيان للميثاق المأخوذ عليهم والمعنى اخذ عليهم ان لا يقولوا على الله الا الحق وهو ان شرط المغفرة التوبة وفيه ان اثبات المغفرة بغير توبة خروج عن ميثاق الكتاب وتقول على الله ما ليس بحق **ودرسوا ما فيه** اى وقرؤوا ما في الكتاب من اشتراط التوبة في غفران الذنوب وعن مالك بن دينار ياتي على الناس زمان ان قصروا عما امروا به قالوا سيغفر لنا ما لم نشرك بالله شيئا كل امرهم الى الطمع خيارهم فيهم المداهنة فهؤلاء من هذه الامة اشباه الذين ذكرهم الله وتلا الاية **والدار الاخرة** اى الجنة **خير** من ذلك العرض الخسيس الحقير **للذين يتقون** الرشا ومحارم الله **افلا تعقلون** استفهام توبيخ تقديره ايجهلون فيختارون الادنى على الاعلى افلا يعقلون اى كانكم لا عقول لكم لان العاقل يختار الفاضل الباقي على المفضول الفاني **والذين يمسكون بالكتاب** اى يتمسكون بجميع ما فيه ويعملون بجميع ما فيه هم امة محمد صلى الله عليه وآله وقيل من اهل الكتاب **واقاموا الصلوة** اى فعلوها قائمة الاركان والتمسك بالكتاب يشمل على كل عبادة ومن جملتها اقامة الصلوة لكن افردت بالذكر اظهارا لمرتبة الصلوة لكونها عماد الدين وفارقة بين الكفر والايمان **انا لا نضيع اجر المصلحين** لا نضيع ثوابهم الجزيل بل نوفره عليهم اى قلعناه ورفعناه فوق بني اسرائيل **كانه** فوقهم **ظلة** تظللهم والظلة كلما اظلك من سقف او سحاب او غير ذلك **وظنوا انه واقع بهم** اى وعلموا انه ساقط عليهم وذلك انهم ابوا ان يقبلوا احكام التوراة لغلظها وثقلها فرفع الله الطور على رؤوسهم مقدار عسكرهم وكان فرسخا في فرسخ وقيل لهم ان قبلتموها بما فيها والا ليقعن عليكم فلما نظروا الى الجبل خر كل رجل منهم ساجدا على حاجبه الايسر وهو ينظر بعينه اليمنى الى الجبل خوفا من سقوطه فلذلك لا ترى يهوديا الا يسجد على حاجبه الايسر ويقولون هي السجدة التي رفعت عنا العقوبة بها ولما نشر موسى الالواح وفيها كتاب الله لم يبق جبل ولا شجر ولا حجر الا اهتز فلذلك لا ترى يهوديا يقرأ عليه التوراة

واذ نتقنا الجبل

الربع الثالث

او بمرادها الا اهتز وانقض لها راسه اي حركه **خذوا ما آتيناكم بقوة** اي بجد وعزم على احتمال
مشاقه وتكاليفه **واذكروا ما فيه** اي بما في الكتاب من الاوامر والنواهي ولا تنسوه او واذكروا
ما فيه من التعريض للثواب العظيم فارغبوا فيه **لعلكم تتقون** ما انتم عليه من مخالفة الله وترك
العباد **واذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم**
قالوا بلى شهدنا معنى اخذ ذرياتهم من ظهورهم اخراجهم من اصلابهم نسلا واشهادهم على انفسهم
وقول الست بربكم قالوا بلى شهدنا من باب التمثيل والتخييل ومعنى ذلك انه نصب لهم الادلة على
ربوبيته ووحدانيته وشهدت بها عقولهم وبصائرهم التي ركبها فيهم وجعلها مميزة بين الضلالة
والهدى فكانه اشهدهم على انفسهم بانه ربهم كانه قال لهم على جهة التقرير والتحقيق لربوبيته
الست بربكم وكانهم قالوا بلى انت ربنا شهدنا على انفسنا واقررنا بوحدانيتك وباب التمثيل واسع
في كلام الله ورسوله وكلام العرب **أن تقولوا** اي فعلنا ذلك من نصب الادلة الشاهدة على صحتها
العقول كراهة ان تقولوا **يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين** لم ننبه عليه **أو تقولوا**
او كراهة ان تقولوا **إنما أشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم** فاقتدينا بهم لان دليل
التوحيد وما نبهوا عليه قائم معهم فلا عذر لهم في التقليد والاقتداء بالآباء كما لا عذر لآبائهم
في الشرك لان ادلة التوحيد منصوبة لهم لكنهم اعرضوا عنها **أفتهلكنا** من تمام قولهم اي
افتهلكنا **بما فعل** آباؤنا **المبطلون** اي لانهم كانوا السبب في شركنا لتقدمهم في الشرك وتركه
سنة لنا والمعنى بهذه الآية بنو آدم وذرياتهم اسلاف اليهود الذين اشركوا بالله حيث قالوا
عزير ابن الله وعنى بذرياتهم الذين كانوا في عهد رسول الله صلى الله عليه وآله مقتدين بهم في مذهبهم
والدليل على انها في اليهود ما قبلها وما بعدها من الآيات في اليهود وهذه في سلكها وذلك قوله
واسألهم عن القرية واذ قالت امة منهم واذ تأذن ربك واذ نتقنا الجبل فوقهم وبعدها واتل عليهم
نبأ الذي آتيناه آياتنا **وكذلك نفصل** اي ومثل ذلك التفصيل البليغ نفصل **الآيات** لهم
ولعلهم يرجعون اي ولارادة ان يرجعوا عن شركهم نفصلها اي نبينها **واتل عليهم** اي اقرأ يا محمد على
قومك وعلى اليهود **نبأ الذي آتيناه آياتنا** اي الهمناه الى علمها **فانسلخ منها** اي انفصل
منها ومن العمل بها بان كفر بها ورمى بها وراء ظهره وهو عالم من علماء بني اسرائيل وقيل من الكنعانيين
اسمه بلعم بن باعوراء او اي علم بعض كتب الله فانسلخ منها بان كفر بها **فأتبعه الشيطان** اي
لحقه وادركه وصار قرينا له او فاتبعه خطواته في طريقه وترك واتبعه غيره فتبعه **فكان من**
الغاوين اي فصار من الضالين الكافرين روي ان قومه طلبوا اليه ان يدعو على قوم موسى
ومن معه فابى وقال كيف ادعو على من معه الملائكة فالحوا عليه ولم يزالوا به حتى فعل وكان
كان يعلم اسم الله الاعظم اذا دعا اجيب **ولو شئنا لرفعناه بها** اي لعظمناه ورفعناه

الى منازل الابرار من العلماء بتلك الآيات **ولكنه أخلد إلى الأرض** اي مال الى الدنيا ورغب
فيها وقيل مال الى السفالة وعلق رفعه بمشيئة الله الذي لا تقتضيه الرفع لان المعنى ولو لزم العمل
ولم ينسلخ منها لرفعناه بها وذلك ان مشيئة الله رفعه للزومه الآيات فذكر المشيئة والمراد ما
هي تابعة له ومسببة عنه كانه قيل ولو لزم العمل بالآيات لرفعناه بها ولكن استدرك المشيئة بقوله
ولكنه اخلد الى الارض والاخلاد فعله فوجب ان يكون في معنى ما هو فعله اي في معنى العمل بها والا
وجب ان يقال ولو شئنا لرفعناه ولكنا لم نشأ **واتبع هواه** اي انقاد لما دعاه اليه معرضا عن
العمل بالعلم **فمثله كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث** اي فصفته التي هي مثل في
الخسة والضعة كصفة الكلب في اخس احواله واذلها وهي حال دوام اللهث به واتصاله
سواء حمل وهيج وطرد او لم يحمل بان ترك فلم يتعرض له بطرد ولا تحريك وذلك ان سائر الحيوان لا يكون
منه اللهث الا اذا هيج وحرك والا لم يلهث والكلب يتصل لهثه في الحالتين جميعا وكان حق
الكلام ان يقال ولو شئنا لرفعناه ولكنه اخلد الى الارض فحططناه ووضعنا منزلته فوضع قوله
فمثله كمثل الكلب موضع فحططناه ابلغ حط لان تمثيله بالكلب في اخس احواله واذلها في معنى
ذلك وعن ابن عباس الكلب منقطع الفؤاد يلهث ان حمل عليه او لم يحمل وقيل معناه ان وعظته
فهو ضال وان لم تعظه فهو ضال كالكلب ان طردته فسعى لهث وان تركته على حاله لهث وقوله
ان تحمل عليه شرطية كانه قيل فمثله في الذلة ووضعه المنزلة كمثل الكلب ذليلا دائم الذلة
لاهثا طردته او تركته وقيل لما دعا بلعم على موسى خرج لسانه فوقع على صدره وجعل يلهث
كما يلهث الكلب **ذلك** المثل المذكور **مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا** من اليهود بعدما
قرأوا صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم في التوراة وذكر القرآن المعجز وما فيه وبشروا الناس
باقتراب مبعثه **فاقصص** يا محمد **القصص** وهو قصص بلعم الذي هو نحو قصصهم على اليهود
وعلى قومك **لعلهم يتفكرون** فيحذروا مثل عاقبته اذا ساروا نحو سيرته وزاغوا شبه زيغه
وليعلموا يا محمد بتفكرهم انك علمته من جهة الوحي فيزدادوا ايقانا بك ويزدادوا الحجة لزوما لهم
ساء مثلا القوم اي بئس المثل مثل القوم **الذين كذبوا بآياتنا** المنكرين بآياتنا **وأنفسهم**
كانوا يظلمون اي عاقبة ذلك تعود عليهم فلا تتعداهم الى غيرهم **من يهد الله** اي من
يوفقه لطاعته **فهو المهتدي** على الحقيقة لانه يقبل الهدى **ومن يضلل** اي يخذل
ويحكم عليه بالضلال لانه لا يقبل الهدى **فأولئك هم الخاسرون** لانفسهم ولثواب الله
ولقد ذرأنا لجهنم اي خلقنا لها **كثيرا من الجن والإنس** وهم المطبوع على قلوبهم
الذين علم الله انهم لا يقبلون اللطف والتوفيق يختارون الضلال على الهدى ويشتغلون باعمال

اهل النار جعلهم الله لشدة تمكنهم في الكفر واعراضهم في موجبات النار من الكفار مخلوقين
للنار دلالة على انهم لا ياتي منهم الا الشر الموجب لدخول النار بعمل المراعرق في امراي او عادته
او اكبر سنه ما خلقوا له الا الكد اما بالعة في ممكنة منه وملابسة له **لهم قلوب لا يفقهون بها**
ولهم اعين لا يبصرون بها ولهم اذان لا يسمعون بها جعلهم الى انهم لا يلقون اذهانهم الى معرفة
الحق ولا ينظرون بعيونهم الى ما خلق الله نظر اعتبار ولا يسمعون ما يتلى عليهم من ايات الله سماع تدبر
كانهم عدموا القلوب وابصار العيون واسماع الاذان والمراد وصف حال اليهود في عظم ما
اقدموا عليه من تكذيب رسول الله صلى الله عليه وآله مع علمهم بانه النبي الموعود به وانهم من جملة
الكفرة الذين لا يكاد الايمان يتاتى منهم كانهم خلقوا للنار **اولئك كالانعام** اي كالبهائم في
عدم الفقه والنظر للاعتبار والاسماع للتدبر **بل هم اضل** من الانعام عن الفقه والاعتبار
والتدبر وعمل لان الانعام تبصر منافعها ومضارها فتلزم بعض منافعها وتجتنب بعض مضارها
وهؤلاء يعلم اكثرهم انه معاند مبطل مكابر فيقدم على النار **اولئك هم الغافلون** الكاملون
في الغفلة عما خلقوا له من طاعة الله تعالى **ولله الاسماء الحسنى** التي هي احسن الاسماء
لانها تدل على معان حسنة من تحميد وتقديس وتعظيم وغير ذلك **فادعوه بها** اي سموه بتلك
الاسماء الحسنة **وذروا الذين يلحدون في اسمائه** اي واتركوا تسمية الذين يميلون عن الحق
والصواب فيها فيسمونه بغير الاسماء الحسنى وذلك ان يسموه بما لا يجوز عليه كما سمعنا البدو كلهم
يقولون يا ابا المكارم يا ابيض الوجه يا سخي وبجوز ان يراد وبذلك الاوصاف الحسنى وهو الوصف
بالعدل والخير والاحسان ⁜ وان تعالى شبه الخلق فصفوه بها وذروا الذين يلحدون في
اوصافه فيصفونه بمشابهة القبائح وخلق الفحشاء والمنكر وبما يدخل في التشبيه كالرؤية
وقيل الحادهم في اسمائه تسميتهم للاصنام آلهة واشتقاقهم اللات من الله والعزى من العزيز
ثم توعد الملحدين بقوله **سيجزون ما كانوا يعملون** اي سيجزون عقاب اعمالهم **وممن خلقنا امة**
اي جماعة **يهدون بالحق** اي بكلمة الحق ويعملون باعمال اهل الجنة لانهم يقبلون اللطف
والتوفيق **وبه** وبالحق **يعدلون** في الحكم فلا يجورون فيه وعن النبي صلى الله عليه وآله انه كان
يقول اذا قرأها هذه لكم وقد اعطي القوم من ابديكم مثلها يعني قوم موسى في قوله ومن قوم موسى
امة يهدون بالحق وبه يعدلون وعنه عليه السلام ان من امتي قوما على الحق حتى ينزل عيسى وعن الكلبي
هم الذين امنوا من اهل الكتاب وقيل هم العلماء والدعاة الى الدين **والذين كذبوا باياتنا**
هي معجزات محمد صلى الله عليه وآله **سنستدرجهم من حيث لا يعلمون** اي سنبدنيهم قليلا
قليلا الى ما يهلكهم ونضاعف عقابهم مما يريدهم وذلك ان يتابع الله عليهم نعمة مع انغماسهم
في المعاصي والضلال فكلما جدد عليهم نعمة ازدادوا بطرا وجددوا معصية فيتدرجون في

النعي الذي ينعى على الغير ولا يعقله اي بالتعف وتستكف والعوه عندهم المدح بتبجح على الكسائل

المعاصي بسبب ترادف النعم ظانين ان تتابع النعم عليهم تفضل لهم من الله وتقرب حيث من
ثم لم يتصل بما عن همة ولبس كما ظنوا وانما ذلك خذلان من الله وتبعيد من رحمته واستدراج الى
ما يهلكهم حتى ياتيهم الموت على غرة فنعوذ بالله من استدراجه **واملي لهم** اي وامهلهم في الاستدراج
وابدلهم **ان كيدي متين** الكيد هو الاحتيال في الاصابة بمكروه على وجه لا يشعر به وسمى الاستدراج
كيدا لانه شبيه بالكيد من حيث انه في الظاهر احسان وفي الحقيقة خذلان والمتين القوي
الذي لا يطيقه **اولم يتفكروا** هذا انكار عليهم في عدم التفكر في احوال النبي صلى الله عليه وآله وسلم
ومعجزاته الدالة على صدقه **ما بصاحبهم** هو محمد صلى الله عليه وآله **من جنة** اي من جنون وكانوا
يقولون شاعر وعن قتادة ان النبي صلى الله عليه وآله علا الصفا فدعاهم فخذا فخذا يحذرهم عذاب
الله فقال قائلهم ان صاحبكم هذا المجنون بات يهوت الى الصباح اي ينادي والمعنى هلا يريدوا
في حال النبي صلى الله عليه وآله ليعلموا ان ليس به جنون **ان هو الا نذير مبين** اي ينذركم من عقاب
من ايتم عليه طاهرا لانذار بين له بالمعجزات الدالة على صدقه في انذاره **اولم ينظروا** نظر
استدلال **في ملكوت السماوات والارض** اي فيما يدل عليه من عظم الملك والملكوت الملك
العظيم ليعلموا ان من قدر على ذلك قدر على البعث **وما خلق الله من شيء** اي وينظروا فيما خلق الله
مما يقع عليه اسم الشيء من اجناس لا يحصرها العدد ولا يحيط بها الوصف وهي جميع مخلوقات الله تعالى
وان عسى ان يكون قد اقترب اجلهم والمعنى اولم ينظروا في ان الشان لعل الذي هم عنه
غافلون عسى ان يكون قد اقترب اجلهم اي وقت موتهم ولعلهم يموتون عن قريب فيسارعوا الى النظر
وطلب الحق وما ينجيهم قبل مفاجأة الاجل ونزول العقاب **فباي حديث بعده** اي بعد القران
يؤمنون كانه قيل لعل اجلهم قد اقترب فما لهم لا يبادرون الايمان بالقران قبل الفوت وما
ذا ينتظرون بعد وضوح الحق واي حديث احق منه ان يؤمنوا به **من يضلل الله فلا هادي له**
اي من يخذله الله لا يمنحه التوفيق كانه لا يقبله فلا يوجد له من يهديه لما سبق في علم الله انه لا
يهتدي لاحد **ونذرهم** اي نتركهم يعني الذين تناولهم قوله من يضلل الله **في طغيانهم** كفرهم
وعصيانهم وزيادة ظلمهم **يعمهون** يترددون في عمى الراي في امر دينهم والعمه عمى الراي خاصة
والعمى عام في الراي والبصر **يسألونك** يا محمد **عن الساعة** قيل ان قوما من اليهود قالوا
اخبرنا يا محمد متى الساعة ان كنت نبيا فانا نعلم متى هي وكان ذلك امتحانا منهم مع علمهم ان الله تعالى
قد استاثر بعلمها وقيل السائلون قريش والساعة علم اسم للقيامة سميت بالساعة لوقوعها بغتة
او لانها عند الله على طولها كساعة من الساعات عند الخلق **ايان مرساها** اي متى ارساؤها
يعني وقت ارسائها اي اثباتها واستقرارها والمعنى حصولها ومجيئها **قل** لهم يا محمد **انما علمها عند
ربي** اي علم وقت ارسائها عنده قد احتفظ به واستاثر بعلمه لم يخبر به احدا من ملك مقرب ولا

نبي مرسل يكاد يخفيها من نفسه ليكون ذلك ادعى للعباد الى الطاعة وازجر عن المعصية كما اخفى
الاجل الخاص وهو وقت الموت لذلك **لا يجليها لوقتها الا هو** اي لا تزال خفية ولا
يظهر امرها ولا يكشف خفاء علمها الا هو وحده **ثقلت في السموات والارض** اي ثقل
خفاؤها وشق على جميع اهل السموات والارض من كل الملائكة والثقلين اهمه شان الساعة
ويتمنى ان يتجلى له علمها او ثقلت فيها لان اهلها يتوقعونها ويخافون شدائدها واهوالها او لان
كل شيء لا يطيقها ولا يقوم لها فهي ثقيلة في السموات والارض **لا تأتيكم الا بغتة** يعني الا
فجأة على غفلة منكم وعن النبي صلى الله عليه وسلم ان الساعة تهيج بالناس والرجل يصلح حوضه
والرجل يسقي ماشيته والرجل يقوم سلعته والرجل يخفض ميزانه ويرفعه يعني في اعمال الدنيا
مستعدين لوقوعها لاهين بامور دنياهم **يسألونك كأنك حفي عنها** اي كأنك عالم بها
وحقيقته كأنك بليغ في السؤال عنها لان من بالغ في السؤال عن الشيء استحكم علمه فيه واصله
معناه المبالغة وقرأ ابن مسعود كأنك حفي بها اي عالم بها بليغ في العلم بها وقيل التقدير
يسألونك عنها كأنك حفي والحفي العالم الذي يعلم الشيء باستقصاء والحفي في السؤال الملح
وقيل ان قريشا قالوا ان بيننا وبينك قرابة فقل لنا متى الساعة وقيل يسألونك عنها كأنك
حفي اي بليغ البر بهم تتحفى بهم فتخصهم بتعليم وقتها لاجل القرابة ولا تعلم ولو اخبرت بوقتها
لمصلحة عرفها الله في اخبارك به لكنت مبلغه القريب والبعيد من غير تخصيص كسائر ما اوحي
اليك **قل** يا محمد **انما علمها عند الله** كرر يسألونك وانما علمها عند الله للتأكيد لما جاءه
من زيادة قوله كأنك حفي عنها وعلى هذا تكرير العلماء الحذاق في كتبهم لا يخلون المكرر من
فائدة زائدة **ولكن اكثر الناس لا يعلمون** ان الله هو المختص بالعلم بها **قل لا املك
لنفسي نفعا ولا ضرا** هذا اظهار للعبودية والانتفاء عما يختص بالربوبية من علم الغيب اي
انا عبد ضعيف لا املك لنفسي اجتلاب نفع ولا دفع ضر كسائر المماليك والعبيد **الا ما شاء الله**
ربي ومالكي من النفع والدفع عني **ولو كنت اعلم الغيب** الذي لا يعلمه الا الله تعالى **لاستكثرت
من الخير** اي من المنافع **وما مسني السوء** يعني من جهة الاعداء لاني كنت اعلمه فاحذر منه
والمعنى اي لو كنت اعلم الغيب لكانت حالي على خلاف ما هي عليه من استكثار الخير واستعزاز
المنافع واجتناب السوء والمضار حتى لا يمسني شيء منها ولم اكن غالبا مرة ومغلوبا اخرى في الحروب
وراجحا وخاسرا في التجارات ومصيبا ومخطئا في التدابير **ان انا الا نذير وبشير** اي ما انا الا عبد
منذر من العقاب ومبشر بالثواب وليس من شاني ان اعلم الغيب **لقوم يؤمنون** يصدقون
ويعترفون وهو نذير وبشير للكل لكن خص المؤمنين لان النذارة والبشارة لا ينفعان الا
فيهم **هو الذي خلقكم من نفس واحدة** وهي نفس ادم عليه السلام **وجعل منها زوجها**

وهي حواء خلقها من جسد ادم من ضلع من اضلاعه **ليسكن اليها** اي ليطمئن اليها ويميل ولا
ينفر لان الجنس الى الجنس اميل وبه انس واذا كانت بعضا منه كان السكون والمحبة ابلغ كما يسكن
الانسان الى ولده ويحبه محبة نفسه لكونه بضعة منه **فلما تغشاها** التغشي كناية عن الجماع
ومثله الغشيان والاتيان **حملت حملا خفيفا** خف عليها ولم تلق منه ما تلقى بعض الحبالى من
حملهن من الكرب والاذى ولم تستثقله كما يستثقلنه وقد تسمع بعضهن تقول في ولدها ما كان
احمله على كبدي حين حملته **فمرت به** اي مضت به الى وقت ميلاده من غير اخداج ولا ازلاق
وقيل حملت حملا خفيفا يعني النطفة فمرت به فقامت به وقعدت وقرأ ابن عباس فاستمرت به
وقرئ فمارت به من المرية ومعناه فوقع في نفسها ظن الحمل وارتابت به **فلما اثقلت** اي
حان وقت ثقل حملها وقرئ اثقلت اي اثقلها الحمل **دعوا الله ربهما** اي دعا ادم وحواء
ربهما ومالك امرهما الذي هو الحقيق بان يدعى ويلتجأ اليه فقالا **لئن اتيتنا** اي وهبت لنا
صالحا ولدا سويا قد صلح بدنه وبرأ اي تم واستوى بشرا سويا وقيل ولدا ذكرا لان الذكورة
من الصلاح والجودة **لنكونن** جواب قسم محذوف تقديره والله لئن اتيتنا لنكونن **من الشاكرين**
لنعمتك بهذا الولد الصالح ولغيرها من النعم **فلما اتاهما صالحا** اي ما طلباه من الولد
الصالح التام الخلقة **جعلا له شركا فيما اتاهما** اي جعل اولادهما له شركاء فيما اتاهما
اي اتى اولادهما لا بد من هذا التقدير لان ادم وحواء بريئان من الشرك وقد دل على ذلك قوله
تعالى الله عما يشركون اي تنزه الله تعالى علوا عن وصف المشركين فاتى بلفظ الجمع مع العلم
ببراءتهما عن الشرك ومعنى اشراكهم فيما اتاهم تسميتهم اولادهم بعبد العزى وعبد مناة وعبد
شمس فسموهم عبيدا لهذه الاصنام مكان عبد الله وعبد الرحمن وعبد الرحيم ووجه اخر وهو ان يكون
الخطاب لقريش الذين كانوا في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم ال قصي ويراد وهو الذي
خلقكم من نفس قصي وجعل من جنسها زوجها عربية قرشية ليسكن اليها فلما اتاهما ما طلبا
من الولد الصالح جعلا له شركا فيما اتاهما حيث سميا اولادهما بعبد مناف وعبد العزى وعبد
قصي وعبد الدار وقوله عما يشركون المراد به هما واعقابهما الذين اقتدوا بهما في الشرك وهذا
تفسير حسن لا اشكال فيه **ايشركون ما لا يخلق شيئا** هذا انكار عليهم لاشراكهم الاصنام
في الالهية والمعنى ايشركون الاصنام وهي لا تقدر على خلق شيء كما يخلق الله **وهم يخلقون** اي
الاصنام لانها من جملة مخلوقات الله واجراها مجرى اولي العلم في جمعها بالواو والنون بناء على
اعتقادهم فيها وتسميتهم لها الهة **ولا يستطيعون لهم نصرا** اي لا تقدر ان تنصرهم على
نصر **ولا انفسهم ينصرون** اي ولا تقدر الاصنام على نصر انفسها بدفع ما يقع عليها من الحوادث
لانها جماد بل عبدتهم هم الذين يدفعون عنهم ويحامون عليهم والاصنام التي سموها الهة اعجز

وَإِنْ تَدْعُوهُمْ اي وان تدعو هذه الاصنام من عبدتها ذكيف نصح قولهم انها الهة

الى الهدى اى الى ان يهدوكم الى الخير والمعنى ان تطلبوا منهم كما تطلبون من الله الخير والهدى

لا يتبعوكم الى مرادكم وطلبتكم يعنى انهم لا يجيبونكم كما يجيبكم الله ويدل عليه قوله بعده

سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنْتُمْ صَامِتُونَ يعنى ان كنتم ساكتين سواء الكم ان دعوتموهم ولم تدعوهم

والمعنى سواء الدعاء والسكوت عليكم ادعوتموهم ام صمتم عن دعائهم فى انه لا فلاح معهم

إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ اى تعبدون وتسمونهم الهة عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ اى مملوكون لله تعالى

وفيه استهزاء بهم اى غاية امرهم ان يكونوا احياء عقلاء فان ثبت ذلك لهم لا يحيون

فَادْعُوهُمْ اى الى ان يهدوكم الى الخير فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ هم عباد امثالكم لا تفاضل بينكم وبينهم

اى دعاءكم كما يستجيب لكم ربكم إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ فى تسميتهم الهة وهذا توبيخ واشارة

الى انهم لا يسمعون ولا يعقلون والهها رسخ بحجرهم أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا

أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا هذا ابطال لكونهم عبادا امثالهم

لانسلاخهم عن صورة العقلاء وضعفهم لعدم الارجل الماشية والايدى الباطشة والاعين

المبصرة والاذان السامعة قُلْ لهم يا محمد ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ اصنامكم لتستعينوا بهم فى

عداوتى ثُمَّ كِيدُونِ اى احتالوا فى دفع الضرر على جميعا انتم وشركاؤكم فَلَا تُنْظِرُونِ

اى فلا تمهلونى فانى لا ابالى بكم قال النبى صلى الله عليه وآله هذا وهو واثق بعصمة الله عز وجل

وكانوا قد خوفوه الهتهم فامر ان يخاطبهم بذلك إِنَّ وَلِيِّيَ اللَّهُ اى ناصرى عليكم الله

الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ اى الذى اوحى الى كتابه واعزنى برسالته وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ

اى ومن عادته ان ينصر الصالحين من عباده وانبيائه ولا يخذلهم اذا دعوه وَالَّذِينَ تَدْعُونَ

من دونه وهى الاصنام لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ اى لا يقدرون على الدفع عنكم

وَلَا أَنْفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ اى ولا يقدرون على نصر انفسهم لانهم اعجز منكم وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى

اى الى ان يهدوكم لَا يَسْمَعُوا دعاءكم ولا يجيبوكم وَتَرَاهُمْ يا محمد يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ اى يشبهون

الناظرين لانهم صوروا اصنامهم بصورة من قلب حدقته الى الشىء ينظر اليه وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ

اى لا بد ان يكون المرئى كالمدرك الحى البصير خُذِ الْعَفْوَ هو السهل من الامور اى خذ ما

عفى لك من افعال الناس واخلاقهم وما سهل منهم من غير كلفة ولا تطلب منهم الجهد وما يشق

عليهم حتى لا ينفروا كقوله صلى الله عليه وآله يسروا ولا تعسروا وقيل العفو الفضل

وما يسهل من صدقات الناس وذلك قبل نزول اية الزكوة فلما نزلت امره ان ياخذها طوعا او كرها

وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ هو المعروف والجميل من الافعال وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ اى احلم عنهم واصبر على

سوء اخلاقهم ولا تعرض لمكافاتهم بمثل سفههم ولا يمارهم قيل لما نزلت قال النبى صلى الله عليه وآله

لجبرئيل

لجبرئيل ما هذا فقال لا ادرى حتى اسال ثم رجع فقال يا محمد ان ربك امرك ان تصل من قطعك

وتعطى من حرمك وتعفو عمن ظلمك وعن جعفر الصادق عليه السلام امر الله نبيه فى هذه الاية بمكارم

الاخلاق وليس فى القران اية اجمع لمكارم الاخلاق منها وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ

اى يحثنك منه كثير بان يغريك على خلاف ما امرت به من المعاصى والنزغ والنسغ والغرز

كانه ينخس الناس حين يحثهم على المعاصى ويحركهم لفعلها وقيل النزغ الازعاج بالاغواء فَاسْتَعِذْ

بِاللَّهِ اى اعتصم به والتجئ اليه واستجر بالله من وسوسته ولا تطعه إِنَّهُ سَمِيعٌ لاستعاذتك عَلِيمٌ

بوسوسته او يسمع لقولك عليم بمصالحك فيسرك روى لما نزل خذ العفو قال

صلى الله عليه وآله كيف يا رب والغضب اى كيف اعمل بها مع الغضب فنزلت واما ينزغنك ويحتمل

ان يراد بنزغ الشيطان ما يعرض من الغضب إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا الكفر والمعاصى إِذَا مَسَّهُمْ

طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ اى اصابهم بعض نزغ منه يطوف عليهم تَذَكَّرُوا ما امر الله به ونهى عنه

وقيل تفكروا فى الوعد والوعيد فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ مواقع نعم الله عليهم على الطاعة والمعاصى

او فابصروا السداد ودفعوا ما وسوس به اليهم ولم يتبعوه انفسهم وقال فى النبى صلى الله عليه وآله

واما ينزغنك وفى المتقين اذا مسهم لان النزغ اول الوسوسة ولا يمكن من النبى باكثر من ذلك

والمس لا يكون الامع التمكن من كمال الوسوسة وذلك ممكن فى غيره صلى الله عليه وآله

وفى هذه الاية تاكيد وتقرير لما تقدم من وجوب الاستعاذة بالله عند نزغ الشيطان

وان المتقين هذه عادتهم اذا اصابهم ادنى نزغ من الشيطان والمام بوسوسته وَإِخْوَانُهُمْ

اى واما اخوان الشياطين الذين ليسوا بمتقين فان الشياطين يَمُدُّونَهُمْ فِي الْغَيِّ اى يكونون

مددا لهم فيه ويعضدونهم والمد الزيادة والغى الضلال والمعنى يزيدونهم فى الضلال

ويعاونونهم عليه ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ اى لا يمسكون عن اغوائهم حتى يصروا ولا يرجعوا وقيل لا

يكف هؤلاء عن الاغواء وهؤلاء عن الشيا وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِمْ يا محمد بِآيَةٍ مما اقترحوا قَالُوا

لَوْلَا اجْتَبَيْتَهَا اى هلا جمعتها من عند نفسك وافتريتها لانهم كانوا يقولون ان هذا الا افك

مفترى وهلا اخذتها منزلة عليك او هلا افتعلتها من نفسك قال الفراء تقول العرب

اجتبيت الكلام واختلقته والمعنى واذا لم تاتهم باية من الايات التى يقترحوا فى طلبها

لولا اجتبيتها اى هلا اخترت بها عادر ما طلب منك قُلْ لهم إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يُوحَى إِلَيَّ مِنْ رَبِّي

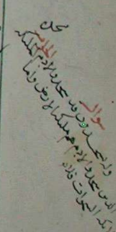
اى ليس الامر الى ولست بمقترح للايات من عند نفسى ولست بطالب لها على مشتهى وسؤلكم

هَذَا يعنى القران بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ اى حجج بينة بمنزلة بصائر القلوب والبصيرة نور

القلب الذى يستبصر به وَهُدًى اى دلالة توصل الناظر الى الحق وتهديه الى الرشاد

وَرَحْمَةٌ اى نعمة فى الدين والدنيا لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ خصهم لانهم المنتفعون به وَإِذَا قُرِئَ

فاستمعوا له وانصتوا ظاهره وجوب الاستماع والانصات وقراءة القرآن في صلوة وغير صلوة
وقيل كانوا يتكلمون فنزلت ثم صارت سنة في غيره الصلوة ان ينصت القوم اذا كانوا في مجلس
وقيل معناه واذا تلى عليكم الرسول القرآن عند نزوله وقيل معناه فاستمعوا
تعرافيه القرآن وقيل معناه لعلكم ترحمون بسبب الاستماع والانصات ۝ واذكر
له اي اعملوا بما فيه ولا تجاوزوه
ربك في نفسك هو عام في الاذكار في قراءة القرآن والدعا والتسبيح والتهليل وقيل القراءة
في الصلوة تضرعا خشعا وتذللا من تقصيرا ومن معصيته وخيفة من عقابه وقيل تضرعا
جهرة وقرئ خفية سرا ودون الجهر من القول يعني ما بين الاخفاء والجهر ولا يبلغ الجهد
المكروه فيهما والمعنى ذكره متذللا له وخائفا منه ومتكلما كلاما دون الجهر ومخافتة لان
الاخفاء ادخل في الاخلاص واقرب الى حسن التفكر بالغدو هي الغدوات والآصال
جمع اصل واصل جمع اصيل وهو ما بين العصر والمغرب والمراد دوام الذكر وقد خص
هذين الوقتين اول اليوم وآخره لفضلهما ولا تكن من الغافلين ۝ اي من الذين يغفلون
عن ذكر الله ويسهون عنه وقيل الغافلين عن غير القرآن وقيل لا تدعوه غافلا ان الذين
عند ربك هم الملئكة صلوات الله عليهم ومعنى عند دنوا المنزلة وارتفاع الدرجة والمعنى
ان الملئكة هم بالقرب من رحمة الله وفضله عليهم لتوفرهم على طاعته واشتغالهم بها لا
يستكبرون عن عبادته اي لا يستكبرون عنها ويتضعضعون حالهم عندها ويسبحونه
ينزهونه بالتسبيح عما لا يليق به ولا يجوز عليه من القبائح وله يسجدون اي يخصونه بالعبادة
لا يشركون به غيره وهو تعريض بمن سواهم من المكلفين ولا خلاف انها سجدة تلاوة وهي سنة
على مذهب ائمتنا ومذهب ش وعند ح ولا يسجد في فريضة الا بعد الفراغ واختاره ح والدنيا
المؤيد بالله يحيى حمزة قدس الله روحه ۝ وروى ان اجماع اهل البيت انما المشروع فيها تسبيح سجود
الصلوة والاولى الجمع بينه وبين الدعا المشروع وهو ان يقول سجد وجهي للذي خلقه
وصوره وشق سمعه وبصره بحوله وقوته تبارك الله احسن الخالقين اللهم اجعلها لي عندك
ذخرا واكتبها لي عندك اجرا وضع بها عني وزرا واقبلها مني كما قبلتها من عبدك داود عليه
وشرط ذلك باعتبار ائمتنا ما يشترط في الصلوة من الطهارة وستر العورة وخالفه اخوه
وصاحب الوافي والعفو في القبلة انها شرط وصورتها ان يكبر ويسجد ويرفع راسه مكبرا
وهو بالخيار عند ابي ح ان شاء ركع وان شاء سجد ولا تسليم بعدها ولا تشهد خلافا لليث
وفي الحديث عنه صلى الله عليه وآله اذا قرأ ابن آدم السجدة وسجد اعتزل
الشيطان يبكي يقول يا ويله امر بالسجود فسجد فله الجنة وامرت بالسجود فعصيت فلي النار
وعنه ما من عبد يسجد لله الا رفع الله له درجة في الجنة وحط عنه بها خطيئة ۝



الانفال
ربع

سورة الانفال مدنية وهي خمس وسبعون آية
بسم الله الرحمن الرحيم
يسألونك عن الانفال هي الغنائم لانها من فضل الله وعطائه
والنفل ما ينفله الغازي اي يعطاه زايدا على سهمه من المغنم روي انه وقع اختلاف بين المسلمين
في غنائم بدر وفي قسمتها فسألوا رسول الله صلى الله عليه وآله كيف تقسم ولمن الحكم في قسمتها المهاجرين
ام للانصار ام لهم جميعا فنزلت قل لهم يا محمد الانفال لله والرسول اي يضعها كيف شاء وهو
الحاكم فيها وحده لا حكم لاحد غيره وقيل شرط رسول الله صلى الله عليه وآله لمن كان له بلاء في ذلك
اليوم ان ينفله فتسارع شبانهم حتى قتلوا سبعين واسروا سبعين وبقي الشيوخ تحت الرايات فلما
فتح الله عليهم اختلفوا وتنازعوا فقال الشبان نحن المقاتلون وقال الشيوخ لا تذهبوا به دوننا
لانا كنا ردا لكم وفئة تنحازون اليها ان انهزمتم وقالوا للرسول صلى الله عليه وآله المغنم قليل
والناس كثير وان تعط هؤلاء ما شرطت لهم حرمت اصحابك وجرى كلام كثير فنزلت وقسمه النبي صلى
الله عليه وآله بالتسوية ۝ وعن عبادة لما ساءت اخلاقنا يوم بدر نزعه الله من ايدينا وجعله الى رسوله
فقسمه بيننا على سواء اي سوا ۝ وعن سعد بن ابي وقاص قتل اخي عمير يوم بدر فقتلت به سعيد بن العاص
واخذت سيفه فاعجبني فجئت به الى رسول الله صلى الله عليه وآله فقلت ان الله شفا صدري من المشركين
فهب لي هذا السيف فقال صلى الله عليه وآله ليس لي ولا لك اطرحه في القبض فطرحته وبي ما لا يعلمه الا
الله من قتل اخي واخذ سلبي فما جاوزت الا قليلا حتى جاءني رسول الله صلى الله عليه وآله فقلت اكان الله شفا
صدري وقد انزلت سورة الانفال فقال يا سعد انك سألتني السيف وليس لي وانه قد صار لي
فاذهب فخذه ومعنى الجمع بين ذكر الله والرسول ان حكمها مختص بالله وحده ورسوله يمتثل امر
الله فيها ويأمر بقسمتها على ما تقتضيه حكمة الله ومشيئته وليس الامر في قسمتها مفوضا الى رأي
احد غيره والمراد ان الذي اقتضته حكمة الله وامر به رسوله ان يواسي المقاتلة المشروط لهم التنفيل
الشيوخ الذين كانوا عند الرايات فقاسموهم على التسوية ولا يستأثروا بما شرط لهم
فانهم ان فعلوا لم يؤمن ان يقدح ذلك فيما بين المسلمين من التحاب والمودة والتصافي فاتقوا الله في
الاختلاف والتخاصم وكونوا اخوانا في الله واصلحوا ذات بينكم بالمساعدة في قسمة ما رزقكم الله
وتفضل به عليكم وتساعدوا وتشاوروا وتواسوا وعن عطا كان الاصلاح بينهم ان دعاهم وقال اقسموا غنائمكم
بالعدل والتسوية فقالوا قد اكلنا وانفقنا فقال ليرد بعضكم على بعض ومعنى ذات بينكم احوال
بينكم يعني اصلحوا ما بينكم من الاحوال حتى يكون احوال محبة والفة واتفاق واطيعوا الله فيما
اراد منكم من التسوية في الغنيمة بينكم ورسوله فيما حكم فيها وامركم به ان كنتم مؤمنين اي
كاملي الايمان
قال رضي الله عنه وقد جعل الله التقوى واصلاح ذات البين

وطاعته وطاعة رسوله من لوازم الايمان وموجباته ليعلمهم ان كمال الايمان موقوف على التوفر
عليها إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ اى انما الكاملو الايمان الذين هذه صفتهم وهى
انهم اذا ذكر الله اى ذكر جلاله ومهابته للعصاة وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ اى فزعت وعن ام الدرداء الوجل
فى القلب كاحتراق السعفة اما تجد له قشعريرة قال بلى قال فادع الله فان الدعاء يذهبه والمعنى
وجلت قلوبهم لذكره استعظاما له وتهيبا من جلاله وعزه سلطانه وبطشه بالعصاة وعقابه
وهذا الذكر خلاف الذكر فى قوله ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله لان ذلك ذكر رحمته ورأفته
وثوابه وقيل هو الرجل يريد ان يظلم او يهم بمعصية فيقال له اتق الله فينزع وَإِذَا تُلِيَتْ
عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ اى قرئت عليهم زَادَتْهُمْ إِيمَانًا اى ازدادوا بها يقينا وسكون نفس لان تظاهر الادلة
اقوى للمدلول عليه واثبت لقدمه وقد حمل على زيادة العمل وعن ابى هريرة الايمان بضع وسبعون
شعبة اعلاها شهادة ان لا اله الا الله وادناها اماطة الاذى عن الطريق والحياء شعبة
من الايمان وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ يعنى لا يفوضون امورهم الى غير ربهم لا يخشون ولا يرجون
الا اياه الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ يعملونها كاملة وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ يتصدقون بما رزقهم
الله وصفهم بانهم يجمعون بين اعمال القلوب من الخشية والاخلاص والتوكل وبين اعمال الجوارح
من الصلوة والصدقة ثم اثنى عليهم بقوله أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا اى ايمانا حقا وعن الحسن
ان رجلا سأله أمؤمن انت قال الايمان ايمانان فان كنت تسألنى عن الايمان بالله وملائكته
وكتبه ورسله واليوم الآخر والجنة والنار والبعث والحساب فانا مؤمن وان كنت تسألنى
عن قوله انما المؤمنون فوالله لا ادرى امنهم انا ام لا وعن الثورى من زعم انه
مؤمن بالله حقا ثم لم يشهد انه من اهل الجنة فقد آمن بنصف الآية وهذا الزام منه يعنى كما
لا يقطع بانه من اهل ثواب المؤمنين حقا فلا يقطع بانه مؤمن حقا وبهذا تعلق من يستثنى فى الايمان
قيل هو مذهب ابن مسعود وجماعة من الصحابة والتابعين وانكره ابو حنيفة لانه يوهم الشك
والايمان متيقن وحمل الاول على ان المراد عند الموت لان الانسان لا يعلم بم يختم له وكان
ممن لا يستثنى فى الايمان وحكى عنه انه قال لقتادة لم تستثنى فى ايمانك قال اتباعا لابراهيم فى
قوله اطمع ان يغفر لى خطيئتى لان الطمع فى معنى الاستثناء فقال له هلا اقتديت به فى قوله اولم
تؤمن قال بلى لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ اى شرف وكرامة وعلو منزلة وَمَغْفِرَةٌ اى تجاوز لسيئاتهم
وسترها بالمغفرة وَرِزْقٌ كَرِيمٌ هو نعيم الجنة يعنى لهم منافع حسنة دائمة على سبيل التعظيم
وهذا معنى الثواب كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ اى كما يتعلق بمحذوف وتقديره هذه
الحال كحال اخراجك يعنى ان حالهم فى كراهة ما رأيت من تنفيل الغزاة مثل حالهم فى كراهة
خروجك للحرب ومن بيتك يريد بيته بالمدينة او المدينة نفسها لانها مهاجره ومسكنه بها

بيته لاختصاصه بها كاختصاص البيت بساكنه وقال كما اخرجك ربك لانه خرج بارادة الله
وتوجيهه وكان لما اخرجه بالحق اى اخراجا ملتبسا بالحكمة والصواب الذى لا محيد عنه وَإِنَّ فَرِيقًا
لَكَارِهُونَ اى اخرجك فى حال كراهة جماعة من المؤمنين نحو وكرههم لما فى القتال من المشقة وكانت
الكراهة من بعض المؤمنين لا من كلهم لقوله من المؤمنين اى بعضهم وقيل كرهوا قبل العلم بانه يعنى
امرهم وذلك ان عير قريش اقبلت من الشام فيها تجارة عظيمة ومعها اربعون راكبا منهم ابو سفيان
وعمرو بن العاص وعمرو بن هشام فاخبر جبريل رسول الله صلى الله عليه وآله فاخبر المسلمين فاعجبهم
تلقى العير لكثرة الخير وقلة القوم فلما خرجوا بلغ اهل مكة خبر خروجهم فنادى ابو جهل فوق
الكعبة يا اهل مكة النجا النجا على كل صعب وذلول عيركم اموالكم ان اصابها محمد لن تفلحوا
بعدها ابدا وقد رأت اخت العباس بن عبد المطلب رؤيا فقالت لاخيها انى رأيت عجبا كأن ملكا
نزل من السماء فاخذ صخرة من الجبل ثم حلق بها اى رفعها فلم يبق بيت من بيوت مكة الا اصابه حجر من تلك
الصخرة فحدث بها العباس فقال ابو جهل ما يرضى رجالهم ان يتنبأوا حتى تتنبأ نساؤهم فخرج ابو جهل
بجميع اهل مكة وهم النفير فقيل له ان العير اخذت طريق الساحل ونجت فارجع بالناس
الى مكة فقال والله لا يكون ذلك ابدا حتى ننحر الجزور ونشرب الخمور ونقيم القينات والمعازف
ببدر فيتسامع جميع العرب بمخرجنا وان محمدا لم يصب العير وانا قد اعضضناه فمضى الى بدر وهو ماء
كانت العرب تجتمع فيه لسوقهم يوما من السنة ونزل جبريل فقال يا محمد ان الله وعدكم احدى الطائفتين
اما العير واما قريشا وامره بالجهاد فاستشار النبى صلى الله عليه وآله اصحابه وقال ما تقولون
ان القوم قد خرجوا من مكة على كل صعب وذلول فالعير احب اليكم ام النفير قالوا بل العير احب
الينا من لقاء العدو فتغير وجه رسول الله صلى الله عليه وآله ثم رد عليهم فقال ان العير قد مضى
على ساحل البحر وهذا ابو جهل قد اقبل فقالوا يا رسول الله عليك بالعير ودع العدو
فقام عند غضب النبى صلى الله عليه وآله ابو بكر وعمر فاحسنا ثم قام سعد بن عبادة فقال انظر
امرك فامض فوالله لو سرت الى عدن ابين ما تخلف عنك رجل من الانصار ثم قال المقداد بن عمرو
يا رسول الله امض لما امرك الله فانا معك حيث ما احببت لا نقول لك كما قالت بنو اسرائيل لموسى
اذهب انت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون ولكن اذهب انت وربك فقاتلا انا معكما مقاتلون ما
دامت عين منا تطرف فضحك رسول الله صلى الله عليه وآله ثم قال اشيروا على ايها الناس وهو يريد
الانصار لانهم قالوا له حين بايعوه على العقبة انا برآء من ذمامك حتى تصل الى دارنا
فاذا وصلت الينا فانت فى ذمامنا نمنعك مما نمنع منه ابناءنا ونساءنا فكان النبى صلى الله عليه وآله
يتخوف ان لا تكون الانصار ترى نصرته الا على عدو دهمه الى المدينة فقام سعد بن معاذ فقال
لكأنك تريدنا يا رسول الله فقال اجل فقال قد آمنا بك وصدقناك وشهدنا ان ما جئت به هو

الحق واعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة فامض يا رسول الله لما
اردت فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ما تخلف منا
رجل واحد وما نكره ان تلقى بنا عدونا انا لصبر عند الحرب صدق عند اللقا ولعل الله يريك
منا ما تقر به عينك فسر بنا على بركة الله ففرح رسول الله صلى الله عليه واله ونشطه قول سعد
ثم قال سيروا على بركة الله وابشروا فان الله قد وعدني احدى الطائفتين والله لكاني
الان انظر الى مصارع القوم **وروي** انه قيل لرسول الله صلى الله عليه واله حين فرغ
من بدر عليك بالعير ليس دونها شي فناداه عمه العباس وهو في وثاقه لا يصلح فقال له
النبي صلى الله عليه واله لم قال لان الله وعدك احدى الطائفتين وقد اعطاك ما وعدك
يجادلونك في الحق جدالهم قولهم بعد ان خرجوا للعير ما كان خروجنا الا للعير وهلا قلت
لنا لنستعد ونتاهب وذلك لكراهتهم القتال والحق الذي جادلوا فيه رسول الله صلى الله
عليه واله تلقي النفير لايثارهم عليه تلقي العير **من بعد ما تبين** اي بعد اعلام رسول الله
صلى الله عليه واله لهم بانهم ينصرون على اعدائهم وظافرون بهم **كانما يساقون الى الموت وهم**
ينظرون شبه حالهم في شدة فزعهم ورعبهم وهم يسار بهم الى الظفر والغنيمة بحال من يقاد الى
القتل ويساق الى الموت المتيقن وهو مشاهد لاسبابه ناظر اليها لا يشك فيها وقيل كان خوفهم
لقلة العدد وانهم كانوا رجالة وروي انه ما كان فيهم الا فارسان **واذ يعدكم الله احدى**
الطائفتين هما العير والنفير **انها لكم** غنيمة وانتم منصورون عليها **وتودون ان**
غير ذات الشوكة تكون لكم غير ذات الشوكة العير لانه لم يكن فيها الا اربعون فارسا
والشوكة كانت في النفير لعددهم وعدتهم والشوكة حدة السلاح مستعارة من واحدة
الشوك ويقال شوك القنا لشباها اي حدها اي يتمنون ان تكون لكم العير لانها الطائفة التي لا
حدة لها ولا شدة ولا تريدون الطائفة الاخرى **ويريد الله ان يحق الحق** اي يثبته
ويعليه **بكلماته** اي باياته المنزلة في محاربة الطائفة ذات الشوكة وبما امر الملائكة
من نزولهم للنصرة وبما قضى من اسرهم وقتلهم وطرحهم في قليب بدر **ويقطع دابر الكافرين**
الدابر الاخر من دبر اذا ادبر وقطع الدابر عبارة عن الاستيصال يعني انكم تريدون الفائدة
العاجلة وسفساف الامور الدنية وتكرهون لقا العدو وان لا تلقوا ما يرزاكم في ابدانكم
واحوالكم والله عز وعلا يريد معالي الامور وما يرجع الى عمارة الدين ونصرة الحق وعلو الكلمة وظهور
الاسلام والفوز في الدارين وشتان ما بين المرادين ولذلك اختار لكم الطائفة ذات الشوكة
وكسر قوتهم بضعفكم وعلى كثرتهم بقلتكم واعزكم واذلهم وحصل لكم من الاعراض ما لا نعال
ادناه العير وما فيها **ليحق الحق ويبطل الباطل** اي ليظهر الاسلام ويبطل الكفر والمعنى

فعل ذلك وما فعله الا لهما وهو اثبات الاسلام واظهاره وابطال الكفر ومحقه وهذا ليس
بتكرير لقوله ويريد الله ان يحق الحق لان الاول تمييز بين الارادتين ارادة الله وارادتهم وهذا بيان لغرضه
عز وجل فيما فعل من اختيار ذات الشوكة على غيرها لهم ونصرهم عليها وانه ما نصرهم ولا خذل
اولئك الا لهذا الغرض الذي هو سيد الاغراض **ولو كره المجرمون** طوائف المسلمين فلا يبالوا بكراهتهم
في اظهار الحق والمجرمون العصاة تعم الكفار وغيرهم **اذ تستغيثون ربكم** اي تطلبون اغاثته
وذلك انهم لما علموا الموت انه لا بد من القتال جعلوا يدعون الله يقولون وانصرنا على عدوك يا غياث
المستغيثين اغثنا وعن عمر رضي ان رسول الله صلى الله عليه واله نظر الى المشركين وهم الف والى اصحابه
وهم ثلثمائة فاستقبل القبلة وقال اللهم انجز لي ما وعدتني اللهم ان تهلك هذه العصابة لا تعبد
في الارض فما زال كذلك حتى سقط رداوه فاخذه ابو بكر فالقاه على منكبيه والتزمه من ورائه
وقال يا نبي الله كفاك مناشدتك ربك فانه سينجز لك ما وعدك **فاستجاب لكم** اي اجاب دعاكم **اني**
ممدكم اي باني ممدكم ومرسل اليكم مددا واصله باني ممدكم فحذفت البا **بالف من الملائكة**
بدا اختلف هل قاتلت الملائكة يوم بدر فقيل نزل جبريل في خمسمائة ملك على الميمنة وفيها ابو بكر
وميكائيل في خمسمائة على الميسرة وفيها **علي بن ابي طالب عليه السلم** وهم في صورة
الرجال عليهم ثياب وعمائم بيض قد ارخوا اذنابها بين اكتافهم فقاتلت **وقيل** قاتلت يوم بدر
ولم تقاتل يوم الاحزاب ويوم حنين وعن ابي جهل انه قال لابن مسعود من اين كان ذلك الصوت الذي
كنا نسمع ولا نرى شخصا قال من الملائكة فقال ابو جهل هم غلبونا لا انتم **وروي** ان رجلا من
المسلمين بينما هو يشتد في اثر رجل من المشركين اذ سمع صوت ضربة بالسوط فوقه فنظر الى المشرك
قد خر مستلقيا وشق وجهه فحدث الانصاري رسول الله صلى الله عليه واله فقال صدقت ذلك من
مدد السما وعن ابي داود المازني تبعت رجلا من المشركين لاضربه يوم بدر فوقع راسه بين يدي قبل
ان يصل اليه سيفي **وقيل** لم يقاتلوا وانما كانوا يكثرون السواد ويثبتون المؤمنين والا فملك
واحد كاف في اهلاك اهل الدنيا فان جبريل اهلك بريشة من جناحه مدائن قوم لوط واهلك بلاد ثمود
بصيحة واحدة **مردفين** مع كل ملك ملك وقيل متتابعين من اردفته اياه اذا اتبعته ويقال
اردفته كقولك اتبعته اذا جئت بعده وقرئ بكسر الدال بمعنى متبعين بعضهم بملائكة اخرين او متبعين
غيرهم من الملائكة ومعنى مردفين بالفتح متبعين بملائكة اخرين **وما جعله الله** اي الامداد
بالملائكة **الا بشرى** اي بشارة بالنصر لكم كالسكينة لبني اسرائيل **ولتطمئن به قلوبكم**
اي ولتسكن قلوبكم بالامداد لا لانكم استغثتم وتضرعتم لقلتكم وذلتكم فكان الامداد بالملائكة
بشارة لكم بالنصر لكم وتسكينا منكم وربطا على قلوبكم **وما النصر الا من عند الله** يريد ولا تحسبوا

من الملائكة فان الناصر هو الله لكم وللملائكة او معناه وما النصر بالملائكة وغيرهم من اسباب النصر
الا من عند الله والمنصور من نصره الله إن الله عزيز غالب لا يغالب في نصرته حكيم عادل فيما
يفعل بالكفار وغيرهم إذ يغشيكم النعاس اي يلبسكم النوم والنعاس مقدمات النوم وهو علامة
الامن والمعنى اذ تغشون أمنة منه اي امنا حاصلا لكم من الله تعالى والمعنى ان ما كان
بهم من الخوف كان يمنعهم من النوم فلما امكن الله قلوبهم وامنهم رقدوا وعن ابن عباس النعاس في القتال
امنة من الله وفي الصلوة وسوسة من الشيطان وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به من
النجس ومن الحدث والجنابة ويذهب عنكم رجز الشيطان وسوسته اليهم وتخويفه اياهم
من العطش وقيل الرجز الجنابة لانها من تخييله وقيل رجز الشيطان وذلك ان ابليس تمثل لهم
وكان المشركون قد سبقوهم الى الماء ونزل المسلمون في كثيب اعفر تسوخ فيه الاقدام على غير ماء
وناموا فاحتلم اكثرهم فقال لهم ابليس انتم تزعمون انكم على الحق وانتم تصلون من غير وضوء وعلى
الجنابة وقد عطشتم ولو كنتم على الحق ما غلبكم هؤلاء على الماء وما ينتظرون بكم الا ان يجهدكم العطش
فاذا قطع العطش اعناقكم مشوا اليكم وقتلوا من احبوا وساقوا بقيتكم الى مكة فحزنوا حزنا
شديدا واشفقوا فانزل الله المطر فمطروا ليلا حتى جرى الوادي واتخذ رسول الله صلى الله عليه وآله
واصحابه الحياض على جانب الوادي وسقوا الركاب واغتسلوا وتوضؤوا وتلبد الرمل الذي كان بينهم
وبين العدو حتى ثبتت عليه الاقدام وزالت وسوسة الشيطان وطابت النفوس وليربط على قلوبكم
يقويها بالامن ويثبت به اي بالماء الاقدام والمعنى يثبت بالماء اقدامكم على الرمل اذا تلبد لانه
نصركم ويذهب عنكم رجز الشيطان ويجوز ان يكون الضمير في به للربط لان القلب اذا تمكن فيه
الصبر والجراءة ثبت القدم في مواطن القتال إذ يوحي ربك إلى الملائكة اي يلقي اليهم أني معكم
بالمعونة فثبتوا الذين آمنوا اي قووا قلوبهم والمعنى اني ناصركم ومعينكم على التثبيت فثبتوهم
بالقتال معهم وباعلامهم ان لا باس عليهم من عدوهم وقيل انهم كانوا في صورة الرجال يقولون الله معكم
سألقي في قلوب الذين كفروا الرعب اي الخوف وفي الحديث نصرت بالرعب ومعنى القاء الرعب في
قلوبهم ايقاع الخوف فيها فاضربوا فوق الاعناق اراد اعالي الاعناق التي هي المذابح لانها
مفاصل فكان ايقاع الضرب فيها حزا وتطييرا للرؤس وقيل اراد الرؤس لانها فوق الاعناق
وقيل قوله سألقي فاضربوا يجوز ان يكون تفسيرا لقوله اني معكم فثبتوا ولا معونة اعظم من القاء الرعب
في قلوب الكفرة ولا تثبيت ابلغ من ضرب اعناقهم واجتماعهما غاية النصرة ويجوز ان يكون غير تفسير
وان يراد بالتثبيت ان يخطروا ببالهم ما تقوى به قلوبهم وتصح عزائمهم ونياتهم في القتال وان يظهروا
ما يتيقنون به انهم ممدون بالملائكة وقيل كان الملك يتشبه بالرجل الذي يعرفون وجهه فيأتي

اي يثبت المشركين يقولون والله لئن حملوا علينا لننكشفن ويمشي بين الصفين ويقول ابشروا
فان الله ناصركم لانكم تعبدونه وهؤلاء لا يعبدونه واضربوا منهم كل بنان قيل لما امر الله تعالى
الملائكة بالقتال لم يعلموا الكيفية فعلمهم هذا البنان الاصابع يريد اطراف اليدين والرجلين
والمعنى فاضربوا المقاتل منهم كالاعناق وغير المقاتل كالاصابع من اليدين والرجلين لان الضرب
يقع اما على مقتل او غير مقتل فامرهم ان يجمعوا عليهم النوعين من الضرب والضاربون على هذا التفسير
هم الملائكة والخطاب لهم ويجوز ان يكون قوله سألقي الى قوله كل بنان تلقينا للملائكة ما يثبتونهم به
كانه قال قولوا لهم قولي سألقي في قلوب الذين كفروا الرعب فالضاربون على هذا التأويل هم المؤمنون
ذلك اشارة الى ما اصابهم من الضرب والقتل والعقاب العاجل بأنهم شاقوا الله ورسوله
اي بسبب انهم عادوا الله ورسوله وخالفوا امرهما واشتقاق المشاقة المعاداة واشتقاقهما من الشق لان
كل واحد من المتعاديين في شق خلاف شق صاحبه ومن يشاقق الله ورسوله يعاديهما بالمعصية
فان الله شديد العقاب في الدنيا والآخرة لمن شاقه وشاق رسوله ذلكم خطاب للكفرة
على طريق الالتفات من خطاب الى خطاب فذوقوه اي ذلكم العقاب الذي عجلته لكم فذوقوا مرارته
وأن للكافرين عذاب النار في الآخرة والمعنى ذلكم العذاب العاجل لكم في الدنيا مع الآجل الذي لكم في
الآخرة وهو عذاب النار يا أيها الذين آمنوا خطاب لاهل بدر وقيل عام إذا لقيتم الذين كفروا
زحفا اي مجتمعين يزحف بعضكم الى بعض والجيش الزحف الذي يرى لكثرته كانه يزحف اي يدب
دبيبا من زحف الصبي اذا دب قليلا قليلا وهو حال للذين كفروا والمعنى اذا لقيتموهم وهم كثير
وانتم قليل فلا تفروا منهم فضلا ان تدانوهم في العدد او تساووهم فالنهي ابلغ ويجوز ان يكون زحفا
بيانا لحال الفريقين والمعنى اذا لقيتموهم متساوين في الكثرة انتم زحف وهم زحف فلا تولوهم الادبار
جمع دبر اي لا تولوهم ظهوركم فارين منهم ثم توعد على الفرار بقوله ومن يولهم يومئذ دبره اي
منهم يوم ملاقاتهم للقتال إلا متحرفا لقتال اي يتحرف من جهة الى جهة وقيل هو الكر بعد الفر
يري عدوه انه منهزم ثم يعطف عليه فيقتله وهو باب من خدع الحرب ومكايدها أو متحيزا إلى فئة
اي مائلا الى جماعة اخرى من المسلمين سوى الفئة التي هو فيها وعن ابن عمر خرجت سرية وانا فيها ففروا فلما
رجعوا الى المدينة استحيوا فدخلوا البيوت فقلت يا رسول الله نحن الفرارون فقال بل انتم العكارون
وانا فئتكم وانهزم رجل من القادسية فاتى المدينة الى عمر بن الخطاب فقال يا امير المؤمنين هلكت فررت من
الزحف فقال عمر انا فئتك وعن ابن عباس ان الفرار من الزحف من اكبر الكبائر فقد باء بغضب من الله
اي رجع واستحقه ومأواه جهنم اي مصيره ومسكنه وبئس المصير لمن يرجع اليها فلم
تقتلوهم ولكن الله قتلهم لما كسر المسلمون اهل مكة يوم بدر وقتلوهم واسروهم اقبلوا على
التفاخر فكان القائل يقول قتلت واسرت ولما طلعت قريش قال رسول الله صلى الله عليه وآله هذه قريش

لا تكاد تسلم من نار المشركين إلا من لم يحضر بعض ذلك ... والمراد الكناية عن الخوف
سؤال ...

فرحات بخيلائها وفخرها تكذب رسولك اللهم إني أسألك ما وعدتني فأتاه جبريل عليه السلام وقال خذ قبضة من تراب فارمهم بها فقال لما التقى الجمعان لعلي عليه السلام أعطني قبضة من حصباء الوادي فرمى بها في وجوههم وقال شاهت الوجوه فلم يبق مشرك إلا شغل بعينيه فانهزموا وردفهم المسلمون يقتلونهم ويأسرونهم فقيل لهم فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم لأنه هو الذي أنزل الملائكة وألقى الرعب في قلوبهم وأراد النصر والظفر وقوى قلوبكم وأذهب عنها الجزع والفزع وما رميت يا محمد إذ رميت بالحصباء ولكن الله رمى يعني أن الرمية التي رميتها لم ترمها أنت على الحقيقة لأنك لو رميتها لما بلغ أثرها إلا ما يبلغه أثر رمي البشر ولكنها كانت رمية الله حيث أثرت ذلك الأثر العظيم فأثبت الرمية لرسول الله صلى الله عليه وآله لأن صورتها وجدت منه ونفاها عنه لأن أثرها الذي لا يطيقه البشر فكأن الله هو فاعل الرمية على الحقيقة وكأنها لم توجد من الرسول أصلا وليبلي المؤمنين منه بلاء حسنا البلاء ههنا العطاء أي وليعطي المؤمنين عطاء جميلا والمعنى فعل ما فعل وما فعله إلا لذلك الإحسان للمؤمنين بتعريضهم لثواب الجهاد والظفر بعدوهم إن الله سميع لدعائهم عليم بأحوالهم ذلكم الأسر والقتل وأن الله موهن كيد الكافرين أي مضعفه من الوهن وهو الضعف والمعنى أن الغرض إعطاء المؤمنين وتوهين كيد الكافرين وكيدهم غدرهم واحتيالهم في إبطال أمر المسلمين إن تستفتحوا فقد جاءكم الفتح هذا خطاب لأهل مكة على سبيل التهكم وذلك أنهم حين أرادوا أن ينفروا تعلقوا بأستار الكعبة وقالوا اللهم انصر أقرانا للضيف وأوصلنا للرحم وأفكنا للعاني إن كان محمد على حق فانصره وإن كنا على حق فانصرنا وروي أنهم قالوا اللهم انصر أعلى الجندين وأهدى الفئتين وأكرم الحزبين وروي أن أبا جهل قال يوم بدر اللهم أينا كان أفجر وأقطع للرحم فأحنه اليوم أي أهلكه والاستفتاح طلب النصر والمعنى إن تستنصروا فقد جاءكم النصر وإن تنتهوا عن عداوة رسول الله صلى الله عليه وآله فهو خير لكم من المحاربة والسلم من الهلاك وإن تعودوا للمحاربة نعد لنصرته عليكم ولن تغني عنكم فئتكم أي لن ينفعكم جماعتكم شيئا من النفع لا في الدنيا ولا في الآخرة ولو كثرت جموعكم فإنها لا تغني والمعنى أنها لا تدفع عنهم شيئا مما نصرهم ولا من نصرة الله عليهم وأن الله مع المؤمنين بالنصرة والمعونة يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله ورسوله فيما يأمركم به ورسوله الذي أمركم بطاعته وطاعته من طاعة الله ومخالفته مخالفة الله ولا تولوا عنه أي عن رسول الله وأفرد الرسول بالذكر لأن المعنى الأمر بطاعة الرسول وذكر طاعة الله على سبيل التعظيم له كقوله والله ورسوله أحق أن يرضوه أو لأن طاعة الرسول وطاعة الله شيء واحد لقوله من يطع الرسول فقد أطاع الله وأنتم تسمعون أي لا تولوا عن هذا الأمر وامتثاله وأنتم تسمعونه أو لا تولوا عن رسول الله ولا تخالفوه وأنتم تسمعون أي تصدقون لأنكم مؤمنون لستم كالصم المكذبين من الكفرة ولا تكونوا

ثلث

الآية

كالذين قالوا سمعنا أي ادعوا السماع وهم لا يسمعون لأنهم ليسوا بمصدقين فكأنهم غير سامعين والمعنى أنكم تصدقون بالقرآن والنبوة فإذا توليتم عن طاعة الرسول في بعض الأمور من قسمة الغنائم وغيرها كان تصديقكم كلا تصديق وأشبه سماعكم سماع من لا يؤمن ثم قال إن شر الدواب عند الله أي إن شر من يدب على وجه الأرض أو إن شر البهائم الصم البكم الذين لا يعقلون أي الذين هم عن الحق لا يعقلونه جعلهم الله من جنس البهائم ثم جعلهم شرها ولو علم الله فيهم أي في هؤلاء الصم البكم خيرا أي انتفاعا باللطف لأسمعهم أي للطف بهم حتى يسمعوا سماع المصدقين ثم قال ولو أسمعهم لتولوا وهم معرضون يعني ولو لطف بهم لما نفع فيهم اللطف فلذلك منعهم ألطافه ولو لطف بهم فصدقوا لارتدوا بعد ذلك وكذبوا ولم يستقيموا قيل هم بنو عبد الدار بن قصي لم يسلم منهم إلا رجلان مصعب بن عمير وسويد بن حرملة وكانوا يقولون نحن صم بكم عمي عما جاء به محمد لا نسمعه ولا نجيبه فقتلوا جميعا بأحد وكانوا أصحاب اللواء يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول المراد بالاستجابة الطاعة والامتثال للرسول إذا دعاكم أي بعثكم وحرككم لأمر من الأمور وروى أبو هريرة أن النبي صلى الله عليه وآله مر على باب أبي بن كعب فناداه وهو في الصلاة فعجل في صلاته ثم جاء فقال ما منعك عن إجابتي فقال كنت أصلي قال ألم تخبر فيما أوحي إلي استجيبوا لله وللرسول قال لا جرم لا تدعوني إلا أجبتك وفيه قولان أحدهما أن هذا مما اختص به رسول الله صلى الله عليه وآله لأن الصلاة لا تجوز قطعها لإجابة غيره والثاني أن دعاءه كان لأمر لم يحتمل التأخير وإذا وقع مثله للمصلي فله أن يقطع صلاته لما يحييكم من علوم الديانات والشرائع لأن العلم حياة كما أن الجهل موت ولله رضي الله عنه

لا تعجبن الجهول حلته ۞ فذاك ميت وثوبه كفن

وقيل الجهاد لأنهم لو رفضوه لغلبوهم وقتلوهم وقيل للشهادة لقوله بل أحياء عند ربهم واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه يعني أنه يميته فتفوته الفرصة التي هو متمكن منها وهو مخالصة القلب ومعالجة داوائه وعلاجه ورده سليما بالتوبة كما يريده الله فاغتنموا هذه الفرصة ولا تضيعوها قبل أن يحول الموت بينكم وبينها وأخلصوا قلوبكم لطاعة الله ورسوله وأنه إليه تحشرون واعلموا أنكم إلى الله تحشرون فيجزيكم على حسب سلامة القلوب وإخلاص الطاعة وقيل معناه أن الله قد يملك على العبد قلبه فيفسخ عزائمه ويغير نياته ومقاصده ويبدله بالخوف أمنا وبالأمن خوفا وبالذكر نسيانا وبالنسيان ذكرا وما أشبه ذلك مما هو جائز على الله عز وجل فأما ما يثاب العبد عليه ويعاقب من أفعال القلوب فلا والمجبرة يقولون الله يحول بين المرء والإيمان إذا كفر وبينه وبين الكفر إذا آمن تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا وقيل معناه أن يطلع على كل ما يخطر المرء بباله لا يخفى عليه شيء من ضمائره فكأنه بينه وبين قلبه واتقوا

ضده

فتنة واحدة وادنا قيل هو وقوع المنكر بين اظهرهم وقيل افتراق الكلمة واختلاف الناس وترك الاتفاق والتعاون على الحق وقيل عذابا اى لا تعرضوا انفسكم لعذاب لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة المعنى انفسكم ان اصابتكم لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة ولكنها تعمكم وهذا كما حكى ان علماء بنى اسرائيل نهوا عن المنكر تعذيرا فعمهم العذاب والتعذير التقصير المعذر بالتشديد المقصر فى عذره ومنه جاء المعذرون والمعذر بالتخفيف المحقق فى عذره ومنه معذرة الى ربكم وقيل معناه احذروا ذنبا او عقابا ثم قيل لا تعرضوا للظلم فيصيب العقاب من ظلم منكم خاصة ويقوى هذا التاويل قراءة ابن مسعود لتصيبن الذين ظلموا منكم خاصة اى يخصهم بالعقاب وعن الحسن نزلت فى على عليه السلام وعمار وطلحة والزبير وهو يوم الجمل خاصة قال الزبير نزلت فينا وقرأناها زمانا وما ارانا من اهلها فاذا نحن المعنيون بها واعلموا ان الله شديد العقاب لمن لم يتق الفتن وهى الذنوب واذكروا اذ انتم قليل الخطاب للمؤمنين والمعنى اذكروا وقت كونكم اذلة مستضعفون فى الارض يعنى ارض مكة قبل الهجرة تستضعفكم قريش تخافون ان يتخطفكم الناس اى يأخذونكم بسرعة كما يفعل الخاطف لان الناس كانوا جميعا اعداء لهم فى الدين فآواكم الى المدينة وجعل لكم فيها مأوى وحرزا وايدكم بنصره اى قواكم بمظاهرة الانصار وبامداد الملائكة يوم بدر ورزقكم من الطيبات اى من الغنائم التى اطابها لكم وحللها لعلكم تشكرون اى اراده ان تشكروا هذه النعم وعن قتادة كان هذا الحى من العرب اذل الناس واشقاهم عيشا واعراهم جلدا وابينهم ضلالا يؤكلون ولا يأكلون فمكن الله لهم فى البلاد ووسع فى الرزق والنعم والغنائم وجعلهم ملوكا يا ايها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول الخون النقص كما ان معنى الوفا التمام والمعنى لا تخونوا الله بان تتركوا فرائضه التى فرضها عليكم ورسوله بان لا تستنوا بما سن لكم وتوضعوا عما وردت به السنة وتخونوا اماناتكم فيما بينكم بان لا تحفظوها والامانة ما ائتمن عليه الانسان نحو وديعة او دعها او سر يكره نشره من قول او فعل وما ائتمن الله عليه عباده من فرائضه وحدوده وانتم تعلمون تبعة ذلك ووباله وانتم تعلمون انكم تخونون يعنى ان الخيانة توجد منكم عن تعمد لا عن سهو وقيل وانتم علما تعلمون قبح القبيح وحسن الحسن وظاهر الاية العموم وروى ان سبب نزولها ان رسول الله صلى الله عليه واله حاصر بنى قريظة احدى وعشرين ليلة فسالوا الصلح كما صالح اخوانهم بنى النضير على ان يسيروا الى اذرعات من ارض الشام فابى رسول الله صلى الله عليه واله الا ان ينزلوا على حكم سعد بن معاذ فابوا وقالوا ارسل الينا ابا لبابة مروان بن المنذر وكان مناصحا لهم لان عياله وماله فى ايديهم فبعثه اليهم فقالوا له ما ترى هل ننزل على حكم سعد فاشار بيده الى حلقه وقال انه الذبح قال ابو لبابة فما زالت قدماى حتى علمت انى خنت الله ورسوله فنزلت فشد ابو لبابة نفسه على سارية من سوارى المسجد وقال

والله لا اذوق طعاما ولا شرابا حتى اموت او يتوب الله علي فمكث سبعة ايام حتى خر مغشيا عليه ثم تاب الله عليه فقيل له قد تيب عليك فحل نفسك فقال لا والله لا احلها حتى يكون رسول الله صلى الله عليه واله هو الذى يحلنى فجاءه النبى صلى الله عليه واله فحله بيده فقال ان من تمام توبتى ان اهجر دار قومى التى اصبت فيها الذنب وان انخلع من مالى فقال عليه السلام يجزيك الثلث ان تصدق به واعلموا انما اموالكم واولادكم فتنة جعل الاموال والاولاد فتنة لانهم سبب الوقوع فى الفتنة وهى الاثم او العذاب او محنة من الله ليبلوكم كيف تحافظون فيهم على حدوده وان الله عنده اجر عظيم اى ثواب جزيل فعليكم ان ترغبوا فيما عند الله من الاجر وتزهدوا فى الدنيا ولا تحرصوا على جمع المال وحب الولد حتى تورطوا انفسكم من اجلهما فى النار وقيل هذه الاية من جملة ما نزل فى ابى لبابة وما فرط منه لاجل ماله وولده يا ايها الذين آمنوا ان تتقوا الله اى تفعلوا افعال المتقين فى امتثال اوامره يجعل لكم فرقانا اى نصرا لانه يفرق بين الحق والباطل وبين الكفر باذلال اهله والاسلام باعزاز اهله او بيانا وظهورا اشهر امركم ويبث صيتكم واثاركم فى اقطار الارض او مخرجا من الشبهات وتوفيقا وشرحا للصدور او تفرقة بينكم وبين غيركم من اهل الاديان وفضلا ومزية فى الدنيا والاخرة ويكفر عنكم سيئاتكم الصغائر بترك الكبائر ويغفر لكم الكبائر بالتوبة والله ذو الفضل العظيم اى صاحب النعم العظيمة سيفضل بها على اهل التقوى تطولا منه واذ يمكر بك الذين كفروا اى يدبرون الامر فى هلاكك وسبب نزولها ان الله تعالى لما فتح على رسوله صلى الله عليه واله ذكره مكر قريش حين كان بمكة ليشكر نعمة الله على نجاته من مكرهم واستيلائه عليهم وما اتاح الله له من حسن العاقبة وذلك ان قريشا لما اسلمت الانصار وبايعوه خافوا ان يظهر امره ويستعلى فاجتمعوا فى دار الندوة يتشاورون فى امره فدخل عليهم ابليس فى صورة شيخ وقال انا شيخ من نجد ما انا من تهامة دخلت مكة فسمعت باجتماعكم فاردت ان احضركم ولن تعدموا منى رايا ونصحا فقال ابو البخترى الراى ان تحبسوه فى بيت وتشدوا وثاقه وتسدوا بابه غير كوة يلقون اليه طعامه وشرابه منها وتتربصوا به ريب المنون فقال ابليس بئس الراى ياتيكم من يقاتلكم عليه من قومه ويخلصه من ايديكم وقال هشام بن عمرو رايى ان تحملوه على جمل وتخرجوه من بين اظهركم فلا يضركم ما صنع واسترحتم فقال بئس الراى يفسد قوما غيركم ويقاتلكم بهم فقال ابو جهل انا ارى ان تاخذوا من كل بطن غلاما وتعطوه سيفا صارما فيضربوه ضربة رجل واحد فيتفرق دمه فى القبائل فلا تقوى بنو هاشم على حرب قريش كلهم فاذا طلبوا العقل عقلناه واسترحنا فقال الشيخ صدق هذا الفتى هو اجودكم رايا فتفرقوا على راى ابى جهل مجتمعين على قتله فاخبر جبريل رسول الله صلى الله عليه واله وامره ان لا يبيت فى مضجعه واذن الله عز وجل له فى الهجرة فامر عليا عليه السلام فنام فى

سؤال ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا ذكر الشرط فى العلم [illegible] انما يفعل [illegible] هو جاهل بالعواقب [illegible] كم ابو البخترى

وقال له اتشح ببردتي فانه لن يخلص اليك امر تكرهه وباتوا مترصدين فلما اصبحوا ثاروا الى
مضجعه فابصروا عليا فبهتوا وخيب الله سعيهم واقتصوا اثره فابطل مكرهم **ليثبتوك** ليحبسوك او يثخنوك بالضرب والجراح او يوثقوك **او يقتلوك** كما اشار ابو جهل لعنه الله
او يخرجوك من بين اظهرهم بنفي يخرجوا منك كما اشار هشام بن عمرو **ويمكرون** يخفون المكايد لك
والاغتيال عليك **ويمكر الله** يجازي باعدادهم حتى ياتيهم بغتة او يطلعك على ما يكلموا به ودبروا
واجمعوا عليه **والله خير الماكرين** لان مكره انفذ من مكر غيره وابلغ تاثيرا **واذا تتلى عليهم**
اياتنا اي تقرا على الكفار **قالوا قد سمعنا** اي قد سمعنا هذا المتلو كانهم ارادوا الكف عن تلاوته
لو نشاء لقلنا مثل هذا هذا تكبر منهم وافتخار بدعوى ما لا يقدرون عليه فانهم لم يتوانوا
في معارضته لكن عجزوا عن مثله قواهم مع كثرة انفتهم واستنكافهم ان يغلبوا في باب الفصاحة
خاصة ومع بها لكهم على ان يقهروا رسول الله صلى الله عليه واله وسلم قائله النضر بن الحرث
حين سمع اقتصاص الله احاديث القرون الماضية قال لو نشاء لقلت مثل هذا وهو الذي جاء
بلاد فارس بتسمية حديث رستم واسفنديار فزعم ان هذا مثل ذاك وانه من جملة تلك الاساطير
ولذلك قال **ان هذا الا اساطير الاولين** الاساطير جمع اسطورة وهي ما سطره المتقدمون
اي كتبوه ليحفظ ويروى به على سبيل التعجب وان كان كذبا **واذ قالوا اللهم ان كان هذا هو**
الحق من عندك القائل هو النضر بن الحرث واسند الفعل الى جماعة وان كان القائل
له واحدا منهم وهذا نوع من الجحود بليغ يعني ان كان القران هو الحق **فامطر علينا حجارة من**
السماء اي فعاقبنا على انكارنا بالتحجير كما فعلت باصحاب الفيل في امطار الحجارة عليهم **او**
ائتنا بعذاب اليم شديد الالم لاجل ردنا الحق الموصوف بانه حاصل من عندك وعن معوية
انه قال لرجل من سبا ما اجهل قومك حين ملكوا عليهم امراة قال اجهل من قومي قومك قالوا
لرسول الله صلى الله عليه واله حين دعاهم الى الحق ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة
من السماء ولم يقولوا ان كان هذا هو الحق فاهدنا له **وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم**
اللام في قوله ليعذبهم لتاكيد نفي العذاب وهو فيهم لان عادة الله التي قضت بها حكمته
الا تعذب قوما عذاب الاستئصال ما دام بينهم من اظهرهم وفيه اعلام لقريش بانهم مرصدين
بالعذاب اذا هاجر عنهم يدل عليه قوله بعده وما لهم الا يعذبهم الله وانما يعني هذا العذاب
المعذب كانه قال وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم وهو معذبهم اذا فارقتهم وما لهم الا يعذبهم
وما كان الله معذبهم اي ما ثبت في حكم الله تعذيبهم وقوله **وهم يستغفرون** معناه
نفي الاستغفار عنهم اي ولو كانوا ممن يؤمن ويستغفر من الكفر لما عذبهم ولكنهم لا يؤمنون
ولا يستغفرون ولا يرجى منهم ذلك وقيل معناه وما كان الله معذبهم وفيهم من يستغفر وهم المسلمون

من اظهرهم حتى تخلف رسول الله صلى الله عليه واله من المستضعفين بينهم **وما لهم الا يعذبهم الله وهم**
نفي لاي شيء لهم في انتفاء العذاب عنهم لانه لا حظ لهم في ذلك وهم معذبون لا محالة وكيف لا يعذبون
وحالهم انهم **يصدون عن المسجد الحرام** اي يمنعون الناس عنه كما منعوا رسول الله صلى الله
عليه واله عام الحديبية ومن الصد اخراجهم رسول الله والمؤمنين من مكة وكانوا يقولون نحن ولاة البيت
نصد من نشاء وندخل من نشاء فقال **وما كانوا اولياءه** اي وما استحقوا ان يكونوا ولاة امره مع
شركهم وعداوتهم للحق واهله **ان اولياؤه الا المتقون** من المسلمين ليس كل مسلم ايضا ممن يصلح ان
يلي امره وانما يستاهله من كان برا تقيا فكيف بالكفرة عبدة الاصنام **ولكن اكثرهم لا يعلمون**
بان اولياءه المتقون دونهم واحترز بقوله اكثرهم عمن كان منهم يعلم وهو يعاند ويكابر طلبا للرياسة
او اراد بالاكثر الجميع كما يراد بالقلة العدم **وما كان صلاتهم عند البيت الا مكاء وتصدية** المكاء
الصفير من مكا يمكو اذا صفر والتصدية التصفيق بالصدى من الصد وهو الصوت والمعنى
انهم وضعوا المكاء والتصدية موضع الصلاة وذلك انهم كانوا يطوفون بالبيت عراة الرجال
والنساء وهم مشبكون بين اصابعهم يصفرون ويصفقون وكانوا يفعلون ذلك اذا قرا رسول الله
صلى الله عليه واله وسلم يخلطون عليه **فذوقوا العذاب** اي اطعموا مرارة العذاب القتل والاسر
يوم بدر **بما كنتم تكفرون** بسبب كفركم **ان الذين كفروا ينفقون اموالهم ليصدوا عن سبيل الله**
نزلت هذه الاية في المطعمين لعسكر قريش يوم بدر كان يطعم كل واحد منهم كل يوم عشر جزائر وقيل
قالوا لكل من كان له تجارة في العير اعينوا بهذا المال على حرب محمد لعلنا ندرك منه ثارنا بما
اصبنا يوم بدر وقيل نزلت في ابي سفيان وقد استاجر ليوم احد الفين من الاحابيش سوى من استجاش
من العرب وانفق عليهم اربعين اوقية والاوقية اثنان واربعون مثقالا وقوله ليصدوا عن سبيل
الله اي كان غرضهم في الانفاق الصد عن اتباع محمد وهو سبيل الله وان لم يكن عندهم كذلك
فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة اي يكون عاقبة انفاقها ندما وحسرة وكان عين الاموال
تنقلب حسرة وندما **ثم يغلبون** اخر الامر وان كانت الحرب بينهم وبين المسلمين سجالا فالعاقبة
للمتقين **والذين كفروا الى جهنم يحشرون** اي والذين ثبتوا على الكفر منهم لان منهم من اسلم وحسن
اسلامه ولا يدخل في الوعيد الى جهنم يحشرون يجمعون اليها في الاخرة **ليميز الله الخبيث من**
اي الفريق الخبيث من الكفار **من الطيب** من المؤمنين **ويجعل** الفريق **الخبيث بعضه على**
بعض فيركمه جميعا فيجعله في جهنم هو عبارة عن الضم والجمع حتى يتراكموا لكثرة ازدحامهم
اولئك يعني الفريق الخبيث **هم الخاسرون** كل الخسران وقيل ليميز المال الخبيث الذي
انفقه المشركون في عداوة رسول الله صلى الله عليه واله من المال الطيب الذي انفقه المسلمون
في نصرته فيجعله في جهنم في جملة ما يعذبون به كقوله فتكوى بها جباههم وجنوبهم **قل** يا محمد

لِلَّذِينَ كَفَرُوا من ابي سفيان واصحابه اي قل لاجلهم هذا القول ليسمعوه وخاطبه به عنهم **إِنْ يَنْتَهُوا** عن الشرك وعن ما هم عليه من عداوة رسول الله صلى الله عليه وآله وقتاله بالدخول في الاسلام **يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ** اي ما مضى لهم من العداوة ولا يؤاخذون بشيء لا دنيا ولا آخرة **وَإِنْ يَعُودُوا** الى الشرك والقتال **فَقَدْ مَضَتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ** اي طريقة الاولين منهم الذين حاق عليهم كيدهم وقطعهم يوم بدر او اراد الاولين الذين عادوا انبياءهم من سائر الامم انا هلكوا فليتوقعوا مثل ذلك ان لم ينتهوا وقيل معناه ان الكفار اذا انتهوا عن الكفر واسلموا غفر لهم ما سلف من الكفر والمعاصي وخرجوا منها كما تنسل الشعرة من العجين ومنه قوله عليه السلام الاسلام يجب ما قبله **وَقَاتِلُوهُمْ** يعني كفار مكة وما حولها **حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ** اي حتى لا يوجد فيهم شرك قط **وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ** خالصا **لِلَّهِ** ويذهب كل دين باطل ويبقى فيهم دين الاسلام وحده **فَإِنِ انْتَهَوْا** عن الكفر واسلموا **فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ** يثيبهم على توبتهم واسلامهم **وَإِنْ تَوَلَّوْا** اعرضوا ولم ينتهوا **فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَوْلَاكُمْ** ناصركم ومعينكم **نِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ** فثقوا بولايته ونصرته لكم على عدوكم وكفى به ناصرا ومعينا



وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ

اي اعلموا يا مؤمنون ان الذي غنمتموه من اي شيء كان حتى الخيط والمخيط **فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ** اي فواجب ان لله خمسه ومذهب ائمتنا عليهم السلام ان الغانم لا يلزمه الخمس فيما وجد في دار الحرب من الشيء من الطعام او العلف اذا كان قدر ما يكفيه هناك ولم يعتض عليه ببيع او هبة **وَلِلرَّسُولِ** قيل سهم الله وسهم رسوله واحد **وَلِذِي الْقُرْبَى** قرابة الرسول صلى الله عليه وآله وهم بنو هاشم **وَالْيَتَامَى** من لا اب له وهو فقير **وَالْمَسَاكِينِ** جمع مسكين للفقير الذي لا شيء له

وعن علي عليه السلام هم ايتامنا ومساكيننا **وَابْنِ السَّبِيلِ** المسافر المنقطع عن ماله جعل ابنا للسبيل لملازمته له وقيل هو الضيف عن الكلبي ان الاية نزلت ببدر وقيل كان الخمس في غزوة بني قينقاع بعد بدر بشهر وثلاثة ايام للنصف من شوال على راس عشرين شهرا من الهجرة واختلفوا في قسمة الخمس فعند ابي حنيفة انها كانت في عهد رسول الله صلى الله عليه وآله على خمسة اسهم سهم لرسول الله صلى الله عليه وآله وسهم لذوي قرباه من بني هاشم وبني المطلب وثلاثة اسهم لليتامى والمساكين وابن السبيل واما بعد رسول الله صلى الله عليه وآله فسهمه ساقط بموته وكذلك سهم ذوي القربى وانما يعطون لفقرهم فهم اسوة سائر الفقراء ولا يعطى اغنياؤهم فيقسم على اليتامى والمساكين وابن السبيل وعند الشافعي على خمسة اسهم سهم لرسول الله صلى الله عليه وآله يصرف الى ما كان يصرفه اليه من مصالح المسلمين كعدة الغزاة من الكراع والسلاح ونحوه وسهم لذوي القربى من اغنيائهم وفقرائهم يقسم بينهم للذكر

مثل حظ الانثيين والباقي للفرق الثلاث وعند مالك الامر مفوض الى راي الامام ان راى اعطاء هؤلاء او بعضهم او غيرهم دونهم ومذهب ائمتنا عليهم السلام ان الخمس يقسم على ستة اسهم سهم لله يصرف فيما يراه الامام من القرب ومصالح المسلمين نحو اصلاح المساجد والطرقات والجهاد وسهم لرسول الله صلى الله عليه وآله يصرف الى امام المسلمين لانه خليفته وحكمه حكم سائر املاكه يصرفه حيث شاء فان لم يكن في الزمان امام لحق بسهم الله في مصرفه وسهم لذوي القربى وهم اولاد هاشم يشترك فيه غنيهم وفقيرهم ولا يفضل فيه ذكورهم على اناثهم ويجوز تخصيص بعضهم على بعض ولا يستحقه منهم الا المحق دون الباغي على الامام والباقي للفرق الثلاث وهم يتامى بني هاشم ومساكينهم وابن سبيلهم فان لم يوجدوا صرف الى هذه الاصناف من المسلمين والافضل صرفها عند عدم بني هاشم الى هؤلاء الاصناف من اولاد المهاجرين فان لم فالى اولاد الانصار مع اجزاء الصرف الى غيرهم وقيل ان سهم الله لبيت المال وقيل الخمس كله **إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ** اي صدقتموه وعلمتم ان هذا بعضه من دين **وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا** محمد صلى الله عليه وآله من النصر وقيل القرآن **يَوْمَ الْفُرْقَانِ** يوم بدر فرق فيه بين الحق والباطل وكان يوم الجمعة سابع عشر من رمضان سنة اثنتين من الهجرة **يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ** هما الفريقان من المسلمين والكافرين **وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ** يقدر على ان ينصر القليل على الكثير والذليل على العزيز كما فعل يوم بدر **إِذْ أَنْتُمْ بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا وَهُمْ بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَى** العدوة جانب الوادي والدنيا تانيث الادنى والقصوى تانيث الاقصى والعدوة الدنيا مما يلي المدينة والقصوى مما يلي مكة **وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنْكُمْ** يعني الركب الاربعين الذين كانوا يقودون العير اسفل منكم بالساحل والمعنى انهم في مكان اسفل من مكانكم وهو ساحل البحر وفائدة الاخبار بهذه المواضع التي كان فيها الجمعان وان العير كانت اسفل من المسلمين الاخبار عن الحالة الدالة على قوة امر العدو وشوكته وتكامل عدته وتمهد اسباب الغلبة له وضعف شان المسلمين وتناقص عددهم وان غلبتهم في مثل هذه الحال ليست الا صنعا من الله ودليلا على ان ذلك امر لم يتيسر الا بحوله وقوته وما هو قدره وذلك ان العدوة القصوى التي اناخ بها المشركون كان فيها الماء وكانت ارضا شديدة ولا ماء بالعدوة الدنيا وكانت ارضا لينة تسوخ فيها الاقدام ولا يمشى فيها الا بتعب ومشقة وكانت العير وراء ظهور العدو مع كثرة عددهم وذلك مما يضاعف حميتهم ويقوي عزائمهم على المقاتلة ولهذا كانت العرب تخرج الى الحرب باموالهم ونسائهم ليحضهم ذلك على بذل مجهودهم في القتال وان لا يتركوا وراءهم ما يحدثون انفسهم بالرجوع اليه فيجمع ذلك قلوبهم ويضبط هممهم ويوطنوا انفسهم على ان لا يبرحوا مواطنهم ولا يخلوا مراكزهم ويبذلوا منتهى نجدتهم وغاية شدتهم وفيه تصوير ما دبر الله سبحانه من امر وقعة بدر حتى وعد الله المسلمين احدى الطائفتين مبهمة غير مبينة حتى خرجوا

لما اخذوا العير راغبين في الخروج ثم اوقع في قلوب قريش ما اوقع مما نلقيهم من بوص رسول
الله صلى الله عليه واله لاموالهم حتى يغزوا ليمنعوا غيرهم وتثبيط الاشياء حتى اناخ هؤلاء بالعدوة
الدنيا وهؤلاء بالعدوة القصوى وورائهم العير يحامون عليها حتى قامت الحرب على ساق وكان ما كان
ولو تواعدتم انتم واهل مكة وتواضعتم بينكم على موعد تلتقون فيه للقتال لاختلفتم في الميعاد
اي لخالف بعضكم بعضا فثبطكم قلتكم وكثرتهم عن الوفاء بالموعد وثبطهم ما في قلوبهم من هيبة
رسول الله صلى الله عليه واله والمسلمين فلم يتفق لكم من التلاقي ما وفقه الله وسببه له ولكن
ليقضي الله امرا كان مفعولا اي واجبا ان يفعل وهو نصر اوليائه واعزاز دينه واعلاء كلمته
وقهر اعدائه وفل شوكتهم ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة استعير
الهلاك والحيوة للكفر والاسلام اي ليصدر كفر من كفر عن وضوح بينة وعلم منه بضلاله
حتى لا يبقى له على الله حجة ويصدر اسلام من اسلم ايضا عن يقين وعلم بانه دين الحق الذي يجب الدخول
فيه والتمسك به وذلك ان الذي كان من وقعة بدر من الايات الغر المحجلة التي من كفر بعدها كان مكابرا
لنفسه مغالطا لها وان الله لسميع عليم يسمع اقوال العباد ويعلم كيف يدبر امورهم ويستوي
في علمه الحكيم او لسميع عليم بكفر من كفر وعقابه وبايمان من امن وثوابه اذ يريكهم الله يا محمد في
منامك اي في رؤياك قليلا لتخبر اصحابك فتقوى قلوبهم وذلك ان الله عز وجل اراهم اياه
في رؤياه قليلا فاخبر بذلك اصحابه فكان تشجيعا على عدوهم وتثبيتا ولو اراكهم في منامك
كثيرا على قدر عددهم لفشلتم لجبنتم وهبتم الاقدام عليهم ولتنازعتم في الامر اي اختلفتم في
الرأي وترددتم بين الثبات والاقدام على العدو وبين الفرار منهم ولكن الله سلم اي عصم
وانعم بالسلامة من الفشل والتنازع والاختلاف انه عليم بذات الصدور اي يعلم ما يقع
ويعلم ما سيكون فيها من الجرأة والجبن والصبر والجزع واذ يريكموهم اي يبصركم اياهم اذ التقيتم
في اعينكم قليلا انما قللهم في اعينهم قليلا تصديقا لرؤيا رسول الله صلى الله عليه واله وليعاينوا
ما اخبرهم فيزداد يقينهم ويجدوا ويثبتوا قال ابن مسعود لقد قللوا في اعيننا حتى قلت لرجل
الى جنبي اتراهم سبعين قال اراهم مائة فاسرنا رجلا منهم فقلنا له كم كنتم قال الفا ويقللكم في اعينهم
لئلا يستعدوا ويجدوا في قتالكم حتى قال قائل منهم انما هم اكلة جزور والغرض في تقليل
الكفار في اعين المؤمنين ظاهر واما تقليل المؤمنين في اعين الكفار فلانهم قللوا في اعينهم قبل
اللقاء ثم كثروا في اعينهم حين اللقاء ليفجأهم الكثرة فيبهتوا وتقل شوكتهم حين يرون ما لم يكن
في حسابهم وتقديرهم والطريق الى ان يبصرون بها الكثير قليلا هو ان يستر الله عنهم بعضه بساتر
او يحدث في عيونهم ما يستقلون به الكثير كما احدث في اعين الحول ما يرون به الواحد اثنين قيل
لبعضهم ان الاحول يرى الواحد اثنين وكان بين يديه ديك واحد فقال ما لي لا ارى هذين الديكين اربعة

ليقضي الله امرا كان مفعولا اي سيكون ولكن لما يحقق كونه صار كأنه قد كان وكان
التقليل معجزة للنبي صلى الله عليه واله والى الله ترجع الامور اي لا ترجع اموركم وامورهم
في الاخرة الا الى حكمه يا ايها الذين امنوا اذا لقيتم فئة اي حاربتم جماعة من الكفار وحذف من الكفار
لان المؤمنين ما كانوا يلقون الا الكفار واللقاء اسم للقتال في الغالب فاثبتوا لقتالهم ولا تنهزموا
واذكروا الله كثيرا في مواطن الحرب مستظهرين بذكره مستنصرين به داعين له على عدوكم قائلين
اللهم اخذلهم اللهم اقطع دابرهم لعلكم تفلحون تظفرون بمرادكم من النصرة والمثوبة وفيه
اشعار بان على العبد ان لا يفتر عن ذكر ربه اشغل ما يكون قلبا واكثر ما يكون هما وان يكون
نفسه مجتمعة لذلك وان كانت متوزعة عن غيره وناهيك بما خطب امير المؤمنين عليه السلام في ايام صفين
وفي مشاهده مع البغاة والخوارج من البلاغة والبيان ولطائف المعاني وبليغات المواعظ
والنصائح دليلا على انهم كانوا لا يشغلهم عن ذكر الله شاغل وان تفاقم الامر واطيعوا الله
ورسوله فيما امركم به ولا تنازعوا اي لا تختلفوا فتفشلوا اي تجبنوا لان الاختلاف يؤدي
الى الجبن والذل وتذهب ريحكم الريح النصرة والدولة يقال ذهبت ريح فلان اي نصرته شبهت
في نفوذ امرها بالريح في هبوبها وقيل هبت رياح فلان اذا دالت له الدولة ونفذ امره وقيل لم
يكن قط نصر الا بريح يبعثها الله وفي الحديث نصرت بالصبا واهلكت عاد بالدبور
حذرهم بالنهي عن التنازع واختلاف الرأي نحو ما وقع لهم باحد لمخالفتهم رسول الله صلى الله عليه واله
من فشلهم وذهاب ريحهم واصبروا على قتال الاعداء ان الله مع الصابرين بالنصر والمعونة ولا
تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطرا ورئاء الناس هم اهل مكة حين نفروا لحماية العير فاتاهم رسول
ابي سفيان وهم بالجحفة ان ارجعوا فقد سلمت عيركم فابى ابو جهل وقال حتى نقدم بدرا نشرب بها
الخمور وتعزف علينا القيان ونطعم فيها من حضرنا من العرب فذلك بطرهم ورئاء الناس باطعامهم فوافوها
فسقوا كؤوس المنايا مكان الخمر وناحت عليهم النوائح مكان القيان فنهاهم ان يكونوا مثلهم بطرين
طربين مرائين باعمالهم وان يكونوا من اهل التقوى والكآبة والحزن من خشية الله مخلصين اعمالهم
لله ويصدون عن سبيل الله اي يصدون الناس عن الدين والله بما يعملون محيط اي
مطلع على عملهم وسيبطل كيدهم بما دبر من امر هلاكهم يوم بدر او هو بما يعملون محيط فيعاقبهم عليه
في الاخرة اشد العقاب واذ زين لهم الشيطان اعمالهم اي حسن ابليس للكفار قتال المسلمين
وعداوة النبي صلى الله عليه واله ومعاداته ووسوس اليهم انهم لا يغلبون في بدر واوهمهم ان
اتباعه وطاعته مما يجيرهم وقال لا غالب لكم اليوم من الناس واني جار لكم اي مجيركم
فلما تراءت الفئتان اي تلاقى الفريقان من المسلمين والكافرين نكص على عقبيه اي
رجع على الوراء وقال اني بريء منكم والمعنى فلما تلاقى الفريقان بطل كيده حينا

من لقيت جنود الله وكذا عن الحسن ان ذلك كان على سبيل الوسوسة ولم يتمثل لهم وقيل لما
اجمعت قريش على المسير ذكرت الذي بينها وبين كنانة من الحرب فكاد ذلك يثنيهم فتمثل
لهم ابليس في صورة سراقة بن مالك بن جعشم الكناني وكان من اشرافهم في جند من الشياطين معه
راية وقال لا غالب لكم اليوم من الناس وانى مجيركم من بنى كنانة فلما راى
الملائكة تنزل نكص وقيل كانت يده في يد الحارث بن هشام فلما نكص قال له الحارث الى اين اتخذلنا
في هذه الحال فقال اني ارى ما لا ترون من الملائكة ودفع في صدر الحرث وانطلقوا وانهزموا
فلما بلغوا مكة قالوا هزم الناس سراقة فبلغ ذلك سراقة فقال والله ما شعرت بمسيركم حتى بلغني
هزيمتكم فلما اسلموا علموا انه الشيطان **وفي الحديث** ما راى ابليس يوما
اصغر ولا ادحر ولا اغيظ من يوم عرفة لما يرى من نزول الرحمة الا ما راى يوم بدر اني اخاف
الله فلم يكن عذاب الاخرة وقيل خاف ان نزول الملائكة لعقابه والله شديد العقاب
لمن خالفه ويعرض لمحاربته جملة فاسناد القول الى الشيطان وقوله اني برئ اني اخاف الله مجاز
وعبارة عن ترتيبه وابطال الكيد على ما ذكره الشيخ رضي الله عنه وحقيقته على قول من قال انه
تمثل لهم اذ يقول المنافقون بالمدينة والذين في قلوبهم مرض يجوز ان يكون صفة
للمنافقين لان النفاق اعتقاد فاسد واقع في الدين شبهه بالمرض وعن الحسن هم المشركون
ومرض قلوبهم كفرهم وفساد مذهبهم غر هؤلاء دينهم يعنون ان المسلمين اغتروا بدينهم
وطمعوا في النصرة بسببه فخرجوا وهم ثلثمائة وبضعة عشر الى زهاء الف ثم قال جوابا لهم ومن
يتوكل على الله اي يثق بنصره لاهل دينه فان الله عزيز غالب يسلط القليل الضعيف
على الكثير القوي حكيم فلا يسلط الا بعدل وحكمة ولو ترى يا محمد اذ يتوفى الذين كفروا
الملائكة اي يقبضون ارواحهم قيل يوم بدر وقيل عام يضربون وجوههم وادبارهم قال مجاهد
ادبارهم استاههم ولكن الله كريم يكني وقيل كانوا اذا اقبل المشركون ضربوا وجوههم واذا ادبروا
ضربوا ظهورهم بالسيف وقال رجل يا رسول الله رايت في ظهر ابي جهل مثل الشراك وقال صلى الله
عليه واله ذلك ضرب الملائكة وانما خص الادبار بالضرب لان الخزي والنكال في ضربها اشد
قال رضي الله عنه وبلغني عن اهل الصين ان عقوبة الزاني عندهم ان يضرب
ثم يعطى الرجل القوي البطش شيئا عمل من حديد كهيئة الطبق فيه زرابة وله مقبض فيضرب به
على دبره ضربة واحدة تعقبه فيموت في مكانه وذوقوا عذاب الحريق اي ويقول الملائكة
ذوقوا عذاب الحريق اي مقدمة عذاب النار وقيل كانت معهم مقامع من حديد كلما ضربوا بها
التهبت النار او ويقال لهم يوم القيمة ذوقوا وجواب لو محذوف اي لرايت امرا فظيعا
منكرا ذلك بما قدمت ايديكم يحتمل ان يكون هذا من كلام الله ومن كلام الملائكة والمعنى

ذلك العذاب استحققتموه بسبب ما قدمت ايديكم من الكفر والمعاصي وان الله ليس بظلام
للعبيد اي وبسبب ان الله ليس بظلام للعبيد لان تعذيب الكفار من العدل كاثابة المؤمنين
كداب ال فرعون والذين من قبلهم اي داب هؤلاء الكفرة مثل داب ال فرعون ودابهم عادتهم
وعملهم الذي دابوا فيه اي داموا عليه والمعنى ان عادة هؤلاء الكفرة كعادة ال فرعون وعادة
الذين من قبلهم من الكفرة وقوله كفروا تفسير لداب ال فرعون بانهم كفروا بايات الله
اي بحججه التي جاء بها موسى عليه السلام فاخذهم الله بذنوبهم اي اهلكهم وعاقبهم بسبب ذنوبهم
من الكفر والمعاصي حيث غرق فرعون وقومه ان الله قوي لا يعجزه شيء ولا يفوته شديد العقاب
لاهل الكفر والذنوب ذلك بان الله لم يك مغيرا نعمة انعمها على قوم حتى يغيروا ما بانفسهم
اي ذلك العذاب الذي نزل بهم بسبب ان الله لم يصح في حكمته ان يغير نعمته عند قوم حتى يغيروا ما بهم
من الحال الى حال اسوا منها وال فرعون ومشركو مكة لم يكن لهم حال صالحة غيروها حتى يغير الله
نعمته عليهم ولكن كما تغيرت الحال الصالحة الى الحال الفاسدة عن المرضية كذلك تغير الحال المسخوطة
الى حال اسوا منها وانحط والمشركون كانوا قبل بعثة الرسول صلى الله عليه وآله عبدة اصنام
فلما بعث الله اليهم بالايات البينات فكذبوه وعادوه وتحزبوا عليه ساعين في اراقة دمه غيروا حالهم
الى اسوا مما كانت فغير الله ما انعم به عليهم من الامهال وعاجلهم بالعذاب وان الله سميع لما
يقول مكذبوا الرسل عليم بما يفعلون فهو مجازيهم عليه كداب ال فرعون والذين من قبلهم
كذبوا بايات ربهم هذا تاكيد لما قبله وتكرير له وفي قوله بايات ربهم دلالة على
كفران النعم وجحود الحق وفي ذكر الاغراق بيان للاخذ بالذنوب فاهلكناهم بذنوبهم اي انتقمنا
منها واغرقنا ال فرعون اتباعه وكل كانوا ظالمين اي كلهم من غرقى القبط وقتلى
قريش كانوا ظالمين انفسهم بالكفر والمعاصي والمعاندة والجحود ان شر الدواب عند الله
اي شر ما يدب على الارض الذين كفروا فهم لا يؤمنون اي اصروا على الكفر ولجوا فيه فلا
يتوقع منهم ايمان وهم بنو قريظة الذين استمروا على الكفر الذين عاهدت منهم ثم ينقضون
عهدهم في كل مرة هم بنو قريظة عاهدهم رسول الله صلى الله عليه واله ان لا يظاهروا
عليه فنكثوا بان اعانوا مشركي مكة بالسلاح وقالوا نسينا واخطانا ثم عاهدهم فنكثوا
ومالوا معهم يوم الخندق وانطلق كعب بن الاشرف الى مكة فحالفهم وقوله الذين عاهدت منهم بيان
للذين كفروا اي الذين عاهدتهم من الذين كفروا وجعلهم شر الدواب لان شر الناس الكفار
وشر الكفار المصرون منهم وشر المصرين الناكثون للعهود وهم لا يتقون اي لا يخافون عاقبة
الغدر ولا يبالون بما فيه من العار والنار فاما تثقفنهم في الحرب اي تصادفهم وتظفر بهم
فشرد بهم من خلفهم اي فرق عن محاربتك ومناصبتك بقتلهم شر قتلة والنكاية فيهم من

بهم
ده
طه
لهم
ضلهم

وراءهم من الكفرة حتى لا يجسر عليك بعدهم احد اعتبارا بهم واتعاظا بحالهم وقيل نكل بهم تنكيلا يشرد غيرهم من نقض العهود وقيل ... لعلهم يذكرون اي لعل الذين

ومن ورائهم يتعظون **وإما تخافن** يا محمد **من قوم** معاهدين **خيانة** نكثاً ونقض عهد بأمارات
تلوح لك ويظهر منهم **فانبذ إليهم** أي اطرح إليهم العهد وأعلمهم برفعه فيكون علمك وعلمهم
بالمنابذة **على سواء** أي على طريق مستو قصد وهو أن يخبرهم إخباراً ظاهراً لا لبس فيه أنك قطعت
ما بينك وبينهم ولا تناجزهم الحرب وهم على توهم بقاء العهد فيكون ذلك خيانة منك **إن الله لا
يحب الخائنين** فلا يكن منك إخفاء نكث العهد والخداع وقيل على استواء في العلم بنقض العهد
ولا تحسبن يا محمد **الذين كفروا سبقوا** أي فاتوا وأفلتوا من أن يظفر بهم **إنهم لا يعجزون**
الله بل سيظفر بهم ويجازيهم وقيل أنهم ما فاتوك في بدر فستظفر بهم في غيره والمعنى أنهم لا يفوتون ولا يجدون
طالبهم عاجزاً عن إدراكهم وعن الزهري أنها نزلت في من أفلت من فل المشركين أي فمن فات من
المنهزمين وقيل القوم منهزمين **وأعدوا لهم** أي هيئوا لهم واتخذوا آلة الحرب لقتال الكفار
ما استطعتم أي ما قدرتم عليه **من قوة** القوم كلما يتقوى به في الحروب من عددها وعن عقبة
بن عامر سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول على المنبر ألا إن القوة الرمي قالها ثلاثاً ومات
عقبة عن سبعين قوساً في سبيل الله وعن عكرمة هي الحصون **ومن رباط الخيل** أي ومما
يربط من الأفراس والرباط اسم للخيل التي تربط في سبيل الله ويجوز أن يسمى بالرباط الذي
هو بمعنى المرابطة ويجوز أن يكون قوله ومن رباط الخيل تخصيصاً للخيل وتشريفاً لها إلا أدراج
بالذكر من بين ما يتقوى به كقوله وجبريل وميكائيل وعن ابن سيرين أنه سئل عمن أوصى بثلث
ثلث ماله في الحصون فقال يشتري به الخيل فيربط في سبيل الله ويغزى عليها فقيل له إنما
أوصى في الحصون فقال ألم تسمع قول الشاعر ۞ اني علمت على توقي الردا ۞
۞ ان الحصون الخيل لا مدر القرى ۞ **ترهبون به** أي تخيفون بما استطعتم
عدو الله وعدوكم هم أهل مكة أو من يشبههم عداوة **وآخرين من دونهم** هم
اليهود وقيل المنافقون وعن السدي هم أهل فارس وقيل كفرة الجن وجاء في الحديث
أن الشيطان لا يقرب صاحب فرس عتيق وروي أن صهيل الخيل يرهب الجن **لا تعلمونهم**
لا تعرفونهم **الله يعلمهم** أي يختص بعلمهم لأنه مطلع على الأسرار وعالم بالخفيات **وما تنفقوا من شيء**
من أموالكم **في سبيل الله** وهو الجهاد وسائر القرب **يوف إليكم** أي يوفر عليكم ثوابه
وأنتم لا تظلمون أي لا تنقصون من ثوابه شيئاً وقيل يخلف الله لكم في الدنيا ويثيبكم في الآخرة
وإن جنحوا للسلم فاجنح لها جنح له وإليه إذا مال والسلم الصلح وهي تؤنث تأنيث نقيضها
وهي الحرب وعن ابن عباس أن الآية منسوخة بقوله قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله وعن مجاهد
بقوله فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم **قال رضي الله عنه** والصحيح
أن الأمر موقوف على ما يرى الإمام فيه صلاح الإسلام وأهله من حرب أو سلم وليس بحتم أن

يقاتلوا أبداً أو يجنحوا إلى الهدنة أبداً **وتوكل على الله** أي اسند أمرك إليه ولا تخف من
إبطانهم المكر في ميلهم إلى السلم فإن الله كافيك وعاصمك من مكرهم **إنه هو السميع العليم** يسمع أقوالهم
ويعلم أفعالهم وضمائرهم فهو ناصرك من مكرهم وخديعتهم قال مجاهد نزلت في بني قريظة **وإن يريدوا
أن يخدعوك** بجنوحهم إلى السلم أو غيره **فإن حسبك الله** أي كافيك شرهم وخديعتهم **هو الذي
أيدك بنصره وبالمؤمنين** أي قواك بإنزال الملائكة وبمظاهرة المؤمنين لك **وألف بين قلوبهم**
التأليف بين قلوب من بعث إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم من الآيات الباهرة لأن العرب لما
فيهم من الحمية والعصبية والانطواء على الضغينة في أدنى شيء وإلقائه بين أعينهم لا يكاد يأتلف
منهم قلبان ثم ائتلفت قلوبهم على اتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم واتحدوا وأنشأوا يرمون عن
قوس واحدة وذلك لما نظم الله من ألفتهم وجمع من كلمتهم وأحدث بينهم من التحاب والتوادد
وأماط عنهم من التباغض والتماقت وكلفهم من الحب في الله والبغض في الله ولا يقدر على ذلك
إلا من يملك القلوب فهو يقلبها كما شاء ويضع فيها ما أراد وقيل هم الأوس والخزرج كان بينهم
من الحروب والوقائع ما أهلك سادتهم ودق جماجمهم ولم يكن لبغضائهم أمد
ولا لعداوتهم منتهى وبينهما التجاور الذي يهيج الضغائن ويديم التحاسد والتنافس وعادة
كل طائفتين كانتا بهذه المثابة أن تتجنب هذه ما آثرته أختها وتكره ما تستحسنه فأنساهم
الله ذلك كله حتى اتفقوا على الطاعة وتصافوا وصاروا أنصاراً وعادوا أعواناً وما
ذلك إلا بلطيف صنعه وبليغ قدرته **لو أنفقت ما في الأرض جميعاً** من الأموال على
تحصيل التأليف بين القلوب **ما ألفت بين قلوبهم** أي ما قدرت على التأليف بينهم **ولكن
الله ألف بينهم** بلطفه ورحمته وذلك غير مقدور للبشر **إنه عزيز** أي قادر على التأليف
حكيم مصيب وجه الحكمة في ذلك لما فيه من إعلاء كلمة الإسلام على كلمة الكفر وقيل كانت الحرب
بين الأنصار مائة وعشرين سنة حتى جاء الإسلام **يا أيها النبي حسبك الله** أي كافيك
ومن اتبعك من المؤمنين الواو بمعنى مع والمعنى كفاك وكفى أتباعك من المؤمنين الله ناصراً وقيل
الآية نزلت بالبيداء في غزوة بدر قبل القتال وعن ابن عباس نزلت في إسلام عمر وعن سعيد بن جبير
أنه أسلم مع النبي صلى الله عليه وسلم ثلاثة وثلاثون رجلاً وست نسوة ثم أسلم عمر فنزلت **يا أيها النبي
حرض المؤمنين على القتال** أي حثهم على حرب المشركين والتحريض المبالغة في الحث على الأمر
إن يكن منكم يا مؤمنون **عشرون صابرون** أي ثابتون في الحرب **يغلبوا مائتين** من الكفار
وإن يكن منكم مائة يغلبوا ألفاً من الذين كفروا هذه عدة من الله وبشارة بأن الجماعة من المؤمنين
إن صبروا غلبوا عشرة أمثالهم من الكفار **بأنهم قوم لا يفقهون** ۞ أي بسبب أن الكفار
قوم جهلة يقاتلون على غير طلب ثواب ولا ثقة بالله كالبهائم فيقل صبرهم وثباتهم

جهلهم بالله ونصرته ويستحقون خذلانه خلاف من يقاتل على بصيرة ومعه ما يستوجب به
النصر والاظهار من الله وعن ابن جريج كان عليهم ان لا يفروا ويثبت الواحد للعشرة وكان رسول
الله صلى الله عليه وآله بعث حمزة في ثلاثين راكبا فلقي ابا جهل في ثلثمائة راكب الآن خفف
الله عنكم من رفع تلك المشقة وعلم ان فيكم ضعفا فثقل عليهم بكلفة الواحد لملاقاة
عشرة فصعب الامر بعد مدة طويلة فنسخ وخفف عنهم بمقاومة الواحد للاثنين وقيل كان فيهم قلة
في الابتداء ثم لما كثروا نزل التخفيف والمراد بالضعف الضعف في البدن وقيل في
البصيرة والاستقامة في الدين وكانوا متفاوتين في ذلك فان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا
مائتين وان يكن منكم الف يغلبوا الفين باذن الله بتسهيله ومشيته للنصر بهم والله مع
الصابرين بالنصرة والمعونة اجمع المفسرون انها ناسخة للاولى وعن ابي مسلم ما كان
لنبي ان يكون له اسرى الاسرى جمع اسير وكذلك الاسارى حتى يثخن في الارض الاثخان
كثرة القتل والمبالغة فيه يعني حتى يذل الكفر ويضعفه باكثار القتل في اهله ويعز
الاسلام ويقويه بالاستيلاء والقهر ثم الاسر بعد ذلك ومعنى ما كان لنبي اي ما صح له وما استقام
وكان هذا يوم بدر فلما كثر المسلمون نزل فاما منا بعد واما فداء وروي ان رسول الله
صلى الله عليه وآله اتى بسبعين اسيرا فيهم العباس عمه وعقيل بن ابي طالب فاستشار ابا بكر فيهم
فقال قومك واهلك استبقهم لعل الله ان يتوب عليهم وخذ منهم فدية تقوى بها اصحابك
وقال عمر كذبوك واخرجوك فقدمهم واضرب اعناقهم فان هؤلاء ائمة الكفر وان الله اغناك
عن الفداء مكن عليا من عقيل وحمزة من العباس ومكني من فلان نسيب له فلنضرب اعناقهم
فقال عليه الصلوة والسلام ان الله ليلين قلوب رجال حتى تكون الين من اللبن وان الله ليشدد
قلوب رجال حتى تكون اشد من الحجارة وان مثلك يا ابا بكر مثل ابرهيم عليه السلام قال فمن تبعني فانه مني
ومن عصاني فانك غفور رحيم ومثلك يا عمر مثل نوح قال رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا ثم
قال لاصحابه انتم اليوم عالة فلا يفلتن احد منهم الا بفداء او ضرب عنق وروي انه قال لهم
ان شئتم قتلتموهم وان شئتم فاديتموهم واستشهد منكم بعدتهم فقالوا بل ناخذ الفداء فاستشهد
منهم سبعون باحد وكان فداء الاسارى عشرين اوقية وفداء العباس اربعين اوقية وعن ابن سيرين
كان فداؤهم مائة اوقية وستة دنانير والاوقية اربعون درهما وروي انهم لما اخذوا الفداء
نزلت الآية فدخل عمر على رسول الله صلى الله عليه وآله فاذا هو وابو بكر يبكيان فقال يا رسول الله
اخبرني فان وجدت بكاء بكيت وان لم اجد تباكيت فقال ابكي على اصحابك في اخذهم الفداء
ولقد عرض علي عذابهم ادنى من هذه الشجرة لشجرة قريبة منه وروي انه قال لو نزل عذاب من
السماء لما نجا منه غير عمر وسعد بن معاذ لقوله كان الاثخان في القتل احب الي تريدون عرض

الدنيا اي حطامها سمي عرضا لانه قليل اللبث تشبيها بالعرض الحادث من سكون او حركة
والمراد بالعرض الفداء والله يريد الآخرة اي يريد ما هو سبب الجنة من اعزاز الدين بالاثخان
في القتل وقرئ بعضهم بجر الآخرة على حذف المضاف معناه والله يريد عرض الآخرة على التقابل
يعني ثوابها والله عزيز قادر يغلب اولياءه على اعدائه ويتمكنون منهم قتلا واسرا ويطلق لهم
الفداء ولكنه حكيم يؤخر ذلك الى ان يعزوا ويكثروا وهم يعجلون في طلب الفداء لولا كتاب من الله
سبق اي لولا حكم من الله سبق في اثباته في اللوح وهو انه لا يعاقب المخطئ وكان هذا خطأ في
الاجتهاد لانهم نظروا في استبقائهم ربما كان سببا في اسلامهم وتوبتهم وان فداءهم يتقوى به على الجهاد
في سبيل الله وخفي عليهم ان قتلهم كان اعز للاسلام واهيب لمن وراءهم واقل لشوكتهم وقيل كتاب
انه سيحل لهم الفدية التي اخذوها وقيل ان اهل بدر مغفور لهم وقيل انه لا يعذب قوما الا بعد
تاكيد الحجة وتقديم النهي ولم يتقدم نهي عن ذلك لمسكم اي لاصابكم فيما اخذتم من الفداء
عذاب عظيم اي شديد فكلوا مما غنمتم روي انهم امسكوا عن الانتفاع بالغنائم وامسكوا
عنها ولم يمدوا ايديهم اليها فنزلت وقيل هو اباحة للفداء بعد الحظر لانه من جملة الغنائم حلالا
طيبا اي مستلذا ومشتهيا في حال كونه حلالا لا طيبا مطهرا من خبائث التحريم واتقوا الله فلا
تقدموا على شيء لم يحل لكم ان الله غفور رحيم معناه انكم اذا اتقيتموه بعد ما فرط منكم من استباحة
الفداء قبل ان يؤذن لكم فيه غفر لكم ورحمكم وتاب عليكم يا ايها النبي قل لمن في ايديكم من
الاسرى اي لمن في ملكتكم كان ايديكم قابضة عليهم ان يعلم الله في قلوبكم خيرا اي
خلوص ايمان وصحة نية يؤتكم خيرا مما اخذ منكم من الفداء اما يخلفكم في الدنيا اضعافه او
يثيبكم في الآخرة وعن العباس انه قال كنت مسلما لكنهم استكرهوني فقال صلى الله عليه وآله
ان يكن ما تذكره حقا فالله يجزيك فاما ظاهر امرك فقد كان علينا وكان احد الذين ضمنوا اطعام
اهل بدر وخرج بالذهب لذلك فروي ان رسول الله صلى الله عليه وآله قال للعباس افد نفسك وابني اخيك
عقيل بن ابي طالب ونوفل بن الحارث فقال يا محمد تركتني اتكفف قريشا ما بقيت فقال له فاين الذهب
الذي دفعته الى ام الفضل وقت خروجك من مكة وقلت لها لا ادري ما يصيبني في وجهي هذا
فان حدث بي حدث فهو لك ولعبد الله ولعبيد الله والفضل فقال العباس وما يدريك يا محمد قال
اخبرني به ربي قال العباس فانا اشهد انك صادق وان لا اله الا الله وانك عبده ورسوله
والله ما اطلع عليه احد الا الله ولقد دفعته اليها في سواد الليل ولقد كنت مرتابا في امرك
فاما اذا اخبرتني بذلك فلا ريب قال العباس فابدلني الله خيرا من ذلك لي الآن عشرون عبدا ان ادناهم
ليضرب في عشرين الفا واعطاني زمزم ما احب ان لي بها جميع اموال اهل مكة وانا انتظر المغفرة
من ربي وروي انه قدم على رسول الله صلى الله عليه وآله مال البحرين ثمانون الفا فتوضأ لصلوة

الطهر وما صلى حتى فرقه وأمر العباس ان يأخذ منه فأخذ ما قدر على حمله وكان يقول هذا خير مما
أخذ مني وأرجو المغفرة **ويغفر لكم** ذنوبكم **والله غفور رحيم** قال الحاكم نزلت في العباس كان أخرج
عشرين أوقية ليطعمها وكان من المطعمين فأسلموا وذهبت فكلم النبي صلى الله عليه وآله ان يحسبها من
فدائه فأبى **وان يريدوا خيانتك** أي نكث ما بايعوك عليه من الإسلام والمودة واستحبابه من آبائهم
والمعذرة بك **فقد خانوا الله من قبل** في كفرهم به ونقض ما أخذ على كل عاقل من شاهده **فأمكن منهم**
كما رأيتم يوم بدر فسيمكن منهم ان اعادوا الخيانة وقيل المراد بالخيانة منع ما ضمنوا من الفداء **والله عليم**
بما في ضمائرهم **حكيم** في جزائهم عليه بحسب ما يستحقون **ان الذين آمنوا وهاجروا** أي فارقوا أوطانهم
وقومهم حبا لله ولرسوله وهم المهاجرون **وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله** أي فيما رضيه كمقا
معاملة أعداء الدين وغيرهم **والذين آووا ونصروا** آووهم الى ديارهم ونصروهم على أعدائهم
وهم الأنصار **أولئك بعضهم أولياء بعض** أي يتولى بعضهم بعضا في الميراث وكان المهاجرون والأنصار
يتوارثون بالهجرة والنصرة دون ذوي القرابات حتى نسخ ذلك بقوله وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض
والذين آمنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شيء أي من توليهم في الميراث وقرئ من ولايتهم
بالفتح والكسر **حتى يهاجروا** يعني فحينئذ يحصل لهم ذلك **وان استنصروكم في الدين فعليكم
النصر** أي فواجب عليكم ان تنصروهم على المشركين **الا على قوم بينكم وبينهم ميثاق** أي عهد فإنه
لا يجوز لكم نصرهم عليهم لأنهم لا يبتدؤون بالقتال اذ الميثاق مانع من ذلك **والله بما تعملون بصير**
لا يخفى عليه شيء **والذين كفروا بعضهم أولياء بعض** ظاهره اثبات الموالاة بينهم كقوله في المسلمين أولئك
بعضهم أولياء بعض ومعناه نهي المسلمين عن موالاة الذين كفروا وموارثتهم وايجاب مباعدتهم ومصارمتهم
وان كانوا أقارب وان يتركوا يتوارثون بعضهم بعضا ثم قال **الا تفعلوه** أي الا تفعلوا ما امرتكم
به من تواصل المسلمين وتولي بعضهم بعضا يعني في التوارث تفضيلا لنسبة الإسلام على نسبة
القرابة ولم تقطعوا العلائق بينكم وبين الكفار ولم تجعلوا قرابتهم كلا قرابة **تكن فتنة في
الأرض وفساد كبير** أي تحصل فتنة في الأرض ومفسدة في الدين عظيمة لأن المسلمين ما لم يصيروا
يدا واحدة على الشرك كان الشرك ظاهرا والفساد زائدا **والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا
في سبيل الله والذين آووا ونصروا** جمع في هذه بين المهاجرين والأنصار وليست تكرارا لما
قبلها لأن هذه الآية واردة للثناء عليهم لشهادة الله لهم بالهجرة والنصرة مع الموعد بالمغفرة
لذنوبهم والرزق الكريم أي المرضي وهو الثواب الجزيل وقوله **أولئك هم المؤمنون حقا** أي ايمانا
حقا لأنهم صدقوا ايمانهم وحققوه بمهاجرة الأهل والوطن والانسلاخ من المال لأجل الدين
والآية الأولى واردة بالتواصل بينهم **لهم مغفرة** أي لذنوبهم **ورزق كريم** مرضي
وهو الجنة **والذين آمنوا من بعد وهاجروا وجاهدوا معكم** أي من جملتكم من بعد الذين

بعد السابقين الى الهجرة كقوله والذين جاؤوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا
بالإيمان أي ألحقهم بهم واجعلهم منهم تفضلا منه وترغيبا للمتخلفين عن الإسلام **وأولوا الأرحام** أي
وأولوا القرابات **بعضهم أولى ببعض** أي أولى بالتوارث وهو نسخ للتوارث بالهجرة والنصرة **في
كتاب الله** أي في حكمه وقسمته وقيل في اللوح المحفوظ وقيل في القرآن وهي آية المواريث وقد
استدل أصحابنا بهذه الآية على توريث ذوي الأرحام وهو مذهب أئمتنا عليهم السلام الا ما حكي
عن القسم بن ابراهيم عليهم السلام فانه منعهم عن التوارث كغيره من العلماء **ان الله بكل شيء عليم** ○
فارجعوا الى حكمه تعالى

سورة التوبة مدنية وهي مائة وثلاثون وقيل تسع وعشرون

لها عدة أسماء براءة • والتوبة • والمقشقشة • والمبعثرة • والمشردة • والمخزية • والفاضحة •
والمثيرة • والحافرة • والمنكلة • والمدمدمة • وسورة العذاب لأن فيها التوبة على المؤمنين وهي
تقشقش من النفاق أي تبرئ منه • وتبعثر عن أسرار المنافقين أي تبحث عنها وتثيرها وتحفر عنها
وتفضحهم وتنكلهم • وتشردهم وتخزيهم • وتدمدم عليهم • وعن حذيفة انكم تسمونها سورة التوبة
وانما هي سورة العذاب والله ما تركت أحدا الا نالت منه • وسأل ابن عباس عثمان بن عفان لم حولت
هذه السورة سائر السور فلم تصدر بآية البسملة فقال ان رسول الله صلى الله عليه وآله كان اذا نزل
عليه السورة أو الآية قال اجعلوها في المواضع التي يذكر فيها كذا وكذا وتوفي رسول الله صلى الله
عليه وآله ولم يبين لنا أين نضعها وكانت قصتها شبيهة بقصة الأنفال فلذلك قرنت بينهما في
المصحف وكانتا تدعيان القرينتين • وعن أبي بن كعب انما توهموا ذلك لأن في الأنفال ذكر العهود
وفي براءة نبذ العهود • وسئل ابن عيينة عن ذلك فقال اسم الله سلام وأمان فلا يكتب في النبذ والمحاربة
وقيل سورة الأنفال والتوبة سورة واحدة كلتاهما نزلت في القتال وهما تعدان السورة السابعة
من السبع وهي سبع وهذا قول ظاهر لأنهما معا مائتا آية وست فهما بمنزلة احدى الطوال وقد
اختلف أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله فقال بعضهم الأنفال وبراءة سورة واحدة وقال
بعضهم هما سورتان فتركت بينهما فرجة لقول من قال هما سورتان وتركت بسم الله لقول من قال
هما سورة واحدة **براءة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم من المشركين**
قيل لما نزلت لما عاهد رسول الله صلى الله عليه وآله أهل مكة عام الحديبية على ترك الحرب عشر
سنين ودخلت خزاعة في عهده صلى الله عليه وآله وبنو بكر في عهد قريش فعدت بنو بكر على خزاعة
وأعانتهم قريش بالسلاح وكان خزاعة عيبة رسول الله صلى الله عليه وآله فوفد عمرو بن سالم الخزاعي
على رسول الله صلى الله عليه وآله فأنشد • لاهم اني ناشد محمدا • حلف أبينا وأبيك الأتلدا •
ان قريشا أخلفوك الموعدا • ونقضوا ذمامك المؤكدا • هم بيتونا بالحطيم هجدا •

وصلوا ركعا وسجدا فقال عليه السلام لا نصرت ان لم انصركم اي استطاع عصمة ومنع
امان والمعنى ان الله ورسوله قد برئا من العهد الذي عاهدتم به المشركين وانه منبوذ
اليهم ونسب البراءة الى الله ورسوله والمعاهدة الى المسلمين لان الله تعالى اذن في معاهدة
المشركين اولا فاتفق المسلمون مع رسول الله صلى الله عليه وآله وعاهدوهم فلما نقضوا العهد
اوجب الله النبذ اليهم فخوطب المسلمون بما تجدد من ذلك فقيل اعلموا ان الله ورسوله قد برئا مما
عاهدتم به المشركين وروي انهم عاهدوا المشركين من اهل مكة وغيرهم من العرب فنكثوا
الا اناسا منهم وهم بنو ضمرة وبنو كنانة فنبذ العهد الى الناكثين وامروا ان يسيحوا في الارض
بقوله **فسيحوا في الارض اربعة اشهر** اي سيروا فيها هذه المدة آمنين حيث شئتم لا اتعرض لكم وهي
الاشهر الحرم وقيل كانت المنابذة عشرين فعضد لا هذه الاربعة الاشهر وذلك لصيانة
الاشهر الحرم من القتل والقتال فيها واما تفسير الاشهر الاربعة فعن الزهري ان براءة نزلت
في شوال فهي اربعة اشهر شوال وذو القعدة وذو الحجة والمحرم وقيل هي عشرون من ذي الحجة والمحرم
وصفر وربيع الاول وعشر من ربيع الآخر وسميت حرما لانه حرم فيها او لمواقفها دماؤهم وقتالهم
وكان نزول براءة سنة تسع من الهجرة وفتح مكة سنة ثمان وكان الامير فيها عتاب بن اسيد فامر رسول
الله صلى الله عليه وآله ابا بكر على الموسم سنة تسع ثم اتبعه **عليا عليه السلام**
راكبا العضباء ناقة النبي صلى الله عليه وآله ليقرأها على الناس في الموسم فقيل له لو بعثت بها الى
ابي بكر فقال لا يؤدي عني الا رجل مني فلما دنا علي سمع ابو بكر رغاء الناقة فوقف وقال هذا رغاء
ناقة رسول الله صلى الله عليه وآله فلما لحقه قال امير او مامور قال مامور وروي ان ابا بكر لما
كان في بعض الطريق هبط جبريل وقال يا محمد لا يبلغن رسالتك الا رجل منك فارسل عليا
فرجع ابو بكر الى رسول الله صلى الله عليه وآله وقال يا رسول الله اشيء نزل من السماء قال نعم سر
وانت على الموسم وعلي ينادي بالآي فلما كان قبل التروية خطب ابو بكر وحدثهم عن مناسكهم
وقام علي عليه يوم النحر عند جمرة العقبة وقال يا ايها الناس اني رسول رسول الله اليكم فقالوا
بماذا فقرأ عليهم ثلثين او اربعين آية من براءة وعن مجاهد ثلث عشرة ثم قال امرت باربع ان لا يقرب
البيت بعد هذا العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان ولا يدخل الجنة الا كل نفس مؤمنة وان
يتم الى كل ذي عهد عهده فقالوا عند ذلك يا علي ابلغ ابن عمك انا قد نبذنا العهد وراء ظهورنا
وانه ليس بيننا وبينه عهد الا طعن بالرماح وضرب بالسيوف **واعلموا انكم غير معجزي الله** اي
غير فائتين له وان امهلكم **وان الله مخزي الكافرين** اي مذلهم في الدنيا بالقتل وفي
الآخرة بالعذاب **واذان من الله ورسوله** الاذان بمعنى الايذان وهو الاعلام للمشركين
براءة الله ورسوله وهو خبر المراد به الامر والمعنى هذا اعلام من الله ورسوله واجب عليكم

بلغه

بلغه **الى الناس** هم المشركون وقيل المؤمنون ليستعدوا للقتال **يوم الحج الاكبر**
هو يوم عرفة وقيل يوم النحر لان فيه تمام الحج ومعظم افعاله من الطواف والنحر والحلق والرمي
وهو المروي عن رسول الله صلى الله عليه وآله وعن علي عليه السلام لكن يوم عرفة اكبر لان من ادركه
فقد ادرك الحج ومن فاته فقد فاته الحج فلذلك صيره واعتمره رضي الله عنه ووصف الحج بالاكبر
لان العمرة تسمى الحج الاصغر او جعل الوقوف بعرفة هو الحج الاكبر لانه معظم واجباته لفوت
الحج بفواته وعن الحسن سمي يوم الحج الاكبر لاجتماع المسلمين والمشركين فيه وموافقته لاعياد
اهل الكتاب لم يتفق ذلك قبله ولا بعده فعظم في قلب كل مؤمن وكافر **ان الله بريء من
المشركين** الناقضين للعهد **ورسوله** اي وهو بريء وقراءة السبعة ورسوله بالرفع وقرئ بالنصب
بمعنى وان رسوله بريء وبالجر لمجاورة المشركين **وحكي ان اعرابيا** سمع رجلا
يقرأ ورسوله بالجر فقال ان كان الله بريئا من رسوله فانا منه بريء فلببه الرجل الى عمر فحكى
الاعرابي قراءته فعندها امر عمر بتعليم العربية **فان تبتم** من الكفر والغدر بنقض العهود **فهو
خير لكم** مما انتم عليه **وان توليتم** اعرضتم عن التوبة والوفا بالعهود **فاعلموا انكم غير معجزي الله**
اي غير سابقين له ولا فائتين اخذه وعقابه **وبشر الذين كفروا بعذاب اليم** بشارة توبيخ
واستهزاء بوضع العذاب موضع الثواب **الا الذين عاهدتم من المشركين** هذا مستثنى من قوله
فسيحوا في الارض لان الكلام خطاب للمسلمين ومعناه براءة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم من المشركين
فقولوا لهم سيحوا الا الذين عاهدتم منهم **ثم لم ينقصوكم شيئا** من النقص او من شرط العهد او
من نقضه وقيل لم يقتلوا منكم احدا ولم يضروكم قط وقرئ لم ينقضوكم بالضاد معجمة اي لم ينقضوا عهدكم
ولم يظاهروا عليكم اي لم يعاونوا **احدا** من المشركين عليكم **فاتموا اليهم عهدهم** اي ما عاهدتم
عليه من الهدنة ومعنى فاتموا اليهم فادوه اليهم تاما كاملا قال ابن عباس بقي لحي من كنانة
من عهدهم تسعة اشهر فاتم اليهم عهدهم **الى مدتهم** اي الى آخر المدة المضروبة لهم **ان الله يحب المتقين**
يعني ان مقتضى التقوى ان لا يسوى بين الناكث والوفي فاتقوا الله في ذلك ولا تفعلوه وقيل يعد من
اتقوا الله في نقض عهوده ان يحب المتقين لمعاصيه **فاذا انسلخ الاشهر الحرم** يعني اذا انقضت
الاشهر الحرم التي ابيح فيها للناكثين ان يسيحوا في الارض وكملت مدتها **فاقتلوا المشركين** يعني
الناكثين الذين نقضوكم وظاهروا عليكم **حيث وجدتموهم** في حل او حرم من غير تخصيص لمكان دون
مكان وكذلك لا فرق بين الاشهر الحرم وغيرها وقد اطبق اكثر العلماء على جواز مقاتلة المشركين في
الاشهر الحرم وقالوا قد نسخ وجوب صيانتها من القتال وابيح قتال المشركين فيها **وخذوهم** معناه
واسروهم والاخيذ الاسير **واحصروهم** قيدوهم وامنعوهم من التصرف في البلاد وعن ابن عباس
حصرهم ان يحال بينهم وبين المسجد الحرام وقيل منعهم عن دار الاسلام **واقعدوا لهم كل مرصد** المر

المرا الذي يرصدونهم فيه اي على كل طريق يسطرون احدهم فيه على غره **فان تابوا** عن كفرهم
وعذرهم **واقاموا الصلوة واتوا الزكوة** اي اقروا بهما وفعلوهما بشرائطهما وفيه تنبيه بهما على
ما يتوا اهما ومن ابي بكر قاتل من لم يفعلهما وروى ان عليا عليه السلم احتج بالاية في قتال البغاة
فخلوا سبيلهم اي اطلقوهم من الاسر والحصر وكفوا عنهم ولا تتعرضوا لهم باذى وعن ابن عباس
دعوهم واتيان المسجد الحرام **ان الله غفور رحيم** يغفر لهم ما مضى من الكفر والغدر ويرحمهم بقبول
توبتهم **وان احد من المشركين استجارك فاجره** المعنى وان جاءك احد من المشركين
بعد انقضاء الاشهر ولا عهد بينك وبينه ولا ميثاق فاستامنك ليسمع ما تدعون اليه من التوحيد
والقران وبين ما يعيب له فامنه **حتى يسمع كلام الله** اي القران ويتدبره ويطلع على حقيقة
الامر **ثم ابلغه مامنه** اي ثم ابلغه بعد ذلك داره التي يامن فيها ان لم يسلم ثم قاتله ان شئت
من غير غدر ولا خيانة وهذا الحكم ثابت في كل وقت وعن الحسن هي محكمة الى يوم القيمة وعن
سعيد بن جبير جاء رجل من المشركين الى علي رضي الله عنه فقال ان اراد الرجل منا ان ياتي محمد بعد
انقضاء هذا الاجل يسمع كلام الله او ياتيه لحاجة قتل قال لا لان الله يقول وان احد من المشركين
استجارك الاية وعن السدي والضحاك هي منسوخة بقوله فاقتلوا المشركين ومذهب ائمتنا
عليهم انّ الكافر اذا طلب الامان اجيب اليه وان دعا الكفار الى الاسلام مستحب قبل القتال اذا
كانت الدعوة قد بلغتهم فاما قبل بلوغ الدعوة فواجب اجماعا **ذلك بانهم قوم لا يعلمون** اي ذلك الامر
يعني الامر بالاجارة في قوله فاجره بسبب انهم قوم جهلة لا يعلمون ما الاسلام وما حقيقة ما تدعو
اليه فلا بد من اعطائهم الامان حتى يسمعوا او يفهموا الحق **كيف يكون للمشركين عهد عند الله وعند
رسوله** هذا استفهام في معنى الاستنكار والاستبعاد لان يكون للمشركين عهدا اي ذمة عند رسول الله
صلى الله عليه وآله وهم اضداده واعداؤه وغيرة صدورهم والمعنى انه محال ان يثبت لهؤلاء عهد فلا
تطمعوا في ذلك ولا تحدثوا به انفسكم ولا تفكروا في قتلهم ثم استدرك ذلك بقوله **الا الذين عاهدتم
عند المسجد الحرام** اي ولكن الذين عاهدتم منهم ولم يظهر منهم نكث كبني كنانة وبني ضمرة فانتظروا
امرهم ولا تقاتلوهم **فما استقاموا لكم** على العهد **فاستقيموا لهم** على مثله **ان الله يحب
المتقين** يعني ان التربص بهم من اعمال المتقين **كيف وان يظهروا عليكم** كيف تكرار
لاستبعاد ثبات المشركين على العهد وحذف الفعل لكون لدلالة الاول عليه والمعنى كيف يكون لهم عهد
وحالهم انهم ان يظهروا عليكم اي يتمكنوا منكم بعد ما سبق لهم من تاكيد الايمان والمواثيق لم
ينظروا في حلف ولا عهد ولم يبقوا عليكم وهو معنى قوله **لا يرقبوا فيكم الا ولا ذمة** اي لا يراعوا
فيكم اي في قتلكم الا حلفا ولا قرابة وقيل الا الها اي لا يراقبوا فيكم الله ولا يحافظوا على عهد
ان الال بمعنى الحلف لانهم اذا تحالفوا رفعوا به اصواتهم وشهروه من الال وهو الجؤار وقال

قيل الكيسان لا يراعوا حلفا وقرابة

له اليل اي ابين ارفع به صوته وشميت القرابة الالّا لان القرابة عقدت بين الرجلين ما لا يعقد
الميثاق والذمة العهد لانه والمعنى ان يظهروا عليكم لا يبالوا بنقض الحلف ولا نقض الذمة التي
عاهدوكم عليها ولا يبقون عليكم الا اللحم عنكم وقلة الظفر بكم **يرضونكم بافواههم** اي بالسنتهم
التي في افواههم وهذا وصف لحالهم من مخالفة الظاهر الباطن مقرر لاستبعاد الثبات منهم على
العهد والمعنى يرضونكم بالكلام الجميل من السنتهم **وتابى قلوبهم واكثرهم فاسقون** راسدون
في الكفر متمردون فيه لا مروة يزعهم ولا شمائل مرضية تردعهم كما يوجد في بعض الكفرة من التفادي
عن الكذب والنكث والتعفف عما يثلم العرض ويجر احدوثة السوء **اشتروا بايات الله ثمنا قليلا**
اي استبدلوا بالقران بدلا قليلا وهو اتباع الاهواء والشهوات **فصدوا عن سبيله** اي عدلوا
عنه او صرفوا غيرهم وقيل هم الاعراب الذين جمعهم ابو سفيان واطعمهم يوم احد **انهم ساء ما
كانوا يعملون** اي انهم عملوا عملا بئس العمل وهو الصد عن اتباع رسول الله صلى الله عليه وآله
لا يرقبون في مؤمن الا ولا ذمة اي لا يراعون في الكفر عن مؤمن حلفا او قرابة ولا ذمة اي عهدا لانهم
يبالون بنكث العهود **واولئك هم المعتدون** المجاوزون في الظلم والشرارة **فان تابوا** عن
الكفر ونقض العهد **واقاموا الصلوة واتوا الزكوة فاخوانكم في الدين** وفعلوا ما يفعل
المسلمون من اقام الصلوة وايتاء الزكوة فهم اخوانكم في دين الله لهم ما لكم وعليهم ما عليكم **ونفصل
الايات لقوم يعلمون** اي نبينها لقوم من اهل العلم والعقل يتدبرونها بعقولهم لا لغير المتدبرين
المؤمنين جهلة كالبهائم لا يوصفون بعلم وهذا فاصل بين ما قبله وما بعده للحث والتاكيد على
تامل ما فصل الله من احكام المشركين المعاهدين وعلى المحافظة عليها كانه قيل وان من تامل
تفصيلها وعمل به فهو العالم **وان نكثوا ايمانهم من بعد عهدهم** اي نقضوا حلفهم وعهدهم
من بعد ما عاهدوكم على الايمان والوفا بالعهود **وطعنوا في دينكم** اي عابوه وثلموه ونكثوه ودنوا
فقاتلوا ائمة الكفر اي فقاتلوهم فوضع ائمة الكفر موضع ضميرهم للاعلام بانهم اذا نكثوا في حال
الشرك تمردا وطغيانا وطرحا لعادات الكرام الاوفياء من العرب ثم امنوا واقاموا الصلوة واتوا
الزكوة وصاروا اخوانا للمسلمين في الدين ثم رجعوا فارتدوا عن اسلامهم ونكثوا ما بايعوا عليه
من الايمان والوفا بالعهود وطعنوا في دين الله تعالى وقالوا ليس دين محمد بشيء فهم ائمة الكفر وذوو
الرياسة والتقدم فيه الذين يلعبوا في الكفر كل مبلغ وقالوا اذا طعن الذمي في دين الاسلام طعنا
ظاهرا جاز قتله لان العهد معقود معه على ان لا يطعن فاذا طعن فقد نكث عهده وخرج من
الذمة وفي هذه الاية ما يقتضي صحة هذا القول **انهم لا ايمان لهم** الايمان جمع يمين
اي لا ايمان لهم يعتد بها لكذبهم ونكثهم وقرئ لا ايمان لهم اي لا اسلام لهم واثبت لهم الايمان في قوله
وان نكثوا ايمانهم ونفاها عنهم هاهنا لانه اراد ان نكثوا ايمانهم التي اظهروها بالسنتهم فقال

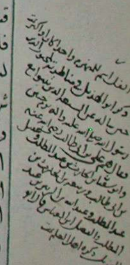
لا ايمان لهم على الحقيقة لانهم لا يوفون بها او لا ايمان لا تصح منهم لاجل ما هم عليه من الكفر
وبهذه الآية احتج ابو حنيفة على ان يمين الكافر لا يكون يمينا وهو مذهب اصحابنا لانه من لوازمها الكفارة
وهي قربة ولا قربة لكافر وعند الشافعي يمينهم يمين وقال معناه انهم لا يوفون بها بدليل انه وصفها بالنكث
لعلهم ينتهون ۝ متعلق بقوله فقاتلوا ائمة الكفر اي ليكن غرضكم في مقاتلتهم ان
يكون المقاتلة سببا في انتهائهم عما هم عليه من عظائم الكفر والمعنى انكم لا تقصدون بقتالهم الايصال
وهذا من غاية كرمه وفضله وعوده على المسيء بالرحمة كلما عاد بالاساءة ألا تقاتلون قوما نكثوا
أيمانهم يعني كفار مكة نقضوا العهد واعانوا بني بكر على خزاعة ودخلت الهمزة على لا للحث على
المقاتلة لهم حيث نكثوا ايمانهم التي حلفوها في المعاهدة وهموا باخراج الرسول من مكة حين
تشاوروا في امره بدار الندوة حتى اذن الله له في الهجرة فخرج بنفسه وهم بدءوكم اول مرة
اي وهم الذين كانت لكم البداءة بالمقاتلة منهم لان رسول الله صلى الله عليه وآله جاءهم اولا بالكتاب
المنير وتحداهم به فعدلوا عن المعارضة لعجزهم عنها الى المقاتلة فهم البادئون بالقتال والبادي
اظلم فما يمنعكم من ان تقاتلوهم بمثله وان تصدموهم بالشر كما صدموكم مع انكم على حق وهم على
باطل وبخهم بترك مقاتلتهم وحضهم عليها أتخشونهم اي بما لكم من قتالهم مكروه حتى تتركون
قتالهم ومعناه الانكار عليهم وتوبيخهم على خشيتهم منهم فالله احق ان تخشوه اي هو احق
منهم بان تخشى فقاتلوا اعداءه ان كنتم مؤمنين يعني ان قضية الايمان الصحيح ان لا تخشى
الا ربه ولا يبالي بمن سواه قاتلوهم يعذبهم الله بايديكم ويخزهم لما وبخهم على ترك
القتال جرد لهم الامر بقتالهم فقال قاتلوهم ووعدهم ليقوي قلوبهم ويصحح نياتهم بانه يعذبهم
قتلا واسرا وينصركم عليهم يولكم النصر والغلبة لهم ويشف صدور قوم مؤمنين
وهم خزاعة لان بني بكر عدوا عليهم وظاهرهم قريش عليهم بالسلاح وعن ابن عباس هم
ناس من اليمن قدموا مكة فاسلموا فلقوا من اهلها اذى شديدا فبعثوا الى رسول الله صلى
الله عليه وآله يشكون عليه فقال ابشروا فان الفرج قريب ويذهب غيظ قلوبهم اي يذهب
ما في قلوبهم من الغيظ لما لقوا منهم من المكروه وقد حصل الله لهم هذه المواعيد كلها
فكانت دليلا على صدق رسول الله صلى الله عليه وآله وصحة نبوته ويتوب الله على من يشاء
هذا ابتداء كلام واخبار بان بعض اهل مكة يتوب عن كفره وقد كان ذلك ايضا فقد اسلم
ناس منهم وحسن اسلامهم وقوله على من يشاء معناه من يلطف له تعالى لان شاء غير ذلك تعبير
بالمشية عما هي بالعبد له من التوبة والله عليم يعلم ما سيكون كما يعلم ما قد كان
حكيم لا يفعل الا ما اقتضت الحكمة نحو التوبة على من تاب دون من لم يتب أم حسبتم
أن تتركوا المراد توبيخهم على حسبانهم ان يتركوا على ما هم من الاحوال عن ممتحن ولما

يعلم الله الذين جاهدوا منكم يعني انكم لا تتركون على ما انتم عليه حتى يتبين المخلص منكم
وهم الذين جاهدوا في سبيل الله والمعنى ولما يعلم الله يعني لم يعلم الله المخلصين منهم والمراد نفي العلم نفي
المعلوم كقول القائل ما علم الله مني ما قيل في يريد ما وجد ذلك مني ولم يتخذوا من دون الله ولا
رسوله ولا المؤمنين وليجة اي بطانة من الذين يضادون رسول الله صلى الله عليه وآله
والمؤمنين والوليجة خاصة الرجل وبطانته والمعنى ولم يتخذوا وليجة من اعداء الله ورسوله والله
خبير بما تعملون ۝ اي بما ابطنتم من الاخلاص في الايمان والجهاد او من المعاهدة عنه ولكن
الوليجة من اعداء الدين ما كان للمشركين اي ما صح لهم وما استقام ان يعمروا مساجد الله شاهدين
على انفسهم بالكفر يعني المسجد الحرام وانما قيل مساجد لانه قبلة المساجد كلها وامامها
وعامره كعامر جميع المساجد ولان كل بقعة منه مسجد والمعنى ما استقام لهم ان يجمعوا بين امرين
متنافيين عمارة متعبدات الله مع الكفر بالله وبعبادته ومعنى شهادتهم على انفسهم بالكفر ظهور كفرهم
وانهم نصبوا اصنامهم حول البيت وكانوا يطوفون عراة ويقولون لا نطوف عليها بثياب قد اصبنا
فيها المعاصي وكلما طافوا شوطا سجدوا لها وقيل هو قولهم لبيك لا شريك لك الا شريك هو لك تملكه
وما ملك يعنون اصنامهم وقيل اقبل المهاجرون والانصار على اسارى بدر يعيرونهم بالشرك
فاخذ علي عليه السلام يوبخ العباس بقتال رسول الله صلى الله عليه وآله وقطيعة
الرحم واغلظ له في القول فقال العباس تذكرون مساوينا وتكتمون محاسننا فقال او لكم محاسن
قال نعم ونحن افضل منكم اجرا انا لنعمر المسجد الحرام ونحجب الكعبة ونسقي الحجيج ونفك العاني
فنزلت اولئك حبطت اعمالهم بطلت وهي الحجابة والعمارة والسقاية وفك العناة ومعنى حبوط اعمالهم
انهم لا يستحقون عليها اجرا ولا ثوابا لان الكفر وكبائر المعاصي تبطل ما تقدم من الاعمال الصحيحة
في حال الايمان فكيف اذا كان الكفر مقارنا للاعمال فاولى واحرى واكد بطلان اعمالهم بقوله وفي
النار هم خالدون اي لا مخرج لهم منها ۝ انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم
الآخر واقام الصلوة وآتى الزكوة ولم يخش الا الله اي لا يصح عمارة المساجد ولا
تعتد بها الا من هؤلاء الذين آمنوا بالله والبعث واقاموا الصلوة وآتوا الزكوة ولم يخشوا
الا الله ولم يذكر الايمان برسول الله صلى الله عليه وآله للعلم بان الايمان بالله مقرون بالايمان برسوله
اي لا تستقيم العمارة الا لمن جمع بين هذه الخصال والعمارة تتناول اقامة حيطان المساجد
واصلاحها وقمها وتنظيفها وتنويرها بالمصابيح وتعظيمها واعتيادها للعبادة والذكر
بالتهليل والتسبيح ومن الذكر درس العلم بل هو اجله واعظمه وصيانتها مما لم تبن له من احاديث
الدنيا فضلا عما لا يعني من فضول الحديث وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم
يأتي في آخر الزمان ناس من امتي يأتون المساجد فيقعدون فيها حلقا اي جماعات ذكرهم الدنيا

وصل الدنيا لا تجالسوهم فليس لله بهم حاجة. وفي الحديث الحديث في المسجد يأكل الحسنات
كما تأكل البهيمة الحشيش. وقال عليه السلام قال الله تعالى إن بيوتي في أرضي المساجد وإن زوارى
فيها عمارها فطوبى لعبد تطهر في بيته ثم زارني في بيتي فحق على المزور أن يكرم زائره. وعنه عليه
السلام من ألف المسجد ألفه الله. وقال صلى الله عليه وآله إذا رأيتم الرجل يعتاد المسجد فاشهدوا
له بالإيمان. وعن أنس رضي الله عنه من أسرج في مسجد سراجاً لم تزل الملائكة وحملة العرش يستغفرون له
ما دام في ذلك المسجد ضوءه. وقال ولم يخش إلا الله ومعلوم أن المؤمن يخشى المحاذير ولا
المراد الخشية والتقوى في باب الدين وأن لا يختار على رضا الله رضا غيره لتوقع مخوف منه وإذا
اعترضه أمران أحدهما حق الله والآخر حق نفسه أن يخاف الله فيؤثر حق الله على حق نفسه. وقيل
كانوا يخشون الأصنام ويرجونها فأريد نفي تلك الخشية عنهم. وقوله فعسى أولئك أن يكونوا من
المهتدين تبعيد للمشركين عن مواقف الاهتداء وحسم لأطماعهم في الانتفاع بأعمالهم التي استعظموها
وافتخروا بها وأملوا عاقبتها بأن الذين آمنوا وضموا إلى إيمانهم العمل بالشرائع مع استشعار
الخشية والتقوى اهتداؤهم دائر بين عسى ولعل فما بال المشركين يقطعون أنهم مهتدون
ونائلون عند الله الحسنى. وفي هذا الكلام لطف بالمؤمنين في ترجيح الخشية على الرجاء ورفض الاغترار
بالله وفيه أبلغ تحذير لهم من التفريط في التقوى ولا يغتر أحد بالله وسعة في الدنيا ويسره حتى
يستر على ذلك ثواب الآخرة فإن الدنيا دار ستر وتكليف والآخرة دار كشف وتبيين أجعلتم
سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام قال المشركون عمارة البيت والقيام على السقاية خير ممن آمن
والجهاد فنزلت. وسقاية الحاج سقيهم الشراب في الموسم وعمارة المسجد تجميره وتخليقه ولا بد من
مضاف محذوف تقديره أجعلتم أهل سقاية الحاج وأهل عمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله
أي كإيمان من آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله أي لوجهه وإعزاز دينه
لا لغرض دنيوي لا يستوون عند الله في الفضل والدرجة والمعنى إنكار أن يشبه المشركون
بالمؤمنين وأعمالهم المحبطة بأعمال المؤمنين المثبتة وأن يسوى بينهم وجعل تسويتهم ظلماً
بعد ظلمهم بالكفر فقال والله لا يهدي القوم الظالمين يعني الذين زعموا أن السقاية والعمارة
أفضل من الإيمان بالله ومعنى لا يهديهم لا يوفقهم للصواب لأنهم لا يقبلون هداه وتوفيقه
الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم أعظم درجة عند الله
لما أنكر عليهم في التسوية بين المشركين والمؤمنين وأعمالهم المحبطة بأعمال المؤمنين صرح
بأن المؤمنين أعظم درجة أي أرفع منزلة عنده من المشركين وأفضل منهم على زعمهم أنهم
أهل فضل والإعلام بأن كلا المؤمنين في شيء من الفضل. وروي أن المشركين قالوا لليهود

نحن سقاة الحجيج وعمار المسجد الحرام أفنحن أفضل أم محمد وأصحابه فقالت لهم اليهود أنتم أفضل
وقيل إن علياً عليه السلام قال للعباس يا عم ألا تهاجرون ألا تلحقون برسول الله فقال ألست في
أفضل من الهجرة أسقي حاج بيت الله وأعمر المسجد الحرام فلما نزلت قال العباس ما أراني إلا تارك
سقايتنا فقال عليه السلام أقيموا على سقايتكم فإن لكم فيها خيراً أي هي تجر إلى الخير وذكر أن العباس
أسلم فلعلها كانت تلطفاً له. وقال الحاكم يعني بالخير الثواب وأولئك هم الفائزون لا أنتم
والمختصون بالفوز دونكم والمعنى هم أعظم درجة عند الله من أهل السقاية والعمارة عندكم
يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان تنكير المبشر به وإبهامه للمبالغة في وصفه وللوقوعه
وراء صفة الواصف وتعريف المعرف أي يبشرهم بنعمة منه فوق ما يرجون وبرضوان يبلغ
بغيته فيعظمهم المنافع الهنية على وجه الإجلال والتعظيم وجنات لا يحيط بها الوصف
لهم فيها نعيم مقيم أي لا ينقطع عنهم خالدين فيها أبداً وصف لحالهم بالخلود في
الجنات وهو البقاء الذي لا انقطاع له وأبداً تأكيد له إن الله عنده أجر عظيم أي
عنده للمتقين ثواب جزيل. وعن ابن عباس هي في المهاجرين خاصة يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا
آباءكم وإخوانكم أولياء كان قبل فتح مكة من آمن لم يتم إيمانه إلا بأن يهاجر ويصارم أقاربه
الكفرة ويقطع موالاتهم فقالوا يا رسول الله إن نحن اعتزلنا من خالفنا في الدين قطعنا آباءنا و
وعشائرنا وذهبت تجارتنا وهلكت أموالنا وخربت ديارنا وبقينا ضائعين فنزلت فهاجروا
فجعل الرجل يأتيه ابنه أو أبوه أو أخوه أو بعض أقاربه فلا يلتفت إليه ولا ينزله ولا ينفق عليه
ثم رخص لهم في ذلك. وقيل نزلت في قوم ارتدوا ولحقوا بمكة فنهى الله عن موالاتهم والمعنى لا تتخذوا
آباءكم وإخوانكم أولياء أي أصدقاء تؤثرون المقام معهم على الهجرة إن استحبوا اختاروا
الكفر على الإيمان ورضوا به بدلاً عنه ومن يتولهم منكم يحبهم ويصادقهم فأولئك المحبون
لهم هم الظالمون وضع من يوادهم ولا يهاجر عنهم بأنهم الظالمون أي الكاملون في الظلم لا غيرهم
وقيل لما نزلت هذه الآية قالوا يا رسول الله إن نحن اعتزلنا من خالفنا في الدين قطعنا آباءنا وأبناءنا
وخربت ديارنا أنزل الله تعالى قل إن كان آباؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم أي أقاربكم
وأموال اقترفتموها اكتسبتموها وتجارة تخشون كسادها ذهاب نفاقها وفسادها
وعدم نفاقها ومساكن ترضونها أي ديار تحبونها وتؤثرون الإقامة فيها أحب إليكم من الله
ورسوله وجهاد في سبيله **المعنى** إن كانت هذه الأشياء أحب إليكم من الله ورسوله والجهاد
في سبيله فتربصوا أي انتظروا وأقيموا بمكة حتى يأتي الله بأمره الذي يعاقبكم به عن ابن
عباس هو فتح مكة وعن الحسن عقوبة آجلة أو عاجلة **قال رضي الله عنه**
وهذه آية شديدة لا ترى أشد منها كأنها تنعى على الناس ما هم عليه من رخاوة عقد الدين واضطراب

حل السمر فلسعضه من بعثه او ربع الناس وابقاهم ونستظر هل نجد من بعثه من التصلب في
ذات الله والثبات على دين الله ما يستحق لديه على الآبا والابنا والاخوان والعشاير والمال
والمساكن وجميع حظوط الدنيا ويتجرد منها لاجله ام يزوي الله عنه احقر شي منها لمصلحته
فلا يدري اي طرفيه اطول ويغويه الشيطان عن اجل حظ من حظوظ الدين فلا يبالي كانما
وقع على انفه ذباب فطيره وفي الحديث لا يجد احدكم طعم الايمان حتى يحب في
الله ابعد الناس ويبغض في الله اقرب الناس اليه وفي قوله والله لا يهدي القوم الفاسقين اشارة
الى ان موالاة اعدائه وترك المهاجرة عنهم من الفسق وهو الخروج من الدين والانسلاخ عنه
والمعنى لا يهديهم ولا يلطف بهم في اختيار حب الله ورسوله على حب هذه الاشيا المذكوره لانهم لا
يقبلون اللطف ولا ينتفعون به كما ينتفع المخلصون لقد نصركم الله في مواطن كثيرة مواطن
الحرب مقاماتها ومواقعها والمعنى نصركم في مواضع للحرب كثيره وهي وقعات بدر وقريظة والنضير
والحديبيه وخيبر وفتح مكه ويوم حنين اي وموطن يوم حنين وحنين واد بين مكه والطايف
كانت فيه الوقعه بين المسلمين وهم اثنا عشر الفا الذين حضروا فتح مكه منضما اليهم الفان
من الطلقا وبين هوازن وثقيف وهم اربعة الاف فيمن ضامهم من امداد ساير العرب وكانوا الجم
الغفير فلما التقوا قال رجل من المسلمين لن نغلب اليوم من قلة فساءت رسول الله صلى الله عليه واله
وقيل قائلها رسول الله صلى الله عليه واله وقيل ابو بكر وذلك قوله اذ اعجبتكم كثرتكم فاقتتلوا
قتالا شديدا وادركت المسلمين كلمة الاعجاب بالكثرة وزل عنهم ان الله تعالى هو الناصر لا كثرة الجنود
فانهزموا حتى بلغ فلهم مكه وبقي رسول الله صلى الله عليه واله وحده وهو ثابت في مركزه لا يتحلحل
ليس معه الا عمه العباس اخذا بلجام دابته وابو سفيان بن الحرث ابن عمه وناهيك بهذه الوحده
شهاده صدق على تناهي شجاعته ورباطة جاشه وما هي الا من آيات النبوه وقال يا رب ائتني ما
وعدتني وقال للعباس وكان صيتا صح بالناس فنادى الانصار فخذا فخذا ثم نادى يا اصحاب
الشجره يا اصحاب البقره فكروا عنقا واحدا وهم يقولون لبيك لبيك ونزلت الملائكة عليهم
الثياب البيض على خيول بلق فنظر رسول الله صلى الله عليه واله الى قتال المسلمين فقال هذا حين حمي
الوطيس ثم اخذ كفا من تراب فرماهم به ثم قال انهزموا ورب الكعبه فانهزموا قال العباس
لكاني انظر الى رسول الله صلى الله عليه واله يركض خلفهم على بغلته فلم تغن عنكم شيئا
اي لم يعطكم ذلك الكثرة شيا من النفع وضاقت عليكم الارض بما رحبت الباء بمعنى مع اي مع رحبها
والمعنى لا تجدون موضعا لهربكم ونجاتكم لشدة الخوف فكان الارض التي ضاقت عليكم ثم وليتم
مدبرين اي انهزمتم اعلمهم الله انهم ليسوا يغلبون بكثرتهم انما يغلبون بنصر الله ثم انزل الله سكينته
رحمته التي سكنوا بها وامنوا وهو ما سكن اليه القلب لطف الله ورحمته على رسوله وعلى



المؤمنين الذين انهزموا وقيل هم الذين ثبتوا مع رسول الله صلى الله عليه واله حين وقع الهزيمه
وانزل جنودا لم تروها يعني الملايكه وكانوا ثمانية الاف وقيل خمسة الاف وقيل ستة عشر الفا
وعذب الذين كفروا بالقتل والاسر وسبي النسا والذراري وذلك جزاء الكافرين في الدنيا
على كفرهم ولهم في الآخره عذاب النار الذي هو اشد العذاب ثم يتوب الله من بعد ذلك على
من يشاء اي يسلم من الكفار بعد ذلك العذاب الذي وقع عليهم يوم حنين فيتوب الله عليهم
لاسلامهم روي ان اناسا منهم جاؤا فبايعوا رسول الله صلى الله عليه واله على الاسلام وقالوا يا رسول
الله انت خير الناس وابر الناس وقد سبي اهلونا واولادنا واخذت اموالنا قيل سبي يومئذ
ستة الاف نفس واخذ من الابل والغنم ما لا يحصى فقال ان عندي ما ترون ان خير القول اصدقه
اختاروا اما ذراريكم ونساكم واما اموالكم فقالوا ما كنا نعدل بالاحساب شيا فقام رسول الله
صلى الله عليه واله وقال ان هؤلا جاؤا مسلمين وانا خيرناهم بين الذراري والاموال فلم يعدلوا بالاحساب
شيا فمن كان بيده شي وطابت نفسه ان يرده فشانه اي فليفعل ومن لا فليعطنا وليكن قرضا
علينا حتى نصيب شيا فنعطيه مكانه فقالوا رضينا وسلمنا فقال اني لا ادري لعل فيكم من لا يرضى
فمروا عرفاكم فليرفعوا ذلك الينا فرفعت اليه العرفا ان قد رضوا والله غفور رحيم يتفضل
امن ويرحمه بقبول توبته يا ايها الذين آمنوا انما المشركون نجس اي اصحاب نجس لان معهم الشرك الذي
هو بمنزلة النجس ولانهم لا يتطهرون ولا يغتسلون من جنابة ولا يتوضون من حدث فالنجاسة متصلة
بهم وملابسة لهم او جعلوا كانهم النجاسة بعينها مبالغة في وصفهم بها وعن ابن عباس اعيانهم نجسة
كالكلاب والخنازير وهو مذهب الجلة من ابائنا عليهم السلام وبعضهم على خلاف هذا وان رطوبتهم طاهرة وهو
مذهب الفقهاء وعن الحسن من صافح مشركا توضا فلا يقربوا المسجد الحرام اي فلا يحجوا ولا يعتمروا
كما كانوا يفعلون في الجاهليه بعد عامهم هذا يعني عام الفتح اي بعد عام حجهم هذا وهو عام
تسع من الهجره في السنة التي امر فيها ابو بكر على الموسم ويدل عليه قول علي عليه السلام حين نادى ببراءه
الا لا يحج بعد عامنا هذا مشرك ولما منعوا من دخول الحرم قال المسلمون انهم كانوا ياتون بالميرة والان
ستنقطع المتاجر فانزل الله وان خفتم عيلة اي فقرا بسبب منع المشركين من الحج وما كان لكم في قدومهم
عليكم من المنافع والمكاسب في الموسم فسوف يغنيكم الله من فضله ان شاء من عطائه او من
تفضله بوجه اخر فارسل السما عليهم مدرارا فاغزر بها خيرهم واكثر ميرهم واسلم اهل جدة وتبالة
وصنعا وجرش وحملوا الطعام الى مكه وما يعاش به فكان ذلك اعود عليهم مما خافوا العيلة
لفواته وكفاهم الله ما كانوا يتخوفون وعن ابن عباس القى الشيطان في قلوبهم الخوف وقال من اين تاكلون
فامرهم الله بقتال اهل الكتاب واغناهم بالجزيه وقيل بفتح البلاد والغنائم ومعنى قوله ان شا
اي ان اوجبت الحكمة اغناكم وكان مصلحة لكم في دينكم ان الله عليم باحوالكم حكيم لا يعطي ولا يمنع

الامر حكمه دعواب ثم نزل في جهاد اهل الكتاب اليهود والنصارى قوله **قاتلوا الذين لا**
يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر يعني كايمان الموحدين لان ايمانهم كلا ايمان اذا لم يؤمنوا بمحمد صلى الله
عليه وآله **ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله** يعني الخمر **ولا يدينون دين الحق** اي لا يدينون
بدين الاسلام هلا **من الذين اوتوا الكتاب** هذا بيان للذين لا يؤمنون مع ما في خبره نفي
عنهم الايمان بالله لان اليهود مثنية والنصارى مثلثة وايمانهم باليوم الاخر لانهم فيه على خلاف ما يجب
وتحريم ما حرم الله ورسوله لانهم لا يحرمون ما حرم في الكتاب والسنة وقيل لا يعملون بما في التورية والانجيل
وان يدينوا دين الحق وان يعتقدوا دين الاسلام الذي هو الحق وما عداه باطل **حتى يعطوا الجزية**
اي يلجوهم الى ان يعطوا الجزية وهي ما يعطي المعاهد على عهده سميت جزية لانها تعض ما على اهل
الذمة ان يجزوه اي يقضوه ولانهم يجزون بها من من عليهم بالاعفاء عن القتل **عن يد** اما ان يراد بها
يد المعطي او الآخذ فمعناه على ارادة يد المعطي حتى يعطوها عن يد اي عن يد مواتية غير ممتنعة لان
من ابى وامتنع لم يعط يده بخلاف المطيع المنقاد ولذلك قالوا اعطى بيده اذا انقاد واطاع ونزع
يده عن الطاعة اذا خالف او حتى يعطوها عن يد الى يد نقدا غير نسية لا مبعوثا على يد احد ولكن عن
المعطي بيده ولا يرسل بها غيره واما على ارادة يد الآخذ فمعناه حتى يعطوها عن يد قاهرة مستولية
او انعام عليهم لان قبول الجزية منهم وترك ارواحهم لهم نعمة عظيمة عليهم سلامهم بها من القتل
وهم صاغرون ذليلون مقهورون اي يؤخذ منهم على الصغار والذل وهو ان يأتي بها بنفسه
ماشيا غير راكب ويسلمها وهو قايم والمتسلم جالس وان يتلتل تلتلة ويؤخذ بتلبيبه ويقال
له ادّ الجزية وان كان يؤديها ويزخ في قفاه ويسقط الجزية بالاسلام عند ابي حنيفة ولا يسقط
بها الخراج وهو مذهب ائمتنا عليهم السلام واختلف فيمن تضرب عليه الجزية فعند ابي حنيفة تضرب على كل كافر
ذمي مجوسي وحربي وصابي الا على مشركي العرب وحدهم روى الزهري ان رسول الله صلى الله عليه وآله
صالح عبدة الاوثان على الجزية الا من كان من العرب وقال لاهل مكة هل لكم في كلمة اذا قلتموها
دانت لكم بها العرب وادت لكم الجزية العجم ومذهب ائمتنا عليهم السلام ان الجزية تؤخذ من جميع المشركين
الا من مشركي العرب الذين لا يدينون بكتاب ولا يقبل منهم الا الاسلام او القتل والذين تؤخذ منهم
الجزية الامام مخير فيهم بين القتل والاسر والمن عليهم بالجزية وتؤخذ عند ح في اول كل
سنة من الفقير الذي له كسب اثنا عشر درهما ومن المتوسط في الغنا ضعفها ومن المكثر ضعف الضعف
ثمانية واربعون ولا يؤخذ من فقير لا كسب له وعند ش يؤخذ في اخر السنة من كل واحد دينار فقيرا
كان او غنيا كان له كسب او لم يكن ومذهب ائمتنا عليهم السلام انها تؤخذ قبل كمال السنة من جميع المقاتلة دون
العبيد والنساء والصبيان والزمنى والمشايخ الهرمى اذا لم يكونوا من اهل الراي او انها تؤخذ على
الطبقات فعلى الموسر ثمان واربعون وعلى المتوسط اربع وعشرون وعلى الفقير الذي

سؤال حتى يعطوا الجزية عن يد كيف قلت ...

النصارى

لمن يعمل اثني عشر فعلة ولا فضل بين جهر وقصر **وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت**
النصارى المسيح ابن الله هذا قول ناس من اليهود ممن كان بالمدينة وما هو قول كلهم وقيل قاله فنحاص
بن عازورا وسبب هذا القول ان اليهود قتلوا الانبياء بعد موسى عليه السلام فرفع الله عنهم التورية
ومحاها من قلوبهم فخرج عزير وهو غلام يسيح في الارض فاتاه جبريل فقال له الى اين تذهب فقال
اطلب العلم فحفظه التورية فاملاها عليهم عن ظهر لسانه لا يخرم منها حرفا فقالوا ما جمع الله التورية
في صدره وهو غلام الا لانه ابنه والدليل على ان هذا القول كان فيهم ان الآية تليت عليهم فما انكروا
ولا كذبوا مع تهالكهم على التكذيب وسبب قول النصارى ان المسيح حصل بامر الله من غير واسطة
اب خلاف ما يعتاد **ذلك قولهم بافواههم** اي ما انشئهم التي في افواههم وكل قول يقال
بالفم فما فائدة ذكر الافواه ان يراد انه قول لا يعضده برهان ولا يقوم عليه دليل وما هو الا لفظ
يفوهون به فارغ من معنى تحته كالالفاظ المهملة التي لا تدل على معان لان القول الدال على معنى
لفظه مقول بالفم ومعناه مؤثر في القلب وما لا معنى له مقول بالفم لا غير **يضاهون قول**
الذين كفروا من قبل تقديره يضاهي قولهم قول الذين كفروا اي يشابهه والمضاهاة المشابهة
والمعنى ان اهل الكتاب الذين كانوا في عهد رسول الله صلى الله عليه وآله من اليهود والنصارى
يضاهي قولهم قول قدمائهم يعني انه كفر قديم فيهم غير مستحدث او يضاهي قول المشركين الملائكة
بنات الله وقيل المعنى يضاهي قول النصارى المسيح ابن الله قول اليهود عزير ابن الله لان اليهود
اقدم منهم فتشبهوا بهم **قاتلهم الله** دعا عليهم بمعنى لعنهم اي هم احقاء ان يقال لهم هذا تعجبا من
شناعة قولهم كما يقال لقوم ركبوا شنعا قاتلهم الله ما اعجب فعلهم **انى يؤفكون** اي كيف يصرفون
عن الحق بعد وضوح الدليل حتى يجعلوا لله الولد وهذا تعجيب للنبي صلى الله عليه وآله والمؤمنين
اتخذوا احبارهم ورهبانهم اي علماءهم وعبادهم **اربابا من دون الله**
اتخاذهم لهم اربابا انهم اطاعوهم في الامر بالمعاصي وتحليل ما حرم الله وتحريم ما حلله الله كما
يطاع الارباب في اوامرهم وعن عدي بن حاتم اتيت الى رسول الله صلى الله عليه وآله وفي عنقي صليب
من ذهب فقال اطرح عنك هذا الوثن وسمعته يقول اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من
دون الله فقلت ما عبدوهم يا رسول الله فقال اليس يحرمون ما احل الله فتحرمونه ويحلون
ما حرمه فتحلونه قلت بلى قال فتلك عبادتهم وعن فضيل ما ابالي اطعت مخلوقا في معصية
الخالق او صليت لغير القبلة واما المسيح فحين جعلوه ابنا لله فقد اهلوه للعبادة **والمسيح**
ابن مريم وما امروا في التورية والانجيل **الا ليعبدوا الها واحدا** امرهم بذلك ادلة العقل والنصوص في
الانجيل وامرهم به عيسى عليه السلام بقوله انه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ويجوز ان يراد
وما امر الاحبار والرهبان الا ليعبدوا الله ويوحدوه فكيف يصح ان يكونوا اربابا وهم مأمورون

دون

مستعبدون بنبيهم لا إله إلا هو اي لا معبود بحق غيره سبحانه عما يشركون اي تنزيه
له عن الاشراك به واستبعاد له يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم اي يخمدوا دين
الاسلام بتكذيبهم ويأبى الله إلا أن يتم نوره اي الا ان يظهر دينه والاباء هو الكراهة ومعناه
ولم يرد الله الا ان يتم نوره مثل حالهم في طلبهم ان يبطلوا نبوة محمد صلى الله عليه واله بالتكذيب
بحال من يريد ان ينفخ في نور عظيم في منبث الافاق يريد الله ان يزيده ويبلغه الغاية القصوى من
الاشراق والاضاءة ليطفيه بنفخه ويطمسه والله تعالى يريد اظهاره وعلوه ولو كره الكافرون
اي يتمه مع كراهيتهم على رغم انوفهم هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على
الدين كله ولو كره المشركون اي ارسله الى عباده بما يهديهم الى الصواب ويدلهم عليه
وبالدين الذي هو حق دون غيره وهو دين الاسلام ليظهر الرسول على اهل الاديان كلهم ويغلبه
عليهم او ليظهر دين الحق على كل دين باطل ولو كره المشركون اي فلابد من اظهاره يا أيها الذين
آمنوا إن كثيرا من الأحبار والرهبان ليأكلون أموال الناس اكل الاموال على وجهين اما
ان يستعار الاكل للاخذ كقولهم اخذ الطعام وتناوله واما على ان الاموال يؤكل بها فهي سبب
الاكل ومعنى اكلهم بالباطل انهم كانوا ياخذون الرشا في الاحكام والتخفيف والمسامحة في
الشرائع ويصدون عن سبيل الله اي يصرفون الناس عن الايمان بمحمد صلى الله عليه واله وسلم
والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم يجوز
ان يكون اشارة الى الكثير من الاحبار والرهبان للدلالة على اجتماع خصلتين مذمومتين فيهم
اخذ البراطيل وكنز الاموال والضن بها عن الانفاق في سبيل الخير ويجوز ان يراد المسلمون الكانزون
غير المنفقين ويقرن بينهم وبين المرتشين من اليهود والنصارى تغليظا ودلالة على ان من
ياخذ منهم السحت ومن لا يعطي منكم طيب ماله سواء في استحقاق البشارة بالعذاب الاليم وهي تشابه
توبيخ وقيل نسخ الزكوة اية الكنز وقيل هي ثابتة وانما عني بترك الانفاق في سبيل الله منع
الزكوة • وعن النبي صلى الله عليه وسلم ما ادى زكوته فليس بكنز وان كان باطنا وما بلغ ان يزكى
ولم يزك فهو كنز وان كان ظاهرا وعن عمر ان رجلا سأله عن ارض له باعها فقال احرز مالك
الذي اخذت احفر له تحت فراش امراتك قال اليس بكنز قال ما ادى زكوته فليس بكنز وعن ابن عمر
كل ما ادى زكوته فليس بكنز وان كان تحت سبع ارضين وما لم يؤد زكوته فهو الذي ذكره الله عز وجل
وان كان على ظهر الارض • واما ما روي في الحديث انها لما نزلت هذه الاية قال رسول الله
صلى الله عليه واله تبا للذهب تبا للفضة قالها ثلاثا فقالوا له اي مال نتخذ قال لسانا ذاكرا
وقلبا خاشعا وزوجة تعين احدكم على دينه • وقوله صلى الله عليه وسلم من ترك صفرا او بيضا
كوي بها • وتوفي رجل فوجد في مئزره دينارا فقال صلى الله عليه واله كية وتوفي اخر

فوجد في مئزره ديناران فقال كيتان فكان هذا قبل ان تفرض الزكوة فاما بعد فرضها فالله
اعدل واكرم من ان يجمع عليه ماله مالا من حلال اذن له فيه ويؤدي عنه ما اوجب عليه فيه ثم يعاقبه
ولقد كان كثير من الصحابة كعبد الرحمن وطلحة بن عبيد الله يقتنون الاموال ويتصرفون فيها وما
عابهم احد ممن اعرض عن القنية لان الاعراض اختيار للافضل والادخل في الورع والزهد في
الدنيا والاقتناء مباح موسع لا يذم صاحبه ولكل شيء حد وما روي عن علي عليه السلام اربعة
الاف فما دونها نفقة فما زاد فهو كنز كلام في الافضل يوم يحمى عليها في نار جهنم اصله
يوم تحمى النار عليها فحذف النار واسند الى عليها مقامها والمعنى يوم يدخل كنوزهم النار فيوقد عليها
حتى تحمى وتشتد حرارتها فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم خصت هذه الاعضاء بالذكر لانهم بالكنز
والمنع من الانفاق في سبيل الله لانهم لم يطلبوا باموالهم الا الاغراض الدنيوية من الوجاهة عند
الناس وصباحة وجوههم عندهم ليعظموا في عيونهم ويتلقوا بالكلام الجميل ويحيوا بالاكرام
ويحتشمون وكذلك جنوبهم لاكلهم الطيبات والامتلاء منها تعظم ويتسع جنوبهم وظهورهم
لانها مواقع اللباس الفاخر يطرحونه عليها كما ترى اغنياء زمانك هذه اغراضهم وطلباتهم من اموالهم
لا يخطرون ببالهم قول رسول الله صلى الله عليه واله ذهب اهل الدثور بالاجور وقيل انهم كانوا
اذا ابصروا الفقير عبسوا واذا ضمهم واياه مجلس ولوا عنه وازوروا وولوه ظهورهم وقيل معناها
يكوون على الجهات الاربع المقادم والمواخر والظهور والجنوب ويقال لهم هذا ما كنزتم لانفسكم
اي ما جمعتم بها وبخلتم به عن حق الله تعالى والمعنى كنزتموه لتنتفع به انفسكم وتلتذ به وما علمتم
انكم كنزتموه لتستضر به انفسكم وتعذب به وهو توبيخ لهم على جمع المال وترك الانفاق منه
فذوقوا عذاب ما كنتم تكنزون اي اطعموا مرارة عقاب ما كنزتم إن عدة الشهور عند
الله اثنا عشر شهرا اي عدد شهور المسلمين التي تعتدوا بها يجعلونها لسنتهم اثنا عشر شهرا
على منازل القمر واستهلال الاهلة لا يعتده اهل الروم وفارس في كتاب الله اي فيما اثبته واوجبه
من حكمه ورآه حكمة وصوابا وقيل في اللوح المحفوظ الذي عند الله كتبه يوم خلق السموات والارض
منها اربعة حرم ثلاثة سرد ذو القعدة وذو الحجة والمحرم وواحد فرد وهو رجب ومنه قوله عليه
السلام في خطبته في حجة الوداع الا ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات
والارض السنة اثنا عشر شهرا منها اربعة حرم ثلاث متواليات ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب
مضر الذي بين جمادى وشعبان والمعنى رجعت الاشهر الى ما كانت عليه وعاد الحج في ذي الحجة وبطل
النسيء الذي كان في الجاهلية وقد وافقت حجة الوداع ذا الحجة وكانت حجة ابي بكر قبلها في ذي
القعدة ذلك الدين القيم يعني ان تحريم الاشهر الاربعة هو الدين المستقيم دين
ابرهيم واسمعيل وكانت العرب قد تمسكت به وراثة منهما وكانوا يعظمون الاشهر الحرم ويحرمون القتال

فيها حتى لو لقي الرجل قاتل ابيه او اخيه لم يهجه وسموا رجبا الاصم ومنصل الاسنة حتى
احدثت النسي وغيروا فلا تظلموا فيهن في الاشهر الحرم انفسكم اي لا تجعلوا حرامها حلالا
وعن عطا انه اقسم بالله ما يحل للناس ان يغزوا في الحرم ولا في الاشهر الحرم الا ان يقاتلوا وما نسخ
وعن الحسن انها احلت القتال في الاشهر الحرم براءة من الله ورسوله وقيل معناه لا تاثموا فيهن اي
لا تجعلوا حرامها محظورا ما تاثمون به وخصصهن وان كان ذلك محرما في سائر الشهور بيانا لعظم حرمتهن
وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة اي قاتلوهم كلهم ولا تحابوا بعضهم بترك القتال
كما انهم يستحلون قتال جميعكم ثم حثهم على التقوى بضمان النصر لاهلها فقال واعلموا ان الله
مع المتقين ۝ اي ناصرهم لا تبعد نصرته عنهم انما النسيء زيادة في الكفر النسيء تاخير حرمة
الشهر الحرام الى شهر اخر وذلك انهم كانوا اصحاب حروب وغارات فاذا جاء الشهر الحرام وهم
محاربون شق عليهم ترك المحاربة فيحلونه ويحرمون مكانه شهرا اخر حتى رفضوا تخصيص الاشهر
الحرم بالتحريم فكانوا يحرمون من بين شهور العام اربعة اشهر وذلك قوله ليواطئوا عدة ما حرم الله
اي ليوافقوا العدة التي هي الاربعة ولا يخالفوها وربما زادوا في عدد الشهور فيجعلونها ثلاثة
عشر او اربعة عشر ليتسع لهم الوقت ولذلك قال تعالى ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا يعني من
غير زيادة زادوها ثم يروى انه حدث ذلك في ايام كنانة لانهم كانوا فقراء محاويج الى الغارة لا يحل
ما يفضل لهم فيها وكان شيخهم جنادة بن عوف الكناني مطاعا في الجاهلية وكان يقوم على جمل له
في الموسم فيقول باعلى صوته ان الهتكم قد احلت لكم المحرم فاحلوه ثم يقوم في القابل فيقول ان
الهتكم قد حرمت عليكم المحرم فحرموه وجعل النسيء زيادة في الكفر لان الكافر كلما احدث معصية
ازداد كفرا كقوله فزادتهم رجسا الى رجسهم كما ان المؤمن اذا احدث طاعة ازداد ايمانا
كقوله فزادتهم ايمانا وهم يستبشرون يضل به الذين كفروا اي يزدادون بالتحريم ضلالا على
ضلالهم وقرئ يضل به الذين كفروا على حذف المفعول وقرئ يضل بضم اليا وكسر الضاد اي
يضلهم الله والمعنى يفضي بزيادة ضلالهم بسببه يحلونه اي يحلون النسيء عاما ويحرمونه عاما
يعني انهم اذا احلوا شهرا من الحرم عاما رجعوا فحرموه في العام القابل كما فعل جنادة ليواطئوا
عدة ما حرم الله اي ليوافقوا العدة التي هي الاربعة المحرمة ولا يخالفوها وقد خالفوا حقيقة لانها
مخصوصة بالحرمة فلا تفيدهم تحريم غيرها فيحلوا ما حرم الله يعني فيحلوا بمواطاة العدة
وحدها من غير تخصيص ما حرم الله من القتال او من ترك الاختصاص للاشهر بعينها لان الواجب
امران عدة الاربعة الاشهر واختصاصها بالحرمة دون غيرها فلا يكفيهم الموافقة في العدة من
دون تخصيص زين لهم سوء اعمالهم وقرئ زين بفتح الزاي والمعنى خذلهم الله فحسبوا اعمالهم
القبيحة حسنة والله لا يهدي القوم الكافرين اي لا يلطف بهم لانهم لا يستعدون للطف لكدرهم

يا ايها

الذين امنوا ما لكم نزلت في حث المؤمنين على غزوة تبوك وذلك انهم دعوا اليها في زمان عسرة
من الناس وجدب من البلاد وشدة من الحر فشق عليهم ذلك الخروج فانزل الله عز وجل ما لكم
اذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اي اخرجوا للغزو والجهاد لوجه الله ولاعزاز دينه اثاقلتم الى
الارض اي تثاقلتم وتباطأتم وتقاعستم وضمن معنى الميل والاخلاد فعدي بالى والمعنى ملتم الى
الدنيا وشهواتها وكرهتم مشاق السفر ومتاعب الجهاد وقيل ملتم الى الاقامة بارضكم ودياركم
وقرئ اثاقلتم بفتح الهمزة على الاستفهام ومعناه الانكار والتوبيخ على التثاقل وكانت غزوة
تبوك في سنة عشر بعد رجوعهم من الطائف استنفروا في وقت عسر وقحط وقيظ مع بعد الشقة
وكثرة العدو فشق عليهم وقيل ما خرج رسول الله صلى الله عليه وآله في غزوة الا ورى عنها بغيرها
الا في غزوة تبوك ليستعد الناس تمام العدة ارضيتم بالحيوة الدنيا بدلا من الاخرة يعني
الجنة فما متاع الحيوة الدنيا اي ما الانتفاع بها والتمتع فيها في الاخرة اي في جنبها الا
قليل اي الا انتفاع قليل وانتفاع يسير لانه حقير منقطع منقضي بشهواته وشقاوته الا تنفروا
اي الا تخرجوا بنبيكم الى الجهاد يعذبكم عذابا اليما قيل بالقحط وحبس المطر ولا
ويستبدل قوما غيركم يات بقوم اخرين غيركم ينصرونه ولا تضروه شيئا لان الله تعالى
عصمه من الناس ولا يخذله ان تثاقلتم ۝ قال رضي الله عنه
وهذا سخط عظيم على المتثاقلين حيث اوعدهم بعذاب اليم مطلق يتناول عذاب الدارين وانه
هلاككم ويستبدل بكم قوما اخرين خيرا منهم واطوع وانه غني عنهم في نصرة دينه لا يقدح تثاقلهم
فيها شيئا وقيل الضمير في تضروه في نصرة للرسول اي ولا تضروه لان الله وعده ان يعصمه من الناس
وان ينصره ووعد الله كائن لا محالة وقيل يريد بقوله قوما غيركم اهل اليمن وقيل ابناء فارس
والظاهر مستغن عن التخصيص والله على كل شيء قدير لا يعجزه نصر من لم ينفروا فيقدر على
نصرة دينه بغيركم ۝ الا تنصروه فقد نصره الله اذ اخرجه الذين كفروا
اي الا تنصروا رسول الله صلى الله عليه وآله فقد نصره الله وقت اخرجه الذين كفروا من مكة
والمعنى الا تنصروه فسينصره من نصره حين لم يكن معه الا رجل واحد ولا اقل من الواحد فدل
بقوله فقد نصره على انه ينصره في المستقبل كما نصره في ذلك الوقت او معناه انه اوجب له
النصرة وجعله منصورا في ذلك الوقت فلن يخذل من بعده واسند الاخراج الى الكفار لانهم
هموا باخراجه اذن له الله في الخروج ليسلم من مكرهم فكانهم اخرجوه ثاني اثنين اي احد
اثنين وهما رسول الله صلى الله عليه وآله وابو بكر الصديق يروى ان جبرئيل عليه السلام لما امره بالخروج
قال من يخرج معي قال ابو بكر وثاني اثنين بيان لحال اخراجه اي في حال كونه ثاني اثنين اذ هما في الغار
بدل من اذ اخرجه والغار ثقب في اعلى ثور وهو جبل في يمنى مكة على مسيرة ساعة مكثا فيه ثلاثا

إذ يقول لصاحبه يعني أبا بكر لا تحزن لا تغتمّ قيل طلع المشركون فوق الغار فأشفق أبو بكر
على رسول الله صلى الله عليه وآله فقال إن تُصب اليوم ذهب دين الله فقال عليه السلام ما ظنك باثنين
الله ثالثهما وقيل لما دخل الغار بعث الله حمامتين فباضتا في أسفله والعنكبوت فنسجت عليه
وقال صلى الله عليه وآله اللهم أعمِ أبصارهم فجعلوا يترددون حول الغار ولا يفطنون قد أخذ
الله بأبصارهم عنه وقالوا من أنكر صحبة أبي بكر فقد كفر لإنكاره كلام الله عز وجل وليس ذلك
لسائر الصحابة إن الله معنا بالنصر لنا لا بعصمته عنا فأنزل الله سكينته
عليه هي ما ألقي في قلبه من الأمنة التي سكن عندها وعلم أنهم لا يصلون إليه وأيده أي قوّاه
بجنود لم تروها هي الملائكة يوم بدر والأحزاب وحنين وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وهي
كلمة الشرك ودعوتهم إلى الكفر وكلمة الله هي العليا هي كلمة التوحيد ودعوة الإسلام لأنها
علت وظهرت وكان هذا يوم بدر وقرئ وكلمة الله بالنصب والرفع أجود وهي فصل أو مبتدأ
وفيها تأكيد فضل كلمة الله في العلو وأنها المختصة به دون سائر الكلم والله عزيز قاهر يعلي
كلمة حكيم عادل لا يفعل إلا ما هو حكمة انفروا خفافا وثقالا أي خفافا في النفور
لنشاطكم له وثقالا عنه لمشقته عليكم أو خفافا لقلة عيالكم وأذيالكم وثقالا لكثرتها أو ركبانا
ومشاة أو شبابا وشيوخا أو مهازيل وسمانا أو صحاحا ومراضا وعن ابن أم مكتوم أنه قال لرسول الله
صلى الله عليه وآله أعليّ أن أنفر قال نعم حتى نزل قوله ليس على الأعمى حرج وعن صفوان بن عمرو كنت واليا
على حمص فلقيت شيخا كبيرا قد سقط حاجباه من أهل دمشق على راحلته يريد الغزو فقلت يا عم لقد أعذر
الله إليك فقال يا ابن أخي استنفرنا الله خفافا وثقالا ألا إنه من يحبه الله يبتليه وعن الزهري خرج سعيد
بن المسيب إلى الغزو وقد ذهبت إحدى عينيه فقيل له إنك عليل صاحب ضرر فقال استنفر الله
الخفيف والثقيل فإن لم يمكني الحرب كثّرت السواد وحفظت المتاع وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم
هذا إيجاب للجهاد بهما إن أمكن أو بأحدهما على حسب الحال والحاجة فالواجب يمكن المسلم من الجهاد
بهما يكون عليه حيث لا يقوم مقامه أحد وحيث يكون مغدورا في نفسه وبغيه فضل مال يجب عليه الإنفاق
في سبيل الله لحق الله وإعزاز دينه ذلكم خير لكم من التخلف والتثاقل إلى الأرض
لحفظ أنفسكم وأموالكم إن كنتم تعلمون ما لكم من الثواب والأجر فأخبروه لو كان عرضا قريبا
العرض ما عرض لك من منافع الدنيا يقال الدنيا عرض حاضر يأكل منه البر والفاجر أي لو كان
ما دعوا إليه غنيمة قريبة سهلة المنال وسفرا قاصدا أي قريبا هيّنا لاتبعوك طمعا في
الغنيمة ولكن بعدت عليهم الشقة أي المسافة البعيدة الشاقة وسيحلفون بالله يعني
المتخلفين عند رجوعك من غزوة تبوك معتذرين يقولون بالله لو استطعنا لخرجنا معكم
أي لو قدرنا وكان لنا سعة في المال لخرجنا معكم للغزو ومعنى الاستطاعة استطاعة الأبدان

كأنهم تمارضوا أو استطاعة العدة للحرب والإخبار بما سوف يكون بعد القفول من تخلفهم واعتذارهم
وقد كان من جملة المعجزات لأنه من العلوم الغيبية يهلكون أنفسهم أي يوقعونها في الهلاك
بحلفهم الكاذب في اعتذارهم في تخلفهم والله يعلم إنهم لكاذبون في أيمانهم وأنهم مخبرون فيها لأنهم كانوا
يستطيعون الخروج عفا الله عنك لم أذنت لهم هذا كناية عن الجناية لأن العفو رادف لها
ومعناه أخطأت في الإذن لهم وبئس ما فعلت ولم أذنت لهم في القعود عن الغزو حين استأذنوك
واعتلّوا لك بعللهم والمعنى ما لك وهلا استأنيت بالإذن حتى يتبين لك من صدق في عذره ممن كذب
فيه وكان رسول الله صلى الله عليه وآله أذن لطائفة في التخلف عنه من غير مؤامرة ولم يكن له أن يمضي
شيئا إلا بوحي الله تعالى فعاتبه عليه وقال لم أذنت لهم في التخلف حتى يتبين لك الذين صدقوا
وتعلم الكاذبين يعني تعرف منزلة العذر منهم ومن لا عذر له فيكون إذنك لمن له العذر وقيل شيئان
فعلهما رسول الله صلى الله عليه وآله ولم يؤمر بهما إذنه للمنافقين وأخذه من الأسارى فعاتبه الله تعالى
لا يستأذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم معناه
ليس من عادة المؤمنين أن يستأذنوك في أن يجاهدوا وكان الخلّص من المهاجرين والأنصار يقولون
لا نستأذن رسول الله صلى الله عليه وآله أبدا ولنجاهدن معه بأموالنا وأنفسنا والله عليم بالمتقين
شهادة لهم بالانتظام في زمرة المتقين وعِدة لهم بأجزل الثواب إنما يستأذنك الذين لا يؤمنون بالله
واليوم الآخر يعني المنافقين وكانوا تسعة وثلاثين رجلا والمعنى إنما يستأذنك في التخلف إلا
الذين لا يصدقون بالله ولا بجزائه وارتابت قلوبهم أي شكت في أمرك فهم في ريبهم شكهم
في أمرك ونفاقهم يترددون يتحيرون لأن التردد ديدن المتحير كما أن الثبات والاستقرار ديدن
المستبصر ولو أرادوا الخروج لأعدّوا له عدة أي لو أرادوا الخروج للغزو وأحبّوه ورغبوا
فيه لحصّلوا عدته من الزاد والمركوب لأنهم كانوا مياسير ولكن كره الله انبعاثهم فثبطهم
أي لم يرد الله خروجهم معك لتخذيلهم وكيدهم دل على ذلك قوله ولو أرادوا الخروج معنى يعطي نفي خروجهم
واستعدادهم للغزو وكأنه قيل ما خرجوا ولكن تثبطوا عن الخروج لكراهة انبعاثهم أي خروجهم
فثبطهم أي كسّلهم وضعّف رغبتهم في الانبعاث وجاز أن يوقع الله في نفوسهم كراهة الخروج
إلى الغزو وهي قبيحة وتعالى الله عن إلهام القبيح لأن خروجهم كان مفسدة لقوله بعد هذا لو خرجوا
فيكم ما زادوكم إلا خبالا أي فسادا فكان إيقاع كراهة ذلك الخروج في نفوسهم حسنا ومصلحة
وخطّأ رسول الله صلى الله عليه وآله في الإذن لهم والتخلف هو مصلحة لأن إذنه لهم لم يكن للنظر
في هذه المصلحة ولا علمها إلا بعد القفول بإعلام الله ولكن لأنهم استأذنوه واعتذروا والله
وكان عليه أن يفحص عن حقيقة معاذيرهم ولا يتجوّز في قبولها من غير اختبار المخلص من غير المخلص
فمن ثمّ أتاه العتاب ويجوز أن يكون في ترك رسول الله صلى الله عليه وآله الإذن لهم مع تثبيط الله

اما هم بمصلحة اخرى فباذنه لهم فقدت تلك المصلحة وذلك انهم اذا ثبطهم الله فلم ينبعثوا وكان قعودهم بغير اذن من رسول الله صلى الله عليه وآله قامت عليهم الحجة ولم يبق لهم معذرة **قال رضي الله عنه** ولقد تدارك الله ذلك حيث هتك استارهم وكشف اسرارهم وشهد عليهم بالنفاق وانهم لا يؤمنون بالله واليوم الآخر **وقيل اقعدوا مع القاعدين** حكى الله تعالى قولهم كراهة الخروج امرا بالقعود وقيل القائل لهم اقعدوا هو الشيطان بالوسوسة وقيل هو قولهم لانفسهم وقيل هو اذن رسول الله صلى الله عليه وآله لهم في القعود وفي قوله مع القاعدين ذم لهم وتعيير حيث الحقوا بالقاعدين وهم النساء والصبيان والمرضى والزمنى الذين عادتهم الوقوف في البيوت ثم بين لم كره خروجهم فقال **لو خرجوا فيكم ما زادوكم الا خبالا** يعني لو خرجوا في جملتكم للغزو ما زادوكم الا فسادا او لافسدوا عليكم امركم والخبال الفساد والشر **ولاوضعوا خلالكم** اي ولسعوا بينكم بالمصرفة والنمائم وافساد ذات البين والايضاع الاسراع في المشي والمعنى ولاوضعوا ركائبهم بينكم والمراد الاسراع بالنمائم والاغراء لان الراكب اسرع من الماشي **يبغونكم الفتنة** اي يحاولون ان يفتنوكم بان يوقعوا الخلاف فيما بينكم ويفسدوا نياتكم في مغزاكم ويعوقون كلهم حتى يتنازعوا فيفشلوا **وفيكم سماعون لهم** اي نمامون يسمعون حديثكم فينقلونه اليهم او فيكم قوم يسمعون للمنافقين ويطيعونهم **والله عليم بالظالمين** يعني المنافقين فلذلك كره اليهم الخروج معكم لئلا تبتلوا بفسادهم **لقد ابتغوا الفتنة** اي العنت والشر وتصدوا للغوائل والسعي في تشتيت شملك وتفريق اصحابك عنك كما فعل عبد الله بن ابي يوم احد حين انصرف بمن معه وقيل ارادوا دفعه صلى الله عليه وآله ليلة العقبة مرجعه من غزوة تبوك تواثبوا جماعة منهم على دفعه من على راحلته اذا طلع العقبة فلما عرفوا هربوا وهم اثنا عشر رجلا **من قبل** اي من قبل غزوة تبوك **وقلبوا لك الامور** اي دبروا لك الحيل ونصبوا لك المكائد ودوروا الآراء في ابطال امرك **حتى جاء الحق** وهو تاييدك ونصرك **وظهر امر الله** اي غلب دينه وعلا شرعه **وهم كارهون** اي على رغم منهم اي اخزاهم الله باظهار الدين واعزازه على كره منهم **ومنهم من يقول ائذن لي** اي ومن المنافقين من يقول لرسول الله صلى الله عليه وآله ائذن لي في القعود **ولا تفتني** اي لا توقعني في الفتنة وهي الاثم بان لا تاذن لي فاني ان تخلفت بغير اذنك اثمت وقيل لا تلقني في الهلكة فاني اذا خرجت معك هلك مالي وعيالي وقيل نزلت في الجد بن قيس المنافق قال له رسول الله صلى الله عليه وآله هل لك في جلاد بني الاصفر تتخذ منهم سراري ووصفاء فقال ائذن لي يا رسول الله وانا اعينك بمالي فقد علمت الانصار اني مشتهر بالنساء فلا تفتني ببنات الاصفر يعني نساء الروم فاني اخشى ان رأيتهن ان لا اصبر عنهن فاتركني فقال الله تعالى **الا في الفتنة سقطوا** اي ان الفتنة هي التي سقطوا فيها وهي فتنة التخلف

ومخالفة امرك **وان جهنم لمحيطة بالكافرين** يعني انها تحيط بهم يوم القيامة او هي محيطة بهم الآن لان اسباب الاحاطة معهم فكانهم في وسطها وهي محرقة لهم جامعة لهم **ان تصبك** في بعض الغزوات **حسنة** نصر وغنيمة **تسؤهم** تحزنهم وتغمهم **وان تصبك مصيبة** نكبة وشدة كما جرى يوم احد تبجحوا بما لهم في الاجلال عنك **يقولوا قد اخذنا امرنا** الذي نحن متسمون به من الحذر والتيقظ والعمل بالحزم حين تخلفنا **من قبل** اي من قبل ما وقع **ويتولوا** ينصرفوا عن موضع التحدث بذلك والاجتماع به الى اهاليهم **وهم فرحون** مسرورون بذلك وقيل يتولوا اعرضوا عن رسول الله صلى الله عليه وآله متعجبين بما نال له من السوء واصابه من المكروه **قل** لهم يا محمد **لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا** اي الا ما اختصنا الله باثباته من النصرة عليكم او الغوز بالشهادة وكتب بمعنى اثبت واوجب وقيل الا ما كتبه الله في اللوح المحفوظ وعلمه فلسنا متهالكين على ما تتوهمون بل هو مدبر امرنا **هو مولانا** اي ناصرنا او الذي يتولانا ونتولاه ذلك بان الله مولى الذين آمنوا وان الكافرين لا مولى لهم **وعلى الله فليتوكل المؤمنون** اي وحق المؤمنين ان لا يتوكلوا على غير الله فليفعلوا ما هو حقهم ولا يتوكلوا على غيره **قل هل تربصون بنا** اي هل تنتظرون بنا **الا احدى الحسنيين** اي الا احدى العاقبتين اللتين كل واحدة منهما هي حسنى العواقب وهما النصرة والشهادة **ونحن نتربص بكم** اي ننتظر بكم احدى السوأيين من العواقب وهو اما **ان يصيبكم الله بعذاب من عنده** وهو قارعة من السماء كما نزلت على عاد وثمود **او بايدينا** معناه او بعذاب يكون بايدينا وهو القتل على الكفر **فتربصوا** اي انتظروا بنا ما ذكرنا من عواقبنا وتربصوا مواعيد الشيطان **انا معكم متربصون** منتظرون ما هو عاقبتكم او انا منتظرون مواعيد الله في اظهار دينه وهلاك من خالفه فلا بد ان نلقى كلنا ما نتربصه لا نتجاوزه **قل انفقوا** يعني في سبيل الله ووجوه البر **طوعا او كرها** اي في حال كونكم طائعين او مكرهين **لن يتقبل منكم** هذا امر في معنى الخبر كقوله استغفر لهم او لا تستغفر لهم ثم قال ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم ومعناه لن يتقبل منكم انفقتم طوعا او كرها وفائدة الامر بمعنى الخبر المبالغة في عدم التقبل فالمعنى انفقوا وانظروا هل يتفاوت الحال بين الطوع والكره وهل يتقبل منكم احدهما دون الآخر يعني انه لا يتغير الحال بينهما في عدم التقبل وكذلك استغفر لهم او لا تستغفر لهم اي لن يغفر الله لهم استغفرت لهم ام لم تستغفر وفي التقبل منهم يحتمل امرين احدهما ترك رسول الله صلى الله عليه وآله تقبله منهم ورده عليهم والثاني ان الذي انفقوه غير مقبول عند الله يعني انه لا ثواب له لانه محبط بالكفر والكبائر وروي انها نزلت في الجد بن قيس حين تخلف عن غزوة تبوك وقال للرسول صلى الله عليه وآله اعينك بمالي واتركني فعلل رد انفاقهم بقوله **انكم كنتم قوما فاسقين** زائدين في التمرد والعتو **وما منعهم ان تقبل منهم نفقاتهم الا انهم كفروا بالله وبرسوله**

سؤال
وعن تربص بكم ان يصيبكم الله بعذاب من عنده او بايدينا هذه الآية نزلت في المنافقين والمنافق مع ظهوره الايمان لا يقتل فكيف قال وبايدينا فسر بالقتل
الجواب
المراد ان ظهر نفاقكم لاجراء احكام الكافرين تقتلون

وهم كسالى

ولا يأتون الصلوة إلا اى وما منعهم ان تقبل منهم نفقاتهم الا تعليم القبيح وهو كفرهم
بالله وبرسوله وانهم لا يقومون للصلوة الا وهم كسالى لانهم لا يرجون بها ثوابا ولا يخشون
بتركها عقابا فهي ثقيلة عليهم قال رضي الله عنه وقرات في بعض الاخبار
ان رسول الله صلى الله عليه واله كره للمؤمن ان يقول كسلت كانه ذهب الى هذه الاية وان الكسل
من صفات المنافقين فما ينبغي ان يسنده المؤمن الى نفسه ولا ينفقون إلا وهم كارهون لانهم
يكرهون الانفاق في سبيل الله ويعدونه مغرما ولا تصدر منهم الا عن كراهة واضطرار لا عن
رغبة واختيار فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم الاعجاب بالشيء ان تسر به سرور راض به
متعجب من حسنه والمعنى لا تستحسن ما اعطيناهم من الاموال الكثيرة والاولاد ولا تعجب بها
او تتوامر به الدنيا كقوله ولا تمدن عينيك إنما يريد الله ليعذبهم بها في الحيوة الدنيا
قال الله انما اعطاهم للعذاب بما يقع فيها من الآفات والمصائب وبما يقع عليهم من النعيم
والتشني وبما يلحقهم من الانفاق فيه في ابواب الخير وهم كارهون له على رغم انوفهم وبما يداهم
من انواع الكلف والمحاسم من جمعه واكتسابه وحفظه وفي تربية اولادهم وتزهق أنفسهم وهم
كافرون الزهوق عبارة عن الموت والمعنى انه يريد استدراجهم بالنعم ليعظم الحجة عليهم
بكثرة النعم التي يجب شكرها لانه يريد موتهم على الكفر كانه قيل ويريد ان يديم عليهم نعمته
الى ان يموتوا وهم كافرون ملتهون بما بلغوا الشهوات عن النظر في العاقبة ويحلفون بالله
إنهم لمنكم يعني لمن جملة المسلمين وما هم منكم بكذب لهم ولكنهم قوم يفرقون
يخافون القتل وما يفعل بالمشركين فيتظاهرون بالاسلام تقية لكم لو يجدون ملجأ
مكانا يلجؤون اليه ويتحصنون به من راس جبل او قلعة او جزيرة أو مغارات اى غيرانا
يعني امكنة يغورون فيها اتخاذهم اى يغيبون بها عنكم في المغارات وكون ان يكون من اغار اذا
اسرع فراد بالمغارات المهارب والمغار أو مدخلا اى نفقا يعني مكانا يعني مكانا
يندسون فيه ويتوارون عنكم بالدخول فيه لولوا إليه لرجعوا عنكم ملتجين وهم يجمحون
يسرعون اسراعا لا يردهم شيء ومنه الفرس الجموح وهو الذي اذا حمل لم يرده اللجام والمعنى
لو امكنهم الفرار من بين المؤمنين باي وجه كان لفروا ولم يقيموا بينهم ومنهم يعني المنافقين
من يلمزك يعيبك ويطعن عليك في الصدقات يعني في قسمتها ويقول انما يعطيها محب
من احب قيل هم المؤلفة قلوبهم وقيل هو ابن ذي الخويصرة راس الخوارج كان رسول الله صلى الله عليه
واله يقسم غنائم حنين فقال اعدل يا رسول الله فقال ويلك ان لم اعدل فمن يعدل وقيل هو
ابو الجواظ من المنافقين قال الا ترون الى صاحبكم انما يقسم صدقاتكم في رعاة الغنم وهو يزعم
انه يعدل فقال رسول الله صلى الله عليه واله لا ابا لك اما كان موسى راعيا اما كان داود راعيا

سوال
فلا تعجبك اموالهم ولا اولادهم انما يريد
ليعذبهم بها في الحيوة الدنيا الاموال والاولاد
لا يكونان عذابا في الدنيا بل همان من اسباب النعيم
الجواب معناه ولا يعجبك ايها الحاكم
واولادهم في الآخرة لانها في سبب العذاب يريد ليعذبهم
بها في الدنيا لانه يزدادوا الفا وقيل انها وليحبهم
عذاب ذا الدنيا كما يحشرهم من سببها من
المحن والآفات وغيرها

فلما ذهب قال عليه السلام احذروا هذا واصحابه فانهم سيمرقون فإن أعطوا منها رضوا وإن لم يعطوا
منها إذا هم يسخطون وصفهم بان رضاهم وسخطهم لانفسهم لا للدين وما فيه صلاح اهله والمعنى
ان اكثرت لهم من ذلك فرحوا وان اعطيتهم قليلا سخطوا لان رسول الله صلى الله عليه وآله استعطف
قلوب اهل مكة يوم حنين بتوفير الغنائم عليهم فضج المنافقون منه ولو أنهم رضوا ما آتاهم
الله ورسوله جواب محذوف تقديره ولو انهم رضوا لكان خيرا لهم ولو انهم رضوا ما اتاهم الرسول
من الغنيمة وطابت به نفوسهم وان قل نصيبهم لكان خيرا لهم ومعنى اتاه الله انه قسم لهم ما اعطاهم
رسوله وقالوا حسبنا الله اى كفانا فضل الله وصنعه وحسبنا ما قسم لنا سيؤتينا الله من
فضله ورسوله اى سيرزقنا الله غنيمة اخرى فيؤتينا رسول الله اكثر مما آتانا اليوم إنا إلى الله
راغبون في ان يغنينا ويخولنا من فضله ثم بين لمن الصدقات فقال إنما الصدقات للفقراء
هم المتعففون عن السؤال والمساكين هم الذين يسالون ويطوفون على الناس والفقير احسن
حالا من المسكين على مذهب اصحابنا وقال ابن السكيت احسن حالا ومعنى قوله انما الصدقات قصر
لجنس الصدقات على الاصناف المعدودة وحصر عليها وانها مختصة بها لا تتجاوزها الى غيرها
كانه قيل انما هي لهم لا لغيرهم ويحتمل ان تصرف الى الاصناف كلها وهو مذهب لا يجوز عنده من صرفها
الى الاصناف وان تصرف الى بعضها وهو المروي عن حذيفة وابن عباس وغيرهما من الصحابة
والتابعين قالوا في اي صنف منها وضعتها اجزاك ومثله عن ابي ح وهو مذهب اصحابنا عليهم السلام
وعن سعيد بن جبير لو نظرت الى اهل بيت من المسلمين فقراء متعففين فجبرتهم بها كان احب الى وعن
عكرمة انها تصرف في الاصناف الثمانية والعاملين عليها هم السعاة الذين يقبضونها والمؤلفة
قلوبهم هم رؤساء من العرب كان رسول الله صلى الله عليه واله يتالفهم على ان يسلموا فيعطيهم شيئا منها
حين كان في المسلمين قلة ومذهب اصحابنا عليهم ان هذا الحكم باق للامام وقال ح واصحابه قد سقط
وفي الرقاب هم المكاتبون يعانون منها على ادائهم مال الكتابة وهو مذهب اصحابنا عليهم السلام
وقيل الاسارى وقيل يبتاع الرقاب فيعتق والغارمين هم الذين ركبتهم الديون ولا
يملكون بعدها ما يبلغ النصاب وقيل الذين يحملوا الحمالات فدينوا فيها وغرموا والحمالات
بالفتح جمع حمالة وهي ما يتحمله عن القوم وفي سبيل الله اى فقراء الغزاة والحجيج المنقطع بهم
والمعنى اهل الطريق المرضية التي هي صلاح في دين الله وسبيل الله عام في كل خير وصلاح يدخل فيه
اهل العلم وطلبته وان وجد مصرف غيرهم لانهم من اهل السبيل بل هم من افضل مصارفه وكيف لا
مدار المصالح الاعلى العلم من جهاد وغيره وفي الاحاديث ما يدل على انه افضل من الجهاد ومن جميع
القربات والعبادات واذا اعتبر المصلحة المؤدية الى نشر العلم فلا فرق بين ان يكونوا اغنياء
او فقراء كما ذكره بعض المتاخرين من فقهاء مذهبنا لما في ذلك من الاعانة على الاكباب على العلم

انتهى ... دام ... [illegible]

واطراح غيره من الاشغال الدنيوية واسباب المعاش **وابن السبيل** هو المسافر المنقطع عن
ماله فهو فقير حسبا وغني حيثما له **قال رضي الله عنه** وعدل عن اللام الى
في في الاربعة الاخيرة للايذان بانهم ارسخ اقداما في استحقاق التصدق عليهم ممن سبق ذكره
لان في للوعاء فنبه على انهم احقاء بان توضع فيهم الصدقات ويجعلوا موضعا لها ومصبا وذلك
لما في فك الرقاب من الكتابة او الرق او الاسر وفي فك الغارمين من الغرم من التخليص
والانقاذ ولجمع الغازي الفقير او المنقطع في الحج بين الفقر والعبادة وكذلك ابن السبيل
جامع بين الفقر والغربة عن الاهل والمال وتكرير في في قوله وفي سبيل الله وابن السبيل فيه
فضل ترجيح لهذين على الرقاب والغارمين واختصاص سبيل الله بظهورها فيه وابن السبيل
يدل على انه افضل المصارف بخلاف قوله وفي الرقاب فانها غير مكررة فيه **فريضة من
الله** اي فرض الله الصدقات لهذه الاصناف فريضة وقرئ بالرفع اي تلك فريضة من الله **والله
عليم** بالمصالح التي من اجلها خصص هذه الاصناف بالصدقات **حكيم** عادل فيما خص هذه
الاصناف بما فرض لهم لا يفعل الا بحكمة **قال رضي الله عنه** ووقعت هذه الاية
في تضاعيف ذكر المنافقين ومكائدهم للدلالة على كون هذه الاصناف مصارف الصدقات
خاصة دون غيرهم ولتدل ايضا على ان المنافقين ليسوا منهم حسما لاطماعهم واعلاما بانهم
ما يستحقون المحرمات وانهم بعداء عنها وعن مصارفها وعن مستحقيها فما لهم وما لها
وما حملهم على التكلم فيها ولمز قاسمها **ومنهم الذين يؤذون النبي ويقولون هو اذن** ايذاؤهم
له قولهم فيه هو اذن والاذن هو الرجل الذي يصدق كلما يسمع ويقبل قول كل احد سمي
بالجارحة التي هي آلة السماع كانه جملته اذن سامعة **قل اذن خير لكم** اي اذن هي نعم
خير لكم كانه قيل نعم هو اذن ولكن نعم الاذن هو لما فيه لكم من المنافع ويجوز ان يريد هو
اذن في الخير والحق الذي يحسن استماعه ويجب قبوله وليس باذن في غير ذلك ودل قراءة حمزة
ورحمة بالجر على تقدير هو اذن خير ورحمة لا يسمع غيرهما ولا يقبله ثم فسر كونه اذن خير بانه
يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين اي يصدق بالله لما قام عنده من الادلة ويقبل من المؤمنين
الخلص من المهاجرين والانصار وعدى فعل الايمان بالباء الى الله وباللام الى المؤمنين لانه
قصد التصديق بالله وانه لا يكفر به فعداه بالباء وقصد السماع من المؤمنين وان يسلم لهم ما
يقولونه ويقبله منهم لكونهم صادقين عنده فعداه باللام وهكذا الباء التي مع الايمان بالله
واللام مع الايمان بغير الله لاختلاف معنى الايمان كقوله تعالى وما انت بمؤمن لنا فما آمن لموسى
انؤمن لك آمنتم له قبل ان آذن لكم **ورحمة للذين آمنوا منكم** وهو رحمة لمن آمن منكم اي اظهر
الايمان ايها المنافقون حيث يسمع منكم ويقبل ايمانكم الظاهر ولا يكشف اسراركم ولا يفضحكم

ولا يفعل بكم ما يفعل بالمشركين مراعاة لما رأى الله من المصلحة في الابقاء عليكم فهو اذن كما
قلتم الا انه اذن خير لكم لا اذن سوء فسلم لهم قولهم فيه الا انه فسره بما هو مدح وثناء عليه وان كانوا
قصدوا به المذمة والتقصير بفطنته وشهامته وانه من اهل سلامة القلوب والغرة وقيل ان
جماعة منهم ذموه وبلغه ذلك فاشتغلت قلوبهم فقال بعضهم لا عليكم فانما هو اذن سامعة قد
سمع كلام المبلغ فنادى ونحن نأتيه فنعتذر اليه فيسمع عذرنا ايضا فرضي فنزلت قل اذن خير لكم
وقرئ اذن خير لكم اي هو اذن خير لكم يعني ان كان كما تقولون فهو خير لكم لانه يقبل معاذيركم
ولا يكافئكم على سوء دخلتكم **والذين يؤذون رسول الله** يعني من هؤلاء المنافقين بقولهم
هو اذن او هو عام لكل مؤذ دخل فيه اولا من يقاوله **لهم عذاب اليم** على ايذائه والاليم
شديد الالم **يحلفون بالله لكم ليرضوكم** اي يحلف المنافقون بالله لكم ايها المسلمون ليرضوكم
لانهم كانوا يتكلمون بالمطاعن ويعيبون الاسلام ومن ارسل به او معناه يتخلفون عن الجهاد ثم يأتون
الى المسلمين فيعتذرون اليهم ويؤكدون معاذيرهم بالحلف ليعذروهم ويرضوا عنهم **والله
ورسوله احق ان يرضوه ان كانوا مؤمنين** المعنى فقل لهم ان كنتم مؤمنين كما تزعمون فاحق من
ارضيتم الله ورسوله بالطاعة والوفاء فآمنوا بهما وصدقوهما ان كنتم على ما تظهرون وافرد
الضمير في يرضوه مع تقدم ذكر الله ورسوله لانه لا تفاوت بين رضا الله ورضا رسوله فكانهما في
حكم مرضي واحد او معناه والله احق ان يرضوه ورسوله كذلك **الم يعلموا انه**
الم استفهام معناه التوبيخ على المحادة وهي مجاوزة الحدود التي جعلها الله ورسوله حدودا للشرائع
لا يجوز تعديها الى غيرها والمحادة من الحد وهو الحاجز بين الشيئين كالمشاقة من الشق **فان له
نار جهنم** اي فحق ان له نار جهنم **خالدا فيها** اي دائما لا انقطاع لعذابه فيها **ذلك** يعني الخلود
بالنار هو **الخزي العظيم** اي الهوان والذل الذي لا اعظم منه **يحذر المنافقون ان تنزل
عليهم سورة تنبئهم بما في قلوبهم** كان المنافقون يستهزئون بالاسلام واهله وكانوا
يحذرون ان يفضحهم الله فقال بعضهم والله لا ارانا الا شر خلق الله لوددت اني قدمت فجلدت مائة
جلدة وان لا ينزل فينا شيء يفضحنا والمعنى يحذر المنافقون ان تنزل على المؤمنين سورة في المنافقين
تنبئ المؤمنين اي تخبرهم بما في قلوب المنافقين هذا الذي ويكون الضمير في عليهم وتنبئهم للمؤمنين
وفي قلوبهم للمنافقين يعود اليه المعنى ويجوز ان تكون الضمائر كلها للمنافقين لان السورة اذا
نزلت في معناهم فهي نازلة عليهم ومعنى تنبئهم بما في قلوبهم كانها تقول لهم في قلوبكم كيت وكيت
يعني انها تذيع اسرارهم عليهم حتى يسمعوها مذاعة منتشرة فكانها تخبرهم بها ومعنى يحذر الامر
بالحذر اي ليحذر المنافقون **قل استهزئوا** تهديد ووعيد كانه قال بالغ في ترك وعظهم
وكفهم عن الاستهزاء حتى ينتهي تلك الحال الى ان امرهم به لكن يسوء عاقبته فانهم لا ينتهون

ربع

نصف حزب

عنه وهذا حذ لان وغضب لما فيه من التنبيه على اضرارهم وعدم ارتداعهم إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ مَا
تَحْذَرُونَ معناه مظهر انزال السورة التي انهم يحذرون نزولها وان الله مظهر ما كنتم تحذرون
اظهاره من نفاقكم وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ **قيل** بينا رسول الله
صلى الله عليه واله يسير في غزوة تبوك وركب من المنافقين يسيرون بين يديه فقالوا فيما بينهم
انظروا الى هذا الرجل يريد ان يفتتح قصور الشام وحصونه هيهات هيهات فاطلع الله نبيه
على ذلك فقال احبسوا على الركب فاتاهم فقال لهم قلتم كذا وكذا فقالوا يا نبي الله ما كنا في
من امرك ولا من امر اصحابك ولكنا كنا في شيء مما يخوض فيه الركب ليقصر بعضنا على بعض السفر
فنزلت وقيل ان رجلا من المنافقين قال في غزوة تبوك ما رايت مثل هؤلاء اشغب بطونا ولا اكذب
السنا ولا اجبن عند اللقاء يعني رسول الله والمؤمنين فاخبر بذلك رسوله فجاء هذا القائل
ليعتذر فوجد القرآن قد سبقه فقال يا رسول الله انما كنا نخوض ونلعب فنزلت ۞ اي والله لئن سألتهم
عن استهزائهم بك ليقولن ما كنا الا نخوض ونلعب اي بعض السفر بفضلات الكلام المحمد ۞
قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ۞ المعنى بالله واياته الناطقة بنصرة رسوله
المظهرة لما في صدوركم وبرسوله المرسل بها كنتم تستهزؤون باستبعادكم لنصرته لم يعتد باعتذارهم
لانهم كانوا كاذبين فيه فجعلوا كانهم معترفون باستهزائهم وبانه موجود منهم حتى وبخوا عليه لَا
تَعْتَذِرُوا لا تشتغلوا باعتذاراتكم الكاذبة فانها لا تنفعكم بعد ظهور سركم قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ
اي اظهرتم كفركم باستهزائكم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ اي بعد اظهاركم للايمان نفاقا فمنكم إِنْ نَعْفُ
عَنْ طَائِفَةٍ مِنْكُمْ باحداثهم التوبة واخلاصهم الايمان بعد النفاق نُعَذِّبْ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ
مصرين على النفاق غير تائبين منه او ان نعف عن طائفة منكم لم يؤذوا رسول الله ولم يستهزؤوا به
فلم نعذبهم الى العاجل نعذب في العاجل طائفة بانهم كانوا مجرمين مؤذين رسول الله مستهزئين به
الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ معنى بعضهم من بعض نفي كونهم من المؤمنين وتكذيبهم في
قولهم ويحلفون بالله انهم لمنكم وتحقيق لقوله وما هم منكم وتاكيد له ثم وصفهم
بما يدل على مضادة حالهم لحال المؤمنين فقال يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ اي بالكفر والمعاصي
وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ اي عن الايمان والطاعات وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ يمسكوها عن الانفاق
شحا في المبار والصدقات وبالانفاق في سبيل الله لانهم لا يرجون ثوابا نَسُوا اللَّهَ اي
غفلوا عن ذكره فَنَسِيَهُمْ اي حرمهم من رحمته وفضله إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ اي
هم الكاملون في الفسق الذي هو التمرد في الفسق والانسلاخ عن كل خير **قال رضي الله
عنه** وكفى المسلم زاجرا ان يلم بما يكتسبه هذا الاسم الفاحش الذي وصف الله به المنافقين حين
بالغ في ذمهم واذا كره رسول الله صلى الله عليه واله للمسلم ان يقول كسلت لان المنافقين

وصفوا بالكسل فما ظنك بالفسق وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ اي
وعدهم الله على النفاق والكفر دخولها خَالِدِينَ فِيهَا وصف حالهم بالخلود والخلود
من صفتهم عند الوعد فالمعنى مقدرين الخلود فيها باركانهم لو حياته ولم يبلغوه لانهم في
الدنيا ولابد لهم منه والخلود هو البقاء الذي لا انقطاع له ولا غاية هِيَ حَسْبُهُمْ اي
كافيه بعذابهم وفيه دلالة على عظم عذابها وانه لا شيء ابلغ منه وانه بحيث لا يزاد عليه نعوذ
بالله من سخطه وعذابه وَلَعَنَهُمُ اللَّهُ اي واهانهم مع التعذيب وجعلهم مذمومين ملحقين
بالشياطين الملاعين كما عظم اهل الجنة والحقهم بالملائكة المكرمين وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ
اي ولهم انواع من العذاب سوى الصلي بالنار مقيم دائم كعذاب النار ويجوز ان يريد ولهم عذاب
مقيم معهم في العاجل لا ينفكون عنه وهو ما يقاسونه من تعب النفاق والظاهر المخالف
للباطن خوفا من المسلمين وما يحذرونه ابدا من الفضيحة ونزول العذاب ان اطلع على اسرا
كَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا **المعنى** انتم مثل الذين من
قبلكم من الكفار فعلتم كافعالهم وقوله كانوا اشد منكم قوة تعني في الابدان واكثر اموالا
واولادا وهو تفسير لتشبيههم بهم وتمثيل فعلهم بفعلهم فَاسْتَمْتَعُوا بِخَلَاقِهِمْ فَاسْتَمْتَعْتُمْ بِخَلَاقِكُمْ
كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ بِخَلَاقِهِمْ **معناه** انكم مثلهم وهو انكم استمتعتم
وخضتم مثلهم كما استمتعوا وخاضوا والاستمتاع الانتفاع بملاذ الدنيا المنقطعة والخوض
الدخول في الباطل واللهو والخلاق النصيب وهو ما خلق للانسان اي قدر من خير كما قيل له قسم لانه
قسم ونصيب لانه نصب اي اثبت وَخُضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُوا الخوض الدخول في الباطل واللهو والمعنى
خضتم في الطعن والعيب لرسول الله صلى الله عليه واله كما خاضوا في الطعن على انبيائهم أُولَئِكَ
حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ اي بطلت ولا ينتفعون بها وَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ لاختيارهم
الفاني على الباقي والعقاب على الثواب والاهانة على الكرامة أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ
اي الم يات المنافقين خبر من تقدمهم من الامم الماضية وهم قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ إِبْرَاهِيمَ
عاد قوم هود وثمود قوم صالح وَأَصْحَابِ مَدْيَنَ هم قوم شعيب وَالْمُؤْتَفِكَاتِ هي مدائن قوم
لوط وقيل قريات قوم لوط وهود وصالح واسفاكهن انقلاب احوالهن من الخير الى الشر هلك
قوم نوح بالطوفان وعاد بالريح العقيم وثمود بصيحة جبريل عليه واصحاب مدين بعذاب يوم الظلة
حبس الله عنهم الريح وسلط عليهم الومد وهو حر الليل فخرجوا الى البرية فاظلتهم سحابة فاجتمعوا
تحتها فامطرت عليهم نارا فاحترقوا والمؤتفكات رفعها جبريل بريشة من جناحه فجعل عاليها
سافلها وقوم ابراهيم لما كذبوا اهلكهم الله بالبعوض وسلب النعمة وذلك بعد ان أَتَتْهُمْ رُسُلُهُمْ
بِالْبَيِّنَاتِ اي بالحجج والمعجزات فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ اي ما صح منه ان يظلمهم وهو حكيم

لا يجوز عليه القبيح وان يعاقبهم بغير جرم ولا ذنب ولكن كانوا انفسهم يظلمون اى ولكن ظلموا
انفسهم حيث كفروا به وكذبوا رسله وجحدوا اياته فاستحقوا عقابه بجرمهم والمعنى فليحذروا
مثل عاقبتهم والمؤمنون والمؤمنات بعضهم اولياء بعض في الموالاة والرحمة والمحبة والاتفاق
على دين واحد وهو دين الاسلام وهذه في مقابلة قوله في المنافقين بعضهم من بعض والمراد نفي
كون موالي المنافقين من المؤمنين يأمرون بالمعروف اى بالحسن المعروف حسنه من الايمان
والطاعة وينهون عن المنكر اى القبيح الذي ينكره العقل والشرع لقبحه وهو الكفر
والمعاصي عكس ما عليه المنافقون ويقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة اقامة الصلوة
فعلها باخلاص واتيا الزكوة لوجه الله لا كصلوة المنافقين عن خالصة لانهم لا يرجون
بها ثوابا والزكوة يعدونها مغرما ويطيعون الله ورسوله طاعة الله فيما كلفهم ورسوله
فيما امرهم خلاف ما عليه المنافقون ولذلك قال في وعدهم اولئك سيرحمهم الله اى
سيغمر الله عليهم بالفوز برحمته ونعيم جنته والسين مفيدة وجود الرحمة لا محالة فهي تؤكد
الوعد كما يؤكد الوعيد في قولك سانتقم منك يوما ونحوه سيجعل لهم الرحمن ودا ولسوف يعطيك
ربك فترضى ولسوف يؤتيهم اجورهم ان الله عزيز غالب على كل شئ قادر عليه وهو يقدر
على الثواب والعقاب حكيم واضع كلا موضعه على حسب الاستحقاق وعد الله المؤمنين والمؤمنات
جنات تجري من تحتها الانهار هذا الوعد مقابل لقوله وعد الله المنافقين والمنافقات والكفار
نار جهنم خالدين فيها معناه مقدرين الخلود كما تقدم ومساكن طيبة المساكن جمع
مسكن والطيبة الفائقة المنزهة من كل قذر وكل اذى جامعة لانواع الزينة والمشتهيات
وغير الحسن هي قصور من اللؤلؤ والياقوت الاحمر والزبرجد وفي الحديث
المرفوع انه قصر من لؤلؤة فيه سبعون دارا من ياقوتة حمراء في كل دار سبعون بيتا من زبرجدة
خضراء في كل بيت سبعون سريرا على كل سرير سبعون فراشا من كل لون على كل فراش زوجة من الحور العين
في كل بيت مائدة على كل مائدة سبعون لونا من الطعام وفي كل بيت سبعون الف وصيف ووصيفة
ويعطى المؤمن من القوة ما يأتي على ذلك كله في غداة واحدة في جنات عدن روى ابو الدرداء عن
رسول الله صلى الله عليه واله عدن دار الله التي لم ترها عين ولم يخطر على قلب بشر لا يسكنها غير
ثلاثة النبيون والصديقون والشهداء يقول الله تعالى طوبى لمن دخلك وقيل هي مدينة في
الجنة وقيل نهر جنانه على حافاته اى اشجاره بما فيه على حواشيه وقيل هي قصبة الجنة وسقفها
عرش الرحمن جل جلاله واشتقاقها من العدن الذي هو الاقامة من عدن بالمكان اذا اقام فيه ولم
يبرح ورضوان من الله اكبر اى وشيء من رضوان الله اكبر من ذلك كله لان رضاه هو سبب
كل فوز وسعادة ولانهم ينالون برضاه عنهم تعظيمه وكرامته والكرامة اكبر اصناف الثواب

لان العبد اذا علم ان مولاه راض عنه فهو اكبر في نفسه مما وراءه من النعم وانما تهنأ له برضاه
عنه كما اذا علم بسخطه تنغصت عليه ولم يجد لها لذة وان عظمت قال رضي الله عنه
وسمعت بعض اولي الهمة البعيدة والنفس المرة من مشايخنا يقول لا تطمح عيني ولا تنازع نفسي
الى شئ مما وعد الله في دار الكرامة كما تطمح وتنازع الى رضاه عني وان احشر في زمرة المهديين
المرضيين عنده ذلك اشارة الى ما وعد الله او الى الرضوان اى هو الفوز العظيم وحده
دون ما يعده الناس فوزا وروى ان الله تعالى يقول لاهل الجنة هل رضيتم فيقولون
وما لنا لا نرضى وقد اعطيتنا ما لم تعط احدا من خلقك فيقول انا اعطيكم افضل من ذلك قالوا
واي شئ افضل من ذلك قال احل عليكم رضواني فلا اسخط عليكم ابدا يا ايها النبي جاهد
الكفار بالسيف والمنافقين بالحجة واللسان واغلظ عليهم في الجهادين جميعا ولا تحابهم
واستعمل معهم الغلظة وترك المداهنة والملاطفة وكل من وقف منه على فساد في دينه فعليه
بهذا الحكم ثابت فيه يجاهد معهم بالحجة ويستعمل معه الغلظة ما امكن منها وعن ابن مسعود ان لم
يستطع بيده فبلسانه فان لم يستطع فليكفهر في وجهه فان لم يستطع فبقلبه يريد الكراهة والبغضاء
والبراءة منه ومأويهم جهنم اى مصيرهم في الاخرة الذي يأوون اليه جهنم وبئس المصير مصيرهم
يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر نزلت هذه الاية حين انشأ المنافقون
القول في رسول الله صلى الله عليه واله وطعنوا في الدين وقالوا اذا قدمنا المدينة عقدنا على راس
عبد الله بن ابي تاجا نباهي به رسول الله صلى الله عليه واله فبلغ ذلك فجاءهم فحلفوا ما قالوا ولقد
قالوا كلمة الكفر يعني شتمهم الرسول صلى الله عليه واله وطعنهم في الدين وروى ان رسول الله
صلى الله عليه واله اقام في غزوة تبوك شهرين ينزل عليه القرآن ويعيب المنافقين المتخلفين فسمع من معه
من المنافقين ما نزل فيهم فسمع الجلاس بن سويد رسول الله صلى الله عليه واله يوما فقال لئن كان ما يقول
محمد حقا في اخواننا الذين خلفوا وهم سادتنا واشرافنا فنحن شر من الحمير فقال عامر بن قيس الانصاري
للجلاس اجل والله ان محمدا لصادق وانت شر من الحمار وبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه واله فاستحضر
الجلاس فحلف بالله ما قال فرفع عامر يده فقال اللهم انزل على عبدك ونبيك تصديق الكاذب
وتكذيب الصادق فنزل يحلفون بالله ما قالوا الى اخر الاية فقال الجلاس يا رسول الله لقد
عرض الله علي التوبة والله لقد قلته وصدق عامر فتاب الجلاس وحسنت توبته وكلمة الكفر
قوله لئن كان ما يقول محمد حقا لانه شك في صدق نبوته وكفروا بعد اسلامهم اى اظهروا
كفرهم بعد اظهار الاسلام وهموا بما لم ينالوا من عقد التاج على راس ابن ابي وقيل من
الفتك برسول الله صلى الله عليه واله عند مرجعه من تبوك وذلك انه تواثق منهم خمسة عشر رجلا
على ان يدفعوه عن راحلته الى الوادي اذا تطلع العقبة بالليل فاخذ عمار بن ياسر بخطام الراحلة

يعود هلو خذيفة فحلفوا بالله ما قالوا شيئاً مما ذكر لكن اذ سمع حذيفة وقع اخفاف الابل وقعقعة
السلاح فالتفت فاذا هم قوم متلثمون فقال اليكم اليكم يا اعداء الله فهربوا وقيل هم المنافقون
بقتل عامر لرده على الجلاس **وَمَا نَقَمُوا** اى وما انكروا وما عابوا **إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ**
وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ وذلك انهم كانوا حين قدم رسول الله صلى الله عليه وآله المدينة فى ضنك من العيش
وضنك من الحال لا يركبون الخيل ولا يحوزون الغنيمة فاثروا بالغنائم وكثرت معهم الاموال
من فضل الله تعالى وبركة رسول الله صلى الله عليه وآله وقتل للجلاس مولى فامر له رسول الله
صلى الله عليه وآله بديته اثنى عشر الفاً فاستغنى بها **فَإِنْ يَتُوبُوا يَكُ خَيْرًا لَهُمْ** هذه الآية التى
تاب بسببها الجلاس حين قال لقد عرض الله على التوبة ومعنى يك خيراً لهم اى يكن فعلهم التوبة
خيراً لهم واصلح من الاصرار على النفاق **وَإِنْ يَتَوَلَّوْا** يعرضوا عن التوبة **يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ عَذَابًا**
أَلِيمًا شديداً الالم **فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ** ففى الدنيا بالقتل عند ظهور النفاق وفى الاخرة بالنار
وَمَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ مِنْ وَلِيٍّ يحميهم يتولاهم بالمودة والنصرة **وَلَا نَصِيرٍ** ينصرهم بدفع العذاب
عنهم **وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهَ** هو ثعلبة بن حاطب روى انه قال لرسول الله صلى
الله عليه وآله ادع الله ان يرزقنى مالاً فقال عليه السلام يا ثعلبة قليل تؤدى شكره خير من كثير لا
تطيقه فراجعه وقال والذى بعثك بالحق لان رزقنى مالاً لاعطين كل ذى حق حقه فدعا له فاتخذ
غنماً فنمت كما ينمو الدود حتى ضاقت بها المدينة فنزل وادياً وانقطع عن الجماعة والجمعة فسال عنه
رسول الله صلى الله عليه وآله فقيل كثر ماله حتى لا يسعه واد فقال يا ويح ثعلبة فبعث رسول
الله صلى الله عليه وآله مصدقين لاخذ الصدقات فاستقبلهما الناس بصدقاتهم ومرا بثعلبة
فسألاه الصدقة واقرأه كتاب رسول الله صلى الله عليه وآله الذى فيه الفرائض فقال ما هذه
الا جزية ما هذه الا اخت الجزية وقال ارجعا حتى ارى رأيى فلما رجعا قال لهما رسول الله صلى الله عليه
وآله قبل ان يكلماه يا ويح ثعلبة مرتين فنزلت فجاء ثعلبة بالصدقة فقال ان الله منعنى ان اقبل منك
فجعل التراب على رأسه فقال هذا عملك قد امرتك فلم تطعنى فقبض رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
فجاء بها الى ابى بكر فلم يقبلها وجاء بها الى عمر فى خلافته فلم يقبلها وهلك فى زمن عثمان ومعاهدة
الله مواثيقه حين قال لرسول الله صلى الله عليه وآله والذى بعثك بالحق لئن رزقنى الله مالاً لاعطين
كل ذى حق حقه وقيل حلف بالله **لَئِنْ آتَانَا مِنْ فَضْلِهِ** اى من عطاياه ومن تفضله على عباده
هذا جواب عاهد لانه فى معنى القسم كانه حلف لنتصدقن اى لنخرجن منه الصدقات **لَنَصَّدَّقَنَّ**
وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ اى من اهل الصلاح وقال ابن عباس يريد الحج **فَلَمَّا آتَاهُمْ** اى اعطاهم الله ما طلبوه
مِنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ بخلوا به اى بحق الله فمنعوه من الصدقات **وَتَوَلَّوْا** اعرضوا عن التصدق **وَهُمْ**
مُعْرِضُونَ اى عادة المنافقين الاعراض وجاء بالجمع وثعلبة واحد والاشارة اليهم بان هذه

عادتهم وهى الاعراض عن القيام بحق الله وحق رسوله صلى الله عليه وآله وسلم **فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا**
عن الحسن وقتادة ان الضمير للبخل يعنى فاورثهم البخل نفاقاً متمكناً **فِي قُلُوبِهِمْ** لان البخل كان
سبباً فى النفاق وداعياً اليه والظاهر ان الضمير لله عز وجل والمعنى فاورثهم الله عز وجل نفاقاً
اى خذلهم وخلاهم من التوفيق حتى نافقوا وتمكن فى قلوبهم نفاقهم ولا ينفك عنها الى ان يموتوا
وهو معنى قوله **إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ** اى اعقبهم ذلك جزاء بخلهم ونفاقهم **بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا**
وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ اى بسبب اخلافهم وما وعدوا الله من التصدق والصلاح وكونهم كاذبين
ومنه جعل خلف الوعد ثلث النفاق **أَلَمْ يَعْلَمُوا** يعنى المنافقين والمراد ثعلبة **أَنَّ اللَّهَ**
يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ عن على عليه السلام سرهم ونجواهم ما اسروه من النفاق والعزم
على اخلاف ما وعدوه وما يتناجون به فيما بينهم من المطاعن فى الدين وشتم رسول الله صلى الله عليه
وآله وتسمية الصدقة جزية وتدبير منعها **وَأَنَّ اللَّهَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ** اى عظيم العلم بالخفيات
سرهم ونجواهم لا يغيب عن علمه وفيه دليل ان ثعلبة معه غيره من المنافقين وانهم ساخوا بذلك
وقوله الم يعلموا استفهام معناه التوبيخ والتجهيل على الشاهد والمخفى من عالم الخفيات **الَّذِينَ**
يَلْمِزُونَ يعيبون ويغتابون **الْمُطَّوِّعِينَ** المتنفلين المتبرعين **مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ** غير
الواجبة وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وآله حث على الصدقة فجاء عبد الرحمن بن عوف باربعين
اوقية من ذهب وقيل باربعة آلاف درهم وقال كان لى ثمانية آلاف فاقرضت ربى اربعة وامسكت
لعيالى اربعة فقال رسول الله صلى الله عليه وآله بارك الله لك فيما اعطيت وفيما امسكت فبارك
الله له حتى صولحت امرأته عن ربع الثمن بثمانين الفاً وتصدق عاصم بن عدى بمائة وسق
من تمر وجاء ابو عقيل الانصارى بصاع من تمر فقال بت ليلتى اجر بالجرير على صاعين فتركت صاعاً
لعيالى وجئت بصاع فامره رسول الله صلى الله عليه وآله ان ينثره على الصدقات فلمزهم المنافقون
فقالوا ما اعطى عبد الرحمن وعاصم الا رياء وان كان الله ورسوله لغنيين عن صاع ابى عقيل ولكنه
احب ان يذكر بنفسه ليعطى من الصدقات فنزلت **وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ** اى طاقتهم
وهو القليل الذى يعيش به والمراد ابو عقيل وهذه معطوفة على المطوعين اى ويلمزون الذين
لا يجدون الا جهدهم **فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ** اى يستهزؤن بالمؤمنين **سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ** هذا ليس بدعاء
عليهم ولكنه اخبار بانهم المستحقون للسخرية والاستهزاء فالله سخر منهم كقوله الله يستهزئ
بهم اى ينزل بهم الهوان جزاء السخرية **وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ** فى الآخرة ثم اخبر الله رسوله مرادهم
ومغفرتهم فقال **اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ**
روى ان عبد الله بن عبد الله بن ابى وكان رجلاً صالحاً سال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله
ان يستغفر لابيه فى مرضه ففعل فنزلت هذه الآية فقال عليه السلام ان الله تعالى قد رخص لى

فما زاد على السبعين فنزلت سواء عليهم استغفرت لهم ام لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم ۝ وقال رضي
الله عنه وهذا امر في معنى الخبر كانه قيل لن يغفر الله لهم استغفرت لهم ام لم تستغفر لهم وفائدة
ايقاع الامر موقع الخبر المبالغة في نفي الغفران كانه قيل استغفر لهم او لا تستغفر وانظر
هل ترى اختلافا في حال الاستغفار وتركه وقوله سبعين مرة ليس المراد به هذا العدد
بعينه بل السبعون جارية مجرى المثل في لسان العرب يريدون به التكثير في كلامهم كانه قيل
لن يغفر الله لهم وان اكثرت الاستغفار لهم الى حد لا يحصر بعدد ولم يخف على رسول الله صلى الله عليه
وآله هذا المعنى وهو افصح العرب واخبرهم باساليب الكلام وتمثيلاته وهو الذي احزنه ولكنه
اراد صلى الله عليه وآله بقوله قد رخص لي فسازيد على السبعين اظهار غاية رحمته ورأفته على
من بعث اليه كقول ابراهيم عليه السلام ومن عصاني فانك غفور رحيم وفي اظهار الرحمة والرأفة
من النبي صلى الله عليه وآله لطف لامته ودعاء لهم الى ترحم بعضهم على بعض وكيف يخفى ذلك وقد
بين الله له الصارف عن المغفرة لهم بقوله **ذلك بانهم كفروا بالله ورسوله** اي ذلك المذكور
من نفي الغفران لهم بسبب كفرهم بالله ورسوله **والله لا يهدي القوم الفاسقين** لا يهديهم
الى ثوابه ولا يلطف بهم بل يخذلهم لانهم لا يقبلون اللطف **فرح المخلفون** هم الذين
استأذنوا رسول الله صلى الله عليه وآله من المنافقين فاذن لهم وخلفهم بالمدينة في غزوة تبوك
او الذين خلفهم كسلهم ونفاقهم والشيطان **بمقعدهم** بقعودهم عن الغزو **خلاف رسول
الله** اي خلفه يقال اقام خلاف الحي بمعنى بعدهم ظعنوا ولم يظعن معهم بدليل قراءة ابي حيوة
خلف رسول الله وقيل خلاف بمعنى المخالفة لانهم خالفوه حيث قعدوا ونهض اي قعد
او لاجل مخالفته **وكرهوا ان يجاهدوا باموالهم وانفسهم في سبيل الله وقالوا لا تنفروا
في الحر** ذكر كراهتهم للجهاد باموالهم وانفسهم وقولهم لا تنفروا في الحر لان الوقت كان وقت
قيظ شديد وحر عظيم والمعنى قال بعضهم لبعض لا تنفروا وفيه ذم للمنافقين وتعريض
بالمؤمنين حيث حملوا انفسهم المشاق العظيمة لوجه الله بما فعلوا من بذل اموالهم وارواحهم في
سبيل الله واثارهم ذلك على الدعة والخفض والراحة المنقطعة لينظروا ما لنعيم الذي لا انقطاع
له وكره ذلك المنافقون وكيف لا يكرهونه وما فيهم ما في المؤمنين من باعث الايمان وداعي الايقان
ثم جهلهم بقوله **قل نار جهنم اشد حرا** من حر القيظ الذي خافوه **لو كانوا يفقهون** اي
لو كانوا من اولي العقول الصحيحة يفقهون ذلك بعقولهم وكانهم جهلة لا يفقهون لان من يصون
من مشقة ساعة فوقع بسبب ذلك التصون في مشقة الابد كان اجهل من كل جاهل **ولـه
رضي الله عنه**

مسرة احقاب تلقيت بعدها ۝ مساءة يوم اريها شبه الصاب ۝
وكيف بان تلقى مسرة ساعة ۝ وراء تقضيها مساءة احقاب ۝

فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا معناه فيضحكون ضحكا قليلا ويبكون بكاء كثيرا
الا انه اخرج على لفظ الامر للدلالة على انه حتم واجب لا يكون غيره يروى ان اهل النفاق
يبكون في النار عمر الدنيا لا يرقا لهم دمع ولا يكتحلون بنوم **جزاء بما كانوا يكسبون**
اي لاجل مجازاتهم على كسبهم القبيح **فان رجعك الله الى طائفة منهم** اي فان ردك الله
الى طائفة من المتخلفين وانما قال طائفة منهم لان منهم من تاب عن النفاق وندم على التخلف
واعتذر بعذر صحيح وقيل لم يكن المخلفون كلهم منافقين فاراد بالطائفة المنافقين منهم
فاستأذنوك للخروج يعني الى غزوة بعد غزوة تبوك **فقل لن تخرجوا معي ابدا** الى غزاة
ولن تقاتلوا معي عدوا وامر اهل الكتاب **انكم رضيتم بالقعود اول مرة** حين لم تخرجوا الى تبوك
وكان اسقاطهم من ديوان الغزاة وتحريم الاذن لهم في الخروج للغزو عقوبة لهم على تخلفهم
الذي علم الله انه لم يدعهم اليه الا النفاق بخلاف غيرهم من المتخلفين لعذر صحيح **فاقعدوا
مع الخالفين** ۝ يعني مع الذين عادتهم التخلف وهم النساء والصبيان والمرضى نهى رسول الله
صلى الله عليه وآله عن الصلاة عليهم اذا ماتوا او الدعاء لهم عند الوقوف على القبر فقال **ولا تصل
على احد منهم مات ابدا ولا تقم على قبره** روي ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
كان يقوم على قبور المنافقين ويدعو لهم فلما مرض راس النفاق عبد الله بن ابي بعث الى رسول
الله صلى الله عليه وآله ليأتيه فلما دخل عليه قال يا عبد الله اهلكك حب اليهود فقال يا رسول
الله بعثت اليك لتستغفر لي لا لتؤنبني وسأله ان يكفنه في شعاره وهو القميص الذي يلي
جسده ويصلي عليه فلما مات دعاه ابنه حباب الى جنازته فسأله عن اسمه فقال انت عبد الله
بن عبد الله الحباب اسم شيطان فلما هم رسول الله صلى الله عليه وآله بالصلاة على ابن ابي قال له
عمر اتصلي على عدو الله وقيل اراد ان يصلي فجذبه جبرئيل وجاز للنبي صلى الله عليه وآله تكرمة المنافق
وتكفينه في قميصه لان ذلك كان مكافاة له على صنيع سبق الى العباس عم النبي صلى الله عليه وآله
وذلك انه لما اخذ اسيرا ببدر ولم يجدوا له قميصا وكان رجلا طوالا كساه عبد الله قميصه
وقال المشركون لعبد الله يوم الحديبية انا لا نأذن لمحمد ولكن نأذن لك فامتنع وقال لا ان لي في رسول
الله اسوة حسنة فشكر رسول الله صلى الله عليه وآله له ذلك وقيل فعل له ذلك رسول الله صلى الله
عليه وآله اجابة الى مسألته اياه لانه صلى الله عليه وآله كان لا يرد سائلا وكان يتوفر على دواعي
المروة ويعمل بعادات الكرام وقيل اكراما لابنه الصالح فقد روي انه قال اسألك ان تكفنه في
بعض قمصانك وان تقوم على قبره ولا تشمت بي الاعداء وعلما بان تكفينه في قميصه لا ينفع مع كفره
فلا فرق بينه وبين غيره من الاكفان وليكون لبسه اياه لطفا لغيره فقد قيل له لم وجهت اليه
بقميصك وهو كافر فقال ان قميصي لن يغني عنه من الله شيئا واني اؤمل من الله ان يدخل في الاسلام

برآه

قال فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا [illegible] بالضحك والبكاء [illegible] اي ان ضحكوا في الدنيا قليلا فسيبكون في الآخرة كثيرا

الشاب الضعيف واللوم لمن

فق

فيروى انه اسلم الف من الخزرج لما راوه طلب الاستشفا بثوب رسول الله صلى الله عليه واله وسلم وكذلك ترحمه واستغفاره للدعا الى التراحم والتعاطف بين المسلمين لانهم اذا راوه يترحم على من يظهر الايمان وباطنه خلاف ظاهره دعا ذلك المسلم الى ان يعطف على من اخلص الاسلام وجاز الصلوة عليه لانه لم يتقدم نهي عن الصلوة عليهم وكانوا يجرون مجرى المسلمين لظاهر ايمانهم لما في ذلك من المصلحة **انهم كفروا بالله ورسوله** هذا تعليل للنهي عن الصلوة عليهم والقيام على قبورهم والدعا لهم والحضور لجنائزهم بسبب انهم كفروا **وماتوا وهم فاسقون** اي متمردون في الكفر زائدون فيه **ولا تعجبك اموالهم واولادهم انما يريد الله ان يعذبهم بها في الدنيا وتزهق انفسهم** اي لا تعجبك يا محمد كثرة اموال الكفار واولادهم بحيث تسر وترضى بها فما يريد الله بها الا تعذيبهم بما يقع في الاموال من الافات والمصائب وما التكلف في جمعها وحفظها والخوف عليها وتربية الاولاد وقد تقدمت هذه الاية وانما اعيدت لان تجدد النزول له زيادة تاكيد في العمل بالموكد والتكرير على ان المخاطب انساه ولا يسهو عنه وليعتقدان العمل به مهم مفتقر الى فضل عنايته لا سيما اذا تراخى ما بين النزولين فاشبه الشي الذي اهم صاحبه فهو يرجع اليه في اثناء حديثه ويكرره وانما اعيد هذا المعنى لقوته فيما يجب ان يحذر منه **واذا انزلت سورة ان امنوا بالله وجاهدوا مع رسوله** يجوز ان يراد السورة بتمامها وان يراد بعضها كما يقع القرآن والكتاب على كله وعلى بعضه وقيل هي براءة لان فيها الامر بالايمان والجهاد **استاذنك اولوا الطول منهم** اي اهل الفضل والسعة من المنافقين والطول الزيادة في المال **وقالوا ذرنا** اي اتركنا **نكن مع القاعدين** اي مع الذين لهم علة وعذر في التخلف فهم لا يعلمون ما في الجهاد من الفوز والسعادة وما في التخلف من الشقا والهلاك **رضوا بان يكونوا مع الخوالف** اي رضوا لانفسهم بالمرتبة الدنية واختاروها والخوالف النسا اللاتي يخلفن ازواجهن في البيوت ومن يشبههن من المعذورين كالصبيان والمرضى **وطبع على قلوبهم** اي خذلهم الله بان خلاهم وانفسهم ومنعهم اللطف حتى صارت قلوبهم كالمطبوع عليها **فهم لا يفقهون** اي لا يفهمون ما في الجهاد من الخير وكثرة الثواب **لكن الرسول والذين امنوا معه جاهدوا باموالهم وانفسهم** اي ان تخلف هؤلاء المنافقون عن الغزو فقد نهض اليه من هو خير منهم واخلص نية ومعتقدا وهو رسول الله صلى الله عليه واله وسلم والذين امنوا معه يعني اصحابه وبذلوا اموالهم وارواحهم وهذا كقوله فان يكفر بها هؤلاء فقد وكلنا بها قوما وكقوله فان استكبروا فالذين عند ربك **واولئك لهم الخيرات** هي تتناول منافع الدارين لانه مطلق يفيد العموم وقيل هي الحور العين لقوله فيهن خيرات حسان **واولئك هم المفلحون** الظافرون بكل فوز وكل سعادة **اعد الله لهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ذلك** يعني الذي ذكر من الجنات التي اعدها لهم جزاء على الايمان والجهاد بانها الجنان التي لا ينقطع عنهم نعيمها

اعد لهم هو **الفوز العظيم** اي الظفر الذي لا اعظم منه **وجاء المعذرون من الاعراب ليؤذن لهم** الذين يعتذرون بالباطل من عذر في الامر اذا قصر فيه وتوانى وحقيقته ان يوهم ان له عذرا فيما يفعل ولا عذر له الا المقصر قيل هم اسد وغطفان قالوا ان لنا عيالا وان بنا جهدا فاذن لنا في التخلف وقيل هم رهط عامر بن الطفيل قالوا ان غزونا معك اغارت اعراب طي على اهلينا ومواشينا فقال عليه السلام سيغنيني الله عنكم وعن مقاتلة اغتذروا بالكذب فلم يعذرهم الله **وقعد الذين كذبوا الله ورسوله** هم منافقوا الاعراب الذين لم يجيئوا ولم يعتذروا وظهر بذلك انهم كذبوا الله ورسوله في ادعائهم الايمان **سيصيب الذين كفروا منهم** اي من الاعراب **عذاب اليم** في الدنيا بالقتل وفي الاخرة بالنار **ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون** الضعفا الهرمى والزمنا وهم المشايخ العجزة والذين لا يجدون الفقرا قيل هم مزينة وجهينة وبنو عذرة والمعنى ليس على هؤلاء **حرج** اي اثم وضيق في التخلف **اذا نصحوا لله ورسوله** النصح لله ورسوله الايمان بهما وطاعتهما في السر والعلن وتوليهما والحب والبغض فيهما كما يفعل الموالي الناصح لصاحبه **ما على المحسنين من سبيل** اي ما على المعذورين من المحسنين في عذرهم عن المعصية من سبيل اي من طريق لعاتب يعتب عليهم لظهور عذرهم وصحته **والله غفور رحيم** يغفر لهم ويرحمهم فلا يؤاخذهم بالتخلف **ولا على الذين اذا ما اتوك لتحملهم قلت لا اجد ما احملكم عليه** نزلت هذه الاية في سبعة نفر من الانصار سالوا رسول الله صلى الله عليه واله ان يحملهم على الدواب فقال لا اجد ما احملكم عليه فانصرفوا باكين شوقا الى الجهاد وحزنا لضيق ذات اليد

قال رضي الله عنه ولقد رحم الله المعذورين في التخلف في ثلاثة اصناف وهم الذين لا قوة في ابدانهم من الضعفا والمرضى والفقرا الذين طلبوا المعونة فلم يجدوها وهؤلاء الذين عدموا آلة الخروج فطلبوا ان يحملوا فلم يجدوا ما يحملون عليه قيل هم ابو موسى الاشعري واصحابه **تولوا واعينهم تفيض من الدمع حزنا الا يجدوا ما ينفقون** اي تولوا باكين بسبب الحزن على كونهم لا يجدون ما ينفقون ومعنى الا يجدوا اي حزنوا لعدم وجدهم ما ينفقون **انما السبيل على الذين يستاذنونك وهم اغنياء** اي انما وقوع الامر والعتب الذين يستاذنونك في التخلف وهم اغنياء يتمكنون مما يحملهم **رضوا بان يكونوا مع الخوالف** رضوا بالدناءة والضعة والانتظام في جملة العجزة المتخلفين في البيوت وهم النسا ومن في حكمهن **وطبع الله على قلوبهم** اي خذلهم وخلاهم من لطفه حتى استحكم عليهم الضلال وصارت قلوبهم كالمختوم عليها **فهم لا يعلمون** ما في الجهاد من الفوز والسعادة وما في التخلف من الشقا والهلاك **يعتذرون اليكم** اي يعتذر المتخلفون اليكم بالاعذار الباطلة **اذا رجعتم اليهم** من غزوة تبوك الى المدينة **قل** يا رسول الله **لا تعتذروا لن نؤمن لكم** لن نصدقكم ولا تفيدكم الاعتذار لان غرض المعتذر ان يصدق فيما اعتذر به فاذا علم انه مكذب لزمه ترك الاعتذار لعدم فائدته ثم بين السبب في تكذيبهم

بقوله قد نبأنا الله من أخباركم أي أعلمنا بالوحي بأخباركم وضمائركم وما فيها من الشر والنفاق
ولا طريق إلى تصديقكم لأن الله عز وجل إذا أوحى إلى رسوله وأعلمه بأخبارهم وأحوالهم
وما في ضمائرهم من الشر والعناد لم يستقم مع ذلك تصديقهم في معاذيرهم وسيرى الله عملكم
ورسوله يعني أتتوبون أم تصرون على كفركم ونفاقكم ثم تردون إلى عالم الغيب والشهادة أي
إلى من يعلم كل غيب وكل سر يخفى على الناس ويغيب عنهم والمعنى ثم تردون إليه وهو عالم كل غيب وشهادة
وسر وعلانية فيجازيكم على حسب ذلك فينبئكم بما كنتم تعملون أي يخبركم بما كنتم تكتمون وتسرون
سيحلفون بالله لكم إذا انقلبتم إليهم أي سيحلفون على تصديق ما اعتذروا به لتعرضوا عنهم فلا
توبخوهم ولا تعاتبوهم فأعرضوا عنهم أي اتركوا سلامهم وكلامهم وأعطوهم طلبتهم من
الإعراض عنهم إنهم رجس أي نجس وهذا تعليل لترك معاتبتهم يعني أن المعاتبة لا تنفع فيهم
ولا تصلحهم إنما يعاتب الأديم ذو البشرة بخلاف المؤمن فإنه يوبخ على زلة تفرط منه ليطهره التوبيخ
بالحمل على التوبة والاستغفار وأما هؤلاء فأرجاس لا سبيل إلى تطهيرهم ومأواهم جهنم أي
ومصيرهم الذي يأوون إليه في الآخرة جهنم وكفتهم النار عتابا وتوبيخا فلا تتكلفوا عتابهم
جزاء بما كانوا يكسبون أي يستأهلون عقوبته يحلفون لكم لترضوا عنهم أي غرضهم
في الحلف بالله طلب رضاكم لينفعهم ذلك في دنياهم لئلا تكدروها عليهم فإن ترضوا عنهم
فإن الله لا يرضى عن القوم الفاسقين أي فإن رضاكم وحدكم لا ينفعهم إذا كان الله ساخطا عليهم
وكانوا عرضة لعاجل عقوبته وآجلها وقيل إنما قيل ذلك لئلا يتوهم متوهم أن رضا المؤمنين يقتضي
رضا الله عنهم قيل هم جد بن قيس ومعتب بن قشير وأصحابهما وكانوا ثمانين رجلا منافقين فقال
النبي صلى الله عليه وآله للمؤمنين حين قدم المدينة لا تجالسوهم ولا تكلموهم وقيل جاء عبد الله بن أبي يحلف أن لا
يتخلف عن رسول الله صلى الله عليه وآله أبدا الأعراب أهل البدو أشد كفرا ونفاقا من
أهل الحضر لجفائهم وقسوتهم وتوحشهم وبعدهم عن مجالسة العلماء ومشاهدتهم ومعرفة أهل
الكتاب والسنة وأجدر ألا يعلموا حدود ما أنزل الله أي وأحق بجهل حدود الدين
وما أنزل الله من الشرائع والأحكام على رسوله ومنه قوله عليه السلام إن الجفاء والقسوة في الفدادين
لأنهم ولدوا وعاشوا في البادية فهم كالوحوش في البعد عن العلماء وأهل الفضل والله عليم
يعلم حال كل أحد من أهل الوبر والمدر حكيم عادل فيما يصيب به مسيئهم ومحسنهم من عقابه
وثوابه ومن الأعراب من يتخذ ما ينفق مغرما أي غرامة وخسرانا لأن الغرامة ما ينفقه الرجل
وليس يلزمه إنفاقه وكانوا لا ينفقون إلا تقية من المسلمين ورياء لا لوجه الله وابتغاء المثوبة عنده
ويتربص بكم الدوائر أي ينتظر بكم دوائر الزمان وهي دولة وعقبة التي تدور تارة لهؤلاء
وتارة لهؤلاء والمعنى ينتظر والدولة لكم ليذهب عليكم فيتخلص من إعطاء الصدقة أو يسقط
عنه الأمر عليكم بموت الرسول عليهم دائرة السوء دعا عليهم أي عليهم يدور البلاء والمحن
والحروب فلا يرون في محمد ودينه إلا ما يسوءهم وهو دعاء فاصل بين ما يليه وما بعده والسوء بالضم
هو العذاب وبالفتح ذم للدائرة لأن من دارت عليه ذام لها والله سميع عليم بما يضمرون
قيل هم أعراب أسد وغطفان ومن الأعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر ويتخذ ما ينفق قربات
عند الله أي ومنهم من هو مخلص يؤمن بالله وبالبعث والجزاء ويجعل ما ينفقه قربات يتقرب بها
إلى الله تعالى وصلوات الرسول يعني دعاءه بالخير والبركة والمعنى أنه يتقرب بصدقته
ودعاء الرسول إلى الله لأن النبي صلى الله عليه وآله كان يدعو للمتصدقين بالخير والبركة ويستغفر
لهم كقوله اللهم صل على آل أبي أوفى وقال تعالى وصل عليهم أي ادع لهم فلما كان ما يتقرب بها
لذلك قيل يتخذ ما ينفق قربات وصلوات ألا إنها يعني نفقتهم قربة لهم أي نور ومكرمة
عند الله وهذه شهادة من الله للمتصدق بصحة ما اعتقد من كون نفقته قربات وصلوات يشهد
الله لهم بالإخلاص وتصديق ما رجوا من القربات وصلوات الرسول لهم وعدهم وحقق الوعد برحمة
النبي في قوله سيدخلهم الله في رحمته أي في نعمته وجنته إن الله غفور لهم رحيم
يعم لإيمانهم وإخلاصهم في صدقاتهم قال رضي الله عنه وما أدرك هذا
الكلام على رضا الله عن المتصدق فرواية الصدق منه لكان إذا أخلصت النية من صاحبها وتقدم
عند الله ذو التحادين وهطه وعبد الله هذا هو ابن أبي أوفى ونحي بذلك لأن أمه بعثت كساء بعض
فأزره بأحدهما وردائه بالآخر ثم بعثه إلى رسول الله صلى الله عليه وآله بالصدقة والسابقون
الأولون من المهاجرين والأنصار التابعون من المهاجرين هم الذين صلوا إلى القبلتين وقيل
الذين شهدوا بدرا وعن الشعبي من بايع بالحديبية وهي بيعة الرضوان ومن الأنصار أهل بيعة العقبة
الأولى وكانوا سبعة نفر وأهل العقبة الثانية وكانوا سبعين والذين آمنوا أهل قدوم النبي صلى
الله عليه وآله حين قدم عليهم أبو زرارة مصعب بن عمير فعلمهم القرآن فهؤلاء السابقون من الفريقين
وقيل أراد كل من أدركه من أصحابه فإنهم كلهم سبقوا هذه الأمة بصحبة النبي صلى الله عليه وآله
ورؤيته والذين اتبعوهم بإحسان يعني من تبعهم على مناهجهم وسار في آثارهم إلى يوم القيامة
من حسن القول فيهم وقيل من بعد اللاحقين بعد السابقين إلى الهجرة كقوله والذين جاءوا من بعدهم
وقوله والذين آمنوا من بعد وهاجروا وجاهدوا معكم فأولئك منكم والأول أصح رضي الله عنهم
أي عن السابقين والتابعين لهم بإحسان ومعناه قبل أعمالهم الصالحة ورضوا عنه لما
أفاض عليهم من نعمته الدينية والدنيوية وأعد لهم أي هيأ لهم في الآخرة جنات تجري تحتها
الأنهار خالدين فيها أبدا في مصاحف أهل مكة تجري من تحتها الأنهار وهي قراءة
ابن كثير وفي سائر المصاحف بغير من ذلك يعني ذلك الجزاء الذي أعد لهم هو الفوز العظيم

حول

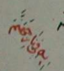
اى الطرا الذى لا اعظم منه **وممن حولكم** يعنى ومن اهل بلدتكم وهى المدينة **من الاعراب** هم جهينة واسلم ومزينة وغفار واشجع كانوا نازلين حولها اى فى الحوالى المستديرة بها **ومن اهل المدينة** هم قوم من الاوس والخزرج **مردوا على النفاق** اى اعتادوه وبهروا فيه يقال مرد فلان على عمله ومرن عليه اذا اعتاده وضرى به ودل على مرانتهم عليه ومهارتهم فيه بقوله **لا تعلمهم** اى يخفون عليك مع فطنتك وشهامتك وصدق فراستك لفرط حذرهم وتحرزهم عما يشكك فى امرهم ثم قال **نحن نعلمهم** اى لا يعلمهم الا الله ولا يطلع على سرهم غيره لانهم يبطنون الكفر فى سويدات قلوبهم ابطانا ويبرزون لك ظاهرا كظاهر المخلصين من المؤمنين لا تشك معه فى ايمانهم وذلك انهم مردوا على النفاق ولهم فيه اليد الطولى **سنعذبهم مرتين** قيل هما القتل وعذاب القبر وقيل الفضيحة وعذاب القبر وعن ابن عباس انهم اختلفوا فى هاتين المرتين فقال قام رسول الله صلى الله عليه واله خطيبا يوم الجمعة فقال اخرج يا فلان فانك منافق اخرج يا فلان فانك منافق فاخرج ناسا وفضحهم فهذا العذاب الاول والثانى عذاب القبر وعن الحسن اخذ الزكوة من اموالهم وانهاك ابدانهم بالصلوة والصيام **ثم يردون الى عذاب عظيم** وهو الخلود فى النار **واخرون اعترفوا بذنوبهم** فى التخلف عن الغزو اى لم يعتذروا من تخلفهم عنك بالمعاذير الكاذبة كغيرهم ولكن اعترفوا على انفسهم بانهم بئس ما فعلوا وندموا وتابوا وكانوا ثلاثة ابو لبابة مروان بن المنذر واوس بن ثعلبة ووديعة بن حرام وقيل كانوا عشرة تسعة منهم اوثقوا انفسهم وذلك انه بلغهم ما نزل فى المتخلفين فايقنوا بالهلاك فاوثقوا انفسهم على سوارى المسجد فقدم رسول الله صلى الله عليه واله من تبوك فدخل المسجد فصلى ركعتين وكانت عادته كلما قدم من سفر فراهم موثقين فسال عنهم فذكر له انهم اقسموا ان لا يحلوا انفسهم حتى يكون رسول الله صلى الله عليه واله هو الذى يحلهم فقال وانا اقسم ان لا احلهم حتى اومر فيهم فنزلت فاطلقهم وعذرهم **خلطوا عملا صالحا** وهو جهادهم مع النبى صلى الله عليه واله **واخر سيئا** وهو تقاعدهم عن غزوة تبوك وعن الكلبى هما التوبة والاثم وقوله **عسى الله ان يتوب عليهم** توبة من الله عليهم وعسى واجب من الله لانهم بالوا[عد] لقوله **ان الله غفور رحيم** اعترفوا بذنوبهم لانه اذا ذكر اعترافهم بذنوبهم وهو دليل التوبة فقد ذكرت توبتهم **غفور رحيم** يغفر لهم ذنوب التخلف ويرحمهم بقبول توبتهم ولما تاب الله على هؤلاء وعذرهم قالوا يا رسول الله هذه اموالنا التى خلفتنا عنك تصدق بها عنا وطهرنا واستغفر لنا فقال صلى الله عليه واله ما امرت ان اخذ من اموالكم شيئا فانزل الله **خذ من اموالهم صدقة** فاخذ رسول الله صلى الله عليه واله الثلث من اموالهم وكانت كفارة للذنوب التى اصابوها وهو قوله **تطهرهم** يعنى هذه الصدقة تطهرهم من الذنوب **وتزكيهم بها** اى ترفعهم انت يا محمد بهذه الصدقة من

مارد

منازل المنافقين الى منازل المخلصين **وصل عليهم** اى ادع لهم وترحم عليهم والسنة ان يدعوا المصدق لصاحب الصدقة اذا اخذها وعن الشافعى ان يقول الوالى عند اخذ الصدقة اجرك الله فيما اعطيت وجعله طهورا وبارك لك فيما ابقيت **ان صلوتك سكن لهم** اى ان دعوتك لهم تسكن اليه نفوسهم وتطمئن قلوبهم بان الله قد تاب عليهم وقبل منهم **والله سميع** يسمع قولهم باعترافهم بذنوبهم ودعاءهم **عليم** بندامتهم وبما فى ضمائرهم من الندم والغم لما فرط منهم ولما نزلت توبة هؤلاء قال الذين لم يتوبوا من المتخلفين هؤلاء الذين تابوا كانوا بالامس معنا لا يكلمون ولا يجالسون فما لهم فانزل الله تعالى **الم يعلموا ان الله هو يقبل التوبة عن عباده وياخذ الصدقات** معنى اخذ الصدقات قبولها وعن ابن مسعود ان الصدقة تقع فى يد الله قبل ان تقع فى يد السائل والمعنى انه يقبلها ويضاعف عليها **وان الله هو التواب الرحيم** يرجع على من يرجع عليه بالتوبة بالرحمة والمغفرة **قال رضى الله عنه** وقرئ الم تعلموا بالتاء والتاء فيه وجهان احدهما ان يراد المتوب عليهم يعنى الم يعلموا قبل ان يتاب عليهم وتقبل صدقاتهم ان الله هو يقبل التوبة اذا صحت ويقبل الصدقات اذا صدرت عن خلوص النية والثانى ان يراد غير التائبين ترغيبا فى التوبة وان الله من شانه قبول توبة التائبين وفائدة قوله هو التخصيص والتاكيد يعنى ان الله هو المختص وحده وان ذلك ليس الى رسول الله صلى الله عليه واله انما هو الذى يقبل التوبة ويردها فاقصدوه بها ووجهوها اليه **وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون** اى قل لهؤلاء التائبين اعملوا فان عملكم لا يخفى خيرا كان او شرا على الله وعلى عباده كما رايتم وتبين لكم ان الله يعلمهم بالوحى وان اريد بقوله اعملوا غير التائبين فسيرى الله وعيد لهم وتحذير من عاقبة الاصرار والذهول عن التوبة **وستردون الى عالم الغيب والشهادة** اى وسترجعون الى من لا يعزب عنه شىء من البواطن والظواهر **فينبئكم بما كنتم تعملون** اى يجازيكم على عملكم **واخرون مرجون لامر الله** اى موخرون من ارجيته وارجاته اذا اخرته والمعنى واخرون من المتخلفين موقوف امرهم ليقضى الله فيهم ما هو قاض **اما يعذبهم** ان بقوا على الاصرار ولم يتوبوا **واما يتوب عليهم** ان تابوا وهم ثلاثة كعب بن مالك وهلال بن امية ومرارة بن الربيع امر رسول الله صلى الله عليه واله اصحابه ان لا يسلموا عليهم ولا يكلموهم لانهم لم يفعلوا كما فعل ابو لبابة واصحابه من شد انفسهم على السوارى واظهار الجزع والغم فلما علموا ان احدا لا ينظر اليهم فوضوا امرهم الى الله واخلصوا نياتهم ونصحت توبتهم فرحمهم الله وتاب عليهم **والله عليم** بضمائرهم وما يؤول اليه امرهم **حكيم** فيما يفعله بهم وفى قراءة ابن مسعود غفور رحيم **روى** ان بنى عمرو بن عوف لما بنوا مسجد قبا بعثوا الى رسول الله **الذين اتخذوا مسجدا** صلى الله عليه واله ان ياتيهم فاتاهم فصلى فيه فحسدتهم اخوتهم بنو غنم بن عوف وقالوا نبنى مسجدا ونرسل الى رسول الله صلى الله عليه واله ليصلى فيه ويصلى فيه ابو عامر الراهب اذا قدم من الشام ليثبت لهم الفضل

والزيادة على اخوتهم وابو عامر هذا هو الذي سماه رسول الله صلى الله عليه وآله الفاسق وقال لرسول الله صلى الله عليه وآله يوم احد لا اجد قوما يقاتلونك الا قاتلتك معهم فلم يزل يقاتله الى يوم حنين فلما انهزمت هوازن خرج هاربا الى الشام وارسل الى المنافقين ان استعدوا ما استطعتم من قوة وسلاح فاني ذاهب الى قيصر وآت بجنود ومخرج محمدا واصحابه من المدينة فبنوا مسجدا الى جنب مسجد قبا وقالوا للنبي صلى الله عليه وآله بنينا مسجدا لذي العلة والحاجة والليلة المطيرة والشاتية ونحن نحب ان تصلي لنا فيه وتدعو لنا بالبركة فقال انا على جناح سفر وحال شغل واذا قدمنا ان شاء الله صلينا فيه فلما قفل من غزوة تبوك سألوه اتيان المسجد فنزلت عليه الاية فدعا مالك بن الدخشم ومعن بن عدي وعامر بن السكن ووحشي قاتل حمزة فقال لهم انطلقوا الى هذا المسجد الظالم اهله فاهدموه واحرقوه وامر ان يتخذ مكانه كناسة تلقى فيها الجيف والقمامة ومات ابو عامر في الشام بقنسرين **ضِرَارًا** اي مضارة لاخوانهم اصحاب مسجد قبا ومعازة **وَكُفْرًا** اي تقوية للنفاق **وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ** لانهم كانوا يصلون مجتمعين في مسجد قبا فيغتص بهم فارادوا ان يتفرقوا وتختلف كلمتهم **وَإِرْصَادًا** اي اعدادا وانتظارا **لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ** وهو ابو عامر الراهب وكانوا قد اعدوه له ليصلي فيه ويظهر على رسول الله صلى الله عليه وآله بالمحاربة وقيل كل مسجد بني مباهاة او رياء وسمعة او لغرض سوى ابتغاء وجه الله او بمال غير طيب فهو لاحق بمسجد الضرار وهو مقتضى كلام ابائنا عليهم السلام لان من شرط المسجد التنسك وهي قربة ولا تنفع الجمع بين طاعة ومعصية وكيف اذا تجرد القصد لغرض سوى وعن عطاء لما فتح الله الامصار على يد عمر امر المسلمين ان يبنوا المساجد ولا يتخذوا في مدينة مسجدين يضار احدهما صاحبه ٥ وقوله **مِنْ قَبْلُ** متصل باتخذوا اي اتخذوا مسجدا من قبل ان ينافق هؤلاء بالتخلف **وَلَيَحْلِفُنَّ** ثم لرسول الله صلى الله عليه وآله وللمسلمين **إِنْ أَرَدْنَا** ببناء هذا المسجد **إِلَّا الْحُسْنَى** اي الا الارادة الحسنى وهي الصلوة وذكر الله والتوسعة على المصلين والرفق بهم **وَاللَّهُ يَشْهَدُ** اي يعلم **إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ** في قولهم ان اردنا الا الحسنى وانهم فجرة في حلفهم ولهذا نهى الله نبيه صلى الله عليه وآله من مساعدتهم فقال **لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا** اي لا تقم في مسجد ضرار مصليا ولا تطع المنافقين **لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ** اي بنيت جدرده ورفعت قواعده على طاعة الله تعالى **عَلَى التَّقْوَى** اي على مقتضى تقوى الله من حسن القصد فيه واخلاص النية **مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ** اي من اول يوم من ايام وجوده **أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ** للصلوة قيل هو مسجد قبا اسسه رسول الله صلى الله عليه وآله وصلى فيه ايام مقامه بقبا وهو يوم الاثنين والثلاثا والاربعا والخميس وخرج يوم الجمعة وهذا القول اولى لان الموازنة بين مسجدي قبا اوقع وقيل هو مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وعن ابي سعيد الخدري سألت رسول الله صلى الله عليه وآله عن المسجد الذي اسس على التقوى فاخذ

الحصباء فضرب بها الارض وقال هو مسجدكم هذا مسجد المدينة **فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا** قيل لما نزلت مشى رسول الله صلى الله عليه وآله ومعه المهاجرون حتى وقف على باب مسجد قبا فاذا الانصار جلوس فقال أمؤمنون انتم فسكت القوم ثم اعادها فقال عمر يا رسول الله انهم لمؤمنون وانا معهم فقال عليه السلام اترضون بالقضاء قالوا نعم قال اتصبرون على البلاء قالوا نعم قال اتشكرون في الرخاء قالوا نعم قال عليه السلام مؤمنون ورب الكعبة فجلس ثم قال يا معشر الانصار ان الله قد اثنى عليكم فما الذي تصنعون عند الوضوء وعند الغائط فقالوا يا رسول الله نتبع الغائط الاحجار الثلاثة ثم نتبع الاحجار الماء فتلا النبي صلى الله عليه وآله رجال يحبون ان يتطهروا اي من اثر البول والغائط وقيل هو عام في التطهر من النجاسات كلها وقيل كانوا لا ينامون الليل على الجنابة ويتبعون الماء اثر البول وعن الحسن هو التطهر من الذنوب بالتوبة وقيل يحبون ان يتطهروا بالحمى لانها تكفر ذنوبهم فحمّوا عن آخرهم **وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ** من الشرك والنفاق ومعنى محبتهم للتطهر انهم يؤثرونه ويحرصون عليه حرص المحب للشيء المشتهى له ومحبة الله اياهم انه يرضى عنهم ويحسن اليهم كما يفعل المحب بمحبوبه **أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ** اي بناءه الذي بناه **عَلَى تَقْوَى مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ** اي على مخافة



ورجاء ثوابه وطلب مرضاته **خَيْرٌ أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ** هذا مثل والمعنى امن اسس بنيان دينه على قاعدة قوية محكمة وهو الحق الذي هو تقوى الله ورضوانه خير ام من اسسه على قاعدة هي اضعف القواعد وارخاها واقلها بقاء وهو الباطل والنفاق مثله في سرعة زواله وقلة ثباته بحرف طرف الوادي الذي يحفر اصله ويحمل بحرفه السيول اي يحفر اصله فهو سريع الزوال يتهدم ويسقط بادنى شيء وشفا الشيء حرفه والهار هو الهائر اي المتصدع الذي اشفى على التهدم والسقوط ومعنى فانهار به فسقط به في نار جهنم مثل المبطل من اسس بنيانه على شفا جرف واد من اودية جهنم فانهار به ذلك الجرف في قعرها ولا نرى ابلغ من هذا الكلام ولا ادل على حقيقة البطلان وبطلان عاقبته وهذا المثل عام لكل مبطل واول من يتناول المنافقين وقيل حفرت بقعة من مسجد الضرار فرأى الدخان يخرج فكأنه اسس على شفا جرف نار جهنم **وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ** اي لا يلطف بهم ولا يوفقهم لانهم لا يعقلون هذا ٥ **لَا يَزَالُ بُنْيَانُهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ** اي شكا في الدين ونفاقا وكان القوم منافقين وما حملهم على بناء المسجد الا شدة الكفر والنفاق فلما هدمه رسول الله صلى الله عليه وآله ازدادوا لما غاظهم من ذلك وعظم عليهم بغضا على النفاق وبغضا للاسلام ومعنى لا يزال بنيانهم الذي بنوا ريبة في قلوبهم اي لا يزال هدمه سبب شك ونفاق زائد على شكهم ونفاقهم لا يزال وسمه عن قلوبهم ولا يضمحل اثره **إِلَّا أَنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ** قطعا وتفرق اجزاء فحينئذ يسلون عنه واما ما دامت سالمة مجتمعة فالريبة باقية فيها متمكنة فيجوز ان يراد ذكر التقطع التمثيل لحال زوال الريبة عنها ويجوز ان يراد

حقيقة تقطعها وما هو كائن منه بقتلهم وفي القبور وفي النار وقيل معناه الا ان يتوبوا توبة تقطع بها قلوبهم ندما واسفا على تفريطهم **روي** ان مجمع بن جارية كان امامهم في مسجد الضرار فكلم بنو عمرو بن عوف اصحاب مسجد قبا عمر بن الخطاب في خلافته ان ياذن لمجمع فيؤمهم في مسجدهم فقال لا ولا نعمة عين اليس بامام مسجد الضرار فقال يا امير المومنين لا تعجل علي فوالله لقد صليت بهم والله يعلم اني لا اعلم ما اضمروا فيه ولو علمت ما صليت معهم فيه كنت غلاما قاريا للقران وكانوا شيوخا لا يقراون من القران شيا فعذره وصدقه وامره بالصلوة بقومه هم **والله عليم** بخلقه **حكيم** فيما جعل لكل احد **ان الله اشترى من المومنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة** الاية نزلت في بيعة العقبة لما بايعت الانصار رسول الله صلى الله عليه وآله على ان يعبدوا الله تعالى ولا يشركوا به شيا يا رسول الله اما نبيتهم بالجنة على ان لهم انفسهم واموالهم في سبيل الله بالامر والثمن هو الجنة ولقد ما جرهم فاغلا لهم الثمن وروي ان الانصار حين بايعوه على العقبة قال له عبد الله بن رواحة رحمه الله اشترط لربك ولنفسك ما شئت فقال صلى الله عليه وآله اشترط لربي ان تعبدوه ولا تشركوا به شيا واشترط لنفسي ان تمنعوني مما تمنعون منه انفسكم قالوا فاذا فعلنا ذلك يا رسول الله فماذا لنا قال لكم الجنة قالوا ربح البيع لا نقيل ولا نستقيل فنزلت هذه الاية ومر اعرابي برسول الله صلى الله عليه وآله وهو يقراها فقال كلام من هذا قال كلام الله قال بيع والله مربح لا نقيله ولا نستقيله فخرج الى الغزو فاستشهد ومعنى اشترى من المومنين انفسهم واموالهم **بان لهم الجنة** ان المومن اذا قاتل في سبيل الله حتى يقتل او انفق ماله في سبيل الله اخذ من الله الجنة في الاخرة جزا لما فعل **يقاتلون في سبيل الله** فيه معنى الامر كقوله تجاهدون في سبيل الله باموالكم وانفسكم لانه المراد بقوله في سبيل الله وفائدة مجي الامر بمعنى الخبر التاكيد في الامر كانه قد فعل فاخبر عنه **فيقتلون** اعدا الله ورسوله **ويقتلون** فيستشهدون والمعنى انهم لا يخلون من احدى الحسنيين في بذل الانفس والاموال وقوله **وعدا** اي وعدهم بالجنة وعدا **عليه حقا** اي واجبا لا خلف فيه **في التورية والانجيل والقران** اي ان الله بين في الكتابين انه اشترى من امة محمد صلى الله عليه وآله انفسهم واموالهم بالجنة كما بين في القران واثبته فيهما كما اثبته في القران ثم قال **ومن اوفى بعهده من الله** اي لا احد اوفى بما وعد من الله لان اخلاف الميعاد قبيح لا يقدم عليه الكرام من الخلق مع حاجتهم الى فعله فكيف بالغني الذي لا يجوز عليه قبيح قط **فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به** اي ابشروا واربح بيعكم انفسكم واموالكم من الله وهو والله ربح لا يساوى ونعيم لا يوارى **وذلك هو الفوز العظيم** لا فوز الا دونه **قال رضي الله عنه** ولا نرى ترغيبا في الجهاد احسن من هذا ولا ابلغ منه ثم قال **التائبون** اي هم التائبون من الشرك **العابدون** يرون عبادة الله واجبة عليهم **الحامدون** حامدون الله على كل حال

السائحون الصائمون شبهوا بذي السياحة في الارض لامتناعهم من شهواتهم وقيل هم طلبة العلم يسيحون في الارض يطلبونه في مظانه **الراكعون الساجدون** في الصلوة **الامرون بالمعروف** بالايمان بالله وفرائضه وحدوده **والناهون عن المنكر** الشرك وترك فرائض الله **والحافظون لحدود الله** اي العاملون بما افترض الله عليهم **وبشر المومنين** اهل هذه الخصال المحمودة **ما كان للنبي والذين امنوا ان يستغفروا للمشركين ولو كانوا اولي قربى** الاية نزلت في استغفار النبي صلى الله عليه وآله لعمه ابي طالب وابيه وامه وفي استغفار المسلمين لابائهم المشركين فهوا عن ذلك وروي انه صلى الله عليه وآله قال لعمه ابي طالب انت اعظم الناس علي حقا واحسنهم عندي يدا فقل كلمة تجب لك بها شفاعتي فابى فقال صلى الله عليه وآله لا ازال استغفر لك ما لم انه عنه فنزلت وقيل لما افتتح مكة سال اي ابويه احدث به عهدا فقيل امك امنة فزار قبرها بالابواء ثم قام مستعبرا فقال اني استاذنت ربي في زيارة قبر امي فاذن لي واستاذنته في الاستغفار لها فلم ياذن لي فنزلت وهذا اصح لان موت ابي طالب كان قبل الهجرة وهذا اخر ما نزل بالمدينة ومعناه ما كان للنبي اي ما صح في حكم الله وحكمته للنبي والمومنين الاستغفار للمشركين ولو كان استغفر لهم اهل قرابة للمستغفر فلا يجيزا لقرابة ذلك لانهم لا يستحقون المغفرة وكذلك فسقة المسلمين ولذلك لا يجوز الصلوة عليهم **من بعد ما تبين لهم انهم اصحاب الجحيم** لانهم ماتوا على الشرك ولم يسلموا وقيل استغفر النبي صلى الله عليه وآله لابيه فقال المسلمون ما يمنعنا ان نستغفر لابائنا وذوي قراباتنا وقد استغفر ابرهيم عليه السلم لابيه وهذا محمد استغفر لابيه وعمه فبين الله لهم كيف كان ذلك **وما كان استغفار ابرهيم لابيه الا عن موعدة وعدها اياه** وذلك انه كان وعده ان يستغفر له رجا اسلامه وان يسله الله باستغفاره له من الكفر الى الاسلام وهذا ظاهر في قوله سأستغفر لك ربي وقوله لاستغفرن لك ولم يخف على ابرهيم ان الاستغفار للكافر لا يجوز لكنه ظن حصول الايمان منه وما دام الايمان مرجا منه جاز له الاستغفار له على ان امتناع جواز الاستغفار للكافر انما علم بالوحي لان العقل يجوز ان يغفر الله عز وجل للكافر الا ترى الى قوله صلى الله عليه وآله لعمه لاستغفرن لك ما لم انه **وعن علي عليه السلام** رايت رجلا يستغفر لابويه وهما مشركان فقلت للنبي صلى الله عليه وآله فقال اليس قد استغفر ابرهيم لابيه وهو مشرك فذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وآله فقال لا تستغفر لابائهم المشركين فقال ونحن نستغفر لهم فنزلت ومعنى قوله **فلما تبين له انه عدو لله تبرا منه** اي لما تبين لابرهيم من جهة الوحي ان اباه لن يومن وانه يموت كافرا وانقطع رجاوه عنه قطع استغفاره له وتبرا منه فهو كقوله من بعد ما تبين لهم انهم اصحاب الجحيم **ان ابرهيم لاواه** دعا كثير البكا **حليم** لم يعاقب احدا الا لله ولم ينتصر من احد الا لله والمعنى انه لفرط ترحمه ورقته وحلمه كان يتعطف على ابيه الكافر ويستغفر له مع شكاسته عليه وقوله لارجمنك ولما حرم الله الاستغفار للمشركين بين انه لا

يؤاخذ عباده بما فعلوا إلا بعد بيانه فقال لهم ﴿وما كان الله ليضل قوما بعد إذ هداهم حتى
يبين لهم ما يتقون﴾ يعني ما صح في حكمة الله أن يخذل قوما ويسميهم ضلالا بعد أن هداهم إلى الإسلام حتى
يبين لهم ما أمرنا باتقائه واجتنابه كالاستغفار للمشركين قبل ورود النهي عنه قال رضي الله
عنه وفي هذه الآية حجة شديدة ما ينبغي أن يغفل عنها وهو أن المهدي للإسلام إذا أقدم على بعض
محظورات الله فهو داخل في حكم الإضلال والمراد بما يتقون ما يجب اتقاؤه بالنهي من جهة السمع فأما
ما يعلم بالعقل كالصدق في الخبر ورد الوديعة فغير محتاج إلى البيان ﴿إن الله بكل شيء عليم﴾ لا يغيب
عن علمه شيء فاحذروه ﴿إن الله له ملك السموات والأرض﴾ أي هو المختص وحده بملكهما دون غيره من الخلق
عنده ما لكون بتمليكه لهم ﴿يحيي ويميت﴾ مختص بإحياء الأموات وإماتة الأحياء قادر على كل شيء ولا
يعجزه أحد من العصاة المرتكبين لما نهاهم عنه ﴿وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير﴾ أي ما لكم
من دونه من محب نافع ولا نصير ينصركم بدفع العذاب عنكم ﴿لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والأنصار﴾
هذا حث للمؤمنين على التوبة وأنه ما من مؤمن إلا وهو محتاج إلى التوبة والاستغفار حتى النبي والمهاجرون
والأنصار وإبانة لفضل التوبة ومقدارها عند الله وصفة التوابين الأوابين صفة الأنبياء كما
وصفهم بالصالحين ليظهر فضيلة الصلاح والمعنى لقد تاب الله على النبي من إذنه للمنافقين في التخلف
عنه كقوله عفا الله عنك وهي توبة محققة على جنايته معتبة ﴿الذين اتبعوه في ساعة العسرة﴾
أي في وقت العسرة وهو حالهم في غزوة تبوك كانوا في عسرة من الظهر يعتقب العشرة على بعير واحد وفي
عسرة من الزاد تزودوا الشعير المسوس والتمر المدود والإهالة الزنخة وبلغت بهم الشدة أن اقتسم
التمرة اثنان وربما مصها الجماعة ليشربوا عليها الماء وفي عسرة من الماء حتى نحروا الإبل واعتصروا
فروثها وفي شدة زمان من حمارة القيظ ومن الجدب والقحط والضيقة الشديدة ﴿من بعد ما
كاد يزيغ قلوب فريق منهم﴾ أي يميل عن الثبات على الإيمان أو عن اتباع الرسول في تلك
الغزوة والخروج معه لأنه قد هم بعضهم بالتخلف عنه والعصيان له ﴿ثم تاب عليهم﴾ أي [illegible]
والتأكيد في قوله لقد تاب الله ويجوز أن يراد به الفريق الذين كادت قلوبهم تزيغ ﴿إنه بهم
رؤوف رحيم﴾ شديد الرأفة والرحمة ﴿وعلى الثلاثة الذين خلفوا﴾ أي وتاب على الثلاثة الذين
خلفوا عن الغزو وهم كعب بن مالك ومرارة بن الربيع وهلال بن أمية وقيل خلفوا عن أبي لبابة
وأصحابه خلفوا عنهم في التوبة لأن الله تاب عليهم بعد التوبة على أولئك وقرأ جعفر الصادق
عليه السلام خالفوا ﴿حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت﴾ أي خلفوا عن الغزو
إلى أن ضاقت عليهم الأرض برحبها أي مع سعتها والرحب السعة وهذا مثل للحيرة في أمرهم
والندم على التخلف حتى كأنهم لا يجدون في الأرض مكانا يستقرون فيه قلقا وجزعا مما هم فيه
﴿وضاقت عليهم أنفسهم﴾ أي قلوبهم يعني أنه لم يسعها أنس ولا سرور لأنها ضاقت من شدة

الوحشة والغم ﴿وظنوا﴾ أي وعلموا ﴿أن لا ملجأ من الله إلا إليه﴾ أي لا منجا للمهموم إليه من
سخط الله إلا إلى استغفاره وأن لا معتصم من عذاب الله إلا به ﴿ثم تاب عليهم ليتوبوا﴾ أي ثم رجع
عليهم بالقبول والرحمة كرة بعد أخرى ليستقيموا على توبتهم ويثبتوا وليتوبوا أيضا فيما يستقبل
إن فرطت منهم خطيئة لعلمهم أن الله تواب على من تاب ولو عاد في اليوم مائة مرة ﴿إن الله هو التواب
الرحيم﴾ أي هو المختص بالعود بقبول كل توبة رحمة على من تاب وعن أبي بكر الوراق أنه سئل
عن التوبة النصوح فقال أن تضيق على التائب الأرض بما رحبت وتضيق عليه نفسه كتوبة كعب
وصاحبيه وروي أن ناسا من المؤمنين تخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وآله منهم من بدا له وكره
مكانه فلحق به عن الحسن بلغني أنه كان لأحدهم حائط كان خيرا من مائة ألف درهم فقال يا حائطاه
ما خلفني إلا ظلك وانتظار ثمرك اذهب فأنت في سبيل الله ولم يكن لآخر إلا أهله فقال يا أهلاه
ما بطأني ولا خلفني إلا الضن بك لا جرم والله لأكابدن المفاوز حتى ألحق برسول الله صلى الله عليه
وآله فركب ولحق به قال الحسن كذلك والله يتوب المؤمن من ذنوبه ولا يصر عليها وعن أبي
ذر الغفاري رحمه الله أن بعيره أبطأ به فحمل متاعه على ظهره واتبع أثر رسول الله صلى الله عليه
وآله ماشيا فقال رسول الله صلى الله عليه وآله لما رأى سواده كن أبا ذر فقال الناس هو ذاك
فقال رحم الله أبا ذر يمشي وحده ويموت وحده ويبعث وحده وعن أبي خيثمة أنه كان في [illegible]
له وكانت له امرأة حسناء فرشت له في الظل وبسطت الحصير وقربت إليه الرطب والماء البارد
فنظر فقال ظل ظليل ورطب يانع وماء بارد وامرأة حسناء ورسول الله صلى الله عليه وآله في الضح
والريح ما هذا بخير فقام فرحل ناقته وأخذ رمحه وسيفه ومر كالريح فمد رسول الله صلى الله عليه
وآله طرفه إلى الطريق فإذا براكب يزهاه السراب فقال كن أبا خيثمة فكانه ففرح
به رسول الله صلى الله عليه وآله واستغفر له ومنهم من بقي لم يلحق به منهم الثلاثة قال كعب لما
قفل رسول الله صلى الله عليه وآله سلمت عليه فرد علي كالمغضب بعدما ذكرني وقال ليت شعري
ما خلف كعبا فقيل له ما خلفه إلا حسن برديه والنظر في عطفيه فقال معاذ الله ما أعلم إلا
فضلا وإسلاما ونهى عن كلامنا أيها الثلاثة فتنكر لنا الناس ولم يكلمنا أحد من قريب ولا
بعيد فلما مضت أربعون ليلة أمرنا أن نعتزل نساءنا ولا نقربهن فلما تمت خمسون ليلة إذا أنا
بنداء من ذروة سلع أبشر يا كعب بن مالك فخررت ساجدا وكنت كما وصفني ربي وضاقت عليهم
الأرض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم وتتابعت البشارة فلبست ثوبي وانطلقت إلى رسول
الله صلى الله عليه وآله فإذا هو جالس في المسجد وحوله المسلمون فقام إلي طلحة بن عبيد الله يهرول
حتى صافحني وقال لتهنك توبة الله عليك فلن أنساها لطلحة ثم قال رسول الله صلى الله عليه
وآله وهو يستنير استنارة القمر أبشر يا كعب بخير يوم مر عليك منذ ولدتك أمك وتلا علينا الآية

يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله بطاعته واجتناب معاصيه وكونوا مع الصادقين اي الذين
صدقوا في دين الله نية وقولا وعملا او هم الذين صدقوا في ايمانهم ومعاهدتهم الله ورسوله على
الطاعة وقيل هم الثلاثة اي كونوا مثل هؤلاء في صدقهم وثباتهم قال ابن عباس الخطاب لمن
آمن من اهل الكتاب اي كونوا مع المهاجرين والانصار ووافقوهم وانتظموا في جملتهم واصدقوا
مثل صدقهم وعن ابن مسعود لا يصلح الكذب في جد ولا هزل ولا ان يعد احدكم صبيه ثم لا ينجزه
اقرأوا ان شئتم وكونوا مع الصادقين فهل فيها من رخصة ما كان لأهل المدينة ومن حولهم من
الأعراب الذين هم جهينة واسلم واشجع وغفار ان يتخلفوا عن رسول الله اي عن غزوة تبوك ولا يرغبوا
بأنفسهم عن نفسه امروا بان يصحبوه في البأساء والضراء ويكابدوا معه الاهوال برغبة ونشاط
واغتباط وان يلقوا انفسهم من الشدائد ما تلقاه نفسه الشريفة علما بانها اعز نفس عند الله
واكرمها عليه فاذا تعرضت مع كرامتها وعزها للخوض في شدة وهول وجب على سائر الانفس ان
تتهافت فيما تعرضت له ولا يكترث لها اصحابها ولا يقيموا لها وزنا وتكون اخف شيء عليهم واهونه فضلا
ان يربأوا بانفسهم عن متابعة نفسه ومصاحبتها ويضنوا بها على ما سمح بنفسه عليه وهذا نهي بليغ مع
تقبيح لامرهم وتوبيخ لهم عليه وتهييج لمتابعته بانفة وحمية ذلك بانهم لا يصيبهم ظمأ ولا نصب
ولا مخمصة في سبيل الله اي ذلك النهي عن التخلف بسبب انه لا يصيبهم شيء من عطش ولا تعب ولا مجاعة في
طريق الجهاد ولا يطأون موطئا يغيظ الكفار اي ولا يدوسون مكانا من امكنة الكفار بحوافر
خيولهم واخفاف رواحلهم ولا يتصرفون في ارضهم تصرفا يغيظهم ويضيق صدورهم ولا ينالون
من عدو نيلا اي ولا ينقصون منهم شيئا وان قل من قتل او اسر او غنيمة او هزيمة او غير ذلك الا كتب لهم
به عمل صالح اي الا كان ذلك لهم قربة عند الله واستوجبوا الثواب ونيل الزلفى عنده وذلك مما يوجب
متابعته صلى الله عليه وآله ويحرم التخلف عنه ويجوز ان يراد بالوطء الايقاع والابادة لا الوطء
بالاقدام والحوافر كقوله عليه السلام آخر وطأة وطئها الله بوج وفيه دليل على ان
من قصد خيرا اي خير كان من قيام او قعود او مشي او كلام او غير ذلك كان سعيه مشكورا وكذلك
الشر وبهذه الآية استشهد اصحاب ح على ان المدد القادم بعد انقضاء الحرب يشارك الجيش
في الغنيمة لان وطء ديارهم مما يغيظهم وينكي قلوبهم وعندنا لا يشارك المدد الغانمين وهو
مذهب ائمتنا عليهم السلام لان المعتبر في استحقاق النصيب في الغنيمة حضور الوقعة وما في
حكمه مما له تاثير في الاغتنام كأن يكون ردءا للجيش يأخذون بقوله إن الله لا يضيع أجر
المحسنين تعليل اي لا يضيع ثواب المحسنين في الاعمال ولا ينفقون نفقة صغيرة تمرة او علاقة
سوط فما فوقها ولا كبيرة مثل ما انفق عثمان في جيش العسرة ولا يقطعون واديا اي ارضا في
ذهابهم ومجيئهم والوادي كل منفرج بين جبال وآكام يكون منفذا للسيل الا كتب لهم اي

اثبت لهم ذلك المذكور من الانفاق وقطع الوادي والمعنى كتب لهم ذلك في صحائف اعمالهم ليجزيهم الله
احسن ما كانوا يعملون اي ثواب هذه الاعمال الصالحة لانها احسن الاعمال وافضلها وما كان
المؤمنون لينفروا كافة اي وما صح من المؤمنين النفير لطلب العلم جميعا واللام في لينفروا لتأكيد
النفي ومعناه ان نفير الكافة عن اوطانهم لطلب العلم غير صحيح ولا ممكن وفيه اشارة الى انه لو صح
وامكن ولم يؤد الى مفسدة لوجب لوجوب التفقه على الكافة والتبصر في الدين لان القيام بالتكليف
واجب ولا يتم الا بالتفقه والمعرفة بما احل وحرم ولان طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة فلولا
نفر من كل فرقة منهم طائفة اي فحين لم يمكن نفير الكافة ولم يكن مصلحة فهلا نفر من كل فرقة
طائفة اي من كل جماعة كثيرة جماعة قليلة منهم يكفونهم النفير ليتفقهوا في الدين اي ليتكلفوا
التفقه فيه ويتجشموا المشاق في اخذها وتحصيلها جاهدين في طلب العلم ولينذروا قومهم
اذا رجعوا اليهم اي وليجعلوا غرضهم في التفقه ومرمى همتهم فيه انذار قومهم وارشادهم والنصيحة لهم
بالانذار من جهل ما لا يجوز جهله وايضاح الحلال من الحرام وتعليمهم معالم الدين وهدايتهم
الى كل خير لا ما يقصد المتفقهة في هذا الزمان من الاغراض الخسيسة ويؤمونه من المقاصد
الركيكة من التصدر في المجالس والترؤس والتبسط في البلاد والتشبه بالظلمة في ملابسهم
ومراكبهم ومنافسة بعضهم بعضا وفشو داء الضرائر بينهم وانقلاب حماليق احدهم اذا لمح ببصره
مدرسة لآخر او شرذمة جثوا بين يديه اكتظم غيظا وحسدا ومحبته ان يكون هو المتبع وتهالكه
على ان يكون هو المرجوع اليه دون الناس كلهم كانه لم يشعر ان الواجب عليه ان يحب للمؤمنين ما يحب
لنفسه وان يمتلئ قلبه سرورا بوجود من هو مثله او خير منه يهديه الى ما هو خفي عليه ويسلمه
من خطر العجب بحاله ومن مجاهدة النفس على ارادة العلو والرياسة القاتلة فما
ابعد هؤلاء من قوله عز وجل تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الارض ولا فسادا
لعلهم يحذرون اي ارادة ان يحذروا الله فيعملوا عملا صالحا وفي الآية وجه آخر وهو ان
رسول الله صلى الله عليه وآله كان اذا بعث بعثا بعد غزوة تبوك وبعد ما انزل في المتخلفين من الآيات
الشداد استبق المؤمنون عن آخرهم الى النفير وانقطعوا جميعا عن استماع الوحي والتفقه في الدين
فامروا ان ينفر من كل فرقة منهم طائفة الى الجهاد ويبقى الباقون بعدهم يتفقهون حتى لا ينقطعوا
عن التفقه الذي هو الجهاد الاكبر لان الجدال بالحجة اعظم اثرا من الجلاد بالسيف ولان [illegible]
بالجهاد وكيفيته وما يجري فيه من الحوادث متوقفة على العلم والجهاد من فروع العلم وفوائده
ولذلك كان افضل من الجهاد الذي هو سنام الدين وقوله ليتفقهوا الضمير فيه للفرق الباقية
بعد الطوائف النافرة من بينهم على الوجه الآخر ولينذروا قومهم اي ولينذروا الفرق الباقية
قومهم النافرين اذا رجعوا اليهم بما حصلوا في ايام غيبتهم من العلوم وعلى الاول الضمير للطا

لنادره الى المدينه من بينهم على الوجه الاخر وليصور وا قومهم يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم
من الكفار اي يقربون منكم والقتال واجب مع كافة الكفرة قريبهم وبعيدهم ولكن الاقرب فالاقرب
أوجب ونظيره وانذر عشيرتك الاقربين وقد حارب رسول الله صلى الله عليه وآله قومه ثم غيرهم
من عرب الحجاز ثم غزا الشام وقيل هم قريظة والنضير وفدك وخيبر وقيل الروم لانهم كانوا
يسكنون الشام والشام اقرب الى المدينة من العراق وغيره وهكذا المفروض على اهل كل ناحية
ان يقاتلوا من يليهم ما لم يضطر اليهم اهل ناحية اخرى وعن ابن عمر انه سئل عن قتال الديلم فقال
عليك بالروم وليجدوا فيكم غلظة شدة وعنفا ومثله واغلظ عليهم والمعنى وليجد الكفار
منكم جراة عليهم وصبرا على القتال وشدة في العداوة ويظهر منكم العنف في القتل والاسر
كقوله ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله واعلموا ان الله مع المتقين ينصر من اتقاه فاظهروا
الغلظة على عدوه ولا تأخذكم به رأفة ولا رحمة وإذا ما أنزلت سورة فمنهم من المنافقين
من يقول أيكم زادته هذه إيمانا اي هذه السورة ايمانا يقوله المنافقون بعضهم من بعض
انكارا واستهزاء بالمؤمنين واعتقادهم زيادة الايمان بزيادة العلم الحاصل بالوحي والعمل به
قال الله فأما الذين آمنوا فزادتهم إيمانا بتصديقها وسوقها لانها اريد للتشير والتثبت
والثلج للصدور او معناه فزادتهم عملا فان زيادة العمل زيادة في الايمان لان الايمان يقع على
الاعتقاد والعمل وهم يستبشرون يفرحون بنزول السورة لانهم صدقوا بالاولى وبالثانية
وأما الذين في قلوبهم مرض اي شك ونفاق جعل الاعتقاد الفاسد آفة في الدين شبيه بالمرض
الذي هو آفة الصحة او شبهها مرض حقيقة من تعب الجسد فزادتهم رجسا إلى رجسهم اي
كفرا منضموما الى كفرهم لانهم كلما جددوا كفرا ونفاقا فاحدث الله الوحي ازدادوا كفرا
واستحكم نفاقهم ونضاعف عقابهم وماتوا وهم كافرون مصرون على الكفر والنفاق
والرجس هو العذاب وسمي به الكفر على المبالغة لانه موقع في العذاب لا محالة فكانه نفس العذاب
كقوله انما يأكلون في بطونهم نارا أولا يرون أنهم يفتنون في كل عام مرة أو مرتين اي يبتلون
ويمتحنون بالامراض والاوجاع وهي رائد الموت او بالقحط وغيره من بلاء الله ثم لا يتوبون من
عن نفاقهم ولا ينتهون عن كفرهم ولا هم يذكرون اي ولا يعتبرون ولا يتطيرون في امرهم وإذا
ما أنزلت سورة كان اذا نزلت سورة فيها عيب المنافقين وتلاها عليهم رسول الله صلى الله عليه
وآله وسلم نظر بعضهم إلى بعض تغامزوا بالعيون انكارا للوحي وسخرية به قائلين بعضهم
لبعض هل يراكم من أحد من المسلمين لننصرف وانا لا نصبر على استماعه ويغلبنا الضحك
فنخاف الافتضاح بينهم فان لم يرهم احد خرجوا من المسجد وان علموا ان احدا يراهم ثبتوا مكانهم
وانسوا عليهم ذلك حتى يفرغ من خطبته ثم انصرفوا عازمين على الكفر والتكذيب صرف الله قلوبهم

دعا عليهم بالخذلان وبصرف قلوبهم عما في قلوب اهل الايمان من الانشراح والثبوت على الاسلام
بأنهم اي بسبب انهم قوم لا يفقهون لا يتدبرون حتى يعلموا عن الله دينهم وما دعاهم اليه
لقد جاءكم رسول من أنفسكم اي من جنسكم ومن نسبكم عربي قرشي مثلكم من بني اسمعيل ليفهموا عنه
ثم ذكر ما يتبع المجانسة والمناسبة من النتائج بقوله عزيز عليه ما عنتم اي شديد عليه شاق
ومضرتكم ولقاؤكم المكروه فهو يخاف عليكم سوء العاقبة والوقوع في العذاب حريص عليكم حتى
لا يخرج احد منكم عن اتباعه والاستسعاد بدين الحق الذي جاء به وهذا خطاب للكفار ومن لم
يؤمن به ثم ذكر انه بالمؤمنين منكم ومن غيركم رؤوف رحيم اي عظيم الرأفة بهم والرحمة لهم
وقرئ من انفسكم اي من اشرفكم وافضلكم وهي قراءة رسول الله صلى الله عليه وآله وفاطمة
وعايشة رضي الله عنهما وقيل لم يجمع الله اسمين من اسمائه لاحد غير رسول الله صلى الله عليه وآله
في قوله رؤوف رحيم فإن تولوا اعرضوا عن الايمان بك وناصبوك فقل حسبي الله
اي فاستعن بالله وفوض امرك اليه فهو كافيك معرتهم ولا يضرونك وهو ناصرك عليهم عليه
توكلت اي به وثقت والله اسند وهو رب العرش العظيم عن ابن عباس العرش لا
يقدر احد قدره وخص بالذكر لانه اعظم ما خلقه الله عز وجل روى في تفسير الثعلبي ان
الله تعالى خلق ملكا وقام لعبادته ثلاثين الف سنة فاوحى الله تعالى اليه هل بلغت العرش ثم قال يا رب
زدني اجنحة وامهل لي في الاجل واذن لي في الطيران حتى ارى العرش فجعل الله له ثلاثين الف
جناح كل جناح سعته ما بين المشرق والمغرب ثم قال طر فقد اذنت لك فقصد العرش فطار
ثلاثين الف سنة فقال الله تعالى له هل بلغت العرش وما رأيت فقال يا رب انت اعلم وعزتك ما قطعت
الى الساعة قائمة من قوائم العرش فردني الى موضعي فرده الله الى موضعه وعن جعفر
عن ابيه عن جده صلى الله عليه وآله انه قال للعرش ثلثمائة الف قائمة استدارة كل قائمة استدارة
السموات السبع والارضين السبع وان بين القائمتين من قوائمه مد خفقات الطير المسرع ثلاثين
الف سنة وانه يكسى في كل يوم سبعين الف لون من النور لا يستطيع ان ينظر اليه خلق من خلق الله عز وجل
وان الاشياء كلها في جنب العرش كحبة خردل في ارض فلاة قيل ان الله تعالى خلق العرش
من جوهرة خضراء وخلق حوله سبعين الف صف من الملائكة يطوفون به مهللين مكبرين ومن ورائهم
سبعون الف صف قيام وضعوا ايديهم على عواتقهم رافعين اصواتهم بالتهليل والتكبير ومن ورائهم
مائة الف صف قد وضعوا الايمان على الشمائل ما منهم احد الا وهو يسبح الله بما لا يسبح به الآخر ما
بين جناحي احدهم مسيرة ثلاث مائة عام وما بين شحمة اذنه الى عاتقه مسيرة اربع مائة سنة وروي
عن الثعلبي ما بين شحمة اذنه الى عنقه سبع مائة سنة وما بين كعبه الى قدمه مسيرة خمس مائة سنة لهم
زجل بالتسبيح لو سمع اهل الدنيا نغمة ملك لماتوا جميعا فزعا من هول صوته وفي الحديث

ان الله تعالى امر جميع الملائكة ان يغدوا ويروحوا بالسلام على حملة العرش تفضيلا لهم ۝

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة يونس عليه السلام مكية وهي مائة وتسع آيات

الٓر تعديد للحروف على طريق التحدي تلك آيات الكتاب الحكيم تلك اشارة الى ما تضمنته السورة من الآيات والكتاب السورة تسمية للبعض باسم الكل والحكيم ذو الحكمة لاشتماله عليها او وصف بصفة محدثه وهو الله تعالى أكان للناس عجبا أن أوحينا الى رجل منهم هذا انكار عليهم في استهزائهم برسول الله صلى الله عليه وآله والمعنى انهم جعلوه لهم اعجوبة يتعجبون منها ونصبوه علما لهم يوجهون نحوه استهزاءهم وانكارهم والذي تعجبوا منه ان يوحى الى بشر وان يكون رجلا من افناء رجالهم دون عظيم من عظمائهم فقد كانوا يقولون العجب ان الله لم يجد رسولا يرسله الى الناس الا يتيم ابي طالب وان يذكر لهم البعث وينذر بالنار ويبشر بالجنة وكل واحد من هذه الامور ليس بعجب لان الرسل المبعوثين الى الامم لم يكونوا الا بشرا مثلهم وارسال الفقير واليتيم ليس بعجب ايضا لان الله انما يختار من استحق الاختيار لجمعه اسباب الاستقلال بما اختير له من النبوة والغنى والتقدم في الدنيا ليس من تلك الاسباب في شيء كما قال تعالى وما اموالكم ولا اولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى والبعث للجزاء على الخير والشر هو الحكمة العظمى فكيف يكون عجبا انما العجب العجيب والمنكر في العقول تعطيل الجزاء أن أنذر الناس ان هي المفسرة لان الايحاء فيه معنى القول والمعنى انذر الناس من عذاب النار وبشر الذين آمنوا أن لهم قدم صدق عند ربهم اي سابقة وفضلا ومنزلة رفيعة والسابقة من الاعمال التي هي يتقوى الموت لانها تعمل في الدنيا وتسميتها لسابقة قدما لما كان السعي والسبق بالقدم تسمى النعمة الجميلة والسابقة قدما كما سميت النعمة يدا لانها تعطى باليد فيحصل لهم ان قدم في الخير واضافته الى الصدق دلالة على زيادة فضل وعلى انه من السوابق العظيمة قال الكافرون ان هذا يعني الكتاب وما جاء به محمد صلى الله عليه وآله لسحر مبين ۝ اي واضح لا شك فيه ومن قرأ لساحر فهذا اشارة الى رسول الله وهو دليل على عجزهم واعترافهم به وانهم كاذبين في تسميتهم له سحرا ان ربكم الله الذي خلق السموات والارض في ستة ايام ثم استوى على العرش الخلق هو التقدير والتصوير والتحسين لما اوجده عن عدم وهو تعالى قادر على خلق السموات والارض في طرفة عين ولكنه تعالى خلقهن في هذه الايام بحكمة علمها وخفيت علينا كما جعل اصحاب النار تسعة عشر وعن سعيد بن جبير رحمه الله انما خلقها في ستة ايام تعليما لخلقه الرفق والتثبت في الامور والتأني والعرش هو سرير الملك واستواؤه عليه عبارة عن استيلائه على الملك وكناية عن الملك الكامل ووجه الكناية ان استواء الملك على السرير من توابع الملك يدبر

الامر يقضي ويقدر على حسب مقتضى الحكمة ويفعل ما يفعل المتحري للصواب الناظر في ادبار الامور وعواقبها لئلا يلقى ما يكره آخرا والامر امر الخلق كله وامر ملكوت السموات والارض والعرش ما من شفيع الا من بعد اذنه اي شفاعة لاحد في الآخرة الا باذنه والمعنى انه دل بخلقه السموات والارض مع بسطتهما واتساعهما في وقت يسير على عظمة شأنه وملكه وبالاستواء على العرش على استيلائه على جميع الملك وعمد الامور وعلى انه لا يخرج امر منها من قضائه وتقديره وكذلك قوله ما من شفيع الا من بعد اذنه دليل على العزة والكبرياء كقوله يوم يقوم الروح والملائكة صفا لا يتكلمون الا من اذن له الرحمن ذلكم الله ربكم اي ذلكم العظيم الموصوف بما وصف هو ربكم وهو الذي يستحق العبادة منكم فاعبدوه وحده ولا تشركوا به بعض خلقه من ملك او انسان فضلا عن جماد لا يضر ولا ينفع أفلا تذكرون انكار عليهم في مخالفتهم دليل العقل والمعنى افلا تتفكرون وتنظرون فان ادنى التفكر والنظر ينبهكم على الخطأ فيما انتم عليه اليه مرجعكم جميعا اي لا ترجعون في العاقبة الا اليه فاستعدوا للقائه ووعدهم بالرجوع اليه ثم اكد الوعد بقوله وعد الله حقا اي وعد عباده بذلك وعدا صدقا انه يبدأ الخلق ثم يعيده هذا تعليل لوجوب المرجع اليه وهو ان الغرض ومقتضى الحكمة بابتداء الخلق واعادته هو جزاء المكلفين على اعمالهم وهو معنى قوله ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات بالقسط اي بالعدل والمعنى ليجزيهم بقسطه ويوفيهم اجورهم او بقسطهم فيما اقسطوا وعدلوا ولم يظلموا حين آمنوا وعملوا الصالحات لان الشرك ظلم والعصاة ظلام انفسهم والذين كفروا من قريش وغيرهم لهم شراب من حميم هو الماء الحار في جهنم عن ابن عباس رضي الله عنه لو سقطت منه نقطة على جبال الدنيا لاذابتها وعذاب أليم وجيع بما كانوا يكفرون هو الذي جعل الشمس ضياء الضوء اقوى من النور ولذلك قال والقمر نورا قال الكلبي تضيء وجوههما لاهل السموات وظهورهما لاهل الارض وقدره منازل يعني القمر والمعنى وقدر مسيره منازل او وقدره ذا منازل كقوله والقمر قدرناه منازل وقيل قدرهما منازل ينزلانها في كل وقت ما دبر تعالى فالقمر يقطعها في شهر والشمس في سنة من طلوع الشمس الى غروبها والليل من غيبوبة الشمس الى وقت طلوعها لتعلموا عدد السنين والحساب حساب الاوقات من الاشهر والايام والليالي كل سنة اثنى عشر شهرا كل سنة دوران الشمس وكل شهر دوران القمر وهذا بيان لوجه الحكمة الباهرة والنعمة الظاهرة ما خلق الله ذلك المذكور من هذه الامور الا بالحق اي الا خلقا ملتبسا بالحق الذي هو الحكمة البالغة وهو نفع المكلفين وتعريضهم للنظر في القدرة والاعتبار بما يشاهدون ولم يخلق ذلك عبثا يفصل الآيات نوردها مفصلة مبينة لقوم يعلمون ۝ اي يتدبرون فيعلمون ان في اختلاف الليل والنهار اي تعاقبهما ضياء وظلمة وما خلق الله في السموات والارض من العجائب والمصنوعات ويتعلق الكواكب والافلاك واسباب الكل بغير عمد ولا سند وما فيهما من الحيوانات والارزاق

لآيات اي لدلايل على عظايم قدرة الله وباهر حكمته لقوم يتقون خص المتقين لانهم
يحذرون العاقبة فتدعوهم الحذر الى النظر والتدبر ان الذين لا يرجون لقاءنا اي لا يتوقعونه
اصلا ولا يخطرونه ببالهم لغفلتهم المستولية عليهم المذهلة باللذات وحب العاجل عن التفطن
للحقايق او لا يأملون حسن لقائنا كما يأمله السعداء او لا يخافون سوء لقائنا الذي يجب ان يخاف ورضوا
بالحيوة الدنيا بدلا من الآخرة وآثروا القليل الفاني على الكثير الباقي واطمأنوا بها اي سكنوا
فيها سكون من لا يزعج عنها فبنوا شديدا واملوا بعيدا والذين هم عن آياتنا غافلون معرضون
اولئك مأواهم النار اي هي مقرهم الذي يأوون اليه بما كانوا يكسبون من الاعمال القبيحة
والاعراض عما خلقوا له من العبادة ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بايمانهم
يهديهم ويرشدهم بسبب ايمانهم للاستقامة على سلوك السبيل المؤدي الى الثواب ولذلك جعل
تجري من تحتهم الانهار بيانا له وتفسيرا لان التمسك بسبب السعادة كالوصول اليها او كون ان
يهديهم في الآخرة بنور ايمانهم الى طريق الجنة كقوله يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين
ايديهم وبايمانهم ومنه الحديث ان المؤمن اذا اخرج من قبره صور له عمله في صورة حسنة فيقول له
انا عملك فيكون له نورا وقائدا الى الجنة والكافر اذا اخرج من قبره صور له عمله في صورة سيئة
فيقول له انا عملك فينطلق به حتى يدخله النار وقد دلت هذه الآية على ان الايمان الذي يستحق به
العبد الهداية والتوفيق والنور يوم القيمة هو ايمان مقيد وهو الايمان المقرون بالعمل
الصالح والايمان الذي لم يقترن بالعمل الصالح فصاحبه لا توفيق له ولا نور لانه اوقع الصلة
مجموعا فيها بين الايمان والعمل كانه قال ان الذين جمعوا بين الايمان والعمل الصالح ثم قال بايمانهم
اي بايمانهم هذا المضموم اليه العمل الصالح وهو بين واضح لا شبهة فيه في جنات النعيم
قيل تجري الانهار بين ايديهم وهم يرونها من علو وقيل تجري تحت بساتينهم واسرتهم دعواهم فيها
سبحانك اللهم اي دعاؤهم ونداؤهم لان اللهم نداء لله ومعناه اللهم انا نسبحك كقول القانت
في دعاء القنوت معنى اللهم اياك نعبد ولك نصلي ونسجد ويجوز ان يراد بالدعاء العبادة على
معنى لا تكليف في الجنة ولا عبادة وما عبادتهم الا ان يسبحوا الله ويحمدوه وذلك ليس بعبادة
وانما يلهمونه فينطقون به تلذذا بلا كلفة وتحيتهم فيها سلام معناه يحيي بعضهم
بعضا بالسلام وقيل تحية الملئكة اياهم وقيل تحية الله لهم وآخر دعواهم ان الحمد لله
رب العالمين اي وخاتمة دعائهم الذي هو التسبيح ان يقولوا الحمد لله رب العالمين وان هي المخففة
من الثقيلة واصله انه الحمد لله ولم يرد آخرا يستطع لكن قيل معناه اذا اشتهوا شيئا قالوا سبحانك
اللهم فيأتيهم فاذا نالوا شهوتهم حمدوا وقيل يفتتحون كلامهم بالتوحيد والتسبيح ويختمون بالتحميد
والشكر ولو يعجل الله للناس الشر استعجالهم بالخير اراد ولو يعجل الله للناس الشر

يونس

مثل تعجيله لهم الخير فوضع استعجالهم بالخير موضع تعجيله لهم الخير اشعارا بسرعة اجابته لهم
واسعافه بطلبتهم حتى كان استعجالهم بالخير تعجيل له لقرب اجابتهم اليهم والمراد اهل مكة وقولهم
فامطر علينا حجارة من السماء والمعنى ولو عجلنا لهم الشر الذي دعوا به كما نعجل لهم الخير ونجيبهم اليه
لقضي اليهم اجلهم اي لاميتوا واهلكوا جميعا وقرئ لقضى اليهم اجلهم فنذر الذين لا
يرجون لقاءنا وهم الكفار الذين لا يخافون البعث في طغيانهم يعمهون الطغيان الزيادة
في الكفر والظلم ومعنى يعمهون يسعون في العمه وهو عمى الراي خاصة ووجه اتصال قوله
فنذر الذين لا يرجون لقاءنا بما قبله ان قوله ولو يعجل الله متضمن معنى نفي التعجيل فكانه قيل
ولا نعجل لهم الشر ولا نقضي اليهم اجلهم فنذرهم في طغيانهم اي فنمهلهم ونفيض عليهم النعمة مع
طغيانهم الزاما للحجة عليهم واذا مس الانسان الضر اي اصابه الضر من مرض او بلوى
او شدة دعانا لجنبه اي مضطجعا ملقيا لجنبه على الفراش او قاعدا او قائما فائدة
ذكر هذه الاحوال ان المضرور لا يزال داعيا ولا يفتر من الدعاء حتى يزول عنه الضر فهو يدعونا في
حالاته كلها كان منبطحا عاجزا او كان قاعدا لا يقدر على القيام او كان قائما لا يطيق المشي فهو لا
يزال يدعو في كل حال الى ان يخف كل الخفة ويرزق الصحة بتمامها فلما كشفنا عنه ضره مر اي
مضى على طريقته الاولى قبل مس الضر ونسي حال الجهد او مر عن موقف الابتهال والتضرع لا يرجع
اليه كانه لا عهد له كأن لم يدعنا اي كانه لم يدعنا فخفف وحذف الضمير الى ضر مسه
اي اصابه فلم يعد الى حال الدعاء والتضرع وشكر نعمة كشف الضر عنه كذلك زين اي
مثل ذلك التزيين للاعراض عن الدعاء زين للمسرفين اي زين لهم الشيطان بوسوسته والله عز وجل
بخذلانه وتخليته ما كانوا يعملون من الاعراض عن الذكر واتباع الشهوات ولقد اهلكنا القرون
من قبلكم الخطاب لاهل مكة والمعنى ولقد اهلكنا الامم الماضية من قبلكم يا اهل مكة لما
ظلموا اي حين ظلموا بالتكذيب لرسلهم وجاءتهم رسلهم بالبينات اي وقد جاءتهم رسلهم بالحجج والشواهد
على صدقهم وهي المعجزات وما كانوا ليؤمنوا اي لايمانهم واللام لتاكيد النفي يعني وما كانوا يؤمنون
حقا تاكيدا لنفي ايمانهم وان الله قد علم منهم انهم يصرون على كفرهم وان الايمان مستبعد منهم ولذلك
اهلكهم والمعنى ان السبب في اهلاكهم تكذيبهم الرسل وعلم الله انه لا فائدة في امهالهم بعد ان
الزموا الحجة ببعثة الرسول كذلك اي مثل ذلك الجزاء يعني الاهلاك نجزي القوم المجرمين
اي نجزي كل مجرم وهو وعيد لاهل مكة على اجرامهم بتكذيب رسول الله صلى الله عليه وآله والجرم
الذنب ثم جعلناكم خلائف في الارض من بعدهم الخطاب للذين بعث اليهم محمد صلى
الله عليه وآله اي استخلفناكم في الارض بعد القرون التي اهلكنا لننظر كيف تعملون اي
لننظر أتعملون خيرا ام شرا فنعاملكم على حسب عملكم وجاز النظر على الله تعالى وفيه معنى المقابلة

لانه مستعار للعلم المحقق الذي هو العلم بالشي موجودا شبه بنظر الناظر وعيان المعاين
في تحققه **وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين لا يرجون لقاءنا ائت بقرآن غير هذا**
غاظهم ما في القرآن من ذم عبادة الأوثان والوعيد للمشركين قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم
ائت بقرآن آخر ليس فيه ما نستبعده من ذلك **أو بدله** بأن تجعل مكان آية عذاب آية
رحمة وتسقط ذكر الآلهة وذم عبادتها فأمر بأن يجيب عن التبديل لانه داخل تحت قدرة الانسان
وهو أن تضع مكان آية عذاب آية رحمة مما أنزل وأن تسقط ذكر الآلهة وأما الإتيان بقرآن
آخر فغير مقدور عليه للانسان **قل ما يكون لي** أي ما ينبغي لي وما يحل كقوله ما يكون لي
أن أقول ما ليس لي بحق **أن أبدله من تلقاء نفسي** أي من قبل نفسي ومن عندها بأمر من ربي بذلك
ربي **إن أتبع إلا ما يوحى إلي** أي لا آتي ولا أذر شيا من ذلك الا متبعا لوحي الله وأوامره إن
نسخت آية تبعت النسخ وإن بدلت آية مكان آية تبعت التبديل وليس إلي تبديل ولا نسخ **إني أخاف**
إن عصيت ربي بالتبديل والنسخ من عند نفسي **عذاب يوم عظيم** وهو يوم القيمة وقد
ظهر وتبين لهم العجز عن الإتيان بمثل القرآن ولكنهم كانوا لا يعترفون بالعجز وكانوا يقولون
لو نشاء لقلنا مثل هذا ويقولون افترى على الله كذبا فينسبونه إلى الرسول ويزعمونه قادرا
عليه وعلى مثله مع علمهم بأن العرب مع كثرة فصحائها وبلغائها إذا عجزوا عنه كان الواحد
منهم أعجز وما كان غرضهم وهم أدهى الناس وأنكرهم بما اقترحوه من التبديل إلا الكيد
والمكر أما طلبهم إبدال قرآن بقرآن فلأنه يدل على أنه من عندك وأنك قادر على مثله فأبدل
مكانه آخر وأما طلبه التبديل والتغيير فللطمع والاختبار الحال وانه ان وجد منه تبديل
فإما أن يهلكه الله فينجون منه أو لا يهلكه الله فيسخرون منه ويجعلوا التبديل حجة عليه وتصحيحا
لافترائه على الله تعالى **قل** لهم يا محمد **لو شاء الله ما تلوته عليكم** يعني أن تلاوته ليست إلا
بمشيئة الله عز وجل وإحداثه أمرا عجيبا خارجا عن العادات وهو أن يخرج رجل أمي لم يتعلم ولم
يسمع ولم يشاهد العلماء ساعة من عمره ولا نشأ في بلد فيه علماء فيقرأ عليهم كتابا فصيحا
يبهر كل كلام فصيح ويعلو كل منثور ومنظوم مشحونا بعلوم من علوم الأصول والفروع وبأخبار
ما كان وما يكون ناطقا بالغيوب التي لا يعلمها إلا الله وقد بلغ بين ظهرانيكم أربعين سنة
تطلعون على أحواله ولا يخفى عليكم شيء من أسراره وما سمعتم منه حرفا من ذلك ولا عرفه به
أحد من أقرب الناس منه والصقهم به **ولا أدراكم به** أي ولا أعلمكم به على لساني
وقرأ ابن كثير ولأدراكم به بلام الابتداء لاثبات الادراء ومعناه لو شاء الله ما تلوته عليكم
ولأعلمكم به على لسان غيري ولكنه يمن على من يشاء من عباده فخصني بهذه الكرامة ورآني لها
أهلا دون سائر الناس **فقد لبثت فيكم عمرا من قبله** أي من قبل القرآن وقبل تلاوته عليكم

يونس

وحين بمولي صغيرا وكبيرا فلم تعرفوني متعاطيا شيئا من ذلك ولا قدرت عليه ولا كنت متواصفا
بعلم وبيان فتتهموني باختراعه **أفلا تعقلون** إنكار عليهم فيما ابهموه والمعنى اتتهمونني باختراع
القرآن مني أفلا تنظرون بعيون عقولكم فتعلموا أنه ليس إلا من الله لا من مثلي وهذا جواب عما دسوه
تحت قولهم ائت بقرآن غير هذا من إضافة الافتراء إليه **فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا**
يحتمل أن يريد كذب المشركين على الله في قولهم إنه ذو شريك وذو ولد وأن يكون ردا عليهم فيما
أضافوه إليه من الافتراء على الله والمعنى لا أظلم لنفسه ممن كذب على الله **أو كذب بآياته**
فلم يؤمن بها **إنه لا يفلح المجرمون** أي لا يظفرون بثواب **ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم**
ولا ينفعهم من الأوثان التي هي جماد لا تقدر على نفع ولا ضر وقيل إن عبدوها لم ينفعهم
وإن تركوا عبادتها لم تضرهم ومن حق المعبود أن يكون مثيبا على الطاعة معاقبا على المعصية
وكان أهل الطائف يعبدون اللات وأهل مكة العزى ومناة وهبل وإسافا ونائلة وكانوا
ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله وعن النضر بن الحرث إذا كان يوم القيمة
شفعت لي اللات والعزى **قل** لهم يا محمد **أتنبئون الله بما لا يعلم** أي تخبرونه بكونهم شفعاء
عنده وهو إخبار بما ليس بمعلوم لله وإذا لم يكن معلوما له وهو العالم الذات المحيط بجميع
المعلومات لم يكن شيئا لان الشيء ما يعلم ويخبر عنه وهو تهكم به وبما ادعوه من المحال الذي
هو شفاعة الأصنام وإعلام بأن الذي أنبؤوا به باطل غير منطو تحت الصحة فكأنهم يخبرونه
بشيء لا يتعلق به علمه كما يخبر الرجل بما لا يعلمه وقوله **في السموات ولا في الأرض** تأكيد
لنفيه لأن ما لم يوجد فيهما فهو منتف معدوم **سبحانه** أي تنزيها له **وتعالى** تعاظم وارتفع **عما**
يشركون أي عن الشركاء الذين يشركونهم به أو عن إشراكهم وقرئ بالتاء والياء وما موصولة أو مصدرية
وما كان الناس إلا أمة واحدة أي إلا جماعة واحدة حنفاء متفقين على دين الحق وملة الإسلام
من غير أن يختلفوا بينهم وذلك في عهد آدم إلى أن قتل قابيل هابيل وقيل بعد الطوفان
حين لم يذر الله من الكافرين ديارا **فاختلفوا** في الدين **ولولا كلمة سبقت من ربك** وهو تأخير
الحكم بينهم في الدنيا إلى يوم القيمة **لقضي بينهم** عاجلا **فيما فيه يختلفون** أي فيما اختلفوا
فيه ويميز المحق من المبطل ويفصل بينهم في الدين اختلفوا فيه بإثابة هذا وعقوبة هذا ولكن
كلمته بالتأخير لحكمة أوجبت أن تكون هذه الدار دار تكليف وتلك دار ثواب وعقاب **ويقولون**
لولا أنزل عليه آية من ربه أرادوا آية من الآيات التي كانوا يقترحونها وكانوا لا يعتدون
بما أنزل عليه من الآيات العظام التي لم ينزل على أحد من الأنبياء مثلها وكفى بالقرآن وحده
آية باقية على وجه الدهر بديعة غريبة في الآيات دقيقة المسلك من بين المعجزات وجعلوا
نزولها كلا نزول وكأنه لم ينزل عليه آية قط حتى قالوا لولا أنزل عليه آية واحدة من ربه

و ذلك لفرط عنادهم و تمادیهم فی التمرد و انهماکهم فی الغی فقل لهم یا محمد انما الغیب لله
ای هو المختص بعلم الغیب المستاثر به لا علم لی و لا لاحد به و المعنی ان الصارف عن انزال
الایات المطلوبة امر مغیب لا یعلمه الا هو فانتظروا نزول ما طلبتموه انی معکم من
المنتظرین لما یفعل الله بکم لعنادکم و جحودکم الایات و اذا اذقنا الناس رحمة ای مطرا
و خصبا من بعد ضراء مستهم ای قحط و فقر اذا لهم مکر فی آیاتنا مکرهم فی الایات عیبها
و التکذیب بها و معنی مستهم خالطتهم حتی احسوا بسوء اثرها فیهم قال رضی الله
عنه سلط الله القحط سبع سنین علی اهل مکة حتی کادوا یهلکوا ثم رحمهم فاخذوا
یطعنون فی آیات الله و یعادون رسول الله صلی الله علیه و آله و یکذبونه و المعنی انهم اذا
اخصبوا بطروا فاحتالوا لدفع آیات الله و کذبوا بها قل لهم یا محمد الله اسرع مکرا ای
اسرع نقمة و معناه انما یاتیهم من العقاب اسرع فی اهلاکهم مما اتوه من المکر فی ابطال آیات الله
و ان الله تعالی دبر عقابکم و هو موقعه بکم قبل ان تدبروا کید تعملون فی اطفاء نور الاسلام
ان رسلنا و هم الحفظة یکتبون ما تمکرون لیجازیکم به فی الاخرة و هذا اعلام
بان ما تظنونه خافیا مطویا لا یخفی علی الله و هو مستعمل منهم و قیل مکرهم قولهم سقینا بنوء کذا
و عن ابی هریرة ان الله عز و جل لیصبح القوم بالنعمة و یمسیهم بها فیصبح طائفة منهم بها کافرین
یقولون مطرنا بنوء کذا هو الذی یسیرکم فی البر و البحر فی البر علی المراکب و الظهور و فی
البحر علی السفن حتی اذا کنتم فی الفلک یعنی السفن و جرین بهم یعنی و جرت السفن
بمن رکبها فی البحر بریح طیبة یعنی رخاء لینة و فرحوا بها یعنی بالریح اللینة و استوائها جاءتها
ریح عاصف یعنی جاءت الریح الطیبة ای تلقتها و قیل الضمیر للفلک و العاصف الشدیدة
و جاءهم الموج و هو ما ارتفع من الماء من کل مکان ای من جمیع امکنة الموج و ظنوا انهم
احیط بهم ای دنوا من الهلاک جعل احاطة العدو بالحی مثلا فی الهلاک دعوا الله مخلصین
له الدین ای اخلصوا الله الربوبیة من غیر اشراک به لانهم لا یدعون حینئذ غیره معه
قائلین لئن انجیتنا من هذه یعنی الریح العاصفة لنکونن من الشاکرین لنعمتک الموحدین
لک لالهتک فلما انجاهم اذا هم یبغون فی الارض ای یفسدون فیها و یعملون بالفساد و المعاصی و الجراءة علی الله
ممتعین مع ذلک بغیر الحق احتراز من البغی بالحق و هو استیلاء المسلمین علی ارض الکفرة
و هدم دورهم و احراق زروعهم و قلع اشجارهم کما فعل رسول الله صلی الله علیه و آله بنی قریظة
یعلی هذا حقیقة البغی مجاوزة الحد مطلقا و اکثر ما یستعمل فی الظلم و منه البغی علی امام المسلمین
یا ایها الناس یعنی اهل مکة لان الخطاب لهم انما بغیکم علی انفسکم ای انما ظلمکم
و فسادکم علی انفسکم ای علی امثالکم و الذین هم من جنس انفسکم متاع الحیوة الدنیا هذا اخبار

بفائدة البغی ای ما بغیکم علیهم الا منفعة الحیوة الدنیا و معناه ان بغی بعضکم علی بعض منفعة
حقیرة زائلة لا بقاء لها و لا انقطاع لعذابها و اشار الیه بقوله ثم الینا مرجعکم ای یحضرکم للجزاء
فننبئکم بما کنتم تعملون و قرا حفص بنصب متاع و معناه انما یعود عقاب بغیکم علی انفسکم تتمتعون
بالبغی متاع الحیوة الدنیا لا غیر و یجوز ان یکون معنی هذه الایة مع رفع المتاع و نصبه و احدا و تقدیره
فی الرفع انما عقاب بغیکم یعود علیکم دون غیرکم ثم قال متاع الحیوة ای هو متاع الحیوة الدنیا و من
منافعها الخسیسة و لا یعود عقابه الا علیکم و عن النبی صلی الله علیه و آله انه قال لا تمکر و لا
تعن ماکرا و لا تبغ و لا تعن باغیا و لا تنکث و لا تعن ناکثا و کان یتلو هذه الایة و عنه صلی الله علیه
و آله اسرع الخیر ثوابا صلة الرحم و اعجل الشر عقابا البغی و الیمین الفاجرة و روی ثنتان
یعجلهما الله فی الدنیا البغی و عقوق الوالدین و عن ابن عباس لو بغی جبل علی جبل لدک الباغی و کان
المامون یتمثل بهذین البیتین فی اخیه

یا صاحب البغی ان البغی مصرعه ۞ فاربع فخیر فعال المرء اعدله
فلو بغی جبل یوما علی جبل ۞ لاندک منه اعالیه و اسفله

و عن محمد بن کعب ثلاث من کن فیه کن علیه البغی و النکث و المکر قال الله تعالی انما بغیکم علی انفسکم
انما مثل الحیوة الدنیا کماء انزلناه من السماء شبهت حال الدنیا فی سرعة تقضیها و انقراض نعیمها بعد
الاقبال بحال نبات الارض فی جفافه و ذهابه حطاما بعدما التف و تکاثف و زین الارض بخضرته
و رفیفه فاختلط به نبات الارض ای اشتبک النبات و اختلط بعضه ببعض و الضمیر لما
لانه سبب فی نعمته و کثرته حتی خالط بعضه بعضا مما یاکل الناس یعنی من الزروع و الثمار و الانعام
ای و مما یاکل البهائم من العلف و الشجر حتی اذا اخذت الارض زخرفها و ازینت هذا کلام
فصیح جعلت الارض اخذة زخرفها علی التمثیل بالعروس اذا اخذت الارض الثیاب الفاخرة من کل
لون فاکتستها و تزینت بغیرها من الوان الزین و ظن اهلها انهم قادرون علیها ای متمکنون من
منفعتها محاصلون لثمرتها رافعون لغلتها اتاها امرنا و هو ضرب زرعها و الافة ببعض
العاهات بعد امنهم و استیقانهم انه قد سلم لیلا او نهارا ای فی ساعة لیل او نهار فجعلناها
ای جعلنا زرعها حصیدا مقطوعا لا شیء فیه شبهها بما یحصد من الزرع فی قطعه و استیصاله کان
لم تغن بالامس معناه کان زرعها لم یلبث و لم یوجد بالامس و الامس مثل الوقت القریب کانه قیل
لم تغن انفا کذلک ای مثل ذلک التفصیل الواضح نفصل الایات ای نبین العبر لقوم یتفکرون
بعقولهم فیعتبرون بمقتضی الفکرة و خص المتفکرین لانهم المنتفعون بالتفصیل و هذا التشبیه فی
هذه الایة من التشبیه المرکب و هو تشبیه جملة المشبه به و الله یدعوا الی دار السلام ۞
السلام من اسماء الله تعالی و دار السلام الجنة یعظمها بها و قیل السلام السلامة لان اهلها سالمون

من كل مكروه وقيل تحية الملائكة عليهم إلا قيلا سلاما سلاما **ويهدي من يشاء**
وهم الذين علم أن اللطف والهدى ينفع فيهم لأن مشيئته تعالى تابعة للحكمة والمعنى يدعو العباد كلهم
إلى دار السلام ولا يدخلها إلا المهديون **إلى صراط مستقيم** وهو طريق الحق الثابت الموصل إلى
الجنة **للذين أحسنوا** في أعمالهم من العباد **الحسنى** أي المثوبة الحسنى والمعنى أن لهم الثواب الذي
هو أحسن الثواب **وزيادة** هي ما يزيد على المثوبة وهي التفضيل الزائد على الثواب ويدل عليه قوله
ويزيدهم من فضله وعن علي عليه السلام الزيادة غرفة من لؤلؤة واحدة وعن ابن عباس
الحسنى الحسنة والزيادة عشر أمثالها وعن الحسن عشر أمثالها إلى سبع مائة ضعف وعن مجاهد الزيادة
مغفرة من الله ورضوان وعن يزيد بن شجرة أن تمر السحابة بأهل الجنة فتقول ما تريدون أن أمطركم
فلا يريدون شيئا إلا أمطرتهم وزعمت المجبرة والمشبهة أن الزيادة النظر إلى وجه الله
عز وجل وجاءت بحديث مرفوع إذا دخل أهل الجنة الجنة نودوا يا أهل الجنة فيكشف الحجاب عنهم
فينظرون إليه فوالله ما أعطاهم شيئا هو أحب إليهم منه **ولا يرهق وجوههم** أي لا يغشاها **قتر**
غبرة فيها سواد **ولا ذلة** أي ولا أثر هوان وكسوف بال والمعنى لا يرهقهم ما يرهق أهل النار
أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون لا انقطاع لنعيمهم فيها **والذين كسبوا السيئات** هذا
عطف على قوله للذين أحسنوا كأنه قيل وللذين كسبوا السيئات وهي الكبائر **جزاء سيئة بمثلها** أي
سيئة مثلها لا يزاد عليها وفي هذا دليل على أن المراد بالزيادة الفضل لأنه دل بترك الزيادة على
السيئة على عدله ودل ثم بإثبات الزيادة على المثوبة على فضله **وترهقهم ذلة** أي يغشاهم **ما لهم**
من الله من عاصم أي لا يعصمهم أحد من سخط الله عز وجل وعذابه ويجوز ما لهم من جهة الله من يعصمهم
كما يكون للمؤمنين **كأنما أغشيت وجوههم قطعا من الليل** مظلما شبه سواد وجوههم بقطع من الليل
والقطع جمع قطعة أي كأن وجوههم ألبست قطعا من الليل في حال اسوداده وإظلامه وقرأ ابن كثير
والكسائي قطعا بسكون الطاء وهو طرف الليل وبعضه قرأه أي كأنما يغشى وجوههم قطع من
الليل مظلم **أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون** وصفهم بالخلود كما وصف أولئك بالخلود
في الجنة **ويوم نحشرهم جميعا** أي يجمعهم الحرام الأماكن المتفرقة **ثم نقول للذين أشركوا مكانكم**
أي الزموا مكانكم لا تبرحوا حتى تنظروا ما يفعل بكم **أنتم وشركاؤكم** أي أنتم ومن جعلتموه لله
شركا ومثلا **فزيلنا بينهم** أي فرقنا بينهم وقطعنا أقرانهم والوصل التي كانت بينهم في الدنيا
أو باعدنا بينهم بعد الجمع بينهم في الموقف وبين شركائهم منهم ومن عبادتهم **وقال شركاؤهم**
أي الذين جعلوهم لله شركاء وهم الملائكة والمسيح ومن عبدوه من دون الله من أولي العقل وقيل
الأصنام ينطقها الله تعالى فيخاطبهم بالتبري من عبادتهم بدل الشفاعة التي طمعوا فيها فيقولون
ما كنتم إيانا تعبدون أي إنما كنتم تعبدون الشياطين حيث أمروكم أن تتخذوا الله أندادا

ما طعنوهم

ما أطعتموهم **فكفى بالله شهيدا بيننا وبينكم** هذا من كلام الشركاء قالوا نشهد الله على علمه
بيننا **إن كنا عن عبادتكم لغافلين** أي إن كنا عن عبادتكم إلا غافلين لأنا كنا جمادا لم يكن فينا
روح **هنالك** أي في ذلك المقام وفي ذلك الموقف أو في ذلك الوقت **تبلو كل نفس ما أسلفت** أي
تختبر وتذوق ما قدمت من العمل فتعرف كيف هو أقبيح أم حسن أنافع أم ضار أمقبول أم مردود
وعن عاصم نبلو كل نفس بالنون ونصب كل أي نختبرها باختبار ما أسلفت من العمل فنعرف حالها بمعرفة
حال عملها إن كان حسنا فهي سعيدة وإن كان سيئا فهي شقية وقرأ حمزة والكسائي تتلو أي تتبع ما أسلفت
أو تقرأ في صحيفتها ما قدمت من خير أو شر **وردوا إلى الله مولاهم الحق** أي ربهم الصادق ربوبيته
الذي يملكهم ويتولى أمورهم لا من كانوا يتولون ما ليس لربوبيته حقيقة أو الذي يتولى حسابهم وثوابهم
العدل الذي لا يظلم أحدا **وضل عنهم ما كانوا يفترون** أي وضاع عنهم ما كانوا يدعون أنهم
شركاؤه أو بطل عنهم ما كانوا يختلقون من الكذب وشفاعة الآلهة **قل من يرزقكم**
من السماء والأرض أي من ذا الذي يرزقكم منهما جميعا لم يقتصر على جهة واحدة ليفيض
عليكم نعمته ويوسع رحمته **أم من يملك السمع والأبصار** أي من يستطيع خلقهما وتسويتهما على
الحد الذي سويا عليه من الفطرة العجيبة أو من يحميهما ويحصنهما من الآفات مع كثرتها في المدد
الطوال وهما لطيفان يؤذيهما أدنى شيء بكلاءته وحفظه **ومن يخرج الحي من الميت** المؤمن
من الكافر والنبات من الأرض والإنسان من النطفة **ويخرج الميت من الحي** عكس ما تقدم **ومن**
يدبر الأمر أي ومن يلي تدبير أمر العالم كله من أمر الدنيا والآخرة جاء بالعموم بعد الخصوص
فسيقولون الله لأنهم يعترفون بذلك ويشبه لزمتهم الحجة **فقل أفلا تتقون** أي أفلا تتقون أنفسكم
ولا تحذرون عليها عقابه بترك ما أنتم عليه من الشرك والضلال **فذلكم الله** إشارة إلى من
هذه قدرته وأفعاله **ربكم الحق** أي الثابت ربوبيته ثباتا لا ريب فيه لمن حقق النظر **فماذا**
بعد الحق إلا الضلال يعني أن الحق والضلال لا واسطة بينهما فمن تخطى الحق وقع في الضلال **فأنى**
تصرفون عن الحق إلى الضلال وعن التوحيد إلى الشرك وعن السعادة إلى الشقاء **كذلك** أي مثل
ذلك الحق **حقت كلمات ربك** أي كما حق وثبت أن الحق بعده الضلال أو كما حق أنهم مصروفون
عن الحق فكذلك حقت كلمة ربك أي ثبتت **على الذين فسقوا** أي تمردوا في كفرهم وخرجوا إلى
الحد الأقصى منه **أنهم لا يؤمنون** أي حق عليهم انتفاء الإيمان وعلم الله عز وجل منهم ذلك
أو حق عليهم كلمة الله أنهم من أهل الخذلان وأن إيمانهم غير كائن أو أراد بالكلمة العدة بالعذاب
وأنهم لا يؤمنون تعليل بمعنى لأنهم لا يؤمنون **قل هل من شركائكم من يبدأ الخلق ثم يعيده** أضاف
الشركاء إليهم من حيث إنهم جعلوها شركاء لله في الربوبية والعبادة توبيخهم بأنها لا تقدر على ما لا يقدر
عليه من ابتداء الخلق ثم إعادته وهم غير معترفين بالإعادة وذكر الله تعالى وضع إعادة الخلق لظهور

ابهم

قل الله يبدؤا الخلق ثم يعيده فأنى تؤفكون

دليلها موضع ما اعتر فوا به ولا شك فيه للدلالة على انهم فى انكارهم للاعادة مكابرون لعقولهم منكرون امرا مسلما معترفا بصحته عند العقلا ثم امر الله تعالى نبيه صلى الله عليه واله بالجواب عنهم بقوله قل يا محمد **هل من شركائكم من يهدي الى الحق** اى من يرشد الى دين الاسلام **قل الله يهدي للحق** تعالى هداه للحق والى الحق بمعنى للعين والمعنى واحد **افمن يهدي الى الحق احق ان يتبع امن لا يهدي الا ان يهدى** وقرا حمزة والكسائى امن لا يهدى ساكنة الها مخففة الدال وابو عمرو وقالون مثلهما الا انهما شددا الدال واشار ابو عمرو والهاشمى من المفتح وقرا ابن كثير وابن عامر يهدى بفتح الها وتشديد الدال وقرى الا ان يهدى من هداه وهداه لغة والمعنى ان الله وحده هو الذى يهدى للحق بما ركب فى المكلفين من العقول واعطاهم من التمكين للنظر فى الادلة التى نصبها لهم وبما لطف بهم ووفقهم والهمهم واخطر ببالهم ووقفهم على الشرائع فهل من شركائكم الذين جعلتم اندادا لله من يهدى الى الحق مثل هداية الله ثم قال افمن يهدى الى الحق هذه الهداية احق بالاتباع ام الذى لا يهدى اى لا يهتدى بنفسه او لا يهدى غيره الا ان يهديه الله وقيل معناه ام من لا يهتدى من الاوثان الى مكان فينتقل اليه الا ان يهدى الا ان ينقل او لا يهتدى ولا يصح منه الاهتدا الا ان ينقله الله من حاله الى ان يجعله حيوانا مكلفا فيهديه **فما لكم كيف تحكمون** بالباطل حيث تزعمون انها اندادا لله **وما يتبع اكثرهم** فى اقرارهم بالله **الا ظنا** لانه قول غير مستند الى برهان عندهم **ان الظن** فى معرفة الله عز وجل **لا يغني من الحق شيئا** اى لا يغنى عن العلم بالله والمراد بالاكثر الجميع كما يراد بالقليل العدم وقيل وما يتبع اكثرهم فى قولهم للاصنام انها الهة وانها شفعا عند الله الا الظن لعدم الدليل على صحة قولهم **ان الله عليم بما يفعلون** هذا وعيد على ما يفعلون من اتباع الظن وتقليد الابا ۝ **وما كان هذا القران ان يفترى من دون الله ولكن** اى ما صح وما استقام ان يكون هذا القران مكذوبا على الله لعلو امره واعجازه فلا يقدر عليه الا الله تعالى **ولكن** كان **تصديق الذي بين يديه** اى مصدقا لما تقدمه من الكتب المنزلة لانه معجز دونها فهو عيار عليها وشاهد بصحتها لاحجازه بها وعاقبها **وتفصيل الكتاب** معناه انه بين ما كتب وفرض من الاحكام والشرائع **لا ريب فيه** اى لا شك فيه **من رب العالمين** اى كائنا من رب العالمين كانه قال ولكن تصديقا وتفصيلا منتفيا عنه الريب كائنا من رب العالمين **ام يقولون افتراه** اى اختلقه وكذبه على الله واتى به من نفسه وهو انكار لقولهم واستبعاد وتعيين لالزام الحجة عليهم **قل** لهم يا محمد ان كان الامر على ما تزعمون فى انى افتريته **فاتوا** انتم على وجه الافترا **بسورة مثله** واصدروها فانتم مثلي فى العربية والفصاحة والمعنى بسورة مثله اى شبيهة به فى البلاغة وحسن النظم **وادعوا** للاستعانة على الاتيان بمثله دسورة مثله **من استطعتم** اى جميع من امكنكم الاستعانة به **من دون الله** اى استعينوا على ذلك بجميع خلق الله دون الله

والمعنى ان الله وحده هو القادر على ان ياتى بمثله لا يقدر على ذلك احد غيره فلا تستعينوا بالله وادعوا كل من دونه **ان كنتم صادقين** فى انه افتراه **بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه** اى بل سارعوا الى التكذيب بالقران الذى لم يحيطوا بمعرفته ولم يعلموا معناه والمعنى انهم كذبوا به فى اول ما سمعوه قبل ان يفقهوه ويعلموا كنه امره وقيل ان يتدبروه ويقفوا على تاويله ومعانيه وذلك لفرط نفورهم عما يخالف دينهم وشرادهم عن مفارقة دين ابائهم كالناشى على التقليد اذا احس بكلمة لا توافق ما نشا عليه والفه وان كانت اضوا من الشمس فى ظهور الصحة وبيان الاستقامة انكرها فى اول وهلة واشمأز منها قبل ان يحس ادراكها بحاسة سمعه من غير فكر فى صحته او فساده لانه لم يشعر قلبه الا صحة مذهبه وفساد ما عداه من المذاهب **ولما يأتهم تأويله** معناه انهم كذبوا به على البديهة قبل التدبر ومعرفة التاويل تقليدا للابا وكذبوه بعدا لتدبر تمردا وعنادا فذمهم بالتسرع الى التكذيب قبل العلم به وجاء بكلمة التوقع ليؤذن انهم علموا بعد علو شانه واعجازه لما كرر عليهم التحدى وزادوا قواهم فى المعارضة واستيقنوا عجزهم عن مثله فكذبوا به بغيا وحسدا **كذلك** اى مثل ذلك التكذيب **كذب الذين من قبلهم** يعنى قبل النظر فى معجزات الانبيا وقيل بتدبرها من غير انصاف من انفسهم ولكن قلدوا الابا وعاندوا وقيل اراد الذين كذبوا وهم شاكون فى صدقه ويجوز ان يكون معنى ولما ياتهم تاويله اى ولم ياتهم بعد تاويل ما فيه من الاخبار بالغيوب اى عاقبته حتى يتبين لهم اهو كذب او صدق يعنى انه كتاب معجز من جهتين من جهة اعجاز نظمه ومن جهة ما فيه من الاخبار بالغيوب فتسرعوا الى التكذيب به قبل ان ينظروا فى نظمه وبلوغه حد الاعجاز وقبل ان يخبروا اخباره بالمغيبات وصدقه وكذبه ثم توعدهم على كفرهم ووصفهم بالظلم لانفسهم فقال **فانظر كيف كان عاقبة الظالمين** اى كيف كان عاقبة المكذبين قبلهم كما اهلكهم الله بسبب تكذيبهم فلينتظر وامثل تلك العاقبة **ومنهم من يؤمن به** اى يصدق به فى نفسه ويعلم انه حق ولكنه يعاند بالتكذيب **ومنهم من لا يؤمن به** اى يشك فيه لا يصدق به او معناه ومنهم من يؤمن به فى المستقبل ومنهم من يصر على التكذيب فلا يؤمن به ابدا **وربك اعلم بالمفسدين** بالمعاندين او المصرين فيعاقبهم **وان كذبوك** اى وان تموا على تكذيبك ويئست من اجابتهم فتبرا منهم وخلهم فقد اعذرت **فقل لي عملي ولكم عملكم** اى لكل جزاؤه لا يتعداه **انتم بريئون مما اعمل** من الخير والشر **وانا بريء مما تعملون** وقيل هذه الاية منسوخة باية السيف **ومنهم من يستمعون اليك** اى ومن المكذبين ناس يستمعون اليك اذا قرات القران وعلمت الشرائع ولكنهم لا يعون ولا يقبلون **افانت تسمع الصم ولو كانوا لا يعقلون** اى اتطمع ان تقدر على اسماع من جمع بين الصمم وعدم العقول لان الاصم العاقل ربما تفرس واستدل اذا وقع فى صماخه دوى الصوت فاذا اجتمع سلب السمع والعقل جميعا فقد تم الامر **ومنهم من ينظر اليك** اى ومنهم ناس ينظرون اليك ويعاينون ادلة الصدق واعلام النبوة ولكنهم لا يصدقون **افانت تهدي**

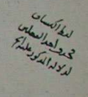
العمي ولو كانوا لا يبصرون اي احسبت انك تقدر على هداية العمي ولو انضم الى فقد البصر فقد
البصيرة لان الاعمى الذي له في قلبه بصيرة قد يحدس ويظن واما العمى مع الحمق فجهد
البلاء يعني انهم في اليأس من ان يقبلوا ويصدقوا كالصم والعمي الذين لا عقول لهم ولا بصائر وفيه
افادة لا دلالة على انه لا يقدر على اسماعهم وهدايتهم الا الله عز وجل بالقسر والالجاء كما لا يقدر على
رد الاصم والاعمى المسلوبي العقل حديدي السمع والبصر راجحي العقل الا هو وحده ان الله لا
يظلم الناس شيئا اي لا ينقصهم شيئا مما يتصل بمصالحهم من بعثة الرسل وانزال الكتب ولكن الناس انفسهم يظلمون
اي ولكنهم يظلمون انفسهم بالظلم والتكذيب ويجوز ان يكون وعيدا للمكذبين يعني ان ما يلحقهم يوم
القيمة من العذاب لاحق بهم على سبيل العدل والاستحقاق ولا يظلمهم الله به ولكنهم ظلموا انفسهم
باقترافهم ما كان سببا فيه ويوم يحشرهم كان لم يلبثوا الا ساعة من النهار يستقربون وقت لبثهم
في الدنيا وقيل في القبور لهول ما يرون من الافزاع لان ايام السرور قصار وما كانوا فيه من
العذاب في الدنيا او في القبور كايام السرور بالنظر الى ما يشاهدون يوم البعث من الاهوال
يتعارفون بينهم يعرف بعضهم بعضا كانهم لم يتفارقوا الا قليلا وذلك عند خروجهم ثم ينقطع
التعارف بينهم لشدة الامر عليهم قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله هذه شهادة من الله على خسرانهم
والمعنى انهم خسروا في تجاراتهم وبيعهم الايمان بالكفر حيث كذبوا بلقاء الله وما كانوا مهتدين
للصواب في التجارة ولا عارفين بطرقها وهو استيناف معنى التعجب كانه قيل ما اخسرهم واما نرينك
يا محمد بعض الذي نعدهم من العذاب كما اريناك يوم بدر او نتوفينك قبل ذلك فالينا مرجعهم جواب
نتوفينك وجواب نرينك محذوف كانه قيل واما نرينك يا محمد بعض الذي نعدهم في الدنيا فذاك او
نتوفينك قبل ان نريك فنحن نريكه في الآخرة فانت لاحق من رؤيته ثم الله شهيد على ما يفعلون
في الدارين وذكرت الشهادة والمراد مقتضاها ونتيجتها وهو العقاب كانه قال ثم الله معاقب على ما
يفعلون ويجوز ان يراد ان الله مؤد شهادته على افعالهم يوم القيمة حين ينطق جلودهم والسنتهم وايديهم
وارجلهم شاهدة عليهم ولكل امة رسول يبعث اليهم ليشهم على التوحيد ويدعوهم الى دين
الحق فاذا جاء رسولهم بالبينات فكذبوه ولم يتبعوه قضي بينهم اي بين النبي ومكذبيه بالقسط
بالعدل فانجي الرسول وعذب المكذبون او لكل امة من الامم يوم القيمة رسول تنسب اليه وتدعى به
فاذا جاءهم رسولهم الموقف ليشهد عليهم بالكفر والايمان قضي بينهم وهم لا يظلمون من زيادة او نقصان
ويقولون متى هذا الوعد استعجال منهم لما وعدوا من العذاب استبعادا له فالواو للحكم قال
لهم واما نرينك قالوا متى هذا العذاب الذي يعدنا يا محمد ان كنتم يا محمد انت واتباعك صادقين
فيما تعدونا به وهذه مبالغة في التكذيب قل لهم يا محمد لا املك لنفسي ضرا من مرض او فقر ولا نفعا
من صحة او غنا الا ما شاء الله اي ولكن الله ما شاء من ذلك كائن فكيف املك لكم الضرر وجلب

العذاب

ثمن

العذاب لكل امة اجل يعني ان عذابكم له اجل مضروب عند الله وحد محدود من الزمان
اذا جاء اجلهم اي اذا جاء الوقت المحدود اصابهم لا محالة فلا يستأخرون عنه ساعة ولا
يستقدمون اي لا يتقدم وقوعه مقدار ساعة والمعنى لا تستعجلوا فاذا جاء ذلك الوقت انجز
وعدكم لا محالة قل ارايتم ان اتاكم عذابه بياتا اي وقت بيات فبيتكم وانتم ساهون نائمون
لا تشعرون كما يبيت العدو المباغت والبيات بمعنى التبييت وهو الاخذ بالليل على غرة او نهارا
معناه او في وقت انتم فيه مشتغلون بطلب المعاش والكسب ماذا يستعجل منه المجرمون الضمير
في منه للعذاب والمعنى ان العذاب كله مكروه مر المذاق موجب للنفار فاي شيء يستعجلون منه
وقيل الضمير في منه لله تعالى اثم اذا ما وقع امنتم به هذا انكار عليهم في تاخير الايمان الى وقت
مشاهدة العذاب والمعنى ان اتاكم عذابه امنتم به بعد وقوعه حين لا ينفعكم الايمان
آلآن اي قيل لهم اذا امنوا بعد وقوع العذاب منهم الآن امنتم به وقد كنتم به تستعجلون
يعني وقد كنتم به تكذبون لان استعجالهم كان على جهة التكذيب والانكار ثم قيل للذين ظلموا
هذا متعلق بما قبله وفيه زيادة وصف لهم بالظلم لانفسهم ذوقوا عذاب الخلد اي ذوقوا
مرارة عذاب الخلود في جهنم هل تجزون الا بما كنتم تكسبون اي ما تجزون الا بما عملتم وبسبب
كسبكم القبيح ويستنبئونك اي يستخبرونك فيقولون احق هو اي احق العذاب الموعود وهو
استفهام على جهة الانكار والاستهزاء وقرئ آلحق هو وهو ادخل في الاستهزاء لتضمنه معنى التعريض
بانه باطل كانه قيل اهو الحق لا الباطل او هو الذي سميتموه الحق قل لهم يا محمد اي وربي انه لحق
اي بمعنى نعم في القسم خاصة والمعنى نعم وربي ان العذاب الذي وعدتم لحق لا شك في وقوعه وما انتم
بمعجزين بفائتين العذاب وهو لاحق بكم لا محالة ولو ان لكل نفس ظلمت ما في الارض
المعنى ولو ان لكل نفس ظالمة ما في الدنيا اليوم من خزائنها واموالها وجميع منافعها على كثرتها
لافتدت به اي لجعلته فدية لها ولا فتدت به نفسها من العذاب وفداه وافتداه بمعنى واحد
واسروا الندامة لما راوا العذاب لانهم بهتوا لرؤيتهم ما لم يحتسبوه ولم يخطر ببالهم وعاينوا من
شدة الامر وتفاقمه ما سلبهم قواهم وبهرهم فلم يطيقوا عنده بكاء ولا صراخا ولا ما يفعله
الجازع سوى اسرار الندم والحسرة في القلوب كما ترى المقدم لضرب عنقه يتحير ويبقى
لا ينبس بكلمة ويبقى جامدا مبهوتا وقيل اسروا وما اهمتهم الندامة من سفلتهم الذين اضلوهم
حياء منهم وخوفا من توبيخهم وقيل اسروها اخلصوها لان اخفاءها اخلاصها وفيه تهكم بهم
وباخطائهم وقت اخلاص الندامة وقيل اسروا الندامة اظهروها من قولهم اسر الشيء واسره اذا
اظهره وليس هناك تجلد وقضي بينهم اي بين الظالمين والمظلومين بالقسط بالعدل
وهم لا يظلمون فيما قضي ولا ينقصون شيئا الا ان لله ما في السموات والارض الا ان وعد الله حق

اتبع ذلك الاعلام بان له الملك كله وانه المثيب والمعاقب وما وعده من الثواب والعقاب
فهو حق **ولكن اكثرهم لا يعلمون** لاعراضهم عن قبول الحق وقصورهم عن النظر في الادلة **هو يحيي
ويميت واليه ترجعون** ٥ وهو القادر على الاحياء والاماتة لا تقدر عليهما غيره والى حسابه
وجزائه المرجع ليعلم ان الامر كذلك فيخاف ويرجى ولا تغتر به المغترون **يا ايها الناس قد
جاءتكم موعظة من ربكم** اي قد جاءكم كتاب جامع لهذه الفوائد من موعظة وتنبيه على التوحيد وردع
عن القبائح **وشفاء لما في الصدور** اي دواء لما في صدوركم من الاعتقادات الفاسدة ودعاء الى
الحق **وهدى** يهدي اليه **ورحمة للمؤمنين** اي ونعمة كاملة لمن امن منكم وخص المؤمنين لانهم
المنتفعون به دون غيرهم والا فهو رحمة عامة لكن غير المؤمن لم يقبلوها **قل بفضل الله
وبرحمته فبذلك فليفرحوا** اصل الكلام بفضل الله وبرحمته فليفرحوا فبذلك والتكرير للتاكيد
والتقرير وايجاب اختصاص الفضل والرحمة بالفرح دون من عداهما بالفرح دون ما عداهما
من فوائد الدنيا فحذف احد الفعلين وهو فليفرحوا لدلالة المذكور عليه والفاء داخلة لمعنى الشرط
كانه قيل ان فرحوا بشيء فليخصوا الفضل والرحمة بالفرح والمراد بفضل الله القران لانه فضل من
الله على عباده وبرحمته نعمته عليهم وقيل فضل الله ورحمته هو القران ولذلك قال هو خير ولم يقل
فهما اي فبالقران فليفرحوا لانه فضل الله عليهم واعظم نعمة نزلت لهم **هو خير مما يجمعون** ٥
من اموال الدنيا ومنافعها وقرئ فلتفرحوا بالتاء وهي قراءة رسول الله صلى الله عليه واله وعن
ابي بن كعب ان رسول الله صلى الله عليه واله تلا قل بفضل الله وبرحمته فقال بكتاب الله والاسلام
وقيل فضله الاسلام ورحمته ما وعد عليه **قل ارايتم ما انزل الله لكم من رزق** اي قل
يا محمد لكفار مكة ارايتم ما خلق الله لكم من انواع الارزاق وقيل هو المطر من السماء وبه انزل الارزاق
فجعلتم منه حراما وحلالا اي انزله الله رزقا حلالا كله فبعضتموه وقلتم هذا حلال وهذا حرام
يعني ما حرموه مما هو حلال لهم من البحيرة والسائبة والوصيلة والحام وما جعلوه لالهتهم وما
احلوه مما هو حرام من الميتة وامثالها **قل** لهم يا محمد **آلله اذن لكم** تكرير قل للتوكيد والمعنى
اخبروني آلله اذن لكم في التحليل والتحريم وانتم تفعلون ذلك باذنه **ام على الله تفترون** ٥
اي تكذبون على الله في نسبة ذلك اليه والهمزة للانكار وام بمعنى بل **قال رضي الله عنه**
ويكفي هذه الاية زاجرة زجرا بليغا عن التجوز فيما يسال عنه من الاحكام وباعثة على وجوب الاحتياط
فيه وان لا يقول احد في شيء جائز او غير جائز الا بعد اتقان وايقان ومن لم يتحقق فليتق الله وليصمت
والا فهو مفتر على الله عز وجل **وما ظن الذين يفترون على الله الكذب يوم القيمة** يعني اي شيء ظن
المفترين في ذلك اليوم ما يصنع بهم فيه وهو يوم الجزاء بالاحسان والاساءة وهو وعيد عظيم حيث ابهم
امره **ان الله لذو فضل على الناس** حيث انعم عليهم بالعقل ورحمهم بالوحي وتعليم الحلال



يونس

والحرام **ولكن اكثرهم لا يشكرون** هذه النعمة ولا يتبعون ما هدوا اليه ٥ **وما تكون في شان**
ما نافية والخطاب لرسول الله صلى الله عليه واله والشان الامر **وما تتلوا منه من قران**
الضمير في منه للشان لان تلاوة القران شان من شان رسول الله صلى الله عليه واله بل هو معظم
شانه او يكون الضمير في منه للقران كانه قيل وما تتلو من التنزيل من قران لان كل جزء منه
قران واضماره قبل الذكر تفخيم له او لله عز وجل **ولا تعملون** اي وما تعملون انتم جميعا **من
عمل** اي عمل كان **الا كنا عليكم شهودا** اي شاهدين رقباء نحصي عليكم **اذ تفيضون** اي تدخلون
في العمل وتاخذون **فيه** من افاض في الامر اذا اندفع فيه **وما يعزب** اي ما يبعد وما يغيب **عن ربك
من مثقال ذرة** اي وزنها وهي النملة الحمراء الصغيرة **في الارض ولا في السماء** اي لا يغيب
عنه في الارضين السبع ولا في السموات السبع **ولا اصغر من ذلك** المثقال **ولا اكبر** وقرئ اصغر
واكبر بالنصب على نفي الجنس وقرء حمزة بالرفع فيهما على الابتداء ليكون كلاما براسه وعطفهما
على محل من مثقال ذرة او على لفظ مثقال ذرة لا يصح لانه يؤدي الى ان الذي في الكتاب يعزب عنه
وحق السماء ان تقدم على الارض كما في سورة سبا عالم الغيب لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات
ولا في الارض ولكنه تعالى لما ذكر شهادته على شؤون اهل الارض واحوالهم واعمالهم ووصل
بذلك قوله لا يعزب عنه لاءم ذلك ان قدم الارض على السماء لما فيه من حسن الملاءمة على ان العطف
بالواو وحكمه حكم التثنية في انه لا يفيد كل المنزلة **الا في كتاب مبين** هو اللوح المحفوظ
لا غيبة كل كائن معلوم لله تعالى **الا ان اولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون** ٥
اولياء الله احباؤه الذين يتولونه بالطاعة ويتولاهم بالكرامة وقد فسر ذلك في قوله **الذين
امنوا وكانوا يتقون** اي وكانت طريقتهم تقوى الله باجتناب محارمه فهذا هو توليهم الله تعالى والاصل
الولي من الولي وهو القرب وقوله لهم البشرى في الحيوة الدنيا وفي الاخرة هو تولية الله اياهم
بها **وعن سعيد بن جبير** رحمه الله تعالى سئل من اولياء الله فقال هم الذين يذكر الله برؤيتهم
يعني السمت والهيئة يريد لما فيهم من الخشوع والوقار وقيل هم المتحابون في الله **وعن عمر** سمعت رسول
الله صلى الله عليه واله يقول ان من عباد الله عبادا ما هم بانبياء ولا شهداء يغبطهم الانبياء والشهداء
يوم القيمة لمكانهم من الله قالوا يا رسول الله خبرنا من هم وما اعمالهم فلعلنا نحبهم قال هم قوم
تحابوا في الله على غير ارحام بينهم ولا اموال يتعاطونها فوالله ان وجوههم لنور وانهم لعلى منابر من
نور لا يخافون اذا خاف الناس ولا يحزنون اذا حزن الناس ثم قرا الاية والمعنى انهم في الاخرة لا يتوقعون
مكروها ولا يغتمون على فائت **لهم البشرى في الحيوة الدنيا وفي الاخرة** البشارة في الدنيا ما بشر
الله به المؤمنين المتقين في غير مكان من كتابه من حسن العاقبة والحيوة الطيبة وحسن المخرج
للمتقين وعن النبي صلى الله عليه واله هي الرؤيا الصالحة يراها المسلم او ترى له وعنه عليه السلام

دهبا لسوه وبعث المبشرات وصل هي محبة الناس له والذكر الحسن وعن ابي ذر قلت لرسول
الله صلى الله عليه وآله الرجل يعمل العمل لله ويحبه الناس فقال تلك عاجل بشرى المؤمن
وعن عطا البشرى عند الموت تاتيهم الملائكة بالرحمة واما البشرى في الاخرة فتلقى الملائكة
لهم مسلمين مبشرين بالفوز والكرامة وما يرون من بياض وجوههم واعطا الصحايف بايمانهم وما
يقرؤن منها وغير ذلك من البشارات ويمكن ان تقول البشرى هي مجموع هذه البشارات لانها
عن معارضة وفي البشرى عموم يتناول جميع ما يبشر اهل الايمان والتقوى **اللهم**
الحقنا بهم لا تبديل لكلمات الله اي لا تغيير لاقواله ولا اخلاف لمواعيده ذلك
البشر لهم في الدارين هو الفوز العظيم اي الظفر الذي لا اعظم منه ولا يحزنك قولهم اي
تكذيبهم وتهديدهم وتشاورهم في تدبير هلاكك وابطال امرك وسائر ما يتكلمون به في شانك
إن العزة لله جميعا استيناف الكلام بمعنى التعليل كانه قال ما لي لا احزن فقيل ان العزة لله
جميعا اي ان الغلبة والقهر في ملكة الله جميعا لا يملك احد شيئا منها لا هم ولا غيرهم فهو يغلبهم
وينصرك عليهم كتب الله لاغلبن انا ورسلي انا لننصر رسلنا و هو السميع العليم يسمع
ما يقولون ويعلم ما يدبرون ويعزمون عليه وهو مكافيهم بذلك ألا إن لله من في السموات
ومن في الأرض يعني العقلاء المميزين وهم الملائكة والثقلان وانما خصهم ليؤذن ان هؤ
اذا كانوا له وفي ملكته فهم عبيد كلهم وهو سبحانه وتعالى ربهم ولا يصلح احد منهم للربوبية
ولا ان يكون شريكا له فيها وليدل على ان من اتخذ ربا غيره من ملك او انسي فضلا عن صنم او غيره فهو
مبطل تابع لما ادى اليه التقليد وترك النظر وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء
اي وما يتبعون حقيقة الشركاء وان كانوا يسمونها شركاء لان شركة الله عز وجل في الربوبية محال
إن يتبعون إلا الظن اي الا ظنهم انها شركا وإن هم إلا يخرصون يكذبون ويقدرون
ان يكون شركا تقديرا باطلا هو الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا هذا
تنبيه على عظم قدرته ونعمته الشاملة لعباده التي يستحق بها ان يوحدوه بالعبادة حيث جعل لهم
الليل مظلما ليسكنوا فيه مما يعانون في نهارهم من تعب التردد في المعاش والنهار مضيئا يبصرون
فيه مطالب ارزاقهم ومكاسبهم إن في ذلك المذكور من نعمتي الليل والنهار لآيات
لدلائل على عظم القدرة وواسع الرحمة او على انه المختص بالتوحيد وباستحقاق العبادة لقوم
يسمعون سماع متدبر معتبر مذكر قالوا اتخذ الله ولدا سبحانه اي تنزيها له عن اتخاذ
الولد وفيه تعجب من كلمتهم الحمقا في نسبة الولد اليه هو الغني هذا علة لنفي الولد لان
الله يطلب الولد الحاجة ومن الحاجة منتفية عنه كان الولد عنه منتفيا له ما في السموات
وما في الأرض من العقلاء وغيرهم فهو مستغن بملكه لهم عن اتخاذ احد منهم ولدا إن عندكم

سؤال: ان قيل ان العزة لله جميعا كيف الجمع بينه وبين قوله تعالى ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين **الجواب**: عزة الرسول والمؤمنين كلها بالله فهي لله

سؤال: ان قيل ما الفائدة في قوله الا ان لله من في السموات ومن في الارض وقال في موضع آخر ما في السموات والارض
الجواب: ما لا يعقل تابع لمن يعقل فاذا كان من يعقل وهم الاشرف ملكا له كان ما لا يعقل بطريق الاولى

من سلطان بهذا اي ما عندكم من حجة بهذا القول ثم انكر عليهم بقوله أتقولون على الله
ما لا تعلمون لما نفى عنهم الحجة على اتخاذ الولد جعلهم غير عالمين فدل على ان كل قول لا برهان عليه
لقائله فذاك جهل وليس بعلم قل إن الذين يفترون على الله الكذب يعني باضافة
الولد اليه لا يفلحون اي لا فلاح لهم ولا ظفر بسبب افترائهم متاع في الدنيا اي افتراؤهم
هذا منفعة قليلة في الدنيا زايلة وذلك حيث يقيمون رياستهم في الكفر ومناصبة النبي صلى الله
عليه وآله بالتظاهر به ثم يلقون الشقا المؤبد بعده واشار الى وعيدهم بقوله ثم إلينا مرجعهم
اي مصيرهم للجزا ثم نذيقهم العذاب الشديد بما كانوا يكفرون اي بسبب كفرهم **واتل
عليهم نبأ نوح إذ قال لقومه يا قوم** اي واتل يا محمد على
قومك خبر نوح وقت قال لقومه اي عظيم به إن كان كبر عليكم اي عظم عليكم
وشق وثقل مقامي يعني نفسه كما تقول فعلت كذا لمكان فلان اي لاجله وفلان ثقيل الظل
اي هو ثقيل او اراد قيامي ومكثي بين اظهركم مددا طويلا الف سنة الا خمسين عاما او اراد مقامي
وتذكيري لانهم كانوا اذا وعظوا الجماعة قاموا على ارجلهم يعظونهم ليكون مكانهم بينا وكلامهم مسموعا
كما يحكى عن عيسى صلوات الله عليه انه كان يعظ الحواريين قائما وهم قعود وتذكيري اي ووعظي
بآيات الله فعلى الله توكلت اي فالى الله فوضت امري وبه اعتصمت من كيدكم فأجمعوا
أمركم وشركاءكم يقال اجمع الامر وازمعه اذا نواه وعزم عليه والواو بمعنى مع يعني فاجمعوا امركم
مع شركائكم اي مع اصنامكم واستعينوا بها في اهلاكي وقرأ الحسن وشركاؤكم بالرفع بمعنى وليجمع
شركاؤكم معكم وقرئ فاجمعوا من الجمع اي فاجمعوا امركم واجمعوا شركاءكم وقرئ فاجمعوا امركم
وادعوا شركاءكم للاستعانة بهم والغرض بالاجماع والجمع امرهم بالاجتهاد في اهلاكه والمعنى اجمعوا
ما تريدون من اهلاكي واحتشدوا فيه وابذلوا وسعكم في كيدي وانما قال ذلك اظهارا لقلة
مبالاته وثقته بما وعده ربه من كلائته وعصمته وانهم لن يجدوا اليه سبيلا واسناد الاجماع الى
الشركاء على وجه التهكم بهم واظهار عجزهم ثم لا يكن أمركم عليكم غمة فيه وجهان
احدهما ان يراد به مصاحبتهم له وما كانوا فيه معه من الحال الشديدة عليهم المكروهة عندهم
يعني ثم اهلكوني لئلا يكون عيشكم بسببي غصة وحالكم عليكم غمة اي غما وهما والغم والغمة كالكرب
والكربة والثاني ان يريد به ما اريد بالامر الاول والغمة السترة من غمه اذا ستره والمعنى
والمعنى ولا يكن قصدكم الى اهلاكي مستورا عليكم ولكن مكشوفا مشهورا تجاهروني به ثم اقضوا
إلي ذلك الامر الذي تريدون بي اي ادوا الي قطعه وتصحيحه او ادوا الي ما هو حق
عليكم عندكم من هلاكي كما يقضي الرجل غريمه ولا تنظرون اي ولا تمهلوني فإن توليتم
اي اعرضتم عن تذكيري ونصيحتي فما سألتكم من أجر فما طلبت منكم من اجر على نصيحتي لكم

تصحيح

ولا كان عندي ما ينفركم عني وتتهموني لاجله من طمع في اموالكم وطلب اجر على عظتكم إن أجري
إلا على الله وهو الثواب الذي يثيبني به في الآخرة اي ما نصحتكم الا لوجه الله تعالى لا لغرض
من اغراض الدنيا وأمرت أن أكون من المسلمين ۝ الذين لا يأخذون على تعليم الدين
شيئا ولا يطلبون به دنيا يريد ان ذلك مقتضى الاسلام والذي كل مسلم مامور به والمراد ان يجعل
الحجة لازمة لهم ويبرئ ساحته ويبرئ نفسه من المطامع فذكر ان توليهم لم يكن عن تفريط منه
في سوق الامر معهم على الطريق الذي يجب ان يساق عليه وانما ذلك لعنادهم وتمردهم لا غير فكذبوه
فتموا على تكذيبه وكان تكذيبهم له في آخر المدة المتطاولة كتكذيبهم في اولها وذلك عند مشارفة
الهلاك بالطوفان فنجيناه من الغرق ومن معه في الفلك اي ونجينا من معه من المؤمنين في
السفينة وجعلناهم خلائف جمع خليفة اي يخلفون الهالكين بالغرق وأغرقنا الذين
كذبوا بآياتنا وقوله فانظر كيف كان عاقبة المنذرين تعظيم لما جرى عليهم وتحذير لمن
انذرهم رسول الله صلى الله عليه وآله عن مثله وتسلية له ثم بعثنا من بعده اي من بعد نوح
رسلا إلى قومهم يعني هودا وصالحا وابرهيم ولوطا وشعيبا فجاؤوهم بالبينات
بالحجج الواضحة المثبتة لدعواهم فما كانوا ليؤمنوا اي فما كان ايمانهم الا ممتنعا كالمحال
لشدة شكيمتهم في الكفر وتصميمهم عليه بما كذبوا به من قبل يريد انهم كانوا
قبل بعثة الرسل اهل جاهلية مكذبين بالحق فما وقع فصل بين حالتيهم بعد بعثة الرسل وقبلها
كأن لم يبعث اليهم احد كذلك نطبع اي مثل ذلك الطبع المحكم نطبع على قلوب المعتدين
المراد بالطبع الخذلان وهو كناية عن كفرهم وعنادهم ولجاجهم لان الخذلان يتبعه الا ذلك كيف
اسند اليهم الاعتداء ووصفهم به وهو التجاوز لحدود الله والمبالغة في الكفر ثم بعثنا
من بعدهم اي من بعد الرسل موسى وهرون إلى فرعون وملإيه هم اشراف قومه وخصهم
بالذكر لانهم الاكابر المتبوعون بآياتنا اي بالمعجزات المصدقة وهي الآيات التسع فاستكبروا
اي ازدادوا كفرا وتكبروا واعرضوا عن قبولها وهو اعظم الكبر ان يتهاون العبيد برسالة ربهم
بعد تبينها ويتعظموا عن تقبلها وكانوا قوما مجرمين ۝ اي كفارا ذوي آثام عظام فلذلك
استكبروا عنها واجترؤوا على ردها فلما جاءهم الحق من عندنا اي فلما عرفوا ان الذي جاءهم
من الآيات هو الحق وانه من عند الله لا من قبل موسى وهرون قالوا لحبهم الشهوات ومكابرة
الحق إن هذا يعنون المعجزات لسحر مبين ۝ اي لسحر واضح وهم يعلمون ان الحق ابعد شيء
من السحر الذي ليس الا تمويها وباطلا قال موسى أتقولون للحق لما جاءكم أسحر هذا اي اتعيبون
الحق وتطعنون فيه بقولكم هو سحر وكان عليكم ان تنقادوا له وتعظموه وقوله أسحر هذا
انكار عليهم بما قالوا في عيبه اي وليس بقدر ساحر على مثله ولا يفلح الساحرون اي لا يظفر

ساحر بسحره كما قال موسى للسحرة ما جئتم به السحر ان الله سيبطله قالوا أجئتنا لتلفتنا اي لتصرفنا
واللفت والفتل اخوان عما وجدنا عليه آباءنا يعنون عبادة الاصنام وهذا انكار منهم على
موسى وتكون لكما الكبرياء اي الملك لان الملوك موصوفون بالكبر في الأرض يعني
ارض مصر يعني ان تقصدوا ذمهما وانهما اي ملكا ارض مصر تجبرا وتكبرا كما قال القبطي
لموسى ان تريد الا ان تكون جبارا في الارض وما نحن لكما بمؤمنين اي بمصدقين لكما فيما جئتما به
وقال فرعون ائتوني بكل ساحر عليم اي عظيم العلم بالسحر محكم فيه والمعنى ائتوني بهم ليبطلوا سحر
موسى وهرون فلما جاء السحرة قيل كانوا اثنين وسبعين الفا وقيل سبعين الفا وفي الثعلبي اجمع السحرة
سبع مائة الف وكان رئيسهم اعمى قال لهم موسى ألقوا ما أنتم ملقون ۝ من حبالكم
وعصيكم لانهم جعلوا فيها الزيبق فجعلت تلتوي كالحيات فلما ألقوا حبالهم وعصيهم على الارض
قال لهم موسى قال موسى ما جئتم به السحر اي الذي جئتم به هو السحر لا الذي سماه فرعون وقومه سحرا
من آيات الله إن الله سيبطله سيمحقه ويظهر بطلانه باظهار المعجزة على الشعوذة إن الله
لا يصلح عمل المفسدين ۝ اي لا يثبته ولا يديمه ولكن يسلط عليه الدمار ويحق الله الحق اي
يثبته بكلماته باوامره وقضاياه وقرئ بكلمته اي بامره ومشيئته ولو كره المجرمون اي ولو كره
اهل عظائم الذنوب وهم قوم فرعون فما آمن لموسى يعني في اول امره إلا ذرية من قومه على
خوف من فرعون اي الا طائفة من ذراري بني اسرائيل كانه قيل الا اولاد من اولاد قومه وذلك
لانه دعا الآباء فلم يجيبوه خوفا من فرعون واجابته طائفة من ابنائهم مع الخوف وقيل الضمير في
قومه لفرعون والذرية مؤمن آل فرعون وآسية امرأته وخازنه وامرأة خازنه وماشطته وملإيهم
الضمير في ملإيهم يرجع الى فرعون لانه ذو اصحاب يأتمرون له ويجوز ان يرجع الى الذرية اي على
خوف من فرعون وخوف من اشراف بني اسرائيل لانهم كانوا يمنعون اعقابهم خوفا من فرعون عليهم
وعلى انفسهم ويدل عليه قوله أن يفتنهم اي يعذبهم ويصرفهم عن دينهم بمحنة وبلية يوقعهم
فيها وإن فرعون لعال في الأرض اي لغالب متكبر قاهر وإنه لمن المسرفين ۝ في
الظلم والفساد وفي الكبر والعتو بادعائه الربوبية وقال موسى يا قوم إن كنتم آمنتم بالله
اي صدقتم به وبآياته الظاهرة فعليه توكلوا فاليه اسندوا امركم في العصمة من فرعون
إن كنتم مسلمين ۝ شرط في التوكل الاسلام وهو ان يسلموا نفوسهم لله اي يجعلوها سالمة خالصة
لا حظ للشيطان فيها لان التوكل لا يكون مع التخليط فقالوا على الله توكلنا انما قالوا ذلك
لان القوم كانوا مخلصين لا جرم ان الله قبل توكلهم واجاب دعاءهم ونجاهم واهلك من كانوا يخافونه
وجعلهم خلفاء في ارضه فمن اراد ان يصلح للتوكل على ربه والتفويض اليه فعليه برفض التخليط
الى الاخلاص ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين ۝ اي موضع فتنة لهم اي عذاب يعذبوننا

لصه

ويفتنوا عن ديننا أو يفتنهم يفتنوا ويقولون لو كان هؤلاء على الحق لما أصيبوا ونجنا برحمتك من القوم الكافرين أي ونجنا بنعمتك من شر قوم فرعون وأراد بالظالمين والكافرين فرعون وقومه وأوحينا إلى موسى وأخيه لما أرسل موسى إلى فرعون أمر فرعون بمساجد بني إسرائيل فخربت كلها ومنعوا من الصلوة فأمروا أن يتخذوا مساجد في بيوتهم ويصلوا فيها خوفا من فرعون فذلك قوله أن تبوءا لقومكما بمصر بيوتا تبوأ المكان اتخذه مباءة أي مرجعا يرجع إليه كما يقال توطنه إذا اتخذه وطنا والمعنى اجعلا بمصر بيوتا من بيوته مباءة لقومكما ومرجعا يرجعون إليه للعبادة والصلوة فيه واجعلوا بيوتكم تلك قبلة أي مساجد متوجهة نحو القبلة وهي الكعبة وكان موسى ومن معه يصلون إلى الكعبة وكانوا في أول الأمر مأمورين بأن يصلوا في بيوتهم في خفية من الكفرة لئلا يظهروا عليهم فيؤذوهم ويفتنوهم عن دينهم كما كان المؤمنون على ذلك في أول الإسلام بمكة وأقيموا الصلوة في تلك المساجد وبشر يا موسى المؤمنين بخير الدارين وإنهم المنشرة لنعظمه دعوته **قال رضي الله عنه** وثنى الخطاب أولا ثم جمع ثم وحد لأن اختيار المساجد وعمارتها للعبادة مما يفوض إلى الأنبياء وأهل الولايات فلذلك خوطب به موسى وهرون ثم سيق الخطاب عاما لهما ولقومهما باتخاذ المساجد والصلوة فيها لأن ذلك واجب على الجمهور ثم خص موسى صلى الله عليه وسلم بالبشارة التي هي الغرض تعظيما لها وللمبشر بها والمعنى بشرهم بالعاقبة المحمودة والنصرة على أعدائهم والفوز في الآخرة وقال موسى ربنا إنك آتيت فرعون وملأه زينة وأموالا الزينة ما يتزين به من لباس أو حلي أو فرش أو أثاث وغير ذلك كانت لهم من فسطاط مصر إلى أرض الحبشة فيها معادن من ذهب وفضة وزبرجد وياقوت في الحيوة الدنيا أي في هذه الحيوة الدنيئة التي هي أدنى من الحيوة الآخرة أي أقرب منها لأن العقلاء لهم حيوتان حيوة في الدنيا وحيوة في الآخرة وقوله ربنا ليضلوا عن سبيلك دعا عليهم بالضلال وهو دعا بلفظ الأمر كقوله ربنا اطمس واشدد وذلك أنه لما عرض عليهم آيات الله وبيناته عرضا مكررا وردد عليهم النصائح والمواعظ زمانا طويلا وحذرهم عقاب الله وانتقامه وأنذرهم عاقبة ما كانوا عليه من الكفر والضلال المبين ورآهم لا يزيدون على عرض الآيات إلا كفرا وعلى الإنذار إلا استكبارا وعلى النصيحة إلا نبوا ولم يبق له مطمع فيهم وعلم بالتجربة وطول الصحبة أنه لا يجيء منهم إلا الغي والضلال وأن إيمانهم كالمحال الذي لا يدخل تحت الصحة أو علم ذلك بوحي من الله اشتد غضبه عليهم وأفرط مقته وكراهته لحالهم فدعا عليهم بما علم أنه لا يكون غيره كما تقول لعن الله إبليس وأخزى الله الكفرة مع علمك أنه لا يكون غير ذلك وليشهد عليهم بأنه لم يبق له فيهم حيلة وأنهم لا يستأهلون إلا أن يخذلوا ويخلى بينهم وبين ضلالهم يترددون فيه كأنه قال ليثبتوا على ما هم عليه من الضلال وليكونوا ضلالا ربنا اطمس على أموالهم أي أذهبها حتى يكون مطموسة أي ذاهبة فإنها من أسباب عجزهم وبكرهم وقيل امسخها وغيرها عن هيئتها قال ابن عباس صارت أموالهم حجارة واشدد على قلوبهم معنى الشد على القلوب الاستيثاق منها حتى لا يدخلها الإيمان والمعنى أوثقها واربط عليها فلا يدخلها من الإيمان شيء فلا يؤمنوا هذا جواب الدعاء الذي هو اشدد أو هو دعاء عليهم بلفظ النهي أي فلا تظهروا بإيمان حتى يروا العذاب الأليم أي إلى أن يشاهدوا الوقت الذي لا ينفع فيه الإيمان وهو وقت نزول العذاب عليهم حين انقطاع التكليف وهو وقت مشاهدة ملائكة الموت أو وقت عذاب الآخرة بعد الموت لقوله الأليم وهو الشديد في الألم قال الله تعالى قد أجيبت دعوتكما قيل كان موسى يدعو وهرون يؤمن ويجوز أن يكونا جميعا يدعوان والمعنى أن دعاءكما مستجاب وما طلبتما كائن ولكن في وقته فاستقيما فاثبتا على ما أنتما عليه من الدعوة والزيادة في إلزام الحجة فقد لبث نوح في قومه ألف عام إلا قليلا ولا تستعجلا قال ابن جريج مكث موسى عليه السلام بعد الدعاء أربعين سنة ثم حصل ما أجيب به ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون أي لا تتبعا طريق الجهلة بعادة الله في تعليقه الأمور بالمصالح ولا تعجلا فإن العجلة ليست مصلحة وهذا كما قال لنوح عليه السلام إني أعظك أن تكون من الجاهلين وجاوزنا ببني إسرائيل البحر لما أجاب الله تعالى دعاء موسى صلوات الله عليه بإهلاك قومه أمره بإخراج بني إسرائيل ليلا من مصر فخرج وتبعهم فرعون فلما انتهوا إلى البحر أمر الله تعالى موسى فضربه بعصاه فانفلق فصار اثني عشر طريقا يابسة بين كل طريقين الماء كالجبل العظيم ونفذ خروق ينظر بعضهم إلى بعض حتى جاوزوا سالمين من الغرق فأتبعهم فرعون وجنوده أي لحقهم بغيا وعدوا أي ظلما واعتداء حتى إذا أدركه الغرق أي حتى قارب أن يغرق وعلم أنه هالك لا محالة وانقطع وقت التكليف قال آمنت أي قال آمنت في هذه الحال لحصول الحجة المعرفة أنه لا إله إلا الذي آمنت به بنو إسرائيل أي آمنت بأنه لا معبود يكون مستحقا أن يسمى إلها إلا الذي آمنت به بنو إسرائيل وهو الله عز وجل لا أنا ولا غيري ممن يعتقد ويتخذ إلها وأنا من المسلمين المخلصين لله وحده وقرأ حمزة والكسائي إنه بالكسر على أنه كلام مستأنف معناه آمنت كرر المخذول المعنى الواحد ثلاث مرات في ثلاث عبارات حرصا على القبول ثم لم يقبل منه حيث أخطأ وقته وقاله حين لم يبق له اختيار قط وكانت الواحدة كافية في حال الاختيار وعند بقاء التكليف **قلت** وأراد رضي الله عنه بالمعنى الواحد الإيمان وبالثلاث العبارات على القراءة بالكسر في إنه فالعبارة الأولى آمنت والثانية إنه لا إله إلا الذي آمنت به بنو إسرائيل والثالثة وأنا من المسلمين وقيل إنه قال آمنت بعدما أغرق في نفسه والذي يحكي الله خبر قال آمنت أخذ جبريل من حال البحر أي من طينة الأسود وهو الحمأة فدسه في فيه فالغرض به الغصة

على الكافر في وقت قد علم ان ايمانه لا ينفعه واما قول من قال ان جبريل عليه السلام فعل ذلك خشية
ان يدرك فرعون رحمة الله لو نطق بالايمان فهذا من زيادات الباهتين لله وملائكته وفيه جهالتان
احداهما ان الايمان يصح بالقلب كايمان الاخرس فحال البحر لا يمنعه والاخرى ان من كره ايمان
الكافر واحب بقاءه على الكفر فهو كافر لان الرضا بالكفر كفر ۝ آلآن وقد عصيت قبل
معناه اتؤمن الساعة في وقت الاضطرار حين ادركك الغرق وايست من نفسك وهذا انكار عليه
في تاخير الايمان الى الوقت الذي لا يقبل فيه وتعيير بالمعصية في الوقت الذي كان يقبل فيه
الايمان وكنت من المفسدين اي من الضالين المضلين عن الايمان وروى ان جبريل
عليه السلام اتاه بفتيا ما يقول الامير في عبد لرجل نشأ في ماله ونعمته فكفر نعمته وجحد حقه وادعى
السيادة دونه فكتب فرعون فيه يقول ابو العباس الوليد بن مصعب جزاء العبد الخارج على
سيده الكافر نعماه ان يغرق في البحر فلما الجمه الغرق ناوله عليه السلام خطه فعرفه فاليوم
ننجيك قرئ ننجيك بالتشديد والتخفيف والمعنى نبعدك مما وقع فيه قومك من قعر البحر وقيل
نلقيك بنجوة من الارض وقرئ ننحيك بالحاء اي نلقيك بناحية من البحر وذلك انه طرح بعد الغرق
بجانب البحر قال كعب رماه الماء الى الساحل كانه ثور وقوله ببدنك في موضع الحال في النجية
اي ننجيك مجردا من غير روح فيك وانما انت بدن او ببدنك كاملا سويا لم ينتقص منه شيء ولم
يتغير او عريانا لست الا بدنا من غير لباس او بدرعك وكانت له درع من ذهب يعرف بها لتكون
لمن خلفك آية اي لتكون لمن وراءك من الناس علامة وهم بنو اسرائيل وكان في انفسهم ان
فرعون اعظم شانا من ان يغرق وروى انهم قالوا ما مات فرعون ولا يموت ابدا وقيل اخبرهم
موسى عليه السلام بهلاكه فلم يصدقوه فالقاه الله على الساحل حتى عاينوه وكان مطرحه على ممر
بني اسرائيل حتى قيل لمن خلفك ومعنى كونه آية ان يظهر للناس عبوديته ومهانته وان ما كان
يدعيه من الربوبية باطل محال وانه مع ما كان فيه من عظم الشان وكبرياء الملك آل امره
الى ما ترون لعصيانه ربه عز وجل فما الظن بغيره او معناه لتكون عبرة يعتبر بها الامم بعدك
فلا يجترئوا على نحو ما اجترأت عليه اذا سمعوا بحالك وهوانك على الله عز وجل وقرئ لمن
خلفك بالقاف اي لتكون لخالقك آية كسائر آياته ويجوز ان يراد لتكون طرحك على الساحل
وحدك وتمييزك من بين المغرقين لئلا يشتبه على الناس امرك ولئلا يقولوا لادعائك العظمة
ان مثله لا يغرق ولا يموت آية من آيات الله التي لا يقدر عليها غيره وليعلموا ان ذلك تعمد منه
لازالة الشبهة في امرك وان كثيرا من الناس عن آياتنا لغافلون ۝ اي لمعرضون
عن التدبر لها والاعتبار بها ولقد بوانا بني اسرائيل مبوأ صدق اي انزلناهم منزلا صالحا
مرضيا وهو مصر والشام وذلك بعد هلاك فرعون وذهاب العمالقة الذين كانوا ملوك

الشام ورزقناهم من الطيبات اي من مستلذات المطاعم والارزاق فما اختلفوا في دينهم
وما تشعبوا فيه شعبا حتى جاءهم العلم اي الا من بعد ما قرءوا التوراة وكسبوا العلم بدين
الحق ولزمهم الثبات عليه واتحاد الكلمة وعلموا ان الاختلاف فيه تفرق عنه وقيل هو العلم
بمحمد صلى الله عليه وآله واختلاف بني اسرائيل وهم اهل الكتاب اختلافهم في صفته ونعته وانه
هو ام ليس به بعد ما جاءهم العلم والبيان انه هو لم يرتابوا فيه كما قال تعالى الذين آتيناهم الكتاب
يعرفونه كما يعرفون ابناءهم فاراد ان يؤكد عليهم بصحة القرآن وصحة نبوة محمد صلى الله عليه
وآله ويبالغ في ذلك ان ربك يقضي بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون معنى
القضاء بينهم يوم القيامة في الذي اختلفوا فيه هو حكم الله بالثواب للمطيعين المحقين وبالعقاب
للعصاة المبطلين فان كنت في شك مما انزلنا اليك هذا بمعنى الفرض والتمثيل كانه قيل
فان وقع لك شك مثلا وخيل لك الشيطان خيالا منه تقديرا فاسال الذين يقرءون الكتاب من قبلك
والمعنى ان الله عز وجل قدم ذكر بني اسرائيل وهم قراء الكتاب ووصفهم بان العلم قد
جاءهم لان امر رسول الله صلى الله عليه وآله مكتوب عندهم في التوراة والانجيل وهم يعرفونه
كما يعرفون ابناءهم فاراد ان يؤكد عليهم بصحة القرآن وصحة نبوة محمد صلى الله عليه وآله ويبالغ في
ذلك فقال فان وقع لك شك فرضا وتقديرا فاسال علماء اهل الكتاب لان عادة من خالجته
شبهة في الدين ان يسارع الى حلها واماطتها اما بالرجوع الى قوانين الدين وادلته واما بمقادحة
العلماء المنبهين على الحق والمعنى انهم من الاحاطة بصحة ما انزل اليك بحيث يصلحون لمراجعة مثلك
ومسائلتهم فضلا عن غيرك فالغرض وصفهم بالرسوخ في العلم بصحة ما انزل الى رسول الله صلى الله
عليه وآله لا وصف رسول الله بالشك فيه ثم قال لقد جاءك الحق من ربك اي ثبت عندك بالآيات
والبراهين القاطعة ان ما اتاك هو الحق الذي لا مدخل فيه للمرية فلا تكونن من الممترين ۝
اي الشاكين ولا تكونن من الذين كذبوا بآيات الله اي فاثبت ودم على ما انت عليه من انتفاء المرية عنك
والتكذيب بآيات الله والغرض هذا زيادة التثبيت والعصمة ولذلك قال صلى الله عليه وآله وسلم
عند نزولها هذه الآيات لا اشك ولا اسأل بل اشهد انه الحق ۝ وعن ابن عباس
لا والله ما شك طرفة عين ولا سال احدا منهم وقيل خوطب رسول الله صلى الله عليه وآله والمراد
خطاب امته ومعناه فان كنتم في شك مما انزلنا اليكم وقيل ان للنفي بمعنى ما كنت في شك فاسأل
والمعنى لا نامرك بالسؤال لانك شاك ولكن لتزداد يقينا كما ازداد ابراهيم بمعاينة احياء الموتى
وقوله فتكون من الخاسرين ۝ جواب للنهي عن الشك والتكذيب والمعنى من الخاسرين كل
الخسران وهو استبدال شر الدارين بخيرهما ان الذين حقت عليهم كلمات ربك اي ثبت عليهم قول
الله الذي كتبه في اللوح واخبر به الملائكة وهو انهم يموتون كفارا فلا يكون غيره وتلك كتابة معلوم

لا كتابه تقدير ومراد تعالى اسعر ح لكن وقوله **لا يؤمنون** اى لا يحصل منهم ايمان ابدا **ولو**
جاءتهم كل آية اى كل معجزة تدل على صحة ما دعوا اليه من الايمان **حتى يروا العذاب الاليم** اى
لا يؤمنون الى وقت الاضطرار وانقطاع التكليف الذى لا ينفعهم فيه وهو عند رؤيتهم اسباب
العذاب **فلولا كانت قرية آمنت** اى فهلا كانت قرية واحدة من القرى التى اهلكناها عن الكفر
واخلصت الايمان قبل المعاينة ووقت نفاذ التكليف ولم تؤخر كما اخر فرعون الى ان اخذه الغرق **فنفعها**
ايمانها بان يقبله الله منها لوقوعه فى وقت الاختيار **الا قوم يونس** يعنى ولكن قوم يونس **لما**
آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزى وقرئ قوم يونس بالرفع كانه قيل ما آمنت قرية من القرى الهالكة
الا قوم يونس وعلى هذا التقدير قوم يونس مستثنى متصل عامله مع النصب والرفع **روى**
ان يونس عليه السلم بعث الى نينوى من ارض الموصل فكذبوه فذهب عنهم مغاضبا فلما فقدوه
خافوا نزول العذاب فلبسوا المسوح وعجوا اربعين ليلة وقيل قال لهم يونس ان اجلكم اربعون ليلة
فقالوا ان راينا اسباب الهلاك آمنا بك فلما مضت خمس وثلاثون اغامت السماء غيما اسود هائلا
يدخن دخانا شديدا ثم هبط حتى يغشى مدينتهم ويسود سطوحهم فلبسوا المسوح وبرزوا
الى الصعيد بانفسهم ونسائهم وصبيانهم ودوابهم وفرقوا بين النساء والصبيان وبين الدواب
واولادها فحن بعضها الى بعض وعلت الاصوات والعجيج واظهروا الايمان والتوبة وتضرعوا
فرحمهم الله وكشف عنهم وكان يوم عاشوراء يوم الجمعة **وعن ابن مسعود** بلغ من توبتهم ان
ترادوا المظالم حتى ان الرجل كان يقتلع الحجر وقد وضع عليه اساس بنائه فيرده وقيل خرجوا
الى شيخ من بقية علمائهم فقالوا قد نزل بنا العذاب فما ترى فقال لهم قولوا **يا حى حين**
لا حى ويا حى محيى الموتى ويا حى لا اله الا انت
فقالوها فكشف عنهم وعن الفضيل بن عياض قالوا **اللهم ان ذنوبنا**
عظمت وجلت وانت اعظم منها واجل افعل بنا ما
انت اهله ولا تفعل بنا ما نحن اهله **ومتعناهم الى حين** اى ونفعناهم
بالحيوة والمعيشة الى حين موتهم وانقطاع آجالهم **ولو شاء ربك** مشيئة القسر والالجاء **لآمن**
من فى الارض كلهم يعنى على وجه الاحاطة والشمول **جميعا** مجتمعين على الايمان مطبقين عليه
لا يختلفون فيه الا انه الى قوله **افانت تكره الناس** يعنى انما يقدر على اكراههم واضطرارهم الى
الايمان هو لا انت لانه القادر على ان يفعل فى قلوبهم ما يضطرون عنده الى الايمان وذلك غير مقدور
للبشر ومعنى قوله **حتى يكونوا مؤمنين** اى لكى يكونوا مؤمنين **وما كان لنفس ان تؤمن** اى ما
صح الايمان من نفس من النفوس التى علم الله انها تؤمن **الا باذن الله** الا بتسهيله وتوفيقه وهو منح
الالطاف لانها مما تقبل **ويجعل الرجس** وهو الخذلان الذى هو نقيض اللطف **على الذين**

لا يعقلون اى على المكرهين المصرين على الكفر لانهم لا عقول لهم قابلة للاذن بالرجس وهو الخذلان
والنفس المعلوم انما هنا الذين لا يعقلون وهم المصرون على الكفر وسمى الخذلان رجسا وهو العذاب
لانه سببه **قل** لهم يا محمد **انظروا ماذا فى السموات والارض** من الآيات والعبر **وما تغنى**
الآيات والنذر اى وما تنفع الرسل المنذرون او الانذارات **عن قوم لا يؤمنون** اى لا يتوقع ايمانهم
وهم الذين لا يعقلون والمعنى ان وجود الآيات والنذر عندهم كعدمها فى انهم لا ينتفعون بها ولا
يقبلونها **فهل ينتظرون الا مثل ايام الذين خلوا من قبلهم** اى الا مثل وقائع الله فيهم كما يقال
ايام العرب لوقائعها والمشاهير من حروبها وهذا وعيد للمشركين بمثل ما جرى على من قبلهم من الامم **قل**
فانتظروا مثل ما وقع بمن قبلكم **انى معكم من المنتظرين** لهلاككم **ثم ننجى رسلنا** هذا معطوف على
كلام محذوف كانه قيل نهلك الامم ثم ننجى رسلنا على حكاية حال ماضية لانه اخبار عما قد مضى **والذين آمنوا**
اى ومن معهم **كذلك** اى مثل ذلك الانجاء **حقا علينا ننج المؤمنين** منكم ونهلك المشركين وحقا علينا
اعتراض فاصل لتخصيص نجاة المؤمنين وتاكيدها يعنى حق ذلك علينا وقرئ ننجى بالتشديد والتخفيف
قل يا ايها الناس اى يا اهل مكة **ان كنتم فى شك من دينى** وصحته وسداده **فلا اعبد الذين**
تعبدون من دون الله فهذا دينى فاسمعوا وصفه واعرضوه على عقولكم وانظروا فيه بعين الانصاف لتعلموا
انه دين لا مدخل فيه للشك وهو انى لا اعبد الحجارة التى تعبدونها من دون من هو الهكم وخالقكم
ولكن اعبد الله الذى يتوفاكم اى وصفه بالتوفى ليريهم انه الحقيق بان يخاف ويتقى ويعبد دون ما
لا يقدر على شئ ولا يبصر ولا يسمع **وامرت ان اكون من المؤمنين** يعنى ان الله امرنى بذلك بما ركب فى
من العقل وبما اوحى الى فى كتابه وقيل معنى ان كنتم فى شك من دينى وما انا عليه اثبت عليه ام اترك
واوافقكم فلا تحدثوا انفسكم بالمحال ولا تشكوا فى امرى واقطعوا عنى اطماعكم واعلموا انى لا اعبد
الذين تعبدون من دون الله ولا اختار الضلالة على الهدى **وان اقم وجهك للدين حنيفا** اى امرت
ان اكون من المؤمنين وبان اقم وجهك للدين الاسلام حنيفا اى مائلا الى دين الاسلام عن كل دين والمعنى
استقم اليه ولا تلتفت عنه يمينا ولا شمالا **ولا تكونن من المشركين** بالميل الى غير دين الاسلام وهو
على طريق التهييج والالهاب والا فمعلوم انه لا يكون منهم لكن ازيد به زيادة التثبيت والعصمة
ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك اى لا تعبد من دون الله هذه الاصنام والجمادات
فان فعلت معناه فان دعوت من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك فكنى عنه بالفعل ايجازا **فانك**
اذا من الظالمين اذا جزاء الشرط وجواب السؤال مقدر كان سائلا سال عن عقوبة عبادة الاوثان
فقال انما عقوبتى لو عبدتها فصلا ان فعلت فانك اذا من الظالمين وجعل من الظالمين لانه لا ظلم اعظم
من الشرك ان الشرك لظلم عظيم **وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو وان يردك بخير**
فلا راد لفضله **قال رضى الله عنه** اتبع النهى عن عبادة الاوثان ووصفها بانها لا

نصر ولا نفع ان الله عز وجل هو الضار النافع الذي ان اصابكم بضر لم يقدر على كشفه الا هو
وحده دون كل احد فكيف بالجماد الذي لا شعور به وكذلك ان ارادكم بخير لم يرد احد ما يريده بكم من
فضله واحسانه فكيف بالاوثان فهو الحقيق بان توجه اليه العبادة دونها وهذا ابلغ من قوله ان
ارادني الله بضر هل هن كاشفات ضره او ارادني برحمة هل هن ممسكات رحمته وذكر المس في احد الطرفين
والارادة في الآخر كانه اراد ان يذكر الامرين جميعا الارادة والاصابة في كل واحد من الضر والخير
وانه لا راد لما يريد منهما ولا مزيل لما يصيبه منهما فاوجز الكلام بان ذكر المس وهو الاصابة والارادة
في الآخر ليدل بما ذكر على ما ترك مع انه قد ذكر الاصابة بالخير في قوله **يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ**
اي يصيب بالخير من يشاء منهم وهو من كان اصابته به مصلحة والمراد بالمشية مشية المصلحة **وَهُوَ الْغَفُورُ**
اي عظيم الغفران للتوابين **الرَّحِيمُ** بجميع العباد فلا يعاجل بالعقوبة ولا يحرم عنده النعمة **قُلْ**
يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فلم يبق لكم عذر ولا على الله حجة والمراد بالحق القرآن والاسلام
وجميع ما جاء به محمد صلى الله عليه وآله وسلم **فَمَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا**
يَضِلُّ عَلَيْهَا اي من اختار الهدى واتباع الحق فما نفع باختياره الا نفسه ومن آثر الضلال وهوى
النفس فما ضر الا نفسه واللام وعلى دلا على معنى النفع والضر وكل اليهم الامر بعد ابانة الحق
وازاحة العلل وقد حث على ايثار الهدى واطراح الضلال **وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ** بحفيظ
موكول الى امركم وحملكم على ما اريد انما انا بشير ونذير بين يدي عذاب يوم شديد **وَاتَّبِعْ مَا يُوحَى**
إِلَيْكَ من الحق والتبليغ والانذار **وَاصْبِرْ** على دعوتهم الى الاسلام وعلى اذاهم لك واحتمل اذاهم
واعراضهم **حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ** لك بالنصرة عليهم والغلبة **وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ** لانه لا يحكم الا بالحق
والعدل وقد صبر صلى الله عليه وآله الى ان اظفره الله بهم وفتح مكة فجاء الحق وزهق الباطل
ان الباطل كان زهوقا **وروي** ان هذه الآية لما نزلت جمع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
الانصار فقال انكم ستجدون بعدي اثرة فاصبروا حتى تلقوني يعني اني امرت في هذه الآية بالصبر
على ما سامتني الكفرة فصبرت فاصبروا انتم على ما يسومكم الامراء الجورة قال انس فلم نصبر وروي
ان ابا قتادة رضي الله عنه تخلف عن تلقي معاوية حين قدم المدينة وقد تلقته الانصار ثم دخل عليه
فقال له ما لكم لم تتلقونا قال لم يكن عندنا دواب قال فاين النواضح قال قطعناها في طلبك وطلب
ابيك يوم بدر وقد قال لنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يا معشر الانصار انكم ستلقون بعدي
اثرة قال معاوية فماذا قال قال فاصبروا حتى تلقوني قال فاصبر قال اذا نصبر فقال عبد الرحمن بن حسان

ألا أبلغ معاوية بن حرب ◦ أمير الظالمين نثا كلامي
فانا صابرون ومنظروكم ◦ الى يوم التغابن والخصام

سورة هود عليه السلام مكية وهي مائة وثلث وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم الر

تعديد للحروف على طريق التحدي **كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ** اي نظمت نظما رصينا محكما لا يقع فيه
نقص ولا خلل كالبناء المحكم وقيل منعت من الفساد ومن جعله احكم من الباطل **ثُمَّ فُصِّلَتْ**
كما تفصل القلائد بالفرائد من دلائل التوحيد والاحكام والمواعظ والقصص او جعلت فصولا
نجوما سورة سورة وآية آية او فرقت في التنزيل ولم تنزل جملة واحدة او فصل فيها ما يحتاج اليه العباد
اي بين ولخص ومعنى ثم التراخي في الحال لا في الوقت كما تقول هي محكمة احسن الاحكام ثم مفصلة
احسن التفصيل **مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ** اي من عنده احكامها وتفصيلها وفيه طباق حسن
لان المعنى احكمها حكيم وفصلها اي بينها وشرحها خبير عالم بكيفيات الامور **أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا**
اللَّهَ اي احكم الآيات وفصلها من عنده لئلا تعبدوا الا الله ويكون ان مفسرة لما فيها الا ان في تفصيل
الآيات معنى القول كانه قيل قال لا تعبدوا الا الله او امركم الا تعبدوا الا الله **إِنَّنِي لَكُمْ مِنْهُ**
نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ اي انذركم منه ومن عذابه ان كفرتم وابشركم بثوابه ان آمنتم **وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ**
ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ اي وامركم بالتوحيد والمعنى استغفروا من الشرك ثم ارجعوا الى الله بالطاعة
او استغفروا من الشرك والاستغفار توبة ثم اخلصوا التوبة واستقيموا عليها كقوله ثم استقاموا
يُمَتِّعْكُمْ مَتَاعًا حَسَنًا اي يطول نفعكم في الدنيا بمنافع حسنة مرضية من عيشة واسعة ونعمة
متتابعة كقوله فلنحيينه حيوة طيبة **إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى** اي الى ان يتوفاكم **وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ** **فَضْلَهُ**
اي ويعط في الآخرة من كان له فضل في العمل وزيادة فيه جزاء فضله لا يبخس منه او فضله في الثواب
والدرجات تتفاضل في الجنة على قدر تفاضل الطاعات **وَإِنْ تَوَلَّوْا** اي تعرضوا عن التوحيد
والطاعة **فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ** هو يوم القيمة وصف بالكبر كما وصف بالعظم
والثقل **إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ** فسر عذاب اليوم الكبير بان مرجعهم الى من هو قادر
على كل شيء وكان قادرا على اشد ما اراد من عذابهم لا يعجزه **أَلَا إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ** اي يزورون
عن الحق وينحرفون عنه لان من اقبل على الشيء استقبله بصدره ومن ازور عنه وانحرف ثنى عنه صدره
وطوى عنه كشحه **لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ** يعني ويريدون ليستخفوا من الله فلا يطلع رسوله والمؤمنون
على ازورارهم **أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ** معناه ويريدون الاستخفاء حين يستغشون
ثيابهم ايضا كراهة لاستماع كلام الله كقول نوح عليه السلام جعلوا اصابعهم في آذانهم واستغشوا
ثيابهم اي يغطوا بها وجعلوها غشاء لهم ثم قال **يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ** يعني انه لا تفاوت
في علمه بين اسرارهم واعلانهم فلا وجه لتوصلهم الى ما يريدون من الاستخفاء والله مطلع على ثنيهم صدورهم
روي انها نزلت في الاخنس بن شريق وكان
واستغشائهم ثيابهم ونفاقهم غير نافق عنده
يظهر لرسول الله صلى الله عليه وآله المحبة وله منطق حلو وسياق حسن للحديث وكان يظهر رسول الله

صلى الله عليه وآله محادثته ومجالسته وهو سطر خلاف ما يظهر وقيل نزلت في المنافقين إنه
عليم بذات الصدور أي بضمائرها فلا يخفى عليه مرادهم

وما من دابة في الأرض

أراد بالدابة كل ما يدب على الأرض من آدمي أو بهيمة وسائر الحيوانات التي تدب على الأرض إلا على
الله رزقها جاء في الرزق بلفظ الوجوب وإنما هو تفضل لأنه لما ضمن أن يتفضل عليهم رجع التفضل
واجبا كنذور العباد فصار الرزق واجبا على الله تعالى فليهتم المكلف بما وكل إليه من صلاح
آخرته ولا يشتغل عنه بما ضمن له من رزقه فإنه واصل إليه لا محالة ويعلم مستقرها ومستودعها
المستقر مكان الدابة من الأرض الذي تستقر فيه ومسكنها والمستودع حيث كانت مودعة من صلب
أو رحم أو بيضة كل يعني كل واحد من الدواب ورزقها ومستقرها ومستودعها في كتاب مبين
هو اللوح المحفوظ يعني ذكرها مكتوب فيه مبين وهو الذي خلق السماوات والأرض في ستة أيام
أولها الأحد وآخرها الجمعة وكان عرشه على الماء أي ما كان تحته قبل خلق السماوات
والأرض وارتفاعه فوقها إلا الماء وفيه دليل أن العرش والماء كانا مخلوقين قبل السماوات
والأرض وقيل كان الماء على متن الريح والله أعلم بذلك وكيف ما كان فالله ممسك كل ذلك بقدرته
وكلما ازداد من الأجرام كانت أحوج إلى الله وإلى إمساكه ليبلوكم متعلق بخلق أي خلقهن لحكمة بالغة
وهي أن يجعلها مساكن لعباده وينعم عليهم فيها ويكلفهم الطاعات واجتناب المعاصي فمن شكر وأطاع
أثابه ومن كفر وعصى عاقبه ولما أشبه ذلك اختبار المختبر قال ليبلوكم يريد ليفعل بكم ما يفعل
المبتلي لأحوالكم الناظر كيف تعملون وهو قوله أيكم أحسن عملا أي أعمل بطاعته ليعلم إحسان
المحسن والمسيء وعن النبي صلى الله عليه وآله في تفسيرها ليبلوكم أيكم أحسن عقلا وأورع عن
محارم الله وأسرع في طاعة الله ثم ذكر المكروه ومكابرتهم للآيات والرسل فقال ولئن قلت لهم
يا محمد إنكم مبعوثون من بعد الموت أي ولئن قلت لهم لعلكم مبعوثون بمعنى توقعوا بعثكم
وظنوه ولا تبتوا القول بإنكاره ليقولن الذين كفروا أي لقالوا إن هذا إلا سحر مبين أي
باطل وخداع وأشار بهذا إلى القرآن لأنه هو الناطق بالبعث فإذا جعلوه سحرا فقد اندرج تحته
إنكار ما فيه من البعث وغيره ولئن أخرنا عنهم العذاب أي عذاب الآخرة وقيل عذاب يوم بدر وعن
ابن عباس هو قتل جبريل المستهزئين إلى أمة معدودة أي إلى أجل وحين معلوم ليقولن ما يحبسه
أي ما يمنعه من النزول استعجالا له على وجه التكذيب والاستهزاء فقال الله تعالى ألا يوم يأتيهم
ليس مصروفا عنهم أي إذا أخذتهم سيوف المسلمين لم تغمد عنهم حتى تبيد أهل الكفر وتعلو كلمة الإخلاص
وحاق بهم أحاط بهم ما كانوا به يستهزئون وهو العذاب والقتل الذي كانوا به يستعجلون
وإنما وضع يستهزئون مكان يستعجلون لأن استعجالهم كان على جهة الاستهزاء والمعنى ويحيق بهم إلا أنه
جاء على عادة الله في إخباره ولئن أذقنا الإنسان منا رحمة الإنسان للجنس وقيل هو الوليد بن

المغيرة والرحمة النعمة من صحة وأمن وجدة ثم نزعناها منه أي سلبناه تلك النعمة إنه ليؤوس
أي شديد اليأس من أن تعود إليه مثل تلك النعمة المسلوبة وقطع رجاءه من سعة فضل الله من غير
صبر ولا تسليم لقضائه ولا استرجاع كفور عظيم الكفران لما سلف له من التقلب في نعمة الله نسا له
ولئن أذقناه نعماء بعد ضراء مسته معناها أنه يبطر فيما نالها لطالب الشدة ويترك حمد الله على ما صرف
عنه وهو قوله ليقولن ذهب السيئات عني أي المصائب التي ساءتني إنه لفرح أشر بطر فخور
على الناس بما أذاقه الله من نعمائه قد شغله الفرح والفخر عن الشكر ثم ذكر الله المؤمنين فقال إلا
الذين صبروا يعني ولكن الذين صبروا على الشدة والمكاره وعملوا الصالحات في السراء والضراء
عادتهم إن نالتهم رحمة أن يشكروا وإن زالت عنهم نعمة أن يصبروا أولئك لهم مغفرة لذنوبهم
وأجر كبير وهو الجنة ولا أكبر حرمانها فلعلك تارك بعض ما يوحى إليك كان المشركون
يقترحون على رسول الله صلى الله عليه وآله آيات تعنتا لا استرشادا لأنهم لو كانوا مسترشدين لكانت
آية واحدة مما جاء به كافية في إرشادهم ومما قالوا له ائت بكتاب ليس فيه سب آلهتنا حتى نتبعك
وقال بعضهم لولا أنزل عليه كنز ينفق منه أو جاء معه ملك يشهد له بالصدق وكانوا لا يعتدون
بالقرآن ويتهاونون به فكان يضيق صدر رسول الله صلى الله عليه وآله من كونه يلقي إليهم ما لا يقبلونه
ويضحكون منه فحركه الله وهيجه لأداء الرسالة وطرح المبالاة بردهم واستهزائهم بقوله فلعلك
تارك بعض ما يوحى إليك أي لعلك تترك أن تلقيه إليهم وتبلغه إياهم مخافة ردهم له وتهاونهم به
وضائق به صدرك أن تتلوه عليهم أن يقولوا أي مخافة أن يقولوا لولا أنزل عليه كنز
أو جاء معه ملك أي هلا أنزل عليه ما طلبناه نحن من إنزال الكنز ومجيء الملائكة ولم أنزل عليه
ما لا نريده ولا نطلبه ثم قال إنما أنت نذير أي ليس عليك إلا أن تنذرهم بما أوحي إليك وتبلغهم
ما أمرت بتبليغه ولا عليك ردوا أو تهاونوا أو طلبوا والله على كل شيء وكيل يحفظ ما يقولون
وهو فاعل بهم ما يجب أن يفعل فتوكل على الله وكل أمرك إليه وعليك بتبليغ الوحي بقلب فسيح وصدر
منشرح غير ملتفت إلى استكبارهم ولا مبال بسفههم واستهزائهم قال رضي الله عنه
وعدل عن ضيق إلى ضائق ليدل على أنه ضيق عارض غير ثابت ولأنه كان رسول الله صلى الله عليه
وآله كان أفسح الناس صدرا أم يقولون أي بل أيقولون افتراه أي افترى القرآن بمعنى
كذبه وجاء به من عند نفسه قل لهم يا محمد فأتوا بعشر سور مثله في النظم والبلاغة
مفتريات أي مكذوبات من عند أنفسكم تحداهم أولا بعشر سور ثم بسورة واحدة لما يقول المتحدي
في الخط لصاحبه اكتب عشرة أسطر مثل ما أكتب فإذا تبين له العجز عن مثل خطه قال اقتصر
منك على سطر واحد ومثله بمعنى أمثاله أي بعشر سور كل واحدة منها مماثلة له في حسن النظم والبيان
ومفتريات صفة لعشر سور لما قالوا افتريت القرآن واختلقته من عند نفسك فأتوا أنتم على

دعواهم وارخى معهم العنان وقال هبوا اني اختلقته من عند نفسي ولم يوح الي وان الامر كما قلتم
فأتوا انتم بكلام مثله مختلق من عند انفسكم فانتم عرب فصحاء مثلي لا تعجزون عن مثل ما اقدر عليه من الكلام
وادعوا للاستعانة على الاتيان بمثله من استطعتم من حدبتم وامكنكم من دون الله
فلا تستعينوا به فهو قادر وحده على الاتيان بذلك ولكن استعينوا بكل من دونه ان كنتم صادقين
في انه مفترى فان لم يستجيبوا لكم فاعلموا جمع الخطاب وهو لكم فاعلموا بعد افراده في قل لان معناه
فان لم يستجيبوا لك وللمؤمنين لان رسول الله صلى الله عليه وآله والمؤمنين كانوا يتحدونهم وقد قال في
موضع آخر فان لم يستجيبوا لك فاعلم ويجوز ان يكون الجمع لتعظيم رسول الله صلى الله عليه وآله ويجوز
ان يكون الخطاب للمشركين والمعنى فان لم يستجب لكم يا مشركون من يدعونه من دون الله الى المظاهرة
على معارضته لعلمهم بالعجز عنه وان طاقتهم اقصر من ان تبلغه فاعلموا انما انزل بعلم الله اي
انزل ملتبسا بما لا يعلمه الا الله من نظم معجز للخلق واخبار بغيوب لا سبيل لهم اليه وان لا اله الا
هو اي واعلموا عند ذلك ان لا اله الا الله وحده وان توحيده واجب والاشراك به ظلم عظيم
فهل انتم مسلمون مبايعون بالاسلام بعد هذه الحجة القاطعة وهذا وجه حسن مطرد
ومن جعل الخطاب للمسلمين فمعناه فاثبتوا على العلم الذي انتم عليه وازدادوا يقينا وثبات قدم
على انه منزل من عند الله وعلى التوحيد ومعنى فهل انتم مسلمون فهل انتم مخلصون من كان يريد
الحيوة الدنيا وزينتها اي من كان مراده ومطمح همه صلاح الدنيا وتحصيل ما يتزين به فيها
من المال والبنين وسائر زينتها وشغله طلب ذلك عن صلاح آخرته نوف اليهم اعمالهم
فيها اي نوصل اليهم اجور اعمالهم وافية كاملة من غير بخس في الدنيا وهو ما يرزقون فيها
من الصحة والرزق وقيل هم اهل الرياء يقال للقراء منهم اردت ان يقال فلان قارئ فقد قيل ذلك
ولمن وصل الرحم وتصدق فعلت حتى يقال فقد قيل ولمن قاتل فقتل قاتلت حتى يقال فلان جريء فقد
قيل وعن انس هم اليهود والنصارى ان اعطوا سائلا او وصلوا رحما عجل لهم جزاء ذلك بتوسعة
في الرزق وصحة في البدن وهم فيها لا يبخسون لا ينقصون ثواب ما يستحقون فاذا وردوا
الآخرة وردوا على عاجل الحسرة اذ لا حسنة لهم هناك وهو قوله اولئك الذين ليس لهم في الآخرة
الا النار لاعراضهم في الدنيا عن اسباب النجاة وحبط ما صنعوا فيها اي وبطل ما صنعوه
في الآخرة يعني لم يكن لهم ثواب لانهم لم يريدوا به الآخرة انما ارادوا به الدنيا وقد وفي لهم ما ارادوا
وباطل ما كانوا يعملون اي كان عملهم في نفسه باطلا لانه لم يعمل لوجه صحيح والعمل الباطل لا
ثواب له وقرئ وبطل بلفظ الفعل أفمن كان على بينة من ربه ومعناه امن كان
يريد الحيوة الدنيا كمن كان على بينة اي لا يعدم طلاب الدنيا في الثواب والدرجة على من كان على
بينة اي لا يعقبونهم في المنزلة ولا يقاربونهم والمعنى ان بين الفريقين تفاوتا بعيدا وتباينا بينا

ويقدر لانه امن كان بهذه الصفة كمن ليس بهذه الصفة فترك ذكر المعادل واراد بهم من
آمن من اليهود كعبد الله بن سلام وغيره كان على بينة من ربه اي على برهان من الله وبيان ان دين الاسلام
حق وهو دليل العقل ويتلوه اي ويتبع ذلك البرهان شاهد منه اي شاهد يشهد بصحته وهو
القرآن ومعنى منه اي من الله او شاهد من القرآن ومن قبله اي ومن قبل القرآن كتاب موسى
وهو التورية اي ويتلو ذلك البرهان ايضا من قبل القرآن كتاب موسى ونصب حال كتاب
موسى بقوله اماما اي كتابا مؤتما به في الدين قدوة فيه ورحمة اي ونعمة عظيمة على المنزل
عليهم اولئك يعني من كان على بينة يؤمنون به اي بالقرآن ومن يكفر به من الاحزاب يعني اهل
مكة ومن ضامهم من المتحزبين على رسول الله صلى الله عليه وآله فالنار موعده في الآخرة فلا
تك في مرية في شك منه من القرآن او من الموعد بالنار انه الحق من ربك اي ان القرآن
او الموعد حق ولكن اكثر الناس لا يؤمنون اي لا يصدقون بانه الحق ومن اظلم ممن افترى
على الله كذبا المعنى انه لا اظلم لنفسه ممن كذب على الله بانه اتخذ ولدا وشريكا اولئك
يعني الكاذبين على الله يعرضون على ربهم اي يحبسون في الموقف كما يحبسون في
الموقف ويعرض اعمالهم ويشهد عليهم الاشهاد من الملئكة والنبيين بانهم الكاذبون على الله
بانه اتخذ ولدا او شريكا ويقول الاشهاد وهم الملئكة والانبياء والمؤمنون هؤلاء الذين كذبوا
على ربهم الا لعنة الله على الظالمين اي المشركين فيؤاخذون بها ويفضحون الذين يصدون عن سبيل
الله اي يصرفون الناس عن سلوك طريق الحق ويبغونها عوجا اي يصفونها بالاعوجاج وهي
مستقيمة وهم بالآخرة هم كافرون اي بحساب الآخرة وثوابها وعقابها جاحدون وهم الثانية لتأكيد
كفرهم بالآخرة واختصاصهم به اولئك لم يكونوا معجزين في الارض اي ما كانوا يعجزون الله في
الدنيا ان يعاقبهم لو اراد عقابهم وما كان لهم من دون الله من اولياء اي وما كان لهم من يتولاهم
فينصرهم منه ويمنعهم من عقابه ولكنه اراد انظارهم وتأخير عقابهم الى هذا اليوم وهذا من
كلام الاشهاد يضاعف لهم العذاب يعني كلما مضى ضعف جاء ضعف ما كانوا يستطيعون السمع
يعني انهم لشدة اعراضهم عن استماع الحق وكراهتهم له كانهم لا يستطيعون السمع وهو عبارة
عن تعاميهم عن الحق ويحتمل ان يريد بقوله وما كان لهم من اولياء انهم جعلوا آلهتهم اولياء من دون الله
وولايتها ليست بشيء فما كان لهم في الحقيقة من اولياء ثم بين نفي كونهم اولياء بقوله ما كانوا يستطيعون
السمع وما كانوا يبصرون وكيف يصلحون للولاية وهم لا يقدرون على سمع ولا بصر وقوله
يضاعف لهم العذاب فاصل بين الكلام لتأكيد عذاب من عبد من لا يستحق العبادة اولئك
الذين خسروا انفسهم خسرانهم انهم اشتروا عبادة الآلهة بعبادة الله وكان خسرانهم في
تجارتهم ما لا خسران اعظم منه وهو انهم خسروا انفسهم وضل عنهم اي بطل عنهم وضاع

ما افتروه وهو ما كانوا يفترون من الالهة وشفاعتها لا جرم بمعنى حق ووجب أنهم في
الآخرة هم الأخسرون اى لا ترى احدا ابين خسرانا منهم إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات اى جمعوا بين
الايمان والاعمال الصالحة وأخبتوا إلى ربهم اى اطمانوا اليه وانقطعوا الى عبادته بالخشوع
والتواضع ماخوذ من الخبت وهي الارض المطمئنة أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون
بشرهم بانهم اصحاب الجنة الملازمون لها ما الخلود في نعيمها مثل الفريقين كالأعمى والأصم والبصير
والسميع شبه فريق الكافرين بالاعمى والاصم وفريق المؤمنين بالبصير والسميع ومعناه ان حالهما
ان شبه الفريقين تشبيهين اثنين والثاني ان الشبه واحد وهو ان شبه الكافرين بمن جمع بين العمى
والصمم في عدم الانتفاع بالسمع والبصر في دلائل الحق والهدى هل يستويان يعني الفريقين
مثلا يعني شبها أفلا تذكرون اى افلا تتفكرون لتعلموا ما بينهما من التفاوت ولقد
أرسلنا نوحا إلى قومه يامرهم بالتوحيد ويقول إني لكم نذير مبين من عذاب الآخرة
ألا تعبدوا إلا الله اى انذركم لتوحدوا الله وتتركوا عبادة غيره إني أخاف عليكم ان
خالفتم وكفرتم عذاب يوم أليم مولم فقال الملأ الذين كفروا من قومه الملأ
الاشراف من قولهم فلان ملى بكذا اذا كان مطيقا له وقيل لهم ملأ لانهم مليئوا بكفايات الامور
واضطلعوا بها او لانهم يملئون القلوب هيبة والمجالس ابهة او لانهم ملأى بالاحلام والآراء
الصائبة ما نراك إلا بشرا مثلنا هذا تعريض منهم بانهم احق منه بالنبوة وان الله لو اراد
ان يجعلها في احد من البشر لجعلها فيهم فكانهم قالوا هب انك واحد من الملأ وموازن
لهم في المنزلة فما جعلك احق منهم بالنبوة بدليل قوله وما نرى لكم علينا من فضل وارادوا انه ينبغي
ان يكون ملكا لا بشرا وما نراك اتبعك إلا الذين هم أراذلنا اى اخساؤنا ويعنون الذين
لا شرف لهم ولا مال بادي الرأي ارادوا ان اتباعهم لك انما هو شيء عن لهم بديهة من غير
نظر ولا روية قال رضي الله عنه وانما استرذلوا المؤمنين لفقرهم وتأخرهم
في الاسباب الدنيوية لانهم كانوا جهالا ما كانوا يعلمون الا ظاهرا من الحيوة الدنيا فكان الاشراف
عندهم من له جاه ومال كما ترى اكثر المتسمين بالاسلام يعتقدون ذلك ويبنون عليه اكرامهم
واهانتهم ولقد زل عنهم ان التقدم في الدنيا لا يقرب احدا من الله وانما يبعده ولا يرفعه بل
يضعه فضلا ان يجعله سببا في الاختيار للنبوة والتأهيل لها على ان الانبياء عليهم السلام بعثوا
مرغبين في طلب الآخرة ورفض الدنيا مزهدين فيها مصغرين لشأنها وشأن من اخلد اليها فما
ابعد حالهم من الاتصاف بما يبعد من الله والتشرف بما هو ضعة عنده وما نرى لكم علينا من فضل
اى من زيادة شرف علينا تؤهلكم للنبوة بل نظنكم كاذبين فيما تدعونه منها قال يا قوم
أرأيتم اى اخبروني إن كنت على بينة الله اي على برهان من ربي وشاهد منه تشهد

بصحة

بصحة دعواي وآتاني رحمة من عنده هي النبوة التي تشهد بصحة دعواه او النبوة فعميت
عليكم اى خفيت لان الله سلبكم علمها ومنعكم معرفتها لعنادكم الحق وقرئ فعماها عليكم والمعنى
انهم صمموا على الاعراض عنها فخلاهم الله وتصميمهم فجعلت تلك التخلية تعمية منه ويدل عليه قوله
أنلزمكموها وأنتم لها كارهون يعني انكرهكم على قبولها ونضطركم الى معرفتها والحال انكم لها كارهون
ولا تختارونها ولا اكراه في الدين ويا قوم لا أسألكم عليه مالا اى لا اطلبكم على تبليغ الرسالة
اجرا إن أجري إلا على الله اى ما اجري في ذلك الا على الله وهو الثواب في الآخرة وما أنا بطارد الذين
آمنوا كانوا سألوه طرد المؤمنين عنه ليؤمنوا به انفة من ان يكونوا معهم على سواء فقال لا يجوز لي
طردهم اذ كانوا يلقون الله فيجزيهم بايمانهم ويأخذهم ممن طردهم او يصغر شؤونهم وهو قوله إنهم ملاقوا
ربهم اى هم مصدقون بلقائه موقنون به عالمون انهم ملاقوه لا محالة والمعنى انهم يلاقون الله فيعاقب
من طردهم او ملاقوه فيجازيهم على ما في قلوبهم من الايمان الصحيح الثابت كما ظهر لي منهم ولكني
أراكم قوما تجهلون تتسافهون على المؤمنين وتدعونهم اراذل وتجهلون انهم خير منكم ويا قوم من ينصرني
من الله اى من يمنعني من انتقامه إن طردتهم ليؤمنوا بسبب طردهم أفلا تذكرون اى افلا تتفكرون
لتعلموا ان التماسكم منهم لا يوجب طردهم ولا يمنعني من عقاب الله ان طردتهم لان اكرمكم عند الله اتقاكم
والطرد لهم يوجب عقاب الله ولا أقول لكم عندي خزائن الله معناه لا اقول لكم عندي خزائن
رزق الله فادعي فضلا عليكم في الغنى حتى تجحدوا فضلي بقولكم وما نرى لكم علينا من فضل ولا أعلم
الغيب اى ولا اقول انا اعلم الغيب حتى تنسبوني الى الكذب والافتراء او حتى اطلع على ما في نفوس اتباعي
وضمائر قلوبهم ولا أقول إني ملك حتى تقولوا لي ما انت الا بشر مثلنا ولا أقول للذين تزدري
أعينكم لن يؤتيهم الله خيرا اى ولا احكم على من استرذلتم من المؤمنين لفقرهم ان الله لن يؤتيهم خيرا في الدنيا
والآخرة لهوانهم عليه كما تقولون مساعدة لكم ونزولا على هواكم الله أعلم بما في أنفسهم اى بما
في ضمائرهم وليس علي ان اشق عن قلوبهم واتعرف سر ذلك منهم حتى اطردهم إني إذا لمن الظالمين
اى ان فعلت شيئا من ذلك او ان طردتهم تكذيبا لهم بعد ما ظهر لي منهم من الايمان ومعنى تزدري تحتقر من
زرى عليه اذا عابه وقال ازدرته عينه اى اقتحمته واستحقرته قالوا يا نوح قد جادلتنا
فأكثرت جدالنا المجادلة المخاصمة اى قد شرعت في جدالنا فاكثرته فأتنا بما تعدنا من
العذاب المعجل إن كنت من الصادقين فيما تقول قال إنما يأتيكم به الله اى ليس الاتيان بالعذاب
الي انما هو الى من كفرتم به وعصيتموه إن شاء يعني ان اقتضت حكمته ان يعجله لكم وليس تعجيله
شرطا في صدقي لانهم قالوا ان كنت من الصادقين اى ان كنت صادقا فيما تدعي من النبوة فأتنا بالعذاب
وارادوا به لكذا المبالغة في التكذيب وما أنتم بمعجزين لله ان شاء تعجيل العذاب لم تقدروا على
الامتناع منه ولا ينفعكم نصحي إن أردت أن أنصح لكم معناه ان اردت ان انصح لكم اى اجتهد

النصيحة لكم لم ينفعكم نصحي إن كان الله يريد أن يغويكم يعني الإغواء أن الله إذا عرف من
الكافر الإصرار فخلاه وشأنه ولم يلجئه سمي ذلك إغواء وإضلالا كما أنه إذا عرف منه أنه يتوب ويرعوي
فلطف به وهداه سمي إرشادا وهداية وقيل معنى أن يغويكم أي يهلككم من غوي الفصيل غوى
إذا بشم فهلك والمعنى أنكم إذا كنتم من التصميم على الكفر بالمنزلة التي لا ينفعكم نصائح الله تعالى
ومواعظه وسائر ألطافه فكيف ينفعكم نصحي هو ربكم خالقكم وسيدكم وإليه ترجعون
فله أن يتصرف فيكم ويحكم كيف شاء أم يقولون افتراه أي بل يقولون افتراه أي اختلق ما جاء به من الوحي قل
لهم يا نوح إن افتريته فعلي إجرامي معناه إن صح وثبت أني افتريته فعلي عقوبة إجرامي أي افترائي
وكان حقي حينئذ أن تعرضوا عني وتجتمعوا علي وأنا بريء مما تجرمون ۝ أي من إجرامكم في
إسناد الافتراء إلي فلا وجه لإعراضكم ومعاداتكم وأوحي إلى نوح أنه لن يؤمن من قومك
هذا إخبار له بالإياس من إيمانهم وأنه كالمحال الذي لا يتوقع إلا من قد آمن أي إلا من قد وجد منه
ما كان يتوقع من إيمانه وقد للتوقع وقد أصاب محزها فلا تبتئس أي لا تحزن حزن بائس مستكين
بما كانوا يفعلون ۝ المعنى لا تحزن بما فعلوه من تكذيبك وإيذائك ومعاداتك فقد حان وقت
الانتقام لك منهم واصنع الفلك وهي السفينة لنجاتك ونجاة من معك بأعيننا أي بمرأى
منا وحفظنا إياك حفظ من يراك ويملك دفع السوء عنك والمعنى اصنعها محفوظا ملتبسا
بأعيننا كأن معه أعينا تكلؤه أن يزيغ في صنعته عن الصواب وأن لا يحول بينه وبين عمله
أحد من أعدائه ووحينا أي وبما نوحي إليك من إلهام كيف تصنعها عن ابن عباس رضي الله عنه
لم يعلم نوح عليه السلام كيف صنعة الفلك فأوحى الله إليه أن يصنعها مثل جؤجؤ الطائر ولا
تخاطبني في الذين ظلموا أي لا تراجعني ولا تدعني في إمهالهم واستدفاع العذاب عنهم بشفاعتك
إنهم مغرقون ۝ أي محكوم عليهم بالإغراق وقد وجب ذلك وقضي به القضاء وجف القلم فلا سبيل
إلى كفه عنهم ويصنع الفلك هذه حكاية الحال الماضية التي صنع فيها نوح عليه السلام
وكلما مر عليه ملأ من قومه سخروا منه أي استهزؤوا به وضحكوا منه ومن عمله للسفينة وكان
يعملها في برية لا ماء فيها بل في أبعد موضع من الماء وفي وقت عز الماء فيه عزة شديدة فكانوا يتضاحكون
ويقولون له يا نوح صرت نجارا بعد ما كنت نبيا قال إن تسخروا منا ومن عملنا اليوم فإنا نسخر
منكم يعني في المستقبل كما تسخرون منا الساعة والمعنى إنا نسخر منكم سخرية مثل سخريتكم إذا
وقع عليكم الغرق في الدنيا والحرق في الآخرة وقيل معناه إن تستجهلونا فيما نصنع فإنا نستجهلكم
فيما أنتم عليه من الكفر والتعرض لسخط الله عز وجل وعذابه فأنتم أولى بالاستجهال منا وروي
أن نوحا عليه السلام اتخذ السفينة في سنتين وكان طولها ثلاثمائة ذراع وعرضها خمسون ذراعا
وطولها في السماء ثلاثون ذراعا وكانت من خشب الساج وجعل لها ثلاثة بطون فحمل في البطن الأول

الوحوش والسباع والهوام وفي البطن الأوسط الدواب والأنعام وركب هو ومن معه في البطن
الأعلى مع ما يحتاج إليه من الزاد وحمل معه جسد آدم وجعله معترضا بين الرجال والنساء وعن
الحسن كان طولها ألف ذراع ومائتي ذراع وعرضها ستمائة ذراع وقيل إن الحواريين قالوا لعيسى عليه السلام
لو بعثت لنا رجلا شهد السفينة يحدثنا عنها فانطلق بهم حتى انتهى إلى كثيب من تراب فأخذ كفا منه فقال أتدرون من
هذا قالوا الله ورسوله أعلم قال هذا كعب بن حام قال فضرب الكثيب بعصاه وقال قم بإذن الله
فإذا هو قائم ينفض التراب عن رأسه وقد شاب فقال له عيسى عليه السلام أهكذا هلكت قال لا مت وأنا
شاب ولكني ظننت أنها الساعة فمن ثم شبت قال أخبرنا عن سفينة نوح قال كان طولها ألف ذراع
ومائتي ذراع وعرضها ستمائة ذراع وكانت ثلاث طبقات طبقة للوحوش والدواب وطبقة للإنس
وطبقة للطير ثم قال له عيسى عد بإذن الله كما كنت فعاد ترابا فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه
هذا وعيد لهم أي فسوف تعلمون الذي يأتيه عذاب يخزيه ويعني به إياهم ويريد بالعذاب عذاب الدنيا
وهو الغرق ويحل عليه أي ينزل عليه حلول الدين والحق اللازم الذي لا انفكاك له عنه عذاب مقيم
وهو عذاب الآخرة لأنه مقيم لا يزول حتى إذا جاء أمرنا حتى غاية لقوله ويصنع الفلك أي وكان
يصنع الفلك إلى أن جاء وقت الموعد وما بين يصنع وحتى بيان لحال نوح عليه السلام في وقت صنعه
كأنه قال يصنعها والحال أنه كلما مر عليه ملأ من قومه سخروا منه فذكر ما جرى بينهم إلى أن جاء أمر
الله بإغراقهم والمعنى حتى إذا جاء أمرنا بالإغراق وفار التنور أي طلع منه الماء وهو تنور نوح
قيل كان التنور في مسجد الكوفة وقيل بالشام بموضع يقال له عين وردة وقيل بالهند وقيل
هو تنور آدم وكان من حجارة فصار إلى نوح روي أنه قيل لنوح إذا رأيت الماء يفور من التنور فاركب
أنت ومن معك في السفينة فلما نبع الماء من التنور أخبرته امرأته فركب قلنا احمل فيها من
كل زوجين اثنين أي من كل شيء له زوج ذكر وأنثى وأهلك يعني واحمل أهلك وهم ولده وعيالهم
والمؤمنون من غيرهم إلا من سبق عليه القول استثنى من أهله من كان في علم الله أنه يكفر وهي
امرأته واعلة وابنه كنعان وما سبق عليه القول بذلك إلا للعلم بأنه يختار الكفر لا لتقديره
عليه وإرادته تعالى الله عن ذلك ومن آمن يعني واحمل من صدق بك من غير أهلك وما آمن معه إلا قليل
روي عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال كانوا ثمانية نوح وامرأته المسلمة وبنوه الثلاثة ونساؤهم وعن
محمد بن إسحق كانوا عشرة خمسة رجال وخمس نسوة وقيل كانوا اثنين وسبعين رجلا وامرأة
وأولاد نوح سام وحام ويافث ونساؤهم فالجميع ثمانية وسبعون نصفهم رجال ونصفهم نساء وقال اركبوا
فيها بسم الله مجراها ومرساها يعني اركبوا فيها مسمين الله أو قائلين بسم الله وقت
إجرائها ووقت إرسائها أو أراد بسم الله إجراؤها وإرساؤها يروى أنه كان إذا أراد أن تجري
قال بسم الله فجرت وإذا أراد أن ترسو قال بسم الله فرست إن ربي لغفور رحيم أي لولا مغفرته

لذنوبكم ورحمنا اياكم لما نجاكم مما وقع به عدوكم من الغرق وهي تجري بهم في موج كالجبال يعني موج
الطوفان شبه كل موجة بالجبل في تراكمها وارتفاعها والموج ما ارتفع من الماء عند اضطرابه
وزجره قال رضي الله عنه وكان الماء قد التقى وطبق ما بين السماء والارض وكانت السفينة
تجري في الماء كما تسبح السمكة يعني جريها ان ذلك كان قبل التطبيق وقيل ان بعد الطوفان بالجبال
ولذلك قال ابنه ساوي الى جبل يعصمني من الماء ونادى نوح ابنه قيل كان اسمه كنعان وقيل يام
وقرا علي عليه السلام ابنها اي ابن امراة نوح وقيل قرا الحسن قال هاده نسل الحسن فقال والله ما كان
ابنه لقوله ان الله عز وجل حكى عنه ان ابني من اهلي وانت تقول لم يكن ابنه واهل الكتاب لا
يختلفون في انه كان ابنه فقال ومن ياخذ دينه من اهل الكتاب واستدل بقوله من اهلي ولم يقل
مني وكان في معزل يعني في مكان عزل فيه نفسه عن ابيه وعن مركب المؤمنين وقيل كان في معزل
عن دين ابيه يا بني اركب معنا قيل ناداه نوح سبع مرات ولا تكن مع الكافرين فتهلك قال ساوي
الى جبل يعصمني من الماء اي ساانضم الى مكان في جبل يمنعني من الماء فلا اغرق قال نوح مجيبا له
لا عاصم اليوم من امر الله اي لا مانع اليوم من عذاب الله وهو الغرق الذي امر به الا من رحم
اي الا الراحم وهو الله تعالى ولا عاصم اليوم من الطوفان الا من رحم الله اي الا مكان من رحم الله
من المؤمنين وذلك انه لما جعل الجبل عاصما قال له ولا يعصمك اليوم معتصم قط من جبل ونحوه سوا
معتصم وهو مكان من رحمهم الله ونجاهم يعني السفينة وقيل الا من رحمه الله فهو المعصوم وقرئ
الا من رحم بضم الراء وكسر الحاء وحال بينهما الموج بين نوح وابنه فكان ابنه من المغرقين
وقيل يا ارض ابلعي ماءك ويا سماء اقلعي اي قال الله يا ارض ابلعي اي اشربي ما فيك من
الماء ويا سماء اقلعي اي امسكي عن ارسال الماء يقال اقلع المطر اذا كف واقلعت الحمى اذا ارتفعت
قال رضي الله عنه ونداء الارض والسماء بما ينادى به الحيوان المميز ويخصصها
بالخطاب من بين سائر المخلوقات ثم امرهما بما يؤمر به اهل التمييز والعقل من قوله ابلعي ماءك
واقلعي من الدلالة على الاقتدار العظيم وان السموات والارض وهذه الاجرام العظام منقادة
لتكوينه فيها ما يشاء غير ممتنعة عليه كانها عقلاء مميزون قد عرفوا عظمته وجلاله وثوابه وعقابه
وقدرته على كل مقدور وتبينوا تحتم طاعته عليهم وانقيادهم له وهم يهابونه ويفزعون من مخالفة
امره وغيض الماء اي نقص الماء بابتلاع الارض له من غاضه اذا نقصه وقضي الامر
اي انجز ما وعد الله عز وجل من هلاك قومه واستوت اي واستقرت السفينة على الجودي
وهو جبل بالموصل وعن قتادة استقلت بهم السفينة على الماء لعشر خلون من رجب وكانت
في الماء خمسين ومائة يوم واستقرت بهم على الجودي شهرا وهبط بهم يوم عاشوراء وروي
انه امر بالسفينة فطافت بهم سبعا وقد اعتقها الله من الغرق وروي ان نوحا عليه السلام صام

يوم الهبوط وامر من معه فصاموا شكرا لله تعالى وقيل بعدا للقوم الظالمين اي هلاكا لهم
وهو مختص بدعاء السوء يقال بعد بعدا اي هلك هلاكا لان الهالك ابعد بعيد وهو دعاء عليهم
من الملائكة او من المؤمنين ونادى نوح ربه نادى اي دعا ربه فقال رب ان ابني من اهلي
اي بعض اهلي لانه كان ابنه من صلبه او كان ربيبا له فهو بعض اهله لانه محل فيه فقد ابن عباس
واكثر المفسرين انه لصلبه وقراءة علي عليه السلام والحسن البصري تقضي بانه ربيب فقط قيل والاول
اصح لظاهر الاية وان وعدك الحق اي الثابت الذي لا شك في الوفاء به وقد وعدتني ان تنجي اهلي
فانج ولدي منهم وانت احكم الحاكمين اي اعلم الحكام واعدلهم لانه لا فضل لحاكم على غيره الا بالعلم
والعدل قال رضي الله عنه ورب غريق في الجهل والجور من متقلدي الحكومة
في زمانك قد لقب اقضى القضاة ومعناه احكم الحاكمين فاعتبر واستعبر قال يا نوح انه ليس من
اهلك اي ليس من الذين وعدتك ان انجيهم انه عمل غير صالح هذا تعليل لانتفاء كونه من
اهله وجعلت ذاته عملا غير صالح مبالغة في ذمه قال رضي الله عنه وفيه اعلام بان
قرابة الدين غامرة لقرابة النسب لا حكم لها معها وان نسيبك في دينك ومعتقدك من الاباعد الاجانب
وان كان حبشيا وكنت قرشيا فهو لصيقك وخصيصك ومن لم يكن على دينك وان كان امس اقاربك
رحما فهو ابعد بعيد منك وقرا الكسائي انه عمل غير صالح اي عمل عملا غير صالح فلا تسألن ما ليس لك
به علم قرا نافع وابن عامر فلا تسألن بفتح اللام وكسر النون وتشديدها وابن كثير مثلهما الا انه فتح
النون وقرا الباقون باسكان اللام وكسر النون وتخفيفها والمعنى لا تطلب مني مطلوبا لا تعلم اصواب
هو او غير صواب حتى تقف على كنهه وذكر المسالة دليل على ان النداء كان قبل ان تغرق حين خاف عليه
وسمى نداءه سؤالا ولا سؤال فيه لانه قد تضمن معنى السؤال وان لم يصرح به لانه اذا ذكر الموعد
بنجاة اهله في الوقت الذي خاف فيه الغرق على ولده فقد سال وطلب تنجيته اني اعظك اي انهاك
ان تكون من الجاهلين جعل سؤال ما لا يعرف كنهه جهلا وغباوة ووعظه ان لا يعود اليه والى
امثاله من افعال الجاهلين قال رضي الله عنه قد وعد الله نوحا ان ينجي اهله
ولم يكن عنده ان ابنه ليس منهم ديانة فلما اشفى على الغرق تشابه عليه الامر لان العدة قد سبقت وقد عرف
ان الله حكيم لا يجوز عليه فعل القبيح وخلف الميعاد فطلب ازالة الشبهة وطلب ازالة الشبهة واجب فاعتد
فزجر وسمى سؤاله جهلا لان الله تعالى قد قدم له الوعد بانجاء اهله مع استثناء من سبق عليه القول منهم
فكان عليه ان يعتقد ان في جملة اهله من هو مستوجب للعذاب لكونه غير صالح وان كلهم ليسوا صالحين وان
لا تخالجه شبهة حين شارف ولده الغرق في انه من المستثنين لا من المستثنى منهم فعوتب على ان اشتبه
عليه ما يجب ان لا يشتبه قال رب اني اعوذ بك ان اسألك ما ليس لي به علم اي استعيذ بك
واعتصم من ان اطلب منك في المستقبل ما لا علم لي بصحته تأدبا بأدبك واتعاظا بعظتك والا تغفر لي

ما فرط مني في ذلك **وترحمني** بالتوبة علي **أكن من الخاسرين** في العمل **قيل يا نوح اهبط** اي
انزل من السفينة الى الارض **بسلام منا** اي بسلامة مسلما محفوظا من جهتنا او مسلما عليك مكرما
وبركات عليك اي ومباركا عليك والبركات الخيرات النامية وذلك انه صار ابا البشر لان
جميع من بقي كان من نسله **وعلى امم ممن معك** اي على امم ناشئة ممن معك وهي الامم والاولاد الى اخر
الدهر ويحتمل ان يراد الامم الذين كانوا معه في السفينة لانهم كانوا جماعات وقيل لهم امم
لان الامم تتشعب منهم والاول اوجه **وامم سنمتعهم** فيه حذف تقديره وممن معك امم سنمتعهم وانما
حذف لان قوله ممن معك يدل عليه والمعنى ان السلام منا والبركات عليك وعلى امم يولدون ممن معك
وممن معك امم كفار وساق سنمتعهم اي سنمتعهم بمنافع الدنيا **ثم يمسهم منا عذاب اليم** وهو عذاب
النار **وكان نوح** عليه السلام ابا للانبياء عليهم السلام والخلق بعد الطوفان منه وممن كان
معه في السفينة وقد روي انه مات كل من كان معه في السفينة غير ولده والناس كلهم اولاد نوح عليه السلام
فلبقول منوه الثلاثة اباؤهم فسام ابو العرب وفارس والروم وحام ابو السودان من المشرق الى المغرب
ويافث ابو الترك ويأجوج ومأجوج فعلى هذا نوح ادم الصغير وعن محمد بن كعب القرظي دخل في ذلك السلام
كل مؤمن ومؤمنة الى يوم القيمة وفيما بعده من المتاع والعذاب كل كافر وعن ابن زيد هبطوا
والله راض عنهم ثم اخرج منهم نسلا منهم من رحم ومنهم من عذب وقيل المراد بالامم الممتعة قوم هود وصالح
ولوط وشعيب **تلك من انباء الغيب نوحيها اليك ما كنت تعلمها انت ولا قومك** تلك اشارة
الى قصة نوح اي تلك القصة بعض اخبار الغيب نعلمكها يا محمد بالوحي كانت مجهولة لك ولقومك
من قبل هذا اي من قبل ايحائي اليك واخباري بها او من قبل هذا العلم الذي كسبته بالوحي
او من قبل هذا الوقت **فاصبر** على تبليغ الرسالة واذى قومك كما صبر نوح وتوقع في العاقبة لك
ولمن كذبك نحو ما قيض لنوح ولقومه **ان العاقبة** في الفوز والنصر والغلبة **للمتقين** قال
رضي الله عنه وفائدة قوله ولا قومك المبالغة في نفي علمه نعم انه في قومك الذي
انت منهم على كثرتهم ووفور عددهم اذا لم يعلموا هذه القصة ولا سمعوها ولا عرفوها فاولى انك لا تعلم
فما حصل لهم وهذه معجزة له صلى الله عليه واله لانه اعلام بغيب **والى عاد اخاهم هودا** اي وارسلنا
الى عاد اخاهم هودا عطف بيان له **قال يا قوم اعبدوا الله** اي اخلصوا له العبادة وحده دون
الاوثان **ما لكم من اله غيره** تخوله العبادة وتستحق التعظيم **ان انتم الا مفترون** اي
كاذبون تفترون على الله الكذب باتخاذكم الاوثان له شركاء نزه نفسه عن المطامع بقوله **يا قوم**
لا اسألكم عليه اجرا اي لا اطلبكم على ما ارسلت به اليكم اجرا ولا مالا **ان اجري** اي جزائي **الا**
على الذي فطرني اي ابتدا خلقي وذلك الاجر هو ثواب الاخرة **قال رضي الله عنه**
ما من رسول الا واجه قومه بهذا القول لان النصيحة لا يمحضها ولا امر على نفي التهمة فيها الا قطع

المطامع ومضمونها وما دام يتوهم منها لم تنجع النصيحة ولم تنفع **افلا تعقلون** حين تردون نصيحة
من لا يطلب عليها اجرا الا من الله تعالى **ويا قوم استغفروا ربكم** اي امنوا به **ثم توبوا اليه**
من عبادة غيره لان التوبة لا تصح الا بعد الايمان ثم رغبهم الله الى ذلك بذكر فايدته فقال **يرسل**
السماء عليكم مدرارا ويزدكم قوة الى قوتكم المدرار الكثير الدرور اي الصب واما قصد
استمالتهم الى الايمان وترغيبهم فيه بكثرة المطر وزيادة القوة لان القوم كانوا اصحاب زروع
وبساتين وعمارات حراصا عليها اشد الحرص فكانوا احوج شيء الى الماء وكانوا مدلين بما اوتوا
من شدة القوة والبطش والباس والنجدة مستحرزين بها من العدو ومهيبين في كل ناحية وقيل
اراد القوة على النكاح وقيل حبس عنهم القطر ثلاث سنين وعقمت ارحام نسائهم
وعن الحسن رضي الله عنه انه وفد على معوية فلما خرج تبعه بعض حجابه فقال يا ابن رسول الله اني رجل ذو مال ولا يولد
لي فعلمني شيئا لعل الله يرزقني ولدا فقال عليك بالاستغفار فكان الرجل يكثر الاستغفار حتى ربما استغفر
في يوم واحد سبعمائة مرة فولد له عشرة بنين فبلغ ذلك معوية فقال هلا سألته مم قال ذلك فوفد
الحسن وفدة اخرى فسأله الرجل فقال الم تسمع قول هود ويزدكم قوة الى قوتكم وقول نوح ويمددكم
باموال وبنين **ولا تتولوا** لا تعرضوا عني وعما ادعوكم اليه وارغبكم فيه **مجرمين** مصرين على
اجرامكم واثامكم **قالوا يا هود ما جئتنا ببينة** هذا كذب منهم وجحود للمعجزة انه كما قالت قريش لرسول
الله صلى الله عليه واله لولا انزل عليه اية من ربه مع فوت اياته الحصر والمعنى ما جئتنا بمعجزة تضطرنا
صدقك في النبوة **وما نحن بتاركي الهتنا عن قولك** اي ما نترك الهتنا صادرين عن قولك **وما**
نحن لك بمؤمنين اي وما يصح من امثالنا ان يصدقوا مثلك فيما تدعوهم اليه وهذا اقناط له من الاجابة
واظهار للياس منها **ان نقول الا اعتراك بعض الهتنا بسوء** اي ما نقول الا هذا القول وهو
ان بعض الهتنا اعتراك بسوء اي خبلك ومسك بجنون لسبك اياها وصدك عنها وعداوتك لها
مكافاة لك منها على سوء فعلك بسوء الجزاء فلذلك انت تكلم بكلام المجانين وتهذي بهذيان المبرسمين
قال رضي الله عنه وليس يبعد من اولئك ان يسموا التوبة والاستغفار خبلا وجنونا
وهم عاد اعلام الكفر واوتاد الشرك وانما العجب من قوم من المتظاهرين بالاسلام يسمعون التائب
عن ذنوبه مجنونا والمنيب الى ربه مخبلا ولم يجدهم وقفه على غير ما كانوا عليه في ايام جاهليتهم من اللهو
وما زاد الا الفرق من الالحاد اي الا ان ينبض وينبس من الزبرقة اراد ان يطلع راسه وقد دلت
احوالهم المتقدمة على ان القوم كانوا جفاة غلاظ الاكباد لا يبالون بالبهت ولا يلتفتون الى النصح
ولا تلين شكيمتهم للرشد وهذا يدل على جهل مفرط في عاد وبله متناه حيث اعتقدوا في حجارة انها
تنتصر وتنتقم ولعلهم حين اجازوا العقاب كانوا يجيزون الثواب **قال اني اشهد الله واشهدوا**
اني بريء مما تشركون من دونه اكد براءته من الهتهم وشركهم ووثقها بما جرت

به عادة الناس من ان يؤكدوا الامور بشهادة الله وشهادة الناس فقال انى اشهد الله على براءتى منكم
واشهدوا انى برىء من الذى تشركونه فى عبادتكم من دونه فكيدونى جميعا اى فكيدونى واخوانكم
على اهلاكى فى حال اجتماعكم ليتم لكم كيدكم انتم وشركاؤكم فانى لا ابالى بكم وبكيدكم ولا اخاف
معرتكم وان تعاونتم علي وانتم الاقوياء الشداد فكيف تضرنى آلهتكم وما هى الا جماد لا تضر ولا تنفع وكيف
تنتقم منى اذا نلت منها وصددت عن عبادتها ثم لا تنظرون اى لا تمهلونى ساعة واحدة قال
رضى الله عنه من اعظم الآيات ان يواجه بهذا الكلام رجل واحد امة عطاشا الى اراقة دمه
يرمونه عن قوس واحدة وما ذاك الا لثقته بربه عز وجل وانه يعصمه منهم فلا تنشب فيه مخالبهم
ومثل ذلك قال نوح لقومه ثم اقضوا الى ولا تنظرون انى توكلت على الله اى اسندت امرى اليه
واعتصمت به ربى وربكم ما من دابة الا هو آخذ بناصيتها لما ذكر توكله على الله عز وجل وثقته
بحفظه وكلاءته من كيدهم وصفه بما يوجب التوكل عليه من اشتمال ربوبيته عليه وعليهم ومن كون
كل دابة فى قبضته وملكته وتحت قهره وسلطانه والاخذ بنواصيها وهو مقدم الراس تمثيل لذلك
لان من اخذ بناصيته غيره فهو قادر عليه ان ربى على صراط مستقيم يريد انه على طريق الحق والعدل
فى ملكه لا يفوته ظالم ولا يضيع عنده معتصم به فان تولوا فقد ابلغتكم ما ارسلت به اليكم
اليكم معناه انى قد بلغتكم الرسالة والنصيحة فان اعرضوا لم اعاتب على تفريط فى الابلاغ وكنتم
محجوجين بان ما ارسلت به اليكم فقد بلغكم فابيتم الا تكذيب الرسالة ومعاداة الرسول وقوله
ويستخلف ربى قوما غيركم استئناف كلام اخبرهم به يريد ويهلككم الله ويجىء بقوم آخرين يخلفونكم
فى دياركم واموالكم ولا تضرونه بتوليكم شيئا من ضرر قط لانه لا يجوز عليه المضار والمنافع وانما
تضرون انفسكم ان ربى على كل شىء حفيظ اى رقيب عليه مهيمن فما تخفى عليه اعمالكم ولا يغفل
عن مؤاخذتكم او من كان رقيبا على الاشياء كلها حافظا لها وكانت مفتقرة الى حفظه من المضار لم
يضر مثله مثلكم ولما جاء امرنا نجينا هودا والذين آمنوا معه وكانوا اربعة
آلاف برحمة منا يريد بسبب الايمان الذى انعمنا عليهم بالتوفيق له حيث هديناهم للايمان
وعصمناهم من الكفر قال ونجيناهم من عذاب غليظ معنى تكرير التنجية انه ذكر اولا انه
حين اهلك عدوهم نجاهم ثم قال ونجيناهم من عذاب غليظ على معنى وكانت التنجية من عذاب غليظ
وكان ذلك ان الله عز وجل بعث عليهم السموم وهى ريح حارة فكانت تدخل فى انوفهم وتخرج من ادبارهم
فتقطعهم عضوا عضوا وقيل اراد بالتنجية الثانية التنجية من عذاب الآخرة ولا عذاب اغلظ منه
واشد وتلك عاد اشارة الى قبورهم وآثارهم كانه قال سيروا فى الارض فانظروا اليها واعتبروا
ثم استانف وصف احوالهم فقال جحدوا بآيات ربهم وعصوا رسله لانهم اذا عصوا رسولهم
فقد عصوا جميع رسل الله بدليل قوله لا نفرق بين احد من رسله وقيل لم يرسل الى عاد الا هود عليه السلام

وحده واتبعوا امر كل جبار عنيد الجبار الذى يفعل ما يريد من الظلم ويجبر الناس على ما يشاء
والعنيد المعاند وهو المكابر للحق مع علمه بانه حق والباطل يريد رؤساءهم وكبراءهم ودعاتهم الى
تكذيب الرسل ومعنى اتباع امرهم طاعتهم لهم واتبعوا فى هذه الدنيا لعنة ويوم القيامة اللعنة
هى عقوبة الله والبعد من رحمته ولما كانوا تابعين لرؤسائهم دون الرسل جعلت اللعنة تابعة لهم
فى الدارين تكبهم على وجوههم فى عذاب الله الا ان عادا كفروا ربهم اى جحدوه الا بعدا
لعاد قوم هود ○ بعدا دعاء عليهم بالهلاك وتكرار الا مع النداء على كفرهم والدعاء
عليهم تهويل لامرهم وتفظيع له وحث على الاعتبار بهم والحذر من مثل حالهم وفائدة الدعاء
عليهم بعد هلاكهم الدلالة على انهم كانوا مستاهلين للدعاء عليهم بالهلاك فى حال حياتهم
وقوله قوم هود عطف بيان لعاد لان عادا عادان الاولى القديمة التى هى قوم هود والقصة فيهم
والاخرى ارم يقال لها عاد الآخرة والى ثمود اخاهم صالحا اى وارسلنا الى
ثمود اخاهم صالحا قال يا قوم اعبدوا الله اى وحدوه بالعبادة دون ما تزعمون انها آلهة لكم
ما لكم من اله غيره هذا بيان لاختصاصه تعالى بالعبادة واحتج على ذلك بقوله هو انشاكم
من الارض لانه لم يشرككم فيها الا هو ولم يستعمركم فيها غيره وانشاؤهم منها خلق آدم من التراب
واستعمركم فيها اى امركم بالعمارة وهى متنوعة الى واجب وندب ومباح ومكروه فالواجب
ما يحتاج اليه الانسان لنفقته ولمن يلزمه نفقته ومؤنته والندب عمارة المساجد ومواضع القرب
والمباح عمارة الارض التى يستغنى عنها ولا يقصد بها التكاثر وزينة الدنيا والمكروه ما يراد به
الرياء والسمعة وقد كانوا ملوك فارس قد اكثروا من حفر الانهار وغرس الاشجار وعمروا الاعمار
الطوال مع ما كان فيهم من عسف الرعايا فسال نبى من انبياء زمانهم ربه عن سبب تعميرهم فاوحى
الله اليه عمروا بلادى فعاش فيها عبادى وعن معاوية بن ابى سفيان انه اخذ فى احياء الارض
فى آخر عمره فقيل له فقال ما حملنى عليه الا قول القائل ○

○ ليس الفتى بفتى لا يستضاء به ○ ولا يكون له فى الارض آثار ○

وقيل استعمركم من العمر نحو استبقاكم من البقاء وقد جعل من العمرى ومعناه اعمركم فيها
دياركم ثم هو وارثها منكم عند انقضاء آجالكم فاستغفروه من الشرك ثم توبوا اليه
اى ارجعوا اليه بالطاعة واستقيموا على توحيده وطاعته ان ربى قريب مجيب اى دانى
الرحمة سهل المطلب مجيب لمن دعاه وساله قالوا يا صالح قد كنت فينا اى فيما
بيننا مرجوا قبل هذا اى كانت تلوح فيك مخايل الخير وتظهر لنا منك امارات الرشد
وكنا نرجوك لننتفع بك وتكون مشاورا فى الامور ومسترشدا فى التدابير فلما نطقت بهذا
القول انقطع رجاؤنا عنك وعلمنا ان لا خير فيك وعن ابن عباس معنى مرجوا فاضلا

حقيرا بعد ما كنت على صفتنا وقيل معناه كنا نرجو ان تدخل في ديننا وتوافقنا على ما نحن عليه
ثم انكروا عليه بقولهم أتنهانا أن نعبد ما يعبد آباؤنا من الاوثان وإننا لفي شك
مما تدعونا إليه مريب اى موقع في الريبة وهي التهمة قال يا قوم أرأيتم إن كنت على بينة من ربي
وآتاني منه رحمة جاء بحرف الشك وكان على يقين انه على بينة لان خطابه للجاحدين فكأنه
قال قدروا اني على بينة من ربي وانني على الحقيقة وانظروا ان تابعتكم وعصيت ربي في اوامره
فمن ينصرني من الله إن عصيته اى فمن يمنعني من عذاب الله فما تزيدونني اذا خيبتموني غير
تخسير يعني تحبطون اعمالي وتبطلونها او فما تزيدونني بما تقولون لي وتحملونني عليه غير ان اخسركم
اى انسبكم الى الخسران واقول لكم انكم خاسرون ويا قوم هذه ناقة الله لكم آية
هذه ناقة الله لانها آية من آياته وانه شأن لحال الناقة اى علامة تصدقني فذروها
تأكل في أرض الله اى اتركوها تأكل ما انبته الله في ارضه فليس الارض ارضكم ولا النبات من انباتكم
ولا تمسوها بسوء اى بمكروه فيأخذكم من الله عذاب قريب اى عاجل لا يستأخر فعقروها
فقال تمتعوا اى استمتعوا بالعيش في داركم في بلدكم وتسمى البلاد الديار لانه يدار فيها
اى يتصرف وقيل في دار الدنيا ثلاثة أيام لا غير ثم يقع عليكم العذاب ذلك يعني وعد
العذاب به وعد غير مكذوب اى غير مكذوب فيه قيل عقروها يوم الاربعاء وهلكوا يوم السبت
فلما جاء أمرنا بعذابهم وهو صيحة جبريل التي تزلزلت لها الارض وتقطعت منها قلوبهم فهلكوا
نجينا صالحا والذين آمنوا معه اى والمؤمنين معه نجيناهم من العذاب الذي وقع على ثمود برحمة
منا اى بسبب الايمان الذي انعمنا عليهم بالتوفيق له ومن خزي يومئذ هذا معطوف على
نجينا لان تقديره ونجيناهم من خزي يومئذ اى من ذله ومهانته وفضيحته ولا خزي اعظم من
خزي من كان هلاكه بغضب الله وانتقامه ويجوز ان يريد بيومئذ يوم القيمة كما فسر العذاب
الغليظ بعذاب الآخرة إن ربك هو القوي القاهر لاعدائه العزيز الغالب لهم وأخذ
الذين ظلموا الصيحة يعني صيحة جبريل فأصبحوا في ديارهم جاثمين هامدين موتى لا يتحركون
كأن لم يغنوا فيها اى هلكوا وعدموا كأنهم لم يقيموا في ديارهم من شهرا مرهم في الكفر
قال ألا إن ثمود كفروا ربهم اى جحدوه وجحدوا نعمته ألا بعدا لثمود اى الا
هلاكا لهم من البعد وهو الهلاك ولقد جاءت رسلنا إبراهيم يريد الملائكة
عن ابن عباس جاء جبريل وملكان معه وقيل جبريل وميكائيل واسرافيل وقيل كانوا تسعة وعن
السدي احد عشر بالبشرى هي البشارة بالولد وقيل بهلاك قوم لوط والظاهر هو الولد
قالوا سلاما اى سلمنا عليك سلاما قال سلام اى امركم او عليكم سلام فما لبث أن جاء
بعجل حنيذ اى فما لبث في المجيء به بل عجل فيه او فما لبثه والعجل ولد البقرة ويسمى الحسيل

والحسيل بلغة اهل السراة وكان مال ابراهيم صلوات الله عليه البقر والحنيذ المشوي بالرضف
في اخدود وقيل حنيذ يقطر دسمه من حنذت الفرس اذا القيت عليه الجل حتى يقطر عرقا
فلما رأى أيديهم لا تصل إليه نكرهم اى انكرهم قيل كان ينزل في طرف من الارض فخاف ان يريدوا
به مكروها وقيل كانت عادتهم ان الضيف اذا لم يطعم من طعامهم امنوه والا خافوه والظاهر
انه احس بانهم ملائكة ونكرهم لانه تخوف ان يكون نزولهم لامر انكره الله عليه او لتعذيب
قومه وأوجس منهم خيفة اى اضمر منهم خوفا ولم يأمن ان يكونوا جاؤوا للبلاء فلما لم يتحرموا الطعام
فلما رأوا علامة الخوف في وجهه قالوا لا تخف إنا أرسلنا إلى قوم لوط بالعذاب وانما
قالوا لا تخف لانهم رأوا اثر الخوف في وجهه او عرفوه بتعريف الله او علموا ان علمه بانهم
ملائكة موجب للخوف لانهم كانوا لا ينزلون الا بالعذاب وامرأته سارة قائمة قيل كانت قائمة
وراء الستر تسمع تحاورهم وقيل كانت قائمة على رؤوسهم تخدمهم وفي مصحف عبد الله وامرأته
قائمة وهو قاعد فضحكت سرورا بزوال الخيفة او بهلاك اهل الخبائث او كان ضحكها ضحك
انكار لغفلتهم وقد اظلهم العذاب وقيل كانت تقول لابراهيم اضمم لوطا ابن اخيك اليك
فاني اعلم انه ينزل بهؤلاء القوم عذاب فضحكت سرورا لما اتى الامر على ما توهمت وقيل ضحكت
اى فحاضت قال الفراء ولم اسمعه من ثقة فبشرناها بإسحق قيل كان ابراهيم قد ولد له
من هاجر اسمعيل وكبر وشب فتمنت سارة ان يكون لها ابن وايست من ذلك لكبر سنها فبشرت
على كبر السن بولد يكون نبيا ويلد نبيا وهو قوله ومن وراء إسحق يعقوب اى ومن بعد
اسحق يعقوب مولود من بعده لانه يعقوب بن اسحق وقيل بشروها بانها تلد اسحق وانها تعيش
الى ان ترى ولد ولده والوراء هاهنا بمعنى بعد وقيل الوراء ولد الولد قالت سارة يا ويلتا
اصله يا ويلتي اضافة الويل الى نفسها تعجبا ثم قلبت الياء الفا كما يقال يا عجبا وقرأ الحسن
يا ويلتي بالياء على الاصل أألد وأنا عجوز استفهام تعجب وهذا بعلي شيخا اى في
حال الشيخوخة قيل بشرت ولها تسعون سنة ولابراهيم مائة وعشرون سنة إن هذا
الذي يذكرونه من الولد بيننا لشيء عجيب ان يولد ولد من هرمين وهو استبعاد من حيث
العادة التي اجراها الله قيل قالت سارة لجبريل ما علامة هذا فأخذ عودا يابسا فلواه
بين اصابعه فاهتز واخضر قالوا أتعجبين من أمر الله اى من قضائه وقدرته وانما
انكرت عليها الملائكة تعجبها لانها كانت في بيت الآيات ومهبط المعجزات والامور الخارقة
للعادات فكان عليها ان تتوقر ولا يزدهيها ما يزدهي سائر النساء الناشئات في غير بيوت النبوة
وان تسبح الله وتمجده مكان التعجب والى ذلك اشارت الملائكة صلوات الله عليهم في قوله
رحمت الله وبركاته عليكم أهل البيت ارادوا ان هذه وامثالها مما يكرمكم به رب العزة

وخصكم بالانعام به يا اهل بيت النبوة فليس بمكان عجب وقوله **رحمة الله وبركاته عليكم** كلام
مبتدى علل به انكار التعجب كانه قيل اياك والتعجب فان امثال هذه الرحمة والبركة متكاثرة
من الله عز وجل عليكم وقيل الرحمة النبوة والبركات الاسباط من بني اسرائيل لان الانبياء منهم وكلهم
كانوا من ابراهيم وسارة و**اهل البيت** منصوب على النداء او على الاختصاص لان اهل البيت
مدح لهم ان المراد اهل بيت خليل الرحمن **انه حميد** اي محمود في افعاله فاعل ما يستوجب به
الحمد من عباده **مجيد** كريم كثير الاحسان اليهم **فلما ذهب عن ابراهيم الروع** وهي الخيفة
التي اوجسها حين انكر اضيافه **وجاءته البشرى** باسحق ويعقوب **يجادلنا** اي اقبل واخذ يجادلنا
والمعنى فلما امن ابراهيم وملي سرورا بالبشرى حين واخذ اعلينا واخذ يجادلنا **في قوم لوط**
والمعنى يجادل رسلنا ومجادلته اياهم انهم قالوا انا مهلكوا اهل هذه القرية فقال ابراهيم ان كان
فيها خمسون رجلا من المؤمنين اتهلكونها قالوا لا قال فاربعون قالوا لا قال فثلاثون قالوا
لا حتى بلغ العشرة قالوا لا قال ارأيتم ان كان فيها مسلم اتهلكونها قالوا لا فعند ذلك قال ان فيها
لوطا قالوا نحن اعلم بمن فيها لننجينه واهله وعن ابن عباس قال له ان كان فيهم خمسة يصلون رفع
عنهم العذاب وعن قتادة ما قوم لا يكون فيهم عشرة فيهم خير **وقيل كان فيها اربعة**
الاف الف انسان **ان ابراهيم لحليم** اي غير عجول على كل من اساء اليه **اواه** كثير
التأوه من الذنوب كما يتوجع المريض **منيب** تائب راجع الى الله تعالى عما يحبه ويرضى وهذه الصفات
دالة على رقة القلب والرأفة والرحمة فبين ان ذلك مما حمله على المجادلة فيهم رجاء ان يرفع عنهم
العذاب ويمهلوا لعلهم يحدثون التوبة والانابة كما حمله ذلك على الاستغفار لابيه الكافر **يا ابراهيم**
اي قالت الملائكة يا ابراهيم **اعرض عن هذا** الجدال وان كانت الرحمة عادتك فلا فائدة لك
الجدال **انه قد جاء امر ربك** اي قضاؤه وحكمه الذي لا يصدر الا عن صواب وحكمة وتدبير
ومصلحة **وانهم آتيهم عذاب غير مردود** اي وان العذاب نازل بالقوة لا محالة ولا مرد له
بجدال ولا دعاء ولا غير ذلك **ولما جاءت رسلنا لوطا سيء بهم** اي خزن بمجيئهم وساءه
وصولهم لانه رآهم في احسن صورة واجمل خلقة واطيب رائحة وحسب انهم اناس فخاف عليهم خبث
قومه وعلم انه يحتاج الى المدافعة عنهم وانه يعجز عن مقاومة قومه ومدافعتهم وكانت الملائكة
قد اتته في صورة الاضياف **وضاق بهم ذرعا** اي صدرا وعظم المكروه عليه **وقال**
هذا يوم عصيب اي شديد من عصبه اذا شده وروي ان الله تعالى قال للملائكة لا تهلكوهم
حتى يشهد عليهم لوط اربع شهادات فلما مشى معهم منطلقا بهم الى منزله قال لهم اما بلغكم امر
هذه القرية قالوا وما امرهم قال اشهد بالله انها لشر قرية في الارض عملا قال ذلك اربع
مرات فدخلوا معه منزله ولم يعلم بذلك احد فخرجت امرأته فاخبرت بهم قومها فلما علموا

بمجيء قوم حسان الوجوه اضيافا للوط قصدوا داره وذلك قوله **وجاءه قومه يهرعون اليه**
اي يسرعون الى بيته قيل لما اضافهم لوط عليه السلام مضت امرأته عجوز السوء فقالت لقومه لقد
استضاف لوطا قوم لم ار احسن وجوها منهم فجاءوه يسرعون اليه **ومن قبل كانوا يعملون**
السيئات اي ومن قبل ذلك الوقت كانوا يعملون الفواحش ويكثرونها فمردوا عليها واعتادوها وقل
عندهم استقباحها فلذلك جاءوا اليه مجاهرين لا يكفهم حياء وقيل معنى ومن قبل اي قد عرف
لوط عادتهم في عمل الفواحش قبل ذلك **قال يا قوم هؤلاء بناتي** اراد ان يقي اضيافه
ببناته وكان ذلك غاية الكرم وكان تزويج المسلمات من الكفار جائزا كما زوج رسول الله صلى الله عليه وسلم
ابنتيه من عتبة بن ابي لهب وابي العاص بن الربيع قبل الوحي وهما كافران **هن اطهر لكم** مما
تريدون من الفواحش ومن نكاح الرجال **فاتقوا الله** بما اشار عليهم **ولا تخزون** اي ولا
تفضحوني ولا تفضحوني من الخزي ولا تخجلوني من الخزاية وهي الحياء **في ضيفي** اي في حق ضيوفي لانهم
اذا هجموا على اضيافه بالمكروه لحقته الفضيحة واذا اخزي ضيف الرجل او جاره فقد خزي **قال**
رسول الله وذلك من غاية الكرم واضافه المروءة **اليس منكم رجل رشيد** اي رجل
واحد يهتدي الى سبيل الحق وفعل الجميل والكف عن السوء والمكروه ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر
قالوا لقد علمت ما لنا في بناتك من حق اي لسن لنا بازواج فنستحقهن وقيل لما اتخذوا اتيان الذكور
مذهبا ودينا لتواطؤهم عليه كان عندهم انه هو الحق وان نكاح الاناث من الباطل لكونه على خلاف
مذهبهم فيجوز ان يقولوه على وجه الخلاعة والغرض نفي الشهوة عن البنات لذلك قالوا **وانك لتعلم**
ما نريد من اتيان الذكور وما لنا فيه من الشهوة **قال لو ان لي بكم قوة** اي لو ان معي جماعة اقوى
بها عليكم وجواب لو محذوف والمعنى لو ان لي بكم قوة تمنعني وتنصرني لحلت بينكم وبين المعصية
ولفعلت وصنعت **او آوي** اي انضم **الى ركن شديد** اي الى قوي استند اليه وامتنع به
فيحميني منكم شبه القوي العزيز بالركن من الجبل في شدته ومنعته فقالت له الملائكة عند ذلك
وقد عظم عليه يا لوط ان ركنك لشديد **وفي الحديث عن النبي صلى الله عليه وآله**
قال رحم الله اخي لوطا كان يأوي الى ركن شديد وروي ان لوطا عليه السلام اغلق بابه حين جاءوا اليه
وجعل يرادهم ما حكى الله عنه ويجادلهم من وراء الباب والنهي عن اخزائه في ضيفه فتسوروا الجدار
فلما رأت الملائكة ما لقي لوط عليه السلام من الكرب **قالوا يا لوط انا رسل ربك** لنصرتك
عليهم **لن يصلوا اليك** بسوء ومكروه وانا نحول بينهم وبين ذلك فافتح الباب ودعنا واياهم
ففتح الباب فدخلوا فاستأذن جبرئيل ربه في عقوبتهم فاذن له فقام في الصورة التي يكون فيها
فنشر جناحه وله جناحان وعليه وشاح منظوم وهو براق الثنايا فضرب بجناحه وجوههم
وطمس اعينهم فاعماهم الله فصاروا لا يعرفون الطريق فخرجوا وهم يقولون النجا النجا فان في بيت

هود
هود ابو بناته ... لم ... ... عليه وسلم

لوط قوما مجرمين ولما اراد الله تعالى اهلاكهم واستيصالهم امر لوطا بالخروج من بينهم
بقوله فاسر باهلك قيل لم يؤمن بلوط على نبينا وعليه السلام الا ابنتاه الكبرى اسمها رية والصغرى عروبة
والمراد بالاهل ابنتاه بقطع من الليل والقطع طائفة من الليل ولا يلتفت منكم احد
اي لا ينظر وراءه اذا خرج من قريته الا امراتك فلا تسر بها وخلفها مع قومها فان هواها اليهم
وفي امراتك قراءتان النصب والرفع فمن نصب جعلها مستثناة من الاهل على معنى فاسر باهلك الا امراتك
ومن رفع كان المعنى ولا يلتفت منكم احد الا امراتك قيل كانت مع لوط حين خرج من القرية فلما
سمعت هدة العذاب التفتت وقالت يا قوماه فاصابها حجر وهو قوله انه مصيبها ما اصابهم
من العذاب لكفرها ان موعدهم الصبح اي نزول العذاب عليهم وروي انه قال لهم متى موعد
هلاكهم قالوا الصبح فقال اريد اسرع من ذلك يا جبريل فقالوا له اليس الصبح بقريب فلما جاء امرنا
الى الملائكة بالعذاب جعلنا عاليها سافلها الضمير يعود الى المؤتفكات وذلك ان جبريل
عليه السلام ادخل جناحه تحت مدائن قوم لوط حتى قلعها ورفعها الى السماء حتى سمع اهل السماء نباح
الكلاب وصياح الديكة وهيو الجرم لم يسقط لهم جرة ولم ينكسر لهم اناء وكان الطير يحرج في
الهوى فلا يدري اين يذهب ثم قلبها عليهم مكانها واتبعوا الحجارة من فوقهم وهو قوله وامطرنا
عليها حجارة من سجيل اي من طين مطبوخ حتى صار كالآجر وقيل حجارة صلبة لتشد
حتى الثلج والبرد وقيل هي كلمة معربة من سنك وكل بالفارسية منضود متتابع يرسل
بعضه في اثر بعض وقيل نضد في السماء نضدا معدا للعذاب مسومة معلمة للعذاب تعرف
انها ليست من حجارة الدنيا وعن الحسن كانت معلمة ببياض وحمرة وقيل كان مكتوب على كل
واحد اسم من يرمى به عند ربك اي في خزائنه التي لا يتصرف في شيء منها الا باذنه وما هي
من الظالمين ببعيد يعني كفار قريش وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه سأل جبريل عليه السلام عن هذه
الآية فقال يعني ظالمي امتك ما من ظالم منهم الا وهو بعرض حجر يسقط عليه من ساعة الى ساعة
وقيل الضمير في وما هي للقرى قرى قوم لوط اي هي قريبة من ظالمي مكة يمرون بها في اسفارهم فليعتبروا
والى مدين اخاهم شعيبا اي وارسلنا الى مدين اخاهم شعيبا قال يا قوم اعبدوا
الله ما لكم من اله غيره ولا تنقصوا المكيال والميزان هذا تعليل لتوحيده واختصاصه
بالعبادة واهل مدين قوم شعيب ومدين اسم قبيلتهم سميت بمدين بن ابرهيم وكانوا اهل تطفيف
ونقص في الكيل والوزن فنهاهم عنه وقال اني اراكم بخير اي بثروة وسعة تغنيكم عن التطفيف
او معناه اراكم بنعمة من الله حقها ان تقابل بالشكر ونعم ما تفعلون او اراكم بخير فلا تزيلوه
عنكم بما انتم عليه من الظلم واني اخاف عليكم عذاب يوم محيط اي مهلك واصله من احاطة العدو
وهو يوم القيمة ووصف اليوم بالاحاطة ابلغ من وصف العذاب بها لان اليوم زمان يشتمل على

الحوادث فاذا احاط بما يقع فيه من العذاب فقد اجتمع للمعذب جميع ما اشتمل عليه منه ويا قوم
اوفوا المكيال والميزان نهاهم اولا عن القبيح الذي كانوا عليه من نقص المكيال والميزان لان في
التصريح بالقبيح نعيا على الفاعل وتعييرا له ثم امرهم بالايفاء الذي هو حسن في العقول
مصرحا بلفظ الامر لزيادة الترغيب فيه وقال بالقسط اي بالعدل والتسوية لان ما جاوز العدل
فضل ومندوب اليه وفيه اشارة الى ان الموفي عليه ان ينوي بالوفاء القسط ولا تبخسوا الناس اشياءهم
البخس هو النقص والظلم وكانوا ياخذون من كل شيء يباع شيئا كما تفعل السماسرة او كانوا يمكسون
من اثمان ما يشترون من الاشياء او كانوا يمكسون الناس فنهوا عن ذلك قال ابن عباس انكم معشر
الاعاجم قد وليتم امرين هلك بهما من كان قبلكم من الامم المكيال والميزان وكان ابن عمر يمر بالبائع فيقول
اتق الله اوف الكيل والوزن ولا تعثوا في الارض مفسدين العثي اشد الفساد والعثي
في الارض نحو السرقة والغارة وقطع السبل ويجوز ان يجعل التطفيف والبخس عثيهم في
الارض بقيت الله اي ما يبقى لكم من الحلال بعد التنزه عما هو حرام عليكم خير لكم مما انتم عليه
ان كنتم مؤمنين اي بشرط ان تؤمنوا قال رضي الله عنه وشرط الايمان لظهور
فائدتها معه من حصول الثواب مع النجاة من العقاب والا فبقية الله خير للكفرة ايضا لانهم يسلمون
من عقاب التطفيف والبخس لكن فائدة البقية معهم في حكم المعدومة لانغماسهم في غمار الكفر
وفيه تنبيه على عظم الايمان وجلالة شانه ويجوز ان يراد ان كنتم مصدقين لي فيما اقول لكم وانصحكم
به ولا يشترط حقيقة الايمان واضاف البقية الى الله من حيث انها رزقه الحلال الذي يجوز
ان يضاف اليه واما الحرام فلا يضاف الى الله ولا يسمى رزقا وقرئ تقية بالتاء اي تقواه ومراقبته
التي تصرف عن المعاصي والقبائح وما انا عليكم بحفيظ اي وما بعثت لاحفظ عليكم اعمالكم
واجازيكم عليها وانما بعثت مبلغا ومنبها على الخير وناصحا وقد اعذرت حين انذرت قالوا يا
شعيب اصلواتك تامرك ان نترك ما يعبد اباؤنا او ان نفعل في اموالنا ما نشاء كان
شعيب عليه السلام كثير الصلوات وكان قومه اذا راوه يصلي تغامزوا وتضاحكوا فقصدوا
بقولهم اصلواتك تامرك السخرية والهزء والصلوة وان جاز ان يكون امرة على طريق المجاز كما
كانت ناهية في قوله ان الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر الا انهم ساقوا الكلام مساق الطنز
والسخرية وجعلوا الصلوة امرة على سبيل التهكم بصلوته وارادوا ان هذا الذي تامر به
من ترك عبادة الاوثان باطل ولا وجه لصحته وان مثله لا يدعوك اليه داع عقل ولا يامرك به
امر فطنة فلم يبق الا ان يامرك به امر هو من نحو وسوسة شيطان وهو صلواتك التي تداوم عليها
في ليلك ونهارك وعندهم انها من باب الجنون ومما يتولع به المجانين ومعنى تامرك ان نترك اي
تامرك بتكليف ان نترك ما يعبد اباؤنا من الاوثان فحذف المضاف الذي هو تكليف وهو شرط اذ

لان الانسان لا يومر بفعل غيره والمعنى ا امرك ان نكلفنا على ترك ما يعبد اباؤنا او على ترك ان نفعل
في اموالنا ما نشاء بقطع الامر فيه على رايك وهوى او ان نفعل في اموالنا ما نشاء بالخطاب
وهو ما كان امرهم من ترك التطفيف والبخس والاقتناع بالحلال القليل عن الحرام الكثير
وقيل كان نهاهم عن حذف الدراهم والدنانير وقطعها واراد بقولهم انك لانت الحليم الرشيد
نسبته الى غاية السفه والجهل فعكسوا ليستهزؤا به كما يقال للشحيح عظيم البخل لو ابصرك
حاتم لسجد لك وقيل معناه لانك لانت المتواصف بالحلم والرشد في قومك يعنون انما امرتنا به لا
يطابق حالك وما شهرت به من الحلم والرشد قال يا قوم ارايتم ان كنت على بينة من ربي اي بيان
وحجة ورزقني منه اي من لدنه رزقا حسنا اي حلالا طيبا وذلك انه كان
كثير المال وقيل هو النبوة والحكمة وجواب ان محذوف ومعنى الكلام يدل عليه والمعنى اخبروني
ان كنت على حجة واضحة ويقين من ربي وكنت نبيا على الحقيقة ايصح لي الا امركم بترك عبادة الاوثان
والكف عن المعاصي والانبياء لا يبعثون الا لذلك وما اريد ان اخالفكم الى ما انهاكم
عنه اي لست انهاكم لاستبد به دونكم عن شيء وادخل فيه وانما اختار لكم ما اختار لنفسي ان اريد
الا الاصلاح اي ما اريد الا ان اصلحكم بموعظتي ونصيحتي وامري بالمعروف ونهيي عن المنكر
ما استطعت اي مدة استطاعتي للاصلاح وما دمت متمكنا منه لا آلوه جهدا وما توفيقي الا
بالله اي وما كوني موفقا لاصابة الحق فيما اتي واذر ووقوعه موافقا لرضا الله الا بمعونته وتاييده
والمعنى انه استوفق ربه في امضاء الامر على سننه وطلب منه التاييد والاظهار على عدوه وفي
ضمنه تهديد للكفار وقطع لاطماعهم فيه عليه توكلت واليه انيب ارجع في المعاد ۝
ويا قوم لا يجرمنكم شقاقي اي لا يكسبنكم خلافي وعداوتي ان يصيبكم
عذاب العاجلة مثل ما اصاب قوم نوح من الغرق او قوم هود من الريح العقيم
او قوم صالح من الرجفة والصيحة والمعنى لا يكسبنكم عداوتي اصابة العذاب لكم
مثل ما اصاب قوم هؤلاء الاصابة بعداوتهم لانبيائهم وقرا ابن كثير لا يجرمنكم بضم الياء اي
لا يجعلنكم شقاقي كاسبين اصابة عذاب مثل ما اصاب هؤلاء قال رضي الله عنه
والقراءتان مستويتان في المعنى لا تفاوت بينهما الا ان المشهورة افصح وما قوم لوط منكم ببعيد
يعني انهم اهلكوا في عهد قريب من عهدكم فهم اقرب الهالكين منكم فاعتبروا واتعظوا او لا
يبعدون منكم في الكفر والمساوي وما يستحق به الهلاك فاحذروا مثل هلاكهم واستغفروا ربكم
اي امنوا به ثم توبوا اليه اي توصلوا اليه بالتوبة فانها لا تصح الا مع الايمان ثم رغبهم بقوله
ان ربي رحيم باوليائه ودود عظيم الرحمة للتائبين فاعل بهم ما يفعل البليغ المودة من الود
من الاحسان والاجمال قالوا يا شعيب ما نفقه اي ما نفهم كثيرا مما تقول

والبعث وما يامرهم به من الركوع وترك البخس لانهم كانوا لا يلقون اليه اذهانهم رغبة
عنه وكراهة له او كانوا يفقهونه ولكنهم لم يقبلوه فكانهم لا يفقهون وقالوا ذلك على وجه
الاستهانة كما يقول الرجل لصاحبه اذا استخف بحديثه ما ادري ما تقول او جعلوا كلامه
هذيانا وتخليطا لا ينفعهم كثير منه وكيف لا يفهم كلامه وهو خطيب الانبياء وانا لنراك
فينا ضعيفا لا قوة لك ولا عز فيما بيننا ولا تقدر على الامتناع منا ان اردنا بك مكروها
ولولا رهطك عشيرتك والرهط من الثلاثة الى العشرة وقيل الى السبعة وانما قالوا
ولولاهم احتراما لهم واعتدادا بهم لانهم كانوا على ملتهم لا خوفا من شوكتهم وعزتهم لرجمناك
لقتلناك شر قتلة وهي القتل بالرجم وما انت علينا بعزيز اي لا تعز علينا ولا تكرم حتى نكرمك
من القتل ونرفعك عن الرجم وانما تعز علينا رهطك لانهم من اهل ديننا لم يختاروك علينا
ولم يتبعوك دوننا فهم السبب في امتناعنا منك قال يا قوم ارهطي اعز عليكم من الله اي اهم
اعظم حرمة وامنع عليكم من الله حيث تركتموني لهم دون الله كانه يقول حفظكم اياي في الله اولى
منه في رهطي واتخذتموه وراءكم ظهريا الظهري الشيء الذي ينساه ويغفل عنه منسوب
الى الظهر اي نسيتموه وجعلتموه كالشيء المنبوذ لا تعبأون به والمعنى انكم نبذتموه خلف ظهوركم
واستعظمتم قبيلتي مخافة قومي والله اعز واكبر من جميع خلقه وقيل يعني يعظمون امر رهطي
ويتركون ان يعظموا الله ويخافوه ان ربي بما تعملون محيط بالعلم خبير قد احاط
باعمالكم علما فلا يخفى عليه شيء منها ثم هددهم فقال ويا قوم اعملوا على مكانتكم اي اعملوا
قادرين على جهتكم التي انتم عليها من الشرك والشنآن لي واعملوا متمكنين من عداوتي مطيقين
لها اني عامل على قدر ما يوتيني الله من النصرة والتاييد عليكم سوف تعلمون من
ياتيه اي سوف تعلمون اينا ياتيه عذاب يخزيه اي يذله ويفضحه ومن هو كاذب
اي واينا هو كاذب او معناه سوف تعلمون الشقي الذي ياتيه عذاب يخزيه والذي هو كاذب منا
وارتقبوا اي وانتظروا العاقبة وما اقول لكم اني معكم رقيب اي منتظر والرقيب
بمعنى المراقب ولما جاء امرنا وهو انزال العذاب عليهم نجينا شعيبا والذين امنوا
معه برحمة منا وهو توفيقهم للايمان واخذت الذين ظلموا الصيحة هي العذاب صاح بهم جبريل
عليه السلام فزهق روح كل واحد منهم في مكانه فاصبحوا في ديارهم جاثمين الجاثم اللازم لمكانه
لا يبرح كأن لم يغنوا فيها اي كأن لم يقيموا في ديارهم احياء متصرفين مترددين الا بعدا لمدين
كما بعدت ثمود البعد الهلاك والمعنى الا هلاكا لمدين كما هلكت ثمود وقرئ بعدت بضم العين
والمعنى واحد وهو البعد الذي هو نقيض القرب الا انهم ارادوا التفرقة بين البعد من

جهة الهلاك وبئس للبعد من غيره فكرروا النعس في بعدا للهلاك وقيل معناه بعدا لهم من
رحمة الله كما بعدت ثمود منها ولقد أرسلنا موسى بآياتنا مريد التورية وما انزل فيها من
الاحكام وسلطان مبين يحتمل ان يراد ان هذه الايات فيها سلطان مبين لموسى على صدق
نبوته وان يراد بالسلطان المبين العصا لانها اظهرها الى فرعون وملئه اي اشراف قومه لان
الرسالة تكون الى الاكابر المتبعين فاتبعوا أمر فرعون في ضلالته وكفره وما أمر
فرعون برشيد اي يرشد الى خير وهذا تجهيل لمتبعيه حيث شايعوه على امره وهو ضلال
مبين لا يخفى على من فيه ادنى مسكة من العقل وذلك انه ادعى الالهية وهو بشر مثلهم وجاهر
بالعسف والظلم والشر الذي لا ياتي الا من شيطان مارد ومثله بمعزل عن الالهية ذاتا وافعالا
فاتبعوه وسلموا له دعواه وتابعوا على طاعته والامر الرشيد الذي فيه رشد اي وما في امره
رشد انما هو غي صريح وضلال ظاهر وانما يتبع العقلاء من يرشدهم ويهديهم لا من يضلهم ويغويهم
يقدم قومه يوم القيامة يقال قدمه بمعنى تقدمه اي كان قدوة لهم في الضلال كذلك يتقدمهم
الى النار وهم يتبعونه فأوردهم النار اي يدخلهم وقال فاوردهم ولم يقل فيوردهم لما فيه
من الدلالة على انه كائن لا محالة لان الماضي يدل على امر موجود مقطوع به فكانه قيل يقدمهم
فيوردهم النار لا محالة وبئس الورد المورود الورد المورد والمورود الذي وردوه شبه
فرعون بالفارط الذي يتقدم الواردة الى الماء وشبه اتباعه بالواردة ثم قيل بئس الورد
الذي يردونه النار لان الورد انما يراد لتسكين العطش وتبريد الاكباد والنار ضد ذلك
وأتبعوا في هذه الدنيا لعنة اي يلعنون في الدنيا ويوم القيامة اي ويلعنون في الاخرة
بئس الرفد المرفود رفدهم اي بئس العون المعان اعينوا به من اللعنة وذلك ان اللعنة
في الدنيا رفد للعذاب اي اعانة له وزيادة فيه وقد رفدت باللعنة في الاخرة وقيل بئس
العطاء المعطى اي بئس ما رفدوا من اللعن لان الرفد معناه العطاء ذلك يعني ما تقدم
من الخبر من أنباء القرى اي من اخبار القرى المهلكة نقصه عليك اي نخبرك بها
اي ذلك الحديث للقصص المقدمة بعض انباء القرى المهلكة مقصوص عليك بالوحي منها
قائم وحصيد الضمير للقرى اي بعضها باق وبعضها عافي الاثر كالزرع القائم على ساقه
والذي قد حصد وما ظلمناهم اي باهلاكنا اياهم ولكن ظلموا أنفسهم بارتكاب ما به
اهلكوا فما أغنت عنهم آلهتهم التي يدعون من دون الله من شيء اي فما قدرت الهتهم
التي يعبدونها من دون الله ان ترد عنهم من عذاب الله من شيء لما جاء أمر ربك وهو عذابه
ونقمته وما زادوهم غير تتبيب اي تخسير يقال تبب اذا اخسر وتببه غيره اذا اوقعه في

الخسران والهلاك وكذلك اي ومثل ذلك الاخذ أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة
اي اخذها حال ظلم اهلها إن أخذه للظالمين أليم شديد اي شديد وجيع صعب على من
الله قال رضي الله عنه وهذا تحذير من وخامة عاقبة الظلم لكل
اهل قرية ظالمة من كفار مكة وغيرها بل لكل من ظلم او نفسه بذنب يقترفه فعلى كل من اذنب
ان يحذر اخذ ربه الاليم الشديد فيبادر التوبة ولا يغتر بالامهال إن في ذلك اشارة
الى ما قص الله من قصص الامم الهالكة بذنوبهم لآية اي لعبرة وموعظة لمن خاف عذاب
الآخرة لانه اذا راى عظم ما نزل بالمجرمين في الدنيا وما هو الا نموذج مما اعد لهم في الاخرة اعتبر
به عظم العذاب الموعود فيكون له عبرة وعظة ولطفا في زيادة التقوى والخشية من الله
ذلك يوم مجموع له الناس يعني يوم القيمة لما فيه من الحساب والثواب والعقاب
وذلك يوم مشهود اي يشهد فيه الخلائق الموقف لا يغيب عنه احد والمراد بالمشهود الذي
كثر شاهدوه لان الغرض وصف ذلك اليوم بالهول والعظم وتمييزه من بين الايام فان جعلته
مشهودا في نفسه فسائر الايام كذلك مشهودات كلها ولكن يجعل مشهودا فيه حتى يحصل
التمييز كما يميز يوم الجمعة عن ايام الاسبوع بكونه مشهودا فيه دونها ولا يصح ان يكون مشهودا في
نفسه لان ايام الاسبوع مثله يشهدها كل من يشهده وما نؤخره إلا لأجل معدود اي
الا لانتهاء مدة معلومة لان العد انما هو للمدة لا لغايتها ومنتهاها يوم يأت يعني ذلك
اليوم لا تكلم نفس إلا بإذنه قيل يعفون من الكلام الا بالحق وهو ما دون فيه فمنهم
يعني اهل الموقف ولم يذكروا لان ذلك معلوم شقي وسعيد الشقي الذي وجبت له
النار لاساءته والسعيد الذي وجبت له الجنة لاحسانه فأما الذين شقوا ففي النار لهم
فيها زفير وشهيق الزفير اخراج النفس والشهيق رده وهما من اصوات المكروب المحزون
خالدين فيها ما دامت السماوات والأرض قيل يراد سماوات الاخرة وارضها وهي دائمة
مخلوقة للابد بدليل قوله يوم تبدل الارض غير الارض والسماوات وقيل هذا عبارة عن
التأبيد ونفي الانقطاع كقول العرب ما دام ثبير وما لاح كوكب وغير ذلك من كلمات التأبيد
إلا ما شاء ربك هذا استثناء من الخلود في عذاب النار ومن الخلود في نعيم الجنة وذلك
ان اهل النار لا يخلدون في عذاب النار وحده بل يعذبون بالزمهرير وبانواع من العذاب
سوى عذاب النار وبما هو اغلظ منها كلها وهو سخط الله عليهم واهانته لهم كانه قيل الا وقت
مشيئة ربك لعذابهم بغير النار إن ربك فعال لما يريد يفعل باهل النار ما يريد
من العذاب كما يعطي اهل الجنة ما شاء من الثواب وأما الذين سعدوا بالاحسان في اعمالهم
كما شقي اولئك بالاساءة ففي الجنة خالدين فيها ما دامت السماوات والأرض هذا مثل الاول

سؤال ما الفايده في سرد هذه القصص في هذه السوره الجواب ... صلى الله عليه وسلم ... ليثبت فؤاده ... على الاذى من قومه ... الانسان ... على قلبه تعالى ... الرسل ... ووجد ... اذا ابتلى ... فاذا سمع ... القصص ... والانبياء ... من الايمان ... والاستماع ... من الكفار ... الذي ... من تعدد ...

في الماسد وبقى الا بعطاع إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ اى الا وقت مشيه ربك ان ىتفضل عليهم بنعيم
سوا ثواب الجنه مما لا يعرف غايته ولا يعلم حقيقته الا الله وبما هو اعظم من ذلك وهو
رضوان الله عليهم وبتحليه لهم وتعظيمه اياهم فهذا هو المراد بالاستثنا والدليل عليه
قوله عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ اى غير مقطوع ولكنه ممتد الى غير نهايه كانه قيل الا ما شا ربك
من عطائهم غير ذلك وقوله عطا غير مجذوذ في مقابله قوله ان ربك فعال لما يريد سطل قول
المجبره ان المراد بالاستثنا خروج اهل النار بالشفاعه فتامله فان القران يفسر بعضه
بعضا فلا يخدعنك عنه قولهم يعني فعال لما يريد انه يفعل باهل النار ما يريد من العذاب
الذي لا انقطاع له كما يعطي اهل الجنه عطاه الذي لا انقطاع له قال رضي الله عنه
وما ظنك بقوم نبذوا كتاب الله لما روى لهم بعض الحشويه عن عبد الله بن عمرو بن العاص
لياتين على جهنم يوم تصفق فيه ابوابها ليس فيها احد وذلك بعد ما يلبثون فيها احقابا
وقد بلغني ان من الضلال من اغتر بهذا الحديث فاعتقد ان الكفار لا يخلدون في
النار وهذا من الخذلان المبين زادنا الله تعالى هدايه الى الحق ومعرفه بكتابه
وتنبيها على ان نغفل عنه ولئن صح هذا عن ابن العاص فمعناه انهم يخرجون من حر النار
الى برد الزمهرير فذلك خلو جهنم وصفق ابوابها واقول ما كان لابن عمرو في سيفيه ومقاتلته
عليًّا علي بن ابي طالب رضوان الله عليه ما يشغله عن تسيير هذا الحديث ۞
فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِمَّا يَعْبُدُ هَٰؤُلَاءِ لما قص الله عز وجل قصص عبده الاوثان وذكر ما احل
بهم من نقمه وما اعد لهم من عذابه قال فلا تك في مريه مما يعبد هولا اى فلا تشك بعد ما
انزل اليك من هذه القصص في سوء عاقبه عبادتهم وتعرضهم بها لما اصاب امثالهم
قبلهم تسليه لرسول الله صلى الله عليه واله وعده بالانتقام منهم ووعيدا لهم ثم قال مَا
يَعْبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَعْبُدُ آبَاؤُهُمْ مِنْ قَبْلُ يريد ان حالهم في الشرك مثل حال ابايهم من غير
تفاوت بين الحالين وقد بلغك ما نزل باباهم فسينزل بهم مثله وَإِنَّا لَمُوَفُّوهُمْ نَصِيبَهُمْ
اى حظهم من العذاب كما وفينا اباهم انصباهم غَيْرَ مَنْقُوصٍ بل تاما وافيا وَلَقَدْ آتَيْنَا
مُوسَى الْكِتَابَ وهو التوريه جمله واحده فَاخْتُلِفَ فِيهِ امن به قوم وكفر به قوم
كما اختلف في القران وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ يعني كلمه الانظار الى يوم القيمه
لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بين قوم موسى او قومك وهذا من جمله التسليه ايضا وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ
اى من القران مُرِيبٍ اى موقع في الريبه وَإِنَّ كُلًّا اى وان كلهم لَمَّا لَيُوَفِّيَنَّهُمْ رَبُّكَ
أَعْمَالَهُمْ من حسن وقبيح وايمان وجحود واللام في ليوفينهم جواب قسم محذوف واللام في لما
موطيه للقسم وما مزيده والمعنى وان جميعهم والله ليوفينهم ربك اعمالهم اى جزاء اعمالهم

البر والفاجر والمومن والكافر فيجازيهم عليه إِنَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ خَبِيرٌ فيجازيهم عليه فَاسْتَقِمْ
كَمَا أُمِرْتَ اى استقم استقامه مثل الاستقامه التي امرت بها على جاده الحق غير عادل عنها
وَمَنْ تَابَ مَعَكَ يعني اصحابه اى وليستقيموا ايضا على ما امروا به وَلَا تَطْغَوْا اى لا تخرجوا
عن حدود الله ولا تعصوا الله ولا تجبروا على احد إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ اى عالم فهو مجازيكم
به فاتقوه وعن ابن عباس رضي الله عنه ما نزل على رسول الله صلى الله عليه واله في جميع القران ايه اشد
ولا اشق عليه من هذه الايه ولهذا قال شيبتني هود والواقعه واخواتهما وروى ان الصحابه
قالوا له لقد اسرع فيك الشيب فقال صلى الله عليه واله شيبتني هود وعن بعضهم رايت رسول
الله صلى الله عليه واله في النوم فقلت له روي عنك انك قلت شيبتني هود فقال نعم فقلت بما
الذي شيبك منها اقصص الانبيا وهلاك الامم قال لا ولكن قوله تعالى فاستقم كما امرت ۞
وعن جعفر الصادق رضي الله عنه فاستقم كما امرت اى افتقر الى الله بصحه العزم وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى
الَّذِينَ ظَلَمُوا اى لا تداهنوهم ولا ترضوا باعمالهم فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ اى يصيبكم لهبها ۞
قال رضي الله عنه والنهي متناول للانحطاط في هواهم والانقطاع اليهم ومصاحبتهم
ومجالستهم وزيارتهم ومداهنتهم والرضى باعمالهم والتشبه بهم والتزيي بزيهم ومد العين
الى زهرتهم وذكرهم بما فيه تعظيم لهم وتامل قوله ولا تركنوا فان الركون هو الميل اليسير وقوله
الى الذين ظلموا اى الى الذين وجد منهم الظلم ولم يقل الى الظالمين وحكي عن بعضهم
انه صلى خلف امام فقرا بهذه الايه فغشي عليه فلما افاق قيل له فقال هذا فيمن ركن الى من ظلم
فكيف بالظالم ولما خالط الزهري السلاطين كتب اليه اخ له في الدين عافانا الله واياك يا
ابا بكر من الفتن فقد اصبحت بحال ينبغي لمن عرفك ان يدعو لك الله ويرحمك اصبحت شيخا كبيرا
وقد اثقلتك نعم الله بما فهمك من كتابه وعلمك من سنه نبيه وليس كذلك اخذ الله الميثاق
على العلما قال الله تعالى لتبيننه للناس ولا تكتمونه واعلم ان ايسر ما ارتكبت واخف ما احتملت
انك انست وحشه الظالم وسهلت سبيل الغي بدنوك ممن لم يؤد حقا ولم يترك باطلا
حين ادناك اتخذوك قطبا تدور عليك رحى باطلهم وجسرا يعبرون عليك الى بلاهم وسلما
يصعدون فيك الى ضلالهم يدخلون بك الشك على العلما ويقتادون بك قلوب الجهلا فما
ايسر ما عمروا لك في جنب ما خربوا عليك وما اكثر ما اخذوا منك فيما افسدوا عليك من
دينك فما يومنك ان تكون ممن قال الله فيهم فخلف من بعدهم خلف اضاعوا الصلوه واتبعوا
الشهوات فسوف يلقون غيا فانك تعامل من لا يجهل ويحفظ عليك من لا يغفل فداو دينك
فقد دخله سقم وهيئ زادك فقد حضر السفر البعيد وما يخفى على الله من شي في الارض ولا في
السماء وقال سفيان في جهنم واد لا يسكنه الا القرا الزائرون للملوك وعن الاوزاعي

ما من شيء ابغض الى الله من عالم يزور عاملا . وعن محمد بن مسلمة الذباب على العذرة احسن
من قارئ على ابواب هؤلاء وقال صلى الله عليه وعلى آله من دعا لظالم بالبقاء فقد
احب ان يعصى الله في ارضه . وسئل سفيان عن ظالم اشرف على الهلاك في برية هل يسقى شربة
ماء فقال لا فقيل له يموت فقال دعه يموت وفي هذه الآية اعظم زاجر عن الميل الى
الظلمة واهل الجور وما لكم من دون الله من اولياء اي من انصار يقدرون على منعكم من
عذابه لا يقدر على منعكم منه غيره ثم لا تنصرون اي لا ينصركم هو لانه وجب في
حكمته تعذيبكم وترك الابقاء عليكم واقم الصلوة طرفي النهار اي غدوة وعشية فصلوة
الغدوة الفجر وصلوة العشي الظهر والعصر لان ما بعد الزوال عشي وزلفا من الليل
اي وساعات من الليل والزلف اول ساعات الليل وصلوة الزلف المغرب والعشاء وقيل
وقيل صلوة طرفي النهار الفجر والظهر والعصر واما المغرب والعشاء فانهما من صلوة زلف
الليل ان الحسنات يذهبن السيئات اي الصلوات الخمس يكفرن ما بينهن من الذنوب اذا
اجتنب الكبائر وقيل يراد تكفير الصغائر بالطاعات وفي الحديث ان
الصلوة الى الصلوة كفارة ما بينهما اذا اجتنبت الكبائر وقيل ان الحسنات يذهبن
السيئات بان يكون لطفا في تركها كقوله ان الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر وقيل نزلت في
ابي اليسر عمرو بن غزية الانصاري كان يبيع التمر فاتته امرأة فاعجبته فقال لها ان في البيت اجود
من هذا التمر فذهب بها الى بيته فضمها الى نفسه وقبلها فقالت له اتق الله فتركها وندم فاتى
رسول الله صلى الله عليه وآله فاخبره بما فعل فقال انتظر امر ربي فلما صلى صلوة العصر نزلت
فقال نعم اذهب فانها كفارة لما عملت وروي انه اتى ابا بكر فاخبره فقال استر على نفسك
وتب الى الله فاتى عمر فقال له مثل ذلك ثم اتى رسول الله صلى الله عليه وآله فنزلت فقال عمر
اهذا له خاصة ام للناس عامة فقال بل للناس عامة وروي ان رسول الله صلى الله عليه وآله
قال له توضأ وضوءا حسنا وصل ركعتين ان الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرى اي
هو عظة للذاكرين اي للمتعظين واصبر افرد الصبر بالذكر بعد ما جاء بما هو خاتمه
للتذكير لفضل خصوصيته ومزيته وتنبيها على مكان الصبر ومحله كانه قال وعليك بما هو
اهم مما ذكرت به واحق بالتوصية وهو الصبر على امتثال ما امرت به والانتهاء عما نهيت عنه
فلا يتم شيء منه الا به فان الله لا يضيع اجر المحسنين اي ثوابهم في الاعمال جاء بما هو مشتمل على
الاستقامة واقامة الصلوات والانتهاء عن الطغيان والركون الى الظلمة والصبر وغير ذلك
من الحسنات التي يكون بها الانسان محسنا فلولا كان من القرون اي فهلا كان من الامم
من قبلكم اولو بقية اي اولو فضل وخير وسمي الفضل والجودة بقية لان الرجل يستبقي

مما يخرجه اجوده وافضله فصار مثلا في الجودة والفضل ينهون عن الفساد في
الارض اي عن الشرك والاعتداء في حقوق الله والمعصية والفساد في الارض عام في الصالح
والمنكرات والمعنى فهلا كان منهم ذوو بقية على انفسهم وصيانة لها من سخط الله عز وجل
وعقابه الا قليلا اي لكن قليلا ممن انجينا منهم وهم اتباع الانبياء واهل الحق ينهون عن
الفساد وسائرهم تاركون للنهي واتبع الذين ظلموا ما اترفوا فيه اراد بالذين
ظلموا تاركي النهي عن المنكر وعقدوا همهم بالشهوات واثروا اللذات على امر الآخرة وركنوا
الى الدنيا والاموال وما اعطوا من النعم والترف واستغواهم الرياسة والثروة وطلب
اسباب العيش الهني فرفضوا ما وراء ذلك ونبذوه وراء ظهورهم وكانوا مجرمين اراد
بالاجرام اغفالهم للشكر لان تابع الشهوات مغمور بالآثام وما كان ربك ليهلك اي وما صح
ولا استقام في الحكمة ان يهلك الله اهل القرى بظلم اي بشرك واهلها مصلحون
فيما بينهم اي ليس من سنة الكفار اذا اقتصدوا الحق في المعاملة ان ينزل الله بهم عذاب الاستئصال
كقوم لوط عذبوا باللواط وقوم شعيب عذبوا ببخس المكيال وهذا تنزيه لذاته تعالى
عن الظلم واعلام بان اهلاك المصلحين من الظلم والمعنى انه لا يهلك القرى
بسبب شرك اهلها وهم مصلحون يتعاطون الحق فيما بينهم ولا يضمون الى شركهم فسادا آخر
ولو شاء ربك لجعل الناس امة واحدة يعني لاضطرهم الى ان يكونوا اهل ملة واحدة
وهي ملة الاسلام وهذا الكلام يتضمن نفي الاضطرار وانه لم يضطرهم الى الاتفاق على دين
الحق ولكنه مكنهم من الاختيار الذي هو اساس التكليف فاختار بعضهم الحق وبعضهم الباطل
فاختلفوا فلذلك قال ولا يزالون مختلفين الا من رحم ربك اي الا ناسا هداهم الله
ولطف بهم فاتفقوا على دين الحق غير مختلفين فيه ولذلك خلقهم اي ولذلك التمكين
والاختيار خلقهم ليثيب مختار الحق بحسن اختياره ويعاقب مختار الباطل بسوء اختياره
وتمت كلمة ربك وهي قوله للملائكة لاملأن جهنم من الجنة والناس اجمعين لعلمه
بكثرة من يختار الباطل وكلا نقص عليك اي وكل نبأ نخبرك به نقص عليك من
انباء الرسل اي من اخبارهم ما نثبت به فؤادك يعني تثبيت فؤاده زيادة يقينه وما
فيه طمأنينة قلبه لان تكاثر الادلة اثبت للقلب وارسخ للعلم وجاءك في هذه الحق اي في
هذه السورة او في هذه الانباء المقتصة ما هو حق وموعظة وذكرى للمؤمنين يتعظون
اذا سمعوا هذه السورة وما نزل بالامم لما كذبوا انبياءهم وقل للذين لا يؤمنون
من اهل مكة وغيرهم اعملوا على مكانتكم اي على حالكم وجهتكم التي انتم عليها



من الشرك والتعرض لهم بالعداوة إنا عاملون وهذا أمر تهديد أي اعملوا ما
انتم عاملون وانتظروا بنا الدوائر وما يعدكم الشيطان إنا منتظرون ان
ينزل بكم مثل ما نزل الله على أشباهكم من النقم والعقوبات ولله غيب السماوات
والأرض أي علم ما غاب عن العباد فيهما لا يخفى عليه خافية مما يجري فيهما فلا يخفى عليه
أعمالكم وإليه يرجع الأمر كله أي الحكم في الآخرة يرجع أمر العباد كله فلا بد ان
يرجع الله أمرهم وأمرك فينتقم لك منهم حيث لا يكون لأحد سواه أمر فاعبده وتوكل عليه
فإنه كافيك وحافظك وما ربك بغافل عما تعملون [illegible] باحسانه والمسيء
بما [illegible] يعملون [illegible] طلبا [illegible]

تم الجزء الأول من ثلاثة أجزاء الجوهر
الشفاف الملتقط من مغاصات
الكشاف بحمد الله وحسن توفيقه
لتاريخ شهر شعبان الكريم أحد شهور
ثمان ومائة [illegible]
والحمد لله رب العالمين حمدا
كثيرا طيبا مباركا فيه
وصلى الله على سيدنا
محمد وعلى آله
الطاهرين